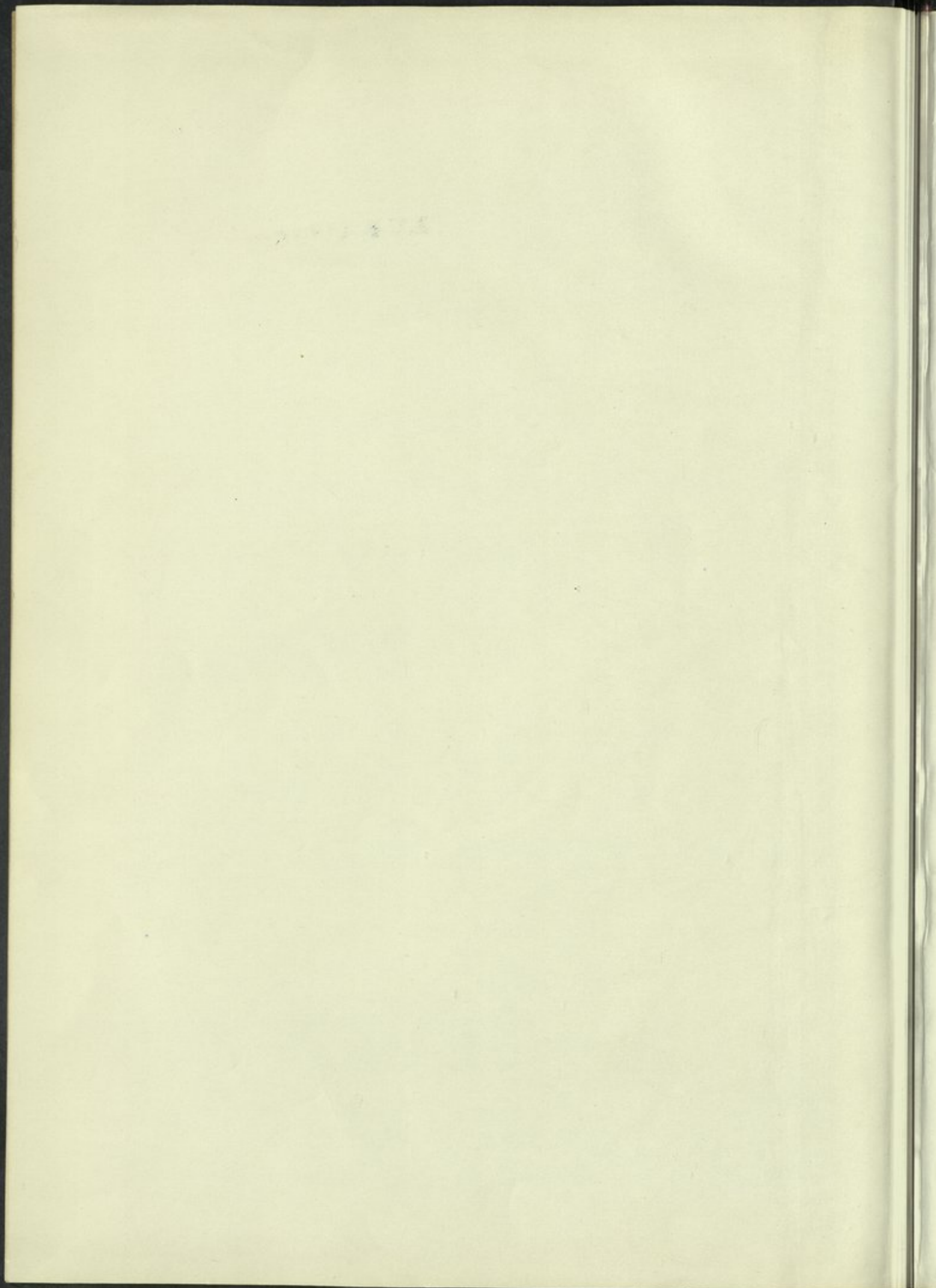
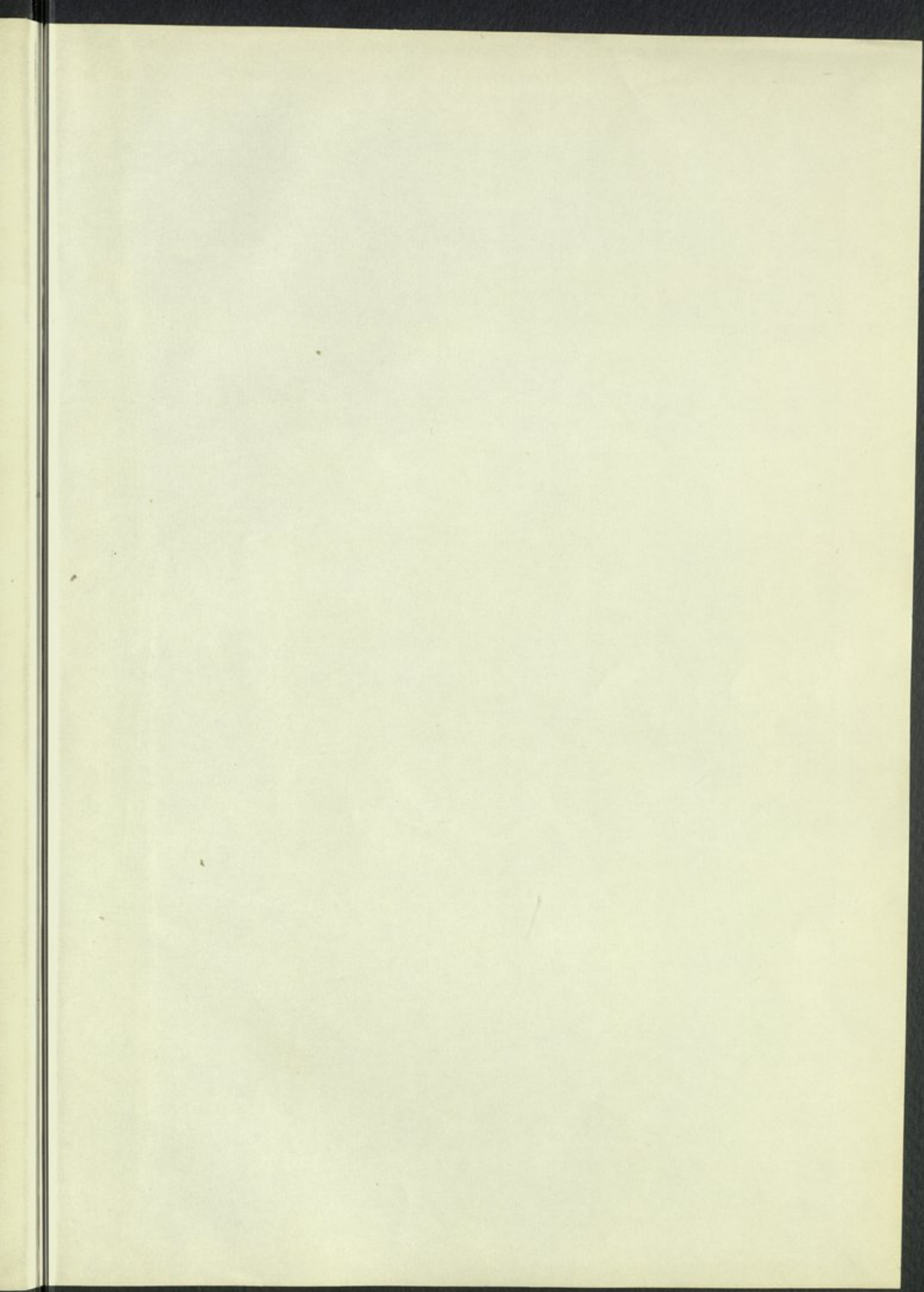
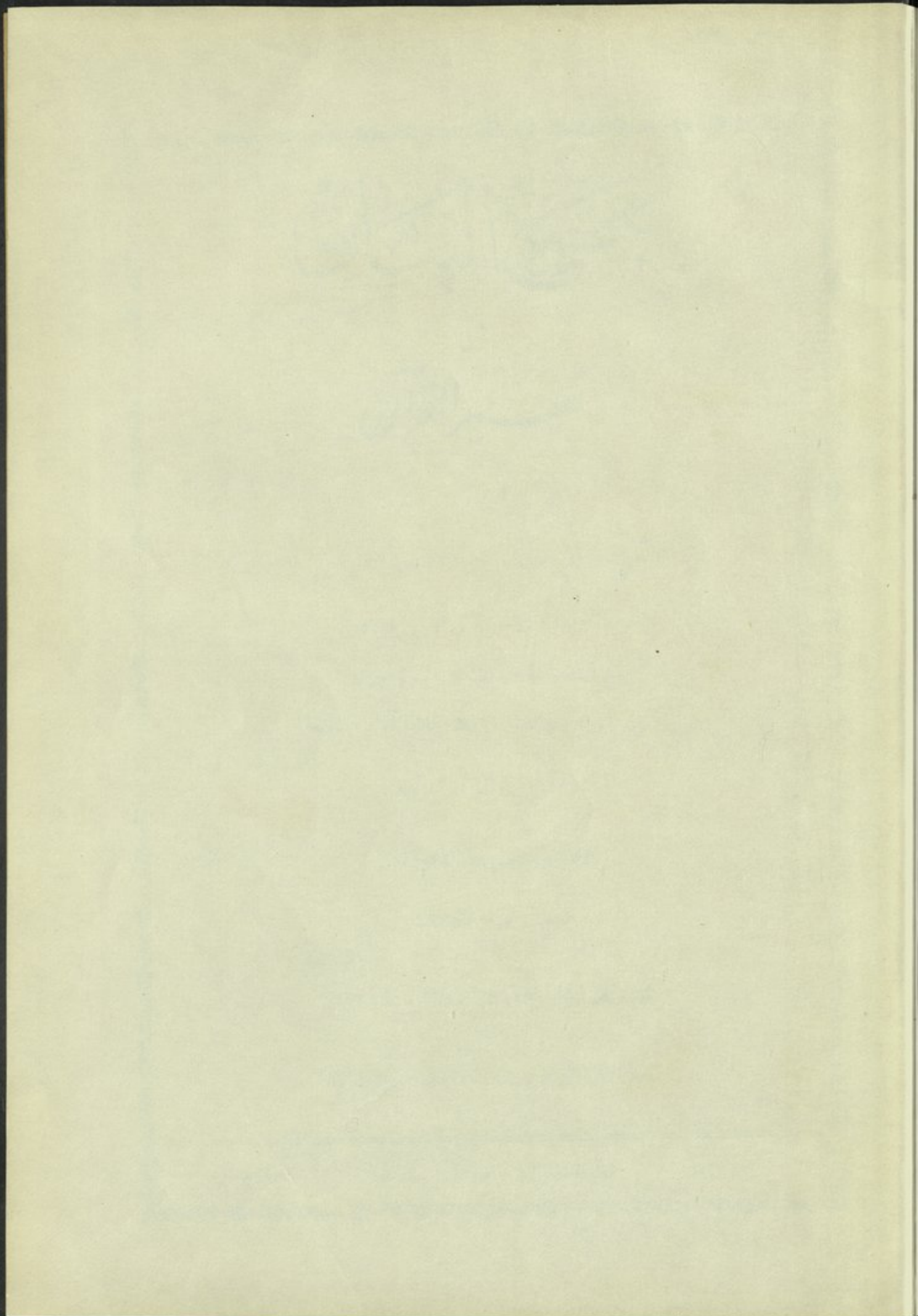


AUB Libraries

AUB. LIBRARY







مَجْمَعُ الْبَيَانِ

فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

لمؤلفه

الشيخ ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي

من اكابر علماء الامامية في القرن السادس

يقع في خمسة مجلدات او عشرة اجزاء

يكون مجموعه مع الفهارس زها. ثلاثة آلاف صفحة

المجلد الثاني

الجزء الثالث

وهو جزء من عشرة اجزاء

حسب تجزئة المصنف

صدر هذا الجزء في شهر شعبان سنة ١٣٥٤

قيمة الاشتراك ليرة عثمانية ما عدا اجرة البريد

57862

١٩٣٥ م

مطبعة العرفان * صيدا (سوريا)

٥١٣٥٤

Right. Cont. Sept. 1939



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واعني على جميع المهمات

سورة النساء

هي مدنية كما وقيل انها مدنية إلا قوله إن الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات إلى اهلها الآية وقوله ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم في السكالة إلى آخرها فإن الآيتين نزلتا بمكة * عدد آياتها * مائة وسبع وسبعون آية شامي وست كوفي وخمس في الباقيين خلافاً آياتان أن تضلوا السبيل كوفي شامي فيعذبهم عذاباً الياً شامي

* فضلها *

ابي ابن كعب عن النبي (ص) قال من قرأها فكأنما تصدق على كل مؤمن ورث ميراثاً واعطي من الأجر كمن اشترى محرراً ويرى من الشرك وكان في مشينة الله من الذين يتجاوز عنهم وروي عن عمر بن الخطاب انه قال تعلموا سورة البقرة وسورة المائدة وسورة الحج وسورة النور فإن فيهن الفرائض وروى العياشي بإسناده عن امير المؤمنين (ع) انه قال من قرأ سورة النساء في كل جمعة أو من من ضغطة القبر إذا ادخل في قبره

* تفسيرها *

لما ختم الله السورة التي ذكر فيها آل عمران بالأمر بالتقوى افتتح ايضاً هذه السورة به إلا أن هناك خص به المؤمنين وعم به هاهنا سائر المكلفين فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا

آية القراءة *

قرأ أهل الكوفة تسألون بتخفيف السين والباقون بتشديدها وقرأ حمزة والارحام بالجر والباقون بالنصب وقرئ في الشواذ والارحام بالرفع

* الحجة *

حجة من خفف تسألون اراد تسألون فحذف التاء من تتفاعلون لاجتماع حروف متقاربة ومن شدد فقال تسألون فإنه ادغم التاء في السين وحسن ذلك لاجتماعهما في انهما من حروف طرف اللسان واصول الثنايا واجتماعها في الهمس فخفف هنا بالإدغام كما خفف هناك بالحذف قال ابو علي من نصب الارحام احتمل انتصابه وجهين * احدهما * ان يكون معطوفاً على موضع الجار والمجرور (والاخر) ان يكون معطوفاً على اتقوا وتقديره واتقوا الله واتقوا الارحام فصارت ولا تقطعها رأياً من جر فإنه عطف على الضمير المجرور بالباء وهذا ضعيف في القياس وقليل في الاستعمال وما كان كذلك فتترك الأخذ به أحسن وإنما ضعف في القياس لأن الضمير قد صار عوضاً مما كان متصلاً بالاسم من التنوين فتمح ان يعطف عليه كما لا يعطف الظاهر على التنوين ويدلك على انه اجري عندهم مجرى التنوين حذفهم الياً من المنادى المضاف اليها كحذفهم التنوين وذلك قولهم يا غلام وهو الأكثر من غيره ووجه الشبه بينهما انه على حرف كما ان التنوين كذلك واجتماعهما في السكون ولأنه لا يوقف على الاسم منفصلاً

منه كما ان التنوين كذلك والمضمر اذهب في مشابهة التنوين من المظهر لأنه قد يفصل بين المضاف والمضاف اليه
إذا كان ظاهرا بالظروف وبغيرها نحو قول الشاعر

كأن أصوات مسن ايغالهن بنا
واخير ألميس اصوات الفراريج

وقول الآخر (من قرع القسي الكنائن) وليس المضمر في هذا كالمظاهر فلما كان كذلك لم يستجز
وعطف الظاهر عليه لأن المعطوف ينبغي أن يكون مشاكلا للمعطوف عليه وقد جاء ذلك في ضرورة الشعر انشد سيبويه

فاليوم قربت تهجونا ونشتعنا
فذهب فما بك والأيام من عجب
فعطف الايام على موضع الكاف وقال آخر

نعلق في مثل السواري سيوفنا
وما بينها والكعب غوط نفائف

فعطف الكعب على الهاء والالف في بينها ومثل ذلك لا يجوز في القرآن والكلام الفصح قال المازني وذلك
لأن الثاني في العطف شريك للأول فلأن كان الأول يصلح ان يكون شريكا للثاني وإلا لم يصلح ان يكون
الثاني شريكا فكما لا تقول مرتت بزيد وك كذلك لا تقول مرتت بك وزيد واما القراءة الشاذة في رفع الارحام فالوجه
في رفعه على الابتداء اي والارحام ما يجب ان تتقوه وحذف الخبر للعلم به

✽ اللغة ✽

البث النشر يقال بث الله الخساق ومنه قوله كالفراش المبثوث وبعضهم يقول ابث بمعناه يقال ببثتك سري
وابثتتك سري لغتان واصل الرقيب من الترقب وهو الانتظار ومنه الرقيب لأن كل واحد منهما ينتظر مرت
صاحبه يقال رقب رقباً ورقبة ورقباً فعلى هذا يكون الرقيب فعلاً بمعنى الفاعل وهو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء

✽ المعنى ✽

ابتداء الله سبحانه هذه السورة بالموعظة والأمر بالتقوى فقال (يا أيها الناس) وهو خطاب للمكلفين من جميع
البشر وقيل النداء إنما كان في سائر كتب الله السالفة بيا أيها المساكين وأما في القرآن فما نزل بمكة فالنداء بيا أيها
الناس وما نزل بالمدينة فمرة بيا أيها الذين آمنوا ومرة بيا أيها الناس (اتقوا ربكم) معناه اتقوا مصيبة ربكم
او مخالفة ربكم بترك ما امر به وارتكاب ما نهى عنه وقيل معناه اتقوا حقه ان تضعوه وقيل اتقوا عقابه فكأنه
قال يحق عليكم ان تتقوا عقاب من انعم عليكم بأعظم النعم وهي ان خلقكم من نفس واحدة ووجدكم
ومن عظمت عنده النعمى فهو بالتقوى اولى وقيل ان المراد به بيان كمال قدرته فكأنه قال الذي قدر على ان
خلقكم من نفس واحدة فهو على عقابكم اقدر فيحقق عليكم ان تتركوا مخالفته وتتقوا عقوبته وقوله (الذي
خلقكم من نفس واحدة) المراد بالنفس هنا آدم عند جميع المفسرين وإنما لم يقل نفس واحد بالتذكير وإن كان المراد
آدم لأن لفظ النفس مؤنث بالصيغة فهو كقول الشاعر

ابوك خليفة ولدته اخرى
وانت خليفة ذلك الكمال

فانث على اللفظ ولو قال من ننس واحد لجاز (وخلق منها زوجها) يعني حواء عليها السلام ذهب اكثر المفسرين
إلى انها خلقت من ضلع من اضلاع آدم (ع) ورووا عن النبي (ص) انه قال خلقت المرأة من ضلع آدم (ع)
ان اقمتهما كسرتهما وان تركتهما وفيها عوج استتمت بها وروي عن ابي جعفر الباقر (ع) ان الله تعالى خلق حواء من
فضل الطينة التي خلق منها آدم وفي تفسير علي بن ابراهيم من اسفل اضلاعه (وبث منهما رجالا كثيرا) اي نشر
وفرق من هاتين النسبين على وجه التناسل رجالا (ونساء) وانما من علينا تعالى بأن خلقنا من نفس واحدة لأنه اقرب
إلى ان يعطف بعضنا على بعض ويوحى بعضنا بعضا ارجوعنا جميعا إلى اصل واحد ولأن ذلك ابلغ في القدرة وادل

على العلم والحكمة وقوله (و اتقوا الله الذي تساءلون به) قيل في معناه قولان احدهما انه من قولهم اسالك بالله ان تفعل كذا وانشدك بالله وبالرحم ونشدتك الله والرحم وكذا كانت العرب تقول عن الحسن و ابراهيم وعلى هذا يكون قوله (والارحام) عطفا على موضع قوله به والمعنى انكم كما تعظمون الله بأقوالكم فعظموه ببطاءتكم اياه والاخر ان معنى تساءلون به تطلبون حقوقكم وحوالجتكم فيما بينكم به والارحام معناه واتقوا الارحام ان تقطعوا عنها عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والضحاك والربيع وهو المروي عن ابي جعفر (ع) فعلى هذا يكون منصوبا عطفا على اسم الله تعالى وهذا يدل على وجوب صلة الرحم ويؤيده ما رواه عن النبي (ص) انه قال قال الله تعالى انا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وفي امثال هذا الخبر كثرة وصلة الرحم قد تكون بقبول النسب وقد تكون بالانفاق على ذي الرحم وما يجري مجراه وروى الاصبغ ابن نباتة عن امير المؤمنين (ع) قال ان احدكم ليغضب فيما يرضى حتى يدخل به النار فايما رجل منكم غضب على ذي رحمه فليمسه فان الرحم اذا مستها الرحم استقرت وانها متملقة بالعرش تقول وتنادي اللهم صل مسن وصلني واقطع من قطعني (ان الله كان عليكم رقيبا) اي حافظا عن مجاهد وقيل الرقيب العالم عن ابي زيد والمعنى متقارب وإنما اتى بلفظة كان المفيدة للماضي لانه اراد انه كان حفيظا على من تقدم زمانه من عهد آدم وولده إلى زمان المخاطبين وعالما بما صدر منهم لم يعزب عنه من ذلك شي

قوله تعالى (٢) وآتوا اليتامى أموالهم ولا تبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا آية

اللغة

الحرب الاثم يقال حاب يحوب حوبا وحيابة والاسم الحوب وروي عن الحسن انه قرأ حوبا ذهب إلى المصدر وتحوب فلان من كذا إذا تحرج منه ونزلنا بحوبة من الأرض اي بوضع سوء والحوبة الحزن والتحوب التحزن والحوبا الروح

المعنى

لما امر الله سبحانه بالتقوى وصلة الارحام عقبه بباب آخر من التقوى وهو توفير حقوق اليتامى فقال (وآتوا اليتامى أموالهم) وهذا خطاب لأوصياء اليتامى اي اعطوهم أموالهم بالانفاق عليهم في حالة الصغر وبالتسليم اليهم عند البلوغ اذا اونس منهم الرشد وسأهم يتامى بعد البلوغ مجازا لأن النبي (ص) قال لا يتم بعد احتلام كما قالوا للنبي (ص) يتيم ابي طالب بعد كبره يعنون انه رباة وكقوله سبحانه والتي السجرة ساجدين اي الذين كانوا سحرة (ولا تبدلوا الخبيث بالطيب) معناه لا تستبدلوا ما حرمه الله تعالى عليكم من أموال اليتامى بما احله الله لكم من أموالكم واختلف في صفة التبديل فقيل كان اوصياء اليتامى يأخذون الجيد مسن مال اليتيم والرفيع منه ويجمعون مكانه الحسيس والردي عن ابراهيم النخعي والسدي وسعيد بن المسيب والزهري والربيع والضحاك وقيل معناه لا تبدلوا الخبيث بالطيب بأن تتعجلوا الحرام قبل أن يأتيكم الرزق الحلال الذي قدر لكم عن ابي صالح ومجاهد وقيل معناه ما كان اهل الجاهلية يفعلونه من انهم لم يكونوا يورثون النساء ولا الصغار بل يأخذوا الكبار عن ابي زيد وأقرب الوجوه الاول لأنه إنما ذكر عقيب أموال اليتامى فيكون معناه لا تأخذوا السمين والجيد من أموالهم وتضعوا مكانهما المهزول والردي فتحفظون عليهم عدد أموالهم ومقاديرها وتجحفون بهم في صفاتها ومعانيها وقوله (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم) اي مع أموالكم ومعناه ولا تضيفوا أموالهم إلى أموالكم فتأكلوها جميعا ويحتمل ان يكون معناه ولا تخططوا الجيد من أموالهم بالردي من أموالكم فتأكلوها فان في ذلك اجحافا واضرار اربهم فاما إذا لم يكن في ذلك اضرار ولا ظلم فلا بأس بخلاط مال اليتيم بماله فقد روي انه

لما نزلت هذه الآية كرهوا مخالطة اليتامى فشق ذلك عليهم فشكوا ذلك إلى رسول الله (ص) فانزل الله سبحانه
ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وإن تخاطبوا فلو خروا نكس في الدين الآية عن الحسن وهو المروي عن
السيد بن الباقر (ع) والصادق (ع) (انه كان حوياً كبيراً) اي اثماً عظيماً

قوله تعالى (٣) وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ
مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَذْنَى الْأَلَّا
تَعُولُوا (٤) وَأَنْتُمْ أُولُو النَّسَاءِ صَدُقَاتُهُنَّ نِحْلَةٌ فَإِنْ طَبِنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا (آيَاتَان)

عداً ألا تعولوا آية بالاتفاق وهذا مما يشكك ويدهر

✽ القراءة ✽

قرأ أبو جعفر فواحدة بالرفع والباقون بالنصب

✽ الحجة ✽

القراءة بالنصب على انه مفعول به وتقديره فانكحوا واحدة ومن رفع فعلى انه فواحدة كافية او فواحدة
مجزية كقوله فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان

✽ اللغة ✽

الاقساط العدل والانصاف والقسط الجور ويقال ثناء ومثني وثلاث ومثلث ورباع ومربع ولم يسمع فيما زاد عليه
مثل خماس ومخمس الاوعشار في بيت قول الكمييت وهو قوله

ولم يستريشوك حتى رميت فوق الرجال خصالا عشارا

وقال صخر الغني

ولقد قتلتكم ثناء وموحدا وتركت مرة مثل امس الدابر

وعال الرجل يعول عولا وعيالة اي مال وجار ومنه عول الفرائض لأن سهامها إذا زادت دخلها النقص قال
ابو طالب (بميزان قسط وزنه غير عائل) وعال يعيل عيلة إذا احتاج قال الشاعر

فما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل

اي يفتقر فمن قال معنى قوله ألا تعولوا ألا تقتروا فقد اخطأ لأنه من باب اليا. كما ترى ومن قال ان معناه لا تكثر
عيالكم فقد اخطأ ايضا لأن ذلك يكون من الإعالة يقال اعال الرجل يعيل فهو معيل إذا كثر عياله وعال
العيال اذا ما منهم من المرونة ومنه قوله إبدأ بما تعول وقد حكى الكسائي عال الرجل يعول إذا كثر عياله والصادق
والصادق والصادقة والصدقة المهر والنحلة عطية تكون على غير جهة المشاءة يقال نحل الرجل إذا وهب له نحلة ونحلا
وسمي النحل نحلا لان الله نحل منها الناس العسل الذي في بطونها وهنيئاً مأخوذاً من هنأت البعير بالقطران فالهني
شفا من المرض كما ان الهناء الذي هو القطران شفا من الجرب قال

ما إن رأيت ولا سمعت به كالسيوم هاني أينق جرب

متبذلاً تبدو محاسنه يضع الهناء مواضع النقب

يقال منه هنائي الطعام ومراني اي صار لي دوا وعلاج شافيا وهنائي ومراني بالكسر وهي قليلة وتقول في المستقبل
يهنائي ويبراني ويهنتني ويبراني وإذا افردوا قالوا امراني ولا يقولون اهنائي وقد مرو هذا الطعام مرارة ويقال

هنأت القوم إذا اعطيتهم وهنأت فلانا المال إذا وهبته له اهنا. هناة ومنه المثل إنما سميت هانئاً لتنهى أي تعطي

الاعراب

قوله ما طاب ما ههنا مصدرية عن الفراء أي فانكحوا الحلال ويروى عن مجاهد ايضا فانكحوا النساء. نكاحا طيبا قال المبرد ما ههنا للمجنس كقولك ما عندك فالجواب رجل او امرأة وقيل لما كان المكان مكان إبهام جاءت ما لما فيها من الإبهام كقول العرب خذ من عندي ما شئت وقوله مشئ وثلاث ورباع بدل معاطاب وموضعه النصب وتقديره اثنتين اثنتين وثلاثا ثلاثا واربعاً اربعا الا انه لا ينصرف لعتين العدل والصفة قال الزجاج انه لا ينصرف لجهتين ولا اعلم احد من النحويين ذكرهما غيرنا انه معدول عن اثنتين اثنتين وثلاث ثلاث وانه عدل عن تأنيث وخطأه ابو علي الفارسي في ذلك واورد عليه كلاما كثيرا يطول بذكره الكتاب ثم قال او جاز ان يقول قائل ان مشئ وبابه معدول عن مؤنث لثا جرى على النساء وواحدتهن مؤنثة لجاز لاخر ان يقول ان مشئ وبابه معدول عن مذكر لانه اجري صفة على اجنحة وواحدة مذكرة وإنما جرى على النساء من حيث كان تأنيثها تأنيث الجمع وهذا الضرب من التأنيث ليس بحقيقي وإنما هو من اجل اللفظ فهو مثل النار والدار وما اشبه ذلك وقد جرت هذه الاسماء على المذكور الحقيقي قال صخر النبي

منيت بأن تلاقيني المنايا أحاداً حاد في شهر حلال

وبيت الكتاب

ولكنما اهلي بواد انيسه ذياب تبغى الناس مشئ وموحدا

جرى فيه مشئ وموحدا على ذئاب وهو جمع مذكر وقال تميم بن ابي مقبل

ترى النعرات الزرق تحت لبانها احاد ومثنى اصعقتها صواهلها

فاحاد ومثنى هنا حال من النعرات وقال ابو علي في القصرينات ان مشئ وثلاث ورباع حال من قوله ما طاب لكم من النساء فهو كقولك جنتك ماشيا وراكبا ومنحدرا وصاعدا تريد انك جنته في كل حال من هذه الاحوال ولست تريد انك جنته وهذه الاحوال لك في وقت واحد ومن قدرها على البديل من ما قال انما جاءت الواو هنا ولم تأت او لأنه على طريق البديل كانه قال وثلاث بدلا من مشئ ورباع بدلا من ثلاث ولو جاء بأو اكان لا يجوز لصاحب المثنى ثلاث واصحاب الثلاث رباع وقوله نحلة نصب على المصدر وقوله نفسا نصب على التمييز كما يقال ضقت بهذا الامر ذرعا وقررت به عينا والمعنى ضاق به ذرعي وقررت به عيني ولذلك وحده النفس لما كانت مفسرة والنفس المراد به الجنس يقع على الواحد والجمع كقول الشاعر

بها جنف الحسرى فأما عظامها فيبيض وأما جلدها فصليب

ولم يقل جلودها ولو قال فإن ظنن لكم أنفسا لجاز وقوله بالاخسرين اعمالا إنما جمع لتلايتهم انه عمل يضاف الى الجميع كما يضاف القتل الى جماعة اذا رضوا به ومن في قوله عن شي منه تبيين الجنس لا للتبويض لأنها لو وهبت المهر كله لجاز بلا خلاف وهنيئا مريثا نصب على الحال

النزول والنظم

اختلف في سبب نزوله وكيفية نظم محصوله واتصال فضله على اقوال (احدها) انها نزلت في اليتيمة تكون في حجر ولها فيرغب في ماها وجمالها ويريد ان ينكحها بدون صداق مثلها فنهوا ان ينكحوهن الا ان تقطوا لهن في اكمال هوراشاهن وامروا ان ينكحوا ما سواهن من النساء الى اربع عن عائشة وروي ذلك في تفسير اصحابنا وقالوا انها متصلة بقوله ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء

اللاتي لا توطنهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن فإن خفتن ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا الآية وبه قال الحسن والجبائي والمبرد (وثانيها) انها نزلت في الرجل منهم كان يتزوج الاربع والخمس والست والعشر ويقول ما يعني ان تزوج كما يتزوج فلان فإذا فني ماله مال على مال اليتيم الذي في حجره فانفقه فنهاهم الله عن ان يتجاوزوا الاربع اثلا يحتاجوا الى اخذ مال اليتيم وان خافوا ذلك مع الاربع ايضا اقتصروا على واحدة عن ابن عباس وعكرمة (وثالثها) أنهم كانوا يشددون في اموال اليتامى ولا يشددون في النساء ينكح احدهم النسوة فلا يعدل بينهن فقال تعالى كما تخافون ألا تعدلوا في اليتامى فخافوا في النساء فانكحوا واحدة الى اربع عن سعيد ابن جبير والسدي وقتادة والربيع والضحاك وفي احدى الروايتين عن ابن عباس (ورابعها) أنهم كانوا يتخرجون من ولاية اليتامى واكل اموالهم ايمانا وتصديقا فقال سبحانه ان تخرجتم من ذلك فكذلك تخرجوا من الزنا وانكحوا النكاح المباح من واحدة الى اربع عن مجاهد (وخامسها) ما قالها الحسن ان خفتن ألا تقسطوا في اليتيمة المرباة في حجركم فانكحوا ما طاب لكم من النساء مما احل لكم من يتامى قرباتكم مشى وثلاث ورباع وبه قال الجبائي وقال الخطاب متوجه الى ولي اليتيمة اذا اراد ان يتزوجها (وسادسها) ما قاله الفراء ان كنتم تخرجون عن مواكبة اليتامى فتخرجوا من الجمع بين النساء وان لا تعدلوا بين النساء ولا تتزوجوا منهن إلا من تأمنون معه الجور قال القاضي ابو عاصم القول الاول اولى واقرب الى نظم الآية وانظروا

✽ المعنى ✽

(وإن خفتن ألا تقسطوا) اي لا تنصفوا ولا تعدلوا بامعاشر اولياء اليتامى (في اليتامى) وذكرنا معناه والاختلاف فيه في النزول (فانكحوا ما طاب لكم) اي ما حل لكم ولم يقل من طاب لكم لأن معناه فانكحوا الطيب (من النساء) اي الحلال منهن اي من اللاتي يحل نكاحهن دون المحرمات اللاتي ذكرن في قوله حرمت عليكم امهاتكم الآية ويكون تقديره على القول الأول ان خفتن أن لا تعدلوا في نكاح اليتامى إن نكحتموهن فانكحوا البواغ من النساء وذلك انه ان وقع حيف في حق البواغ امكن طلب المخلص منهن بتطبيب نفوسهن والتماس تحليهن لأنهن من اهل التحليل واسقاط الحقوق بخلاف اليتامى فإنه إن وقع حيف في حقهن لم يمكن المخلص منه لانهن لسن من اهل التحليل ولا من اهل اسقاط الحقوق وقوله (مشى وثلاث ورباع) معناها اثنتان وثلاثا ثلاثا واربعاً اربعاً فلا يقال أن هذا يؤدي إلى جواز نكاح التسع فإن اثنتين وثلاثة واربعه تسعة لما ذكرناه فإن من قال دخل القوم البلد مشى وثلاث ورباع لا يقتضي اجتماع الاعداد في الدخول ولأن لهذا العدد لفظاً موضوعاً وهو تسع فالعدل عنه إلى مشى وثلاث ورباع نوع من العي جل كلامه عن ذلك وتقدس وقال الصادق (ع) لا يدخل ماء الرجل ان يجري في اكثر من اربعة ارحام من الحرائر (فإن خفتن ألا تعدلوا) بين الاربع او الثلاث في القسم او النفقة وساير وجوه التسوية (فواحدة) اي فتزوجوا واحدة (او ما ملكت ايمانكم) اي واقتصروا على الإماء حتى لا تحتاجوا الى القسم بينهن لأنهن لا حق لهن في القسم (ذلك) اشارة الى العقد على الواحدة مع الحرف من الجور فيما زاد عليها (ادنى ألا تعدلوا) اي اقرب ان لا تميلوا وتجاوزوا عن ابن عباس والحسن وقتادة ومن قال معناه ادنى ان لا تكثر عيالكم فإنه مع ضعفه في اللغة ففي الآية ما يبطله وهو قوله او ما ملكت ايمانكم ومعلوم ان ما يحتاج اليه من النفقة عند كثرة الحرائر من النساء مثل ما يحتاج اليه عند كثرة الاماء وقيل كان الرجل قبل نزول هذه الآية يتزوج بما شاء من النساء وقوله (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) معناه واعطوا النساء مهورهن عطية من الله وذلك ان الله تعالى جعل الاستمتاع مشتركاً بين الزوجين ثم اوجب لها بازا الاستمتاع مهراً على زوجها فذلك عطية من الله للنساء وقيل اراد بنحلة فريضة مسعاة عن قتادة وابن جريج وقيل اراد بالنحلة الدين كما يقال فلان يتحمل كذا اي يدين به ذكره الزجاج وابن خالويه واختلاف فيمن خوطب بقوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فقيل هم الازواج امرهم الله باعطاء المهر للدخول بها

كعلا وغير المدخول بها على النصف على ما مر شرحه من غير مطالبة ممنه ولا مخاصمة لأن ما يؤخذ بالمحاكمة لا يقال له نحلة وهو قول ابن عباس وقتادة وابن جريج واختاره الطبري والجبائي والرماني والزجاج وقيل هم الاوليا. لأن الرجل منهم كان اذا تزوج أئمة اخذ صداقها دونها فنهاهم الله عن ذلك عن ابي صالح وهو المروي عن الباقر (ع) رواه ابو الجارود عنه والاول اشبه بالظاهر (فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا) خطاب للزوج معناه فإن طابت نفوسهن بهبة شيء من الصداق (فكلوه) اي كلوا الموهوب لكم (هنيئا مريئا) فالهنيء الطيب المساغ الذي لا ينقصه شيء والمرئي المحمود العاقبة التام الهضم الذي لا يضر ولا يوذى وفي كتاب العياشي مرفوعا الى امير المؤمنين (ع) انه جاءه رجل فقال يا امير المؤمنين اني يوجع بطني فقال لك زوجة فقال نعم قال استوهب منها شيئا طيبة به نفسها من مالها ثم اشترى به عملا ثم اسكب عليه من ماء السماء ثم اشربه فإوني سمعت الله تعالى يقول في كتابه وانزلنا من السماء ماء مباركا وقال يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس وقال فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فاذا اجتمعت البركة والشفاء والهنيء المرئي شفيت ان شاء الله قال ففعل ذلك فشفي وقد استدل بعض الناس على وجوب التزويج بقوله فانكحوا من حيث ان ظاهر الامر يقتضي الوجوب وهذا خطأ لانه يجوز العدول عن الظاهر بدليل وقد قام الدليل على ان التزويج غير واجب

قوله تعالى (٥) وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا آية

✽ القراءة ✽

قرأ نافع وابن عامر قیما بغير الف والباقر قیما بالالف

✽ الحجة ✽

قال ابو الحسن في قيام ثلاث لغات قيام وقيم وقوام وهو الذي بقيمك قال لبيد

أفتلك أم وحشية مسبوغة خذات وهادية الصور قوامها

قال ابو علي ليس قول من قال ان القيم جمع قيمة بشي إنما القيم بمعنى القيام وهو مصدر يدل عليه قوله ديننا قیما فالقيمة التي هي معادلة الشيء ومقاومته لامذهب له ههنا إنما المعنى ديننا دائما ثابتا لا ينسخ كما نسخت الشرائع التي قبله فيكون مصدر وصف الدين به ولا وجه للجمع ههنا ولا لاصفة لقله مجيئ هذا البناء في الصفة الا ترى انه إنما جاء في قولهم قوم عدى ومكان سوى وفعل في المصادر كالشعب والرضا ونحوهما اوسع في الوصف فاذا كان كذلك حمل على الاكثر

✽ المعنى ✽

لما امر تعالى فيما تقدم بدفع مال الايتام اليهم عقبه بذكر من لا يجزى الدفع اليه منهم وقال (ولا تؤتوا السفهاء) اي لا تعطوا السفهاء (اموالكم) اختلف في المعنى بالسفهاء على اقوال (احدها) انهم النساء والصبيان عن ابن عباس وسعيد بن جبیر والحسن والضحاك وابي مالك وقتادة ورواه ابو الجارود عن ابي جعفر (ع) قال ابن عباس اذا علم الرجل ان امرأته سفیهة مفسدة للمال وعلم ان والده سفیهة يفسد المال لم ينبغي له ان يسلمها على ماله (وثانيها) ان المراد به النساء خاصة عن مجاهد وابن عمر وروي عن انس بن مالك قال جاءت امرأة سرداء جرية المنطق ذات ملح الى رسول الله فقالت يا ابي انت وامي يا رسول الله قل فينا خيرا مرة واحدة فإنه بلغني انك تقول فينا كل شر قال اي شيء قلت لكن قالت سميتنا السفهاء قال الله سماكن السفهاء في كتابه

قالت وسميتنا النواقص فقال وكفى نقصانا ان تدعن من كل شهر خمسة ايام لا تصلين فيها ثم قال أما يكفي احد اكن انها اذا حملت كان لها كاجر المرابط في سبيل الله فإذا وضعت كانت كالمتشحط بدمه في سبيل الله فإذا ارضعت كان لها بكل جرعة كمتق رقبة من ولد اسماعيل فاذا سهرت كان لها بكل سهرة تسهرها كعتق رقبة من ولد اسماعيل وذلك للمؤمنات الخاشعات الصابرات اللاتي لا يكفرن العشيرة (لا يكفرن العشير نسخة) قال قالت السوداء ياله فضلالولا ما يتبعه من الشرط (وثالثها) انها عام في كل سفية من صبي أو مجنون أو مجبور عليه للتبذير وقريب منه ماروي عن ابي عبد الله (ع) انه قال ان السفية شارب الخمر ومن جرى مجراه وهذا القول أولى لعمومه وقوله (التي جعل الله لكم قياماً) أي اموالكم التي جعلها الله قواماً لمعاشكم ومعادكم تقيمكم فتقومون بها قياماً وقيل معناه ما تعطي ولدك السفية من مالك الذي جعله الله قواماً لعيشك فيفسده عليك وتضطر اليه فيصير ربا عليك ينفق مالك عليك (وارزقوهم فيها واكسوهم) اختلف في معناه فقيل يريد لا تؤتوهم اموالكم التي تملكونها ولكن ارزقوهم منها ان كانوا ممن يلزمكم نفقته واكسوهم الآية عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وقيل يريد لا تعط امرأتك وولدك مالك فيكونوا هم الذين ينفقون عليك واطعمهم من مالك واكسهم عن السدي وابي زيد وهذا امر باحراز المال وسياسته كقوله ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وبلغت اليه قول النبي (ص) نعم المال الصالح للرجل الصالح وقد عني بقوله اموالكم اموالهم كما قال ولا تقتلوا انفسكم أي لا تؤتوا اليتامى اموالهم وارزقوهم منها واكسوهم عن سعيد بن جبير والاولى حمل الآية على العموم فلا يجوز ان تعطي المال السفية الذي يفسده ولا اليتيم الذي لا يبلغ ولا الذي بلغ ولم يؤنس منه الرشد وإنما تكون اضافة مال اليتيم إلى من له القيام بأمره ضرباً من المجاز أو يكون التقدير لا تؤتوا السفهاء اموالكم التي بعضها لكم وبعضها لهم فيضيعوها وقدروي أنه سئل الصادق (ع) عن هذا فقيل كيف يكون اموالهم اموالنا فقال إذا كنت أنت الوارث له (وقولوا لهم قولاً معروفاً) أي تطفوا لهم في القول ولا تخاشنهم وقولوا لهم ما ينبههم على الرشد والصلاح في امور المعاش والمعاد حتى إذا بلغوا كانوا على بصيرة من ذلك وفي هذه الآية دلالة على جواز الحجر على اليتيم إذا بلغ ولم يؤنس منه الرشد لأن الله منع من دفع المال إلى السفهاء وفيها أيضاً دلالة على وجوب الوصية إذا كانت الورثة سفهاء لأن ترك الوصية والحال هذه بمنزلة اعطاء المال اهل السفه وإنما سمي الناقص العقل سفياً لأن السفه خفة الخلق ولذلك سمي الفاسق أيضاً سفياً لأنه لا وزن له عند اهل الدين

قوله تعالى (٦) وَأَبْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (آية)

اللغة

الإبصار الإبصار من قوله آنس من جانب الطور نارا اخذ من إنسان العين وهو حدقتها التي تبصر بها وانست به انسا الفته وفي قراءة عبد الله احستم أي احسستم بمعنى وجدتم فحذف إحدى السينين نحو قوله فظلمت تفكهيون وأصل الإسراف تجاوز الحد المباح إلى ما لم يبيح وربما كان ذلك في الإفراط وربما كان في التقصير غيرانه إذا كان في الإفراط يقال منه اسرف يسرف إسرافاً وإذا كان في التقصير يقال يسرف بسرف سرفاً ويقال مررت بكم فسرفنكم يراد به سهوت عنكم واخطأتكم قال الشاعر

اعطوا هنيئة تحذوها ثمانية ما في عطائهم من ولاسرف

يريد انهم بصيرون مواضع الاعطاء فلا يخطؤونها والبدار المبادرة واصل ذلك الامتلاء ومنه البدر القمر لامتلائه نوراً والبدره لامتلائها بالمال واليدير لامتلائه بالطعام وعين حدره بدره مكنتزة والحسب الكافي من قولهم احسبني الشيء اذا كفاني والحسب من الرجال المرتفع النسب وقيل الحسب بمعنى المحاسب

* الاعراب *

اسرافاً مصدر وضع موضع الحال وكذلك قوله بداراً وموضع ان يكبروا نصب بالمبادرة اي لا تأكلوا مسرفين ومبادرين كبرهم وقوله بالمعروف الجار والمجرور في موضع نصب على الحال وكفى بالله الباء مزبدة والجار والمجرور هنا في موضع رفع بأنه فاعل كفى وحسباً منصوب على الحال او التمييز والتقدير كفى الله في حال الحساب

* المعنى *

لما امر الله يايتام الأيتام أموالهم ومنع من دفع المال إلى السفهاء بيننا الحد الفاصل بين ما يحل من ذلك للولي وما لا يحل فقال (وابتلوا اليتامى) هذا خطاب لاولياء اليتامى امرهم الله ان يختبروا عقول اليتامى في افهامهم وصلاحهم في اديانهم واصلاحهم في أموالهم وهو قول قتادة والحسن والسدي ومجاهد وابن عباس (حتى اذا بلغوا النكاح) معناه حتى يبلغوا الحد الذي يقدرون معه على الواقعة وينزلون وليس المراد بالبلوغ الاحتلام لأن في الناس من لا يحتلم أو يتأخر احتلامه وهو قول اكثر المفسرين فمنهم من قال اذا كمل عقله وأونس منه الرشد سلم اليه ماله وهو الاولى ومنهم من قال لا يسلم اليه ماله وإن كان عاقلاً حتى يبلغ خمس عشرة سنة قال اصحابنا حد البلوغ اما كمال خمس عشرة سنة او بلوغ النكاح او الانابت وقوله (فإن أنتم منهم رشتدا) معناه فإن وجدتم منهم رشتدا او عرفتموه واختلف في معنى قوله رشتدا فقيل عقلاً وديناً وصلاحاً عن قتادة والسدي وقيل صلاحاً في الدين وصلاحاً في المال عن الحسن وابن عباس وقيل عقلاً عن مجاهد والشعبي قال لا بدفع إلى اليتيم ماله وان اخذ بليغته وإن كان شيخاً حتى يؤنس منه رشد العقل والأقوى ان يحمل على ان المراد به العقل وصلاح المال على ما قاله ابن عباس والحسن وهو المروي عن الباقر للاجماع على ان من يكون كذلك لا يجوز عليه الحجر في ماله وإن كان فاجراً في دينه فكذلك اذا بلغ وهو بهذه الصفة وجب تسليم ماله اليه وفيه ايضاً دلالة على جواز الحجر على العاقل إذا كان مفسداً لما له من حيث انه إذا جاز ان يمنع المال عند البلوغ إذا كان مفسداً له فكذلك يجوز الحجر عليه إذا كان مفسداً له بعد البلوغ وهو المشهور في اخبارنا وقوله (فادفعوا اليهم أموالهم) خطاب لاولياء اليتيم وهو تعليق لجواز الدفع بالشرطين البلوغ وإيناس الرشد فلا يجوز الدفع قبلها (ولا تأكلوا اسرافاً) اي بغير ما اباحه الله لكم وقيل معناه لا تأكلوا من مال اليتيم فوق ما تحتاجون اليه فإن لولي اليتيم ان يتناول من ماله قدر القوت إذا كان محتاجاً على وجه الاجرة على عمله في مال اليتيم وقيل ان كل شيء أكل من مال اليتيم فهو الأكل على وجه الاسراف والاول اليق بمذهبنا فقد روى محمد بن مسلم عن احدهما قال سألته عن رجل ايده ماشية لابن اخ له يتيم في حجره يخلط امرها بأمر ماشيته قال إن كان يلبط حياضها ويقوم على مهنتها ويرد ناذتها فليشرب من البانها غير منهك للحلبات ولا مضر بالولد وقوله (وبدارا ان يكبروا) اي ومبادرة لكبرهم معناه لا تبادروا بأكل مالهم كبرهم ورشدهم حذراً ان يبلغوا فيلزمكم تسليم المال اليهم (ومن كان غنياً فليستغف) اي من كان غنياً من الاولياء فليستغف بماله عن أكل مال اليتيم ولا يأخذ لنفسه منه لا قليلاً ولا كثيراً يقال استغف عن الشيء وعف عنه إذا امتنع منه وتركه (ومن كان فقيراً فليأكل كل بالمعروف) ومعناه من كان فقيراً فليأخذ من مال اليتيم قدر الحاجة والكفاية على جهة القرض ثم يرد عليه ما اخذ منه اذا وجد عن سعيد بن جبير ومجاهد وابي العالية والزهري وعبيدة السلماني وهو مروي عن الباقر (ع) وقيل معناه يأخذ قدر ما يسد به جوعته ويستتر عورته لا على جهة القرض عن عطاء بن رباح وقاتدة

وجماعة ولم يوجبوا الجرة المثل لأن أجره المثل ربما كانت أكثر من قدر الحاجة والظاهر في روايات اصحابنا ان له اجرة المثل سواء كان قدر كفايته او لم يكن وسئل ابن عباس عن ولي يتيم له ابل هل له ان يصيب من البانها فقال إن كنت تلوط حوضها وتهنأ جرباها اصبحت من رسلها غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب والرسل اللبن والنهك المبالغة في الحلب (فلوذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم) وهذا خطاب ايضا لاولياء اليتيم اي إذا دفعتم إلى اليتامى اموالهم بعد البلوغ فاحتاطوا لا تسكم بالاشهاد عليهم كي لا يقع منهم جحود وتكونوا ابعد من التهمة فانظر إلى حسن نظر الله لليتامى وللأوصياء وكال لطفه بهم ورحمته لهم وانعامه عليهم وكذلك نظره ولطفه بجميع عباده في امور معاشهم ومعادهم (وكفى بالله حسيبا) أي شاهدا على دفع المال اليهم وكفى بعلمه وثيقه وقيل محاسبا فاحذروا محاسبته في الآخرة كما تحذرون محاسبة اليتيم بعد البلوغ

قوله تعالى (٧) لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (آية)

✽ اللغة ✽

الفرق بين الفرض والوجوب ان الفرض يقتضي فرضاً وليس كذلك الوجوب لأنه قد يجب الشيء في نفسه من غير ايجاب موجب ولذلك صح وجوب الثواب والعوض عليه تعالى ولم يجز ان يقال لذلك فرض ومفروض واصل الفرض الثبوت فالفرض الحز في سبة القوس حيث يثبت الوتر والفرض ما أثبتته على تسك من هبة او صلة والفرض ما عطيت من غير فرض لثبوت تملكه وأصل الوجوب الوقوع يقال وجب الحائط وجوبا إذا وقع وسمعت وجبة اي وقعة كالهبة ووجب الحق وجوبا إذا وقع سببه ووجب القلب وجبياً إذا خفق من فزع وقعة

✽ الإعراب ✽

نصيباً مفروضاً نصب على الحال لأن المعنى فرض للرجال نصيب ثم قال نصيباً مفروضاً حالاً موكداً وقيل هو اسم في موضع المصدر كقولك قسماً واجباً وفرضاً لازماً ولو كان اسماً لاشابته للمصدرية فيه لم يجز نحو قولك عندي حق درهما ويجوز لك عندي درهم هبة مقبوضة

✽ النزول ✽

قيل كانت العرب في الجاهلية يورثون الذكور دون الإناث فنزلت الآية رداً لقولهم عن قتادة وابن جريج وابن زيد وقيل كانوا لا يورثون إلا من طاعن بالرماح وذاد عن الحریم والمالك فقال تعالى مبیناً حکم اموال الناس بعد موتهم بعد ان بین حکمها في حال حياتهم

✽ المعنى ✽

(للرجال نصيب) أي حظ وسهم (مما ترك الوالدان والأقربون) أي من تركته الوالدان والأقربون (ولللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) أي وللنساء من قرابة الميت حصه وسهم من تركته (مما قل منه او أكثر) أي من قليل التركة وكثيرها (نصيباً مفروضاً) أي حظاً فرض الله تسليمه إلى مستوجبه ومستحقه لا محالة وهذه الآية تدل على بطلان القول بالعصبة لأن الله تعالى فرض الميراث للرجال وللنساء فلو جاز منع النساء من الميراث في موضع لجاز ان ييري الرجال مجراهن في المنع من الميراث وتدل ايضا على ان ذوي الارحام يرثون لأنهم من جملة النساء والرجال الذين مات عنهم الأقربون على ما ذهبنا اليه وهو مذهب ابي حنيفة ايضا ويدخل في عموم اللفظ ايضا الانبياء وغير الانبياء فدل على ان الانبياء يورثون كغيرهم على ما ذهب اليه الفرقة المحقة

قوله تعالى (٨) وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (آية)

﴿ المعنى ﴾

لما بين سبحانه فيما تقدم حال من يرث بين هنا حال من لا يرث واختلف الناس في هذه الآية على قولين ﴿احدهما﴾ انها محكمة غير منسوخة عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وابراهيم ومجاهد والشعبي والزهري والسدي وهو المروي عن الباقر واختاره البلخي والجبائي والزجاج واكثر المفسرين والفقهاء والاخر انها منسوخة بآية الموارث عن سعيد بن المسيب وابي مالك والضحاك واختلف من قال انها محكمة على قولين ﴿احدهما﴾ ان الامر فيها على الوجوب وال لزوم عن مجاهد وقال هو ما طاب به نفس الورثة وقال الآخرون ان الامر فيها على الندب وقوله (واذا حضر القسمة) معناه اذا شهد قسمة الميراث (اولو القربى) اي فقراء قرابة الميت (واليتامى والمساكين) اي وبناماهم ومساكينهم يرجون ان تعودوا عليهم (فارزقوهم) منه اي اعطوهم من التركة قبل القسمة شيئا واختلف في المخاطبين بقوله فارزقوهم على قولين ﴿احدهما﴾ ان المخاطب بذلك الورثة امروا بان يرزقوا المذكورين اذا كانوا لاسهم لهم في الميراث عن ابن عباس وابن الزبير والحسن وسعيد بن جبير واكثر المفسرين والاخر ان المخاطب بذلك من حضرته الوفاة واراد الوصية فقد امر بان يوصي لمن لا يرثه من المذكورين بشي من ماله عن ابن عباس وسعيد بن المسيب واختاره الطبري (وقولوا لهم قولا معروفا) اي حسنا غير خشن واختلف فيه ايضا فقال سعيد بن جبير امر الله الولي ان يقول للذي لا يرث من المذكورين قولا معروفا اذا كانت الورثة صغارا يقول ان هذا ليتامى صغار وليس لكم فيه حق ولسنا نملك ان نعطيكم منه وقيل المأمور بذلك الرجل الذي يوصي في ماله والقول المعروف ان يدعو لهم بالرزق والغنى وما أشبه ذلك وقيل الآية في الوصية على ان يوصوا للقرابة ويقولوا لغيرهم قولا معروفا عن ابن عباس وسعيد بن المسيب وقد دلت الآية على ان الإنسان قد يرزق غيره على معنى التمليك فهو حجة على المجبرة

قوله تعالى (٩) وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ نَرَوْهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (١٠) إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم يصلون بضم الياء والباقون بفتحها

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي حجة من فتح الياء قوله اصلوها فاصبروا وجهتم يصلونها والا من هو صال الجحيم وحجة من ضم الياء انه من اصلاه الله النار كقوله فسوف نصليه نارا

﴿ اللغة ﴾

ضعاف جمع ضعيف وضعيفة والسديد السليم من خلل الفساد واصله من سد الخلل تقول سدده اسده سدا والسداد الصواب وفيهم سداد من عوز بالكسر وسدد السهم اذا قومه والسد الردم وصلى الرجل النار يصلها صلى وصلاه وصليا اي لزمها واصلاه الله اصلاه وهو صال النار من قوم صلى وصالين ويقال صلى الامر اذا قاسى

حره وشدته قال العجاج (وصاليات للصلي صلي) وقال الفرزدق

وقاتل كلب الحمي عن نار اهله
ليربض فيها والصللا منكنف

وشاة مصلية اي مشوية وسعبر بمعنى مسعورة مثل كف خضيب والسعر اشتعال النار واستعرت النار في
الخطب ومنه سعر السوق لاستعارها به في النفاق

✽ الاعراب ✽

ظلما نصبه على المصدر لأن معنى قوله يا كلون اموال اليتامى بظلمونهم ويجوز ان يكون في موضع الحال
كقولهم جاءني فلان ركضاً أي بر كض

✽ المعنى ✽

لما أمر الله تعالى بالقول المعروف ونهاهم عن خلافه أمر بالأقوال السديدة والأفعال الحميدة فقال (وليخش
الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً) فيه أقوال ✽ احدها ✽ انه كان الرجل إذا حضرته الوفاة قعد عنده
اصحاب رسول الله (ص) فقالوا انظر لنفسك فإن ولدك لا يغنون عنك من الله شيئاً فيقدم جل ماله فقال ليخش
الذين تركوا من بعدهم أولاداً صغاراً (خافوا عليهم) الفقر وهذا نهي عن الوصية بما يجحف بالورثة وأمر لمن
حضر الميت عند الوصية ان يأمره بأن يبقي لورثته ولا يزيد وصيته على الثلث كما ان هذا القائل لو كان هو
الموصي لأحب ان يمته من حضره على حفظ ماله لورثته ولا يدعهم عائلة أي كما تحبون ورثتكم فأخبوا ورثة
غيركم وهذا معنى قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقتادة ومجاهد والضحاك (و) وثانيها (ص) ان الأمر
في الآية لولي مال اليتيم يأمره بآداء الأمانة فيه والقيام بحفظه كما لو خاف على مخلفه إذا كانوا ضعافاً وأحب ان
يفعل بهم عن ابن عباس أيضاً فيكون معناه من كان في حجره يتيم فليعمل به ما يجب ان يفعل بذريته من بعده
وإلى هذا المعنى يؤول ما روي عن موسى بن جعفر قال ان الله اوعده في مال اليتيم عقوبتين ثنتين اما احدهما
فمقوبة الدنيا قوله وليخش الذين لو تركوا الآية قال يعني بذلك ليخش ان اخلقه في ذريته كما صنع بهؤلاء اليتامى
وثالثها انها وردت في حرمان ذوي القربى ان يوصى لهم بأن يقول الحاضر لا توص لأقاربك ووفر على ورثتك
وقوله خافوا عليهم معناه خافوا من جفاء بلحقهم او ظلم بصيبيهم أو غضاضة اوضة (فليتقوا الله) أي فليتق كل واحد
من هؤلاء في يتامى غيره ان يجفوم ويطلمهم وليعالمهم بما يحب ان يعامل به يتاماه بعد موته وقيل فليتقوا الله في
الأضرار بالموثمين (وليقولوا قولاً سديداً) أي مصيباً عدلاً موافقاً للشرع والحق وقيل انه يريد قولاً لا خلل
فيه وقيل معناه فليخطبوا اليتامى بخطاب حسن وقول جميل وفي معنى الآية ما روي عن النبي (ص) انه قال
من سره ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فليأت منيته وهو يشهد ان لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله ويحب
أن يأتي إلى الناس ما يحب ان يؤتي اليه ونهى رسول الله ان يوصى بأكثر من الثلث وقال والثلث كثير
وقال لسعد لأن تدع ورثتك اغنياء أحب إلي من ان تدعهم عائلة ينكفون الناس ثم اوعده الله اكلي مال اليتيم
نار جهنم وقال (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً) اي ينتفعون بأموال اليتامى ويأخذونها ظلماً بغير حق ولم يرد
به قصر الحكم على الأكل الذي هو عبارة عن المضغ والابتلاع وفائدة تخصيص الأكل بالذكر انه معظم منافع
المال المقصودة فذكره الله تنبيهاً على ما في معناه من وجوه الانتفاع وكذلك معنى قوله ولاتأكلوا أموالكم ينيكم
بالباطل ولاتأكلوا الربى وإنما علق الوعيد بكونه ظلماً لأنه قد يأكله الإنسان على وجه الاستحقاق بأن يأخذ
منه اجرة المثل أو يأكل منه بالمعروف أو يأخذه قرضاً على نفسه على ما تقدم القول في ذلك فلا يكون ظلماً فإن
قيل إذا اخذه قرضاً أو اجرة المثل فإنما أكل مال نفسه ولم يأكل مال اليتيم فجوابه لا بل يكون آكل مال
اليتيم لكن لا على وجه يكون ظلماً بأن الزم عوضه على نفسه او استحققه بالعمل ولو سلمنا ذلك لجاز ان يكون

إنما ذكر كونه ظلماً لضرب من التأكيد والبيان لأن أكل مال اليتيم لا يكون إلا ظلماً وسئل الرضا كم ادنى ما يدخل به آكل مال اليتيم تحت الوعيد في هذه الآية فقال قليله وكثيره واحد إذا كان من نيته ان لا يبرده اليهم وقوله (إنما يأكلون في بطونهم ناراً) قيل فيه وجهان ﴿أحدهما﴾ ان النار ستلتهب من أفواههم واسماعهم وأنفهم يوم القيامة ليعلم اهل الموقف انهم أكلة أموال اليتامى عن السدي وروي عن الباقر انه قال قال رسول الله (ص) يبعث ناس من قبورهم يوم القيامة تأجج أفواههم ناراً فقليل له يا رسول الله من هؤلاء فقراً هذه الآية ﴿والآخر﴾ أنه ذكر ذلك على وجه المثل من حيث ان من فعل ذلك بصير إلى جهنم فتمتلى بالنار اجوافهم عقاباً على اكلهم مال اليتيم كما قال الشاعر

وان الذي اصبحتم تحلبونه دم غير ان اللون ليس بأحمر

يصف اقواما اخذوا الابل في الدبة يقول انما تحلبون دم القليل منها لا الالبان (وسيلون سعيراً) اي سيلزومون النار المسعرة للاحراق وإنما ذكر البطون تأكيدياً كما يقال نظرت بعيني وقلت بلساني واخذت بيدي ومشيت برجلي وروى الحلبي عن الصادق (ع) قال ان في كتاب علي بن ابي طالب ان من اكل مال اليتيم ظلماً سيذكره وبال ذلك في عقبه من بعده وياحقه وبال ذلك في الآخرة أما في الدنيا فإن الله يقول وليخش الذين لو تركوا الآية وأما في الآخرة فإن الله يقول ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً الآية

قوله تعالى (١١) يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الاثنتين فإن كن نساءً فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدةً فلها النصف ولأبويه لكل واحدٍ منها السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين أبواؤكم وأبناؤكم لا تدرؤن أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيماً (آية)

﴿ القراءه ﴾

قرأ أهل المدينة وإن كانت واحدة بالرفع والباقون بالنصب وقرأ حمزة والكسائي فلأمه وفي امها ونحوه بكسر الهمزة والميم وحمزة بطون امهاتكم وبيوت امهاتكم بكسرهما والكسائي بكسر الهمزة وفتح الميم والباقون بضم الهمزة في الجميع وقرأ ابن عامر وابن كثير وابو بكر عن عاصم يوصى بفتح الصاد في الموضوعين وقرأ حفص الأولى بكسر الصاد والثانية بالفتح والباقون بكسرهما

﴿ الحجة ﴾

الاختيار في واحدة النصب لأن التي قبلها لها خبر منصوب وهو قوله فإن كن نساء أي وان كانت الورثة واحدة ووجه الرفع ان وقعت واحدة او جدت واحدة اي ان حدث حكم واحدة لأن المراد حكمها لا ذاتها ووجه قراءة حمزة والكسائي فلأمه بكسر الهمزة ان الهمزة حرف مستنقل بدلالة تخفيفهم لها فأتبعوها ما قبلها من الكسرة والياء ليكون العمل فيها من وجه واحد ويقوي ذلك انها تقارب الهاء وقد فعلوا ذلك بالهاء في نحو عليه وبه ومن قرأ يوصي فلأن ذكر الميت قد تقدم في قوله فإن كان له إخوة فلأمه السدس ومن قرأ يوصى فإنما يحسنه انه ليس بميت معين وإنما هو شائع في الجميع فهو في المعنى يؤول إلى يوصي

﴿ الإعراب ﴾

للكر مثل حظ الاثنتين جملة من مبتدأ وخبر تفسير لقوله يوصيكم الله وإنما لم يقل للذكر مثل حظ الاثنتين

بنصب لام مثل فيعدي قوله يوصيكم اليه لأنه في تقريب القول في حكاية الجملة بعده فكأنه قال قال الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين وقوله الثلث والسدس والربع ونحوها يجوز فيها التخفيف لثقل الضم فيقال ثلث وسدس وربع وثمان قال الزجاج ومن زعم ان الاصل التخفيف فيها فنقل فخطأ لأن الكلام موضوع على الإيجاز لاعلى التثقيل وإنما قيل للأب والأم ابوان تغليبا للفظ الأب ولا يلزم ان يقال في ابن وابنة ابنان لأنه يوم فإنت لم يوم جاز ذلك ذكره الزجاج وفريضة منصوب على التأكيد والحال من قوله لأبويه ولؤلؤاء الورثة ما ذكرنا مفروضا وفريضة مؤكدة لقوله يوصيكم الله ويجوز ان يكون نصبا على المصدر من يوصيكم الله لأن معناه يفرض عليكم فريضة

✽ النزول ✽

روى محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله انه قال مرضت فعادني رسول الله وابو بكر وهما يمسيان فاغمي علي فدعا بقاء فتوضأ ثم صبه علي فافقت فقلت يا رسول الله كيف اصنع في مالي فسكت رسول الله فنزلت آية المواريث في وقيل نزلت في عبد الرحمن اخي حسان الشاعر وذلك انه مات وترك امرأة وخمسة اخوان فجاءت الورثة فاخذوا ماله ولم يعطوا امرأته شيئا فشكت ذلك إلى رسول الله فأنزل الله آية المواريث عن السدي وقيل كانت المواريث للأولاد وكانت الوصية للوالدين والاقربين فنسخ الله ذلك وانزل آية المواريث فقال رسول الله ان الله لم يرص بملك مقرب ولا نبي مرسل حتى تولى قسم التركات واعطى كل ذي حق حقه عن ابن عباس

✽ المعنى ✽

ثم بين تعالى ما اجمله فيما قبل من قوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون الآية بما فصله في هذه الآية فقال (يوصيكم الله) أي يأمركم ويفرض عليكم لأن الوصية منه تعالى أمر وفرض يسدل على ذلك قوله ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به وهذا من الفرض المحكم علينا (في اولادكم) أي في ميراث اولادكم أو في توريث اولادكم وقيل في أمور اولادكم إذا متم ثم بين ما أوصى به فقال (للذكر مثل حظ الانثيين) أي للابن من الميراث مثل نصيب البنين ثم ذكر نصيب الإناث من الأولاد فقال (فإن كن نساء فوق اثنتين) أي فإن كانت المتروكات أو الأولاد نساء فوق اثنتين (فلهن ثلثا ما ترك) من الميراث ظاهر هذا الكلام يقتضي ان البنيتين لا يستحقان الثلثين لكن الأمة اجمعت على ان حكم البنيتين حكم من زاد عليهما من البنات وذكر في الظاهر وجوه (احدها) ان في الآية بيان حكم البنيتين فما فوقها لأن معناه فإن كن اثنتين فما فوقها فلهن ثلثا ما ترك إلا انه قدم ذكر الفوق على الانثيين كما روي عن النبي (ص) انه قال لا تسافر المرأة سفرا فوق ثلاثة أيام إلا ومعها زوجها أو ذو محرم لها ومعناه لا تسافر سفرا ثلاثة ايام فما فوقها (وثانيها) ما قاله ابو العباس المبرد ان في الآية دليلا على ان للبنيتين الثلثين ثم اعلم الله بأن ما فوق البنيتين لهن الثلثان (وثالثها) ان البنيتين اعطيتا الثلثين بدليل لا يفرض لهما مسمى والدليل قوله تعالى ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم في الكلاله ان امرءة هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك فقد صار للأخت النصف كما ان للبنات النصف فإن كانتا اثنتين فلها الثلثان واعطيت الابنتان الثلثين كما اعطيت الاختان الثلثين واعطيت جملة الاخوات الثلثين كما اعطيت البنات الثلثين وبسدل عليه ايضا الإجماع على ان حكم البنيتين حكم البنات في استحقاق الثلثين إلا ماروي عن ابن عباس ان للبنيتين النصف وان الثلثين فرض الثلث من البنات وحكى النظام في كتاب التكت عن ابن عباس انه قال للبنيتين نصف وقيراط لأن للواحدة النصف وللثلاث الثلثين لأنه إذا قال للذكر مثل حظ الانثيين وكان اول العدد ذكرا وانثى وللذكر الثلثان وللأنثى الثلث علم من ذلك ان للبنيتين الثلثين فينبغي ان يكون للبنيتين ما بينهما (وان كانت واحدة) اي وان كانت المولودة او المتروكة واحدة (فلها النصف) أي نصف ما ترك

الميت ثم ذكر ميراث الوالدين فقال (ولأبويه) يعني بالأبوين الأب والأم والهاء الذي اضيف اليه الأبو ان كتابة عن غير مذكور تقديره ولأبوي الميت (لكل واحد منها السدس مما ترك ان كان له ولد) فللأب السدس مع الولد وكذلك الأم لها السدس معه ذكراً كان او انثى واحداً كان او اكثر ثم ان كان الولد ذكراً كان الباقي له وان كانوا ذكوراً فالباقي لهم بالسوية وان كانوا ذكوراً واناثاً فللذكر مثل حظ الانثيين وان كانت بنتاً فلها النصف بالتسمية ولأحد الأبوين السدس او لها السدسان والباقي عند أئمتنا يرد على البنت وعلى احد الأبوين أو عليها على قدر سهامهم بدلالة قوله وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله وقد ثبت أن قرابة الوالدين وقرابة الولد متساوية لأن الولد يتقرب إلى الميت بنفسه كما ان الوالدين يتقربان اليه بأقربها وولد الولد يقوم مقام الولد الصلب مع الوالدين كل منهم يقوم مقام من يتقرب به وفي هذه المسائل خلاف بين الفقهاء (فإن لم يكن له) يعني للميت (ولد) أي ابن ولا بنت ولا اولادهما لأن اسم الولد يعم الجميع (وورثه أبواه فلأمه الثلث) وظاهر هذا يدل على ان الباقي للأب وفيه إجماع فإن كان في الفريضة زوج فإن له النصف وللأم الثلث والباقي للأب وهو مذهب ابن عباس وأئمتنا ومن قال في هذه المسألة ان للأم ثلث ما يبقى فقد ترك الظاهر وكذلك ان كان بدل الزوج الزوجة فلها الربع وللأم الثلث والباقي للأب وقوله (فإن كان له اخوة فلأمه السدس) قال اصحابنا انما يكون لها السدس إذا كان هناك اب وبديل عليه ما تقدمه من قوله وورثه أبواه فإن هذه الجملة معطوفة على قوله فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث وتقديره فإن كان له اخوة وورثه أبواه فلأمه السدس وقال بعض اصحابنا ان لها السدس مع وجود الاخوة وان لم يكن هناك اب وبه قال جميع الفقهاء وتفقوا على ان الاخوين يجزيان الأم من الثلث إلى السدس وقد روي عن ابن عباس انه قال لا تجب الأم عن الثلث إلى السدس بأقل من ثلاثين من الاخوة والاخوات كما تقتضيه ظاهر الآية واصحابنا يقولون لا تجب الأم عن الثلث إلى السدس إلا بالاخوين أو أخ واختين أو أربع اخوات من قبل الأب والأم او من قبل الأب خاصة دون الأم وفي ذلك خلاف بين الفقهاء قالوا والعرب تسمي الاثنين بلفظ الجمع في كثير من كلامهم حكى سييويه انهم يقولون وضعا رحالهما يريدون رحلي رحلتيهما وقال تعالى وكنا لحكمهم شاهدين يعني حكم داود وسليمان وقال قتادة إنما تجب الاخوة الام مع انهم لا يرثون من المال شيئاً معونة للأب لأن الأب يقوم بنفقتهم ونكاحهم دون الأم وهذا يدل على انه ذهب إلى ان الاخوة للأم لا يجزبون على ما ذهب اليه اصحابنا لأن الأب لا يلزمه نفقتهم بلا خلاف (من بعد وصية يوصي بها أو دين) أي تقسم التركة على ما ذكرنا بعد قضاء الديون وقرار الوصية ولا خلاف في ان الدين مقدم على الوصية والميراث وان احاط بالمال فأما الوصية فقد قيل انها مقدمة على الميراث وقيل بل الموصى له شريك الوارث له الثلث ولم الثلثان وقد روي عن امير المؤمنين (ع) انه قال انكم تقرأون في هذه الآية الوصية قبل الدين وان رسول الله (ص) قضى بالدين قبل الوصية والوجه في تقديم الدين على الوصية في الآية ان لفظ او إنما هو لأحد الشئيين أو الاشياء ولا توجب الترتيب فكأنه قال من بعد احد هذين مفرداً أو مضموماً إلى الآخر وهذا كقولهم جالس الحسن او ابن سيرين أي جالس احدهما مفرداً أو مضموماً إلى الآخر (أباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم اقرب لكم قرعاً) ذكر فيه وجوه (احدها) ان معناه لا تدرون أي هؤلاء أنفع لكم في الدنيا فتعطونه من الميراث ما يستحق ولكن الله قد فرض الفرائض على ما هو عنده حكمة عن مجاهد (وثانيها) ان معناه لا تدرون بأيهم اتم اسعد في الدنيا والدين والله يعلمه فاتسموه على ما بينه من المصلحة فيه عن الحسن (وثالثها) ان معناه لا تدرون ان تعكم بترية آباءكم لكم اكثر أم نفع آباءكم بخدمة إياهم وانفاقكم عليهم عند كبرهم عن الجبائي (ورابعها) ان المعنى اطوعكم الله عزوجل من الآباء والأبناء أرفعكم درجة يوم القيامة لأن الله يشفع المؤمنين بعضهم في بعض فإن كان الوالد ارفع درجة في الجنة من ولده رفع الله اليه ولده في درجته لتقر بذلك

عينه وان كان الولد ارفع درجة من والديه رفع الله والديه إلى درجته لتقرر بذلك اعينهم عن ابن عباس (وخامسها) ان المراد لا تدرون اي الوارثين والموروثين اسرع موتا فيرثه صاحبه فلا تتمنوا موت الموروث ولا تستعجلوه عن ابي مسلم (فريضة من الله) أي فرض الله ذلك فريضة او كما ذكرناه في الاعراب (ان الله كان عليا حكيما) اي لم يزل عليا بمصالحكم حكيما فيما يحكم به عليكم من هذه الأموال وغيرها قال الزجاج في كان هنا ثلاثة أقوال قال سيبويه كان القوم شاهدوا علما وحكمة ومغفرة وتفضلا فقبل لهم ان الله كان كذلك على ما شاهدتم وقال الحسن كان عليما بالأشياء قبل خلقها حكيما فيما يقدر تدبيره منها وقال بعضهم الخبير من الله في هذه الأشياء بالمضي كالخبير بالاستقبال والحال لأن الأشياء عند الله في حال واحدة ما مضى وما يكون وما هو كائن

قوله تعالى (١٢) وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لهنَّ وَلَدٌ فَلِكُمُ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمُ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوَصِّونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانِ رَجُلٌ يُوْرَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍ وَصِيَّةٍ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (آية)

✽ القراءة ✽

روى في الشواذ قراءة الحسن يورث بكسر الراء كلاله وقراءة عيسى بن عمر التقفي يورث وقرأ الحسن أيضا غير مضار وصية مضاف

✽ الحجية ✽

كلاهما منقول من ورث فهذا من اورث وذاك من ورث وفي كلتا القراءتين المفعولان محذوفان فكأنه قال يورث وارثه ماله وقد جاء حذف المفعولين جميعا قال الكمي

بأي كتاب أم بأية سنة ترى حبهام عاراً علي وتحسب

فلم يعد تحسب وأما قوله غير مضار وصية فيعني به غير مضار من جهة الوصية أو عند الوصية كقول طرفة (بضة المتجرد) اي بضة عند تجردها وهذا كما يقال شجاع حرب وكريم مسألة أي شجاع عند الحرب وكريم عند المسألة

✽ اللغة ✽

أصل الكلاله الاحاطة ومنه الاكليل لإحاطته بالرأس ومنه الكل لإحاطته بالعدد فالكلالة تحيط بأصل النسب الذي هو الولد والوالد وقال ابو مسلم اصلها من كل اي اعى فكأن الكلاله تناول الميراث من بعد على كلال واعياء وقال الحسين بن علي المغربي اصله عندي ما تركه الإنسان وراء ظهره مأخوذاً من الأكل وهو الظهر تقول العرب ولافي فلان اكله على وزن اظله اي ولافي ظهره والعرب نخبر بهذا الاسم عن جملة النسب والوراثة قال عامر بن الطفيل

وفي السر منها والصر يريح المهذب

واني وان كنت ابن فارس عامر

فما سودتني عامر عن كلاله
وبروس عن وراثة وقال زيادة بن زيد الغدري

ولم ارث المجد التليد كلاله
وبقال رجل كلاله وقوم كلاله وامرأة كلاله لا تشني ولا تجمع لأنه مصدر

✽ الاعراب ✽

ينتصب كلاله على انه مصدر وضع موضع الحال ويكون كان التامة وبورث صفة رجل وتقديره ان وجد رجل موروث متكامل النسب والعامل في الحال بورث وذو الحال الضمير في بورث ويجوز ان ينتصب كلاله على انه خبر كان على ان يكون كان ناقصة قال الزجاج من قرأ بورث بكسر الراء فكلاله مفعول ومن قرأ بورث فكلاله منصوب على الحال غير مضار منصوب على الحال أيضاً وصية ينتصب على المصدر أي بوصيكم الله بذلك وصية

✽ المعنى ✽

ثم خاطب الله الأزواج فقال (ولكم) أيها الأزواج (نصف ما ترك ازواجكم) أي زوجاتكم (ان لم يكن لهن ولد) لا ذكر ولا أنثى ولا ولد ولد (فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن) أي من ميراثهن (من بعد وصية يوصين بها أو دين) قدم تفسيره (ولهن) أي ولزوجاتكم (الربع مما تركتم) من الميراث (ان لم يكن لكم ولد) واحدة كانت الزوجة أو اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً لم يكن لهن أكثر من ذلك (فإن كان لكم ولد) ذكر أو أنثى أو ولد ولد (فلهن الثمن مما تركتم) من الميراث واحدة كانت الزوجة أو أكثر من ذلك (من بعد وصية توصون بها) أيها الأزواج (أو دين) وقد مر في ما مضى بيان ميراث الأزواج ثم ذكر ميراث ولد الأم فقال (وان كان رجل بورث كلاله) اختلف في معنى الكلاله فقال جماعة من الصحابة والتابعين منهم ابو بكر وعمر وابن عباس في إحدى الروايتين عنه وقتادة والزهري وابن زيد هو من عدا الوالد والولد وفي الرواية الأخرى عن ابن عباس انه من عدا الوالد وقال الضحاك والسدي انه اسم للميت الذي بورث عنه والمروي عن أئمتنا ان الكلاله الاخوة والاخوات والمذكور في هذه الآية من كان من قبل الأم منهم والمذكور في آخر السورة من كان منهم من قبل الأب والأم أو من قبل الآباء (أو امرأة) هو عطف على قوله وان كان رجل معناه وان كان رجل كلاله بورث ماله أو امرأة كلاله تورث ماله على قول من قال ان الميت نفسه يسمى كلاله ومن قال انه الحي الوارث فتقديره وان كان رجل بورث في حال تكمل نسبه به أو امرأة تورث كذلك وهو قول ابن عمر واهل الكوفة وبؤيده ما روي عن جابر انه قال أتاني رسول الله وأنا مريض فقلت وكيف الميراث وإنما يرثني كلاله فنزلت آية الفرائض فالكلاله في النسب من احاط بالميت وتكلمه من الاخوة والاخوات والولد والوالد ليسا بكلاله لأنها أصل النسب الذي ينتهي إلى الميت ومن سواهما خارج عنها وإنما يشتمل عليهما بالانساب من غير جهة الولادة فعلى هذا تكون الكلاله كالأكليل يشتمل على الرأس ويحيط به وليس من اصله فإن الوالد والولد طرفان للرجل فإذا ذمات الرجل ولم يخلفهما فقد مات عن ذهاب طرفيه فسمي ذهاب طرفيه كلاله ونحو قوله (وله أخ وأخت) يعني الأخ والأخت من الأم (فلكل واحد منهما السدس) فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث جعل الذكر والأنتى هاهنا سواء ولا خلاف بين الامه ان الاخوة والاخوات من قبل الأم متساوون في الميراث (من بعد وصية يوصى بها أو دين) مرّ بيانه (غير مضار وصية من الله) منع الله من الضرار في الوصية أي غير موص وصية تضر بالورثة وقيل أراد غير مضار في الميراث كره سبحانه الضرار في الحياة وبعد المات عن قتادة وتقديره لا يضار بعض الورثة بعضاً وقيل هو ان يوصي بدين ليس عليه يريد بذلك ضرر الورثة فالضرار في الوصية راجع إلى الميراث وهو ان يضر في وصيته

(١) غريب نسخة اخرى

بماله او بعضه لأجنبي او يقر بدين لاحقيقة له دفعا للميراث عن وارثه أو يقر باستيفاء دين له في مرضه أو يبيع ماله في مرضه واستيفاء ثمنه لئلا يصل إلى وارثه وجاء في الحديث ان الضرار في الوضية من الكبائر (والله اعلم) بمصالح عباده يحكم بما توجب الحكمة في قسمة الميراث والوصايا وغيرها (حليم) لا يعاجل العصاة بالعقوبة وبين عليهم بالانتظار والمهلة وفي هاتين الآيتين دلالة على تقدير سهام اصحاب الموارث ونحن نذكر من ذلك جملة موجزة منقولة عن اهل البيت دون غيرهم فإن الاختلاف في مسائل الموارث بين الفقهاء كثير يطول بذكره الكتاب فمن أراد وجده في مظانه: اعلم ان الارث يستحق بأمرين نسب وسبب فالسبب الزوجية والولاء فالميراث بالزوجية يثبت مع كل نسب والميراث بالولاء لا يثبت إلا مع فقد كل نسب وأما النسب فعلى ضربين * أحدهما * ابو الميت ومن يتقرب به * والآخر * ولده وولد ولده وان سفل والمانع من الارث بعد وجود سبب وجوبه ثلاثة الكفر والرق وقتل الوارث من كان يرثه لولا القتل ولا يمنع الأبوين والولد والزوجة والزوجات من اصل الارث مانع ثم هم على ثلاثة اضرب (١) الاول * الولد يمنع من يتقرب به ومن يجري مجراه من ولد اخوته واخواته عن اصل الارث ويمنع من يتقرب بالأبوين ويمنع الأبوين عما زاد على السدس إلا على سبيل الرد مع البنت او البنات والأبوان يمنعان من يتقرب بها أو بأحدهما ولا يتعدى منعها إلى غير ذلك والزوجة والزوجة لا حظ لها في المنع وولد الولد وان سفل يقوم مقام الولد الأدنى عند فقده في الارث والمنع ويترتبون الأقرب فالأقرب وهذه سبيل ولد الاخوة والاخوات وان سفل عند فقد الاخوة والاخوات مع الأجداد والجدات ثم ان الميراث بالنسب يستحق على وجهين بالفرض والقربة فالفرض ما ساء الله ولا يجتمع في ذلك إلا من كانت قرابته متساوية إلى الميت مثل البنت والبنات مع الابوين أو أحدهما لأن كل واحد منهم يتقرب إلى الميت بنفسه فمضى اقردهم بالميراث اخذ المال كله بعضه بالفرض والباقي بالقربة وعند الاجتماع يأخذ كل واحد منهم ماسمي له والباقي يرد عليهم على قدر سهامهم فإن نقصت التركة عن سهامهم لمزاحمة الزوج او الزوجة لهم كان النقص داخلا على البنت أو البنات دون الابوين أو أحدهما ودون الزوج والزوجة ويصح اجتماع الكلائين معاً لتساوي قرابتهما فإذا فضل التركة عن سهامهم يرد الفاضل على كلاله الاب والام او الاب دون كلاله الام وكذلك إذا نقصت عن سهامهم لمزاحمة الزوج أو الزوجة لهم كان النقص داخلا عليهم دون كلاله الأم والزوج والزوجة لا يدخل عليهم النقصان على حال فعلي هذا إذا اجتمع كلاله الاب مع كلاله الام كان لكلاله الام للواحد السدس وللآتين فصاعدا الثلث لا ينقصون منه والباقي لكلاله الاب ولا يرث كلاله الاب مع كلاله الاب والام ذكوراً أو إناثاً فأما من يرث بالقربة دون الفرض فأقواهم الولد للصلب ثم ولد الولد يقوم مقام الولد ويأخذ نصيب من يتقرب به ذكراً كان أو انثى والبطن الاول يمنع من نزل عنه بدرجة ثم الأب يأخذ جميع المال إذا اقردهم من يتقرب به أما ولده او والده أو من يتقرب بهما من عم أو عممة فالجد اب الأب مع الاخ الذي هو ولده في درجة وكذلك الجدة مع الاخوت فهم يتقاسمون المال للذكر مثل حظ الانثيين ومن له سببان يمنع من له سبب واحد وولد الاخوة والاخوات يقومون مقام آبائهم وأمهاتهم في مقاسمة الجد والجدة كما يقوم ولد الولد مقام الولد للصلب مع الاب وكذلك الجد والجدة وان عليا يقاسمان الاخوة والأخوات واولادهم وإن نزلوا على حد واحد وأما من يرث بالقربة ممن يتقرب بالأم فهم الجد والجدة أو من يتقرب بهما من الخال والخالة فإن أولادهم يرثون بالفرض أو بالفرائض دون القرابة فالجد والجدة من قبلها يقاسمان الاخوة والأخوات من قبلها ومتى اجتمع قرابة الأب مع قرابة الأم مع استوائهم في الدرجة كان لقرابة الأم الثلث بينهم بالسوية والباقي لقرابة الأب للذكر مثل حظ الانثيين ومتى بعد إحدى القرابتين بدرجة سقطت مع التي هي أقرب سواء كان الأقرب من قبل الأب أو من قبل الأم إلا في مسألة واحدة وهو ابن عم الأب فإن المال لابن العم هذه أصول مسائل الفرائض ولنفرعها شرح طويل دونه المشائخ في كتب الفقه

قوله تعالى (١٣) تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٤) وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ آيتان

القراءة

قرأ نافع وابن عمرو ندخله بالنون في الموضعين والباقون بالياء

الحجة

من قرأ بالياء فلأن ذكر الله قد تقدم فحمل الكلام على الغيبة ومن قرأ بالنون عدل عن لفظ الغيبة إلى الاخبار عن الله بنون الكبرياء ويقوي ذلك قوله بل الله موليكم ثم قال سنلقي

اللغة

الحد الحاجز بين الشئين واصله المنع والفصل وحدود الدار تفصلها عن غيرها والفوز والفلاح نظائر

الاعراب

خالدین فيها نصب علی الحال قال الزجاج والتقدير بدخلهم مقدرين الخلود فيها والحال يستقبل بها تقول مررت برجل معه باز صائداً به غدا اي مقدر الصيد به غداً وقوله خالداً فيها منصوب على احد وجهين * احد هما * الحال من الماء في ندخله ناراً والتقدير على ما ذكرناه * والآخر * ان يكون صفة لقوله ناراً وهذا كما تقول زيد مررت بدار ساكن فيها فيكون على حذف الضمير من ساكن هو فيها لأن اسم الفاعل إذا جرى على غير من هو له لم يتضمن الضمير كما يتضمنه الفعل ولو قلت يسكن فيها يجب ابرازه فتقول زيد مررت بدار ساكن هو فيها

المعنى

لما فرض الله فرائض الموارث عقبها بذكر الوعد في الاثبات لها والوعيد على التعدي لحدودها فقال (تلك حدود الله) اي هذه التي بينت في امر الفرائض وامر اليتامى حدود الله اي الامكنة التي لا ينبغي ان تتجاوز عن الزجاج واختلف في معنى الحدود على اقوال * احدها * تلك شروط الله عن السدي * وثانيها * تلك طاعة الله عن ابن عباس * وثالثها * تلك تفصيلات الله لفرائضه وهو الأقوى فيكون المراد هذه القسمة التي قسمها الله لكم والفرائض التي فرضها الله لاجنائكم من امواتكم فصول بين طاعة الله ومعصيته فإن معنى حدود الله حدود طاعة الله وإنما اختصر لوضوح معناه للمخاطبين (ومن يطع الله ورسوله) فيما امر به من الاحكام وقيل فيما فرض له من فرائض الموارث (يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار) أي من تحت أشجارها وأبنيتها الأنهار أي ماء الأنهار حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في النوضعين (خالدین فيها) أي دائمين فيها (وذلك الفوز العظيم) اي الفلاح العظيم وصفه بالعظيم ولم يعين بالاضافة إلى ماذا والمراد انه عظيم بالاضافة إلى منفعة الحيازة في التركة من حيث كان أمر الدنيا حقيراً بالاضافة إلى أمور الآخرة وإنما خص الله الطاعة في قسمة الميراث بالوعد مع انه واجب في كل طاعة إذا فعلت لوجوبها او لوجه وجوبها ليبين عن عظم موقع هذه الطاعة بالترغيب فيها والترهيب عن تجاوزها وتعديها (ومن يعص الله ورسوله) فيما بينه من الفرائض وغيرها (ويتعد حدوده) اي في تجاوز ما حد له من الطاعات (يدخله ناراً خالداً) أي دائماً (فيها وله عذاب مهين) ساء مهيناً لأن الله يفعل على وجه الإهانة كما انه يثيب المؤمن على وجه الكرامة ومن استدلل بهذه الآية على ان

صاحب الكبيرة من اهل الصلاة مخلد في النار ومعاقب فيها لا محالة بقوله ويتعد لأن قوله ويتعد حدوده يدخله على ان المراد به من تعدى جميع حدود الله وهذه صفة الكفار ولأن صاحب الصغيرة بلا خلاف خارج عن عموم الآية وان كان فاعلا للمعصية ومتعديا حداً من حدود الله وإذا جاز اخراجه بدليل جاز لغيره ان يخرج من عمومها من يشفع له النبي أو بتفضل الله عليه بالعتو بدليل آخر وأيضاً فإن التائب لا بد من اخراجه من عموم الآية لقيام الدليل على وجوب قبول التوبة وكذلك يجب اخراج من يتفضل الله باسقاط عقابه منها لقيام الدلالة على جواز وقوع التفضل بالعتو فإن جعلوا للآية دلالة على ان الله لا يختار العفو جاز لغيرهم ان يجعلها دلالة على ان العاصي لا يختار التوبة على ان في المفسرين من حمل الآية على من تعدى حدود الله وعصاه مستحلالاً لذلك من كان كذلك لا يكون إلا كافراً

قوله تعالى (١٥) وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً (١٦) وَالذَّانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَأُذَاهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرَضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا آيَاتَانِ

✽ القراءة ✽

قرأ ابن كثير والذنان بآتيانها بتشديد النون وكذلك فذانك وهذان او هاتين وقرأ الباقون بتخفيف ذلك كله إلا أبا عمرو فإنه شدد فذانك وحدها

✽ الحجة ✽

قال ابو علي القول في تشديد نون التثنية انه عوض عن الحذف الذي لحق الكلمة الا ترى ان ذاقا وحذف لامها وقد حذف الباء من اللذان في التثنية واتفق اللذان وهذان في التعويض كما اتفقا في فتح الأوائل منهما في التحقير مع ضمها في غيرها وذلك في نحو اللذيان واللبيبا وذيا وتيا

✽ اللغة ✽

اللاتي جمع التي وكذلك اللواتي قال

زعمن اني كبرت لداتي

من اللواتي والتي واللاتي

وقد تحذف التاء من اللاتي فيقال اللاتي قال

ولكن ليقتلن البري المغفلا

من اللاتي لم يحجبن ببغين حسبة

✽ المعنى ✽

لما بين سبحانه حكم الرجال والنساء في باب النكاح والميراث بين حكم الحدود فيهن إذا ارتكبن الحرام فقال (واللاتي يأتين الفاحشة) اي يفعلن الزنا (من نسائكم) الحرائر فالمعنى اللاتي يزنين (فاستشهدوا عليهن اربعة منكم) اي من المسلمين يخاطب الحكم والأئمة ويأمرهم بطلب اربعة من الشهود في ذلك عند عدم الاقرار وقيل هو خطاب للزواج في نسائهم اي فاستشهدوا عليهن اربعة منكم وقال ابو مسلم المراد بالفاحشة في الآية هنا الزنا ان تغلو المرأة بالمرأة في الفاحشة المذكورة عنهن وهذا القول مخالف للاجماع ولما عليه المفسرون فإنهم اجمعوا على ان المراد بالفاحشة هنا الزنا (فإن شهدوا) يعني الأربعة (فأمسكوهن) أي فاحبسوهن (في البيوت حتى يتوفاهن الموت) اي بدر كهن الموت فيمتمن في البيوت وكان في مبدء الإسلام إذا فجرت المرأة وقام عليها اربعة شهود حبست في البيت أبداً حتى تموت ثم نسخ ذلك بالرجم في المحصنين والجلد في البكرين

(او يجعل الله لمن سييلا) قالوا لما نزل قوله الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة قال النبي (ص) خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لمن سييلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم وقال بعض اصحابنا ان من وجب عليه الرجم بجلد او لا ثم يرجم وبه قال الحسن وقتادة وجماعة من الفقهاء وقال اكثر اصحابنا ان ذلك يختص بالشيخ والشيخة فأما غيرهما فليس عليه غير الرجم وحكم هذه الآية منسوخ عند جمهور المفسرين وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله وقال بعضهم انه غير منسوخ لأن الحبس لم يكن مؤبدا بل كان مستندا إلى غاية فلا يكون بيان الغاية نسخا له كما لو قال افعلوا كذا إلى رأس الشهر وقد فرق بين الموضوعين فإن الحكم المعلق بمجيء رأس الشهر لا يحتاج الى بيان صاحب الشرع بخلاف ما في الآية وقوله (واللذان يأتياننا منكم) اي باتيان الفاحشة وفيه ثلاثة اقوال * احدها * انهما الرجل والمرأة عن الحسن وعطا * وثانيها * انهما البكران من الرجال والنساء عن السدي وابن زيد * وثالثها * انها الرجلان الزانيان عن مجاهد وهذا لا يصح لأنه لو كان كذلك لما كان للتثنية معنى لأن الوعد والوعيد إنما يأتي بلفظ الجمع فيكون لكل واحد منهم أو بلفظ الواحد لدلالته على الجنس فأما التثنية فلا فائدة فيها وقال ابو مسلم هما الرجلان يخلوان بالفاحشة بينهما والفاحشة في الآية الأولى عنده السحق وفي الآية الثانية اللواط فتحكم الآيتين عنده ثابت غير منسوخ وإلى هذا التأويل ذهب اهل العراق فلا حد عندهم في اللواط والسحق وهذا بعيد لأن الذي عليه جمهور المفسرين ان الفاحشة في آية الزنا وان الحكم في الآية منسوخ بالحد المفروض في سورة النور ذهب اليه الحسن ومجاهد وقتادة والسدي والضحاك وغيرهم واليه ذهب البلخي والجبائي والطبري وقال بعضهم نسخها الحدود بالرجم أو الجلد وقوله (فأذوهما) قيل في معناه قولان * احدهما * هو التعبير باللسان والضرب بالنعال عن ابن عباس * والآخر * انه التعبير والتوبيخ باللسان عن قتادة والسدي ومجاهد واختلف في الأذى والحبس في التبيين كيف كان فقال الحسن كان الأذى أولا والآية الاخيرة نزلت من قبل ثم امرت ان توضع في التلاوة من بعد فكان الاول الأذى ثم الحبس ثم الجلد او الرجم وقال السدي كان الحبس في التبيين والأذى في البكرين وقيل كان الحبس للنساء والأذى للرجال وقال الفراء ان الآية الاخيرة نسخت الآية الاولى وقوله (فإن تابا) اي رجعا عن الفاحشة (واصلحا) العمل فيما بعده (فأعرضوا عنهما) اي اصفحوا عنهما وكفوا عن أذاهما (ان الله كان توابا رحيمًا) بقبول التوبة عن عباده ويرحمهم قال الجبائي في الآية دلالة على نسخ القرآن بالسنة لأنها نسخت بالرجم او الجلد والرجم قد ثبت بالسنة ومن لم يجوز نسخ القرآن بالسنة يقول ان هذه الآية نسخت بالجلد في الزنا وأضيف الرجم اليه زيادة لا نسخا واما الأذى المذكور في الآية فغير منسوخ فإن الزاني بوذى ويعنف على فعله ويذم به لكنه لم يقتصر عليه بل زيد فيه بأن اضيف الجلد والرجم اليه

قوله تعالى (١٧) إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٨) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا آيَاتِنَا

اللغة *

اصل التوبة الرجوع وحقيقتها الندم على القبيح مع العزم على ان لا يعود إلى مثله في القبح وقيل بكفي في حدها الندم على القبيح والعزم على ان لا يعود إلى مثله. اعتدنا قيل ان اصله أعدنا فالتاء بدل من الدال وقيل هو افعلنا من العتاد وهو العدة قال عدي بن الرقاع

تأنيته اسلاب الاعزة عنوة قسرا ويجمع للحروب عتادها

يقال للفرس المعد للحرب عتيده وعتد

الاعراب

موضع الذين يموتون جر بكونه عطفًا على قوله للذين يعملون السوء وتقديره ولا الذين يموتون

المعنى

لما وصف تعالى نفسه بالتواب الرحيم بين عقبيه شرائط التوبة فقال (انما التوبة) ولفظة انما يتضمن النفي والاثبات فمعناه لا توبة مقبولة (على الله) اي عند الله الا (للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب) واختلف في معنى قوله بجهالة على وجوه * احدها * ان كل معصية يفعلها العبد جهالة وان كان على سبيل العمد لانه يدعو اليها الجهل ويزينها للعبد عن ابن عباس وعطاء ومجاهد وقتادة وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) فلو انه قال كل ذنب عمله العبد وان كان عالما فهو جاهل حين خاطر بنفسه في معصية ربه فقد حكى الله تعالى قول يوسف لاختوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ اتم جاهلون فنسبهم الى الجهل لمخاطرتهم بأقساهم في معصية الله * وثانيها * ان معنى قوله بجهالة انهم لا يعلمون كنه ما فيه من العقوبة كما يعلم الشيء ضرورة عن القراء * وثالثها * ان معناه انهم يجهلون انها ذنوب ومعاصي يفعلونها اما بتأويل يخطئون فيه واما بأن يفرطوا في الاستدلال على قبحها عن الجبائي وضعف الرماني هذا القول لانه بخلاف ما اجمع عليه المفسرون ولا انه يوجب ان لا يكون لمن علم انها ذنوب توبة لان قوله انما التوبة تفيد انها لهؤلاء دون غيرهم وقال ابو العالية وقتادة اجمعت الصحابة على ان كل ذنب اصابه العبد فهو جهالة وقال الزجاج انما قال الجهالة لانهم في اختيارهم اللذنة الثانية على اللذنة الباقية جهال فهو جهل في الاختيار ومعنى يتوبون من قريب أي يتوبون قبل الموت لان ما بين الانسان وبين الموت قريب فالتوبة مقبولة قبل اليقين بالموت وقال الحسن والضحاك وابن عمر القريب ما لم يعاين الموت وقال السدي هو ما دام في الصحة قبل المرض والموت وروي عن امير المؤمنين (ع) انه قال قيل له فان عاد وتاب مرارا قال يغفر الله له قيل الى متى قال حتى يكون الشيطان هو المحصور وفي كتاب من لا يحضره الفقيه قال قال رسول الله (ص) في آخر خطبة خطبها من تاب قبل موته بسنة تاب الله عليه ثم قال وان السنة لكثيرة من تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه ثم قال وان الشهر لكثير من تاب قبل موته بيوم تاب الله عليه ثم قال وان اليوم لكثير من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه ثم قال وان الساعة لكثيرة من تاب قبل موته وقد بلغت نفسه هذه واهوى يسده الى خلف تاب الله عليه وروى الثعلبي باسناده عن عباد بن الصامت عن النبي هذا الخبر بعينه الا انه قال في آخره وان الساعة لكثيرة من تاب قبل ان يغفر بها تاب الله عليه وروى ايضا باسناده عن الحسن قال قال رسول الله (ص) لما هبط ابليس قال وعزتك وجلالتك وعظمتك لا افارق ابن آدم حتى تفارق روحه جسده فقال الله سبحانه وعزتي وعظمتي وجلالي لا احجب التوبة عن عبدي حتى يغفر بها (فأولئك يتوب الله عليهم) اي يقبل توبتهم (وكان الله عليا) بمصالح العباد (حكيا) فيما يعاملهم به (وليست التوبة) التوبة المقبولة التي ينتفع بها صاحبها (للذين يعملون السيئات) اي المعاصي ويصرون عليها ويسوفون التوبة (حتى اذا حضر احدهم الموت) اي اسباب الموت من معاينة ملك الموت وانقطع الرجاء عن الحياة وهو حال اليأس التي لا يعلمها احد غير المحتضر قال (اني تبت الآن) اي فليس عند ذلك اليأس التوبة واجمع اهل التأويل على ان هذه قد تناولت عصاة اهل الاسلام الا ما روي عن الربيع انه قال انها في المنافقين وهذا لا يصح لان المنافقين من جملة الكفار وقد بين الكفار بقوله (ولا الذين يموتون وهم كفار) ومعناه وليست التوبة ايضا للذين يموتون على الكفر ثم يندمون بعد الموت (أو لئلا اعتدنا) اي هيأنا (لهم عذابا أليما) اي موجعا وانما لم يقبل الله تعالى التوبة

في حال اليأس واليأس من الحياة لأنه يكون العبد هناك ملجأ إلى فعل الحسنات وترك القبائح فيكون خارجا عن حد التكليف إذ لا يستحق على فعله المدح ولا الذم وإذا زال عنه التكليف لم تصح منه التوبة ولهذا لم يكن اهل الآخرة مكلفين ولا تقبل توبتهم ومن استدل بظاهر قوله تعالى اعتدنا لهم عذابا ليما على وجوب العقاب لمن مات من مرتكبي الكبائر من المؤمنين قبل التوبة فالانفصال عن استدلاله ان يقال ان معنى اعداد العذاب لهم إنما هو خلق النار التي هي مصيرهم فالظاهر يقتضي استيجابهم لدخولها وليس في الآية ان الله يفعل بهم ما يستحقونه لا محالة ويحتمل ايضا ان يكون أو لثك اشارة إلى الذين يموتون وهم كفار لأنه اقرب اليه من قوله للذين يعملون السيئات ويحتمل ايضا ان يكون التقدير من اعتدنا لهم العذاب أي عاملناهم بالعدل ولم نشأ العقوبتهم وتكون الفائدة فيه اعلامهم ما يستحقونه من العقاب وان لا يأمنوا من ان يفعل بهم ذلك فإن قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء لا تتناول المشيئة فيه إلا المؤمنين من اهل الكبائر الذين يموتون قبل التوبة لأن المؤمن المطيع خارج عن هذه الجملة وكذلك التائب إذ لا خلاف في ان الله لا يعذب اهل الطاعات من المؤمنين ولا التائبين من العصية والكافر خارج ايضا عن المشيئة لاخبار الله تعالى انه لا يغفر الكفر فلم يبق تحت المشيئة إلا من مات مؤمنا موحدا وقد ارتكب كبيرة لم يتب منها وقال الربيع ان الآية منسوخة بقوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء لأنه حكم من الله والنسخ جائز في الأحكام كما جاز في الأوامر والنواهي وانما يمنع النسخ في الاخبار بأن يقول كان كذا وكذا ثم يقول لم يكن أو يقول في المستقبل لا يكون كذا ثم يقول يكون كذا وهذا لا يصح لأن قوله اعتدنا وارد مورد الخبر فلا يجوز النسخ فيه كما لا يجوز في سائر الاخبار

قوله تعالى (١٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مَبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة والكسائي كرها بضم الكاف هنا وفي التوبة والأحقاف ووافقها عاصم وابن عامر ويعقوب في الأحقاف وقرأ الباقون بفتح الكاف في جميع ذلك وقرأ بفاحشة مبينة بفتح الياء ابن كثير وابو بكر عن عاصم والباقون بكسر الياء وروي في الشواذ عن ابن عباس مبينة بكسر الياء خفيفة

﴿ الحجة ﴾

الكره والكره نعتان مثل الضعف والضعف والفقر والفقر والدف والدف وقال سيدييه بين الشي وبينته وأبان الشي وابنته واستبان الشي واستبنته وتبين وتبينته ومن أبيات الكتاب

سل المهوم لكل معطي رأسه

تاج محالط صهبة متعيس

مغتال احبلة ميين عنقه

في منكب زين المطي عرندس

بسيام ايضا لحاهم وأصلعا

بيبينهم ذو اللب حين يراهم

ومن كلامهم قد تبين الصبح لذي عينين

﴿ اللفظة ﴾

العضل التضيق بالمنع من الترويح وأصله الامتناع يقال عضلت الدجاجة بيضتها إذا عسرت عليها وعضل الفضا

بالجيش الكثير إذا لم يكن سلوكه اضيقة ومنه الداء العضال الذي لا يبرأ والفاحشة مصدر كالعاقبة والعافية قال ابو عبيدة الفاحشة الشنار والفحش القبيح والمعاشرة المصاحبة وهو من العشرة

﴿ الإعراب ﴾

أن ترثوا النساء في موضع رفع بأنه فاعل يحل وكرها مصدر وضع موضع الحال من النساء والعامل في الحال ترثوا ولا تعضلون يجوز أن يكون أيضا نصبا بكونه معطوفا على ترثوا وتقديره لا يحل لكم أن ترثوا ولا ان تعضلوا ويجوز ان يكون مجزوما على النهي

﴿ النزول ﴾

قيل ان ابا قيس بن الاسلت لما ماتت عن زوجته كبيشة بنت معن القى ابنه محصن بن ابي قيس ثوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها ولم يقربها ولم ينفق عليها فجاءت إلى النبي (ص) فقالت يا نبي الله لا أنا ورثت زوجي ولا انا تركت فأنكح فترثت الآية عن مقاتل وهو المروي عن ابي جعفر وقيل كان أهل الجاهلية إذا مات الرجل جاء ابنه من غيرها أو وليه فورث امرأته كما يرث ماله والقي عليها ثوبا فإن شاء تزوجها بالصدق الأول وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها فنهوا عن ذلك عن الحسن ومجاهد وروى ذلك ابو الجارود عن ابي جعفر (ع) وقيل ترثت في الرجل تكون تحت امرأة يكره صحبتها ولها عليه مهر فيطول عليه وعليها ويضارها لتفتدي بالمهر فنهوا عن ذلك عن ابن عباس وقيل ترثت في الرجل يجبس المرأة عنده لا حاجة له اليها وينتظر موتها حتى يرثها عن الزهري وروى ذلك عن ابي جعفر (ع) أيضا

﴿ المعنى ﴾

لما نهى الله فيما تقدم عن عادات أهل الجاهلية في أمر اليتامى والأموال عقبه بالنهي عن الاستئنان بسنتهم في النساء فقال (يا أيها الذين آمنوا) أي يا أيها المؤمنون (لا يحل لكم) أي لا يسموكم في دينكم (أن ترثوا النساء) أي نكاح النساء (كرها) أي على كره منهن وقيل ليس لكم أن تجسروهن على كره منهن طمعا في ميراثهن وقيل ليس لكم أن تسيروا صحبتهم ليفتدين بآلهن أو بما سقتم اليهن من مهورهن أو ليمتن قترهن (ولا تعضلوهن) أي وان لا تجسروهن وقيل ولا تمنعهن عن النكاح (لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) واختلف في المعنى بهذا النهي على أربعة اقوال ﴿ أحدها ﴾ انه الزوج امره الله بتخليتها سبيلها إذا لم يكن له فيها حاجة وأن لا يسكها اضرازا به حتى تفتدي ببعض مالها عن ابن عباس وقتادة والسدي والضحاك وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) ﴿ وثانيها ﴾ انه الوارث نهى عن منع المرأة من التزويج كما يفعله أهل الجاهلية على ما بيناه عن الحسن ﴿ وثالثها ﴾ انه المطاق أي لا ينم المطلقة من التزويج كما كانت تفعله قريش في الجاهلية ينكح الرجل منهم المرأة الشريفة فإذا لم توافقها فارقها على أن لا تتزوج إلا بإذنه ويشهد عليها بذلك ويكتب كتابا فإذا خطبها خاطب فإن أرضته أذن لها وإن لم تعطه شيئا عضلها فنهى الله عن ذلك عن ابن زيد ﴿ ورابعها ﴾ انه الولي خوطب بان لا ينمها عن النكاح عن مجاهد والقول الأول أصح (إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) أي ظاهرة وقيل فيه قولان ﴿ أحدهما ﴾ انه يعني إلا ان يزني عن الحسن وابي قلابة والسدي وقالوا إذا اطلع منها على زنية فله أخذ الفدية والآخر ان الفاحشة الشوز عن ابن عباس والأولى حمل الآية على كل معصية وهو المروي عن ابي جعفر (ع) واختاره الطبري واختلف في هذا الاستثناء وهو قوله إلا أن يأتين من ماذا هو فقيل هو من أخذ المال وهو قول أهل التفسير وقيل كان هذا قبل الحدود وكان الأخذ منهن على وجه العقوبة لعن ثم نسخ عن الأصم وقيل هو من الجبس والامساك على ما تقدم في قوله فامسكوهن في البيوت عن ابي علي الجبائي وأبي مسلم إلا ان اباعلي قال انها منسوخة وأبي ابو مسلم النسخ (وعاشروهن بالمعروف) أي خالطوهن من المشرة التي هي المصاحبة بما أمرك الله به من اداء حقوقهن التي هي النصف في القسم والنفقة والاجمال في القول والفعل وقيل المعروف ان لا يضر بها ولا يسيء القول فيها ويكون متهبط الوجه

معها وقيل هو أن يتصنع لها كما تتصنع له (فإن كرهتموهن) أي كرهتم صحبتهن وامساكنهن (فوسى ان تکرهوا شيئا ويجعل الله فيه) أي في ذلك الشيء وهو امساكنهن على كره منكم (خييرا كثيرا) من ولد يرزقكم او عطف لكم عليهم بعد الكراهة وبه قال ابن عباس ومجاهد فعلى هذا يكون المعنى ان كرهتموهن فلا تعجلوا طلاقهن لعل الله يجعل فيهن خيرا كثيرا وفي هذا حد الازواج على حسن الصبر فيما يكرهون من الأزواج وترغيبهم في امساكون مع كراهة صحبتهن إذا لم يخافوا في ذلك من ضرر على النفس أو الدين أو المال ويحتمل ان يكون الهاء عائدا إلى الذي تكرهونه أي عسى ان يجعل الله فيما تكرهونه خيرا كثيرا والمعنى مثل الأول وقيل المعنى ويجعل الله في فراقكم لهن خيرا عن الاصم قال ونظيره وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته قال القاضي وهذا بعيد لأن الله تعالى حث على الاستمرار على الصعبة فكيف يحث على المفارقة

قوله تعالى (٢٠) وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَنَا أَخَذْتُهُ بِهَا إِنَّمَا بُيِّنَّا (٢١) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنِ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا آيتان

اللغة

القنطار مأخوذ من القنطرة ومنه القنطر للداهية لأنها كالقنطرة في عظم الصورة ويقال قنطر في الامر يقنطر إذا عظمه بتكثير الكلام فيه من غير حاجة اليه والبهتان الكذب الذي يواجه به صاحبه على وجه المكابرة له وأصله التحجير من قوله فيمت الذي كفر أي تحجير لانقطاع حجته فالبهتان كذب يحير صاحبه لعظمه والافضاء إلى شيء هو الوصول اليه بالملازمة واصله من الفضاء وهو السعة فضا يفضو فضوا إذا اتسع

الاعراب

بهتاننا مصدر وضع موضع الحال وكذلك قوله وثاننا والمعنى اتأخذونه مبهتين وآتين

المعنى

لما حث الله على حسن مصاحبة النساء عند الامساك عقبه بيان حال الاستبدال فقال مخاطبا للازواج (وان اردتم) ايها الأزواج (استبدال زوج مكان زوج) اي اقامة امرأة مقام امرأة (وآتيتم احداهن) اي اعطيتم المطلقة التي تستبدلون بها غيرها (قنطاراً) أي مالا كثيرا على ما قيل فيه من انه ملاء مسك ثور ذهباً وانسه دية الإنسان أو غير ذلك من الأقوال التي ذكرناها في اول آل عمران (فلا تأخذوا منه) أي من الموثى والمعطى (شيئا) أي لا ترجعوا فيما اعطيتموهن من المهر إذا كرهتموهن وأردتم طلاقهن (اتأخذونه بهتاننا) هذا استفهام انكارى أي تأخذونه باطلا وظلماً كما ظلم بالبهتان وقيل معناه اتأخذونه بانكار التملك وسأه بهتاننا لأن الزوج إذا انكر عليكم ايهاا بغير حق استوجب للمعطى لها في ظاهر الحكم كان انكاره بهتاننا وكذباً (وإنما بيننا) أي ظاهر الاشك في وقتي قيل في الآية لم خص حال الاستبدال بالنهي عن الاخذ مع ان الاخذ مجرم مع عدم الاستبدال فجوابه ان مع الاستبدال قد يتوهم جواز الاسترجاع من حيث ان الثانية تقوم مقام الاولى فيكون لها ما اخذت الاولى فيبين تعالى ان ذلك لا يجوز وأزال هذا الاشكال والمعنى ان اردتم تخلية المرأة سواء استبدلتم مكانها اخرى ام لم تستبدلوا فلا تأخذوا مما آتيتموها شيئا (وكيف تأخذونه) وهذا تعجب من الله تعالى وتعظيم أي عجباً من فعلكم كيف تأخذون ذلك منهن (وقد افضى بعضكم الى بعض) وهو كناية عن الجماع عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقيل المراد به الخلوة الصحيحة وان لم يجامع فسمى الخلوة افضاء او صوله بها الى مكان الرط وكلا القوان قدرناه اصحابنا وفي تفسير الكلبي عن ابن عباس ان الافضاء حصوله معها في

خلف واحد جامعها او لم يجامعها فقد وجب المهر في الحالين (وأخذن منكم ميثاقا غليظا) قيل فيه اقوال
 ﴿احدها﴾ ان الميثاق الغليظ هو العهد المأخوذ على الزوج حالة العقد من امساك بعروف او تسريح باحسان عن
 الحسن وابن سيرين والضحاك وقتادة والسدي وهو المروي عن ابي جعفر (ع) ﴿وثانيها﴾ ان المراد به كلمة
 النكاح التي يستحل بها الفرج عن مجاهد وابن زيد ﴿وثالثها﴾ قول النبي (ص) اخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن
 بكلمة الله عن عكرمة والشعبي والربيع وقد قيل في هاتين الآيتين ثلاثة أقوال ﴿احدها﴾ انهما
 محكمتان غير منسوختين لكن للزوج ان يأخذ القديمة من المختلعة لأن النشوز حصل من جهتها فالزوج يكون في
 حكم المكره لا المختار للاستبدال ولا يتنافى حكم الآيتين وحكم آية الخلع فلا يحتاج الى نسخها بها وهو
 قول الاكثرين ﴿وثانيها﴾ انهما محكمتان وليس للزوج ان يأخذ من المختلعة شيئا ولا من غيرها لاجل ظاهر
 الآية عن بكير بن بكر بن عبد الله المزني ﴿والثالث﴾ ان حكمها منسوخ بقوله فلون خفتهم ان لا يقيا
 حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به عن الحسن

قوله تعالى (٢٢) وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ
 فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا (آية)

✽ اللغة ✽

النكاح اسم يقع على العقد ومنه وانكحوا الايامى منكم ويقع على الوطء. ومنه الزاني لا ينكح إلا زانية
 او مشرقة أي لا يبطأ بالحرام الا من يطاوعه ومنه ملعون من نكح يده وملعون من نكح بهيمة قال الشاعر

كبكر تشهى لذيد النكاح وتفزع من صولة الناكح

واصله الجمع ومنه انكحنا الفرا فستري والمقت بغض عن امر قبيح يرتكبه صاحبه يقال مقت الرجل إلى
 الناس مقاتة ومقته الناس يقاته مقتاً فهو مقت ومقوت ويقال ان ولد الرجل من امرأة أبيه كان يسمى المقتي
 ومنهم اشعث بن قيس وابو معيط جد الوليد بن عقبة

✽ الاعراب ✽

إلا ما قد سلف استثناء منقطع لأنه لا يجوز استثناء الماضي من المستقبل ونظيره لاتبع من مالي إلا ما بعت
 ولا تأكل إلا ما اكلت ومنه لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى المعنى لكن ما قد سلف فلا جناح عليكم
 فيه وقال المبرد جاز ان يكون كان زائدة في قوله انه كان فاحشة فالمعنى انه فاحشة وانشد في ذلك قول الشاعر

فكيف إذا حللت بدار قوم وجيران لنا كانوا كرام

قال الزجاج هذا غلط منه لأنه لو كان زائدة لم يكن ينصب خبرها والدليل عليه البيت السدي انشده
 وجيران لنا كانوا كرام ولم يقل كراماً قال علي بن عيسى إنما دخلت كان ليدل على ان ذلك قبل تلك الحال
 فاحشة ايضاً كما دخلت في قوله وكان الله غفوراً رحيماً وقوله وساء سبيلا اي بشس طريقاً ذلك الطريق فسبيلا
 منصوب على التمييز وفاعل ساء مضمرة يفسره الظاهر والمخصوص بالذم محذوف

✽ النزول ✽

قيل نزلت فيما كان يفعله اهل الجاهلية عن نكاح امرأة الأب عن ابن عباس وقتادة وعكرمة وعطار قالوا
 تزوج صفوان بن امية امرأة ابيه فاختة بنت الاسود بن المطالب وتزوج حصين بن ابي قيس امرأة ابيه كبشة
 بنت معن وتزوج منظور بن ريان بن المطالب امرأة ابيه مليكة بنت خارجة قال اشعث بن سوار توفي ابو قيس وكان
 من صالحى الانصار فخطب ابنه قيس امرأة ابيه فقالت اني اعدك ولدا وانت من صالحى قومك ولكني آتي

رسول الله (ص) فاستأمره فأتته فأخبرته فقال لها رسول الله (ص) ارجعي إلى بيتك فأنزل الله هذه الآية

المعنى *

لما تقدم ذكر شرائط النكاح عقبه تعالى بذكر من تحل له من النساء ومن لا تحل فقال (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) أي لا تتزوجوا ما تزوج آباؤكم وقيل ما وطأ آباؤكم من النساء حرم عليكم ما كان أهل الجاهلية يفعلونه من نكاح امرأة الأب عن ابن عباس وقتادة وعطاء وعكرمة وقيل إن تقديره لا تنكحوا نكاح آبائكم أي مثل نكاح آبائكم فيكون ما نكح بمنزلة المصدر وتكون ما حرفاً موصولاً فعلى هذا يكون النهي عن حلائل الآباء وكل نكاح كان لهم فاسد وهو اختيار الطبري وفي الوجه الأول يكون ما اسماً موصولاً يحتاج إلى عائذ من صلته إليه قال الطبري إن الوجه الثاني أجود لأنه لو أراد حلائل الآباء لقال لا تنكحوا من نكح آباؤكم وقد أجيب عن ذلك بأنه يجوز أن يكون ذهب به مذهب الجنس كما يقول القائل لا تأخذ ما أخذ أبوك من الأرواء فيذهب به مذهب الجنس ثم يفسره بن (إلا ما قدسلف) فإنكم لا تؤخذون به وقيل معناه إلا ما قد سلف فدعوه فهو جائز لكم قال البلخي وهذا خلاف الإجماع وما علم من دين رسول الله (ص) وقيل معناه لكن ما سلف فأجتنبهه ودعوه عن قطرب وقيل إنما استثنى ما قد مضى ليعلم أنه لم يكن مباحاً لهم (أنه كان فاحشة) أي زنا (ومقتاً) أي بغضاً يعني يورث بغض الله ويجوز أن يكون الهاء في أنه عائداً إلى النكاح بعد النهي فيكون معناه إن نكاح امرأة الأب فاحشة أي معصية محرمة قبيحة ويجوز أن يكون عائداً إلى النكاح الذي كان عليه أهل الجاهلية أي أنه كان فاحشة قبل هذا ولا يكون كذلك إلا وقد قامت عليكم الحجة بتحريمه من قبل الرسل والأول أقوى وهذا اختيار الجبائي قال وتكون السلامة ما قد سلف في الاقتلاع منه بالتوبة والابانة قال البلخي وليس كل نكاح حرمه الله يكون زناً لأن الزنا فعل مخصوص لا يجري على طريقة لازمة ولا سنة جارية ولذلك لا يقال للمشركين في الجاهلية أولاد زنا ولا لأولاد أهل الذمة والمعاهدين أولاد زنا إذ كان ذلك عقداً بينهم يتعارفونه وقوله (وساء سييلاً) أي بشس الطريق ذلك النكاح الفاسد وفي هذه الآية دلالة على أن كل من عقد عليها الأب من النساء تحرم على الابن دخول بها الابن أو لم يدخل وهذا إجماع فإن دخل بها الأب على وجه السفاح فهل تحرم على الابن ففيه خلاف وعموم الآية يقتضي أنه يحرم عليه لأن النكاح قد يعبر به عن الوطء وهو الأصل فيه كما يعبر به عن العقد فينبغي أن تحمل اللفظ في الآية على الأمرين وامرأة الأب وإن علا تحرم على الابن وإن سفل بلا خلاف

قوله تعالى (٢٣) حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّائِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمْ اللَّائِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّائِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً (آية)

اللفظة *

الربائب جمع ربيبة وهي بنت زوجة الرجل من غيره سميت بذلك لتربيته إياها فهي في معنى مربوبة نحو قتيلة في موضع مقتولة ويجوز أن تسمى ربيبة سواء تولى تربيتها أو لم يتول وسواء كانت في حجره أو لم تكن لأنه إذا تزوج بأمه فهو رابها وهي ربيبتها والعرب تسمي الفاعلين والمفعولين بما يقع بهم ويوقعونه يقولون هذا مقتول وإن لم

يقتل بعد وهذا ذبيح وان ام يذبح بعد إذا كان يراد ذبحه وقتله وكذلك يقولون هذا اضحية لما اعد للتضحية وهذه قنبرة وحلوبة اي هي ما تقرب وتحلب وقد يقال لزواج المرأة ربيب ابن امرأته بمعنى انه رابيه كما يقال شهيد وخبير بمعنى شاهد وخابر والحلائل جمع الحليلة وهي بمعنى المحللة مشتقة من الحلال والذكر حليل وجمعه احالة كعزير وأعزة سميا بذلك لأن كل واحد منهما يحل له مباشرة صاحبه وقيل هو من الحلول لأن كل واحد منهما يحال صاحبه اي يحل معه في الفراش

✽ المعنى ✽

ثم بين المحرمات من النساء فقال (حرمت عليكم امهاتكم) لا بد فيه من محذوف لأن التحريم لا يتعلق بالأعيان وإنما يتعلق بأفعال المكلف ثم يختلف باختلاف ما أضيف اليه فإذا أضيف إلى ما كحل نحو قوله حرمت عليكم الميتة والدم فالمراد الأكل وإذا أضيف إلى النساء فالمراد العقد فالتقدير حرم عليكم نكاح أمهاتكم فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه لدلالة مفهوم الكلام عليه وكل امرأة رجع نسبك اليها بالولادة من جهة ابيك أو من جهة أمك بإناث رجعت اليها وبذكور فهي أمك (وبناتكم) اي ونكاح بناتكم وكل امرأة رجع نسبها اليك بالولادة بدرجة او درجات بإناث رجعت اليك او بذكور فهي بنتك (واخواتكم) هي جمع الأخت وكل أنثى ولدها شخص ولدك في الدرجة الأولى فهي أختك (وعماتكم) هي جمع العمة وكل ذكر رجع نسبك اليه فأخته عمتك وقد تكون العمة من جهة الأم مثل أخت ابي أمك وأخت جد أمك فصاعداً وخالاتكم وهي جمع الخالة وكل أنثى رجع نسبك اليها بالولادة فأخته خالتك وقد تكون الخالة من جهة الأب مثل أخت ام ابيك واخت جدة ابيك فصاعداً وإذا خاطب تعالى المكلفين بلفظ الجمع كقوله حرمت عليكم ثم اضاف المحرمات بعده اليهم بلفظ الجمع فالأحد يقع بازا. الأحد فكانه قال حرم على كل واحد منكم نكاح امه ومن يقع عليها اسم الأم ونكاح بنته ومن يقع عليها اسم البنت وكذلك الجميع (وبنات الأخ وبنات الأخت) فهذا ايضا على ما ذكرناه جمع بازا. جمع فيقع الاحاد بازا. الاحاد والتحديد في هولا. كالتحديد في بنات الصلب وهولا. السبع من المحرمات بالنسب وقد صرح عن ابن عباس انه قال حرم الله من النساء سبعا بالسبب وتلا الآية ثم قال والسابعة ولا تنكحوا ما نكح آبواؤكم من النساء ثم ذكر سبحانه المحرمات بالسبب فقال (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم) سماهن امهات للحجرة وكل انثى انتسبت اليها باللبن فهي أمك فالتى أرضعتك او امرأة أرضعتك او رجلاً أرضعت بلبانه من زوجته وأم ولد له فهي أمك من الرضاعة وكذلك كل امرأة ولدت امرأة أرضعتك او رجلاً أرضعتك فهي أمك من الرضاعة واخواتكم من الرضاعة يعني بنات المرصعة وهن ثلاث الصغيرة الأجنبية التي أرضعتها أمك بلبان ابيك سواء أرضعتها معك او مع وادها قبلك او بعدك والثانية أختك لأنك دون ابيك وهي التي أرضعتها أمك بلبان غير ابيك والثالثة أختك لأنك دون أمك وهي التي أرضعتها زوجة ابيك بلبان ابيك وأم الرضاعة واخت الرضاعة لولا الرضاعة لم تحرمان فإن الرضاعة سبب تحريمهما وكل من تحرم بالنسب من اللاتي مضى ذكرهن تحرم امثالهن بالرضاع لقول النبي (ص) ان الله حرم من الرضاعة ما حرم من النسب فثبت بهذا الخبر أن السبع من المحرمات بالنسب على التفصيل الذي ذكره محرمات بالرضاع والكلام في الرضاع يشتمل على ثلاثة فصول ✽ احدها ✽ مدة الرضاع وقد اختلف فيها فقال اكثر اهل العلم لا يحرم إلا ما كان في مدة الحولين وهو مذهب اصحابنا وبه قال الشافعي وابو يوسف ومحمد وقال ابو حنيفة مدة الرضاع حولان ونصف وقال مالك حولان وشهر وانفقوا على ان رضاع الكبير لا يحرم ✽ وثانيها ✽ قدر الرضاع وقد اختلف فيه ايضا فقال ابو حنيفة ان قليله وكثيره يحرم وروى ذلك عن ابن عمر وابن عباس

وهو مذهب مالك والاوزاعي وقال الشافعي انما يحرم خمس رضعات وبه قالت عائشة وسعيد بن جبير وقال اصحابنا لا يحرم الا ما انبت اللحم واشد العظم وانما يعتبر ذلك برضاع يوم وليلة لا يفصل بينه برضاع امرأة اخرى او بخمس عشرة رضعة متواليات لا يفصل بينها برضاع امرأة اخرى وقال بعض اصحابنا المحرم عشر رضعات متواليات * وثالثها * كيفية الرضاع فعند اصحابنا لا يحرم الا ما وصل الى الجوف من الثدي في المجرى المعتاد الذي هو الفم فاما ما يوجر او يسهط او يحقن به فلا يحرم بحال ولبن الميتة لا حرمة له في التحريم وفي جميع ذلك خلاف وقوله (وامهات نسائكم) اي حرم عليكم نكاحهن وهذا يتضمن تحريم نكاح امهات الزوجات وجداتهن قرين او بعدن من اي وجه كن سواء كن من النسب او من الرضاع وهن يحرم بنفس العقد على البنت سواء دخل بالبنت او لم يدخل لان الله تعالى اطلق التحريم ولم يقيد بالدخول (وربائكم) يعني بنات نسائكم من غيركم (اللاتي في حجوركم) وهو جمع حجر الانسان والمعنى في ضمانكم وربيتمكم ويقال فلان في حجر فلان اي في تربيته ولا خلاف بين العلماء ان كونهن في حجره ليس بشرط في التحريم وانما ذكر ذلك لان الغالب انها تكون كذلك وهذا يقتضي تحريم بنت المرأة من غير زوجها على زوجها وتحريم بنت ابنتها وبنت بنتها قربت ام بعدت لوقوع اسم الربيبة عليهن (من نسائكم اللاتي دخلتم بهن) وهذه نعت لامهات الربائب لا غير لوصول الاجماع على ان الربيبة تحل اذ لم يدخل بها قال المبرد واللاتي دخلتم بهن نعت للنساء اللواتي هن امهات الربائب لا غير والدليل على ذلك اجماع الناس على ان الربيبة تحل اذ لم يدخل بها ومن اجاز ان يكون قوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن هو لامهات نسائكم فيكون المعنى وامهات نسائكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ويخرج عن ان اللاتي دخلتم بهن لامهات الربائب قال الزجاج والدليل على صحة ذلك ان الخبرين اذا اختلفا لم يكن نعتهما واحدا لا يميز النحويون مررت بنسائك وهربت من نساء زيد الظريفات على ان تكون الظريفات نعتا لهن والنساء وهو لاء النساء وروى العياشي في تفسيره باسناده عن اسحاق بن عمار عن جعفر بن محمد عن ابيه (ع) قال ان عليا كان يقول الربائب عليكم حرام من الامهات اللاتي قد دخلتم بهن كن في الحجور او في غير الحجور والامهات مبهمات دخل بالبنات او لم يدخل بهن فحرموا ما حرم الله واهموا ما ابهم الله واختلف في معنى الدخول على قولين * احدهما * ان المراد به الجماع عن ابن عباس * والاخر * انه الجماع وما يجري مجراه من المسيس والتجريد عن عطا وهو مذهبنا وفي ذلك خلاف بين الفقهاء (فان لم تكونوا دخلتم بهن) يعني بأم الربيبة (فلا جناح عليكم) اي لا اثم عليكم في نكاح بناتهن اذا طلقتموهن او متن (وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم) اي وحرم عليكم نكاح ازواج ابنائكم ثم ازال الشبهة في امر زوجة المتبني به فقال الذين من اصلابكم لئلا يظن ان زوجة المتبني به تحرم على المتبني وروي عن عطاء ان هذه نزلت حين نكح النبي امرأة زيد بن حارثة فقال المشركون في ذلك فنزل وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وقوله وما جعل ادعياءكم ابنائكم وما كان محمدا باحد من رجالكم واما حلائل الأبناء من الرضاعة فمحرمات ايضا بقوله ان الله حرم من الرضاعة ما حرم من النسب (وان تجمعوا بين الاختين) اي وحرم عليكم الجمع بين الاختين لان ان مع صلتها في حكم المصدر وهذا يقتضي تحريم الجمع بين الاختين في العقد على الحرائر وتحريم الجمع بينهما في الوطء بمالك اليمين فاذا وطئ احدهما فقد حرمت عليه الاخرى حتى تخرج تلك من ملكه وهو قول الحسن واكثر المفسرين والفقهاء (الا ما قد سلف) استثناء منقطع ومعناه لكن ما قد سلف لا يؤخذكم الله به وليس المراد به ان ما قد سلف حال النهي يجوز

استدامته بلا خلاف وقيل معناه إلا ما كانت من يعقوب إذ جمع بين الاختين ليا أم يهوذا ورا حبل أم يوسف عن عطا والسدي (ان الله كان غفورا رحيا) لا يؤخذكم الله بحكم ما قد سلف من هذه الانكحة قبل نزول التحريم وكل ما حرم الله في هذه الآية فإنما هو على وجه التأبيد سواء كن مجتمعات او متفرقات إلا الاختين فإنها يحرمان على وجه الجمل دون الانفراد ويمكن ان يستدل بهذه الآية على ان هؤلاء المحرمات من ذوات الأنساب لا يصح ان تملك واحدة منهن لأن التحريم عام والمحرمات بالنسب او السبب على وجه التأبيد يسمون مبهمات لأنهن يحرم من جميع الجهات وهي مأخوذة من البهيم الذي لا يخاطم معظم لونه لون آخر يقال فرس بهيم لا شية له (ان الله كان غفورا) يغفر الذنوب (رحيا) يرحم العباد المؤمنين قوله تعالى (٢٤) وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (آية)

✽ القراءة ✽

قرأ الكسائي وحده والمحصنات ومحصنات في سائر القرآن بكسر الصاد إلا قوله والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيانكم فإنه فتح الصاد فيه وقرأ الباقون بفتح الصاد في كل القرآن وقرأ أهل الكوفة إلا ابا بكر و ابا جعفر واحل لكم بالضم وكسر الحاء وقرأ الباقون بفتح الهمزة والحاء

✽ الحجة ✽

وقع الاتفاق على فتح العين من قوله والمحصنات في هذه الآية ومعناها النساء اللاتي احصن بالازواج والاحصان يقع على الحرة بدل عليه قوله الذين يرمون المحصنات الآية يعني الحرائر لأن من قذف غير حرة لم يجلد ثمانين ويقع ايضا على العفة بدل عليه قوله ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها وقد فسر قوله ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات بالعفاف ويقع على التزويج كما في الآية ويقع على الإسلام كما فسر من قرأ فإذا احصن بفتح الهمزة بأسلمن واصل الجميع المنع لأن الحرية تمنع عن امتنان الرزق والعفة حظر النفس عما حظره الشرع والتزوج في المرأة يحظر خطبتها التي كانت مباحة قبل ويمنع تصديها للتزويج والإسلام يحظر الدم والمال اللذين كانا مباحين قبل الإسلام ومن قرأ واحل لكم ما وراء ذلكم قال بناء الفعل للفاعل اشبه بما قبله لأن معنى كتاب الله عليكم كتب الله عليكم كتابا والله احل لكم ومن قرأ واحل لكم قال انه في المعنى يؤول إلى الأول وفيه مراعاة ما قبله وهو قوله حرمت عليكم

✽ اللفظة ✽

قال الأزهري يقال للرجل إذا تزوج احصن فهو محصن كقولهم الفج فهو ملفج واسهب فهو مسهب إذا أكثر الكلام وكلام العرب كله على افعال فهو مفعل وقال سيبويه حصنت المرأة حصنا فهي حصان مثل جين جينا فهو جبان وقد قالوا حصناء كما قالوا علماء والحصان الفحل من الافراس واحصن الرجل امرأته واحصنت المرأة فرجها من الفجور والمسافحة والسفاح الزنا اصله من السفح وهو صب الماء لأنه يصب الماء

باطلا وسفح الجبل اسفله لأنه يصب الماء منه وقال الزجاج المسافحة والسفاح الزانيان لا يمتنعان من احد
فإن كانت تزني بواحد فهي ذات خدن

الإعراب

كتاب الله نصب على المصدر من فعل محذوف وأصله كتب الله كتابا عليكم ثم اضرع الفعل لدلالة ما تقدم
من الكلام عليه وهو قوله حرمت عليكم فإنه يدل على ان ما هو مذكور مكتوب عليهم فبقي كتاب الله
عليكم ثم اضيف المصدر إلى الفاعل كما اضيف إلى المفعول في قولهم ضرب زيد ومثل ذلك قوله صنع الله الذي
وعلى ذلك قول الشاعر

ما إن يمس الارض الأجانب من
وحرف الساق طي المحمل

لأن ما في البيت يدل على انه طيبان فكان تقديره طوى طي المحمل وقال الزجاج يجوز ان يكون منصوبا
على جهة الأمر ويكون المعنى الزموا كتاب الله ولا يجوز أن يكون منصوبا بملئكم لأن عليكم لا يجوز تقديم
منصوبه وقوله ما وراء ذلكم ما اسم موصول في موضع نصب بأنه مفعول على قراءة من قرأ وأحل لكم بفتح
الهمزة ومن قرأ وأحل بالضم فمحل رفع ويجوز ان يكون محل ان تبتغوا نصبا على البدل من ما ان كان منصوب
الموضع او رفعا ان كان محله رفعا ويجوز ان يكون على حذف اللام من لأن تبتغوا على ما مر امثاله فيما مضى
فيكون مفعولا له محصنين نصب على الحال وذو الحال الواو من تبتغوا غير مسافحين صفة لمحصنين وفريضة نصب
على المصدر ويجوز ان يكون مصدرا في موضع الحال أي مفروضة

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم ذكرهن من المحرمات فقال (والمحصنات) أي وحرمت عليكم اللاتي احصن
(من النساء) واختلف في معناه على اقوال **احدها** ان المراد به ذوات الأزواج (إلا ما ملكت أيمانكم)
من سبي مسن كان له زوج عن علي (ع) وابن مسعود وابن عباس ومكحول والزهري واستدل بعضهم على ذلك
بخبر أبي سعيد الخدري ان الآية نزلت في سبي اوطاس وان المسلمين اصابوا نساء المشركين وكان لهن ازواج في
دار الحرب فلما نزلت نادى منادي رسول الله (ص) ألا لا توطأ الحبالى حتى يضعن ولا غير الحبالى حتى يستبرئن
بحيضة ومن خالف فيه ضعف هذا الخبر بأن سبي اوطاس كانوا عبدة الأوثان ولم يدخلوا في الإسلام ولا يحل
نكاح الوثنية وأجيب عن ذلك بأن الخبر محمول على ما بعد الإسلام **وثانيها** ان المراد به ذوات الأزواج
إلا ما ملكت أيمانكم ممن كان لها زوج لأن بيعها طلاقها عن أبي بن كعب وجابر بن عبد الله وأنس وابن المسيب
والحسن وقال ابن عباس طلاق الأمة يثبت بستة اشياء سبها وبيعها وعتقها وهبتها وميراثها وطلاق زوجها رهو
الظاهر من روايات اصحابنا وقال عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف ليس يبيع الأمة طلاقها بل طلاقها كطلاق
الحرّة وإنا هر في النبي (ص) خاصة لأن النبي خير بريرة بعدما اعتقتها عائشة ولو بانتهى بالتمتع لم يصح تخييرها وقال
الأولون ان زوج بريرة كان عبدا ولو كان حرا لم يخيرها النبي (ص) **وثالثها** ان المراد بالمحصنات المغائف إلا
ما ملكت أيمانكم بالنكاح او بالثمن ملك استمتاع بالمهر والنفقة او ملك استخدام بالثمن عن أبي العالية وسعيد
ابن جبير وعطاء والسدي (كتاب الله عليكم) يعني كتب الله تحريم ما حرم وتحليل ما حلل عليكم كتابا فلا
تخالقوه وتسكوا به وقوله (وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم) قيل في معناه اربعة اقوال «**احدها**» أحل
لكم ما وراء ذات المحارم من اقاربكم عن عطاء «**وثانيها**» ان معناه أحل لكم ما دون الخمس وهي الاربع
فما دونها أن تبتغوا بأموالكم على وجه النكاح عن السدي «**وثالثها**» ما وراء ذلكم مما ملكت أيمانكم عن قتادة

«ورابعها» أحل لكم ما وراء ذات المحارم والزيادة عى الأربع أن تبغوا بأموالكم نكاحا أو ملك يمين وهذا الوجه أحسن الوجوه ولاتنافي بين هذه الأقوال ومعنى أن تبغوا أن تطلبوا أو تلتبسوا بأموالكم اما شراء بضمن أو نكاحا بصداف عن ابن عباس (محصنين غير مسافحين) أي متزوجين غير زانين وقيل معناه أعفة غير زناة وقوله (فما استمتعتم به منهن فأتوهن أجورهن فريضة) قيل المراد بالاستمتاع هنا درك البغية والمباشرة وقضاء الوطر من اللذة عن الحسن ومجاهد وابن زيد والسدي فمعناه على هذا فما استمتعتم أو لذتتم من النساء بالنكاح فأتوهن مهورهن وقيل المراد به نكاح المتعة وهو النكاح المنفقد بمهر معين الى أجل معلوم عن ابن عباس والسدي وابن سعيد وجماعة من التابعين وهو مذهب اصحابنا الإمامية وهو الواضح لأن لفظ الاستمتاع والتمتع وإن كان في الأصل واقعا على الانتفاع والالتذاذ فقد صار يعرف الشرع مخصوصا بهذا العقد المعين لاسيما إذا أضيف الى النساء فعلى هذا يكون معناه فعلى عقدتم عليهم هذا العقد المسمى متعة فأتوهن أجورهن ويدل على ذلك ان الله علق وجوب اعطاء المهر بالاستمتاع وذلك يقتضي ان يكون معناه هذا العقد المخصوص دون الجماع والاستلذاذ لأن المهر لا يجب إلا به هذا وقد روي عن جماعة من الصحابة منهم أبي بن كعب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود انهم قرأوا فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى فأتوهن أجورهن وفي ذلك تصريح بأن المراد به عقد المتعة وقد أورد الثعلبي في تفسيره عن حبيب بن ابي ثابت قال اعطاني ابن عباس مصحفا فقال هذا على قراءة ابي فرأيت في المصحف فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى وبإسناده عن ابي نضرة قال سألت ابن عباس عن المتعة فقال اما اقرأ سورة النساء فقلت بلى فقال فما تقرأ فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى قلت لا اقرأها هكذا قال ابن عباس والله هكذا انزلها الله تعالى ثلاث مرات وبإسناده عن سعيد بن جبير انه قرأ فما استمتعتم به منهن الى أجل مسمى وبإسناده عن شعبة بن الحكم بن عيينة قال سألت عن هذه الآية فما استمتعتم به منهن امنسوخة هي قال الحكم قال علي بن ابي طالب لولا ان عمر نهى عن المتعة ما زنى إلا شقي وبإسناده عن عمران بن الحصين قال نزلت آية المتعة في كتاب الله ولم تنزل آية بعدها تنسخها فأمرنا رسول الله وتمتعنا مع رسول الله (ص) ومات ولم ينهنا عنها فقال بعد رجل برأيه ما شاء ومما أورده مسلم بن حجاج في الصحيح قال حدثنا الحسن الحلواني قال حدثنا عبد الرزاق قال اخبرنا ابن جريج قال قال عطاء قدم جابر بن عبد الله معتمرا فجثناه في منزله فسأله القوم عن اشيء ثم ذكروا المتعة فقال نعم استمتعنا على عهد رسول الله وابي بكر وعمر ومما يدل ايضا على ان لفظ الاستمتاع في الآية لا يجوز ان يكون المراد به الانتفاع والجماع انه لو كان كذلك لوجب ان لا يلزم شي من المهر من لا ينتفع من المرأة بشي وقد علمنا انه لو طلقها قبل الدخول لزمه نصف المهر ولو كان المراد به النكاح الدائم لوجب للمرأة بحكم الآية جميع المهر بنفس العقد لأنه قال فأتوهن أجورهن أي مهورهن ولا خلاف في ان ذلك غير واجب وإنما تجب الأجرة بكمالها بنفس العقد في نكاح المتعة ومما يمكن التعلق به في هذه المسألة الرواية المشهورة عن عمر بن الخطاب انه قال متعتان كانتا على عهد رسول الله حلالا انا انهي عنهما واعاقب عليهما فأخبر بأن هذه المتعة كانت على عهد رسول الله اضاف النهي عنها الى نفسه لضرب من الرأي فلو كانت النبي (ص) نسخها او نهى عنها او اباحها في وقت مخصوص دون غيره لأضاف التحريم اليه دون نفسه وايضا فإنه قرن بين

متعة الحج ومتعة النساء في النهي ولا خلاف ان متعة الحج غير منسوخة ولا محرمة فوجب ان يكون حكم متعة النساء حكما وقوله (ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة) من قال ان المراد بالاستمتاع الانتفاع والجماع قال المراد به لا حرج ولا اثم عليكم فيما تراضيتن به من زيادة مهر او نقصانه او حط او ابراء او تأخير وقال السدي معناه لا جناح عليكم فيما تراضيتن به من استثناف عقد آخر بعد انقضاء مدة الاجل المضروب في عقد المتعة يزيدا الرجل في الأجر وتزيده في المدة وهذا قول الإمامية وتظاهرت به الروايات عن أئمتهم (ان الله كان عليا) بما يصلح امر الخلق (حكيا) فيما فرض لهم من عقد النكاح الذي يحفظ الاموال والانساب

قوله تعالى (٢٥) وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَأَنْتُمْ أَجُورُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرِ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَنْتُمْ فَانْكِحُوا بِمِغْدَالِهِنَّ فَإِنَّ أَبْغِيضَ إِلَيْكُمْ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (آية)

✽ القراءة ✽

قرأ أهل الكوفة غير حفص فإذا احصن مفتوحة الهمزة والباقون أحصن بضم الهمزة وكسر الصاد

✽ اللفظة ✽

الطول العناء وهو مأخوذ من الطول خلاف القصر شبه الغني به لأنه ينال به معالي الأمور والتطول الإفضال بالمال والتطول على الناس التفضل عليهم وكذلك الاستطالة وطال فلان فلانا كذا إذا فضله في القدرة يقال طاولته فطالته ولم يحل منه فلان بطائل اي بشي له من أي فضل وطالت طولك وطيلك أي طالت مدتك قال الشاعر

إنا محبوبك فاسلم أيها الطلل
وإن بليت وإن ظالت بك الطليل
والطول الجبل قال طرفة

لعمرك ان الموت ما اخطأ الفتى
لكالطول المرخي وثيابه باليد

والفتى الشاب والفتاة الشابة والفتاة الأمة وإن كانت عجوزا إلا انها كالصغيرة في انها لا توقر توقير الحرة والفتوة حالة الحدائث ومنه الفتيا تقول افتي الفقيه يفتي لأنه في مسألة حادثة والخذن الصديق وجمعه اخدان نحو ترب وارتاب ويسوس فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع والخذن بمعناه والعنت الجهد والشدة وائمة عنوت صعبة المرتقى قال المبرد العنت الهلاك

✽ المعنى ✽

ثم بين تعالى نكاح الاماء فقال (ومن لم يستطع منكم طولا) أي لم يجد منكم غنى عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والسدي وهو المروي عن ابي جعفر (ع) (ان ينكح) أي يتزوج (المحصنات

المؤمنات) أي الحرائر المؤمنات يعني لم يقدر على شيء مما يصلح لنكاح الحرائر من المهر والنفقة (فمن ما ملكت أيمانكم) أي فليتكح مما ملكت أيمانكم (من فتياتكم المؤمنات) أي إمائكم فإن مهر الإماء أقل وموتتهن أخف في العادة والمراد به إماء الغير لأنه لا يجوز أن يتزوج الرجل بأمة نفسه بالاجماع وقيل إن المعنى من الآية فله إن يتزوجها وإن كان ذابسا عن جابر وعطا وإبراهيم وربيعه والقول الأول هو الصحيح وعليه أكثر الفقهاء وفي الآية دلالة على أنه لا يجوز نكاح الأمة الكتابية لأنه قيد جواز العقد عليهن بالإيمان بقوله من فتياتكم المؤمنات وهذا مذهب مالك والشافعي (والله أعلم بإيمانكم) أراد بهذا بيان أنه لم يؤخذ علينا إلا بأن نأخذ بالظاهر في هذا الحكم إذ لا سبيل لنا إلى الوقوف على حقيقة الإيمان والله هو المنفرد بعلم ذلك ولا يطلع عليه غيره فإنه العالم بالسرائر المطلع على الضائر (بعضكم من بعض) قيل فيه قولان «أحدهما» إن المراد به كلكم ولد آدم فلا تستنكفوا من نكاح الإماء فإنهن من جنسكم كالحرائر «والآخر» إن معناه كلكم على الإيمان ودينكم واحد فلا ينبغي أن يعبر بعضكم بعضا بالمحنة نهي الله عن عادة أهل الجاهلية في الطعن والتعير بالإماء (فانكحوهن) يعني الفتيات المؤمنات أي تزوجوهن (بإذن أهلهن) أي بأمر ساداتهن ومواليهن وفي هذا دلالة على أنه لا يجوز نكاح الأمة بغير إذن مالكها (وآتوهن أجورهن) أي أعطوا مالكن مهرهن (بالمعروف) أي بما لا ينكر في الشرع وهو ما تراضى عليه الأهلون ووقع عليه العقد وقيل معناه من غير مطل وضرار (محصنات) أي عفاف بريد تزوجوهن عفائف (غير مسافحات) أي غير زوان وقيل معناه متزوجات غير زانيات وقد قرئ محصنات بفتح الصاد وكسرها على ما مر ذكره في الآية الأولى (ولا متخذات اخدان) أي اخلاء في السر لأن الرجل منهم كان يتخذ صديقة فيزني بها والمرأة تتخذ صديقا فيزني بها وروي عن ابن عباس أنه قال كان قوم في الجاهلية يجرمون ما ظهر من الزنا ويستحلون ما خفي منه فنهى الله عن الزنا سرا وجهرا فعلى هذا يكون المراد بقوله غير مسافحات ولا متخذات اخدان غير زانيات لا سرا ولا جهرا (فإذا احصن) من قرأ بضم الهمة معناه فإذا زوجن فأحصنهن أزواجهن وهو بمعنى تزوجن عن ابن عباس وسعيد بن جبيرة ومجاهد وقنادة ومن قرأ بالفتح فعناه أسلمن عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وإبراهيم والشعبي والسدي وقال الحسن يحصنها الزوج ويحصنها الإسلام (فإن أتبن بفاحشة) أي زين (فعلين نصف ما على المحصنات من العذاب) أي نصف ما على الحرائر من حد الزنا وهو خمسون جلدة نصف حد الحرقة (ذلك) إشارة إلى نكاح الأمة عند عدم الطول (لمن خشى العنت منكم) يعني الزنا وهو إن يخاف أن تحمله شدة الشبق على الزنا فيلقى الحد في الدنيا أو العذاب في الآخرة وعليه أكثر المفسرين وقيل معناه لمن يخاف أن يهواها فيزني بها وقيل معنى العنت الضرر الشديد في الدين أو الدنيا لغلبة الشهوة والأول أصح (وان تصبروا خير لكم) معناه وصبركم عن نكاح الإماء وعن الزنا خير لكم وان تصبروا مبتدأ وخبر خبره (والله غفور) لذنوب عباده (رحيم) بهم وفائدته أن من لم يصبر عما أمر بالصبر عنه ثم تاب غفر الله له ورحمه واستدلت الخوارج بهذه الآية على بطلان الرجم قالوا إن الرجم لا يمكن تبويضه وقد قال فعلين نصف ما على المحصنات من العذاب فعلمنا أن الرجم لا أصل له والجواب عن ذلك إذا كان المراد بالمحصنات الحرائر سقط هذا القول ويدل على ذلك قوله في أول الآية ومن لم يستطع منكم طولا إن ينكح المحصنات المؤمنات ولا شك أنه أراد بها الحرائر

والعقائف لأن اللاتي هن أزواج لا يمكن العقد عليهن على أن في الناس من قال أن المحصنات هنا المراد بها الحرائر دون العقائف لأنه لو كان مختصا بالعقائف لما جاز العقد على غيرهن ومعلوم أن ذلك جائز هذا والرجم اجتمعت الأمة على أنه من أحكام الشرع وتواتر المسلمون بأن النبي (ص) رجم عامر بن مالك الأسلمي ورجم يهوديا ويهودية ولم يختلف فيه الفقهاء من عهد الصحابة إلى يومنا هذا فخلافا للخوارج في ذلك شاذ عن الاجماع فلا يعتد به

قوله تعالى (٢٦) يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٧) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ نَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (٢٨) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا (ثلاث آيات)

✽ الاعراب ✽

ذكر في اللام من قوله ليبين لكم ثلاثة اقوال «احدها» ان معناه ان وان تأتي مع امرت و اردت لأنها تطلب الاستقبال فلا يجوز اردت ان قمت فلما كانت ان في سائر الافعال تطلب الاستقبال استوثقوا لها باللام وربما جمعوا بين اللام وكي لتأكيد الاستقبال قال الشاعر

أردت لكما لا ترى لي عثرة

وهذا قول الكسائي والفراء وانكره الزجاج وانشد

أردت لكما يعلم الناس أنها

سراويل قيس والوفود شهود

قال ولو كانت اللام بمعنى ان لم تدخل على كي كما لا تدخل ان على كي قال ومذهب سيبويه واصحابه ان اللام دخلت هنا على تقدير المصدر أي لارادة البيان نحو قوله تعالى إن كنتم للرويا تعبرون أي ان كانت عبارتكم للرويا وكذلك قوله والذين هم لربهم يرهبون أي رهبتم لربهم قال كثير

أريد لأنسى ذكرها فكأنما

تمثل بي ليلي بكل سبيل

والقول الثالث ان بعض النحويين ضعف هذين الوجهين بأن جعل اللام بمعنى ان لم تقم به حجة قاطعة ووجهه على المصدر يقتضي جواز ضربت لزيد بمعنى ضربت زيدا وهذا لا يجوز ولكن يجوز في التقديم دون التأخير نحو لزيد ضربت وللرويا تعبرون ولأن عمل الفعل في التقديم يضعف كعمل المصدر في التأخير ولذلك لم يجوز إلا في المنصرف فاما ردف لكم فعلى تأويل ردف ما ردف لكم وعلى ذلك يريد ما يريد لكم وكذلك قوله وأمرنا لنسلم أي امرنا بما امرنا لنسلم وهذه الأقوال كلها مضطربة والوجه الصحيح فيه ان مفعول يريد محذوف تقديره يريد الله بتصويركم ليبين لكم

✽ المعنى ✽

ثم بين تعالى بعد التحليل والتحريم انه يريد بذلك مصالحنا ومنافعنا فقال الله تعالى (يريد الله) ما يريد (ليبين لكم) احكام دينكم ودنياكم وأمور معاشكم ومعادكم (ويهديكم سنن الذين من قبلكم) فيه قولان ✽ احدهما ✽ يهديكم إلى طريق الذين كانوا من قبلكم من اهل الحق والباطل

لتكونوا مقتدين بهم متبعين آثارهم لما لكم فيه من المصلحة * والآخر * سنن الذين من قبلكم من اهل الحق والباطل لتكونوا على بصيرة فيما تفعلون وتجتنبون من طرائقهم (ويتوب عليكم) اي ويقبل توبتكم ويقال يريد التوبة عليكم بالدعاء اليها والحث عليها وتيسير السبيل اليها وفي هذا دلالة على بطلان مذهب المجبرة لأنه بين تعالى انه لا يريد الا الخير والصلاح (والله عليم حكيم) مر تفسيره (والله يريد ان يتوب عليكم) اي يلفظ في توبتكم ان وقع منكم ذلك وقيل يريد ان يوفقكم لها ويقوي دواعيكم اليها (ويريد الذين يتبعون الشهوات) فيه اقوال - « احدها » - ان المعنى بذلك جميع المبطلين فان كل مبطل متبع شهوة نفسه في باطله عن ابن زيد - « وثانيها » - ان المراد بذلك الزناة عن مجاهد - « وثالثها » - انهم اليهود والنصارى عن السدي - « ورابعها » - انهم اليهود خاصة إذ قالوا ان الأخت من الأب حلال في التوراة والقول الأول اقرب (ان تميلوا ميلاً عظيماً) اي تعدلوا عن الاستقامة عدولاً بينا بالاستكبار من المعصية وذلك ان الاستقامة هي المؤدية إلى الثواب والفوز من العقاب والميل عنها يؤدي إلى الهلاك واستحقاق العذاب وإذا قيل لم كرر قوله تعالى يتوب عليكم فجوابه انه للتأكيد وايضاً فإن في الاول بيان انه يريد الهداية والائابة وفي الثاني بيان ان إرادته خلاف إرادة أصحاب الأهواء وايضاً انه اتي في الثاني بأن ليزول الابهام انه يريد ليتوب ولا يريد ان يتوب وإنما قال تعالى ميلاً عظيماً لأن العاصي يأنس بالعاصي كما يأنس المطيع بالمطيع ويسكن الشكل إلى الشكل ويألف به ولأن العاصي يريد مشاركة الناس اياه في المعصية ليسلم عن ذمهم وتوبيخهم ونظيره قوله تعالى ودوا لو تدهن فيدهنون ودوا لو تكفرون كما كفروا وفي المثل من احرق كدسه تمنى احراق كدس غيره وعلى هذا جبلت القلوب (يريد الله ان يخفف عنكم) يعني في التكليف في امر النساء والنكاح بإباحة نكاح الإماء عن مجاهد وطاؤوس ويجوز ان يريد التخفيف بقبول التوبة والتوفيق لها ويجوز ان يريد التخفيف في التكليف على العموم وذلك انه تعالى خفف عن هذه الامة ما لم يخفف عن غيرها من الامم الماضية (وخلق الانسان ضعيفاً) في امر النساء وقلة الصبر عنهن وقيل خلق الانسان ضعيفاً يستميله هواه وشهوته ويستشيطه خوفه وحرته

قوله تعالى (٢٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٣٠) وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (آيَاتان)

القراءة

قرأ اهل الكوفة تجارة نصباً والباقون بالرفع

الحجة

قال ابو علي من رفع فتقديره الا ان تقع تجارة فالاستثناء منقطع لأن التجارة عن تراض ليس من اكل المال بالباطل ومن نصب تجارة احتمل ضربين « احدهما » إلا ان تكون التجارة تجارة عن تراض ومثل ذلك قول الشاعر « إذا كان يوماً ذا كواكب اشعنا » أي إذا كان اليوم يوماً « والآخر » إلا ان تكون الأموال أموال تجارة فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه فالاستثناء على هذا الوجه ايضاً منقطع

المعنى

لما بين سبحانه تحريم النساء على غير الوجوه المشروعة عقبه بتحريم الاموال في الوجوه الباطلة فقال (يا ايها الذين آمنوا) اي صدقوا الله ورسوله (لا تأكلوا اموالكم بينكم) ذكر الأكل وأراد سائر التصرفات وإنما خص الأكل لأنه معظم المنافع وقيل لأنه يطلق على وجوه الانفاقات اسم الأكل يقال اكل ماله بالباطل وان انفق في غير الأكل ومعناه لا يأكل بعضكم أموال بعض وفي قوله (بالباطل) قولان «احدها» انه الربا والقمار والنجش والظلم عن السدي وهو المروي عن الباقر «والآخر» ان معناه بغير استحقاق من طريق الاعراض عن الحسن قال وكان الرجل منهم يتخرج عن ان يأكل عند احد من الناس بعد ما نزلت هذه الآية الى ان نسخ ذلك بقوله في سورة النور وليس عليكم جناح ان تأكلوا من بيوتكم الى قوله ان تأكلوا جميعا او اشتاتا والأول هو الأقوى لأن ما اكل على وجه مكارم الأخلاق لا يكون اكلا باطلا «وثالثها» ان معناه اخذه من غير وجهه وصرفه فيما لا يحل له (الا ان تكون تجارة) اي مبايعة ثم وصف التجارة فقال (عن تراض منكم) اي يرضى كل واحد منكما بذلك وقيل في معنى التراضي في التجارة قولان «احدها» انه امضاء البيع بالتفرق او التخاير بعد العقد وهو قول شريح والشعبي وابن سيرين ومذهب الشافعي والإمامية لقوله البيهقي بان خيار مالم يتفرقا او يكون بيع خيار وربما قالوا ويقول احدها للآخر اختر والثاني انه البيع بالعقد فقط عن مالك وابي حنيفة (ولا تقتلوا انفسكم) فيه اربعة أقوال «احدها» ان معناه لا يقتل بعضكم بعضا لأنكم اهل دين واحد وانتم كنفس واحدة كقوله سلموا على انفسكم عن الحسن وعطا والسدي والجبائي «وثانيها» انه نهى الانسان عن قتل نفسه في حال غضب او ضجر عن ابي القاسم البلخي «وثالثها» ان معناه لا تقتلوا انفسكم بأن تهلكوها بارتكاب الآثام والعدوان في اكل المال بالباطل وغيره من المعاصي التي تستحقون بها العذاب «ورابعها» ما روي عن ابي عبد الله (ع) ان معناه لا تخاطروا بنفوسكم في القتال فتقاتلوا من لا تطبقونه (ان الله كان بكم رحيمًا) اي لم يزل بكم رحيمًا وكان من رحمته ان حرم عليكم قتل الأتفس وافساد الأموال (ومن يفعل ذلك) قيل ان ذلك إشارة إلى اكل الأموال بالباطل وقتل النفس بغير حق وقيل إشارة إلى المحرمات في هذه السورة من قوله يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها وقيل إشارة إلى فعل كل ما نهى الله عز وجل عنه من أول السورة وقيل إلى قتل النفس المحرمة خاصة عن عطا (عدوانا وظلما) قيل هما واحد واتى بها لاختلاف اللفظين كما قال الشاعر «والقى قولها كذبا ومينا» وقيل العدوان تجاوز ما امر الله به والظلم ان يأخذه على غير وجه الاستحقاق وقيل إنما قيده بالعدوان والظلم لأنه أراد به المستحلين (فسوف نصليه نارا) اي نجعله صلي نار ونحرقه بها (وكان ذلك) اي ادخاله النار وتعذيبه فيها (على الله) سبحانه (يسيرا) هينا لا يمنعه منه مانع ولا يدفعه عنه دافع ولا يشفع عنده إلا باذنه شافع قوله تعالى (٣١) ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما (آية)

القراءة

قرأ ابو جعفر ونافع مدخلا كريما مفتوحة الميم وقرأ الباقر مدخلا بالضم

* الحجة *

قال ابو علي من قرأ مدخلا يحتمل ان يكون مصدرا وان يكون مكانا فإن حملته على المصدر اضرمت له فعلا دل عليه الفعل المذكور وتقديره ندخلكم فتدخلون مدخلا وان حملته على المكان فتقديره ندخلكم مكانا كريما وهذا اشبه هنا لأن المكان قد وصف بالكريم في قوله تعالى ومقام كريم ومن قرأ مدخلا فيجوز فيه ايضا ان يكون مكانا وان يكون مصدرا

* اللغة *

الاجتناب المباحة عن الشيء وتركه جانبا ومنه الاجنبي ويقال ما يأتينا فلان إلا عن جنابة اي بعد قال علقمة بن عبيدة

فلا تحرمني نائلا عن جنابة
وقال الاعشى

ايت حريثا زائرا عن جنابة
والتكفير اصله الستر

* المعنى *

لما قدم ذكر السيئات عقبه بالترغيب في اجتنابها فقال (ان تجتنبوا) اي تتركوا جانبا (كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) اختلف في معنى الكبيرة فقيل كل ما اوعده الله تعالى عليه في الآخرة عقابا ووجب عليه في الدنيا حدا فهو كبيرة وهو المروي عن سعيد بن جبير ومجاهد وقيل كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة عن ابن عباس واولى هذا ذهب اصحابنا فإنهم قالوا المعاصي كلها كبيرة من حيث كانت قبائح لكن بعضها اكبر من بعض وليس في الذنوب صغيرة وإنما يكون صغيرا بالاضافة إلى ما هو اكبر منه ويستحق العقاب عليه اكثر والقولان متقاربان وقالت المعتزلة الصغيرة ما نقص عقابه عن ثواب صاحبه ثم ان العقاب اللازم عليه ينحبط بالاتفاق بينهم وهل ينحبط مثله من ثواب صاحبه فعند ابي هاشم ومن يقول بالموازنة ينحبط وعند ابي علي الجبائي لا ينحبط بل يسقط الأقل ويبقى الاكثر بحاله والكبيرة عندهم ما يكبر عقابه عن ثواب صاحبه قالوا ولا يعرف شيء من الصفات ولا معصية إلا ويجوز ان يكون كبيرة فإن في تعريف الصفات اغراء بالمعصية لأنه إذا علم المكلف به لا ضرر عليه في فعلها ودعته الشهوة اليها فعلها وقالوا عند اجتناب الكبائر يجب غفران الصفات ولا يحسن معه المواخذة بها وليس في ظاهر الآية ما يدل عليه فإن معناه على ما رواه الكلبي عن ابن عباس ان تجتنبوا الذنوب التي اوجب الله فيها الحد وسمى فيها النار نكفر عنكم ما سوى ذلك من الصلاة إلى الصلاة ومن الجمعة إلى الجمعة ومن شهر رمضان إلى شهر رمضان وقيل معنى ذلك ان تجتنبوا كبائر ما نهيتهم عنه في هذه السورة من المناكح واكل الأموال بالباطل وغيره من المحرمات من اول السورة إلى هذا الموضع وتركتهم في المستقبل كفرنا عنكم ما كان منكم من ارتكابها فيما سلف وقوله ولذا قال ابن مسعود كلما نهى الله عنه في اول السورة إلى رأس الثلاثين فهو كبيرة ويعضد هذا العقد القول من التنزيل قوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف (وندخلكم مدخلا كريما) اي مكانا طيبا حسنا لا ينقصه شيء وقد ذكرنا المعنى في القراءتين قيل فأما تفسير الكبائر الموبقة على ما وردت به

الروايات فسند كرم منه جملة مقنعة وروى عبد العظيم بن عبد الله الحسيني عن ابي جعفر محمد بن علي عن ابيه علي بن موسى الرضا عن موسى بن جعفر (ع) قال دخل عمرو بن عبيد البصري على ابي عبد الله جعفر ابن محمد الصادق (ع) فلما سلم وجلس تلا هذه الآية الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش ثم امسك فقال ابو عبد الله ما اسكتك قال احب ان اعرف الكبائر من كتاب الله قال نعم يا عمرو اكبر الكبائر الشرك بالله لقول الله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به وقال ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وبعده اليأس من روح الله لأن الله يقول ولا يياس من روح الله الا القوم الكافرون ثم الا من من مكر الله لأن الله يقول ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون ومنها عقوق الوالدين لأن الله تعالى جعل العاق جبارا شقيا في قوله وبرابوالي ولم يجعلني جبارا شقيا ومنها قتل النفس التي حرم الله الا بالحق لأنه يقول ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها الآية وقذف المحصنات لأن الله يقول ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم وأكل مال اليتيم ظلما لقوله الذين يأكلون أموال البنات ظلما الآية والفرار من الزحف لأن الله يقول ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير واكل الربا لأن الله يقول الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ويقول فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله والسحر لأن الله يقول ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق والزنل لأن الله يقول ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا واليمين الغموس لأن الله يقول ان الذين يشترون بعهدهم الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الآخرة الآية والغلول قال الله ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة ومنع الزكاة المفروضة لأن الله يقول يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم الآية وشهادة الزور وكتان الشهادة لأن الله يقول ومن يكتمها فانه اثم قلبه وشرب الخمر لان الله تعالى عدل بها عبادة الاوثان وترك الصلاة متعمدا وشيئا مما فرض الله تعالى لأن رسول الله (ص) يقول من ترك الصلاة متعمدا فقد بى من ذمة الله وذمة رسوله ونقض العهد وقطيعة الرحم لأن الله يقول اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار قال فخرج عمرو له صراخ من بكائه وهو يقول هنك من قال برأيه ونازعكم في الفضل والعلم وروى عن النبي (ص) انه قال الكبائر سبع اعظمهن الاشرار بالله وقتل النفس المؤمنة وأكل الربا واكل مال اليتيم وقذف المحصنة وعقوق الوالدين والفرار من الزحف فمن لقي الله تعالى وهو بري منه كان معي في بحبوحة جنة مصاريعها من ذهب وروى سعيد بن جبیر ان رجلا قال لابن عباس كم الكبائر سبع هي قال هي الى سبعمائة اقرب منها الى سبع غير انه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار رواها الواحد في تفسيره بالاسناد مرفوعا

قوله تعالى (٣٢) وَلَا تَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرَّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبْنَ وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (آية)

❖ القراءة ❖

قرأ ابن كثير والكسائي وسلوا الله بغير همز وكذلك كل ما كان امرا للمواجه في كل القرآن والباقون بالهمز ولم يختلفوا في وليسألوا ما انفقوا انه مهموز

✽ الحجة ✽

قال ابو علي الهمز وترك الهمز حسنان فلو خفف الهمزة في قوله وليسألوا لكان ايضاً حسناً

✽ اللغة ✽

التمني هو قول القائل لما لم يكن ليته كان كذا وليته لم يكن كذا لما كان وقال ابو هاشم في بعض كلامه التمني معنى في القلب ومن قال بذلك قال ليس هو من قبيل الشهوة ولا من قبيل الإرادة لأن الإرادة لا تتعلق إلا بما يصح حدوثه والشهوة لا تتعلق بما مضى كالإرادة والتمني فلا يتعلق بما مضى واهل اللغة ذكروا التمني في اقسام الكلام

✽ النزول ✽

قبل جاءت وافدة النساء إلى رسول الله (ص) فقالت يا رسول الله أليس الله رب الرجال والنساء وانت رسول الله اليهم جميعاً فما بالناس يذكرون الله الرجال ولا يذكروننا نخشى ان لا يكون فينا خير ولا لله فينا حاجة فنزلت هذه الآية وقيل ان ام سلمة قالت يا رسول الله بغزو الرجال ولا تغزو النساء وإنما لنا نصف الميراث فليتنا رجال فنغزو ونبلغ ما يبلغ الرجال فنزلت الآية عن مجاهد وقيل لما نزلت آية الموارث قال الرجال نرجو ان نفضل على النساء بحسناتنا في الآخرة كما فضلنا عليهن في الميراث فيكون اجرنا على الضعف من اجر النساء وقالت النساء انا نرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال في الآخرة كما لنا الميراث على النصف عن نصيبهم في الدنيا فنزلت الآية عن قتادة والسدي

✽ المعنى ✽

لما بين سبحانه حكم الميراث وفضل بعضهم على بعض في ذلك ذكر تحريم التمني الذي هو سبب التباغض فقال (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) أي لا يقل احدكم ليت ما اعطي فلان من المال والنعمة والمرأة الحسنة كان لي فإن ذلك يكون حسداً ولكن يجوز أن يقول اللهم اعطني مثله عن ابن عباس وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) وقيل ان المعنى لا يجوز للرجل أن يتمنى ان لو كان امرأة ولا للمرأة أن تتمنى ان لو كانت رجلاً لأن الله لا يفعل إلا ما هو الأصلح فيكون قد تمنى ما ليس بأصلح وما يكون مفسدة عن البلخي ويمكن ان يقال في ذلك انه يجوز ذلك بشرط ان لا يكون مفسدة كما يقوله في حسن السؤال سواء (للرجال نصيب مما اكتسبوا والنساء نصيب مما اكتسبن) قيل فيه وجوه ✽ احدها ✽ ان المعنى لكل حظ من الثواب على حسب ما كلفه الله من الطاعات بحسن تدييره فلا تتمنوا خلاف هذا التدبير لما فيه من حرمان الحظ الجزيل عن قتادة ✽ وثانيها ✽ ان لكل فريق من الرجال والنساء نصيباً مما اكتسب من نعيم الدنيا بالتجارات والزراعات وغير ذلك من انواع المكاسب فينبغي ان يقتنع كل منهم ويرضى بما قسم الله له ✽ وثالثها ✽ ان لكل منهما نصيباً من الميراث على ما قسمه الله عن ابن عباس فالأكتساب على هذا القول بمعنى الإصابة والإحراز (واستلوا الله من فضله) معناه ان احتجتم الى ما لغيركم واعجبكم ان يكون لكم مثل ما له فاستلوا الله أن يعطيكم مثل ذلك من فضله بشرط أن لا يكون فيه مفسدة لكم ولا لغيركم لأن المسألة لا تحسن إلا كذلك وجاء في الحديث عن ابن مسعود عن النبي قال سلوا الله من فضله فإنه يجب ان يسأل وافضل العباد انتظار الفرج وقال سفیان بن عيينة لم بأمرنا بالمسئلة إلا ليعطي (ان الله كان بكل شيء عليماً) معناه ان الله علم بكل شيء ولم يزل كذلك فيعلم ما تظرونه وما تضررونه من الحسد ويقسم الارزاق بين العباد على ما يعلم فيه من الصلاح والرشاد فلا يتمنى احدكم ما قسم لغيره فإنه لا يحصل من تمنيه إلا الغم والاثم

قوله تعالى (٣٣) وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ
أَيْمَانَكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيْبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (آية)

✽ القراءة ✽

قرأ أهل الكوفة عقدت بغير الف والباقون عاقدت بالف

✽ الحجة ✽

قال ابو علي الذكر الذي يعود من الصلة إلى الموصول ينبغي ان يكون ضميرا منصوبا فالتقدير والذين
عاقدتم ايمانكم فجعل الايمان في اللفظ هي المعاقدة والمعنى على الخالفين الذين هم اصحاب الايمان والمعنى والذين
عاقدت حلفهم ايمانكم فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فعقدت اشبه بهذا المعنى لأن لكل نفر من المعاقدين
مميّقا على المحالفة ومن قال عقدت ايمانكم كان المعنى عقدت حلفهم ايمانكم فحذف الحلف واقام المضاف اليه مقامه
والذين قالوا عاقدت حملوا الكلام على لفظ الايمان لأن الفعل لم يسند إلى اصحاب والايمان في اللفظ إنما اسند إلى
الايمان

✽ اللفظة ✽

أصل المولى من ولي الشيء يليه ولا ية وهو اتصال الشيء بالشيء من غير فاصل والمولى يقع على وجوه المعتق والمعتق
وابن العم والورثة والحليف والولي والسيد المطاع والأولى بالشيء والأحق وهو الأصل في الجميع فسمي المعتق
مولى لأنه أولى بميراث المعتق والمعتق أولى بنصرة المعتق من غيره وابن العم أولى بنصرة ابن عمه لقرابته والورثة
أولى بميراث الميت من غيرهم والحليف أولى بأمر محالفه للمخالفة التي جرت بينها والولي أولى بنصرة من بواليه
والسيد أولى بتدبير من يسوده من غيره ومنه الخبر أيما امرأة نكحت بغير إذن مولاه أي من هو أولى بالعقد عليها
وقال ابو عبيدة في قوله تعالى «النار مولاكم» معناه أي هي أولى بكم وانشد بيت لبيد

فقدت كلالا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها وأمامها

والأيمان جمع اليمين وهو اسم يقع على القسم والجارحة والقوة والأصل فيه الجارحة وذلك انهم كانوا يضربون
الصفقة للبيع والبيعة بأيمانهم فيأخذ بعضهم يمسك على الوفاء والتمسك بالعهد ثم يتحالفون عليه فسمي القسم
يمينا وقال

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

أي بالقوة

✽ الإعراب ✽

قوله مما ترك الوالدان الجار والمجرور وقع موقع الصفة لقوله مولى أي مولى كائنين مما ترك أي خلف الوالدان
والأقربون والذين عقدت ايمانكم معطوف على قوله الوالدان والأقربون فيكون مرفوع الموضع ويحتمل ان يكون
مما ترك الوالدان والأقربون متعلقا بفعل محذوف وتقديره مولى يعطون مما ترك الوالدان والأقربون ويكون والذين
عقدت ايمانكم مبتدأ وقوله فآتوهم نصيبهم خبره

✽ المعنى ✽

ثم عاد سبحانه إلى ذكر الموارث فقال (ولكل) واحد من الرجال والنساء (جعلنا مولى) أي ورثة هم أولى
بميراثه عن السدي وقيل عصابة عن ابن عباس والحسن والأول أصح لقوله سبحانه فهب لي من لدنك وليا يرثني

فجعل مولى لما يرث ووليا له لما كان أولى به من غيره ومالك له كما يقال للملك العبد مولا (بما ترك الوالدان أي بورثون أو يعطون مما ترك الوالدان (والأقربون) الموروثون) والذين عقدت إيمانكم أي ولا يرثون مما ترك الذين عقدت إيمانكم لأن لهم ورثة أولى بميراثهم فيكون قوله والذين عقدت إيمانكم عطفًا على قوله الوالدان والأقربون (فأتوهم نصيبهم) أي فأتوا كلاً نصيبه من الميراث وهذا اختيار الجبائي وقال الحليف لم يؤمر له بشيء أصلاً وقال أكثر المفسرين إن قوله والذين عاقدت إيمانكم مقطوع من الأول فكأنه قال والذين عاقدت إيمانكم أيضاً فأتوهم نصيبهم ثم اختلفوا فيه على أقوال أحدها أن المراد بهم الحلفاء عن قتادة وسعيد بن جبير والضحاك وقالوا إن الرجل في الجاهلية كان يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وحرابي حربك وسلمي سلمك وترثني وأرثك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف وعاقد أبو بكر مولى فورثه فذلك قوله فأتوهم نصيبهم أي أعطوهم حظهم من الميراث ثم نسخ ذلك بقوله وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في قوله مجاهد معناه فأتوهم نصيبهم من النصر والعقل والرشد ولا ميراث فعلى هذا تكون الآية غير منسوخة ويؤيده قوله تعالى أوفوا بالعقود وقول النبي (ص) في خطبة يوم فتح مكة ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فإنه لم يزد الإسلام إلا شدة ولا تحدثوا حلفاً في الإسلام وروى عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله قال شهدت حلف المطيبين وأنا غلام مع عمومي فما أحب أن لي حمر النعم وأني إنكته وثانيها أن المراد بهم قوم آخى بينهم رسول الله من المهاجرين والأنصار حتى قدموا المدينة وكانوا يتوارثون بتلك المؤاخاة ثم نسخ الله ذلك بالفرائض عن ابن عباس وابن زيد وثالثها أنهم الذين كانوا يبنون أبناء غيرهم في الجاهلية ومنهم زيد مولى رسول الله فأمروا في الإسلام أن يوصوا لهم عند الموت بوصية فذلك قوله فأتوهم نصيبهم عن سعيد ابن المسيب (إن الله كان على كل شيء شهيداً) أي لم يزل علماً بجميع الأشياء مطلعاً عليها جليها وخفيها

قوله تعالى (٣٤) الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن وأهجروهن في المضاجع وأضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً (آية)

القراءة

قرأ أبو جعفر وحده بما حفظ الله بالنصب والباقون بالرفع وقرئ في الشواذ فالصالح قانتات قرأه طلحة بن مصرف

الحجة

قوله حفظ الله يكون على حذف المضاف كأنه قال حفظ عهد الله أو دين الله كقوله تعالى وإن تنصروا الله أي تنصروا دين الله وحذف المضاف كثير في الكلام والوجه في قراءة من قرأ فالصالح قانتات إن جمع التكسير يدل على الكثرة والألف والتاء موضوعتان للقلة فهما على حد التثنية بمنزلة الزيد من الواحد فيكون من الثلاث إلى العشرة والكثرة اليق بهذا الموضع غير أن الألف والتاء قد جاء أيضاً على معنى الكثرة كقوله المسلمين والمسلمات إلى قوله والذاكرين الله كثيراً والذاكرات والغرض في الجميع الكثرة لا ما هو لما بين الثلاثة إلى العشرة وقال ابن جنبي كان أبو علي الفارسي ينكر الحكاية المروية عن النابغة وقد عرض عليه حسان شعره وأنه لما صار إلى قوله

لنا الجففات الفر يلمعن بالضحى
وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

قال له النابتة لقد قلت جفانك وسيوفك وهذا خبر مجهول لا أصل له لأن الله تعالى يقول وهم في الغرفات آمنون ولا يجوز ان يكون الغرف التي في الجنة من الثلاث إلى العشرة

✽ اللغة ✽

يقال رجل قيم وقيّام وقوام وهذا البناء للمبالغة والتكثير وأصل القنوت دوام الطاعة ومنه القنوت في الوتر لطول القيام فيه وأصل النشوز الترفع عن الزوج بخلافه مأخوذ من قولهم فلان على نشز من الارض اي ارتفاع يقال نشزت المرأة تنشز وتنشز والهجر الترك عن قلى يقال هجرت الرجل إذا تركت كلامه عن قلى والهجرة نصف النهار لأنه وقت بهجر فيه العمل وهجر الرجل البعير إذا ربطه بالهجار وأصل الضجوع الاستلقاء يقال ضجع ضجوعا واضطجع اضطجاعا إذا استلقى للنوم واضجمته انا وكل شيء املته فقد اضجمته والبغية الطلب يقال بغيت الضالة إذا طلبتها وقال الشاعر يصف الموت

بغاك وما تبغيه حتى وجدته كأنك قد واعدته امس موعدا

✽ الاعراب ✽

الباء في قوله بما فضل الله وبما أنفقوا يتعلق بقوله قوامون وما في الموضعين مصدرية لا يحتاج إلى عائد إليها من صلتها لأنها حرف وقوله بما حفظ الله ايضا يكون ما فيه مصدرية فيكون تقديره بأن يحفظهن الله ومن قرأ بما حفظ الله نصبا يكون ما اسما موصولا فيكون التقدير بالشيء الذي يحفظ الله أي يحفظ امر الله

- النزول -

قال مقاتل نزلت الآية في سعد بن الربيع بن عمرو وكان من النقباء وفي امراته حبيبة بنت زيد بن الجزيهري وهما من الانصار وذلك انها نشزت عليه فلطمها فانطلق ابوها معها إلى النبي فقال افرشته كرميتي فلطمها فقال النبي لتقتص من زوجها فانصرفت مع أيها لتقتص منه فقال النبي ارجعوا فهذا جبرائيل أتاني وانزل الله هذه الآية فقال النبي (ص) أردنا أمرا وأراد الله امرا والذي اراد الله خير ورفع القصاص وقال الكلبى نزلت في سعد ابن الربيع وامرأته خولة بنت محمد بن مسلمة وذكر القصة نحوها وقال ابو روق نزلت في جميلة بنت عبد الله بن أبي وفي زوجها ثابت بن قيس بن شماس وذكر قريبا منه

✽ المعنى ✽

لما بين تعالى فضل الرجال على النساء ذكر عقيبه فضلم في القيام بأمر النساء فقال (الرجال قوامون على النساء) أي قيمون على النساء مسلطون عليهن في التدبير والتأديب والرياضة والتعليم (بما فضل الله بعضهم على بعض) هذا بيان سبب تولية الرجال عليهن أي إنما ولاهم الله امرهن لما لهم من زيادة الفضل عليهن بالعلم والعقل وحسن الرأي والعزم (وبما أنفقوا من اموالهم) عليهن من المهر والنفقة كل ذلك بيان علة تقويمهم عليهن وتوليتهم امرهن (فالصالحات قانتات) أي مطيعات لله ولأزواجهن عن فتادة والثوري وعطاء ويقال حافظات ويدل عليه قوله يا مريم ائني لربك اي اقيمي على طاعته (حافظات للغيب) يعني لأنفسهن وفروجهن في حال غيبة أزواجهن عن فتادة وعطا والثوري ويقال الحافظات لأموال أزواجهن في حال غيبتهن راغبات بحقوقهن وحرمتهم والاولى ان يحمل على الامرين لانه لا تنافي بينها (بما حفظ الله) أي بما حفظهن الله في مهورهن والزمام أزواجهن النفقة عليهن عن الزجاج وقيل يحفظ الله لمن وعصمته ولولا ان حفظهن الله وعصمهن لما حفظن أزواجهن بالغيب (واللاتي تحافون نشوزهن) معناه فالنساء اللاتي تحافون نشوزهن بظهور اسبابه واماراته ونشوز المرأة عصيانها لزوجها واستيلائها عليه ومخالفتها إياه وقال الفراء معناه تعلمون نشوزهن قال وقد يكون الخوف بمعنى العلم لأن خوف النشز العلم

بموقعه (فعظوهن واهجروهن في المضاجع) معناه فعظوهن اولا بالقول والنصيحة فإن لم ينجع الوعظ ولم يؤثر النصيح بالقول فاهجروهن في المضاجع عن سعيد بن جبير قال وعنى به الجماع إلا انه ذكر المضاجع لاختصاص الجماع بها وقيل معناه فاهجروهن في الفراش والمبيت وذلك انه يظهر بذلك حبها للزوج وبغضها له فإن كانت مائلة اليه لم تصبر على فراقه في المضجع وإن كانت بخلاف ذلك صبرت عنه عن الحسن وقتادة وعطاء وإلى هذا المعنى يؤول ما روي عن ابي جعفر قال يحول ظهره اليها وفي تفسير الكافي عن ابن عباس فعظوهن بكتاب الله اولا وذلك ان يقول اتقي الله وارجمي إلى طاعتي فإن رجعت وإلا اغلظ لها القول فإن رجعت وإلا ضربها ضربا غير مبرح وقيل في معنى غير المبرح أن لا يقطع لحما ولا يكسر عظاما وروي عن ابي جعفر انه الضرب بالسواك (فإن أطعنكم) اي رجعت إلى طاعتكم في الاثتار لأمركم (فلا تبغوا عليهن سبيلا) اي لا تطلبوا عليهن عللا بالباطل وقيل سبيلا لا للضرب والهجران مما أبيض لكم فعله عند النشوز عن ابي مسلم وابي علي الجبائي وقيل معناه لا تكفوهن الحب عن سفیان بن عيينة فيكون المعنى إذا استقام لكم ظاهرهن فلا تعلقوا عليهن بما في باطنهن (إن الله كان عليا كبيرا) اي متعاليا عن ان يكلف الا الحق مقدار الطاقة . والعلو والكبرياء من صفات الله وفائدة ذكرهما هاتين ان تصارهن لمن وقوته على الانتصار إن هن ضعفن عنه وقيل المراد به انه تعالى مع علوه وكبريائه لم يكفكم إلا ما تطيقون فكذلك لا تكفوهن إلا ما يطقن

قوله تعالى (٣٥) وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا (آية)

= اللغة =

الشقاق الخلاف والعداوة واشتقاقه من الشق وهو الجزء البائن فالتشاقان كل واحد منهما في شق غير شق صاحبه بالعداوة أي في ناحية واصل التوفيق الموافقة وهي المساواة في امر من الأمور والتوفيق هو اللطف الذي يتفق عنده فعل الطاعات لمساواته في الوقت والتوفيق بين تسمين هو الاصلاح بينهما والاتفاق في الجنس والمذهب المساواة بينهما والاتفاق في الوقوع كرمية من غير رام

✽ الإعراب ✽

اصل بين ان يكون ظرفا ثم استعمل اسما هنا بإضافة شقاق اليه كما قال هذا فراق بيني وبينك وقال ومن بيننا وبينك حجاب وكان في الأصل فإن خفتم أي خشيتم شقاقا بينهما

= المعنى =

لما قدم الله الحكم عند مخالفة أحد الزوجين صاحبه عقبه بذكر الحكم عند التباس الأمر في المخالفة فقال (وإن خفتم) أي خشيتم وقيل علمتم والأول أصح لأنه لو علم الشقاق بقينا لما احتجج إلى الحكمين (شقاق بينهما) أي مخالفة وعداوة بين الزوجين (فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها) أي وجهوا حكما من قوم الزوج وحكما من قوم الزوجة لينظرا فيما بينهما والحكم القيم بما يسند اليه واختلف في المخاطب بانفاذ الحكمين من هو فقيل هو السلطان الذي يترافع الزوجان اليه عن سعيد بن جبير والضحاك وأكثر الفقهاء وهو الظاهر في الاخبار عن الصادقين وقيل انه الزوجان واهل الزوجين عن السدي واختلفوا في ان الحكمين هل هما ان يفرقا بالطلاق إن رأياه أم لا فالذي رواه اصحابنا عنهم انه ليس لها ذلك إلا بعد أن يستأمر امها ويرضيا بذلك وقيل ان لها ذلك عن سعيد بن جبير والشعبي والسدي وابراهيم ورووه عن علي (ع) ومن ذهب إلى هذا القول قال ان الحكمين وكيلان (ان يريدوا إصلاحا) يعني الحكمين (يوفق الله بينهما) حتى يحكما بما فيه الصلاح والضمير في بينهما جائد إلى الحكمين عن

ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي وقيل إن يرد الحكمان إصلاحاً بين الزوجين يوفق الله بين الزوجين أي يؤلف بينهما ويرفع ما بينهما من العداوة والشقاق (إن الله كان عليماً) بما يريد الحكمان من الإصلاح والإفساد (خبيراً) بما فيه مصالحكم ومنافعكم

قوله تعالى (٣٦) وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا
مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فَخُورًا (آية)

= اللغة =

الجار أصله من العدول يقال جاوره بجاوره مجاورة وجواراً فهو مجاور له وجار له بعد وله إلى ناحيته في مسكنه من قولهم جار عن الطريق وجار السهم إذا عدل عن القصد واستجار بالله لأنه يسأله العدول به عن النار والجار ذي القربى القريب والجار الجنب الغريب قال أبو علي الجنب صفة على فعل مثل ناقه أجدو مشي سحج فالجنب المتباعد عن أهله بذلك على ذلك مقابلته بقوله والجار ذي القربى والقربى من القرب كاليسرى من اليسر واصل المختال من التخيل وهو التصور لأنه يتخيل بحاله مرح البطر والمختال الصاف النباه ومنه الخيل لأنها تختال في مشيتها أي تتبختر والخلول الحشم والفخور الذي يعد مناقبه كبراً أو تطاولاً واما الذي يعدها اعترافاً بالنعمة فيها فهو شكور غير فخور

= الإعراب =

احساناً نصب على المصدر كما تقول ضرباً لزيد وتقديره احسنوا بالوالدين احساناً او يكون نصباً على تقدير استوصوا بالوالدين احساناً فيكون مفعولاً به

= المعنى =

لما امر سبحانه بمكارم الاخلاق في امر اليتامى والازواج والعيال عطف على ذلك بهذه الخلال المشتملة على معاني الامور ومحاسن الافعال فبدأ بالامر بعبادته فقال (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) اي وحدوه وعظموه ولا تشركوا في عبادته غيره فإن العبادة لا تجوز لغيره لانها لا تستحق الا بفعل اصول النعم ولا يقدر عليها سواه تعالى (وبالوالدين احساناً) اي فاستوصوا بهما يراً وانعاماً واحساناً وكراماً وقيل ان فيه اضرار فعل اي واوصاكم الله بالوالدين احساناً (وبذي القربى واليتامى والمساكين) معناه احسنوا بالوالدين خاصة وبالقرابات عامة يقال احسنت اليه واحسنت به واحسنوا إلى اليتامى بحفظ اموالهم والقيام عليها وغيرها من وجوه الاحسان واحسنوا إلى المساكين فلا تضيعوهم واعطوهم ما يحتاجون اليه من الطعام والكسوة وسائر ما لا بد منه لهم (والجار ذي القربى والجار الجنب) قيل معناه الجار القريب في النسب والجار الأجنبي الذي ليس بينك وبينه قرابة عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد وقيل المراد به الجار ذي القربى منك بالإسلام والجار الجنب المشرك البعيد في الدين وروي عن النبي (ص) انه قال الجيران ثلاثة جار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الإسلام وجار له حق الجوار المشرك من أهل الكتاب وقال الزجاج والجار ذي القربى الذي يقاربك وتقاربه ويعرفك وتعرفه والجار الجنب البعيد وروي ان حد الجوار إلى اربعين داراً وبروي إلى اربعين ذراعاً قال ولا يجوز ان يكون المراد بذى القربى القريب من القرابة لأنه قد سبق ذكر القرابة والأمر بالإحسان اليهم بقوله وبذي القربى ويمكن أن يجاب عنه بأن يقال هذا جائز

وإن كان قد سبق ذكر القرابة لأن الجار إذا كان قريبا فله حق القرابة والجار والقريب الذي ليس بجار له حق القرابة حسب فحسن افراد الجار القريب بالذكر (والصاحب بالجنب) في معناه اربعة اقوال * احدها * انه الرفيق في السفر عن ابن عباس وسعيد بن جبير وجماعة والاحسان اليه بالمواساة وحسن العشرة * وثانيها * انه الزوجة عن عبد الله بن مسعود وابن ابي ليلى والنخعي * وثالثها * انه المنقطع اليك برجو تفكك وعن ابن عباس في إحدى الروايتين وابن زيد * ورابعها * انه الخادم الذي يخدمك والأولى حملة على الجميع (وابن السبيل) معناه صاحب الطريق وفيه قولان * احدهما * انه المسافر عن مجاهد والربيع وقيل هو الضيف عن ابن عباس قال والضيافة ثلاثة ايام وما فوقها فهو معروف وكل معروف صدقة وروى جابر عن النبي كل معروف صدقة وان من المعروف ان تلقى أخاك بوجه طلق وان تفرغ من دلوك في إناه أخيك (وما ملكك أيمانكم) يعني به المالك من العبيد والإماء وذكر اليمين تأكيداً كما يقال مشيت رجلك وبتشت يدك فموضع ما من قوله وما ملكك أيمانكم جر بالعطف على ما تقدم أي وأحسنوا إلى عبيدكم وأمائكم بالنفقة والسكنى ولا تحملوهم من الأعمال ما لا يطيقونه امر الله عباده بالإحسان إلى هؤلاء اجمع (إن الله لا يحب) أي لا يرتضي (من كان مختالاً) في مشيته (فخوراً) على الناس بكثرة المال تكبراً عن ابن عباس وإنما ذكرهما لأنها بأقنان من اقرارهم وجبرانهم إذا كانوا فقراء لا يحسنان عشرتهم وهذه آية جامعة تضمنت بيان اركان الإسلام والتنبية على مكارم الاخلاق ومن تدبرها حق التدبر وتذكر بها حق التذكر أغنته عن كثير من مواضع البلغاء وهدته إلى جم غفير من علوم العلماء

قوله تعالى (٣٧) الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (آية)

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير عاصم بالبخل بفتح الباء والحاء وكذلك في سورة الحديد والباقون بالبخل بالضم

الحجة

قال سيبويه هما لغتان

اللفظة

البخل أصله مشقة الاعطاء وقيل في معناه انه منع الواجب لأنه اسم ذم لا يطلق إلا على مرتكب الكبيرة وقيل هو منع ما لا ينفع منعه ولا يضر بذله ومثله الشح وضده الجود والأول اليق بالآية لأنه تعالى تقي محبته ممن كان بهذه الصفة وقال علي بن عيسى معناه منع الإحسان لمشقة الطباع وتقيضه الجود ومعناه بذل الإحسان لاتقاء مشقة الطباع

الاعراب

الذين يحتمل ان يكون موضعه نصبا من وجهين وان يكون رفعاً من وجهين فأما نصب فعلى ان يكون بدلاً من من في قوله لا يحب من كان وعلى الذم ايضاً وأما الرفع فعلى الاستئناف بالذم على الابتداء وتكون الآية الثانية عطفاً عليها ويكون الخبر إن الله لا يظلم وعلى البدل من الضمير في فخور

المعنى

(الذين يبخلون) أي يتمتعون ما اوجب الله عليهم من الزكوات وغيرها واختاره الجبائي وابو مسلم وقيل معناه الذين يبخلون باظهار ما علموه من صفة النبي (ص) عن ابن عباس ومجاهد والسدي وابن زيد (وبأمرؤن)

الناس بالبخل) ويأمرون غيرهم بذلك وقيل يأمرون الأنصار بترك الاتفاق على رسول الله وعلى أصحابه عن ابن عباس وقيل يأمرون بكتان الحق (ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) أي يبيحون ما آتاهم الله من اليسار والثروة امتدداً لهم في البخل وقيل معناه يكتمون ما عندهم من العلم يعث النبي ومبعثه والأولى أن تكون الآية عامة في كل من يبخل بأداء ما يجب عليه وأداؤه ويأمرون الناس به وعامة في كل من كتم فضلاً آتاه الله تعالى من العلم وغيره من انواع النعم التي يجب اظهارها ويحرم كتمانها وقد ورد في الحديث إذا انعم الله تعالى على عبد نعمة احب ان يرى أثرها عليه (واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً) اعدنا للجاحدين ما انعم الله عليهم عذاباً يهانون فيه وبذلون فأضاف الإهانة إلى العذاب إذ كان يحصل به

قوله تعالى (٣٨) وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانَ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا (٣٩) وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا آيَاتان

﴿اللغة﴾

القرين اصله من الاقتران ومنه القرن لأهل العصر لا اقترانهم والقرن المقاوم في الحرب والقرين صاحب المألوف وقال عدي بن زيد

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه
فإن القرين بالمقارن يقتدي

﴿الاعراب﴾

اعراب الذين يحتمل ان يكون ما قلناه في الآية المتقدمة ويحتمل ان يكون عطفاً على الكافرين فكأنه قال واعتدنا للكافرين وللذين ينفقون أموالهم رثاء الناس رثاء مصدر وضع موضع الحال فكأنه قال ينفقون مرثئين الناس وقربناً نصب على التفسير وموضع ذا من ماذا عليهم يحتمل وجهين ﴿احدهما﴾ ان يكون مرفوعاً لأنه في موضع الذي وتقديره وما الذي عليهم لو آمنوا ﴿والثاني﴾ ان يكون لاموضع له لأنه مع ما بمنزلة اسم واحد وتقديره وأي شيء عليهم لو آمنوا

﴿المعنى﴾

ثم عطف على ما تقدم بذكر المنافقين فقال (الذين ينفقون أموالهم رثاء الناس) أي مراة الناس (ولا يؤمنون) أي ولا يصدقون (بالله ولا باليوم الآخر) الذي فيه الثواب والعقاب جمع الله سبحانه في الذم والوعيد بين من ينفق ماله بالرياء والسعة ومن لم ينفق أصلاً (ومن يكن الشيطان له قريناً) أي صاحباً وخليلاً في الدنيا يتبع أمره وبواقفه على الكفر وقيل يعني في القيامة وفي النار (فساء قريناً) أي يسئ القرين الشيطان لأنه يدعو إلى المعصية المؤدية إلى النار وقيل يسئ القرين الشيطان حيث يتلاعنان ويتباغضان في النار (وماذا عليهم) أي أي شيء عليهم (لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله) قطع الله سبحانه بهذا عذر الكفار في العدول عن الإيمان وأبطل به قول من قال انهم لا يقدرون على الإيمان لأنه لا يحسن أن يقال للعاجز عن الشيء ماذا عليك لو فعلت كذا فلا يقال للقصر ماذا عليك لو كنت طويلاً وللأعمى ماذا عليك لو كنت بصيراً وقيل معناه ماذا عليهم لو جمعوا إلى اتفاقهم الإيمان بالله لينفعهم الاتفاق (وكان الله بهم عليماً) يميزهم بما يسرون ان خيراً فخيئراً وإن شراً فشرراً فلا ينفعهم ما ينفقون على جهة الرياء وفي الآية دلالة أيضاً على ان الحرام لا يكون رزقاً من حيث انه سبحانه حثهم على الاتفاق مما رزقهم وأجمعت الأمة على ان الاتفاق من الحرام محظور

قوله تعالى (٤٠) إِنَّ اللَّهَ لَا يُظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً بُضَاعِفَهَا وَيَبُوتَ مِنْ لَدُنْهُ
أَجْرًا عَظِيمًا (آية)

✽ القراءة ✽

قرأ ابن كثير ونافع وإن تك حسنة بالرفع والباقون بالنصب وقرأ ابن كثير وابن عامر بضعفها بالتشديد
والباقون بضاعفها بالألف

✽ الحجة ✽

من نصب حسنة فمعناه وإن تك زنة الذرة حسنة وإن بك فعله حسنة ومن رفعها فمعناه وإن يقع حسنة أو
إن يحدث حسنة فيكون كأن تامة لا تحتاج إلى خبر وبضاعف وبضعف بمعنى واحد قال سيبويه يجيء فاعلت
ولا يراد به عمل اثنين وكذلك قولهم ناولته وعاقبته وعافاه الله قال ونحو ذلك ضاعفت وناعمت ونعمت
وهذا يدل على انها لغتان

✽ اللمة ✽

الظلم هو الألم الذي لا نفع فيه يوفي عليه ولا دفع مضرة اعظم منه عاجلاً ولا آجلاً ولا يكون مستحقاً
ولا واقعاً على وجه المدافعة وأصله وضع الشيء في غير موضعه وقيل أصله الانتقاص من قوله ولم تظلم منه شيئاً فالظلم
على هذا انتقاص الحق والظلمة انتقاص النور بذهابه وسقاء مظلوم إذا شرب منه قبل أن يدرك والظلم ذكر النعم
لأنه يضع الشيء في غير موضعه من حيث يحضن غير يرضه وأصل المثقال الثقل فالمثقال مقدار الشيء في الثقل
والثقل ما ثقل من متاع السفر

✽ الأعراب ✽

أصل تك تكون فحذفت الضمة للجزم والواو لسكونها وسكون النون فأما سقوط النون فللكثرة الاستعمال
فكأنهم أرادوا أن يجزموا الكلمة مرة أخرى فلم يجزوا حر كة بسقوطها فأسقطوا الحرف وقد ورد القرآن بالحذف
والاثبات قال سبحانه إن يكن غنياً أو فقيراً ومثل تك قولهم لا ادر ولم ابل والأصل لا ادري ولم ابال ولدن
في موضع جر وفيه لغات لد ولدن ولدى ولداً والمعنى واحد ومعناه من قبله ولدن لما يليك وعند تكون لما يليك
ولما بعد منك تقول عندي مال وإن كان بينك وبينه بعد وإذا أضفته إلى نفسك زدت فيه نوناً أخرى ليسلم سكون
النون تقول لدي ولدنا وكذلك مني ومنا

✽ المعنى ✽

(إن الله لا يظلم) أحدا قط (مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) أي زنة ذرة وهي النملة الحمراء الصغيرة التي لا تكاد ترى عن
ابن عباس وابن زيد وهي اصغر النمل وقيل هي جزء من أجزاء الهباء في الكوة من أثر الشمس وإنما لا يختار الله
تعالى الظلم ولا يجوز عليه الظلم لأنه عالم بقبحه مستغن عنه وعالم بغناه عنه وإنما يختار القبيح من يختاره لجهله
بقبحه أو حاجته إليه لدفع ضرر أو لجر نفع أو لجهله باستغنائه عنه والله سبحانه منزّه عن جميع ذلك وعن سائر
صفات النقص والعجز ولم يذكر سبحانه الذرة ليقصر الحكم عليها بل إنما خصها بالذكر لأنها أقل شيء مما يدخل
في وهم البشر (وإن تك حسنة بضاعفها) ومعناه وإن تك زنة الذرة حسنة يقبلها ويجعلهاضاعفاً كثيرة وقيل
يجعلها ضعفين عن أبي عبيدة وقيل معناه بديمها ولا يقطعها ومثله قوله ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره وكننا الآيتين
غاية في الحث على الطاعة والنهي عن المعصية وقوله (ويبوت من لدنه) أي يعطه من عنده (أجرًا عظيمًا) أي
جزاء عظيمًا وهو ثواب الجنة وفي هذه الآية دلالة على أن منع الثواب والنقصان منه ظلم لأنه لو لم يكن

كذلك لما كان لهذا الترغيب في الآية معنى وفيها أيضاً دلالة على أنه سبحانه قادر على الظلم لأنه نزه نفسه عن فعل الظلم وتمدح بذلك فلو لم يكن قادراً عليه لم يكن فيه مدحة

قوله تعالى (٤١) فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً

(٤٢) يومئذ يودُّ الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتُمون

الله حديثاً آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة غير عاصم تسوي مفتوحة التاء خفيفة السين وقرأ يزيد ونافع وابن عامر بفتح التاء وتشديد السين وقرأ الباقر تسوي بضم التاء وتخفيف السين

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي قراءة نافع وابن عامر لو تسوي معناه لو تسوى فادغم التاء في السين لقربها منها وفي قراءة حمزة والكسائي حذف التاء فالتاء اعتلت بالحذف كما اعتلت بالإدغام وأما تسوي فهي تفعل من التسوية

﴿ الإعراب ﴾

كيف لفظها لفظ الاستفهام ومعناه التوبيخ وتقديره كيف حال هؤلاء يوم القيامة وحذف لدلالة الكلام عليه والعامل في كيف المبتدأ المحذوف فهو في موضع الرفع بأنه خبر المبتدأ ولا يجوز أن يكون العامل في كيف جئنا لأنه في موضع جرباً إضافة إذ إليه والمضاف إليه لا يعمل فيما قبل المضاف كما لا تعمل الصلة فيما قبل الموصول لأنه من تمام الاسم ومن كل أمة في موضع نصب على الحال لأنه صفة شهيد فلما تقدمه انتصب على الحال والعامل في إذا جوابه المحذوف لدلالة ما تقدمه عليه وشهيداً منصوب على الحال والعامل في يومئذ يود وإنما عمل في يومئذ يود بعد إذ ولم يجز ذلك في إذا جئنا لأنه لما أضيف يوم إلى إذ بطلت إضافته إلى الجملة ونون إذ ليدل على تمام الاسم

﴿ المعنى ﴾

لما ذكر اليوم الآخر وصف حال المنكرين له فقال (فكيف) أي فكيف حال الأمم وكيف يصنعون (إذا جئنا من كل أمة) من الأمم (بشهادتنا بك) يا محمد (على هؤلاء) يعني قومه (شهادتنا) وهذا كما تقول العرب للرجل في الأمر الهائل يتوقعه كيف بك إذا كان كذا يريد بذلك تعظيم الأمر وتهويله وتحذيره وتحذير الرجل عنه وإنذاره به وحثه على الاستعداد له ومعنى الآية أن الله يستشهد يوم القيامة كل نبي على أمته فيشهد لهم وعليهم ويستشهد نبينا على أمته وفي الآية مبالغة في الحث على الطاعة واجتناب المعصية والزجر عن كل ما يستحى منه على رؤوس الأشهاد لأنه يشهد للإنسان وعليه يوم القيامة شهود وعدول لا يتوقف في الحكم بشهادتهم ولا يتوقع القدح فيهم وهم الأنبياء والمعصومون والكرام الكاتبون والجوارح والمكاتب والزمان كما قال تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس وقال ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد وقال إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ويوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وفي بعض الأخبار المكان والزمان يشهدان على الرجل بأعماله فليتذكر العاقل لهذه الشهادة وليستعد بهذه الحالة فكان قد وقعت وكان الشهادة قد أقيمت وروي أن عبد الله بن مسعود قرأ هذه الآية على النبي (ص) ففاضت عيناه فإذا كان الشاهد تفيض عيناه لهول هذه المقالة وعظم هذه الحالة فمأذا لعمرى

ينبغي أن يصنع الشهود عليه (يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض) معناه لو تجعلون
والأرض سواء كما قال تعالى ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً ومن التسوية قوله بلى قادرين على أن نسوي بنانه
أي نجعلها صفيحة واحدة لا يفصل بعضها عن بعض فيكون كاللحم فيعجز لذلك عما يستعان عليه من الاعمال
بالبنان وروي عن ابن عباس ان معناه يودون أن يمشي عليهم اهل الجمع بطأونهم بأقدامهم كما يطأون الأرض
وعلى القول الأول فالمراد به ان الكفار يوم القيامة يودون انهم لم يبعثوا وانهم كانوا والأرض سواء لعلمهم بما
يصيرون اليه من العذاب والخلود في النار وروي أيضاً ان البهائم يوم القيامة تصير تراباً فيتمنى عند ذلك الكفار
أنهم صاروا كذلك تراباً وهذا لا يبيزه إلا من قال ان العوض منقطع وهو الصحيح ومن قال ان العوض دائم
لم يصح هذا الخبر وقوله (ولا يكتمون الله حديثاً) قيل فيه اقوال **﴿أحدها﴾** انه عطف على قوله لو
تسوى اي ويودون ان لو لم يكتموا الله حديثاً لأنهم إذا سئلوا قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فنشهد عليهم
جوارحهم بما عملوا فيقولون يا ليتنا كنا تراباً ويا ليتنا لم نكتم الله شيئاً وليس ذلك بحقيقة الكتمان فإنه لا يكتم
شيء عن الله لكنه في صورة الكتمان وهذا قول ابن عباس **﴿وثانيها﴾** انه كلام مستأنف والمراد به
انهم لا يكتمون الله شيئاً من أمور دنياهم وكفرهم بل يعترفون به فيدخاؤون النار باعترافيهم وإنما لا يكتمون
لعلمهم بأنه لا ينفعهم الكتمان وإنما يقولون والله ربنا ما كنا مشركين في بعض الأحوال فإن للقيامة مواطن
وأحوال ففي موطن لا يسمع كلامهم إلا همساً كما اخبر تعالى عنهم وفي موطن ينكرون ما فعلوه من الكفر
والمعاصي ظناً منهم ان ذلك ينفعهم وفي موطن يعترفون بما فعلوه عن الحسن **﴿وثالثها﴾** ان المراد انهم لا يقدر
على كتمان شيء من الله لأن جوارحهم تشهد عليهم بما فعلوه فالتقدير لا تكتمه جوارحهم وإن كتموه
﴿رابعها﴾ ان المراد ودوا لو تسوى بهم الأرض وانهم إن لم يكونوا كتموا امر محمد وبعثه عن عطا
﴿خامسها﴾ ان الآية على ظاهرها فالمراد لا يكتمون الله شيئاً لأنهم ملجأون إلى ترك القبائح والكذب
وقولهم والله ربنا ما كنا مشركين أي ما كنا مشركين عند انفسنا لأنهم كانوا يظنون في الدنيا ان ذلك
ليس بشرك من حيث تقربهم إلى الله عن ابي القاسم والبليخي

قوله تعالى (٤٣) يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا
ما تقولون ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد
منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم
وأيديكم إن الله كان عفواً غفوراً (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة غير عاصم أو لمستم بغير الف ههنا وفي المائدة وقرأ الباقون لامستم بألف

﴿ الحجة ﴾

حجة من قرأ لمستم ان هذا المعنى جاء في التنزيل على فعلتم في غير موضع قال تعالى لم يطمئنن إنس ولم يمسني
بشر وحجة من قرأ لامستم ان فاعل قد جاء في معنى فعل نحو عاقبت اللص وطارقت النعل

﴿ اللغة ﴾

بقال قرب يقرب متعد وقرب يقرب لازم وقرب الماء يقربه إذا وزده واصل السكر من السكر وهو سد
مجرى الماء واسم الموضع السكر فبالسكر ينسد طريق المعرفة وسكرة الموت غشيته ورجل سكران من

قوم سكارى وسكارى والمرأة سكارى ايضا ويقال رجل جنب إذا اجنب ويستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع يقال رجل جنب وقوم جنب وامرأة جنب والعاير من العبور يقال عبرت النهر والطريق عبورا إذا قطعته من هذا الجانب إلى الجانب الآخر والغائط أصله المظمن من الارض يقال غائط وغيطان وكانوا يتبرزون هناك لغيبيوا عن عيون الناس ثم كثر ذلك حتى قالوا للحدث غائط وكنوا بالتغوط عن الحدث في الغائط وقيل انهم كانوا يلقون النجس في هذا المكان فسمي باسمه على سبيل المجاز والتغوط موضع كثير الماء والشجر بدمشق وقال مؤرج الغائط قرارة من الارض تحفها آكام تسترها والفعل منه غاط يغوط مثل عاد يعود واللمس يكون باليد ثم اتسع فيه فأوقع على غيره وقالوا التمس وهو افتعل من اللمس فأوقع على ما لا يقع عليه اللمس قال

العبد والمهجين والفلنقس ثلاثة فأبهم يلتمس

اراد أبهم تطلب وملتمس المعروف طالبه وليس هنا ماسة ولا مباشرة والتيمم المقصد ومثله التأم قال الاعشى

تيممت قيسا وكم دونه من الأرض من مهمه ذي شزن

وقال آخر * تيممت دارا ويمن دارا * وقد صار في الشرع اسما لقصد مخصوص وهو ان يقصد الصعيد ويستعمل التراب في اعضاء مخصوصة والصعيد وجه الارض من غير نبات ولا شجر وقال ذو الرمة

كأنه بالضحي ترمى الصعيد به ذبابة في عظام الرأس خرطوم

وقال الزجاج الصعيد ليس هو التراب إنما هو وجه الارض ترابا كان او غيره وإنما سمي صعيدا لأنه نهاية ما يصعد اليه من باطن الارض

الاعراب

واتم سكارى جملة منصوبة الموضع على الحال والعامل فيه تقربوا وذو الحال الواو من تقربوا وقوله جنبا انما اتصب لكونه عطفًا عليه والمراد به الجمع وعايري السبيل منصوب على الاستثناء وتعلموا منصوب بإضمار أن وعلامة النصب سقوط النون ثم انه مع ان المضمر في موضع الجر بعنى والجار والمجرور في موضع النصب بكونه مفعول تقربوا وكذلك قوله حتى تغتسلوا وقوله على سفر في موضع نصب عطفًا على قوله مرضى وتقديره او مسافرين

المعنى

لما امر سبحانه في الآية المتقدمة بالعبادة ذكر عقبيها ما هو من اكبر العبادات وهو الصلاة فقال (يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة) اي لا تصلوا واتم سكارى عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد وقيل معناه لا تقربوا اما كن الصلاة اي المساجد للصلاة وغيرها كقوله وصلوات اي مواضع الصلوات عن عبد الله وسعيد بن المسيب والضحاك وعكرمة والحسن ويؤيد هذا قوله الا عابري سبيل فان العبور إنما يكون في الموضع دون الصلاة وقوله (واتم سكارى) اي نشاوى واختلف فيه على قولين (احدهما) ان المراد به سكر الشراب عن ابن عباس ومجاهد وقتادة قالوا ثم نسخها تحريم الخمر وروي ذلك عن موسى بن جعفر (ع) وقد يسأل عن هذا فيقال كيف يجوز نهي السكران في حال السكر مع زوال العقل واجيب عنه بجوابين (احدهما) انه قد يكون سكران من غير ان يخرج من نقصان العقل الى ما لا يحتمل الامر والنهي (والآخر) ان النهي انما ورد عن التعرض للسكر في حالة وجوب اداء الصلاة عليهم واجاب ابو علي الجبائي بجواب ثالث وهو ان النهي إنما دل على اعادة الصلاة واجبة عليهم ان ادوها في حال السكر وقد سئل ايضا فقيل اذا كان السكران مكلفا فكيف يجوز ان ينهى عن الصلاة في حال سكره مع ان عمل المسلمين على خلافه واجيب عن ذلك بجوابين (احدهما) انه منسوخ (والآخر) انهم لم يؤمروا بتركها لكن امروا بأن يصلوها في بيوتهم ونهوا عن الصلاة مع

النبي (ص) في جماعته تعظيما له وتوقيرا (القول الثاني) ان المراد بقوله وانتم سكارى سكر النوم خاصة عن الضحاك وروي ذلك عن ابي جعفر (ع) وبعض ذلك ما روته عائشة عن النبي (ص) انه قال اذا نس احدكم وهو يصلي فلينصرف لعله يدعوه على نفسه وهو لا يدريه (حتى تعلموا ما تقولون) اي حتى تميزوا ما تقولون من الكلام وقيل معناه حتى تحفظوا ما تتلون من القرآن وقوله (ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا) في معناه قولان (احدهما) ان المراد به لا تقربوا الصلاة وانتم جنبا الا ان تكونوا مسافرين فيجوز لكم ادؤها بالتيتم وان كان لا يرفع حكم الجنابة فان التيمم وان كان يبيح الصلاة فإنه لا يرفع الخبث عن علي (ع) وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والآخران معناه لا تقربوا مواضع الصلاة من المساجد وانتم جنبا الا مجتازين عن جابر والحسن وعطاء والزهري وابراهيم وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وعابري السبيل اي مارين في طريق حتى تغتسلوا من الجنابة وهذا القول الأخير أقوى لأنه سبحانه بين حكم الجنب في آخر الآية اذا عدم الماء فلو حملناه على ذلك لكان تكرارا وانما اراد سبحانه ان يبين حكم الجنب في دخول المساجد في اول الآية ويبين حكمه في الصلاة عند عدم الماء في آخر الآية (وان كنتم مرضى) قيل نزلت في رجل من الانصار كان مريضا ولم يستطع ان يقوم فيتوضأ فالمرض الذي يجوز معه التيمم مرض الجراح والكسر والقروح اذا خاف اصحابها من مس الماء عن ابن عباس وابن مسعود والسدي والضحاك ومجاهد وقتادة وقيل هو المرض الذي لا يستطيع معه تناول الماء ولا يكون هناك من يتاوله عن الحسن وابن زيد وكان الحسن لا يرخص للجريح التيمم والمروي عن السيدين الباقر والصادق (ع) جواز التيمم في جميع ذلك (او على سفر) معناه او كنتم مسافرين (او جاء احد منكم من الغائط) وهو كناية عن قضاء الحاجة قيل ان او ههنا بمعنى الواو وكقوله سبحانه وارسلناه الى مائة الف او يزيدون بمعنى وجاء احد منكم من الغائط وذلك لأن المجيء من الغائط ليس من جنس المرض والسفر حتى يصح عطفه عليهما فإنهما سبب لاوباحة التيمم والرخصة والمجيء من الغائط سبب لاوباح الطهارة (اولا منتم النساء) المراد به الجماع عن علي (ع) وابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة واختاره ابو حنيفة والجبائي وقيل المراد به اللبس باليد وغيره عن عمر بن الخطاب وابن مسعود والشعبي وعطاء واختاره الشافعي والصحيح الاول لأن الله سبحانه بين حكم الجنب في حال وجود الماء بقوله ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا ثم بين عند عدم الماء حكم المحدث بقوله او جاء احد منكم من الغائط فلا يجوز ان يدع بيان حكم الجنب عند عدم الماء مع انه جرى له ذكر في الآية ويبين فيه حكم المحدث ولم يجز له ذكر فعلنا ان المراد بقوله اولا منتم الجماع ليكون بيانا لحكم الجنب عند عدم الماء واللمس والملازمة معناها واحد لانه لا يلمسها الا وهي تلمسه ويروى ان العرب والموالي اختلفوا فيه فقالت الموالي المراد به الجماع وقالت العرب المراد به مس المرأة فارتفعت اصواتهم الى ابن عباس فقال غلب الموالي المراد به الجماع وسمي الجماع لمسا لأن به يتوصل الى الجماع كما يسمى المطر سماء وقوله (فلم تجدوا ماء) راجع الى المرضى والمسافرين جميعا اي مسافر لا يجد الماء ومريض لا يجد من يوضؤه أو يخاف الضرر من استعمال الماء لأن الاصل ان حال المرض يغلب فيها خوف الضرر من استعمال الماء وحال السفر يغلب فيها عدم الماء (فتيمموا) اي تعمدوا وتحروا واقصدوا (صعيدا) قال الزجاج لا اعلم خلافا بين اهل اللغة في ان الصعيد وجه الارض وهذا يوافق مذهب اصحابنا في ان التيمم يجوز بالحجر سواء كان عليه تراب او لم يكن (طينيا) اي طاهرا وقيل حاللا عن سفيان وقيل منبتا دون السبخة التي لا تنبت كقوله والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه (فامسحوا بوجوهكم وايديكم) هذا هو التيمم بالصعيد الطيب واختلف في كيفية التيمم على اقوال * احدها * انه ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين وهو قول اكثر الفقهاء وابي حنيفة والشافعي وغيرها وبه قال قوم من اصحابنا * وثانيها * انه ضربة للوجه وضربة لليدين من الزندين واليه ذهب عمار بن بسار ومكحول واختاره الطبري وهو مذهبنا في التيمم اذا

كان بدلا من الجنابة فإذا كان بدلا من الوضوء كفاه ضربة واحدة يمسح بها وجهه من قصاص شعره إلى طرف
أفه ويديه من زنديه إلى أطراف أصابعهما وهو المروي عن سعيد بن المسيب * وثالثها * أنه إلى الأبطين عن
الزهري (أن الله كان عفوا) يقبل منكم العفو لأن في قبوله التيمم بدلا من الوضوء تسهيل الأمر علينا وقيل عفوا
كثير الصفح والتجاوز (عفورا) كثير السنن لذنوب عباده وفي الآية دلالة على أن السكران لا تصح صلاته
وقد حصل الإجماع على أنه يلزمه القضاء ولا يصح من السكران شي من العقود كالنكاح والبيع والشراء وغير
ذلك ولا رفعها كالطلاق والعتاق وفي الطلاق خلاف بين الفريقين فعند أبي حنيفة يقع طلاقه وعند الشافعي
لا يقع في أحد القولين فأما ما يلزم به الحدود والقصاص فعندنا أنه يلزمه جميع ذلك فيقطع بالسرقة ويحد
بالقذف والزنا العموم الآيات المتناولة لذلك ولإجماع الطائفة عليه

قوله تعالى (٤٤) ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون
أن تضلوا السبيل (٤٥) والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا (آيتان)
في الكوفي عدوا ان تضلوا السبيل آية وآية واحدة في غيرهم

﴿ اللغة ﴾

العداوة الإبعاد من حال النصرة وضدها الولاية وهي التقريب من حال النصرة وأما البعض فهو ارادة الاستخفاف
والإهانة وضدها المحبة وهي ارادة الاعظام والكرامة والكفاية بلوغ الغاية في مقدار الحاجة كفى يكفي كفاية
فهو كاف والاكتفاء الاجتزاء بالشيء دون الشيء ومثله الاستغناء والنصرة الزيادة في القوة للغلبة ومثلها المعونة
وضدها الخذلان ولا يكون ذلك الا عقوبة لأن منع المعونة من يحتاج اليها عقوبة

﴿ الإعراب ﴾

في دخول الباء في قوله بالله قولان * أحدهما * أنه لتأكيد الاتصال * والثاني * أنه دخله
معنى اكتبوا بالله ذكره الزجاج وموضع رفع بالاتفاق

﴿ التزول ﴾

نزلت في رفاعة بن زيد بن السائب ومالك بن دحشم كانا اذا تكلم رسول الله (ص) لوبا لسانهما وعباه
عن ابن عباس

﴿ المعنى ﴾

لما ذكر سبحانه الاحكام التي اوجب العمل بها وصلها بالتحذير مما دعا إلى خلافها فقال (ألم تر إلى
الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) أي ألم ينتم علمك إلى الذين أعطوا حظا من علم الكتاب يعني التوراة وهم اليهود
عن ابن عباس (يشترون الضلالة) أي يستبدلون الضلالة بالهدى ويكذبون النبي (ص) بدلا من التصديق وقيل
كانت اليهود تعطي أحبارها كثيرا من أموالهم على ما كانوا يضعونه لهم فجعل ذلك اشتراء منهم عن أبي علي الجبائي
وقيل كانوا يأخذون الرشى عن الزجاج (ويريدون ان تضلوا السبيل) أي يريدون لاء اليهود ان تزولوا ايها المؤمنون
عن طريق الحق وهو الدين والإسلام فتكذبوا بهم فتكذبوا ضلالا وفي ذلك تحذير للمؤمنين ان يستنصحو
أحدا من أعداء الدين في شيء من أمورهم الدينية والدنيوية ثم أخبر سبحانه بأنه أعلم بعداوة اليهود فقال (والله أعلم
بأعدائكم) أيها المؤمنون فاتتوا إلى اطاعتي فيما نهيتكم عنه من استنصاحهم في دينكم فأني أعلم بباطنهم منكم
وما هم عليه من الغش والحسد والعداوة لكم (وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا) معناه ان ولاية الله لكم ونصرته اياكم تغنيكم

عن نصرۃ هؤلاء الیہود ومن جرى مجراہم من تطمعون فی نصرته

قولہ تعالیٰ (٤٦) مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا
وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِالسِّنِّتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ
وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (آية)

﴿ اللغۃ ﴾

أصل اللی القتل یقال لویت العود الویه لیا ولویت الفریم إذا مطلته واللویۃ ما تتحف به المرأۃ ضیفها لتلوی
بقلبه الیہا وألوی بهم الدهر إذا افناهم ولوی البقل إذا اصفر ولم یستحکم نبتہ والألسنة جمع اللسان وهو
آلة الکلام واللسان اللغۃ ومنه قولہ وما ارسلنا من رسول إلا بلسان قومہ وتقول السنۃ السنۃ إذا اخذته بلسانک
قال طرفۃ

وإذا تلسنتی ألسنها
إني لست بموهون فقر
وأصل الطعن بالرمح ونحوه الطعن باللسان

﴿ الإعراب ﴾

قیل فی من همتا واتصاله وجہان ﴿ احدهما ﴾ انه تبیین للذین أوتوا نصیباً من الکتاب فیكون العامل
فیہ أوتوا وهو فی صلة الذین ویجوز ان لا یكون فی الصفة كما تقول انظر إلى النفر من قومک ما صنعوا ﴿ الثاني ﴾
ان یكون علی الاستئناف والتقدير من الذین ہادوا فریق یحرفون الکلم فالقی الموصوف لدلالة الصفة علیہا كما
قال ذو الرمة.

فظلوا ومنهم دمه سابق له
وأخر يشي دمه العين بالمهل
وأنشد سيبويه

وما الدهر إلا نار تان فمئها
اموت وأخرى ابغى العيش أكدح

وقال الفراء المحذوف مسن الموصولة والتقدير من الذین ہادوا من یحرفون الکلم كما یقولون منا یقول
ذلك ومنا لا یقولہ قال والعرب تضر من فی مبتدأ الکلام بن لأن من بعض لما هی منه كما قال تعالیٰ وما منا
إلا له مقام معلوم وان منکم إلا واردها وانکر المبرد والزجاج هذا القول قالوا لأن من یحتاج إلى صلة وصفة
تقوم مقام الصلة فلا یحسن حذف الموصول مع بقاء الصلة كما لا یحسن حذف بعض الکلمة وغیر مسمع نصب
علی الحال وراعنا من نونها جعلها کلمة الأمر کقوالک رویدا وهنیا ومن لم ینون جعلها مسن المراجعة كما تقول
قاضیا لیا مصدر وضع موضع الحال وكذلك قوله وطعنا وتقديره یلون ألسنتهم لیا ویطمعون فی الدین طعنا إلا
قلیلاً تقديره یؤمنون وهم قلیل فیكون قلیلاً منتصباً علی الحال ویجوز ان یكون صفة لمصدر محذوف تقديره
إیماناً قلیلاً كما قال الشاعر

فألفيته غير مستعتب
ولا ذاكر الله إلا قلیلاً

یرید إلا ذکراً قلیلاً وسقط التنوین من ذاکر لاجتماع الساکنین

﴿ المعنی ﴾

ثم بین صفة من تقدم ذكرهم فقال (من الذین ہادوا) أي ألم تر إلى الذین أوتوا نصیباً من الکتاب مسن

اليهود فيكون قوله ويجرفون الكلم في موضع الحال وان جعلته كلاما مستأنفا فمعناه من اليهود فريق (يجرفون الكلم عن مواضعه) أي يبدلون كلمات الله واحكامه عن مواضعها وقال مجاهد يعني بالكلم التوراة وذلك انهم كتموا ما في التوراة من صفة النبي (ويقولون سمعنا وعصينا) معناه يقولون مكانه بألسنتهم سمعنا وفي قلوبهم عصينا وقيل معناه سمعنا قولاك وعصينا امرك (واسمع غير مسمع) أي ويقول هو لا اليهود للنبي اسمع منا غير مسمع كما يقول القائل لغيره إذا سبه بالقبيح اسمع لا اسمعك الله عن ابن عباس وابن زيد وقيل بسل تأويله اسمع غير محاب لك ولا مقبول منك عن الحسن ومجاهد وهذا كله اخبار من الله عن اليهود الذين كانوا حواري المدينة في عصر النبي لأنهم كانوا يسبون ويؤذونه بالسبي من القول (وراعنا) قد ذكرنا معناه في سورة البقرة وقيل انه كان سبا للنبي تواضعا عليه ويقال كانوا يقولون استهزاء وسخرية ويقال انهم كانوا يقولونه على وجه التجبر كما يقول القائل لغيره انصت لكلامنا وتفهم عنا وإنما يكون هو من المراعاة التي هي المراقبة (يا بألسنتهم) أي تحريكا منهم لأنسنتهم بتحريف منهم لمعناه إلى المكروه (وطعنا في الدين) أي وقيعه فيه (ولو انهم قالوا سمعنا) قولك (وأطعنا) امرك وقبلنا ما جئتنا به (واسمع) منا (وانظرونا) أي انتظرونا نفهم عنك ما تقول لنا (لكان خيرا لهم) يعني أنفع لهم عاجلا وآجلا (واقوم) أي اعدل واصوب في الكلام من الطعن والكفر في الدين (ولكن لعنهم الله بكفرهم) أي طردهم عن ثوابه ورحمته اسبب كفرهم ثم اخبر الله عنهم فقال (فلا يؤمنون) في المستقبل (إلا قليلا) منهم فخرج مخبره على وفق خبره فلم يؤمن منهم إلا عبد الله بن سلام واصحابه وهم نفر قليل ويقال معناه لا يؤمنون إلا إيماننا قليلا أي ضعيفا لا اخلاص فيه ولكنهم عصوا دماهم واموالهم به ويجوز ان يكون المعنى فلا يؤمنون إلا بقليل مما يجب الايمان به

قوله تعالى (٤٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا آية

﴿ اللغة ﴾

الطمس هو عفو الاثر والطمس والداثر والدارس بمعنى والادبار جمع دبر واصله من الدبر يقال دبره يدبره دبرا فهو دابر اذا صار خلفه والدابر التابع وقوله والليل اذا ادبر معناه تبع النهار والتدبير احكام اديار الامور وهي عواقبها

﴿ المعنى ﴾

ثم خاطب الله اهل الكتاب بالتحذير والتحذير فقال (يا أيها الذين أتوا الكتاب) أي اعطوا علم الكتاب (آمنوا) أي صدقوا (بما نزلنا) يعني بما نزلناه على محمد (ص) من القرآن وغيره من احكام الدين (مصدقًا لما معكم) من التوراة والانجيل اللذين تضمنتا صفة نبينا (ص) وصحة ما جاء به (من قبل ان نطمس وجوهنا فنرددها على ادبارها) واختلف في معناه على اقوال ﴿ احدها ﴾ ان معناه من قبل ان نطمس وجوهكم حتى تصير كالاقفية ونجعل عيونها في آفتيتها فتمشي القهقري عن ابن عباس وعطية العرفي ﴿ وثانيها ﴾ ان المعنى ان نطمسها عن الهدى فنرددها على ادبارها في ضلالتها ذما لها بانها لا تفلح ابدا عن الحسن ومجاهد والضحاك والسدي ورواه ابو الجارود عن ابي جعفر (ع) ﴿ وثالثها ﴾ ان معناه نجعل في وجوههم الشعر كوجوه القروء عن الفراء وابي القاسم البلخي والحسين بن علي المغربي ﴿ ورابعها ﴾ ان المراد حتى نطمس آثارهم من وجوههم أي نواحيهم التي

هم بها وهي الحجاز الذي هم مسكنهم ونردها على اديارها حتى يعودوا الى حيث جاءوا وهو الشام وحمله على اجلاء بني النضير الى اريحا واذرعات من الشام عن ابن زيد وهذا اضعف الوجوه لانه ترك للظاهر فإذن قيل على القول الاول كيف اوعد سبحانه ولم يفعل فجوابه على وجوه احدها ان هذا الوعيد كان متوجها اليهم ولم يؤمن واحد منهم فلما آمن جماعة منهم كعبدالله بن سلام وثعلبة بن شعبة واسد بن ربيعة واسعد بن عبيدة ومخريق وغيرهم واسلم كعب في ايام عمر رفع العذاب عن الباقيين ويفعل بهم ذلك في الآخرة على انه سبحانه قال او نلعنهم كما لعنا والمعنى انه يفعل احدهما وقد لعنهم الله بذلك وثانيها ان الوعيد يقع بهم في الآخرة لانهم لم يذكر انه يفعل بهم ذلك في الدنيا تعجيلا للمعقوبة ذكره البلخي والجياثي وثالثها ان هذا الوعيد باق منتظر ولا بد من ان يطمس الله وجوه اليهود قبل قيام الساعة بأن يمسحها عن المبرد (او نلعنهم) اي تجزيهم ونعذبهم عاجلا عن ابي مسلم وقيل معناه نمسحهم قردة (كما لعنا اصحاب السبت) يعني الذين اعتدوا في السبت عن السدي وقتادة والحسن وانما قال سبحانه نلعنهم بلفظ التيبة وقد تقدم خطابهم لاحد امرين اما للتصرف في الكلام كقوله حتى اذا كنتم في الفلك فخطاب ثم قال وجريتم بهم بريح طيبة فكفى عنهم واما لان الضمير عائد الى اصحاب الوجوه لانهم في حكم المذكورين (وكان امر الله مفعولا) فيه قولان - (احدهما) - ان كل امر من اموره سبحانه من وعد او وعيد او خبر فإنه يكون على ما خبر به عن الجياثي - (والآخر) - ان معناه ان الذي يأمر به بقوله كن كائن لا محالة وفي قوله سبحانه من قبل ان تطمس وجوها دلالة على ان لفظه قبل تستعمل في الشيء انه قبل غيره ولم يوجد ذلك لغيره ولا خلاف في ان استعماله يصح ولذلك يقال كان الله سبحانه قبل خلقه

قوله تعالى (٤٨) **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا** آية

اللغة

افترى اختلق وكذب واصله من خلق الادمي يقال فريت الادمي افريه فريا إذا قطعت على وجه الاصلاح وافريته إذا قطعت على وجه الإفساد

الاعراب

اثما عظيما منصوب على المصدر لأن افترى بمعنى اثم وهذا كما تقول حمدته شكراً

النزول

قال الكلبي نزلت في المشركين وحشي واصحابه وذلك أنه لما قتل حمزة وكان قد جعل له على قتله ان يمتق فلم يوف له بذلك فلما قدم مكة ندم على صنيعه هو واصحابه فكتبوا إلى رسول الله (ص) إنا قد ندمنا على الذي صنعناه وليس يمنعنا عن الإسلام الا إذا سمعناك تقول وانت بمكة والذين لا يدعون مع الله آله آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون الايتان وقد دعونا مع الله إله آخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزيننا فلولا هذه لاتبعتك فزت الآية الامن تاب وعمل عملا صالحا الايتان فبعث بها رسول الله إلى وحشي واصحابه فلما قرأها كتبوا اليه ان هذا شرط شديد تخاف ان لا تعمل عملا صالحا فلان نكون من اهل هذه الآية فزت ان الله لا يغفر الاية فبعث بها إليهم فقرأوها فبعثوا إليه انا نخاف ان لا نكون من اهل مشيئة فزت يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا فبعث بها إليهم فلما قرأوها دخل هو واصحابه في الإسلام ورجعوا إلى رسول الله (ص) فقبل منهم ثم قال لو حشي اخبرني كيف قتلت حمزة فلما اخبره قال ويحك غيب شخصك عني فاحق وحشي بعد ذلك بالشام وكان بها الى ان مات وقال ابو مخنف عن ابن عمر قال نزلت في

المؤمنين وذلك انه لما نزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا الآية قام النبي (ص) على المنبر ف تلاها على الناس فقام اليه رجل فقال والشرك بالله فسكت ثم قام اليه مرتين او ثلاثا فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به الآية اثبت هذه في الزمرو وهذه في النساء وروى مطرف بن الشيخير عن عمر بن الخطاب قال كنا على عهد رسول الله (ص) اذا مات الرجل منا على كبيرة شهدنا بأنه من اهل النار حتى نزلت الآية فامسكنا عن الشهادات

المعنى

ثم انه تعالى آيس الكفار من رحمته فقال (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)
معناه ان الله لا يغفر ان يشرك به أحد ولا يغفر ذنب الشرك لأحد ويغفر ما دونه من الذنوب لمن يريد قال المحققون هذه الآية ارجي اية في القرآن لأن فيها ادخال ما دون الشرك من جميع المعاصي في مشيئة الغفران وقف الله المؤمنين المرشحين بهذه الآية بين الخوف والرجاء وبين العدل والفضل وذلك صفة المؤمن وذلك قال الصادق (ع) لو وزن رجاء المؤمن وخوفه لاعتدلا ويؤيده قوله سبحانه ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون وروى عن ابن عباس انه قال ثلثي آيات نزلت في سورة النساء خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت قوله سبحانه يريد الله ليعين لكم ويريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه يجز به ان الله لا يغفر ان يشرك به في الموضعين ما يفعل الله بعذابكم وبيان وجه الاستدلال بهذه الآية على ان الله تعالى يغفر الذنوب من غير توبة انه نفى غفران الشرك ولم ينف غفرانه على كل حال بل نفى ان يغفر من غير توبة لأن الأمة اجمعت على ان الله يغفر بالتوبة وان كان الغفران مع التوبة عند المعتزلة على وجه الوجوب وعندنا على وجه التفضل فعلى هذا يجب ان يكون المراد بقوله (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) انه يغفر ما دون الشرك من الذنوب بغير توبة لمن يشاء من المذنبين غير الكافرين وإنما قلنا ذلك لأن موضوع الكلام الذي يدخله النفي والايجاب وينضم اليه الأعلى والادون ان يخالف الثاني الاول الا ترى انه لا يحسن ان يقول الرجل انا لا ادخل على الامير الا اذا دعاني وادخل على من دونه اذا دعاني وانما يكون الكلام مفيدا اذا قال وادخل على من دونه وان لم يدعني ولا معنى لقول من يقول من المعتزلة ان في حمل الآية على ظاهرها وادخال ما دون الشرك في المشيئة اغراء على المعصية لأن الاغراء انما يحصل بالقطع على الغفران فأما اذا كان الغفران متعلقا بالمشيئة فلا اغراء فيه بل يكون العبد به واقفا بين الخوف والرجاء على الصفة التي وصف الله بها عباده المرتضين في قوله تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا ويحذرون الآخرة ويرجو رحمة ربه وبهذا وردت الاخبار الكثيرة من طريق الخاص العام وانعقد عليه اجماع سلف اهل الاسلام ومن قال ان في غفران ذنوب البعض دون البعض ميلا ومحاباة ولا يجوز الميل والمحاباة على الله وجوابه ان الله متفضل بالغفران وللمتفضل ان يتفضل على قوم دون قوم وإنسان دون إنسان وهو عادل في تعذيب من يعذبه وليس يمنع العقل ولا الشرع من الفضل والعدل ومن قال منهم ان لفظه ما دون ذلك وان كانت عامة في الذنوب التي هي دون الشرك فإنما نخصها ونحملها على الصفات او ما يقع منه التوبة لأجل عموم ظاهر آيات الوعيد فجوابه انا نعكس عليكم ذلك فنقول بل قد خصصوا ظاهر تلك الآيات اعموم ظاهر هذه الآية وهذا اول ما روي عن بعض السلف انه قال ان هذه الآية استثناء على جميع القرآن يريد به والله اعلم جميع آيات الوعيد وايضا فإن الصفات تقع عندهم محبطة ولا تجوز المواخذة بها وما هذا حكمه فكيف يعلق بالمشيئة فإن احدا لا يقول اني افعل الواجب ان شئت وارد الوديمة ان شئت وقوله (ومن يشرك بالله فقد افترى) اي فقد كذب بقوله ان العبادة يستحقها غير الله واثم (اثما عظيما) اي غير مغفور وجاءت الرواية عن امير المؤمنين (ع) انه قال ما في القرآن آية ارجي عندي من هذه الآية

قوله تعالى (٤٩) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٥٠) أَنْظِرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا آيَاتَان

✽ اللغة ✽

التزكية التطهير والتنزيه وقد يكون الوصف بالتطهير تزكية واصله من الزكا وهو النمو يقال زكا الزرع يزكو زكا وزكا الشيء اذا نما في اصلاح واصل الفتيل ما يقتل وهو لي الشيء والفتيلة معروفة وناقعة قتلا اذا كان في ذراعيها قتل من على الجنب والفتيل بمعنى المقتول وهو عبارة عن الشيء الحقيق قال النابغة

يجمع الجيش ذا الألوف ويفزو ثم لا يرزأ العدو فتيلاً

والنظر هو الاقبال على الشيء بالبر ومنه النظر بالقلب لأنه اقبال على الشيء بالقلب وكذلك النظر بالرحمة والنظر الى الشيء التأميل له والانتظار الاقبال على الشيء بالتوقع والمناظرة اقبال كل واحد على الآخر بالمحاجة والنظير مثل الشيء لاقباله على نظيره بالمعائلة والفرق بين النظر والرؤية ان الرؤية هي ادراك المرئي والنظر الاقبال بالبرص نحو المرئي ولذلك قد ينظر ولا يراه ولذلك يجوز ان يقال لله تعالى انه راء ولا يجوز ان يقال انه ناظر

✽ الاعراب ✽

فتيلاً منصوب على انه مفعول ثان كقولك ظلمته حقه قال علي بن عيسى ويحتمل ان يكون نصبا على التمييز كقولك تصببت عرقاً

✽ النزول ✽

قيل نزلت في رجال من اليهود اتوا باطفالهم الى النبي فقالوا هل على هؤلاء من ذنب فقال لا فقالوا والله ما نحن الا كهيتهم ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار فكذبهم الله عن الكلبي وقيل نزلت في اليهود والنصارى حين قالوا نحن ابناء الله واحباؤه قالوا ان يدخل الجنة إلا من كان هودا او نصارى عن الضحاك والحسن وقتادة والسدي وهو المروي عن ابي جعفر (ع)

✽ المعنى ✽

ثم ذكر تعالى تزكية هؤلاء أنفسهم مع كفرهم وتحريفهم الكتاب فقال (ألم تر) معناه ألم تعلم وقيل ألم تحبر وهو سؤال على وجه الإيحاء وتأييداً ويطلبه اعلم قصتهم الميئته علمك (الى) هؤلاء (الذين يزكون أنفسهم) اي يمدحونها ويصفونها بالزكاة والطهارة بأن يقولوا نحن اذكيا وقيل هو تزكية بعضهم بعضا عن ابن مسعود وانما قال انفسهم لأنهم على دين واحد وهم كنفس واحدة (بل الله يزكي من يشاء) رد الله ذلك عليهم وبين ان التزكية اليه يزكي من يشاء اي يطهر من الذنب من يشاء وقيل معناه يقبل عمله فيصير زكيا ولا يزكي اليهود بل يعذبهم (ولا يظلمون فتيلاً) معناه لا يظلمون في تعذيبهم وترك تزكيتهم فتيلاً اي مقدار فتيل وذكر الفتيل مثلاً واختلف في معناه فقيل هو ما يكون في شق النواة عن ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة وقيل الفتيل ما في بطن النواة والنقير ما على ظهرها والقطير قشرها عن الحسن وقيل الفتيل ماقتلته بين اصبعيك من الوسخ عن ابن عباس واي مالك والسدي وفي هذه الآية دلالة على تنزيه الله عن الظلم وانما ذكر الفتيل ليعلم انه لا يظلم قليلاً ولا كثيراً (انظر) يا محمد (كيف يفترون على الله الكذب) في تحريفهم كتابه وقيل في تزكيتهم انفسهم وقولهم نحن ابناء الله واحباؤه ولن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى عن ابن جريج (وكفى به) اي كفى هو (اثماً مبيناً) اي وزراً بيننا وانما قال كفى به في العظم على جهة المدح او الذم يقال كفى المؤمن نبلاً وكفى بحال الكافر خزيًا فكأنه قال ليس يحتاج الى حال اعظم منه ويحتمل ان يكون

معناه كفى هذا اتما اي ليس يقصر عن منزلة الإثم
قوله تعالى (٥١) ألم تر إلى الذين أتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت
ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً (٥١) أولئك الذين لعنهم
الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً آياتان

✽ اللغة ✽

الجبت لا تصريف له في اللغة العربية وروي عن سعيد بن جبيرة انه قال هو السحر بلغة اهل الحبشة وهذا
يحمل على موافقة اللغتين أو على ان العرب أدخلوها في لغتهم فصارت لغة لهم واللجنة الإبعاد عن رحمة الله عقابا
على معصيته فلذلك لا يجوز لعن البهائم ولا من ليس يعاقل من المجانين والاطفال لأنه سأل الله تعالى ما لا يجوز في حكمته فإن قصد بذلك
لعن من بهيمة أو حشرة أو نحو ذلك فقد اخطأ لأنه سأل الله تعالى ما لا يجوز في حكمته فإن قصد بذلك
الإبعاد لاعلى وجه العقوبة جاز

✽ الاعراب ✽

سبيلا منصوب على التمييز كما تقول هذا احسن منك وجها أو لك لفظة جمع واحده ذاتي المعنى كما يقال
نسوة في جمع امرأة وغلب على اولها التي للتثنية وليس ذلك في أو لك لأن في حرف الخطاب تنبيها للمخاطب
وصار الكاف معاقبا للهاء التي للتثنية في اكثر الاستعمال

✽ النزول ✽

قيل كان ابو برزة كاهنا في الجاهلية فتنافس اليه ناس ممن اسلم فنزلت الآية عن عكرمة وقيل وهو قول
اكثر المفسرين ان كعب بن الاشرف خرج في سبعين راكبا من اليهود الى مكة بعد وقعة احد ليحالفوا قريشا
على رسول الله (ص) وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله فنزل كعب على ابي سفيان فاحسن مشورا ونزلت
اليهود في دور قريش فقال اهل مكة انكم اهل كتاب ومحمد صاحب كتاب فلا تأمن ان يكون هذا مكرا
منكم فإن اردت ان نخرج معك فاسجد لهذين الصنمين وأمن بهما ففعل فذلك قوله يؤمنون بالجبت والطاغوت
ثم قال كعب يا اهل مكة ليجي منكم ثلاثون ومنا ثلاثون فنلصق اكبانا بالكعبة فنعاهد رب البيت لنجهدن
على قتال محمد ففعلوا ذلك فلما فرغوا قال ابو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون لانعلم
فاينا اهدى طريقا واقرب الى الحق نحن ام محمد قال كعب اعرضوا علي دينكم فقال ابو سفيان نحن ننحرف للحجيج
الكوما ونسقيهم الماء ونقري الضيف ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن اهل الحرم
ومحمد فارق دين ابائه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث فقال انتم والله اهدى
سبيلا ما عليه محمد (ص) فانزل الله ألم تر إلى الذين أتوا نصيبا من الكتاب

✽ المعنى ✽

فالمعنى بذلك كعب بن الأشرف وجماعة من اليهود الذين كانوا معه بين الله افعالهم القبيحة وضمها الى
ما عدده فيما تقدم فقال (يؤمنون بالجبت والطاغوت) يعني بها الصنمين اللذين كانا لقريش وسجدا لهما كعب بن الاشرف
(ويقولون للذين كفروا) ابي سفيان واصحابه (هؤلاء اهدى من الذين آمنوا) محمد واصحابه (سبيلا) اي ديننا عن عكرمة
وجماعة من المفسرين وقيل ان المعنى بالآية حي بن اخطب وكعب بن الاشرف وسلام بن ابي الحقيق وابورافع في
جماعة من علماء اليهود واجبت الأصنام والطاغوت تراجمة الأصنام الذين كانوا يتكلمون بالتكذيب عنها عن
ابن عباس وقيل الجبت الساحر والطاغوت الشيطان عن ابن زيد وقيل الجبت السحر عن مجاهد والشعي وقيل

الجبوت الساحر والطاغوت الكاهن عن ابي العالية وسعيد بن جبير وقيل الجبوت ابليس والطاغوت اولياؤه وقيل هما كما عبد من دون الله من حجر او صورة او شيطان عن ابي عبيدة وقيل الجبوت هنا حي بن اخطب والطاغوت كعب بن الاشرف عن الضحاك وبعض الروايات عن ابن عباس والمراد بالسبيل في الآية الدين واناسي سبيلا لأنه كالطريق في الاستمرار عليه ليؤدي إلى المقصود (او لك) اشارة إلى الذين تقدم ذكرهم (الذين لعنهم الله) اي ابعدهم من رحمته واخزاهم وخذلهم واقصاهم (ومن يلعن الله) اي ومن يلعنه الله (فلن تجدله نصيراً) اي معنا يدفع عنه عقاب الله تعالى الذي اعد له وقيل فلن تجدله نصيراً في الدنيا والآخرة لأنه لا يعتقد بنصرة من ينصره مع خذلان الله اياه

قوله تعالى (٥٢) **أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمَلِكِ فَإِذَا لَا يَأْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا**

(٥٣) **أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ**

وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مَلَكًا عَظِيمًا (٥٤) **فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى**

بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا
ثلاث آيات

❖ اللفظة ❖

التقير من النقر وهو النكت ومنه المنقار لأنه ينقر به والناقور الصور لأنه ينقر فيه بالنفخ المصوت والتقير خشبة ينقر وينبذ فيها وانتقر اختص كما تختص بالنقر واحدا واحدا قال طرفه

نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآرب فيها ينتقر

والحسد تمنى زوال النعمة عن صاحبها لما يلحق من المشقة في نيلها وهو خلاف العبطة لأن العبطة تمنى مثل تلك النعمة لأجل السرور بها لصاحبها وهذا صار الحسد مذموما والعبطة غير مذمومة وقيل ان الحسد من افراط البخل لأن البخل منع النعمة لمشقة بذلها والحسد تمنى زوالها لمشقة نيل صاحبها والعمل فيهما على المشقة بنيل النعمة واصل السعير من السعر وهو ايقاد النار واستعرت النار او الحرب او الشر وسعرتها او اسعرتها والسعر سعر المتاع وسعره تسعيرا وذلك لاسعار السوق يحماها في البيع والساعور كالتنور

❖ الإعراب ❖

ام هذه هي المنقطعة وليست المعادلة اهمزة الاستفهام التي تسمى المتصلة وتقديره بل لهم نصيب من الملك وقال بعضهم ان همزة الاستفهام محذوفة من الكلام لأن ام لا تجيى مبتدأة بها وتقديره اهم اولى بالنبوة ام لهم نصيب من الملك فيلزم الناس طاعتهم وهذا ضعيف لأن حذف همزة انما يجوز في ضرورة الشعر ولا ضرورة في القرآن واذن لم يعمل في يوتون لأنها اذا وقعت بين الفاعل والفعل او بين الواو والفعل جاز أن تقدر متوسطة فتلقى كما يلغى ظننت واخواتها اذا توسطت وتأخرت لأن النية به التأخير فالتقدير فلا يوتون الناس نقيرا واذ لا يلبثون خلافاً الا قليلا اذن ويجوز ان تقدر مستأنفة فتعمل مع حرف العطف ولو قرأ فإذا لا يوتون الناس لجاز لكن القراءة سنة متبعة واذا لاتعمل في الفعل النصب الابشروط اربعة ان تكون جوابا لكلام وان تكون مبتدأة في اللفظ وان لا يكون ما بعدها متعلقا بما قبلها ويكون الفعل بعدها مستقبلا

❖ المعنى ❖

لما بين حكم اليهود بأن المشركين اهدى من النبي (ص) واصحابه بين الله سبحانه ان الحكم ليس اليهم اذ الملك ليس لهم فقال (ام لهم نصيب من الملك) وهذا استفهام معناه الا انكار أي ليس لهم ذلك وقيل المراد بالملك ههنا النبوة عن الجبائي أي لهم نصيب من النبوة فيلزم الناس اتباعهم وطاعتهم وقيل المراد بالملك ما كانت

اليهود تدعيه من ان الملك يعود اليهم في آخر الزمان وانه يخرج منهم من يجدد ملتهم ويدعو إلى دينهم فكذبهم الله تعالى (فاذا لا يوتون الناس تقيرا) أي لو اعطوا الدنيا وملكها لما اعطوا الناس من الحقوق قليلا ولا كثيرا وفي تفسير ابن عباس لو كان لهم نصيب من الملك لما اعطوا محمدا وأصحابه شيئا وقيل انهم كانوا اصحاب بساتين وأموال وكانوا لا يعطون الفقراء شيئا (أم يحسدون الناس) معناه بل يحسدون الناس واختلف في معنى الناس هنا على اقول فقبل أراد به النبي (ص) حسدوه (على ما آتاهم الله من فضله) من النبوة وابتاحة تسع نسوة وميله اليهن وقالوا لو كان نبيا لشغلته النبوة عن ذلك فبين الله سبحانه ان النبوة ليست بدع في آل ابراهيم (ع) (فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة) يعني النبوة وقد آتينا داود وسليمان المملكة وكان لداود تسع وتسعون امرأة وسليمان مائة امرأة وقال بعضهم كان لسليمان الف امرأة سبعائة سرية وثلاثمائة امرأة وكان لداود مائة امرأة فلا معنى لحسدهم محمدا على هذا وهو من اولاد ابراهيم (ع) وهم اكثر تزويجا واوسع مملكة منه عن ابن عباس والضحاك والسدي وقيل لما كان قوام الدين به صار حسدهم له كحسدهم لجميع الناس * وثانيها ان المراد بالناس النبي (ص) وآله عن ابي جعفر (ع) والمراد بالفضل فيه النبوة وفي آله الإمامة وفي تفسير العياشي بأسناده عن ابي الصباح الكناني قال قال ابو عبد الله (ع) يا ابا الصباح نحن قوم فرض الله طاعتنا لنا الانفال وانا صفو المال ونحن الراسخون في العلم ونحن المحسودون الذين قال الله في كتابه ام يحسدون الناس الآية قال والمراد بالكتاب النبوة وبالحكمة الفهم والقضاء وبالمملك العظيم افتراض الطاعة * وثالثها * ان المراد بالناس محمد واصحابه لأنه قد جرى ذكرهم في قوله هو لاء أهدي من الذين آمنوا سيلا ومن فضله من نعمته عن ابي علي الجبائي * ورابعها * ان المراد بالناس العرب اي يحسدون العرب لما صارت النبوة فيهم عن الحسن وقنادة وابن جريج وقيل المراد بالكتاب التوراة والانجيل والزبور وبالحكمة ما اوتوا من العلم وقوله (وآتيناهم ملكا عظيما) المراد بالملك العظيم النبوة عن مجاهد والحسن وقيل المراد بالملك العظيم ملك سليمان عن ابن عباس وقيل ما حل لداود وسليمان من النساء عن السدي وقيل الجمع بين سياسة الدنيا وشرع الدين (فمنهم من آمن به) فيه قولان * احدهما * ان المراد فمن اهل الكتاب من آمن بمحمد (ص) (ومنهم من صد عنه) أي عرض عنه ولم يؤمن به عن مجاهد والزجاج والجبائي ووجه اتصال هذا المعنى بالآية انهم مع هذا الحسد وغيره من أفعالهم القبيحة فقد آمن بعضهم به * والاخر * ان المراد به فمن امة ابراهيم من آمن بابراهيم ومنهم من عرض عنه كما انكم في امر محمد كذلك وليس ذلك بموهن امره كما لم يكن اعراضهم عن ابراهيم موهنا أمر ابراهيم (وكفى بجهنم سعيرا) أي كفى هو لاء المعرضين عنه في العذاب النازل بهم عذاب جهنم نارا موقدة ابقادا شديدا يريد بذلك انه ان صرف عنهم بعض العذاب في الدنيا فقد اعد لهم عذاب جهنم في العقبى

قوله تعالى (٥٥) **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ**
بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (٥٦) **وَالَّذِينَ آمَنُوا**
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ
مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا ظِلْلٌ آياتان

﴿ اللغة ﴾

يقال اصلية النار إذا القيته فيها وصلبته صلياً إذا شويته وشاة مصلية مشوية والصلاء الشواء وصلّى فلان بشر فلان والتبدل التغيير يقال ابتدأت الشيء بالشيء إذا أزات عنها بعين كما قال الشاعر «عزل الأمير بالأمير المبدل» وبدلت بالتشديد إذا غيرت هيئته والعين واحدة يقولون بدلت جبتي قميصاً أي جعلتها قميصاً ذكره المغربي وقد يكون التبديل بأن يوضع غيره موضعه قال الله يوم تبدل الأرض غير الأرض والظل اصله السترا لأنه يستتر من الشمس قال روبة كل موضع تكون فيه الشمس وتزول عنه فهو ظل وفيه وما سوى ذلك فظل ولا يقال فيه فيء والظل الليل كأنه كالستر من الشمس والظلة السترة والظليل الكنين

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر المؤمن والكافر عقبه بذكر الوعد والوعيد على الإيمان والكفر فقال (ان الذين كفروا بآياتنا) أي جحدوا حججنا وكذبوا انبيانا ودفعوا الآيات الدالة على توحيدنا وصدق نبينا (سوف نصليهم ناراً) أي نلزمهم ناراً ونحرقهم فيها ونعذبهم بها ودخلت سوف لتدل على انه يفعل ذلك بهم في المستقبل (كما نصحت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها) قيل فيه اقوال «أحدها» ان الله تعالى يجدد لهم جلوداً غير الجلود التي احترقت على ظاهر القرآن في انها غيرها عن قتادة وجاعة من أهل التفسير واختاره علي بن عيسى ومن قال على هذا ان هذا الجلد المجدد لم يذنب فكيف يعذب من لا يستحق العذاب فجوابه ان المذب الحي ولا اعتبار بالأطراف والجلود وقال علي بن عيسى ان ما يزداد لا يؤلم ولا هو بعض لما يؤلم وإنما هو شيء يصل به الألم إلى المستحق له «وثانيها» ان الله يجدها بأن يردها إلى الحالة التي كانت عليها غير محترقة كما يقال جئتني بغير ذلك الوجه إذا كان قد تغير وجهه من الحالة الأولى كما إذا انكسر خاتم فانتخذ منه خاتماً آخر يقال هذا غير الخاتم الأول وإن كان اصلها واحداً فلي هذا يكون الجلد واحداً وإنما تتغير الأحوال عليه وهو اختيار الزجاج والبلخي وابي علي الجبائي «وثالثها» ان التبديل إنما هو للسراويل التي ذكرها الله تعالى سراويلهم من قطران وسميت السراويل الجلود على سبيل المجاورة للزومها الجلود وهذا ترك للظاهر بغير دليل وعلى القولين الأخيرين لا يلزم سؤال التعذيب بغير العاصي فأما من قال ان الإنسان غير هذه الجملة المشاهدة وانه المذب في الحقيقة فقد تخلف من هذا السؤال وقوله (ليذوقوا العذاب) معناه ليجدوا ألم العذاب وإنما قال ذلك ليبين انهم كالمبتدأ عليهم العذاب في كل حالة فيحسون في كل حالة إنما لكن لا كمن يستمر به الشيء فإنه يصير أخف عليه (ان الله كان عزيزاً) أي لم يزل منيعاً لا يدافع ولا يمانع وقيل معناه انه قادر لا يمنع عليه انجاز ما توعد به او وعده (حكيماً) في تدبيره وتقديره وفي تعذيب من يعذبه وروى الكبي عن الحسن قال بلغنا ان جلودهم تنضج كل يوم سبعين الف مرة (والذين آمنوا) بكل ما يجب الإيمان به (وعملوا الصالحات) أي الطاعات الصالحة الخالصة (سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار) أي من تحت اشجارها وقصورها الأنهار أي ماء الأنهار (خالدين فيها) أي دائمين فيها (أبدانهم فيها أزواج مطهرة) طهرت من الحيض والنفاس ومن جميع المعائب والادناس والاخلاق الدنية والطبائع الردية لا يفعلن ما يوحش أزواجهن ولا يوجد فيهن ما ينفر عنهن (وندخلهم) في ذلك (ظلاً ظليلاً) أي كنيناً ليس فيه حر ولا برد بخلاف ظل الدنيا وقبل ظلاً دائماً لا تنسخه الشمس كما في الدنيا

وقبل ظلامتمكننا قويا كما يقال يوم ابوم ليل اليل وداهية دهايا يصفون الشيء بمثل لفظه إذا أرادوا المبالغة
قوله تعالى (٥٦) إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ
النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا آية
* القراءة *

قد ذكرنا الاختلاف بين القراء في نعماء ووجوه قراءتهم وحججها في سورة البقرة

* اللفظة *

يقال ادبت الشيء تأدية وقد يوضع الاداء موضع التأدية فيقام الاسم مقام المصدر والسميع وهو من
كان على صفة يجب لأجلها ان يسمع المسموعات إذا وجدت والبصير من كان على صفة يجب لأجلها ان
يبصر المبصرات اذا وجدت والسامع هو المدرك للمسموعات والمبصر هو المدرك للمبصرات ولهذا يوصف
القديم فيما لم يزل بأنه سميع بصير ولا يوصف في القدم بأنه سميع مبصر

* الاعراب *

قوله نعماء يعظكم به تقديره نعم شيئا شيئا يعظكم به فيكون شيئا تبيينا لاسم الجنس المضمر الذي هو فاعل
نعم والمخصوص بالمدح قد حذف واقامت صفته مقامه وقوله نعماء يعظكم به جملة في موضع رفع بأنه خبر ان

* المعنى *

ثم امر سبحانه باداء الأمانة فقال (ان الله يأمركم) : (أن تؤدوا الأمانات إلى اهلها) قيل في المعنى بهذه
الآية أقوال « احدها » انها في كل من اوتمن امانة من الأمانات وأمانات الله وأمره ونواهيها وأمانات عباده
فما ياتن بعضهم بعضا من المال وغيره عن ابن عباس وابي بن كعب وابن مسعود والحسن وقتادة وهو
المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) « وثانيها » ان المراد به ولاة الأمر أمرهم الله ان يقوموا برعاية
الرعية وحملهم على موجب الدين والشريعة عن زيد بن اسلم ومكحول وشهر بن خوشب وهو اختيار الجبائي
ورواه أصحابنا عن ابي جعفر الباقر وابي عبد الله الصادق قالوا أمر الله تعالى كل واحد من الأئمة ان يسلم
الأمر إلى من بعده، وبعضه انه سبحانه أمر الرعية بعد هذا بطاعة ولاة الأمر وروي عنهم أنهم قالوا آياتان احدهما
لنا والأخرى لكم قال الله ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى اهلها الآية وقال يأبها الذين آمنوا اطيعوا
الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم الآية وهذا القول داخل في القول الأول لأنه من جملة ما ائتمن الله
عليه الأئمة الصادقين ولذلك قال ابو جعفر (ع) ان أداء الصلاة والزكاة والصوم والحج من الأمانة ويكون من
جملتها الأمر لولاية الأمر بقسم الصدقات والغنائم وغير ذلك مما يتعلق به حق الرعية وقد عظم الله سبحانه أمر
الأمانة بقوله يعلم خائنة الأعين وقوله لا تخونوا الله والرسول وقوله ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار
يوثده اليك الآية « وثالثها » انه خطاب للنبي (ص) برد مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة حين قبض منه المفتاح
يوم فتح مكة وأراد ان يدفعه الى العباس لتكون له الحجابة والسقاية عن ابن جريج والمول على ما تقدم وان
صح القول الأخير والرواية فيه فقد دل الدليل على ان الأمر اذا ورد على سبب لا يجب قصره عليه بل
يكون على عمومها (واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) أمر الله الولاة والحكام ان يحكموا بالعدل
والنصفه ونظيره قوله يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق وروي ان النبي (ص)

قال لعلي سو بين الخصمين في لحظك ولفظك وورد في الآثار ان الصبيين ارتفعا الى الحسن بن علي في خط كتابه وحكماءه في ذلك ليحكم اي الخطين أجود فبصر به علي فقال يا بني انظر كيف تحكم فإن هذا حكم والله سائلك عنه يوم القيامة (ان الله نعا يعظكم به) أي نعم الشيء ما يعظكم به من الامر برد الأمانة والنهي عن الخيائة والحكم بالعدل ومعنى الوعظ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقيل هو الامر بالخير والنهي عن الشر (ان الله كان سميعا) بجميع السمعات و(بصيرا) بجميع المبصرات وقيل معناه عالم بأقوالكم وافعالكم وأدخل كان تنبيها على ان هذه الصفة واجبة له فيما لم يزل

قوله تعالى (٥٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا آية

المعنى

لما بدأ في الآية المتقدمة بحث الولاية على تأدية حقوق الرعية والنسفة والتسوية بين البرية ثناء في هذه الآية بحث الرعية على طاعتهم والاقتراء بهم والرد اليهم فقال (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله) أي الزموا طاعة الله سبحانه فيما امركم به ونهاكم عنه (واطيعوا الرسول) أي والزموا طاعة رسوله (ص) ايضا وإنما افرد الامر بطاعة الرسول وإن كانت طاعته مقترنة بطاعة الله مبالغة في البيان وقطعا لتوهم من توهم انه لا يجب لزوم ما ليس في القرآن من الأوامر ونظيره قوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وما ينطق عن الهوى وقيل معناه اطيعوا الله في الفرائض واطيعوا الرسول في السنن عن الكلبي والاول اصح لأن طاعة الرسول هي طاعة الله وامثال اوامره امثال أوامر الله واما المعرفة بأنه رسول الله فهي معرفة برسائته ولا يتم ذلك إلا بعد معرفة الله وليست احدهما هي الأخرى وطاعة الرسول واجبة في حياته وبعد وفاته لأن اتباع شريعته لازم بعد وفاته لجميع المكلفين ومعلوم ضرورة انه دعا اليها جميع العالمين إلى يوم القيامة كما علم انه رسول الله اليهم أجمعين وقوله (وأولي الامر منكم) للمفسرين فيه قولان * احدهما * انهم الأمراء عن ابي هريرة وابن عباس في احدي الروايتين وميمون ابن مهران والسدي واختاره الجبائي والبلخي والطبري « والاخر » انهم العلماء عن جابر بن عبد الله وابن عباس في الرواية الأخرى ومجاهد والحسن وعطاء وجماعة وقال بعضهم لأنهم الذين يرجع اليهم في الاحكام ويجب الرجوع اليهم عند التنازع دون الولاية واما اصحابنا فانهم رووا عن الباقر والصادق (ع) ان اولي الأمر هم الأئمة من آل محمد اوجب الله طاعتهم بالاطلاق كما اوجب طاعته وطاعة رسوله ولا يجوز ان يوجب الله طاعة احد على الاطلاق إلا من ثبتت عصمته وعلم ان باطنه كظاهره وأمن منه الغلط. والامر بالتبعية وليس ذلك بحاصل في الأمراء ولا العلماء سواهم جل الله ان يأمر بطاعة من يعصيه أو بالانقياد للمختلفين في القول والفعل لأنه محال ان يطاع المختلفون كما انه محال ان يجتمع ما اختلفوا فيه ومما يدل على ذلك ايضا ان الله تعالى لم يقرن طاعة اولي الامر بطاعة رسوله كما قرن طاعة رسوله بطاعته الا واولو الامر فوق الخلق جميعا كما ان الرسول فوق اولي الامر وفوق سائر الخلق وهذه صفة ائمة الهدى من آل محمد (ص) الذين ثبتت إمامتهم وعصمتهم واتفقت الأمة على علو رتبتهم وعدالتهم (فإن تنازعتم في شئ فردوه

إلى الله والرسول) معناه فإن اختلفتم في شيء من أمور دينكم فرددوا التنازع فيه إلى كتاب الله وسنة الرسول وهذا قول مجاهد وقتادة والسدي ونحن نقول الرد إلى الأئمة القائمين مقام الرسول بعد وفاته وهو مثل الرد إلى الرسول في حياته لأنهم الحافظون لشريعته وخلفاؤه في أمته فجزوا مجراه فيه ثم أكد سبحانه ذلك وعظمه بقوله (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) فما أبين هذا وأوضحه (ذلك) إشارة إلى طاعة الله وطاعة رسوله وأولي الأمر والرد إلى الله والرسول (خير لكم واحسن تأويلا) أي احمد عاقبة عن قتادة والسدي وابن زيد قالوا لأن التأويل من آل يؤول إذا رجع والمآل المرجع والعاقبة سمي تأويلا لأنه مآل الأمر وقيل معناه احسن جزاء عن مجاهد وقيل خير لكم في الدنيا واحسن عاقبة في الآخرة وقيل معناه احسن من تأويلكم انتم إياه من غير رد إلى اصل من كتاب الله وسنة نبيه عن الزجاج وهو الأقوى لأن الرد إلى الله ورسوله ومن يقوم مقامه من المعصومين أحسن لا محالة من تأويل بغير حجة واستدل بعضهم بقوله فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول على ان اجماع الأمة حجة بأن قالوا إنما وجب الله الرد إلى الكتاب والسنة بشرط وجود التنازع فدل على انه إذا لم يوجد التنازع لا يجب الرد ولا يكون كذلك إلا والاجماع حجة وهذا الاستدلال إنما يصح لو فرض ان في الأمة معصوماً حافظاً للشرع فأما إذا لم يفرض ذلك فلا يصح لأن تعليق الحكم بشرط أو صفة لا يدل على ان ما عداه بخلافه عند أكثر العلماء فكيف اعتمدوا عليه ههنا على ان الأمة لا تجمع على شيء إلا عن كتاب أو سنة وكيف يقال انها إذا اجتمعت على شيء لا يجب عليها الرد إلى الكتاب والسنة وقدرت اليها

قوله تعالى (٦٠) ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً (٦١) وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً آياتان

✽ اللغة ✽

الطاغوت ذو الطغيان على جهة المبالغة في الصفة فكل من يعبد من دون الله فهو طاغوت وقد يسمى به الاوثان كما يسمى بأنه رجس من عمل الشيطان ويوصف به ايضا كل من طغى بأن حكم بخلاف حكم الله واصل الضلال الهلاك بالعدول عن الطريق المؤدي إلى البغية لأنه ضد الهدى الذي هو الدلالة على الطريق المؤدي إلى البغية وله تصرف كثير يرجع جميعه إلى هذه النكتة ذكرناها في سورة البقرة عند قوله وما يضل به إلا الفاسقين وتعالوا اصله من العلو فإذا قلت لغيرك تعال فمعناه ارتفع اليّ وصددت الأصل فيه ان لا يتعدى تقول صددت عن فلان اصد بمعنى أعرضت عنه ويجوز صددت فلانا عن فلان بالتعدي لأنه دخله معنى منعه عنه ومثله رجعت انا ورجعت غيري لأنه دخله معنى رددته

✽ الاعراب ✽

صدودا نصب على المصدر على وجه التأكيد للفعل كقوله وكلم الله موسى تكليماً والمعنى انه ليس ذلك على بيان مثل الكلام بل حكمه في الحقيقة وقيل في معنى تكليماً انه كلمة تكليماً شريفاً عظيماً فيمكن تقدير مثل

ذلك في الآية أي يصدون عنك صدوداً عظيماً

التزول

كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة فقال اليهودي احاكم الى محمد لأنه علم انه لا يقبل الرشوة ولا يجور في الحكم فقال المنافق لا بل بيني وبينك كعب بن الأشرف لأنه علم انه يأخذ الرشوة فنزلت الآية عن أكثر المفسرين

المعنى

لما أمر الله أولي الأمر بالحكم والعدل وأمر المسلمين بطاعتهم وصل ذلك بذكر المنافقين الذين لا يرضون بحكم الله ورسوله فقال (ألم تر) أي ألم تعلم وقبل انه تعجب منه أي ألم تعجب من صنيع هؤلاء وقيل ألم ينته عملك الى هؤلاء (الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك) من القرآن (وما أنزل من قبلك من التوراة والانجيل يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت) يعني كعب بن الأشرف عن ابن عباس ومجاهد والريبع والضحاك وقيل انه كاهن من جبهة أراد المنافق ان يتحاكم اليه عن الشعبي وقناة وقيل اراد به ما كانوا يتحاكمون فيه إلى الأوثان بضرب القداح عن الحسن وروى اصحابنا عن السيدين الباقر (ع) والصادق (ع) ان المعنى به كل من يتحاكم اليه معن يحكم بغير الحق (وقد امروا ان يكفروا به) يعني به قوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها (ويريد الشيطان) بماز ين لهم (ان يضلهم ضلالاً بعيداً) عن الحق نسب اضلالهم الى الشيطان فلو كان الله قد اضلهم بخاق الضلالة فيهم على ما يقوله المجبرة لنسب اضلالهم الى نفسه دون الشيطان تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً (واذا قيل لهم أي المنافقين تعالوا الى ما أنزل الله في القرآن من الاحكام (والى الرسول) في حكمه (رأيت) يا محمد (المنافقين يصدون عنك صدوداً) أي يعرضون عنك أي عن المصير اليك الى غيرك اعراضاً

قوله تعالى (٦٢) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (٦٣) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (آياتان)

اللفظة

الحلف القسم ومنه الحليف لتحالفهم فيه على الامر واصل البلاغة البلوغ يقال بلغ الرجل بالقول يبلغ بلاغة فهو بليغ اذا صار يبلغ بعبارة كثيرة من ما في قلبه ويقال احق بلغ وبلغ اذا كان مع حماقة يبلغ حيث يريد وقيل معناه قد بلغ في حماقة

الاعراب

موضع كيف رفع بانه خبر مبتدأ محذوف والتقدير فكيف صنعهم اذا اصابتهم مصيبة فكأنه قال الاساءة صنعهم بالجرأة على كذبهم ام الإحسان صنعهم بالتوبة من جرمهم ويجوز ان يكون موضع كيف نصباً وتقديره كيف يكونون امصريين ام تائبين يكونون ولو قلت انه رفع على معنى كيف بك كأنه قال اصلاح بك ام فساد بك فيكون مبتدأ محذوف الخبر ويحذفون في موضع نصب على الحال وان اردنا الا احساناً

جواب القسم واحسانا مفعول به اي اردنا احسانا

✽ المعنى ✽

ثم عطف تعالى على ما تقدم بقوله (فكيف) صنيع هو لاء (اذا اصابته مصيبة) اي نالتهم من الله عقوبة (بما قدمت ايديهم) بما كسبت ايديهم من النفاق و اظهار السخط لحكم النبي (ثم جاءوك) يا محمد (يحلفون) يسمون بالله (ان اردنا الا احسانا) اي ما اردنا بالتحاكم الى غيرك الا التخفيف عنك فاننا نختشمك برفع الصوت في مجلسك وتقتصر على من يتوسط لنا برضاء الخصمين دون الحكم المورث للضغائن فقوله الا احسانا اي احسانا الى الخصوم (وتوفيقا) بينهم بالتماس التوسعة دون الحمل على ص الحكم و اراد بالتوفيق الجمع والتأليف وقيل توفيقا اي طلبا لما يوافق الحق وقيل ان المعنى بالآية عبد الله بن ابي والمصيبة ما اصابه من الذل برجعتهم من غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع حين نزلت سورة المنافقين فاضطر الى الخشوع والاعتذار وسندك ذلك ان شاء الله في سورة المنافقين او مصيبة الموت لما تضرع الى رسول الله في الإقالة والاستغفار واستوجه ثوبه ليتقي به النار يقولون ما اردنا بالكلام بين الفريقين المتنازعين بني المصطلق ذكره الحسين بن علي المغربي وفي الآية دلالة على انه قد تصيب المصيبة بما يكتسبه العبد من الذنوب ثم اختلف في ذلك فقال ابو علي الجبائي لا يكون ذلك الا عقوبة الا في النائب وقال ابو هاشم يكون ذلك لطفًا وقال القاضي عبد الجبار قد يكون ذلك لطفًا وقد يكون جزاء وهو موقوف على الدليل (او لك الذين يعلم الله ما في قلوبهم) من الشرك والنفاق والحياة (فأعرض عنهم) اي لا تعاقبهم (وعظهم) بلسانك (وقل لهم في انفسهم قولا بليغا) اي قل لهم ان اظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قتلتم فهذا هو القول البليغ لانه يبلغ من نفوسهم كل مبلغ عن الحسن وقيل معناه فأعرض عن قبول الاعتذار منهم وعظهم مع ذلك وخوفهم بمكراهه تنزل بهم في انفسهم ان عادوا لمثل ما فعلوه عن ابي علي الجبائي وفي قوله وقل لهم في انفسهم قولا بليغا دلالة على فضل البلاغة وحث على اعتمادها باوضح بيان لكونها احد اقسام الحكمة لما فيها من بلوغ المعنى الذي يحتاج الى التفسير باللفظ الوجيز مع حسن الترتيب

قوله تعالى (٦٤) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (آية)

✽ الاعراب ✽

ما في قوله وما ارسلنا الى فيه فلذلك قال من رسول لان من لا تزداد في الايجاب وزيادتها تؤذن باستغراق الكلام كقولك ما جاءني من احد ولو موضوعة للفعل لما فيها من معنى الجزاء تقول لو كان كذا لكان كذا ولا تأتي بعدها الا ان خاصة وانما اجيز في ان خاصة ان تقع بعدها لانها كالفعل في افادة التأكيد فموضع ان بعد لو مع اسمها وخبرها رفع بكونه فاعل الفعل المضمربعد لو وتقديره لو وقع انهم جاءوك وقت ظلمهم انفسهم اي لو وقع مجيئهم

✽ المعنى ✽

ثم لامهم سبحانه على ردهم امره وذكر ان غرضه من البعثة الطاعة فقال (وما ارسلنا من رسول) اي لم ترسل

رسولا من رسلنا (الاي طاع) عني به ان الغرض من الارسال ان يطاع الرسول وتمثيل بما يأمر به وانما اقتضى ذكر طاعة الرسول هنا ان هؤلاء المنافقين الذين يتحاكمون الى الطاغوت زعموا انهم يؤمنون به واعرضوا عن طاعته فبين الله انه لم يرسل رسولا الا ليطاع وقيل (باذن الله) اي بأمر الله الذي دل به على وجوب طاعتهم والاذن على وجوه * احدها * يكون بمعنى اللطف كقوله وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله - «وثانيها» - بمعنى التخلية كقوله تعالى وما هم بضارين به من احد الا باذن الله - «وثالثها» - بمعنى الأمر كما في الآية (ولو انهم اذ ظلموا انفسهم) اي بخسوها حقه باذخال الضرر عليها بفعل المعصية من استحقاق العقاب وتقويت الثواب بفعل الطاعة وقيل ظلموا انفسهم بالكفر والنفاق (جاءوك) تائبين مقبلين عليك مؤمنين بك (فاستغفروا الله) لذنوبهم ونزعوا عما هم عليه (واستغفروا لهم الرسول) رجع من لفظ الخطاب في قوله جاءوك الى لفظ الغيبة جريا على عادة العرب المألوفة واستغفرت لهم يا محمد ذنوبهم اي سألت الله ان يغفر لهم ذنوبهم (لوجدوا الله) هذا يحتمل معنيين - «احدها» - لوجدوا مغفرة الله لذنوبهم ورحمته اياهم - «والثاني» - لعلوا الله توابا رحيميا والوجدان يكون بمعنى العلم وبمعنى الادراك فلا يجوز ان يكون على ظاهره هنا بمعنى الادراك لانه سبحانه غير مدرك في نفسه (توابا) اي قابلا لتوبتهم (رحيميا) بهم في التجاوز عما قد سلف منهم وفي قوله وما ارسلنا من رسول الا ليطاع او كد دلالة على بطلان مذهب المجبرة والقائلين بان الله يريد ان يعصي انبياءه قوم وبطبعهم آخرون وذكر الحسن في هذه الآية ان اثني عشر رجلا من المنافقين ائتمروا فيما بينهم واجتمعوا على امر مكيدة لرسول الله فأتاه جبرائيل فاخبره بها فقال علي (ع) ان قوما دخلوا يريدون امرا لا ينالونه فليقوموا وليستغفروا الله وليعترفوا بذلك حتى اشفع لهم فلم يقوموا فقال رسول الله (ص) مرارا لا تقومون فلم يقم احد منهم فقال (ص) قم يا فلان قم يا فلان حتى عد اثني عشر رجلا فقاموا وقالوا كنا عزمنا على ما قلت ونحن نتوب الى الله من ظلمنا فاشفع لنا فقال الا ان اخرجوا عني انا كنت في اول امركم اطيب نفسا بالشفاعة وكان الله اسرع الى الاجابة فخرجوا عنه حتى لم يره وفي الآية دلالة على ان مرتكب الكبيرة يجب عليه الاستغفار فان الله سيتوب عليه بأن يقبل توبته ويدل ايضا على ان مجرد الاستغفار لا يكفي مع كونه مصرا على المعصية لانه لم يكن يستغفر لهم الرسول ما لم يتوبوا بل ينبغي ان يتوب ويندم على ما فعله ويعزم في القلب على ان لا يعود ابدا الى مثله ثم يستغفر الله باللسان ليتوب الله عليه

قوله تعالى (٦٥) فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحْكِمُوا فِي شَجَرِ بَيْنِهِمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي

أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (آية)

* اللغة *

شجر الأمر شجراً وشجوراً اذ اختلط وشاجره في الامر إذا نازعه وتشاجروا فيه وكل ذلك لتداخل كلام بعضهم في بعض كتداخل الشجر بالتفافه واصل الحرج الضيق وفي الحديث حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج اي لا ضيق وقيل لا اثم

* الاعراب *

لادخلت في اول الكلام لانها رد لكلام فكانه قيل فليس الامر كما تزعمون انهم آمنوا وهم يخالفون حكمك ثم استأنف القسم فقال وربك لا يؤمنون وقيل ان لا ههنا توطئة للنفي الذي يأتي فيما بعد لأن

ذكر النفي في اول الكلام وآخره او كد فإن النفي يقتضي ان يكون له صدر الكلام وقد اقتضى القسم ان يكون النفي في الجواب وتسليما مصدر مؤكّد والمصادر المؤكّدة بمنزلة ذكر كالفعل ثانيا ومن حق التوكيد ان يكون محققا لما تذكره في صدر كلامك فإذا قلت ضربت ضربا فمعناه احدثت ضربا حقه حقا

—* النزول *

قبل نزلت في الزبير ورجل من الانصار خاصمه الى النبي (ص) في شراج من الحرة كانا يستقيان بها النخل كلاهما فقال النبي للزبير اسق ثم ارسل الى جارك ففضب الانصاري وقال يا رسول الله لئن كان ابن عمك فتلون وجه رسول الله (ص) ثم قال الزبير اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجذور واستوف حقتك ثم ارسل الى جارك وكان رسول الله (ص) أشار الى الزبير برأي فيه السعة ولخصمه فلما احفظ رسول الله استوعب للزبير حقه في صريح الحكمه ويقال ان الرجل كان حاطب بن ابي بلتعة قال الراوي ثم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن كان القضاء يا ابا بلتعة قال قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن لذلك يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يزعمون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم واهم الله لقد اذنبنا مرة واحدة في حياة موسى فدعانا موسى الى التوبة فقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله يعلم مني الصدق ولو امرني محمد ان اقتل نفسي لفعلت فانزل الله في شأن حاطب بن ابي بلتعة وله شدقه هذه الآية وقال الشعبي نزلت في قصة بشر المنافق واليهودي اللذين اختصما الى عمر وقد مضى ذكرها

* المعنى *

ثم بين الله ان الايمان إنما هو بالتزام حكمه رسول الله والرضا به فقال (فلا) اي ليس كما تزعمون انهم يؤمنون مع محاكمتهم الى الطاغوت (وربك لا يؤمنون) اقسام الله ان هؤلاء المنافقين لا يكونون مؤمنين ولا يدخلون في الايمان (حتى يحكوك) اي حتى يبعثوك حكما او حاكما (فيما شجر بينهم) اي فيما وقع بينهم من الخصومة والتبس عليهم من احكام الشريعة (ثم لا يجدوا في انفسهم) اي في قلوبهم (حرجا) اي شك في ان ما قلته حق عن مجاهد وقيل إنما اي لا يأتون بانكار ذلك عن الضحك وقيل ضيقا بشك او ثم عن ابي علي الجبائي وهو الوجه (ما قضيت) اي حكمت (ويسلموا تسليما) اي ينقادوا لحكمك اذعانا لك وخضوعا لا مرك ورويه عن الصادق (ع) انه قال لو ان قوما عبدوا الله واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وصاموا شهر رمضان وحجوا البيت ثم قال لشيء صنعه رسول الله الا صنع خلاف ما صنع او وجدوا من ذلك حرجا في انفسهم لكانوا مشركين ثم تلا هذه الآية

قوله تعالى (٦٦) وَلَوْ اَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ اَنْ اَقْتُلُوا اَنْفُسَكُمْ اَوْ اَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ اِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ اَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاَشَدَّ نَتِيبًا (٦٧) وَاِذَا لَاتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا اَجْرًا عَظِيمًا (٦٨) وَلَهْدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ثلاث آيات

* القراءة *

قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر والكسائي ان اقتلوا بضم النون واخرجوا بضم الواو وقرأ عاصم وحمزة

بكسرها وقرأ ابو عمرو بكسر النون وضم الواو وقرأ ابن عامر وحده الا قليلا بالنصب وهو كذلك في مصاحف أهل الشام وقرأ الباقون بالرفع

✽ الحجة ✽

قال ابو علي اما فصل ابي عمرو بين الواو والنون فلان الضم بالواو احسن لانها تشبه واو الضمير والجمهور في واو الضمير على الضم نحو لا تنسوا الفضل بينكم وقال وإنما ضمت النون لانها مكان الهمزة التي ضمت لضم الحرف الثالث فجعلت بمنزلتها وان كانت منفصلة وفي الواو هذا المعنى والمعنى الذي اشرنا اليه من مشابهته واو الضمير والضممة في سائر هذه احسن لانها في موضع الهمزة قال ابو الحسن وهي لغة حسنة وهي اكثر في الكلام واقيس ووجه قول من كسر ان هذه الحروف منفصلة من الفعل المضموم الثالث والهمزة متصلة بها فلم يجزوا المنفصل مجرى المتصل قال والوجه في قوله الا قابل الرفع على البدل فكأنه قال ما فعله الا قليل فان معنى ما اتاني احد الا زيد وما اتاني الا زيد واحد ومن نصبه فإنه جعل النفي بمنزلة الايجاب فان قولك ما اتاني احد كلام تام كما ان جاء في القوم كذلك فنصب مع النفي كما نصب مع الايجاب

= الإعراب =

لو يمنع بها الشيء لا يمنع غيره تقول لو اتاني زيد لا كرمته فالمعنى ان اكرامي امتنع لا تمنع اتيان زيد فحقها ان يليها الفعل فالتقدير هنا لو وقع كتبنا عليهم ويجوز ان يكون ان الشديدة كما نابت عن الاسم والخبر في قولك حسبت ان زيدا عالم نابت هنا عن الفعل والاسم فيكون المعنى في قوله ولو انا كتبنا عليهم كالمعنى في لو كتبنا عليهم اذن دخلت هنا لتدل على معنى الجزاء ومعنى اذن جواب وجزاء وهي تقع متقدمة ومتوسطة ومناخرة وإنما تعمل متقدمة خاصة الا ان يكون الفعل بعدها للحال نحو اذن اظنك خارجا واللام في قوله لا آتيانهم ولهديتانهم اللام التي تقع في جواب لو كما تقع في جواب القسم في قول امرؤ القيس

حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فما إن من حديث ولاصال

والفرق بين لام الجواب ولام الابتداء ان لام الابتداء لا تدخل الا على الاسم المبتدأ الا في باب ان خاصة فإنها تدخل على يفعل لمضارعه الاسم وتقول اعلمت ان زيدا ليقوم فيكون ان زيدا ليقوم فنكسر ان الاولى لأن علمت صارت متعلقة باللام في ليقوم فإنها لام الابتداء اخرت عن الخبر لئلا يجتمع حرفان متفقان في المعنى وتفتح أن الثانية لأنها لام الجواب فاعرفه فإنه من دقائق النحو واسراره صراطا مفعول ثان لهديتانهم

= المعنى =

ثم اخبر سبحانه عن سرائر القوم فقال (ولو انا كتبنا) اي اوجبنا (عليهم) اي على هؤلاء الذين تقدم ذكرهم (ان اقتلو انفسكم او اخرجوا من دياركم) كما اوجبنا على قوم موسى والزمناهم ذلك فقتلوا انفسهم وخرجوا الى التيه (ما فعلوه) اي ما فعله هؤلاء للمشقة التي لا يتحملها الا المخلصون (الا قليل منهم) قيل ان القليل الذي استثنى الله هو ثابت بن قيس بن شاس وقيل هو جماعة من أصحاب رسول الله قالوا والله لو أمرنا لقتلنا فالحمد لله الذي عافانا ومنهم عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر فقال النبي ان من امتي لرجالا الايمان في قلوبهم اثبت من الجبال الرواسي (ولو انهم فعلوا ما يوعدون به) اي ما يؤمرون به (لكان) ذلك (خيبر اثم واشد ثبيتا)

اي بصيرة في امر الدين كنى عن البصيرة بهذا اللفظ لأن من كان على بصيرة من امر دينه كان ذلك ادعى له الى الثبات عليه وكان هو اقوى في اعتقاد الحق وادوم عليه ممن لم يكن على بصيرة منه وقيل معناه ان قبولهم وعظ الله ووعظ رسوله في امور الدين والدنيا اشد تثبيتها لهم على الحق والصواب وامنع لهم من الضلال وابعدهم عن الشبهات كما قال والذين اهتدوا زادهم هدى وقيل ان معناه واكثر انتفاعا بالحق لأن الانتفاع بالحق يدوم ولا يبطل لأنه يتصل بثواب الآخرة والانتفاع بالباطل يبطل وبضمحل ويتصل بعقاب الآخرة قال البلخي معنى الآية لو فرض عليهم القتل او الخروج من الديار لم يفعلوا فإذا لم يفرض عليهم فليفعلوا ما امروا به مما هو اسهل عليهم منه فإن ذلك خبير لهم واشد تثبيتها لهم على الايمان وفي الدعاء اللهم ثبتنا على دينك ومعناه الطف لنا ما ثبتت معه عليه (واذا لا تبناهم) هذا متصل بما قبله اي ولو انهم فعلوا ذلك لا تبناهم اي لا اعطيناهم (من لدنا) اي من عندنا (اجراً عظيماً) لا يبلغ احد كنهه ولا يعرف منتهاه ولا يدرك قصواه وإنما ذكر من لدنا تأكيداً بأنه لا يقدر عليه غيره وليلد على الاختصاص فإن الاجر يجوز ان يصل الى المثاب على يد بعض العباد فإذا وصل الثواب اليه بنفسه كان اشرف للعبد وابلغ في النعمة (ولهديناهم صراطاً مستقيماً) اي ولتثبتناهم مع ذلك على الطريق المستقيم وقيل معناه بما نفعله من اللطاف التي يشبتون معها على الطاعة وبارزمون الاستقامة وتقديره ووقفناهم للثبات على الصراط المستقيم وقيل معناه ولهديناهم في الآخرة الى طريق الجنة عن ابي علي الجبائي قال ولا يجوز ان تكون الهداه هنا الا ارشاد الى الدين لأنه سبحانه وعد بها المؤمن المطيع ولا يكون كذلك الا وقد اهتدى

قوله تعالى (٦٩) وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا (٧٠) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا (آيات)

اللغة

الصديق المداوم على التصديق بما يوجبه الحق وقيل الصديق الذي عادته الصدق وهذا البناء يكون لمن غلب على عادته فعل يقال للملازم السكر سكير وللملازم الشرب شريب والشهداء جمع شهيد وهو المقتول في سبيل الله وليست الشهادة في القتل الذي هو معصية لكنها حال المقتول في اخلاص القيام بالحق لله مقراً وداعياً اليه وهي من اسماء المدح ويجوز للمرء ان يتمناها ولا يجوز ان يتمنى قتل الكافر إياه لأنه معصية وقيل الشهادة هي الصبر على ما امر الله به من قتال عدوه فأما الصبر على الأثم بترك الأثمين فليس بواجب وليس الأثمين بممنوع عنه بل هو مباح إذا لم يقل ما يكرهه الله تعالى والصالح من استقامت نفسه بحسن عمله والرفيق صاحب وهو مشتق من الرفق في العمل وهو الارتفاق فيه ومنه المرافقة والمرفق من اليد بكسر الميم لأنه يرتفق به وقوله ويهيئك من أسركم صرفاً أي رفقاً يصلح به أسركم والفضل في أصل اللغة هو الزيادة على المقدار وقد استعمل في النفع أيضاً وأفعال الله تعالى كلها فضل وتفضل وافضل لأنه لا يقتصر بالعبد على مقدار ما يستحق بمثل عمله فيما بين الناس بل هو يزيد عليه زيادات كثيرة ولا يجري ذلك على طريق المساواة

الاعراب

رفيقاً نصب على التمييز ولذلك لم يجمع فكأنه قال حسن أولئك رفيقاً وقيل انه لم يجمع لأن المعنى

حسن كل أحد منهم رفيقاً كقوله سبحانه ثم يخرجكم طفلاً وقال الشاعر

نصبين الهوى ثم ارتمين قلوبنا بأعين اعداء وهن صدوق

وقيل انه نصب على الحال فإنه قد يدخل من في مثله فإذا اسقطت من فالحال هو الاختيار لأنه من الصفات الداخلة في اساء الأجناس قد يكون للتوحيد لما دخله من بمعنى حسن كل واحد منهم مرافقاً ونظيره لله دره فارساً أي في حال الفروسية

- النزول -

قيل نزلت في ثوبان مولى رسول الله (ص) وكان شديد الحب لرسول الله (ص) قليل الصبر عنه فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه فقال (ص) يا ثوبان ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بي من مرض ولا وجع غير أنني إذا لم أراك اشتقت اليك حتى القالك ثم ذكرت الآخرة فأخاف أنني لا أراك هناك لأنني عرفت أنك ترفع مع النبيين وإني إن ادخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك وإن لم ادخل الجنة فذاك حين لا أراك أبداً فنزلت الآية ثم قال (ص) والذي قسمي بيده لا يؤمنن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وأبويه وأهله وولده والناس أجمعين وقيل ان اصحاب رسول الله (ص) قالوا ما ينبغي لنا ان نأرقك فإننا لا نراك إلا في الدنيا وأما في الآخرة فإنك ترفع فوقنا بفضلك فلا نراك فنزلت الآية عن قتادة ومسروق الاجدع

= المعنى =

ثم بين سبحانه حال المطيعين فقال (ومن يطع الله) بالانقياد لأمره ونهيه (والرسول) بتابع شريعته والرضا بحكمه (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم) في الجنة ثم بين المنعم عليهم فقال (من النبيين والصدّيقين) يريد انه يستمتع برؤية النبيين والصدّيقين وزيارتهم والحضور معهم فلا ينبغي ان يتوهم من اجل انهم في اعلى عليين انه لا يراهم وقيل في معنى الصدّيق انه المصدق بكل ما أمر الله به وبأنبيائه لا يدخله في ذلك شك وبوأيده قوله والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصدّيقون والشهداء يعني المقتولين في الجهاد وإنما سمي الشهيد شهيداً لقيامه بشهادة الحق على جهة الإخلاص واقرار به ودعائه اليه حتى قتل وقيل وإنما سمي شهيداً لأنه من شهد الآخرة على الناس وإنما يشهدهم الله بفضلهم وشرفهم فهم عدول الآخرة عن الجاهلي وقال الشيخ ابو جعفر (رض) هذا لا يصح على مذهبه فعنده لا يجوز ان يدخل الجنة إلا من هو عدل والله سبحانه وتقدس وعدمه يطيعه بأنه يحشره مع هؤلاء وينبغي ان يكون الموعود له غير الموعود بالكون معه وإلا فيصير التقدير انهم مع نفوسهم (والصالحين) معناه صلحاء المؤمنين الذين لم تبلغ درجاتهم درجة النبيين والصدّيقين والشهداء والصالح الفاعل للصلاح الملازم له المتمسك به ويقال هو الذي صلحت حاله واستقامت طريقته والمصلح الفاعل لما فيه الصلاح ولذلك يجوز المصلح في صفات الله تعالى ولا يجوز الصالح وإنما يقال رجل صالح او مصلح لأنه يصلح نفسه وعمله (وحسن أولئك رفيقاً) معناه من يكون هؤلاء رفقاء له فاحسن بهم من رفيق او فما احسنهم من رفيق وقدر معناه واعرابه وروى ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) انه قال يا ابا محمد لقد ذكركم الله في كتابه ثم تلا هذه الآية وقال فالنبي رسول الله (ص) ونحن الصدّيقون والشهداء وأنتم الصالحون فتسموا بالصلاح كما سماكم الله تعالى (ذلك) إشارة إلى أن الكون مع النبيين والصدّيقين (الفضل من الله) تفضل به على من أطاعه (وكفى بالله علماً) بالعصاة والمطيعين والمتأقنين والمخلصين ومن يصلح لمرافقة هؤلاء ومن لا يصلح لأنه يعلم خائنة الأعين وقيل معناه حسبك به علماً بكيفية جزاء المطيعين على حقه وتوفير الحظ فيه

قوله تعالى (٧١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا (آية)

﴿ اللّغة ﴾

الحذر والحذر لغتان مثل الاذن والاذن والمثل والمثل والنفر الخروج إلى الغزو وأصله الفزع قريبنفر قورأفزع
وقر اليه فزع من امر اليه والنفر جماعة تفزع إلى مثلها والمنافرة المحاكمة للفزع إليها فيما تختلف فيه وقيل إنما
سميت بذلك لأنهم يسألون الحاكم عند التنافر أبنا أعز نفراً والثبات جماعات في تفرقة واحديتها ثبة قال ابو ذؤيب
فلما اجتلاها بالايام تحيرت ثبات عليها ذلها واكتابها
والايام الدخان بصف العاسل وتدخينه على النحل وقد يجمع التبة ثبون وإنما جمع على الواو وان كان
هذا الجمع مختصا بما يعقل للتعويض عن النقص الذي لحقه لأن أصله ثبوه ومثله عضون وسنون وعزون فإن
صغرت قلت ثبيات وسنيات لأن النقص قد زال

﴿ الاعراب ﴾

ثبات منصوبة على الحال من اتقروا وذو الحال الواو وجميعا ايضا منصوب على الحال

﴿ المعنى ﴾

ثم امر الله سبحانه المؤمنين بمجاهدة الكفار والتأهب لقتالهم فقال (يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم)
قيل فيه قولان ﴿ احدهما ﴾ ان معناه احذروا عدوكم بأخذ السلاح كما يقال للانسان خذ حذرک اي احذر
﴿ والثاني ﴾ ان معناه خذوا اسلحتكم سعى الاسلحة حذرا لأنها الآلة التي بها يتقى الحذر وهو المروي عن ابي جعفر
وغيره واقول ان هذا القول اصح لأنه اوفق بمقاييس كلام العرب ويكون من باب حذف المضاف وتقديره خذوا
آلات حذركم وأهب حذركم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار خذوا حذرکم (فاقروا) الى
قتال عدوكم اي اخرجوا الى الجهاد (ثبات) اي جماعات في تفرقة ومعناه اخرجوا فرقة بعد فرقة فرقة في
جهة وفرقة اخرى في جهة اخرى (او اتقروا جميعا) اي مجتمعين في جهة واحدة اذا اوجب الرأي ذلك وروي
عن ابي جعفر (ع) ان المراد بالثبات السرايا وبالجميع العسكر

قوله تعالى (٧٢) وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَّيَبْطِئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا
إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا (٧٣) وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولُنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ يَمَسُّكُمْ
وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزُ فَوْزًا عَظِيمًا (آيَاتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل الكوفة غير حفص ونافع وابو عمرو وابن عامر غير هشام كأن لم يكن بالياء والباقون كأن لم تكن
بالتاء وروي في الشواذ بالياء عن الحسن ليقولن بضم اللام وروي عن يزيد النجوي والحسن فأفوز بالرفع

﴿ الحجة ﴾

من قرأ بالياء فلأن التأنيث غير حقيقي وحسن التذكير للفصل الواقع بين الفاعل والفعل ومثل التذكير واخذ
الذين ظلموا الصيحة فمن جاءه موعظة من ربه وفي موضع آخر قد جاء تكم موعظة من ربكم فكلا الأمرين
قد جاء التنزيل به ومن قرأ ليقولن بالضم فإنه اعاد الضمير الى معنى من مثل قوله ومنهم من يستمعون اليك
فإن قوله لمن ليبطئن لا يعنى به رجل واحد وإنما معناه ان هناك جماعة هذه صفتهم واما من قرأ فأفوز فإنه على ان
يتمنى الفوز فكأنه قال يا ليتني افوز ولو جعله جوابا لنصبه اي ان اكن معهم افز

= اللغة =

التبطئة التأخر عن الأمر يقال ما بطأ بك عنا اي ما احرك عنا ومثله الابطاء وهو اطالة مدة العمل لقلة الانبعاث ووضده الاسراع وهو قصر مدة العمل للتدبير فيه ويقال بطأ في مشيه يبطأ ببطأ اذا ثقل

✽ الاعراب ✽

اللام الاولى التي في قوله لمن لام ان التي هي لام الابتداء بدلالة دخولها على الاسم والثانية التي في لبيطئن لام القسم بدلالة دخولها على الفعل مع نون التأكيد ومن موصولة بالجالب للقسم وتقديره وان منكم لمن حلف بالله لبيطئن وانما جاز صلة من بالقسم ولم يجز بالأمر والنهي لأن القسم خير بوضع الموصول كما يوضح الموصوف في قولك مررت برجل لتكرمه لأنك خصصته بوقوع الأكرام في المستقبل في كل رجل غيره وليس كذلك في قولك مررت برجل اضربه لأنه لا يتخصص بالضرب في الأمر كما يتخصص بالخبر كأن خفت النون لأنك اردت كأنه فحذفت الهاء وصارت لم عوضا مما حذفت منه وقوله كأن لم يكن بينكم وبينه مودة جملة اعترضت بين المفعول وفعله فإن قوله يا ليتني كنت معهم في موضع نصب بكونه مفعول يقولن كما ان قوله قد انعم الله عليّ اذ لم اكن معهم شهيدا في موضع نصب بكونه مفعول قال وقوله فأفوز منسوب على جواب التمني بالفاء واتصاه باضمار ان فيكون عطف اسم على اسم وتقديره يا ليتني كان لي حضور معهم ففوز ولو كان العطف على ظاهره لكان يا ليتني كنت معهم ففوزت

✽ النزول ✽

قيل انها نزلت في المؤمنين لأنه خاطبهم بقوله وان منكم وقد فرق بين المؤمنين والمنافقين بقوله ما هم منكم ولا منهم وقال اكثر المفسرين نزلت في المنافقين وانما جمع بينهم في الخطاب من جهة الجنس والنسب لا من جهة الايمان وهو اختيار الجبائي

✽ المعنى ✽

لما حث الله على الجهاد بين حال المتخلفين عنه فقال (وان منكم) خاطب المؤمنين ثم اضاف المنافقين اليهم فقال (من لبيطئن) اي هم منكم في الحال الظاهرة اوفي حكم الشريعة من حقن الدم والمناكحة والموارثة وقيل منكم اي من اعدادكم ودخلائكم وبيطئ وبيطئ بالتشديد والتخفيف معناهما واحد اي من يتأخر عن الخروج مع النبي (ص) (فإن اصابكم مصيبة) فيه من قتل او هزيمة قال قول الشامت المسرور بتخلفه (قال قد انعم الله عليّ اذ لم اكن معهم شهيدا) اي شاهدا حاضرا في القتال فكان يصيبني ما اصابهم وقال الصادق لو ان اهل السماء والارض قالوا قد انعم الله علينا اذ لم نكن مع رسول الله لكانوا بذلك مشركين (ولئن اصابكم فضل من الله) اي فصح او غنيمة (ليقولن) يتحسرو ويقول يا ليتني كنت معهم وقوله (كأن لم تكن بينكم وبينه مودة) اعترض ان يتصل بما تقدمه قال وتقديره قال قد انعم الله عليّ اذ لم اكن معهم شهيدا كأن لم تكن بينكم وبينه مودة اي لا يعاضدكم على قتال عدوكم ولا يرعى الذمام الذي بينكم عن ابي علي الفارسي وقيل انه اعترض بين القول والتعني وتقديره ليقولن (يا ليتني كنت معهم فافوز) من الغنيمة (فوزا عظيما) كأنه ليس بينكم وبينه مودة اي بتعني الحضور لانصرتكم وانما بتعني النفع لنفسه وقيل ان الكلام في موضعه من غير تقديم وتأخير ومعناه ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن هذا المبطئ قول من لا تكون بينه وبين المسلمين مودة اي كأنه لم يعاقدكم على الايمان ولم يظهر لكم مودة على حال يا ليتني كنت معهم اي بتعني الغنيمة دون شهود الحرب وليس هذا من قول المخلصين فقد عبدوا التخلف في احدى الحالتين تقية من الله وتمنوا الخروج معهم في احدى الحالتين لأجل الغنيمة وليس ذلك من امارات المودة وعلى هذا فيكون قوله كأن لم تكن بينكم وبينه مودة في موضع النصب

على الحال وقال ابو علي الجبائي انه حكاية عن المنافقين قالوا للذين اقدموا عن الجهاد كأن لم تكن بينكم وبينه مودة اي بين محمد مودة فتخرجوا معه لتأخذوا معه من الغنيمة وانما قالوا ذلك ليعضوا اليهم رسول الله باليتني كنت معهم وهذا التمني من قول المبطلين القاعدين تمنوا ان يكونوا معهم في تلك الغزوة فأفوز فوزاً عظيماً اي اصيب غنيمة عظيمة وأخذ حظاً وافراً منها

قوله تعالى (٧٤) فليقاتل في سبيل الله الذين بشرت بالحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً (آية)

✽ اللفظة ✽

يقال شريت بمعنى بعث واشترت بمعنى ابتعت وبشرون يبيعون وقال يزيد بن مفرغ وشريت برداً ليتني من بعد برد كنت هامه ويرد اسم غلامه

✽ الإعراب ✽

فيقتل أو يغلب عطف على يقاتل وجواب الشرط فسوف نؤتيه

✽ المعنى ✽

لما اخبر الله سبحانه في الآية الاولى ان قوما يتأخرون عن القتال او يبطلون المؤمنين عنه حث في هذه الآية على القتال فقال (فليقاتل في سبيل الله) هذا امر من الله وظاهر امره يقتضي الوجوب اي فليجاهد في سبيل الله اي في طريق دين الله (الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة) اي الذين يبيعون الحياة القانية بالحياة الباقية ويجوز يبيعون الحياة الدنيا بنعيم الآخرة اي يبذلون انفسهم واموالهم في سبيل الله بتوطين انفسهم على الجهاد في طاعة الله وبيعهم اياها بالآخرة هو استبدالهم اياها بالآخرة (ومن يقاتل في سبيل الله) اي يجاهد في طريق دين الله وقيل في طاعته به بان يبذل ماله ونفسه ابتغاء مرضاته (فيقتل) اي يستشهد (او يغلب) اي يظفر بالعدو وفيه حث على الجهاد فكأنه قال هو فائز باحدى الحسينين ان غلب أو غلب (فسوف نؤتيه اجرا عظيماً) اي نعطيه اغلى اثمان العمل وقيل ثواباً دائماً لا تنقيص فيه

قوله تعالى (٧٥) وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا (آية)

— اللفظة —

الولدان جمع ولد وولد وولدان مثل حزب وحزبان وبرق وبرقان وورل وورلان والاعراب على بابه فعال نحو جبال وجمال وقد ذكرنا القرية في سورة البقرة

✽ الإعراب ✽

ما للاستفهام في موضع رفع بالابتداء ولاتقاتلون في موضع نصب على الحال وتقديره اي شيء لكم تاركين للقتال والمستضعفين جر بالعطف على ما عملت في اي وفي المستضعفين وقال المبرد هو عطف على اسماء الله وانما جاز أن يجري الظالم صفة للقرية وهو في المعنى للاهل لانها قوية على العمل لقربها من الفعل وتمكنها في الوصفية بأنها تؤنث وتذكر وتثنى وتجمع بخلاف باب افعل منك فلذلك جاز مررت برجل الظالم ابوه ولم يجز مررت برجل

خير منه ابوه بل يقال مررت برجل خير منه ابوه لتكون الجملة في موضع الجر

المعنى

ثم حث سبحانه على تخلص المستضعفين فقال (وما لكم) ايها المؤمنون (لا تقاتلون) اي اي عذر كم لكم في ترك القتال مع اجتماع الاسباب الموجبة للقتال (في سبيل الله) اي في طاعة الله ويقال في دين الله ويقال في نصره دين الله ويقال في اعزاز دين الله واعلاء كلمته (والمستضعفين) اي وفي المستضعفين او في سبيل المستضعفين اي نصره المستضعفين وقيل في اعزاز المستضعفين وفي الذب عن المستضعفين (من الرجال والنساء والولدان) قيل يريد بذلك قوما من المسلمين بقوا بمكة ولم يستطيعوا الهجرة منهم سلمة بن هشام والوليد بن الوليد وعياش بن ابي ربيعة وابو جندب بن سهيل جماعة كانوا يدعون الله ان يخلصهم من ايدي المشركين ويخرجهم من مكة وهم (الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهليها) اي يقولون في دعائهم ربنا سهل لنا الخروج من هذه القرية يعني مكة عن ابن عباس والحسن والسدي وغيرهم الظالم اهليها اي التي ظلم اهليها بافتتان المؤمنين عن دينهم ومنعهم عن الهجرة (واجعل لنا) بالطائفك وتأبيدك (من لدنك) اي من عندك (وليا) يلي امرنا بالكفاية حتى ينقذنا من ايدي الظلمة (واجعل لنا من لدنك نصيرا) بنصرنا على من ظلمنا فاستجاب الله تعالى دعاءهم فلما فتح رسول الله مكة (ص) جعل الله نبيه لهم وليا فاستعمل على مكة عتاب بن اسيد فجعله الله لهم نصيرا فكان ينصف الضعيف من الشديدي فاغاثهم الله فكانوا اعز بها من الظلمة قبل ذلك وفي هذه الآية دلالة على عظم موقع الدعاء من الله وابطال قول من يزعم ان العبد لا يستفيد بالدعاء شيئا لان الله حكى عنهم انهم دعوا واجابهم الله واتاهم سؤلهم ولولا انه استجاب دعاءهم لما كان لذكر دعائهم معنى

قوله تعالى (٧٦) الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (آية)

اللمعة

الطاغوت قد مر ذكره والكيد السعي في فساد الحال على وجه الاحتيال تقول كاد بكيد كيدا فهو كائد اذا عمل في ايقاع الضرر به على وجه الحيلة فيه

المعنى

ثم شجع المجاهدين وورغهم في الجهاد بقوله (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله) اي في طاعة الله وفي نصره دينه واعلاء كلمته وابتغاء مرضاته بلا عجب ولا صلف ولا طمع في غنيمة (والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت) وطاغوته (فقاتلوا اولياء الشيطان) يعني جميع الكفار وهذا بقوي قول من قال ان الطاغوت الشيطان (ان كيد الشيطان كان ضعيفا) دخلت كان هاهنا مؤكدة لتدل على ان الضعف لكيد الشيطان لازم في جميع الأحوال والاقوات ما مضى منها وما يستقبل وليس هو عارضا في حال دون حال وإنما وصف سبحانه كيد الشيطان بالضعف بالاضافة إلى نصره الله المؤمنين عن الجبائي وقيل لانه اخبر بانه سيظهر عليهم المؤمنين عن الحسن وقيل لضعف دواعي اولياء الشيطان إلى القتال إذ لا بصيرة لهم وإنما يقاتلون بما تدعو اليه الشبهة والمؤمنون يقاتلون بما تدعو اليه الحجية قوله تعالى (٧٧) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا (آية)

✽ القراءة ✽

لا يظلمون بالياء مكى كوفي غير عاصم والباقون بالتاء

✽ الحجة ✽

من قرأ بالياء فلما تقدم من ذكر الغيبة من قوله ألم تر إلى الذين قيل لهم ومن قرأ بالتاء فلا نه ضم اليهم في الخطاب المسلمين فغلب الخطاب على الغيبة

✽ الإعراب ✽

إذا فريق منهم إذا هذه ظرف مكان وهي بمنزلة الفاء في تعليقه الجملة بالشرط وتسمى ظرف المكان كما في قول الشاعر

و كنت ارى زيدا كما قيل سيدا إذا أنه عبد القفا واللهازم

فهي في محل نصب يبخشون والكاف في خشية الله في محل نصب للمصدر واشد معطوف عليه وخشية منصوب على التمييز وهو ما اتصب بعد تمام الاسم للمصدر ولولا معناها التحضيض ولا تدخل إلا على الفعل

✽ النزول ✽

قال الكلبى نزلت في عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن الاسود الكندي وقدامة بن مظعون الجمحي وسعد بن ابي وقاص كانوا يلقون من المشركين اذى شديدا وهم بمكة قبل أن يهاجروا إلى المدينة فيشكون إلى رسول الله (ص) ويقولون يا رسول الله إئذن لنا في قتال هؤلاء فإنهم قد آذونا فلما أمر بالقتال وبالمسير إلى بدر شق على بعضهم فنزلت هذه الآية

✽ المعنى ✽

ثم عاد سبحانه إلى ذكر القتال ومن كرهه فقال (ألم تر إلى الذين قيل لهم) وهم بمكة (كفوا ابدىكم) اي امسكوا عن قتال الكفار فإني لم أؤمر بقتالهم (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب) اي فرض (عليهم القتال) وهم بالمدينة (إذا فريق منهم) اي جماعة منهم (يخشون الناس كخشية الله) اي يخافون القتل من الناس كما يخافون الموت من الله وقيل يخافون الناس ان يقتلوهم كما يخافون الله ان يتوفاهم وقيل يخافون عقوبة الناس بالقتل كما يخافون عقوبة الله (او اشد خشية) قيل ان اوها بمعنى الواو اي واشد خشية وقيل ان اوها لا إيهام الامر على المخاطب وقد ذكرنا الوجوه في مثل هذا عند ذكر قوله سبحانه او اشد قسوة في سورة البقرة (وقالوا ربنا لم كتب علينا القتال) قال الحسن لم يقولوا ذلك كراهية لأمر الله ولكن لدخول الخوف عليهم بذلك على ما يكون من طبع البشر ويحتمل ان يكونوا قالوا ذلك استفهاما لانكارا وقال إنما قالوا ذلك لانهم ركنوا إلى الدنيا وآثروا نعيمها وعلى الاقوال كلها فلولم يقولوا ذلك لكان خيرا لهم (لولا اخرتنا) اي هلا اخرتنا (إلى اجل قريب) وهو إلى ان نموت بأجلنا ثم اعلم الله تعالى أن الدنيا بما فيها من وجوه المنافع قليل فقال (قل يا محمد هؤلاء) (متاع الدنيا) اي ما يستمتع به من منافع الدنيا (قليل) لا يبقى (والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتىلا) اي ولا تبخسون هذا القدر فكيف ما زاد عليه والقتيل ما تقتله ييدك من الوسخ ثم تلقه عن ابن عباس وقيل ما في شق التواة لأنه كالخيط المفتول

قوله تعالى (٧٨) أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِيبِهِمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (آية)

* القراءة *

روى في الشواذ ان طلحة بن سليمان قرأ بدر ككم الموت برفع الكاف

— الحجة —

هذه القراءة ضعيفة على ان لها وجها وهو ان يكون على حذف الفاء فكأنه قال فيدر ككم الموت ومثله بيت الكتاب
من بفعل الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الله مثلان اي فإله يشكرها

* اللفظة *

البروج جمع بروج واصله من الظهور يقال تبرجت المرأة إذا اظهرت محاسنها والبرج اتساع في العين لظهور
العين بالاتساع والمشيئة المزينة بالشيء وهو الحص والشيد رفع البناء يقال شاد بناءه بشيده إذا رفعه وإنما قيل
للجص شييد لانه ما يرتفع به البناء ويجوز اشاد الرجل بناءه إذا رفعه فأما في الذكر فإنه يقال اشاد بذكره
لا غير والفقهاء الفهم يقال فقه الرجل يفقه ففها والاسم الفقيه وصار يعرف الاستعمال علما على علم الفقهاء من علوم
الدين وفقه الرجل يفقه فقاها إذا صار فقيها والتفقه تعلم الفقه

* الاعراب *

ابن من الظروف التي يجازى بها بتضمنها معنى ان ولا يلزمه ما تقول ابن تكن اكن وابنا تكن اكن
وهي تستغرق الأمكنة كما ان متى تستغرق الازمنة وكتبت ابنا هنا موصولة وسيفي قوله ابن ما كنتم توعدون
مفصولة لأن ما هاهنا مزبدة وهنالك بمعنى الذي فوصلت هذه كما توصل الحروف وفصلت تيك كما تفضل الاسماء
وما هو لاء كثرت في الكلام حتى توهموا ان اللام متصلة بها وانها حرف واحد ففصلوا اللام مما بعده في بعض
المواضع وصلوها في بعضها ولا يجوز الوقف على اللام لأنها اللام الجارة

* المعنى *

ثم خاطبهم تعالى فقال (ايما تكونوا يدرككم الموت) اي ايما كنتم من المواضع والاما كن ينزل بكم الموت
وبلحسكم (ولو كنتم في بروج مشيدة) قيل يعني بالبروج القصور عن مجاهد وقتادة وابن جريب وقيل قصور في
الساء باعيانها عن السدي والريبع وقيل المراد به بروج السماء وقيل البيوت التي فوق الحصون عن الجبائي وقيل
الحصون والقلاع عن ابن عباس فهذه خمسة اقوال والمشيدة المحصنة عن عكرمة وقيل المزينة عن ابي عبيدة
وقيل المطولة في ارتفاع عن الزجاج وغيره (وان تصيبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله) اختلف في من حكى عنهم
هذه المقالة فقيل هم اليهود قالوا ما زلنا نعرف القمص في اثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل عن الزجاج
والقراء فعلى هذا يكون معناه وان اصابهم خصب ومطر قالوا هذا من عند الله وان اصابهم قحط وجذب قالوا
هذا من شؤم محمد كما حكى عن قوم موسى وان تصيبهم سيئة بطيروا بموسى ومن معه ذكره البلخي والجبائي وهو
المروي عن الحسن وابن زيد وقيل هم المنافقون عبد الله بن ابي واصحابه الذين تخلفوا عن القتال يوم احد وقالوا
للمؤمنين قتلوا في الجهاد لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فعلى هذا يكون معناه ان يصيبهم ظفر وغنيمة قالوا
هذا من عند الله وإن يصيبهم مكروه وهزيمة قالوا هذه من عندك يا محمد بسوء تدبيرك وهو المروي عن ابن عباس
وقتادة وقيل هو عام في اليهود والمنافقين وهو الاصح وقيل هو حكاية عن سبق ذكره قبل الآية وهم الذين
يقولون ربنا لم كتب علينا القتال وتقديره وإن تصب هؤلاء حسنة يقولوا هذه من عند الله (وان تصيبهم سيئة
يقولوا هذه من عندك) قال ابن عباس وقتادة الحسنة والسيئة السراء والضراء والبؤس والرخاء والنعم والمصيبة
والخصب والجذب وقال الحسن وابن زيد هو القتل والهزيمة والظفر والغنيمة (قل) يا محمد (كل من عند الله) اي
جميع ما مضى ذكره من الموت والحياة والخصب والجذب من عند الله وبقضائه وقدره لا يقدر احد على رده ودفعه

ابتلى بذلك عباده ليعرضهم لثوابه بالشكر عند العطية والصبر على البلية (فما هو لاء القوم) اي ما شأن هؤلاء المنافقين (لا يكادون بفقهون حديثنا) اي لا يقربون فقه معنى الحديث الذي هو القرآن لأنهم يبعدون منه بأعراضهم عنه وكفرهم به وقيل معناه لا يفقهون حديثنا اي لا يعلمون حقيقة ما يخبرهم به فإنه من عند الله من السراء والضراء على ما وصفناه

قوله تعالى (٧٩) مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (آية)

﴿ الإعراب ﴾

رسولا منصوب بارسلناك وإنما ذكره تأكيداً لأن ارسلناك دل على انه رسول وشهيدا نصب على التمييز ومعنى من في قوله من حسنة او من سيئة التبيين ولو قال ان اصابك من حسنة كانت من زائدة لا معنى لها

﴿ المعنى ﴾

(ما اصابك من حسنة فمن الله) قيل هذا خطاب للنبي والمراد به الأمة عن الزجاج وقيل خطاب للإنسان اي ما اصابك ايها الإنسان عن قتادة والجبائي قال وعنى بقوله من حسنة من نعمة في الدين والدنيا فإنها من الله (وما اصابك من سيئة) أي من المعاصي (فمن نفسك) وقيل عنى بالحسنة ما اصابهم يوم بدر من الغنيمة وبالسيئة ما اصابهم يوم احد من الهزيمة عن ابن عباس قال ابو مسلم معناه لما جدوا في القتال يوم بدر واطاعوا الله آتاهم النصر ولما خالفوا يوم احد خلى بينهم فهزموا وقيل الحسنة الطاعة والسيئة المعصية عن ابي العالبة قال ابو القاسم وهذا كقوله وجزءا سيئة سيئة مثلها وقيل الحسنة النعمة والرخاء والسيئة القحط والمرض والبلاء والمكاره والأواء والشدائد التي تصيبهم في الدنيا بسبب المعاصي التي يفعلونها وربما يكون لطفاً وربما يكون على سبيل العقوبة وإنما ساهما سيئة مجازاً لأن الطبع ينفر عنها وإن كانت افعالاً حسنة غير قبيحة فيكون المعنى على هذا ما اصابك من الصحة والسلامة وسعة الرزق وجميع نعم الدين والدنيا فمن الله وما اصابك من المحن والشدائد والآلام والمصائب فبسبب ما تكسبه من الذنوب كما قال وما اصابكم من مصيبة فيما كسبت ايديكم وقوله فمن نفسك معناه فيذنبك عن الحسن وجماعة من المفسرين وفسره ابو القاسم البلخي فقال ما اصاب المكف من مصيبة فهي كفارة ذنب صغير او عقوبة ذنب كبير او تأديب وقع لأجل تقرب وقد قال النبي (ص) ما من خدش يعود ولا اختلاج عرق ولا عثرة قدم إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر وقيل فمن نفسك اي من فعلك وقال علي بن عيسى وفي الآية دلالة على ان الله لا يفعل الأثم إلا على وجه اللطف او العقاب دون مجرد العوض لأن المصائب إذا كانت كلها من قبل ذنب العبد فهي إما أن تكون عقوبة وإما ان تكون من قبل تأديب للمصلحة وقوله (وارسلناك للناس رسولا) معناه ومن الحسنه ارسلناك يا محمد ومن السيئة خلافتك يا محمد وكفى بالله شهيدا لك وعليك وقيل في معنى اتصاله بما قبلها ان ما اصابهم فبشوم ذنوبهم وإنما انت رسول طاعتك طاعة الله ومعصيتك معصية الله لا يطير بك بل الخير كله فيك (وكفى بالله شهيدا) اي كفى الله ومعناه حسبك الله شاهدا لك على رسالتك وقيل معناه كفى بالله شهيدا على عباده بما يعملون من خير وشر فعلى هذا يكون متضمنا للترغيب في الخير والتحذير عن الشر

قوله تعالى (٨٠) مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا

(٨١) وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ

مَا يَشَاءُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (آيتان)

* القراءة *

قرأ ابو عمرو بادغام التاء في الطاء من بيت طائفة وبه قرأ حمزة والباقون بالاظهار

* الحجة *

إنما حسن اظهار ادغام التاء في الطاء للتقارب الذي بينها يانها من حيز واحد ولم يحسن ادغام الطاء في التاء لأن الطاء تزيد على التاء بالاطباق فحسن ادغام الاقص صوتا من الحروف في الازيد صوتا بحسب قبح ادغام الازيد في الاقص ومن بين ولم بدغم فلا تفصال الحرفين واختلاف المخرجين

* اللغة *

قال المبرد التبييت كل شيء دبر ليلا قال عبيدة بن هشام

اتوني فلم أرض ما بيتوا و كانوا اتوني لأمر نكر

والبيوت الامر بيت عليه صاحبه مهتابه والبيات والتبييت ان يأتي العدو ليلا فاصل التبييت احكام الامر ليلا واصل الوكيل القائم بما فوض اليه من التدبير

* الإعراب *

جواب الجزاء في قوله فما ارسلناك عليهم حفيظا تقديره ومن تولى فليس عليك بأس لأنك لم ترسل حفيظا عليهم وطاعة مبتدأ اي عندنا طاعة او خبر مبتدأ محذوف اي امرنا طاعة ولو نصبت على تطيع طاعة جاز

* المعنى *

ثم رغب تعالى في طاعة الرسول فقال (من يطع الرسول فقد اطاع الله) بين ان طاعته طاعة الله وإنما كانت كذلك لأنها وإن كانت طاعة للنبي من حيث وافقت ارادته المستدعية للفعل فإنها طاعة الله ايضا على الحقيقة إذ كانت بأمره وإرادته فأما الأمر الواحد فلا يكون على الحقيقة من امرين كما ان الفعل الواحد لا يكون من فاعلين (ومن تولى) اي ومن اعرض ولم يطع (فما ارسلناك عليهم حفيظا) اي حافظا لهم من التولي حتى يسلموا عن ابن زيد قال فكان هذا اول ما بعث كما قال في موضع آخر إن عليك إلا البلاغ ثم امر فيما بعد بالجهاد وقيل معناه ما ارسلناك حافظا لأعماله التي يقع الجزاء عليها فتخاف ان لا تقوم بها لأننا نحن نجازيهم عليها وقيل حافظا لهم من المعاصي حتى لا تقع عن الجبائي وفي هذه الآية تسلية للنبي في تولى الناس عنه مع ما فيه من تعظيم شأنه بكون اطاعته طاعة الله ثم بين ان المنافقين أظهر واطاعته واضمر واخلافه بقوله (ويقولون طاعة) يعني به المنافقين عن الحسن والسدي والضحاك وقيل المراد به المسلمون الذين حكى عنهم انهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية يقولون امرك طاعة كأنهم قالوا قبلنا امرك بالطاعة (فلماذا برزوا) اي خرجوا (من عندك بيت طائفة منهم) اي قدر جماعة منهم ليلا غير الذي تقول اي غير ما يقولون على جهة التكذيب عن الحسن وقتادة وقيل معناه غيروا بالليل وبدلوا ما قالوه بأن اضمر واخلاف عليك فيما امرتهم به ونهيتهم عنه عن ابن عباس وقتادة والسدي وقيل دبروا ليلا غير ما اعطوك نهارا عن ابي عبيدة والقتبي (والله يكتب ما يبيتون) في اللوح المحفوظ ليجازيهم وبه قيل يكتبه بأن ينزله اليك في الكتاب عن الزجاج (فاعرض عنهم) امر الله نبيه بالاعراض عنهم وان لا يسميهم بأعيانهم ابقاء عليهم ومسترا لأمورهم إلى ان يستقر امر الإسلام (وتوكل على الله) اي فوض امرك اليه وثق به (وكنى بالله وكيلا) اي حفيظا لما تفوضه اليه من التدبير

قوله تعالى (٨٢) افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا

(٨٣) وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا (آيتان)

✽ اللغة ✽

التدبير النظر في عواقب الامور والتدابير التقاطع لأن كل واحد يولي الآخر دبره بعداوته له ودبر القوم يدبرون دبارا هلكوا لأنهم يذهبون في جهة الادبار عن الغرض والفرق بين التدبير والتفكير ان التدبير تصرف القلب بالنظر في العواقب والتفكير تصرف القلب بالنظر في الدلائل والاختلاف هو امتناع احد الشئيين ان يسد مسد الآخر فيما يرجع إلى ذاته كالسواد الذي لا يسد مسد البياض وكذلك الذهاب في الجهات المختلفة واصل الاذاعة التفريق قال تبع لما ورد المدبنة

ولقد شربت على براجم شربة كادت بياقبة الحياة تذيع

اي تفرق وبراجم ماء بالمدينة كان يشرب منه فتشبت بحلقه علقه وذاع الخبر ذبعا ورجل مذباغ لا يستطيع كتمان خبره وأذاع الناس بما في الحوض إذا شربوه واذاعوا بالمتاع ذهبوا به والاذاعة والاشاعة والافشاء والاعلان والاطهار نظائر وضده الكتمان والاسرار والاختفاء واصل الاستنباط الاستخراج يقال لكل ما استخرج حتى يقع عليه رؤية العين او معرفة القلب قد استنبط والنبط الماء الذي يخرج من البئر اول ما تحفر وانبط فلان اي استنبط الماء من طين حر ومنه اشتقاق النبط لاستنباطهم العيون

✽ المعنى ✽

(أفلا يتدبرون القرآن) اي فلا يتفكر اليهود والمنافقون في القرآن إذ ليس فيه خلل ولا تناقض ليعلموا انه حجة وقيل ليعلموا انهم لا يقدرّون على مثله فيعرفوا انه ليس بكلام احد من الخلق وقيل ليعرفوا اتساق معانيه وإتلاف احكامه وشهادة بعضه لبعض وحسن عباراته وقيل ليعلموا كيف اشتمل على انواع الحكم من امر بحسن ونهي عن فيبيح وخبر عن مخبر وصدق ودعاء إلى مكارم الأخلاق وحث على الخير والزهد مع فصاحة اللفظ وجودة النظم وصحة المعنى فيعرفوا انه خلاف كلام البشر والاولى ان تحمل على الجميع لأن من تدبر فيه علم جميع ذلك (ولو كان من عند غير الله) اي كلام غير الله اي لو كان من عند النبي أو كان يعلمه بشر كما زعموا (لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) قيل فيه اقوال ✽ احدها ✽ ان معناه لوجدوا فيه اختلاف تناقض من جهة حق وباطل عن قتادة وابن عباس ✽ والثاني ✽ اختلافا في الاخبار عما يسرون عن الزجاج ✽ والثالث ✽ من جهة بليغ ومرذول عن ابي علي ✽ والرابع ✽ تناقضا كثيرا عن ابن عباس وذلك أن كلام البشر إذا طال وتضمن من المعاني ما تضمنه القرآن لم يخل من التناقض في المعاني والاختلاف في اللفظ وكل هذه المعاني منفي عن كلام الله كما قال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهذه الآية تضمنت الدلالة على معان كثيرة منها بطلان التقليد وصحة الاستدلال في اصول الدين لانه دعا إلى التفكير والتدبر وحث على ذلك ومنها فساد قول من زعم ان القرآن لا يفهم معناه إلا بتفسير الرسول من الحشوية وغيرهم لأنه حث على تدبره ليعرفوه ويتبينوه ومنها انه لو كان من عند غيره لكان على وزن كلام عباده ولوجدوا الاختلاف فيه ومنها ان التناقض من الكلام لا يكون من فعل الله لأنه لو كان من فعله لكان من عنده لا من عند غيره والاختلاف في الكلام يكون على ثلاثة أضرب اختلاف تناقض واختلاف تفاوت واختلاف تلاوة واختلاف التفاوت يكون في الحسن والقبح والخطأ والصواب ونحو ذلك مما تدعو إليه الحكمة وتصرف عنه وهذا الجنس من الاختلاف لا يوجد في القرآن البتة كما

لا يوجد اختلاف التناقض! وأما اختلاف التلاوة فهو ما يتلاوم في الجنس كاختلاف وجوه القرآن واختلاف مقادير الآيات والسور واختلاف الاحكام في النسخ والمنسوخ فذلك موجود في القرآن وكله حق وكله صواب واستدل بعضهم بانتفاء التناقض عن القرآن على انه من فعل الله بأن قال لو لم يكن ذلك دلالة لما اخبرنا الله به ولو لم يخبر بذلك لكان لقائل ان يقول انه يمكن ان يتحفظ في الكلام ويهدب تهديبا لا يوجد لذلك فيه شيء من التناقض وعلى هذا فلا يمكن ان يجعل انتفاء التناقض جهة اعجاز القرآن إلا بعد معرفة صحة السمع وصدق النبي ثم عاد تعالى إلى ذكر حالتهم فقال (وإذا جاءهم) يعني هؤلاء الذين سبق ذكرهم من المنافقين وقيل هم الذين ذكروهم من ضعفة المسلمين (امر من الأمن او الخوف) يريد ما كان يرجف به من الاخبار في المدينة اما من قبل عدو يقصدهم وهو الخوف او من ظهور المؤمنين على عدوهم وهو الأمن (اذا عوا به) اي تحذثوا به وافشوه من غير ان يعلموا صحته كره الله ذلك لأن من فعل هذا فلا يخلو كلامه من كذب ولما يدخل على المؤمنين به من الخوف ثم قال (ولوردوه إلى الرسول) المعنى ولو سكتوا إلى ان يظهره الرسول (وإلى اولى الامر منهم) قال ابو جعفر (ع) هم الأئمة المعصومون وقال السدي وابن زيد وابو علي والجبائي هم امراء السرايا والولادة وقال الحسن وقتادة وغيرهم انهم أهل العلم والفقهاء الملازمون للنبي لأنهم لو سألوه عن حقيقة ما ارجفوا به لعلموه واختاره الزجاج وانكر ابو علي الجبائي هذا الوجه وقال إنما يطلق اولو الامر على من له الامر على الناس (لعلمه الذين يستنبطونه) اي لعلم ذلك الخبر الذين يستخرجونه عن الزجاج وقيل بتحسونه عن ابن عباس وابي العالية وقيل يتبعونه ويطلبون علم ذلك عن الضحاك وقيل يسألون عنه عن عكرمة قال استنبطهم سواهم الرسول عنه وجميع هذه الأقوال متقاربة المعنى (منهم) قيل ان الضمير في منهم يعود إلى اولى الامر وهو الاظهر وقيل يعود إلى الفرقة المذكورة من المنافقين او الضعفة (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) اي ولولا اقبال مواد اللطاف من جهة الله وقيل فضل الله الاسلام ورحمته القرآن عن ابن عباس وقيل فضل الله النبي ورحمته القرآن عن الضحاك والسدي وهو اختيار الجبائي وروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) فضل الله ورحمته النبي وعلي (لاتبعتم الشيطان إلا قليلا) قيل فيه اقوال * احدها * إن في الكلام تقديم وتأخير والاستثناء من قوله اذا عوا به عن ابن عباس فيكون معناه اذا عوا به إلا قليلا وهو اختبار المبرد والكسائي والقراء والبلخي والطبري قالوا وهذا اولى لأن الإذاعة أكثر من الاستنباط * وثانيها * ان الاستثناء من قوله لعلمه الذين يستنبطونه منهم إلا قليلا ويكون تقديره ولو رددوه إلى الرسول وإلى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه إلا قليلا عن أكثر اهل اللغة * وثالثها * ان المراد ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا منكم على الظاهر من غير تقديم ولا تأخير وهذا كما اتبع الشيطان من كان قبل بعثة النبي إلا قليلا منهم لم يتبعوه واهتدوا بعقولهم لترك عبادة الاوثان بغير رسول ولا كتاب وآمنوا بالله ووحده مثل قس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن قنيل وورقة بن نوفل والبراء (١) الشني وابي ذر الغفاري وطلاب الدين وبه قال الانباري * ورابعها * ان معناه ولولا فضل الله عليكم ورحمته بالنصرة والفتح مرة بعد اخرى لاتبعتم الشيطان فيما يلقي اليكم من الوسواس والخواطر الفاسدة المؤدية إلى الجبن والفشل الموجبة لضعف النية والبصيرة إلا قليلا من افاضل اصحاب رسول الله الذين هم اهل البصائر النافذة والعزائم الثابتة والنيات الخالصة لا يياسون من رحمة الله ولا يشكون في نصرته وانجاز وعده وان ابطأ بعض الابطاء والله اعلم

* النظم *

اختلف في وجه اتصال قوله افلا يتدبرون القرآن بما قبله فقيل انه يتصل بقوله ويقولون طاعة الآية فإن الله اطلع على سرائر المنافقين ثم بين هنا انه من جهة علام الغيوب ولو كان من جهة غيره لكان المخبر بخلاف

(١) لعله رثاب فقد جاء في المعارف لابن قتيبة انه من عبد القيس من شن (مصححه)

الخبر وقيل انه يتصل بقوله وارسلناك لما بين ارساله امر بتدبير معجزه
قوله تعالى (٨٤) فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرّض المؤمنين عسى الله
أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً (آية)

﴿ اللغة ﴾

نكل به وندد به وشرد به نظائر واصله النكول وهو الامتناع للخوف يقال نكل عن اليمين وغيرها
والنكال ما يمتنع به من الفساد خوفاً من مثله من العذاب والنكل القيد

= المعنى =

ثم عاد تعالى إلى الامر بالقتال فقال (فقاتل في سبيل الله) قيل في الفاء قولان ﴿ أحدهما ﴾ انه جواب
لقوله ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيماً فقاتل في سبيل الله فيكون المعنى إن اردت
الاجر العظيم فقاتل في سبيل الله والآخر أن يكون متصلاً بقوله وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله فقاتل في سبيل الله
عن الزجاج ووجهه انه لاحظ لك في ترك القتال فتركه والخطاب للنبي (ص) خاصة امره الله ان يقاتل في سبيل
الله وحده بنفسه وقوله (لا تكلف إلا نفسك) معناه لا تكلف إلا نفسك فإنه لا ضرر عليك في فعل غيرك
فلا تهتم بتخلف المنافقين عن الجهاد فإن ضرر ذلك عليهم (وحرّض المؤمنين) على القتال اي حثهم عليه (عسى
الله ان يكف بأس الذين كفروا) اي يمنع شدة الكفار قال الحسن عسى من الله واجب ووجه ذلك ان اطاع
الكريم إنجاز وإنما الاطاع تقوية احد الأمرين على الآخر دون قيام الدليل على التكافؤ في الجواز وخروج
عسى في هذا من معنى الشك كخروجها في قول القائل اطع ربك في كل ما امرك به ونهاك عنه عسى ان تفلح
بطاعتك (والله اشد بأساً) اي اشد نكابة في الاعداء منكم (واشد تنكيلاً) اي عقوبة عن الحسن وقيادة
وقيل التنكيل الشهرة بالأمر الفاضحة عن ابي علي الجبائي وقيل هو ما يتألم على ابدى المسلمين من الإذلال
والسبي والقتل وتخريب الديار وقيل هو الانتقام والإهلاك

﴿ القصة ﴾

قال الكلبى إن ابا سفيان لما رجع إلى مكة يوم احد واعد رسول الله موسم بدر الصغرى وهو سوق تقوم في
ذي القعدة فلما بلغ النبي الميعاد قال للناس اخرجوا إلى الميعاد فثاقلوا وكرهوا ذلك كراهة شديدة او بعضهم
فانزل الله هذه الآية فحرض النبي المؤمنين فثاقلوا عنه ولم يخرجوا فخرج رسول الله في سبعين راكباً حتى
اقي موسم بدر فكفاهم الله بأس العدو ولم يوافقهم ابوسفيان ولم يكن قتال يومئذ وانصرف رسول الله بمن معه سالمين
قوله تعالى (٨٥) من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة
يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقبلاً (آية)

﴿ اللغة ﴾

اصل الشفاعة من الشفع الذي هو ضد الوتر فإن الرجل إذا شفع بصاحبه فقد شفعه اي صار ثانيه ومنه الشفيع
في الملك لأنه يضم ملك غيره إلى ملك نفسه واختلفت الامة في كيفية شفاعة النبي يوم القيامة فقالت المعتزلة
ومن تابعهم يشفع لأهل الجنة ليزيد الله درجاتهم وقال غيرهم من فرق الامة بل يشفع لذنب الامة ممن ارتضى الله
دينهم ليسقط عقابهم بشفاعته والكفل في اللغة النصيب واخذ من قولهم اكنفت البعير اذا ادردت على سنامه كساء
ور كبت عليه وإنما يقال ذلك لأنه لم يستعمل الظهر كله وإنما استعمل نصيباً من الظهر وقال الازهري الكفل

الذي لا يحسن ركوب الفرس واصله الكفل وهو ردف العجز ومنه الكفالة بالنفس والمال والكفل المثل والمقيت
اصله من القوت فإنه يقوته قوتا اذا اعطاه ما يسك به رمقه والمقيت المقندر لاقتداره على ذلك واقت بقيت اقاته
وينشد للزبير بن عبد المطلب

وذى ضغن كفت النفس عنه و كنت على مساءته مقيتا

فهذه لغة قريش

✽ المعنى ✽

(من بشفع شفاعه حسنة) قيل فيه اقوال ✽ احدها ✽ ان معناه من يصلح بين اثنين يكن له نصيب منها
أي يكن له اجر منها (ومن بشفع شفاعه سيئة) أي يمشي بالتميمة (يكن له كفل منها) أي أثم منها عن الكبي عن ابن عباس
✽ وثانيها ✽ ان الشفاعة الحسنة والشفاعة السيئة شفاعه الناس بعضهم لبعض عن مجاهد والحسن قال ما يجوز
في الدين ان يشفع فيه فهو شفاعه حسنة وما لا يجوز ان يشفع فيه فهو شفاعه سيئة قال ومن بشفع شفاعه حسنة
كان له فيما اجر وثواب وان لم يشفع لأن الله قال ومن يشفع ولم يقل ومن يشفع ويؤيد هذا قوله اشفعوا توجروا
وقوله من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله في ملكه ومن اعان على خصومة بغير علم كان في
سخط الله حتى ينزع ✽ وثالثها ✽ ان المراد بالشفاعة الحسنة الدعاء للمؤمنين وبالشفاعة السيئة الدعاء عليهم
عن ابي علي الجبائي وقال لأن اليهود كانت تفعل ذلك فنوعدهم الله عليه ✽ ورابعها ✽ ما قاله بعضهم ان المراد بالشفاعة
هنا ان يصير الإنسان شفع صاحبه في جهاد عدوه فيحصل له من هذه الشفاعة نصيب في العاجل من الغنيمة والظفر
وفي الآجل من الثواب المنتظر وان صار شفعا له في معصية او شر حصل له نصيب من المذمة في العاجل والعقوبة
في الآجل والكفل الوزر عن الحسن وقتادة وهو النصيب والحظ عن السدي والربيع وجميع اهل اللغة فكأنه
النصيب من الشر (وكان الله على كل شيء مقيتا) قيل في معنى المقيت أقوال ✽ احدها ✽ انه المقندر عن
السدي وابن زيد ✽ وثانيها ✽ الحفيظ الذي يعطي الشيء قدر الحاجة من الحفظ عن ابن عباس ✽ وثالثها ✽
الشهيد عن مجاهد ✽ ورابعها ✽ الحسيب عنه ايضا ✽ وخامسها ✽ المجازي عن ابي علي الجبائي أي يجازي على
كل شيء من الحسنات والسيئات

✽ النظم ✽

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه سبحانه لما قال لا تكف إلا نفسك عقب ذلك بأن ذلك مع هذا في دعاء المؤمنين
إلى الحق ما للإيمان في شفاعه صاحبه خير يصل إلى المشفوع له لئلا يتوهم ان العبد من اجل انه لا يؤخذ بعمل غيره
لا يتزبد فعله بعمل غيره عن علي بن عيسى وقيل الوجه فيه ان كل من طلب لغيره خيرا فوصل اليه حصل له
نصيب منه وانت قد طلبت لهم الخير حيث دعوتهم إلى الجهاد وحرصتهم عليه قال القاضي هذا احسن ما قيل فيه
قوله تعالى (٨٦) وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على كل
شيء حسيبا (آية)

✽ اللغة ✽

التحية السلام يقال حيي يحيي تحية إذا سأم قال الشاعر
إنا محيوك ياسلمى فحيينا وإن سقيت كرام الناس فاسقيننا
والتحية البقا قال
من كل ما نال الفتى قد نلته إلا التحية

بغني الملك وإنما سمي بذلك لأن الملك يحياً بالسلام والثناء الحسن والحسب الحفيظ لكل شيء حتى لا يشذ منه شيء والحسب الفعيل من الحساب الذي هو الاحصاء يقال حسب فلان فلانا على كذا وهو حسبه إذا كان صاحب حسابه ومن قال حسب الكافي فهو من قولهم حسبني فلان الشيء احساباً إذا كفاني وحسبي كذا أي كفاني وقال الزجاج معنى الحسب انه يعطى كل شيء من العلم والحفظ والجزاء مقدار ما يحسبه أي يكفيه ومنه قوله عطاء حساباً أي كافياً

✽ المعنى ✽

(وإذ أحببتم بتحية فحيوا بأحسن منها) أمر الله المسلمين برد السلام على المسلم بأحسن ما سلم إن كان مؤمناً وإلا فليقل وعليكم لا يزيد على ذلك فقوله بأحسن منها للمسلمين خاصة وقوله (أو ردوها) لأهل الكتاب عن ابن عباس فإذا قال المسلم السلام عليكم فقل وعليكم السلام ورحمة الله وإذا قال السلام عليكم ورحمة الله فقل وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقد حيته بأحسن منها وهذا منتهى السلام وقيل إن قوله أو ردوها للمسلمين خاصة أيضاً عن السدي وعطاء وإبراهيم وابن جريج قالوا إذا سلم عليك المسلم فرد عليه بأحسن ما سلم عليك أو بمثل ما قال وهذا أقوى لما روي عن النبي (ص) انه قال إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم وذكر علي بن إبراهيم في تفسيره عن الصادقين عليهم السلام ان المراد بالتحية في الآية السلام وغيره من البر وذكر الحسن أن رجلاً دخل على النبي (ص) فقال السلام عليك فقال النبي (ص) وعليك السلام ورحمة الله فجاءه آخر فقال السلام عليك ورحمة الله فقال النبي عليك السلام ورحمة الله وبركاته فجاءه آخر فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال النبي (ص) وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقل يا رسول الله زدنا لأول والثاني في التحية ولم تزد في الثالث فقال انه لم يبق لي من التحية شيئاً فرددت عليه مثله وروى الواحدي بأسناده عن ابي امامة عن مالك بن التيهان قال قال رسول الله (ص) من قال السلام عليكم كتب له عشر حسنات ومن قال السلام عليكم ورحمة الله كتب له ثلاثون حسنة (إن الله كان على كل شيء حسيباً) أي حفيظاً عن مجاهد وقيل كافياً وقيل مجازياً عن ابن عباس وفي هذه الآية دلالة على وجوب رد السلام لأن ظاهر الامر يقتضي الوجوب وقال الحسن وجماعة من المفسرين ان السلام تطوع والرد فرض ثم الرد ربما كان من فروض الكفاية وقد يتعين بأن يخصه بالسلام ولا احد عنده فيتعين عليه الرد

✽ النظم ✽

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها ان المراد بالسلام المسالمة التي هي ضد الحرب فلما امر سبحانه بقتال المشركين عقبه بأن قال من مال الى السلم واعطى ذلك من نفسه وحيى المؤمنين بتحية فاقبلوا منه قوله تعالى (٨٧) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَ كُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَبَّ فِيهِ وَمَنْ أصدقُ مِنْ اللَّهِ حَدِيثًا (آية)

✽ الإعراب ✽

اللام في ليجمعنكم لام القسم وحديثاً نصب على التمييز كما تقول من أحسن من زيد فهو استفهام في اللفظ وتقرير في المعنى

✽ المعنى ✽

(الله لا إله الا هو) قد مر تفسيره (ليجمعنكم إلى يوم القيامة) أي ليعثنكم من بعد ماتكم ويحشرنكم جميعاً إلى موقف الحساب الذي يقضى فيه بين أهل الطاعة والمعصية وقال الزجاج مغناه ليجمعنكم في الموت

وفي قبوركم (لا ريب فيه) اي لاشك في هذا القول وانما سمي يوم القيامة لأن الناس يقومون فيه من قبورهم وفي التنزيل يوم يقوم الناس لرب العالمين (ومن اصدق من الله حديثاً) اي موعداً لا خلف لوعده وقيل معناه لا احد اصدق من الله في الخبر الذي يخبر به

✽ النظم ✽

لما امر تعالى ونهى فيما قبل بين بعده انه الآله الذي لا يستحق العبادة سواء اي فاعملوا على حسب ما اوجه عليكم فانه يجازيكم به ثم بين وقت الجزاء وقيل انما اتصل بقوله حسيباً اي انما الحسيب هو الله قوله تعالى (٨٨) فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنِينَ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلًا (آية)

✽ اللغة ✽

الار كاس الرد ومنه قول امية بن ابي الصلت

فأركسوا في حميم النار انهم
كانو عصاة وقالوا الا فلك والزورا
قال الفراء يقال اركسهم وركسهم وقد ذكر ان عبد الله وابي بن كعب قرأوا ركسهم بغير الف فيه

✽ الاعراب ✽

فتنين نصب على الحال كما تقول مالك قائماً والعامل في الحال معنى الفعل الذي في الظرف اعني قوله لك

✽ النزول ✽

اختلفوا فبين نزلت هذه الآية فيه فقيل نزلت في قوم قدموا المدينة من مكة فآظفروا للمسلمين الاسلام ثم رجعوا الى مكة لأنهم استوخنوا المدينة فآظفروا الشرك ثم سافروا ببضائع المشركين الى اليمامة فاراد المسلمون ان يفزروهم فاختلفوا فقال بعضهم لا نفعل فانهم موثنون وقال آخرون انهم مشركون فانزل الله فيهم الآية عن مجاهد والحسن وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وقيل نزلت في الذين تخلفوا عن احد وقالوا لو نعلم قتالا لا تبعناكم الآية فاختلف اصحاب رسول الله فقال فريق منهم نقتلهم وقال آخرون لا نقتلهم فنزلت الآية عن زيد بن ثابت

✽ المعنى ✽

ثم عاد الكلام الى ذكر المنافقين فقال تعالى (فما لكم) ايها المؤمنون صرتم (في) أمر هو لاء (المنافقين فتنين) اي فرقتين مختلفتين فمنكم من يكفرهم ومنكم من لا يكفرهم (والله اركسهم بما كسبوا) اي ردهم الى حكم الكفار بما اظهروا من الكفر عن ابن عباس وقيل معناه اهلكهم بكفرهم عن قتادة وقيل خذلهم فأقاموا على كفرهم وترددوا فيه فأخبر عن خذلانه اياهم بأنه اركسهم عن ابي مسلم (اتريدون ان تهذوا) اي تحكموا بهداية (من أضل من الله) اي حكم الله بضلاله وساء ضالاً وقيل معنى اضله الله خذله ولم يوقفه كما وفق المؤمنين لانهم لما عصوا وخالفوا استحقوا هذا الخذلان عقوبة لهم على معصيتهم اي اتريدون الدفاع عن قتالهم مع ان الله حكم بضلالهم وخذلهم ووكاهم الى انفسهم وقال ابو علي الجبائي معناه اتريدون ان تهذوا الي طريق الجنة من اضله تعالى عن طريق الجنة والثواب وطعن على القول الاول بانه لو اراد التسمية والحكم لقال من ضلل الله وهذا لا يصح لأن العرب تقول اكفرته وكفرته قال الكمي

وطائفة قد اكفروني بحكم وطائفة قالوا مسبي ومذنب وايضاً فإنه تعالى انما وصف المؤمنين بهدايتهم بأن ساهم مهتدين لأنهم كانوا يقولون انهم مؤمنون فقال تعالى لا تختلفوا فيهم وقولوا باجمعكم انهم منافقون (ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا) معناه ومن نسبه الله الى الضلالة فلن ينفعه أن يحكم غيره بهدايته كما يقال من جرحه الحاكم فلا ينفعه تعديل غيره وقيل معناه من يجعله الله في حكمه ضالاً فلن تجد له في ضلالتة حجة عن جعفر بن حرث قال وبدل على انهم هم الذين اكنسبوا ما صاروا اليه من الكفر دون ان يكون الله تعالى اضطرهم اليه قوله على اثر ذلك ودوا لو تكفروا كما كفروا فاضاف الكفر اليهم

قوله تعالى (٨٩) وَدَّوَالُو كَفَرُوا كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يَهْجُرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (آية)

= المعنى =

ثم بين تعالى احوال هؤلاء المنافقين فقال (ودوا) اي ود هؤلاء المنافقون الذين اختلفتم في امرهم يعني تمنوا (لو تكفروا) انتم بالله ورسوله (كما كفروا) هم (فتكونون سواء) اي فتستوون انتم وهم وتكونون مثاهم كفار انهم نهى تعالى المؤمنين ان يوادهم فقال (فلا تتخذوا منهم اولياء) اي فلا تستنصروهم ولا تستنصحوهم ولا تستعينوا بهم في الأمور (حتى يهاجروا) اي حتى يخرجوا من دار الشرك ويفارقوا اهلهما المشركين بالله (في سبيل الله) اي في انشاء دينه وهو سبيله فيصبروا عند ذلك مثلكم لهم ما لكم وعليهم ما عليكم وهذا قول ابن عباس وانما سمي الدين سبيلا وطريقا لأن من يسلكه اذاه الى النعمة وساقه الى الجنة (فان تولوا) أي عرضوا عن الهجرة في سبيل الله عن ابن عباس (فخذوهم) ايها المؤمنون (واقتلوهم حيث وجدتموهم) أي اين أصبتموهم من ارض الله من الحل والحرم (ولا تتخذوا منهم وليا) أي خليلا (ولا نصيرا) أي ناصرا ينصركم على اعدائكم

قوله تعالى (٩٠) إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَالْقَوَا إِلَيْكُمْ أَلْسَلَّمْ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا (آية)

✽ اللغة ✽

الحصر الضيق وكل من ضاقت نفسه عن شيء من فعل او كلام يقال قد حصر ومنه الحصر في القراءة والحصر اعتقال البطن والاعتزال أن يتنحى الرجل عن الشيء يقال اعتزلت البيت وتعزلته قال الاحوص

يا بيت عاتكة الذي اعتزل حذر العدى وبه الفؤاد موكل

وسميت المعتزلة معتزلة لاعتزالهم مجلس الحسن البصري بعد ان كانوا من اهله وذلك ان واصل بن عطاء لما اظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين وتابعه عمرو بن عبيد على التدين به ووافقهم جماعة على هذا المذهب

قال الأمر بهم إلى الاعتزال للحسن البصري واصحابه فسأهم الناس معذلة وجرى عليهم ذلك الاسم

= الإعراب =

حصرت صدورهم في موضع نصب على الحال وقد مضرة معه لأن الفعل الماضي لا يكون حالا حتى يكون معه قد اما مضرة او مظهرة فإن قد تقرب الماضي من الحال فتقديره جاؤكم قد حصرت صدورهم كما قالوا جاء فلان ذهب عقله أي قد ذهب عقله ويجوز أن يكون حصرت صدورهم منصوب الموضع بأنه صفة لموصوف هو حال على تقدير جاؤكم قوم حصرت صدورهم فحذف الموصوف المنصوب على الحال واقيم صفة مقامه وإنما جازان يكون هذا حالا لأنه بمنزلة قولك او جاؤكم موصوفين بخصر الصدور او معروفين بذلك

✽ المعنى ✽

لما أمر تعالى المؤمنين بقتال الذين لا يهاجرون عن بلاد الشرك وان لم يوالوهم استثنى من جملتهم فقال (إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق) معناه الا من وصل من هؤلاء إلى قوم بينكم وبينهم موادعة وعهد فدخلوا فيهم بالحلف او الجوار فحكمهم حكم أولئك في حقن دمائهم واختلف في هؤلاء فالمروي عن ابي جعفر (ع) انه قال المراد بقوله تعالى قوم بينكم وبينهم ميثاق هو هلال بن عويمر السلمي واثق عن قومه رسول الله فقال في موادعته على ان لا تحيف يا محمد من أانا ولا تحيف من أناك فنهى الله ان يتعرض لأحد عهد اليهم وبه قال السدي وابن زيد وقيل هم بنو مدلج وكان سراقبة بن مالك بن خنعم المدلجي جاء إلى النبي بعد أحد فقال انشدك الله والنعمة وأخدمته ميثاقا أن لا يغزو قومه فإن اسلم قريش اسلموا لأنهم كانوا في عقد قريش فحكم الله فيهم ما حكم في قريش ففيهم نزل هذا ذكره عمر بن شبة ثم استثنى لهم حالة أخرى فقال (او جاؤكم حصرت صدورهم) أي ضاقت قلوبهم من ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم) يعني من قتالكم وقتال قومهم فلا عليكم ولا عليهم وإنما عني به اشجع فإنهم قدموا المدينة في سبعمائة يقودهم مسعود بن دخيلة فأخرج اليهم النبي احمال التمر ضيافة وقال نعم الشيء الهدية امام الحاجة وقال لهم ما جاء بكم قالوا لقرب دارنا منك وكرهنا حربك وحرب قومنا يعنون بني ضمرة الذين بينهم وبينهم عهد لقتلنا فيهم فجننا لنوادعك فقبل النبي ذلك منهم ووادعهم فرجموا إلى بلادهم ذكره علي بن ابراهيم في تفسيره فأمر الله تعالى المسلمين أن لا يتعرضوا هؤلاء (ولو شاء الله لسلطهم عليكم) بتقوية قلوبهم فيجتروا على قتالكم وقيل هذا اخبار عما في المقدور وليس فيه انه يفعل ذلك بأن يأمرهم به او يأذن لهم فيه ومعناه انه يقدر على ذلك لو شاء لكنه لا يشاء ذلك بل يلقي في قلوبهم الرعب حتى يفزعوا ويطلبوا الموادعة ويدخل بعضهم في حاف من بينكم وبينهم ميثاق (فلقاتلوكم) أي لو فعل ذلك لقاتلوكم (فإن اعتزلوكم) يعني هؤلاء الذين أمر بالكف عن قتالهم بدخولهم في عهدكم او بمصيركم اليهم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم (فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم) يعني صالحوكم واستسلموا لكم كما يقول القائل القيت اليك قيادي والقيت اليك زمامي إذا استسلم له وانقاد لأمره والسلم الصلح (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) يعني إذا سالموكم فلا سبيل لكم إلى نفوسهم واموالهم قال الحسن وعكرمة نسخت هذه الآية والتي بعدها والآياتان في سورة الممتحنة لا ينهكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين إلى قوله الظالمون الآيات الاربع بقوله فإذا انسأخ

الأشهر الحرم فاقنوا المشركين حيث وجدتموهم الآية

قوله تعالى (٩١) ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كل ما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها فإن لم يعتزلوكم وبلغوا اليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم وأقتلوهم حيث تفتنموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا (آية)

✽ النزول ✽

اختلف في من عنى بهذه الآية فقبل نزلت في اناس كانوا يأتون النبي فيسلمون رثاء ثم يرجعون الى قريش فيرتكسون في الأوثان يبتغون بذلك ان يأمنوا قومهم ويأمنوا نبي الله فأبى الله ذلك عليهم عن ابن عباس ومجاهد وقيل نزلت في نعيم بن مسعود الأشجعي كان ينقل الحديث بين النبي وبين المشركين عن السدي وقيل نزلت في اسد وغطفان عن مقاتل وقيل نزلت في عيينة بن حصن الفراري وذلك انه اجذبت بلادهم فجاء الى رسول الله وادعه على ان يقيم ببيت نخل ولا يتعرض له وكان منافقا ملعونا وهو الذي ساء رسول الله الأحمق المطاع في قومه وهو المروي عن الصادق

✽ المعنى ✽

ثم بين تعالى طائفة اخرى منهم فقال (ستجدون آخرين) يعني قوما آخرين غير الذين وصفتم قبل (يريدون ان يأمنوكم) فيظهرون الاسلام (ويأمنوا قومهم) فيظهرون لهم الموافقة في دينهم (كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها) المراد بالفتنة هنا الشرك اي كلما دعوا الى الكفر اجابوا ورجعوا اليه والفتنة في اللغة الاختبار والاركاس الرد قال الزجاج اركسوا فيها ارتكسوا في عقدهم فالمعنى كلما ردوا الى الاختبار ليرجعوا الى الكفر رجعوا اليه (فإن لم يعتزلوكم) ايها المؤمنون اي فإن لم يعتزل قتالكم هؤلاء الذين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم (وبلغوا اليكم السلم) يعني ولم يستسلموا لكم فيعطوكم المقادة ويصالحوكم (و) لم يكفوا أيديهم (عن قتالكم) فخذوهم (اي أسروهم) واقنواهم حيث تفتنموهم (اي وجدتموهم وأصبتموهم) وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) اي حجة ظاهرة وقيل عدرا بينا في القتال وسميت الحجة سلطانا لأنه يتسلط بها على الخصم كما يتسلط بالسلطان

قوله تعالى (٩٢) وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقية مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقية مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقية مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليا حكيما (آية)

✽ اللفظة ✽

الخطأ خلاف الصواب والفعل منه خطأ وأخطأ في الأمر اي لم يصب الصواب والخطأ والخطاء بالفتح فيها والخطأ والخطاة بالتسكين فيهما والخطائة الذنب والفعل منه خطأ يخطأ اذا اذنب والتحرير تفعليل من الحرية

وهو اخراج العبد من الرق الى الحرية

✽ الاعراب ✽

اجمع المحققون من النحويين على أن قوله إلا خطأ استثناء منقطع من الاول على معنى ما كان لمؤمن ان يقتل مؤمناً البتة الا ان يخطأ المؤمن ومثله قول الشاعر

من البيض لم تطعن بعيداً ولم تطأ على الارض الاربط برد مرجل

والمعنى ولم تطأ على الارض الا ان تطأ ريط البرد اذ ليس ريط البرد من الارض وقد مر ذكر ما قبل في مثله في سورة البقرة عند قوله الا الذين ظهروا منهم وقال بعضهم إن الاستثناء متصل والمعنى لم يكن لمؤمن ان يقتل مؤمناً منعماً ومتى قتله منعماً لم يكن مؤمناً فان ذلك يخرج من الايمان ثم قال إلا خطأ أي فان قتله خطأ لا يخرج من الايمان فتحري رقيقة مبتدء محذوف الخبر لدلالة الكلام عليه وموضع أن في قوله الا ان يصدقوا نصب لأن المعنى فعليه ذلك الا ان يصدقوا اي الا على ان يصدقوا ثم تسقط على ويعمل فيه ما قبله على معنى الحال فهو مصدر وقع موقع الحال وأصل يصدقوا يتصدقوا فأدغمت التاء في الصاد لتقرب مخرجهما وقبل ان في قراءة ابي الا ان يصدقوا توبة من الله كفولهم فعلت ذلك حذرا لشر عن الزجاج فيكون مفعولاً له وقبل انه بمعنى تاب الله بذلك عليكم توبة فيكون مصدراً مثل كتاب الله عليكم وقد مر ذكره

✽ النزول ✽

نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي أخي ابي جهل لأنه كان اسلم وقتل بعد اسلامه رجلاً مسلماً وهو لا يعلم اسلامه والمقتول الحارث بن يزيد ابو نبشة العامري عن مجاهد وعكرمة والسدي قال قتله بالجرة بعد الهجرة وكان من أحد من رده عن الهجرة وكان يعذب عياشاً مع ابي جهل وهو المروي عن ابي جعفر وقيل نزلت في رجل قتله ابو الدرداء كان في سرية فعذب ابو الدرداء الى شعب يريد حاجة فوجد رجلاً من القوم في غنم له فحمل عليه بالسيف فقال لا إله الا الله فبدر فضربه ثم جاء بغنمه الى القوم ثم وجد في نفسه شيئاً فأتى رسول الله فذكر ذلك له فقال رسول الله ألا شققت عن قلبه وقد اخبرك بلسانه فلم تصدقه قال كيف بي يا رسول الله فقال فكيف بلا إله الا الله قال ابو الدرداء فتمنيت ان ذلك اليوم مبتدأ إيماني فنزلت الآية عن ابن زيد

✽ المعنى ✽

(وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمناً الا خطأ) معناه ما اذن الله ولا اباح لمؤمن فيما عهد اليه ان يقتل مؤمناً الا ان يقتله خطأ عن قتادة وغيره وقيل معناه ما كان له كما ليس له الا ان يقتل مؤمناً الا ان يقع القتل خطأ وقبل تقديره وما كان لمؤمن ليقول مؤمناً الا خطأ كقوله ما كان لله ان يتخذ من ولد معناه ما كان لله ليتخذ ولداً وقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها أي ما كنتم لتنبتوا شجرها وانما قلنا ان معناه ما ذكرنا لأن الله لا يلحقه الأمر والنهي وانبات الشجر لا يدخل تحت قدرة العبد فلا يصح النهي عنه فمعنى الآية على ما وصفناه ليس من صفة المؤمن ان يقتل مؤمناً الا خطأ وعلى هذا يكون الاستثناء متصلاً ومن قال ان الاستثناء منقطع قال قد تم الكلام عند قوله ان يقتل مؤمناً ثم قال فان كان القتل خطأ فحكمه كذا وانما لم يحمل قوله الا خطأ على حقيقة الاستثناء لأن ذلك يؤدي الى الامر بقتل الخطأ او اباحته ولا يجوز

واحد منها والخطأ هو ان يريد شيئاً فيصيب غيره مثل ان يرمي الى غرض او الى صيد فيصيب انساناً فيقتله وكذلك لو قتل رجلاً ظنه كافراً كما ظن عياش بن ابي ربيعة وابو الدرداء على ما قلناه قبل (ومن قتل مؤمناً خطأ فنجس رقبته مؤمناً) اي فعليه اعتناق رقبة مؤمنة في ماله خاصة على وجه الكفارة حقه الله والرقبة المؤمنة هي البالغة التي آمنت وصلت وصامت فلا يجزي في كفارة القتل الطفل ولا الكافر عن ابن عباس والشعبي وابراهيم والحسن وقتادة وقبل تجزي كل رقبة ولدت على الاسلام عن عطاء والاول اقوى لأن لفظ المؤمن لا يطلق إلا على البالغ الملتزم للفرائض الا أن من ولد بين مؤمنين فلا خلاف انه يحكم له بالايان (ودية) اي وعليه وعلى عاقلة دية (مسلمة الى اهله) اي الى اهل القتل والمسلمة هي المدفوعة اليهم موفرة غير متقصدة حقوق اهلها منها تدفع الى اهل القتل والمسلمة هي المدفوعة اليهم فتقسم بينهم على حسب حساب الميراث (الا ان يصدقوا) يعني الا ان يصدق اولياء القتل بالدية على عاقلة القاتل ويتركها عليهم (فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن) معناه فان كان القتل من جملة قوم هم اعداء لكم يناصبونكم الحرب وهو في نفسه مؤمن ولم يعلم قاتله انه مؤمن فقتله وهو يظنه مشركاً (فنجس رقبته) اي فعلى قاتله تحرير رقبة (مؤمنة) كفارة وليس فيه دية عن ابن عباس وقيل ان معناه اذا كان القتل في عداد قوم اعداء وهو مؤمن بين اظهريهم ولم يهاجر فمن قتلته فلا دية له وعليه تحرير رقبة مؤمنة فقط لأن الدية ميراث واهله كفار لا يرثونه عن ابن عباس في رواية اخرى وابراهيم والسدي وقتادة وابن زيد (وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق) اي عهد وذمة وليسوا اهل حرب لكم (فدية مسلمة الى اهله) تلزم عاقلة قاتله (وتحرير رقبة مؤمنة) اي يلزم قاتله كفارة لقتله وهو المروي عن الصادق عليه السلام واختلف في صفة هذا القتل اهو مؤمن ام كافر فقيل انه كافر الا انه يلزم قاتله دية بسبب العهد عن ابن عباس والزهري والشعبي وابراهيم النخعي وقتادة وابن زيد وقيل بل هو مؤمن يلزم قاتله الدية يؤدها الى قومه المشركين لانهم اهل ذمة عن الحسن وابراهيم ورواه اصحابنا ايضا الا انهم قالوا تعطى دية ورثته المسلمين دون الكفار ولفظ الميثاق يقع على الذمة والعهد جميعاً (فمن لم يجد) اي لم يقدر على عتق الرقبة بأن لا يجد العبد ولا ثمنه (فصيام شهرين) اي فعليه صيام شهرين (متتابعين توبة من الله) اي ليتوب الله به عليكم فتكون التوبة من فعل الله وقيل ان المراد بالتوبة هنا التخفيف من الله لأن الله انما جوز للقاتل المدول الى الصيام تخفيفاً عليه ويكون كقوله تعالى علم ان ان تحصوه فتاب عليكم (وكان الله عليماً) اي لم يزل عليماً بكل شيء (حكياً) فيما يأمر به وينهى عنه واما الدية الواجبة في قتل الخطأ فائمة من الاهل ان كانت العاقلة من اهل الاهل بلا خلاف وان اختلفوا في اسنانها فقيل هي ارباع عشرون بنت مخاض وعشرون ابن لبون ذكر وثلاثون بنت لبون وثلاثون حقة وروي ذلك عن عثمان وزيد بن ثابت ورواه اصحابنا ايضا وقد روي ايضا في اخبارنا خمس وعشرون بنت مخاض وخمس وعشرون بنت لبون وخمس وعشرون حقة وخمس وعشرون جذعة وبه قال الحسن والشعبي وقيل انها خمس وعشرون حقة وعشرون جذعة وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون بنت مخاض وهذا قول ابن مسعود وابن عباس والزهري والثوري واليه ذهب الشافعي وقال ابو حنيفة هي خمس ايضا الا انه جعل مكان ابن لبون ابن مخاض وبه قال النخعي ورواه ايضا عن ابن مسعود قال الطبري هذه الروايات متكافئة والاولى التخخير فالدية من الذهب الف دينار ومن الورق عشرة آلاف درهم وهو الاصح وقيل اثنا عشر الفاً

ودية الخطأ تنادي في ثلاث سنين ولو خاينا وظاهر الآية لقلنا ان دية الخطأ على القاتل لكن علمنا بسنة الرسول والاجماع ان الدية في الخطأ على العاقلة وهم الأخوة وبنو الأخوة والاعمام وبنو الاعمام واعمام الأب وابناؤهم والموالي وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة يدخل الوالد والولد فيها ويمقل القاتل وقد روى ابن مسعود عن النبي انه قال لا يؤخذ الرجل بجريرة ابنه ولا الابن بجريرة ابيه وليس الزام الدية للعاقلة على سبيل مؤاخذه البري بالسقيم لأن ذلك ليس بعقوبة بل هو حكم شرعي تابع للمصلحة وقد قيل ان ذلك على سبيل الموازنة والمعاونة

﴿ النظم ﴾

انه تعالى ذكر الكفار وامر بقتلهم ثم ذكر من كان بينهم وبين المسلمين عهد ومنع من قتلهم ثم ذكر من نافق وحكم قتلهم ثم ذكر قتل المؤمن ووصل به ذكر احكامه من دية وغيرها
قوله تعالى (٩٣) وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا آية

- النزول -

نزلت في مقيس بن صباة الكناني وجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار فذكر ذلك ارسول الله (ص) فارسل معه قيس بن هلال الفهري وقال له قل لبني النجار ان علمتم قاتل هشام فادفعوه الى اخيه ليقتل منه وان لم تعلموا فادفعوا اليه دية فبلغ الفهري الرسالة فاعطوه الدية فلما انصرف ومعه الفهري وسوس اليه الشيطان فقال ما صنعت شيئا اخذت دية اخيك فيكون سبة عليك اقول الذي معك لتكون نفس بنفس والدية فضل فرماه بصخرة فقتله وركب بعيرا ورجع الى مكة كافرا وانشديقول

قتلت به فهرا وحملت عقله سراة بني النجار ارباب فارع
فادركت تأري واضجعت موسدا وكنت الى الأوثان اول راجع

فقال النبي لا اوئنه في حل ولا حرم فقتل يوم الفتح رواه الضحاك وجماعة من المفسرين

﴿ المعنى ﴾

لما بين تعالى قتل الخطأ وحكمه عقبه ببيان قتل العمد وحكمه فقال (ومن يقتل مؤمنا متعمدا) اي قاصدا الى قتله عالما بايمانه وحرمة قتله وعصمة دمه وقيل معناه مستحلا لقتله عن عكرمة وابن جريج وجماعة وقيل معنى التعمد ان يقتله على دينه رواه العياشي باسناده عن الصادق (ع) (فجزاؤه جهنم خالدا) مقبلا (فيها وغضب الله عليه ولعنه) وابعده من الخير وطرده عنه على وجه العقوبة (واعده له عذابا عظيما) ظاهر المعنى وصفة قتل العمد ان يقصد قتل غيره بما جرت العادة بأن يقتل مثله سواء بحديدة حادة كالسلاح او بخنق او سم او احراق او تفريق او موالاة ضرب بالعصا او بالحجارة حتى يموت فإن جميع ذلك عمد يوجب القود وبه قال ابراهيم والشافعي واصحابه وقال قوم لا يكون قتل العمد الا بالحديد وبه قال سعيد ابن المسيب وطاووس وابو حنيفة واصحابه واما القتل شبه العمد فهو ان يضرب بعصا او غيرها مما لم تجر العادة بحصول الموت عنده فيموت ففيه الدية مغالطة تلزم القاتل خاصة في ماله دون العاقلة وفي هذه الآية

وعيد شديد لمن قتل مؤمنا متعمدا حرم الله به قتل المؤمن وغلظ فيه وقال جماعة من التابعين الآية اللينة وهي ان الله لا يقفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء نزلت بعد الشديدة وهي ومن يقتل مؤمنا متعمدا وقال ابو مجلز في قوله فجزاؤه جهنم خالدا فيها فهي جزاؤه ان جازاه ويروي هذا ايضا عن ابي صالح ورواه ايضا العياشي باسناده عن ابي عبد الله (ع) وقد روي ايضا مرفوعا الى النبي (ص) انه قال هو جزاؤه ان جازاه وروى عاصم بن ابي النجود عن ابن عباس في قوله فجزاؤه جهنم قال هي جزاؤه فان شاء عذبه وان شاء غفر له وروي عن ابي صالح وبكر بن عبد الله وغيره انه كما يقول الانسان لمن يزرجه عن امره ان فعلته فجزاؤك القتل والضرب ثم ان لم يجازه بذلك لم يكن ذلك منه كذبا واعترض على هذا ابو علي الجبائي فقال لا يفعل الا يسمى جزاء لا يسمى جزاء الا ترى ان الاجير اذا استحق الأجرة فالدرهم التي مع مستأجره لا تسمى بانها جزاء عمله وهذا لا يصح لأن الجزاء عبارة عن المسنوح سواء فعل ذلك او لم يفعل ولهذا يقال جزاء المحسن الاحسان وجزاء المسيء الاساءة وان لم يتعين المحسن والمسيء حتى يقال انه فعل ذلك به او لم يفعل ويقال لمن قتل غيره جزاء هذا ان يقتل وانما لا يقال للدرهم انها جزاء الاجير لأن الاجير إنما يستحق الأجرة في الذمة لا في دراهم معينة فللمستأجر ان يعطيه منها ومن غيرها ومن تعلق بهذه الآية من اهل الوعيد في ان مرتكب الكبيرة لا بد ان يخلد في النار فاننا نقول له ما نكرت ان يكون المراد به من لا ثواب له اصلا بأن يكون كافرا او يكون قتله مستحلا لقتله او قتله لا يمانه فانه لا خلاف ان هذا صفة من يخلد في النار وبعضه من الرواية ما تقدم ذكره في سبب نزول الآية واقوال الأئمة في معناها وبعد فقد وافقنا على ان الآية مخصوصة بمن لا يتوب وان الثواب خارج من عمومها واما ما روي عن ابن عباس انه قال لا توبة لقاتل المؤمن الا اذا قتله في حال الشرك ثم اسلم وتاب وبه قال ابن مسعود وزيد بن ثابت فالاولى ان يكون هذا القول منهم محمولا على سلوك سبيل التخليط في القتل كما روي عن سفيان الثوري انه سئل عن توبة القاتل فقال كان اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له واذا ابتلى الرجل قالوا له تب وروى الواحدي باسناده مرفوعا الى عطاء بن ابي رباح عن ابن عباس ان رجلا سأله اقاتل المؤمن توبة فقال لا وسأله آخر اقاتل المؤمن توبة فقال نعم فقيل له في ذلك فقال جاءني ذلك ولم يكن قتل فقلت لا توبة لك لكي لا يقتل وجاءني هذا وقد قتل فقد قلت لك توبة لكي لا يلقي نفسه بيده الى التهلكة ومن قال من اصحابنا ان قاتل المؤمن لا يوفق للتوبة لا ينافي ما قلناه لان هذا القول ان صح فانما يدل على انه لا يختار التوبة مع انها لو حصلت لأزالت العقاب واذا كان لا بد من تخصيص الآية بالتوبة جاز ان يختص ايضا بمن تفضل عليه بالعفو وروى الواحدي باسناده مرفوعا الى الاصمعي قال جاء عمرو بن عبيد الى ابي عمرو بن العلاء فقال يا ابا عمرو أيخلف الله ما وعده فقال لا قال افرأيت من او وعده على عمل عقابا يخلف الله وعده فيه فقال ابو عمرو من العجمة اتيت يا ابا عثمان ان الوعد غير الوعد ان العرب لا تعد عارا ولا خلفا ان تعد شرا ثم لا تفعله يرى ذلك كرما وفضلا وانما الخلف في ان تعد خيرا ثم لا تفعله قال فوجدني هذا في كلام العرب قال نعم سمعت قول الاول

وإني إن أوعدته او وعدته لمخلف اوعادي ومنجز موعدي

ووجدنا في الدعاء المروي بالرواية الصحيحة عن الصادق عليه السلام يا من اذا وعدتني واذا تعذفتني واذا وعدتني واذا تعذفتني ما تقدم وقد احسن يحيى بن معاذ في هذا المعنى حيث قال الوعد حق والوعيد حق فالوعد حق العباد على الله ضمن

لهم إذا فعلوا كذا ان يعطيهم كذا ومن اولى بالوفاء من الله والوعيد حقه على العباد قال لا تفعلوا كذا فاعذبكم ففعلوا فإن شاء عفا وان شاء عاقب لأنه عاقب لأولاهم برئنا العفو والكرم انه غفور رحيم وروى اسحاق بن ابراهيم قال سمعت قيس بن انس يقول كنت عند عمرو بن عبيد في بيته فأنشأ يقول يوتى بي يوم القيامة فاقام بين يدي الله فيقول قلت ان القاتل في النار فاقول انت قلت ومن يقتل مؤمنا الآية فقلت له وما في البيت اصغر سنا مني ارايت ان لو قال لك فاني قلت فان الله لا يغفر ان يشرك به ويفرما دون ذلك لمن يشاء من اين علمت اني لا اشاء ان اغفر لهذا قال فما استطاع ان يرد علي شيئا

قوله تعالى (٩٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنْ اللَّهُ كَانَ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرًا آيَةٌ

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل الكوفة غير عاصم فتثبتوا هنا في الموضوعين بالثناء والتاء وفي الحجرات وقرأ الباقون فتبينوا بالثناء والنون في الجميع وقرأ اهل المدينة والشام وحمزة وخلف السلم بغير الفوقرى في بعض الروايات عن عاصم السلم بكسر السين وسكون اللام وقرأ الباقون السلام بالالف وروي عن ابي جعفر القارى من بعض الطرق لست مؤمنا بفتح الميم الثانية وحكى ابو القاسم البلخي أنه قراءة محمد بن علي الباقر

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من قرأ فتثبتوا فحجته ان التثبت خلاف الاقدام والمراد به الثاني وهو اشد اختصاصا بهذا الموضوع ويبين ذلك قوله واشد تثبيتا اي اشد وقفا لهم عما وعظوا بأن لا يقدموا عليه ومن قرأ فتبينوا فحجته ان التبيين قد يكون اشد من التثبت وقد جاء التبين من الله والمجلة من الشيطان فمقابلة التبين بالمجلة دلالة على تقارب التثبت والتبين قال الشاعر

ازيد مائة توعد يا ابن نيم تبين اين تاه بك الوعيد

قال ومن قرأ السلم احتمل ضربين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون بمعنى التحية اي لا تقولوا لمن حياكم بتحية المسلمين انما قالها تعوذا ولكن ارفعوا السيف عنه ﴿ والآخر ﴾ ان يكون المعنى لا تقولوا لمن لا يقاتلكم لست مؤمنا قال ابو الحسن يقال فلان سلم اذا كان لا يخالط احداً ومن قرأ السلم اراد الانقياد والاستسلام الى المسلمين ومنه قوله واقفوا الى الله يومئذ السلم اي اسئسئسوا لامره ولما يراد منهم ومن قرأ السلم بكسر السين فمعناه الاسلام مصدر اسلم اي صار مسلما وخرج عن ان يكون حربا ومن قرأ مؤمنا فإنه من الأمان ومعناه لا تقولوا لمن استسلم لكم لسنا نؤمنكم

﴿ اللفظة ﴾

جميع متاع الدنيا عرض يقال ان الدنيا عرض حاضر ويقال لكل شيء يقل لبيته عرض ومنه العرض الذي هو خلاف الجوهر عند المتكلمين لأنه ما لا يجب له من اللبث ما يجب للجسام والعرض ما يعرض للإنسان من مرض او غيره

✽ الاعراب ✽

تبتغون في موضع نصب على الحال من الواو في تقولوا والكاف من كذلك في موضع نصب بكونه خبر كان من كنتم

✽ النزول ✽

قيل نزلت في أسامة بن زيد وأصحابه بعثهم النبي في سرية فلقوا رجلا قد انحاز بغنم له إلى جبل وكان قد أسلم فقال لهم السلام عليكم لا إله إلا الله محمد رسول الله فبدر إليه أسامة فقتله واستاقوا غنمه عن السدي وروي عن ابن عباس وقتادة أنه لما نزلت الآية حلف أسامة أن لا يقتل رجلا قال لا إله إلا الله وبهذا اعتذر إلى علي لما تخلف عنه وإن كان عذره غير مقبول لأنه قد دل الدليل على وجوب طاعة الإمام في محاربة من حاربه من البغاة لا سيما وقد سمع النبي يقول حربك يا علي حربي وسلمك سلمتي وقيل نزلت في محم بن جثامة الليثي وكان بعثه النبي (ص) في سرية فلقبه عامر بن الأضبط الأشجعي فحياه بتحية الإسلام وكان بينها أحنسة فرماه بسهم فقتله فلما جاء إلى النبي جلس بين يديه وسأله أن يستغفر له فقال (ص) لا يغفر الله لك فانصرف بأكيافا مضت عليه سبعة أيام حتى هلك فدفن فلفظته الأرض فقال (ص) لما أخبر به أن الأرض تقبل من هو شر من محم صاحبكم ولكن الله أراد أن يعظم من حرمتكم ثم طرحوه بين صدي جبل والقوا عليه الحجارة فنزلت الآية عن الواقدي ومحمد بن أسحق بن يسار رواه عن ابن عمر وابن مسعود وأبي حدود وقيل كان صاحب السرية المقداد بن سعيد بن جبير وقيل أبو الدرداء عن ابن زيد

✽ المعنى ✽

لما بين تعالى أحكام القتل وأنواعه عقب ذلك بالامر بالتثبت والتأني حتى لا يفعل ما يعقب الندامة فقال (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم أي صرتم وسافرتم في سبيل الله) للغزو والجهاد (فتبينوا) أي ميزوا بين الكافر والمؤمن وبالثناء والتاء توقفوا وتأناؤا حتى تعلموا من يستحق القتل والمعنيان متقاربان والمراد بهما لا تعجلوا في القتل لمن أظهر السلام ظنا منكم بأنه لا حقيقة لذلك (ولا تقولوا لمن أتى اليكم السلم أي حياكم بتحية أهل الإسلام أو من استسلم اليكم فلم يقاتلكم مظهر أنه من أهل ملتكم) لست مؤمنا أي ليس لإيمانك حقيقة وإنما أسلمت خوفا من القتل أو است بآمن (تبتغون) أي تطلبون (عرض الحياة الدنيا) يعني الغنيمة والمال والمتاع الحياة الدنيا الذي لا بقاء له (فعند الله مغانم كثيرة) أي في مقدوره فواضل ونعم ورزق أن اطعموه فيما أمركم به وقيل معناه ثواب كثير لمن ترك قتل المؤمن (كذلك كنتم من قبل) اختلف في معناه فقيل كما كان هذا الذي قتلتموه مستخفيا في قومه بدينه خوفا على نفسه كنتم انتم مستخفين بأديانكم من قومكم حذرا على انفسكم عن سعيد بن جبير وقيل كما كان هذا المقتول كافرا فهداه الله كذلك كنتم كفارا فهداكم الله عن ابن زيد والجبائي وقيل كذلك كنتم اذلاء واحادا اذا سار الرجل منكم وحده خاف أن يختطف عن المغربي (فمن الله عليكم) فيه قولان ✽ احدهما ✽ فمن الله عليكم باظهار دينه واعزاز اهله حتى اظهرتم الإسلام بعد ما كنتم تكتمونه من أهل الشرك عن سعيد بن جبير وقيل معناه فتاب الله عليكم (فتبينوا) اعاد هذا اللفظ لتأكيد بعدما طال الكلام وقيل الاول معناه تبينوا حاله والثاني معناه تبينوا هذه الفوائد بضمائر واعرفوها وابتغوها (ان الله كان) أي لم يزل (بما تعملون) أي بما تعملونه (خبيرا عليا) قيل ان تعملوه

قوله تعالى (٩٥) لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما (٩٦) درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما آيتان

✽ القراءة ✽

قرأ اهل المدينة والشام والكسائي وخلف غير أولي الضرر بنصب الراء والباقون بالرفع

✽ الحجة ✽

فالرفع على ان يجمل غير صفة للقاعدين عند سيوبه وكذلك قال في غير المغضوب عليهم انه صفة للذين انعمت عليهم ومنه قول لبيد

واذا جوزيت قرضا ناجزا انما يجزى الفتى غير الجمل

فغير صفة الفتى فعلى هذا يكون التقدير لا يستوي القاعدون الاصحاء والمجاهدون والنصب على الاستثناء من القاعدين ويستوي فعل يقتضي فاعلين فصاعداً فالتقدير لا يستوي القاعدون الاولي الضرر والمجاهدون قال الزجاج ويجوز ان يكون منصوبا على الحال فيكون المعنى لا يستوي القاعدون في حال صحتهم والمجاهدون كما تقول جاءني زيد غير مريض اي صحيحا ويجوز في غير الجر على ان يكون صفة للمؤمنين في غير القراءة

✽ اللفظ ✽

الضرر النقصان وهو كما يضرك وينقصك من عمى ومرض وعلة والدرجة المنزلة ودرجته الى كذا اي رقيته اليه منزلة بعد منزلة وادرجت الكتاب طويته منزلة بعد منزلة ودرج الرجل مضى لسبيله لأنه صار الى منزلة الآخرة ومنه فلان اكذب من دب ودرج اي اكذب الاحياء والاموات

= (الاعراب) =

درجة منصوب على انه اسم وضع موضع المصدر اي تفضيلا بدرجة وكلام مفعول وعدا والحسن مفعول ثان ودرجات في موضع نصب بدلا من قوله اجرا عظيما وهو مفسر الاجر المعنى فضل الله المجاهدين درجات ومغفرة ورحمة ويجوز ان يكون منصوبا على التأكيد لاجرا عظيما لأن الاجر العظيم هو رفع الدرجات من الله والمغفرة والرحمة كما تقول لك علي الف درهم عرفا مؤكدا لقولك لك علي الف درهم لأن قولك لك علي الف درهم هو اعتراف فكأنك قلت اعرفها عرفا وكأنه قيل غفر الله لهم مغفرة واجرم اجرا عظيما لأن قوله اجرا عظيما فيه معنى غفر ورحم وفضل

﴿ النزول ﴾

نزات الآية في كعب بن مالك من بني سلمة ومرارة بن ربيع من بني عمرو بن عوف وهلال بن امية من بني واقف تخلفوا عن رسول الله يوم تبوك وعذر الله اولي الضرر وهو عبد الله بن ام مكتوم ورواه ابو حمزة الثمالي في تفسيره وقال زيد بن ثابت كنت عند النبي حين نزلت عليه لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله ولم يذكر اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم فكيف وانا اعمى لا ابصر

فتغشى النبي الوحي ثم سرى عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر فكتبتها

﴿ المعنى ﴾

لما حث سبحانه على الجهاد عقبه بما فيه من الفضل والثواب فقال (لا يستوي القاعدون من المؤمنين) اي لا يعتدل المتخلفون عن الجهاد في سبيل الله من اهل الايمان بالله وبرسوله والمؤثرون الدعوة والرفاهية على مقاساة الحرب والمشقة بقاء العدو (غير اولي الضرر) اي الاهل الضرر منهم بذهاب ابصارهم وغير ذلك من العال التي لا سبيل لاهلها الى الجهاد للضرر الذي بهم (والمجاهدون في سبيل الله) ومنهاج دينه لتكون كلمة الله هي العليا والمستفرغون جهدهم ووسعهم في قتال اعداء الله واعداء دينه (باموالهم) انفاقاً لها فيما يوهن كيد الاعداء (وانفسهم) حلالها على الكفاح في اللقاء (فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدین درجة) معناه فضيلة ومنزلة (وكلا وعد الله الحسنى) معناه وكلا الفريقين من المجاهدين والقاعدین عن الجهاد وعد الله الجنة عن قيادة وغيره من المفسرين وفي هذه دلالة على ان الجهاد فرض على الكفاية لانه لو كان فرضاً على الاعيان لما استحق القاعدون بغير عذر اجرا وقيل لان المراد بالكل هنا المجاهد والقاعد من اولي الضرر المعذور عن مقاتل (وفضل الله المجاهدين على القاعدین) من غير اولي الضرر (اجراً عظيماً) درجات منه) اي منازل بعضها اعلى من بعض من منازل الكرامة وقيل هي درجات الاعمال كما يقال الاسلام درجة والفقه درجة والهجرة درجة والجهاد في الهجرة درجة والقتل في الجهاد درجة عن قيادة وقيل معنى الدرجات هي الدرجات التسع التي درجها في سورة براءة في قوله ذلك بانهم لا يصيبهم ظأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطون موطأ يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون فهذه الدرجات التسع عن عبد الله بن زيد (ومغفرة ورحمة) هذا بيان خلوص النعيم بانه لا يشوبه غم بما كان منه من الذنوب بل غفر له ذلك ثم رحمه باعطائه النعم والكرامات (وكان الله غفوراً) لم يزل الله غفراً للذنوب صفوحاً لعبيده من العقوبة عليها رحيماً بهم متفضلاً عليهم وقد يسأل فيقال كيف قال في اول الآية فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدین درجة ثم قال في آخرها وفضل الله المجاهدين على القاعدین اجراً عظيماً درجات وهذا متناقض الظاهر وأجيب عنه بجوابين ﴿ احدهما ﴾

ان في اول الآية فضل الله المجاهدين على القاعدین من اولي الضرر درجة وفي آخرها فضلهم على القاعدین غير اولي الضرر درجات فلا تناقض لان قوله وكلا وعد الله الحسنى يدل على ان القاعدین لم يكونوا عاصين وان كانوا تاركين للفضل ﴿ والثاني ﴾ ما قاله ابو علي الجبائي وهو انه اراد بالدرجة الاولى علو المنزلة وارتفاع القدر على وجه المدح لهم كما يقال فلان اعلى درجة عند الخليفة من فلان يريدون بذلك انه اعظم منزلة وبالثانية الدرجات في الجنة التي يتفاضل بها المؤمنون بعضهم على بعض على قدر استحقاقهم وقال المغربي انما كرر لفظ التفضيل لان الاول اراد به تفضيلها في الدنيا واراد بالثاني تفضيلهم في الآخرة وجاء في الحديث ان الله فضل المجاهدين على القاعدین سبعين درجة بين كل درجتين مسيرة سبعين خريفاً للفرس الجواد المضمحل

قوله تعالى (٩٧) إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمْ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا

مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَأَسِعَةَ فَتَهَاجِرُوا فِيهَا فَأَوْلَيْتُكُمْ مَا أُوْغِمَ جَهَنَّمَ

وَسَاءتْ مَصِيراً (٩٨) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً
وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٩) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا غَفُورًا (ثلاث آيات)

✽ القراءة ✽

روى في الشواذ عن ابراهيم انه قرأ ان الذين توفاهم الملائكة بضم التاء

✽ الحجة ✽

قال ابن جنى معنى هذا كقولك ان الذين بعدون على الملائكة يردون اليهم يمتسبون عليهم فهو نحو من
قولك ان المال الذي توفاه أمة الله أي يدفع اليها ويمتسب عليها كان كل ملك جعل اليه قبض نفس بعض
الناس ثم تمكن من ذلك وتوفيه

✽ اللغة ✽

التوفي القبض وتوفيت الشيء واستوفيته قبضته والوفاة الموت لأن الميت تقبض روحه والتوفي الاحصاء
قال الشاعر

ان بني ادرد ليسوا من احد ليسوا إلى قيس وليسوا من أسد

ولا توفاهم قريش في العدد

المعنى أحصاهم والمأوى المرجع من أوى الى منزله بأوى أوبا إذا رجع الى منزله والاستضعاف وجدان
الشيء ضعيفا كالاستطراف ونحوه

✽ الإعراب ✽

توفاهم إن شئت كان لفظه ماضيا فيكون مفتوحا لأن الماضي مبني على الفتح ويجوز ان يكون مستقبلا
فيكون مرفوعا على معنى توفاهم حذف التاء الثانية لاجتماع تائين وقد ذكرناه مشروحا فيما تقدم ظلمي
أنفسهم نصب على الحال وأصله ظلمين أنفسهم إلا ان النون حذفت استخفافا وهي ثابتة في التقدير كما
قال سبحانه هديا بالغ الكعبة أي بالغ الكعبة فيم حذفت الألف من ما الاستفهام وهو في موضع جر بفي
والجارم المجرور في موضع نصب لأنه خبر كان وخبر ان قوله قالوا فيم كنتم قالوا لهم فحذف لهم للدلالة
الكلام عليه ويقال خبر إن قوله فأولئك مأواهم جهنم ويكون قالوا لهم في موضع نصب بكونه صفة لظلمي أنفسهم
لأنه نكرة المستضعفين نصب على الاستثناء من قوله مأواهم جهنم إلا المستضعفين لا يستطيعون حيلة في
موضع نصب على الحال من المستضعفين

✽ النزول ✽

قال ابو حمزة الثمالي بلغنا ان المشركين يوم بدر لم يخلفوا إذ خرجوا احدا إلا صبيا او شيخا كبيرا او
مریضا فخرج معهم ناس ممن تكلم بالإسلام فلما التقى المشركون ورسول الله نظر الذين كانوا قد تكلموا
بالإسلام الى قلة المسلمين فارتابوا وأصيبوا فيمن أصيب من المشركين فبزت فيهم الآية وهو المروي عن
ابن عباس والسدي وقنادة وقيل انهم قيس بن الفاكه بن المغيرة والحارث بن زمعة بن الأسود وقيس بن
الوليد بن المغيرة وابو العاص بن منبه بن الحجاج وعلي بن أمية بن خلف عن عكرمة ورواه ابو الجارود عن

أي جعفر (ع) قال ابن عباس كنت أنا من المستضعفين و كنت غلاماً صغيراً و ذكر عنه أيضاً انه قال كان
أي من المستضعفين من الرجال و أي كانت من المستضعفات من النساء و كنت أنا من المستضعفين من الولدان

✽ المعنى ✽

ثم اخبر تعالى عن حال من قعد عن نصرة النبي (ص) بعد الوفاة فقال (إن الذين توفاهم) أي قبض
أرواحهم أو تقبض ارواحهم (الملائكة) الملائكة ملك الموت أو هو وغيره فإن الملائكة تتوفى وملك
الموت يتوفى والله يتوفى وما يفعله ملك الموت أو الملائكة يجوز أن يضاف الى الله إذ فعلوه بأمره وما
تفعله الملائكة جاز ان يضاف الى ملك الموت إذ فعلوه بأمره (ظالمي أنفسهم) أي في حالهم فيها ظلموا
أنفسهم إذ نجسوها حقها من الثواب و أدخلوا عليها العقاب بفعل الكفر (قالوا فيم كنتم) أي قالت
لهم الملائكة فيم كنتم أي في أي شيء كنتم من دينكم على وجه التقرير لهم أو التوبيخ لفعالهم (قالوا
كنا مستضعفين في الأرض) يستضعفنا أهل الشرك بالله في أرضنا وبلادنا بكثرة عددهم وقوتهم و يمنعوننا
من الإيمان بالله واتباع رسوله على جهة الاعتذار (قالوا) أي قالت الملائكة لهم (لم تكن أرض الله واسعة
فتهاجروا فيها) أي فتخرجوا من أرضكم و دوركم و تفارقوا من يمنكم من الإيمان بالله ورسوله الى أرض
يمنكم أهلها من أهل الشرك فتوحده و تعبدوه و تتبعوا رسوله و روي عن سعيد بن جبیر انه قال في معناه اذا
عمل بالمعاصي في أرض فأخرج منها ثم قال تعالى (فأولئك مأواهم جهنم) أي مسكنهم جهنم (وساءت)
هي أي جهنم (مصيراً) لأهلها الذين صاروا اليها ثم استثنى من ذلك فقال (إلا المستضعفين) الذين
استضعفهم المشركون (من الرجال والنساء والولدان) وهم الذين يعجزون عن الهجرة لا إيسارهم وقلة
حيلتهم وهو قوله (لا يستطيعون حيلة ولا يبتدون سبيلاً) في الخلاص من مكة وقيل معناه لا يبتدون
لسوء معرفتهم بالطريق طريق الخروج منها أي لا يعرفون طريقاً الى المدينة عن مجاهد و قتادة و جماعة
من المفسرين (فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم) معناه لعل الله أن يعفو عنهم لما هم عليه من الفقر وبتفضل
عليهم بالصفح عنهم في تركهم الهجرة من حيث لم يتركوها اختياراً (وكان الله عفواً) أي لم يزل الله ذا
صفح بفضله عن ذنوب عباده بترك عقوبتهم على معاصيهم (غفوراً) أي ساتراً عليهم ذنوبهم بعفوه لهم
عنها قال عكرمة و كان النبي يدعو عقيب صلاة الظهر اللهم خالص الوليدين وسلمة بن هشام و عياض بن ابي
ربيعه و ضعفة المسلمين من أهدى المشركين

قوله تعالى (١٠٠) وَمَنْ يهاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ
يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ
اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (آية)

✽ اللغة ✽

المهاجرة المفارقة واصله من الهجر الذي هو ضد الوصل و المرائع المضطرب في البلاد و المذهب واصله من الرغام
وهو التراب و معنى راغمت فلانا هاجرته و لم ابال رغم انه اي وإن لصق بالتراب انه و رغم الله انه الصقه بالتراب
وقيل امله الذل و الشدة و المرائع المعادي الذي يروم اذلال صاحبه و منه الحديث اذا صلى احدكم فليزم حينه

واقفه الأرض حتى يخرج منه الرغم أي حتى يذل ويخضع لله تعالى وفعلته على رغمه أي على ذله بما يكره وارغم الله الله اذله والمرامح الموضع والمصدر من المراجعة قال

إلى بلد غير داني المحل بعيد المراجعة والمضطرب

﴿ النزول ﴾

قيل لما نزلت آيات الهجرة سمعها رجل من المسلمين وهو جندع أو جندب بن ضمرة وكان بمكة فقال والله ما أنا مما استثنى الله إني لأجد قوة وإني لعالم بالطريق وكان مريضاً شديداً مرض فقال لبيته والله لا أبيت بمكة حتى أخرج منها فأني أخاف أن أموت فيها فخرجوا يحملونه على سريره حتى إذا بلغ التميميات فنزلت الآية عن أبي حمزة الثمالي وعن قتادة وعن سعيد بن جبير وقال عكرمة وخرج جماعة من مكة مهاجرين فلحقهم المشركون وقتلوا عن دينهم فافتنوا فانزل الله فيهم ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله فكتب بها المسلمون اليهم ثم نزلت فيهم ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم

﴿ المعنى ﴾

ثم قال سبحانه (ومن يهاجر) يعني يفارق أهل الشرك ويهرب بدينه من وطنه إلى أرض الإسلام (في سبيل الله) أي في مناجاة دين الله وطريقه الذي شرعه خلقه (يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة) أي متحولاً من الأرض وسعة في الرزق عن ابن عباس والضحاك والربيع وقيل مزحزحاً عما يكره وسعة من الضلالة إلى الهدى عن مجاهد وقتادة وقيل مهاجراً فسيحاً متسعاً كما كان فيه من تضيق المشركين عليه) ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله) أخبر سبحانه أن من خرج من بلده مهاجراً من أرض الشرك فإلى الله ورسوله ثم يدركه الموت قبل بلوغه دار الهجرة وأرض الإسلام (فقد وقع أجره على الله) أي ثواب عمله وجزاء هجرته على الله تعالى (وكان الله غفوراً) أي ساتراً على عبادته ذنوبهم بالعمو عنهم (رحماً) بهم رفيقاً وما جاء في معنى الآية من الحديث ما رواه الحسن عن النبي (ص) أنه قال من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شيراً من الأرض استوجب الجنة وكان رفيقاً إبراهيم ومحمد عليهما السلام وروى العياشي بإسناده عن محمد بن أبي عمير حدثني محمد بن حليم قال وجه زيارة ابن أعين ابنه عبيداً إلى المدينة ليستخبر له خبر أبي الحسن موسى بن جعفر (ع) وعبد الله فمات قبل أن يرجع إليه عبيد ابنه قال محمد بن أبي عمير حدثني محمد بن حكيم قال ذكرت لأبي الحسن (ع) زيارة وتوجيه عبيداً ابنه إلى المدينة فقال أفي لارجو أن يكون زيارة من قال الله فيهم ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله الآية

قوله تعالى (١٠١) وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنَّ خِيفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا آية

﴿ اللغة ﴾

في قصر الصلاة ثلاث لغات قصرت الصلوات أقصرها وهي لغة القرآن وقصرتها تقصيراً وأقصرتها أقصارا وفتنت الرجل افتنته فهو مفتون لغة أهل الحجاز وبني تميم وربيعة وأهل نجد كاهم وأسد يقولون افتنت الرجل فهو فائن وقد فتن فتونا إذا دخل في الفتنة وإنما قال في الكافرين أنهم عدو لأن لفظة فعول تقع على الواحد والجماعات

﴿ المعنى ﴾

(وإذا ضربتم في الأرض) معناه سرتتم فيها إذا سافرتتم (فليس عليكم جناح) أي حرج واثم (أن تقصروا من الصلاة) فيه أقوال ﴿ أحدها ﴾ أن معناه أن تقصروا من عدد الصلاة فتصلوا الرباعيات ركعتين عن مجاهد وجماعة من

المفسرين وهو قول أكثر الفقهاء وهو مذهب أهل البيت (ع) وقيل تقصر صلاة الخائف من صلاة المسافر وهما قصران قصر الأيمن من أربع إلى ركعتين وقصر الخوف من ركعتين إلى ركعة واحدة عن جابر ومجاهد وقد رواه أيضا أصحابنا **❦** وثانيها **❦** أن معناه القصر من حدود الصلاة عن ابن عباس وطاوس وهو الذي رواه أصحابنا في صلاة شدة الخوف وإنما تصلى أياماً والسجود أخفض من الركوع فإن لم يقدر على ذلك فالتسييح المخصوص كافٍ عن كل ركعة **❦** وثالثها **❦** أن المراد بالقصر الجمع بين الصلاتين والصحيح الأول (إن خفت أن يفتنكم الذين كفروا) يعني خفت فتنة الذين كفروا في أنفسكم أو دينكم وقيل معناه إن خفت أن يقتلكم الذين كفروا في الصلاة عن ابن عباس ومثله قوله تعالى على خوف من فرعون وملائته أن يفتنهم أي يقتلهم وقيل معناه أن يعذبكم الذين كفروا بنوع من أنواع العذاب (إن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً) أي ظاهري العداوة وفي قراءة أبي بن كعب فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة أن يفتنكم الذين كفروا من غير أن يقرأ إن خفت وقيل إن معنى هذه القراءة أن لا يفتنكم أو كراهة أن يفتنكم كما في قوله بين الله لكم أن تضيوا وظاهر الآية يقتضي أن القصر لا يجوز إلا عند الخوف لكننا قد علمنا جواز القصر عند الأيمن ببيان النبي ويحتمل أن يكون ذكر الخوف في الآية قد خرج مخرج الأعم وفي الأغلب عليهم في أسفارهم فإنهم كانوا يخافون الأعداء في عامتها ومثله في القرآن كثير واختلف الفقهاء في قصر الصلاة في السفر فقال الشافعي هي رخصة واختاره الجبائي وقال أبو حنيفة هو عزيمة وفرض وهذا مذهب أهل البيت قال زرارة ومحمد بن مسلم قلنا لأبي جعفر ما تقول في الصلاة في السفر كيف هي وكه هي قال إن الله يقول وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة فصار التقصير واجباً في السفر كوجوب التمام في الحضر قالوا قلنا إنه قال لا جناح عليكم إن تقصروا من الصلاة ولم يقل أفعال فكيف أوجب ذلك كما أوجب التمام قال أوليس قال تعالى في الصفا والمروة فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ألا ترى أن الطواف واجب مفروض لأن الله تعالى ذكرهما في كتابه وصنعهما نيية وكذا التقصير في السفر شيء صنعه رسول الله وذكره الله في الكتاب قال قلت فممن صلى في السفر أربعا أبعيد أم لا قال إن كان قرئت عليه آية التقصير وفسرت له فضلى أربعا أعاد وإن لم يكن قرئت عليه ولم يعلمها فلا إعادة عليه والصلاة في السفر كل فريضة ركعتان إلا المغرب فإنها ثلاث ليس فيها تقصير تركها رسول الله في السفر والحضر ثلاث ركعات وفي هذا الخبر دلالة على أن فرض المسافر مخالف لفرض المقيم وقد أجمعت الطائفة على ذلك وعلى أنه ليس بقصر وقد روي عن النبي أنه قال فرض المسافر ركعتان غير قصر وعندهم أن الخوف باقراده موجب للقصر وفيه خلاف بين الفقهاء وذهب جماعة من الصحابة والتابعين إلى أن الله عني بالقصر في الآية قصر صلاة الخوف من صلاة السفر لا من صلاة الإقامة لأن صلاة السفر عندهم ركعتان تمام غير قصر فمنهم جابر بن عبد الله وحذيفة البليان وزيد بن ثابت وابن عباس وأبو هريرة وكعب وكان من الصحابة قطعت يده يوم اليمامة وابن عمر وسعيد بن جبير والسدي وأما أحد السفر الذي يجب عنده القصر فعندنا ثمانية فراسخ وقيل مسيرة ثلاثة أيام لباليها وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه وقيل ستة عشر فرسخاً ثمانية وأربعين ميلاً وهو مذهب الشافعي

❦ النظم ❦

وجه اتصال الآية بما قبلها أنه لما أمر بالجهاد والهجرة بين صلاة السفر والخوف رحمة منه وتخفيفاً لعباده

قوله تعالى (١٠٢) وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقِمْ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ

فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ
مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (آية)

✽ اللغة ✽

أسلحة جمع سلاح مثل حمار واحمرة والسلاح اسم لجملة ما يدفع به الناس عن أنفسهم في الحروب بما يقاتل
به خاصة لا يقال للدواب وما أشبهها سلاح والجناح الاسم من جنحت عن المكان إذا عدلت عنه وأخذت
جانبا عن القصد وأذى مقصور يقال أذى فلان بأذى أذى مثل فزع يفزع فزعا

✽ الاعراب ✽

وليأخذوا القراءة على سكون اللام والأصل وليأخذوا بالكسر إلا ان الكسر يستثقل فيحذف استخفافا
وكذلك فلنقم ولتأت وموضع أن تضعوا نصب أي لا إثم عليكم في أن تضعوا فلما سقطت في عمل ما قبل أن فيها وعلى
المذهب الآخر يكون موضعها جرا بإظهار حرف الجر وإنما قال طائفة أخرى ولم يقل آخرون وقال لم يصلوا
فليصلوا ولم يقل لم تصل فلتصل حملا للكلام تارة على اللفظ وأخرى على المعنى كما قال وان طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا ولم يقل اقتتلا ومثله كثير

✽ المعنى ✽

ثم ابتدأ تعالى ببيان صلاة الخوف في جماعة فقال (فإذا كنت) يا محمد (فيهم) يعني في أصحابك الضاربين
في الارض الخائفين عدوهم ان يغزوهم (فأقم لهم الصلاة) بسجودها وركوعها وسجودها
عن الحسن وقيل معناه أقم لهم الصلاة بأن تؤمهم (فلنقم طائفة منهم) أي من أصحابك الذين انت فيهم (معك)
في صلاتك وليكن سائرهم في وجه العدو وتقديره ولنقم طائفة منهم تجاه العدو ولم يذكر ما ينبغي ان تفعله
الطائفة غير المصلية لدلالة الكلام عليه (وليأخذوا أسلحتهم) اختلف في هذا فقيل بالمأمور بأخذ السلاح الطائفة
المصلية مع رسول الله يأخذون من السلاح مثل السيف يتقلدون بهواخنجر يشدون به الى دروعهم وكذلك السكين
ونحو ذلك وهو الصحيح وقيل هم الطائفة التي بإزاء العدو دون المصلية عن ابن عباس (فإذا سجدوا) يعني
الطائفة التي تصلي معه وفرغوا من سجودهم (فليكونوا من وراءكم) يعني فليصيروا بعد فراغهم من سجودهم
مصافين للعدو واختلف في الطائفة الاولى اذا رفعت رؤسهم من السجود وفرغت من الركعة كيف يصنعون فعندنا
انهم يصلون ركعة اخرى ويتشهدون ويسلمون والإمام قائم في الثانية ثم ينصرفون الى مواقف أصحابهم
ويجيئ الآخرون فيستفتحون الصلاة ويعلي بهم الإمام الركعة الثانية حسب وبطيل تشهد حتى يقوموا فيصلوا بقية صلاتهم
ثم يسلم بهم الإمام فيكون للطائفة الاولى تكبيرة الافتتاح والثانية التسليم وهو مذهب الشافعي ايضا وقيل ان
الطائفة الاولى اذا فرغت من ركعة يسلمون ويمضون الى وجه العدو وتأ في الطائفة الاخرى ويصلي بهم ركعة
وهو مذهب مجاهد وجابر ومن يرى أن صلاة الخوف ركعة واحدة وقيل ان الإمام يصلي بكل طائفة ركعتين فيصلي
بهم مرتين بكل طائفة مرة عن الحسن وقيل انه اذا صلى بالطائفة الاولى ركعة مضوا الى وجه العدو وتأ في الطائفة
الاخرى فيكبرون ويصلي بهم الركعة الثانية ويسلم الإمام ويعودون الى وجه العدو وتأ في الطائفة الاولى فيقضون
ركعة بغير قراءة لأنهم لاحقون ويسلمون ويرجعون الى وجه العدو وتأ في الطائفة الثانية فيقضون ركعة بغير
قراءة لانهم مسبقون عن عبد الله بن مسعود وهو مذهب ابي حنيفة (ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا) وهم الذين
كانوا بإزاء العدو (فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم) يعني وليكونوا حذرين من عدوهم متأهبين لقتالهم
بأخذ الاسلحة أي آلات الحرب وهذا يدل على ان الفرقة المأمورة بأخذ السلاح في الاول هم المصلون دون غيرهم
(ود الذين كفروا) معناه تمنى الذين كفروا (لو تغفلون) لو تغفلون (عن اسلحتكم) وتشتغلون عن أخذها

تأهباً للقتال (وامتعتكم) أي وعن امتعتكم التي يبلاغكم في أسفاركم فتسهون عنها (فيميلون عليكم ميلة واحدة) أي يحملون عليكم حملة واحدة وانتم متشاغلون بصلاتكم فيصيبون منكم غرة فيقتلوا نكم ويستبيحون عسكركم وما معكم المعنى لا تشاغلوا بأجمعكم بالصلاة عند موافقة العدو فيمكن عدوكم من انفسكم واسلحتكم ولكن اقيموها على ما امرتم به ومن عادة العرب ان يقولوا ملنا عليهم بمعنى حملنا قال العباس بن عباد بن فضالة الانصاري لرسول الله ليلة العقبة الثانية والذي بعثك بالحق ان شئت لنميلن غداً على اهل منى بأسيا فانا فقال رسول الله لم نؤمر بذلك يعني في ذلك الوقت (ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر) معناه لا حرج عليكم ولا اثم ولا ضيق ان نالكم اذى من مطر وانتم موافقو عدوكم (او كنتم مرضى) يعني اعلاء او جرحى (ان تضعوا اسلحتكم) اذا ضعفتهم عن حملها لكن اذا وضعتموها فاحترسوا منهم (وخذوا حذرکم) لئلا يميلوا عليكم وانتم غافلون (ان الله اعد للكافرين عذاباً مهيناً) مذلاً يبقون فيها ابداً وفي الآية دلالة على صدق النبي وصحة نبوته وذلك انها نزلت والنبي بعثان والمشركون بضجتان فتوافقوا فصلى النبي واصحابه صلاة الظهر بتمام الركوع والسجود فهم المشركون بأن يغيروا عليهم فقال بعضهم ان لهم صلاة اخرى احب اليهم من هذه يعنون صلاة العصر فانزل الله عليه هذه الآية فصلى بهم العصر صلاة الخوف وكان ذلك سبب اسلام خالد بن الوليد القصة وفيها دلالة اخرى ذكر ابو حمزة في تفسيره ان النبي غزا محاربا بني امار فهزمهم الله واحرزوا الذراري والمال فنزل رسول الله والمسلمون ولا يرون من العدو واحدا فوضعوا اسلحتهم وخرج رسول الله ليقتضي حاجته وقد وضع سلاحه فجعل بينه وبين اصحابه الوادي فيلأى ان يفرغ من حاجته وقد درأ الوادي والسماترش فقال الوادي بين رسول الله وبين اصحابه وجلس في ظل شجرة فبصره غورث بن الحارث المحاربي فقال له اصحابه يا غورث هذا محمد قد اقلع من اصحابه فقال قتلي الله ان لم اقتله وانحدر من الجبل ومعه السيف ولم يشعر به رسول الله الا وهو قائم على رأسه ومعه السيف قد سله من غمده وقال يا محمد من يعصمك مني الآن فقال الرسول الله فانكب عدو الله لوجهه فقام رسول الله فأخذ سيفه وقال يا غورث من يمنعك مني الآن قال لأحد قال اتشهد ان لا إله الا الله واني عبد الله ورسوله قال لا ولكنني اعهد ان لا اقاتلك ابداً ولا اعين عليك عدوا فأعطاه رسول الله سيفه فقال له غورث والله لانت خير مني قال (ع) افي احق بذلك وخرج غورث الى اصحابه فقالوا يا غورث لقد رأيناك قائماً على رأسه بالسيف فما منعك منه قال الله اهوبت له بالسيف لأضربه فما دري من زنجني بين كنتي فخررت لوجهي وخر سيني وسبقني اليه محمد وأخذه ولم يلبث الوادي ان سكن فقطع رسول الله الى اصحابه فاخبرهم الخبر وقرأ عليهم ان كان بكم اذى من مطر الآية كلها

(قوله تعالى) ١٠٣ فإذا قضيتُم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم فإذا

اطمأنتم فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً آية

اللغة

اطمأن الشيء أي سكن وطأته وطأته سكنه وقد قيل اطمأن بالباء بمعنى اطمأن

المعنى

(فإذا قضيتُم الصلاة) معناه فإذا فرغتم من صلاتكم بها المؤمنون وانتم موافقو عدوكم (فاذكروا الله قياماً وقعوداً) أي في حال قيامكم وقعودكم (وعلى جنوبكم) أي مضطجعين فقوله وعلى جنوبكم في موضع نصب عطفاً على ما قبله من الحال أي ادعوا الله في هذه الاحوال لعله ينصركم على عدوكم ويظفركم بهم مثل قوله يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون عن ابن عباس واكثر المفسرين وقيل معناه فاذا اردتم الصلاة فصلوا قياماً اذا كنتم اصحاء وقعوداً اذا كنتم مرضى لا تقدرن على القيام وعلى جنوبكم اذا لم تقدرن على القعود

عن ابن مسعود وروي انه قال عقيب تفسير الآية لم يعذر الله احدا في ترك ذكره الا المغلوب على عقله (فاذا اطمأنتتم فأقيموا الصلاة) اختلف في تأويله فقيل معناه اذا استقررتم في اوطانكم واقمتتم في امصاركم فأتموا الصلاة التي اذن لكم في قصرها عن مجاهد وقتادة وقيل معناه اذا استقررتم بزوال خوفكم فأتموا حدود الصلاة عن السدي وابن زيد ومجاهد في رواية اخرى (ان الصلاة كانت على المؤمنين كشأبا موقوتا) اختلف في تأويله فقيل معناه ان الصلاة كانت على المؤمنين واجبة مفروضة عن ابن عباس وعطية العوفي والسدي ومجاهد وهو المروي عن الباقر والصادق (ع) وقيل معناه فرضا موقوتا اي منجما توذونها في انجها عن ابن مسعود وقتادة والقولان منقاريان

قوله تعالى (١٠٤) وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَأِنَّهُمْ بِالتَّأْلَمِ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (آية)

✽ القراءة ✽

روي في الشواذ عن أبي عبد الرحمن الاعرج ان تكونوا تألمون بفتح الالف

✽ اللمعة ✽

قال ابن جنى ان محمولة على قوله ولا تهنوا في ابتغاء القوم لا تكلم تألمون فمن اعتقد نصب أن بعد حذف الجر عنها فإن هنا منصوبة الموضع وهي على مذهب الخليل مجرورة الموضع باللام المرادة وصارت ان لكونها حرفا كالعوض في اللفظ من اللام

✽ اللمعة ✽

الوهن الضعف وهن فلان في الامر يهن وهنا وهو ناهيه واهن واللم الوجع واللم جنس من الاعراض يكون من فعل الله ابتداء وبسبب وقد يكون من فعل العباد بسبب والرجاء قد يستعمل بمعنى الخوف نحو قول الشاعر لا ترتجي حين تلاقي الزائدا

اسبعة لاقت معا او واحدا

وقال ابو ذؤيب

إذا لسمته النحل لم يرج لسمها وحالفها في بيت نوب عواسل

قال القراء نوب ونوب وهي النحل وقال تعالى ما لكم لا ترجون لله وقاراً والمعنى لا تخافون لله عظمة وانما استعمل على معنى الخوف لأن الرجاء امل وقد يخاف ان لا يتم

✽ النزول ✽

قيل نزلت في الذهاب الى بدر الصغرى لموعده ابي سفيان يوم أحد وقيل نزلت يوم أحد في الذهاب خلف ابي سفيان وعسكره الى حمراء الأسد عن عكرمة

✽ المعنى ✽

عاد الكلام الى الحث على الجهاد فقال تعالى (ولا تهنوا) اي ولا تضعفوا (في ابتغاء القوم) اي في طلب القوم الذين هم اعداء الله واعداء المؤمنين من اهل الشرك (إن تكونوا) ايها المؤمنون (تألمون) مما يتألم من الجراح منكم (فأإنهم) يعني المشركون (يألمون) ايضا مما يتألم منكم من الجراح والأذى (كما تألمون) اي مثل ما تألمون انتم من جراحهم واذاهم (وترجون) انتم ايها المؤمنون (من الله) الظفر عاجلا والثواب آجلا على ما يتألم منكم منهم (ما لا يرجون) هم على ما يتألم منكم أي فأنتم ان كنتم موفقين من ثواب الله لكم على ما يصيبكم منهم بما هم مكذبون به اولى واحرى ان تصبروا على حربهم وقتالهم منهم على حربكم وقتالكم عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والسدي (وكان الله عليما) بمصالح خلقه (حكيم) في تدبيره اياهم وتقديره احوالهم قال ابن عباس وعكرمة

﴿ القصة ﴾

قال ابن عباس وعكرمة لما اصاب المسلمين ما اصابهم يوم أحد وصعد النبي الجبل قال ابو سفيان يا محمد لنا يوم ولكم يوم فقال اجيبوه فقال المسلمون لا سواء قتلا نافي الجنة وقتلاكم في النار فقال ابو سفيان لنا عزي ولا عزي لكم فقال النبي قولوا الله مولانا ولا مولى لكم فقال ابو سفيان هبل اعلى فقال النبي قولوا الله اعلى واجل فقال ابو سفيان موعدا وموعداكم يوم بدر الصفري ونام المسلمون وبهم الكوم وفيهم نزلت ان يمسخكم قرح فقد مس القوم قرح مثله الآية وفيهم نزلت ان تكونوا تألمون الآية لأن الله امرهم على ما بهم من الجراح ان يتبعوهم و اراد بذلك ارباب المشركين وخرجوا الى حمراء الأسد وبلغ المشركين ذلك فاسرعوا حتى دخلوا مكة

قوله تعالى (١٠٥) اِنَّا اَنْزَلْنَا اِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا اَرَاكَ اللهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيْمًا (١٠٦) وَاسْتَغْفِرِ اللهُ اِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوْرًا رَحِيْمًا (آياتان)

﴿ النزول ﴾

نزلت في بني ابيرق وكانوا ثلاثة اخوة بشر وبشير ومبشر وكان بشير بكسى ابا طعمة وكان يقول الشعر يهجو به اصحاب رسول الله (ص) ثم يقول قاله فلان وكانوا اهل حاجة في الجاهلية والاسلام فنقب ابو طعمة على عليبة رفاعه بن زيد واخذ له طعاما وسيفا ودرعا فشكا ذلك الى ابن اخيه قتادة بن النعمان وكان قتادة بدريا فتجسس في الدار وسألا اهل الدار في ذلك فقال بنو ابيرق والله ما صاحبكم الا لبيد بن سهل رجل ذو حسب ونسب فأصلت عليهم لبيد بن سهل سيفه وخرج اليهم وقال يا بني ابيرق اترموني بالسرق واتم اولى به مني واتم منافقون تهجون رسول الله وتنسبون ذلك الى قريش لتبينن ذلك او لا ضمن سيني فيكم فداروه واتى قتادة رسول الله فقال يا رسول الله ان اهل بيت منا اهل بيت سوء عدوا على عمي فخرقوا عليبة له من ظهرها واصابوا له طعاما وسلاحا فقال رسول الله انظروا في شأنكم فلما سمع بذلك رجل من بطنهم الذي هم منه يقال له اسيد بن عروة جمع رجالا من اهل الدار ثم انطلق الى رسول الله فقال ان قتادة بن النعمان وعمه عمدا الى اهل بيت منا لهم حسب ونسب وصلاح وابوهم بالقبيح وقالوا لهم ما لا ينبغي وانصرف فلما اتى قتادة رسول الله بعد ذلك ليكلمه جبهه رسول الله جبهها شديدا وقال عمدت الى اهل بيت حسب ونسب تأتيهم بالقبيح وتقول لهم ما لا ينبغي قال فقام قتادة من عند رسول الله ورجع الى عمه وقال باليتي مت ولم اكن كلمت رسول الله فقد قال لي ما كرهت فقال عمه رفاعه الله المستعان فنزلت الآيات انا انزلنا اليك الكتاب الى قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به فبلغ بشيرا ما نزل فيه من القرآن فهرب الى مكة وارتد كافرا فنزل على سلافة بنت سعد بن شهيد وكانت امرأة من الاوس من بني عمرو بن عوف نكحت في بني عبد الدار فهجها حسان فقال

فقد انزلته بنت سعد واصبحت
ينازعها جلد استها وتنازعه

ظننتم بأن يخفى الذي قد صنعتموا
وفينا نبي عنده الوحي واضعه

فحملت رجله على رأسها فالقته بالابطح وقالت ما كنت تأتيني بخير اهديت الى شعر حسان هذا قول مجاهد و قتادة بن النعمان وعكرمة وابن جريج الا ان عكرمة قال ان بني ابيرق طر حوا ذلك على يهودي يقال له زيد بن السهين فجاء اليهودي الى رسول الله وجاء بنو ابيرق اليه وكلموه ان يجادل عنهم فهم رسول الله ان يفعل وان يعاقب اليهودي فنزلت الآية وبه قال ابن عباس وقال الضحاك نزلت في رجل من الانصار استودع درعا فجحد صاحبها فخونه رجال من اصحاب النبي فغضب له قومه فقالوا يا نبي الله خون صاحبنا وهو مسلم امين فعذره النبي وكذب عنه وهو يرى انه بريء مكذوب عليه فانزل الله فيه الآيات واختار الطبري هذا الوجه قال لأن الخيانة إنما تكون في الودعة لاني السرقة

✽ المعنى ✽

ثم خاطب الله نبيه فقال (انا انزلنا اليك) يا محمد (الكتاب) يعني القرآن (بالحق) الذي يجب لله على عباده وقيل معناه انك به احق (اتحكم) يا محمد (بين الناس بما اربك) اسي اعلمك الله في كتابه (ولا تكن للخائنين خصيما) نهاه ان يكون لمن خان مسلما او معاهدا في نفسه او ماله خصيما بدافع لمن طالبه عنه بحقه الذي خانه فيه وبخاصم ثم قال (واستغفر الله) امره بان يستغفر الله في مخاصمته عن الخائنين (ان الله كان عفورا رحيفا) يصفح عن ذنوب عباده المسلمين ويترك مواخذتهم بها والخطاب وان توجه الى النبي من حيث خاصم عن رآه على ظاهر الايمان والعدالة وكان في الباطن بخلافه فالمراد بذلك أمته وانما ذكر ذلك على وجه التأييد له في ان لا يبادر بالخصام والدفاع عن خصم الا بعد ان يتبين وجه الحق فيه جل نبي الله عن جميع المعاصي والقبائح وقيل انه لم يخاصم عن الخصم وانما هم بذلك فعاتبه الله عليه

✽ النظم ✽

وجه اتصال الآية بما قبلها انه لما تقدم ذكر المنافقين والكافرين والأمر بمجانبتهم عقب ذلك بذكر الخائنين والأمر باجتنب الدفع عنه وقيل انه تعالى لما بين الاحكام والشرائع في السورة عقبها بأن جميع ذلك انزل بالحق

قوله تعالى (١٠٧) وَلَا تَجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا (١٠٨) يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (١٠٩) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا (ثلاث آيات)

✽ اللغة ✽

المخاصمة والمجادلة والمناظرة والمحاجة نظائر وان كان بينهما فرق فإن المجادلة هي المنازعة فيما وقع فيه خلاف بين اثنين والمخاصمة المنازعة بالمخالفة بين اثنين على وجه الغلظة والمناظرة فيما يقع بين النظرين والمحاجة في مجادلة اظهار الحجة واصل المجادلة من الجدل وهو شدة القتل ورجل مجادل كأنه قد جدل اي قتل والاجدل الصقر لأنه من اشد الطيور قوة والتبييت التدبير للشيء بالليل لأن ذلك يكون في وقت رواح الناس الى بيوتهم

✽ الالغراب ✽

ها للتبيين واعيدت في اولاء والمعنى ها اتم الذين جادلتم عنهم لأن هؤلاء وهذا يكونان في الإشارة للمخاطبين الى انفسهم بمنزلة الذين وقد يكونان لغير المخاطبين بمنزلة الذين نحو قول الشاعر

عدس ما لعباد عليك إمارة

امننت وهذا تحملين طليق

اي والذي تحملين طليق

✽ النزول ✽

نزلت الآيات في القصة التي ذكرناها قبل

✽ المعنى ✽

ثم نهى تعالى عن المجادلة والدفع عن اهل الخيانة مؤكدا لما تقدم فقال (ولا تجادل) قيل الخطاب للنبي (ص) حين هم ان يبرى ابا طعمة لما اتاه قوم ينفون عنه السرقة وقيل الخطاب له والمراد قومه وقيل تقديره ولا تجادل ابها الانسان (عن الذين يختانون انفسهم) اي يخونون انفسهم ويظلمونها اراد من سرق الدرع ومن

شاركه في السرقة والخيانة وقيل انه اراد به قومه الذين مشوا معه الى النبي وشهدوا له بالبراءة عما نسب اليه من السرقة وقيل اراد به السارق وقومه ومن هو في معناهم وانما قال يختانون انفسهم وان خانوا غيرهم لان ضرر خيانتهم كأنه راجع اليهم لاحق بهم كما تقول لمن ظلم غيره ما ظلمت الا نفسك وكقوله تعالى ان احسنتم احسنتم لاقسكم (ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما) هو فعال من الخيانة اي من كان كثير الخيانة وقد الفها واعتادها وقد يطلق الخوان على الخائن في شيء واحد اذا عظمت تلك الخيانة والاثم فاعل الاثم وقيل معناه لا يجب من كان خوانا اذا سرق الدرع واثيما اذا رمى به اليهودي وقال ابن عباس في معنى الآية لا تجادل عن الذين يظلمون انفسهم بالخيانة ويرمون بالخيانة غيرهم يريد به سارق الدرع سرق الدرع ورمى بالسرقة اليهودي فصار خائنا بالسرقة اثيما في رميه غيره بها (يستخفون من الناس) اي يكتمون عن الناس (ولا يستخفون من الله وهو معهم) يعني الذين مشوا في الدفع عن ابن ابيرق ومعناه يستترون عن الناس بمعاصيهم في اخذ الاموال لئلا يفتضحوا في الناس ولا يستترون من الله وهو مطلع عليهم وقيل معناه يستحيون من الناس ولا يستحيون من الله وعلمهم معهم فيكون معناه يخفون الخيانة عن الناس ويطلبون اخفاءها حياء منهم ولا يتركونها حياء من الله وهو عالم بافعالهم (اذبيبتون ما لا يرضى من القول) اي يدبرون بالليل قول لا يرضاه الله وقيل يغيرون القول من جهته ويكذبون فيه وقيل انه قول ابن ابيرق في نفسه بالليل ارمي بهذا الدرع في دار اليهودي ثم احلف اني بري منه فيصدقني المسلمون لاني على دينهم ولا يصدقون اليهودي لانه ليس على دينهم وقيل انه رمى بالدرع الى دار لبيد بن سهل (وكان الله بما يعملون محيطا) قال الحسن حفيظا لا عمالهم وقال غيره علما باعمالهم لا يخفى عليه شيء منها وفي هذه الآية تقريب بليغ لمن يمنعه حياء الناس وحشمتهم عن ارتكاب القبائح ولا يمنعه خشية الله عن ارتكابها وهو سبحانه احق ان يراقب واجدر ان يحذر وفيها ايضا توبيخ لمن يعمل قبيحا ثم يقرف غيره به سواء كان ذلك الغير مسلما او كافرا (ها اثم) خطاب للذابين عن السارق (هؤلاء) يعني الذين (جادلتم) اي خاصتم ودافعتم (عنهم) عن الخائنين (في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة) استفهام يراد به النبي لانه في معنى التوقيع والتوبيخ اي لا يجادل عنهم ولا شاهد على براءتهم بين يدي الله يوم القيامة وفي هذه الآية النهي عن الدفع عن الظالم والمجادلة عنه (ام من يكون عليهم وكيلا) اي من يحفظهم ويتولى معوتهم يعني لا يكون يوم القيامة عليهم وكيلا يقوم بأمرهم ويخاصم عنهم وأصل الوكيل من جعل اليه القيام بالأمر والله يسمى وكيلا بمعنى انه القائم بالأمر ويقال انه يسمى وكيلا بمعنى الحافظ ولا يقال انه وكيلا لنا وإنما يقال انه وكيلا علينا

قوله تعالى (١١٠) وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا

(١١١) وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُ عَلَيْهِ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١٢) وَمَنْ

يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (ثلاث آيات)

= اللغة =

السوء القبيح الذي يواجه به صاحبه من سوءه يسوءه سوءا إذا واجهه بقيبح بكرهه ورجل سوء من شأنه ان يواجه الناس بالمكارة فأما السيئة فهي قبيض الحسنة ويجد أصله من الوجدان وهو الادراك يقال وجدت الضالة وجدانا إذا أدركتها بعد ذهابك عنها ووجدت وجوداً علمت والوجود ضد العدم لأنه يظهر بالوجود كظهوره بالادراك والكسب فعل يجري به تقع او يدفع به ضرر ولذلك لا يوصف سبحانه به

المعنى

ثم بين تعالى طريق التلافي والتوبة مما سبق منهم من المعصية فقال (ومن يعمل سوءا) أي معصية او امر اقبيحاً (أو يظلم نفسه) بارتكاب جريمة وقيل بعمل سوءاً بأن يسرق الدرع أو يظلم نفسه بأن يرمي بها بريئاً وقيل المراد بالسوء الشرك وبالظلم ما دون الشرك (ثم يستغفر الله) أي يتوب اليه ويطلب منه المغفرة (بجد الله غفوراً رحيماً) ثم بين الله تعالى ان جريمتهم وان عظمت فإنها غير مائعة من المغفرة وقبول التوبة إذا استغفروا وتابوا (ومن يكسب إثماً فإنما يكسبه على نفسه) ظاهر المعنى ونظيره لا تكسب كل نفس إلا عليها من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها (وكان الله عليماً) بكسبه (حكيماً) في عقابه وقيل عليماً في قضائه فيهم وقيل عليماً بالسارق حكيماً في إيجاب القطع عليه ثم بين ان من ارتكب إثماً ثم قذف به غيره كيف بعظم عقابه فقال (ومن يكسب خطيئة) أي يعمل ذنباً على عمد او غير عمد (أو إثماً) أي ذنباً تعمده وقيل الخطيئة الشرك والإثم ما دون الشرك (ثم يرم به بريئاً) ثم ينسب ذنبه إلى بريء وقيل البري هو اليهودي الذي طرح عليه الدرع عن الحسن وغيره وقيل هو ليبيد بن سهل وقد مضى ذكرهما قبل وقوله ثم يرم به بريئاً اختلف في الضمير الذي هو الهاء في به فقيل يعود إلى الإثم أي بالإثم وقيل إلى واحد منها وقيل يعني بكسبه (فقد احتمل بهتاناً) كذبا عظيماً يتحير من عظمه (وإثماً مييناً) أي ذنباً ظاهراً بينا وفي هذه الآيات دلالة على انه تعالى لا يجوز ان يخلق افعال خلقه ثم يعذبهم عليها لأنه إذا كان الخالق لها فهم براء منها فلو قيل ان الكسب مضاف إلى العبد فجوابه ان الكسب لو كان مفهوما وله معنى لم يخرج العبد بذلك من ان يكون بريئاً لأنه إذا قيل ان الله تعالى أوجد الفعل واحده ووجد الاختيار في القلب والفعل لا يتجزى فقد انتهى عن العبد من جميع جهاته

قوله تعالى (١١٣) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضْلَوْكَ وَمَا يُضْلَوْنَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (١١٤) لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (آيتان)

القراءة

قرأ فسوف بؤتية بالياء ابو عمرو وحزمة وقتيبة والكسائي وسهل وخلف والباقون بالنون

الحجة

من قرأ بالياء فلما تقدمه من قوله ولولا فضل الله عليك وأنزل عليك الكتاب ومن قرأ بالنون فلا أنه أشبه بما بعده من قوله نوله ما تولى ونصله جهنم

اللغة

الم ما هممت به ومنه الهمة والهام الملك العظيم الهمة قال علي بن عيسى النجوى هو الاسرار عند أهل اللغة وقال الزجاج النجوى في الكلام ما يتفرد به الجماعة او الاثنان سرا كان او ظاهراً ومعنى نجوت الشيء في اللغة خلصته والقيته يقال نجوت الجلد إذا القيته إلى البعير أو غيره قال الشاعر

فقلت انجوا منها نجا الجلد انه سيرضيكما منها سنام وغاربه
ونجوت فلانا إذا استنكته قال

نجوت مجالدا فشممت منه كريح الكلب مات حديث عهد
وأصله من النجوة وهو ما ارتفع من الأرض فالمراد بنجواهم ما يدبرونه بينهم من الكلام وفلان نجسي فلان
أي مناجيه والقوم أنجيته

✽ الإعراب ✽

إلا من أمر بجوز ان يكون من في موضع جر المعنى إلا في نجوى من أمر وبجوز ان يكون استثناء
ليس من الأول ويكون موضعها نصبا ويكون معناه لكن من أمر بصدقة أو معروف ففي نجواه خير ونصب ابتغاء
مرضاة الله لأنه مفعول له وبجوز ان يكون من أمر مجرور الموضع أيضا على اتباع لكثير بمعنى لا خير في
كثير إلا فيمن أمر بصدقة كما يقال لا خير في القوم إلا نفر منهم ويكون النجوى هنا بمعنى المناجين نحو قوله
وإذ هم نجوى وبجوز أيضا ان يكون استثناء حقيقيا على تقدير لا خير في نجوى الناس إلا نجوى من أمر وهذا
أولى مما تقدم من الاستثناء المنقطع لأن حمل الكلام على الاتصال أولى إذا لم يخل بالمعنى

✽ النزول ✽

قيل نزلت في بني ابيرق وقد مضت قصتهم عن ابي صالح عن ابن عباس وقيل نزلت في وفد من ثقيف قدموا
على رسول الله (ص) وقالوا يا محمد جئتك نبايعك على ان لا نكسر اصنامنا بأيدينا وعلى ان نمتع بالعرى سنة فلم
يجبهم إلى ذلك وعصمه الله منه عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه لطفه برسوله وفضله عليه إذ صرف كيدهم عنه وعصمه من الميل اليهم فقال (ولولا فضل الله
عليك ورحمته) قيل فضل الله النبوة ورحمته نصرته إياه بالوحي وقيل فضله تأييده بالطافه ورحمته نعمته عن الجبائي
وقيل فضله النبوة ورحمته العصمة (لمت طائفة منهم) لقصدت واضمرت جماعة من هؤلاء الذين تقدم ذكرهم
(ان يضلوك) فيه اقوال **✽** احدها **✽** ان المعنى بهم الذين شهدوا للخائنين من بني ابيرق بالبراءة عن ابن
عباس والحسن والجبائي فيكون المعنى همت طائفة منهم ان يضلوك عن الحق بشهادتهم للخائنين حتى اطلمك الله
على اسرارهم **✽** وثانيها **✽** انهم وفد ثقيف الذين التمسوا من رسول الله ما لا يجوز وقد مضى ذكرهم عن
ابن عباس أيضا **✽** وثالثها **✽** انهم المنافقون الذين هموا باهلاك النبي والمراد بالاضلال القتل والاهلاك كما
في قوله تعالى إذا ضللتنا في الأرض فيكون المعنى لولا حفظ الله تعالى لك وحراسته إياك لهدمت طائفة من المنافقين
أن يقتلوك ويهلكوك ومثله وهو بما لم ينالوا عن ابي مسلم (وما يضلون إلا أنفسهم) أي وما يضلون عن الحق
إلا أنفسهم وقيل ما يهلكون إلا أنفسهم ومعناه ان وبال ما هموا به من الاهلاك والاضلال حتى استحقوا
العذاب الدائم (وما يضر ونك من شيء) أي لا يضر ونك بكيدهم ومكرهم شيئا فإن الله حافظك وناصرك
ومسدك ومؤيدك (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة) أي القرآن والسنة واتصاله بما قبله ان المعنى كيف يضلونك
وهو ينزل عليك الكتاب ويوحى اليك بالأحكام (وعلمك ما لم تكن تعلم) أي ما لم تعلمه من الشرائع وانباء
الرسول الأولين وغير ذلك من العلوم (وكان فضل الله عليك عظيما) قيل فضله عليك منذ خلقك إلى ان بعثك
عظيم إذ جعلك خاتم النبيين وسيد المرسلين واعطاك الشفاعة وغيرها ثم قال (لا خير في كثير من نجواهم)
أي اسرارهم ومعنى النجوى لا يتم إلا بين اثنين فصاعدا كالدعوى (إلا من أمر بصدقة) فإن في نجواه خيرا
(أو معروف) يعني بالمعروف ابواب البر لا اعتراف العقول بها وقيل لأن أهل الخير يعرفونها (أو إصلاح بسين
الناس) أي تأليف بينهم بالموودة وقال علي بن ابراهيم في تفسيره حدثني ابي عن ابن ابي عمير عن حماد عن ابي
عبد الله قال ان الله فرض التجمل في القرآن فقال قلت وما التجمل في القرآن جعلت فداك قال ان يكون وجهك

اعرض من وجه أخيك فتجمل له وهو قوله لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة او معروف الآية قال وحدثني ابي رفاعه الى امير المؤمنين انه قال ان الله فرض عليكم زكاة جاهكم كما فرض عليكم زكاة ما ملكت ايديكم (ومن يفعل ذلك) يعني ما تقدم ذكره (ابتغاء مرضات الله) أي طلب رضاء الله (فسوف نؤتيه) أي نعطي (اجرا عظيما) أي مثوبة عظيمة في الكثرة والمنزلة والصفة اما الكثرة فلا أنه دائم واما المنزلة فلا أنه مقارن للتعظيم والاجلال واما الصفة فلا أنه غير مشوب بما يتغصه وفي الآية دلالة على ان فاعل المعصية هو الذي يضر نفسه لما يعود عليه من وبال فعله وفيها دلالة ايضا على ان الذي يدعو إلى الضلال هو المضل وعلى ان فاعل الضلال مضل لنفسه وعلى ان الدعاء إلى الضلال يسمى اضلالا

قوله تعالى (١١٥) وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ

الْمُؤْمِنِينَ نُؤْتِهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (آية)

✽ اللغة ✽

الشقاق الخلاف مع العداوة وشق العصي اي فارق الجماعة والشق النصف واصنه من الشق وهو القطع طولا وسميت العداوة مشاقة لأن احد المتعادين بصبر في شق غير شق الآخر من اجل العداوة التي بينهما ومنه الاشتقاق فانه قطع الفرع عن الاصل نوله من الولي وهو القرب يقال ولي الشيء يليه اذا قرب منه وكل ما يليك اي ما يقاربك والولي المطر الذي يلي الوسمي

✽ النزول ✽

قيل نزات في شأن ابن ابي ايرق سارق الدرع ولما انزل الله في تفريره وتفرير قومه الآيات كهروارتد ولحق بالمركبين من اهل مكة ثم نهب حائطا للسرقة فوقع عليه الحائط فقتله عن الحسن وقيل انه خرج من مكة نحو الشام فنزل منزلا وسرق بعض المتاع وهرب فاخذورمي بالحجارة حتى قتل عن الكلبي

✽ المعنى ✽

لما بين سبحانه التوبة عقبه بذكر حال الاصرار فقال (ومن يشاقق الرسول) اي من يخالف محمداً ويعاده (من بعد ما تبين له الهدى) اي ظهر له الحق والاسلام وقامت له الحجة وصحت الأدلة بشبوت نبوته ورسالته (ويتبع) طريقا (غير سبيل المؤمنين) اي غير طريقهم الذي هو دينهم (نوله ما تولى) اي نكاه الى من انتصر به واتكل عليه من الاوثان وحقيقته نجمله يلي ما اعتمده من دون الله اي يقرب منه وقبل معناه نخلي بينه وبين ما اختاره لنفسه (ونصله) أي نلزمه دخول (جهنم) عقوبة له على ما اختاره من الضلالة بعد الهدى (وساءت مصيرا) قد مر معناه وقد استدلل بهذه الآية على ان اجماع الأمة حجة لانه توعده على مخالفة سبيل المؤمنين كما توعده على مشاقة الرسول والصحيح انه لا يدل على ذلك لأن ظاهر الآية يقتضي ايجاب متابعة من هو مؤمن على الحقيقة ظاهرا وباطنا لأن من اظهر الايمان لا يوصف بأنه مؤمن الا مجازا فكيف يحمل ذلك على ايجاب متابعة من اظهر الايمان وليس كل من اظهر الايمان مؤمنا ومتى حملوا الآية على بعض الأمة حماتها غيرهم على من هو مقطوع على عصمته عنده من المؤمنين وهم الائمة من آل محمد (ص) على ان ظاهر الآية يقتضي ان الوعيد انما يتناول من جمع بين مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين فمن اين لهم ان من فعل احدهما يتناول الوعيد ونحن انما علمنا يقينا ان الوعيد انما يتناول بمشاقة الرسول بانفرادها بدليل

غير الآية فوجب ان يسندوا تناول الوعيد باتباع غير سبيل المؤمنين الى دليل آخر
قوله تعالى (١١٦) **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**
وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (آيه)

قد مر تفسيره فيما تقدم وقوله قد ضل ضلالا بعيدا اي ذهب عن طريق الحق والغرض المطلوب
وهو التعميم المقيم في الجنة ذهابا بعيدا لأن الذهاب عن نعيم الجنة يكون على مراتب ابعدها الشرك بالله

قوله تعالى (١١٧) **إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ الْإِنثَاءِ وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا**
(١١٨) لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا تَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (١١٩) وَلَا ضَلِيمًا وَلَا مَنِيعًا
وَلَا مَرْنَمًا فَلْيَبْتَئِسْ أَدَانُ الْأَنْعَامِ وَلَا مِرْتَمًا فَلْيَغْيِرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا
مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا (١٢٠) يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا
(١٢١) أُولَئِكَ مَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا (خمس آيات)

القراءة

القراءة المشهورة الا انثاء وروي في الشواذ عن النبي الا انثا بالثاء قبل النون والاثنا بالنون قبل التاء
روتهما عائشة وروي عن ابن عباس الاوثنا والاثنا بضمين والثاء قبل النون وعن عطاء بن ابي رباح الا اثنا
الثاء قبل النون وهي ساكنة

الحجة

اما اثن فجمع وثن واصله وثن وقابت الواو همزة نحو اجوه في وجوه واعدي في وعد فاما اثن بسكون
الثناء فهو كاسد بسكون السين واما اثنا بتقديم النون على التاء فيمكن ان يكون جمع انث كقولهم سيف
انث الحديد ويمكن ان يكون جمع انث

اللفظة

المرد والمارد والمترد بمعنى وهو العاتي وانخارج عن الطاعة والتمس منها يقال حائط مرد اي مماس
وشجرة مرداء تناثر ورقها ومنه سمي من لم تنبت له اللحية امرد اي امس موضع اللحية ومرد الرجل
يمرد مرودا اذا عتا وخرج عن الطاعة واصل اللعن البعد ومنه قيل للطريد العين واصل الفرض القطع والفريضة
الثلمة تكون في النهر والفرض الحز الذي يكون في السواك وغيره يشد فيه الخيط والفرض في القوس الحز
الذي يكون فيه الوتر والفريضة ما امر الله به العباد فجعله حتما عليهم قاطعا واما قول الشاعر

اذا اكلت سمكا وفرضا ذهبت طولاً وذهبت عرضا

فالفرض هنا التمرد واما سمي التمر فرضاً لانه يؤخذ في فرائض الصدقة التبتيك التشقيق والبتك
القطع بكتته ابتكته تبتيكاً والبتكة مثل القطعة والبتك القطع قال زهير

حتى اذا ما هوت كف الغلام اه طارت وفي كف من ريشها بتك

والمحبص المعدل يقال حصت عنه احبص حبصا وحصت احبص حبصا بمعنى قال

ولم ندر ان جضنا عن الموت جبيضة كم العمر باق والمدى متناول

روي بالغتين

✽ الاعراب ✽

ان على اربعة اوجه ✽ احدها ✽ ان النافية كما في الآية ان يدعون أي ما يدعون ✽ والثاني ✽ ان المخففة من الثقيلة كما في قوله وان كانت لكبيرة ويلزمها لام التأكيد ✽ والثالث ✽ ان الجازمة كما في قوله وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا ✽ والرابع ✽ ان المزيدة نحو ما ان جاءني زيد ومسا ان طينا جبن ولكن مناياتنا ودولة آخرينا لعنه الله جملة في موضع النصب بأنها صفة لقوله شيطانا واللام في لا تتخذن وما بعده لام اليمين وإنما يدخل على جواب القسم لأنه المقسم عليه فعلى هذا يكون القسم هنا مضمرا في الجميع

✽ المعنى ✽

لما ذكر في الآية المتقدمة أهل الشرك وضلالهم ذكر في هذه الآية حالهم وفعالهم فقال (ان يدعون) أي ما يدعون هؤلاء المشركون وما يعبدون (من دونه) أي من دون الله (الإناثا) فيه اقوال «احدها» إلا أوثانا وكانوا يسمون الأوثان باسم الإناث اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى واساف وذاثلة عن ابي مالك والسدي ومجاهد وابن زيد وذكروا ابو حمزة الثمالي في تفسيره قال كان في كل واحدة منهن شيطانة انثى تترامى للسنة وتكلمهم وذلك من صنع ابليس وهو الشيطان الذي ذكره الله فقال لعنه الله قالوا واللوات كان اسما لصخرة والعزى كان اسما لشجرة إلا أنهم نقلوها الى الوثن وجعلوها علما عليهما وقيل العزى تأنيث الأعز واللوات تأنيث لفظ الله وقال الحسن كان لكل حي من العرب وثن يسمونه باسم الأثني «وثانيها» ان المعنى الامواتا عن ابن عباس والحسن وقتادة فعلى هذا يكون تقديره ما يعبدون من دون الله إلا جهادا وأمواتا لا تعقل ولا تنطق ولا تضر ولا تنفع فدل ذلك على غاية جهلهم وضلالهم وسأها إناثا لا اعتقاد مشركي العرب الأوثان في كل ما انضعت منزلته ولأن الإناث من كل جنس ارذله وقال الزجاج لأن الموات يخبر عنها بلفظ التأنيث تقول الاحجار تعجبني ولا تقول يعجبونني ويجوز ان يكون اناثا سها لضعفها وقلة خيرها وعدم نصرها «وثالثها» ان المعنى إلا ملائكة لأنهم كانوا يزعمون ان الملائكة بنات الله وكانوا يعبدون الملائكة عن الضحاك (وإن يدعون إلا شيطانا مریدا) أي مارداً شديداً في كفره وعصيانه متجاديا في شره وطغيانه يسأل عن هذا فيقال كيف نفى في أول الكلام عبادتهم لغير الأوثان ثم اثبت في آخره عبادتهم الشيطان فاثبت في الآخر ما نفاه في الأول اجاب الحسن عن هذا فقال انهم لم يعبدوا الا الشيطان في الحقيقة لأن الأوثان كانت مواتا ما دعت احداً الى عبادتها بل الداعي الى عبادتها الشيطان فاضيفت العبادة الى الشيطان بحكم الدعاء والى الأوثان لاجل انهم كانوا يعبدونها وبطل عليه قوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم تقول للملائكة هؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اضافت الملائكة عبادتهم الى الجن حتى قيل ان الجن دعتهم الى عبادة الملائكة وقال ابن عباس كان في كل واحد من اصنامهم التي كانوا يعبدونها شيطان مرديدعو المشركين الى عبادتها فلذلك حسن اضافة العبادة الى الاصنام والى الشيطان وقيل ليس في الآية اثبات المنفي بل ما

ما يعبدون الا الاوثان والال الشيطان وهو ابليس (لعنه الله) ابعد الله عن الخير بايجاب الخلود في نار جهنم (وقال)
يعني الشيطان لما لعنه الله (لا تخزن من عبادك نصيبا) اي حظا (مفروضا) اي معلوما عن الضحك
وقيل مقدر محدودا واصل الاتخاذ اخذ الشيء على وجه الاختصاص فكل من أطاعه فانه من نصيبه وجزبه
كما قال سبحانه كتب عليه انه من تولاه فانه يضلّه وروي ان النبي قال في هذه الآية من بني آدم سمعة
وتسمون في النار وواحد في الجنة وفي رواية اخرى من كل الف واحد لله وسائرهم للنار ولا بليس اوردهما
ابو حمزة الثمالي في تفسيره ويقال كيف علم ابليس ان له اتباعا يتابعونه والجواب علم ذلك من قوله لا ملأن
جهنم منك ومن تبعك وقيل انه لما نال من آدم ما نال طمع في ولده وانما قال ذلك ظنا وبؤهده قوله تعالى
واقد صدق عليهم ابليس ظنه (ولا أضلنهم) هذا من مقالة ابليس يعني لا ضلنهم عن الحق والصواب واضلاله
دعاؤه الى الضلال وتسيبته له بجائله وغروره ووساوسه (ولا منينهم) يعني امنينهم طول البقاء في الدنيا
فيؤثرون بذلك الدنيا ونعيمها على الآخرة وقيل معناه اقول لهم ليس وراءكم ثمث ولا نشر ولا جنة ولا نار
ولا ثواب ولا عقاب فافعلوا ما شئتم عن الكسبي وقيل معناه امنينهم بالاهواء الباطلة الداعية الى المعصية
وازين لهم شهوات الدنيا وزهواتها وادعو كلا منهم الى نوع يميل طبعه اليه فاصده بذلك عن الطاعة والقيه
في المعصية ولا مرثهم فليبينكن آذان الانعام) تقديره ولا مرثهم بتبتيك آذان الانعام فليبتكن أي ليشقن آذانهم
عن الزجاج وقيل ليقطعن الآذان من اصلها وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام وهذا شيء قد كان
مشركو العرب يفعلونه يجدهون آذان الانعام ويقال كانوا يفعلونه بالبحيرة والسائبة وسند ذكر ذلك في سورة
المائدة ان شاء الله (ولا مرثهم فليغيرن خلق الله) اي لا مرثهم بتغيير خلق الله فليغيرنه واختلاف في معناه
فقيل يريد دين الله وامره عن ابن عباس و ابراهيم ومجاهد والحسن وقتاده وجماعة وهو المروي عن ابي
عبد الله عليه السلام وبؤهده قوله سبحانه وتعالى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله واراد
بذلك تحريم الحلال وتحليل الحرام وقيل اراد معنى الخصاص عن عكرمة وشهر بن حوشب وابي صالح عن ابن
عباس وكرهوا الاخصاء في البهايم وقيل انه الوشم عن ابن مسعود وقيل انه اراد الشمس والقمر والحجارة
عدلوا عن الانتفاع بها الى عبادتها عن الزجاج (ومن يتخذ الشيطان وليا) اي ناصر او قيل ربا يطيعه
(من دون الله فقد خسر خسرا مبينا) اي ظاهرا واي خسرا اعظم من استبدال الجنة بالنار واي
صفقة اخسر من استبدال رضا الشيطان برضاء الرحمن (يعدم) الشيطان ان يكون لهم ناصرا
(ويمينهم) الا كاذب والباطيل وقيل معناه يعدم الفقر انفقوا مالهم في ابواب البر ويمينهم طول البقاء
في الدنيا ودوام النعيم فيها ليوثروها على الآخرة (وما يعدم الشيطان الا غرورا) اي لا يكون لما يعدم
ويمينهم اصل وحقيقة والغرور ايهم النفع فيما فيه ضرر (اولئك) اشارة الى الذين اتخذوا الشيطان وليا من
دون الله فاعتبروا بغروره وتابعوه فيما دعاهم اليه (ماواهم) مستقرهم جميعا (جهنم) ولا يجدون عنها محيصا)
اي مخلصا ولا مهربا ولا معدلا

قوله تعالى (١٢٢) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا (آية)

قد مر تفسير صدر الآية في هذه السورة وقوله ومن اصدق من الله قيلا ومن اصدق من الله حديثا ونحوه بإشام الزاي كوفي غير عاصم ورويس والباقون بالصاد وقد ذكرنا الوجه عند ذكر الصراط في الفاتحة وقوله وعد الله نصب على المصدر وتقديره وعد الله ذلك وعدا فهو مصدر دل معنى الكلام الذي تقدم على فعله الناصب له وحقا ايضا مصدر مؤكدا لما قبله كأنه قال احق به حقا وقيلا منصوب على التمييز كما يقال هو اكرم منك فعلا ومعناه وعد الله ذلك وعدا حقا لا خلف فيه (ومن اصدق) استفهام فيه معنى النفي اي لا احد اصدق من الله قولاً فيما اخبره ووعدا فيما وعده

قوله تعالى (١٢٣) لَيْسَ بِأَمَانِيَّتِكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوًّا يُجْزَى بِهِ وَلَا يُجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٢٤) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ نَقِيرًا (آيتان)

✽ القراءة ✽

يدخلون الجنة بضم الياء هناك وفي مريم وحم مكي بصرى وابو جعفر وابو بكر والباقون يدخلون بفتح الياء وضم الخاء

✽ الحجة ✽

حجة من قرأ يدخلون قوله ادخلوا الجنة ادخلوها بسلام آمنين ومن قرأ يدخلون فلا تهم لا يدخلونها حتى يدخلوها

✽ اللفظة ✽

الأماني جمع أمنية وهي تقدير الأمن في النفس على جهة الاستمتاع به ووزن أمنية افعولة من المنية واصله التقدير يقال مئني له الماني اي قدر له المقدر ومنه سميت المنية وهي فعيلة اي مقدرة والنقير النكتة في ظهر النواة كأن ذلك تقر فيه

✽ الاعراب ✽

اسم ليس مضمرا لدلالة الكلام عليه والتقدير ليس الامر بأمانيتكم اي ليس الثواب بأمانيتكم ولا يجرد مجزوم عطفا على الجزاء لا على الشرط وهو قوله يجوز والوقف عند قوله اهل الكتاب وقف تام ثم استؤنف الخبر بعدها بمن يعمل ومن موضعه رفع بالابتداء على ما تقدم ذكر امثاله ومن في قوله من الصالحات مزبدة وقبل هو للتبعيض لأن العبد لا يطبق جميعها وقيل انه لتبيين الجنس وقال وهو مؤمن فوحد ثم قال فأولئك يدخلون الجنة فجمع لأن من اسم مبهم موحد اللفظ مجموع المعنى فيعود الضمير اليه مرة على اللفظ ومرة على المعنى

✽ النزول ✽

قيل تفاخر المسلمون واهل الكتاب فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم فقال المسلمون نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكذب وديننا الاسلام فنزلت الآية فقال اهل الكتاب نحن وانتم سواء فانزل الله الآية التي بعدها ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن ففعلح المسلمون عن فتادة والضحاك وقيل لما قالت اليهود نحن أبناء الله واجباؤه وقال اهل الكتاب لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصاراً نزلت الآية عن مجاهد

﴿ المعنى ﴾

لما ذكر سبحانه الوعد والوعيد قال عقيب ذلك (ليس بأمانيتكم) معناه ليس الثواب والعقاب بأمانيتكم ايها المسلمون عن مسروق والسدي وقيل الخطاب لاهل الشرك من قريش لانهم قالوا لا نبعث ولا نعذب عن مجاهد وابن زيد (ولا امانى اهل الكتاب) اي ولا بأمانى اهل الكتاب في انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وهذا بقوي القول الاخير على انه لم يجر للمسلمين ذكر في الأمانى وذكرا مانى الكفار قد جرى في قوله ولا منينهم هذا وقد وعد الله المؤمنين فيما بعد بما هو غاية الأمانى (من يعمل سوءاً يجزيه) اختلف في تأويله على اقوال * **احدها** * انه يريد بذلك جميع المعاصي صفاتها و كباثرها وان من ارتكب شيئاً منها فإن الله سبحانه يجازيه عليها إما في الدنيا وإما في الآخرة عن عائشة وقتادة ومجاهد وروى عن ابي هريره انه قال لما نزلت هذه الآية بكينا وحرنا وقلنا يا رسول الله ما ابتت هذه الآية من شيء فقال اما والذي نفسي بيده انها لكما انزلت ولكن ابشروا وقاربوا وسددوا انه لا تصيب احدا منكم مصيبة الا كفر الله بها خطيئته حتى الشوكة يشاكها احدكم في قدمه رواه الواحدى في تفسيره مرفوعاً وقال القاضي ابو عاصم القارى العامري في هذا قطع لتوهم من توهم ان المعصية لا تضر مع الإيمان كما ان الطاعة لا تنفع مع الكفر * **وثانيها** * ان المراد به مشركو قريش واهل الكتاب عن الحسن والضحاك وابن زيد قالوا وهو كقوله وهل يجازى الا الكفور «**وثالثها**» ان المراد بالسوء هنا الشرك عن ابن عباس وسعيد بن جبير (ولا يجدر له من دون الله ولياً ولا نصيراً) معناه ولا يجد هذا الذي يعمل سوءاً من معاصي الله وخلاف امره ولياً يلى امره ينصره ويحامي عنه ويدفع عنه ما ينزل به من عقوبة الله ولا نصيراً أي ناصره وينجيه من عذاب الله ومن استدل بهذه الآية على المنع من جواز العفو عن المعاصي فإننا نقول له ان من ذهب الى ان العموم لا ينفرد في اللغة بصيغة مختصة به لا يسلم انها تستغرق جميع من فعل السوء بل يجوز ان يكون المراد بها بعضهم على ما ذكره اهل التأويل كابن عباس وغيره على انهم قد اتفقوا على ان الآية مخصوصة فإن النائب ومن كانت معصيته صغيرة لا ينالها العموم فاذا جاز لهم ان يخصوا العموم في الآية بالفريقين جاز لنا ان نخصها بمن يتفضل الله عليه بالعفو وهذا بين والحمد لله وقوله سبحانه (ومن يعمل من الصالحات من ذكرا وانثى وهو مؤمن) وانما قال وهو مؤمن من لبيان ان الطاعة لا تنفع من دون الإيمان (فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً) وعد الله تعالى بهذه الآية جميع المكلفين من الرجال والنساء اذا عملوا الاعمال الصالحة اي الطاعات الخالصة وهم مؤمنون موحدون مصدقون نبيه بأن يدخلهم الجنة ويثبتهم فيها ولا يبخلهم شيئاً مما يستحقونه من الثواب وأن كان مقدار نقير في الصفر وقد قابل سبحانه الوعيد العام في الآية التي قبل هذه الآية بالوعد العام في هذه الآية ليقف المؤمن بين الخوف والرجاء

(قوله تعالى) (١٢٥) وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ
وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا (١٢٦) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا
فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا (آيَاتان)

* اللغة *

الخليل مشتق من الخلة بضم الخاء التي هي المحبة او من الخلة بفتح الخاء التي هي الحاجة وانما استعمل بمعنى الصداقة لأن كل واحد من المتصادقين يسد خلل صاحبه وقيل لأن كل واحد منهما يطلع صاحبه على اسراره فكأنه في خل قلبه وانما استعمل في الحاجة للاختلال الذي يلحق الفقير فيما يحتاج اليه ومنه قول زهير
وان أتاه خليل يوم مسغبة
يقول لا غائب مالي ولا حرم
وقال الازهري الخليل الذي خص بالمحبة يقال دعا فلان فخلل اي خص

* الاعراب *

دينا منصوب على التمييز وهو ما انتصب بعد تمام الاسم وقوله وهو محسن جملة في موضع النصب على الحال وكذلك قوله وهو مؤمن في الآية التي قبل وحنيفا منصوب على الحال وذو الحال الضمير في اتبع والمضمر هو النبي (ص) ويجوز ان يكون حنيفا حالا من ملة ابراهيم وكان حقه ان يكون فيه الهاء لأن فيملا اذا كان بمعنى فاعل للمؤنث تثبت فيه الهاء الا انه قد جاء مجيء ناقه سديس وريح حريق ويجوز ان يكون حالا من ابراهيم والحال من المضاف اليه عزيز وقد جاء ذلك في الشعر قال النابغة
قالت بنو عامر خالوا بني اسد
يا بوئس للجهل ضرارا لا قوام
اي يا بوئس الجهل ضرار او اللام مقمحة لتوكيد الاضافة وخليلا مفعول ثان لاتخذ

* المعنى *

ثم بين سبحانه من يستحق الوعد الذي ذكره قبل فقال (ومن احسن ديننا) وهو في صورة الاستفهام والمراد به التقرير ومعناه من اصوب طريقا واهدى سبيلا اي لا احد احسن اعتقادا (من اسلم وجهه لله) اي استسلم وجهه والمراد بقوله وجهه هنا ذاته ونفسه كما قال تعالى كل شي هالك الا وجهه والمعنى انقاد لله سبحانه بالطاعة واتباعه (ص) بالتصديق وقيل معنى اسلم وجهه لله قصده بالعبادة وحده كما اخبر عن ابراهيم (ع) انه قال وجهت وجهي للذي فطر السماوات والارض وقيل معناه اخلص اعماله لله اية اتى بهامخلصا لله فيها (وهو محسن) اية فاعل للفعل الحسن الذي امره الله تعالى وقيل معناه وهو محسن في جميع اقواله وافعاله وقيل ان المحسن هنا الموحد وروي ان النبي (ص) سئل عن الاحسان فقال ان تعبد الله تعالى كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك (واتبع ملة ابراهيم) اي اقتدى بدينه وسيرته وطريقته يعني ما كان عليه ابراهيم وامر به بنيه من بعده واوصاهم به من الاقرار بتوحيده وعدله وتنزيهه عما لا يليق به ومن ذلك الصلاة الى الكعبة والطواف حولها وسائر المناسك (حنيفا) اية مستقيا على منهاجه وطريقه وقد مر معنى الحنيف في سورة البقرة (واتخذ الله ابراهيم خليلا) اي محبا لا خال في مودته لكمال خلقه والمراد بخلته لله انه كان موابيا لا اولياء الله ومعاديا لاعداء الله والمراد بخلته لله تعالى له نصرته على من اراده بسوء كما انقذه من نار نمرود وجعلها عليه بردا وسلاما وكما فعله بملك مصر حين راوده عن اهله وجماعه اماما للناس وقدوة لهم قال الزجاج جاز ان يكون سمي خليل الله بانه الذي احبه الله بان اصطفاه محبة تامة كاملة واحب الله هو محبة تامة كاملة وقيل سمي خليلا لانه افتقر الى الله وتوكل عليه وانقطع بجوائجه اليه وهو اختيار الفراء وابي القاسم البلخي وانما خصه الله بهذا الاسم وان كان الخلق كاهم فقراء الى رحمته تشرفا له بالنسبة اليه من حيث انه فقير اليه لا يرجو لسد

خلته بسواه كما خص موسى بانه كليم الله وعيسى بانه روح الله ومحمدا بانه حبيب الله وقيل إنما سمي خليلا لأنه سبحانه خصه بما لم يخص به غيره من انزال الوحي عليه وغير ذلك من خصائصه وإنما خصه من بين سائر الأنبياء بهذا الاسم على المعنيين اللذين ذكرناهما وان كان كل واحد من الانبياء خليل الله في زمانه لانه سبحانه خصهم بالنبوة وقد روي عن النبي (ص) انه قال قد اتخذ الله صاحبكم خليلا يعني نفسه وهذا الوجه اختيار ابي علي الجبائي قال وكل ما عبد الله به ابراهيم فقد تعبد به نبينا (ص) وزاده أشياء لم يتعبد بها ابراهيم (ص) ومما قيل في وجه خلة ابراهيم ما روي في التفسير ان ابراهيم كان يضيف الضيفان ويطعم المساكين وان الناس اصابهم جرب فارتحل ابراهيم الى خليل له بمصر يلتمس منه طعاما لأهله فلم يصب ذلك عنده فلما قرب من اهله بمغارة ذات رمل لينة ملاء غرائره من ذلك الرمل لثلاثين اهله يرجوعه من غير ميرة فحول الله ما في غرائره دقيقا فلما وصل الى اهله دخل البيت ونام استحياء منهم ففتحوا القرائر وعجنوا من الدقيق وخبزوا وقدموا اليه طعاما طيبا فسألهم من اين خبزوا قالوا من الدقيق الذي جثت به من عند خليلك المصري فقال أما انه من خليلي وليس بمصري فسأه الله سبحانه خليلا رواه علي بن ابراهيم عن ابيه عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة عن ابي عبد الله (ع) ثم بين سبحانه أنه إنما اتخذ ابراهيم خليلا لطاعته ومساعدته الى رضاه لا حاجة منه سبحانه الى خلته فقال (ولله ما في السماوات وما في الأرض) ملكا وملكاً فهو مستغن عن جميع خلقه والخلق محتاجون اليه (وكان الله بكل شيء محيطا) يعني لم يزل سبحانه عالما بجميع ما يفعله عباده ومعنى المحيط بالشيء انه العالم به من جميع وجوهه

قوله تعالى (١٢٧) وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَغِبْنَ أَنْ يَكْتُمُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا (آية)

✽ الآية ✽

الاستفتاء والاستقصاء بمعنى واحد يقال فاتتته وقاضيته قال الشاعر

تعالوا نفاتيكم أعياء وفقعس الى المجد ادنى ام عشيرة حاتم
هكذا انشده الحسن بن علي المغربي وهو استعمال من الفتيا وهي الفتوى وافتي في المسألة بين حكمها

✽ الإعراب ✽

وما يتلى عليكم موضعه رفع بالابتداء تقديره الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب ايضا يفتيكم فيهن وقل الفراء يجوز ان يكون موضعه عطفا على المضمير المجرور في فيهن وهذا بعيد لأن الظاهر لا يحسن عطفه على المضمير المجرور وقيل يجوز ان يكون عطفا على النساء في قوله ويستفتونك في النساء أي ويستفتونك فيما يتلى عليكم وفي المستضعفين قال الواحدي قوله في يتامى النساء قيل ان تقديره في النساء يتامى فأضيفت الصفة الى الموصوف نحو قولك كتاب الكامل ومسجد الجامع ويوم الجمعة وهذا قول الكوفيين وعند المحققين لا يجوز اضافة الصفة الى الموصوف بل النساء هنا مهات يتامى أضيف اليهن اولادهن واقول يجوز ايضا ان يضاف يتامى الى النساء اذا كن من جملتهن فيكون الاضافة بمعنى من كما يقال خيار النساء

وشرار النساء وصغار النساء وهذا شبه بما ينساق اليه معنى الآية والمستضعفين جر عطفًا على يتامى النساء وان تقوموا لليتامى بالقسط في موضع جر ايضا والتقدير وما يتلى عليكم من الآيات في يتامى النساء وفي المستضعفين وفي ان تقوموا لليتامى بالقسط يفتيكم الله فيهن

✽ المعنى ✽

ثم عاد كلام الله تعالى الى ذكر النساء والايام وقد جرى ذكرهم في اول السورة فقال (ويستفتونك) أي يسألونك الفتوى وهو تبين المشكل من الاحكام (في النساء) يستخبرونك يا محمد عن الحكم فيهن واما يجب لهن وعليهن واما حذف ذلك لا حاطة العلم بأن السؤال في امر الدين انما يقع عما يجوز واما لا يجوز واما يجب واما لا يجب (قل الله يفتيكم فيهن) معناه قل يا محمد بين لكم ما سألتهم في شأنهن (وما يتلى عليكم في الكتاب) أي ويفتيكم ايضا ما يقرأ عليكم في الكتاب أي القرآن وتقديره و كتابه يفتيكم أي بين لكم الفرائض المذكورة (في يتامى النساء) أي الصغار (اللاتي) لم يلفن وقوله اللاتي (لا توتونهن) أي لا تعطونهن (ما كتب لهن) واختلف في تأويله على اقوال **✽ اولها ✽** ان المعنى وما يتلى عليكم في توريث صغار النساء وهو آيات الفرائض التي في اول السورة وكان أهل الجاهلية لا يورثون المولود حتى يكبر ولا يورثون المرأة وكانوا يقولون لا نورث الا من قاتل ودفع عن الحرم فأنزل الله آية الموارث في اول السورة وهو معنى قوله لا توتونهن ما كتب لهن أي من الميراث عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وهو المروي عن ابي جعفر (ع) **✽ وثانيها ✽** ان المعنى اللاتي لا توتونهن ما وجب لهن من الصداق وكانوا لا يوتون اليتامى اللاتي يبلون عليهن من الصداق فهي الله عن ذلك بقوله فإن خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم وقوله وما يتلى عليكم هو ما ذكره في اول السورة من قوله وان خفتم الا تقسطوا الآية عن عايشة وهو اختيار ابي علي الجبائي واختار الطبري القول الاول واعترض على هذا القول بأن قال ليس الصداق مما كتب الله للناس الا بالنكاح فمن لم تنكح فلا صداق لها عند احد **✽ وثالثها ✽** ان المراد بقوله لا توتونهن ما كتب لهن النكاح الذي كتب الله لهن في قوله وانكحوا الأيامى الآية فكان الولي يمنعهم من التزويج عن الحسن وقتادة والسدي وابي مالك وابراهيم قالوا كان الرجل يكون في حجره اليتيمة بها دمامة ولها مال وكان يرغب عن ان يتزوجها ويحبسها طمع ان تموت فيرثها قال السدي وكان جابر بن عبد الله الانصاري له بنت عم عمياء دميمة وقد ورثت عن أبيها مالا فكان جابر يرغب عن نكاحها ولا ينكحها مخافة ان يذهب الزوج بما لها فسأل النبي عن ذلك فنزلت الآية وقوله (وترغبون ان تنكحوهن) معناه على القول الاول والثالث وترغبون عن ان تنكحوهن أي عن نكاحهن ولا توتونهن نصيبن من الميراث فيرغب فيهن غيركم فقد ظلمنموهن من وجهين وفي قول عائشة معناه وترغبون في ان تنكحوهن أي في نكاحهن لجمالهن او لمالهن (والمستضعفين من ولدان) معناه ويفتيكم في المستضعفين من الصبيان الصغار ان تعطوهم حقوقهم وكانوا لا يورثون صغيرا من الغلمان ولا من الجوارية لأن ما يتلى عليكم في باب اليتامى من قوله وآتوا اليتامى اموالهم يدل على الفتيا في اعطاء حقوق الصغار من الميراث (وان تقوموا لليتامى بالقسط) أي ويفتيكم في ان تقوموا لليتامى بالقسط في انفسهم وفي موارثهم واموالهم وتصرفاتهم واعطاء كل ذي حق منهم حقه صغيرا كان او كبيرا ذكرا كان او انثى وفيه إشارة الى قوله سبحانه وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى

الآية (وما تفعلوا من خير) أي مهما فعلتم من خير ايها المؤمنون من عدل وبر في أمر النساء واليتامى وانتهيتم في ذلك الى امر الله وطاعته (فإن الله كان به عليما) أي لم يزل به عالما ولا يزال كذلك يجازيكم به ولا يضيع عنده شيء منه

قوله تعالى (١٢٨) وَإِنْ أُمْرَأَةٌ خَاَفَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصَلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (آية)

✽ القراءة ✽

قرأ أهل الكوفة ان يصلحا بضم الباء وكسر اللام وسكون الصاد والباقون يصلحا بتشديد الصاد وفتح الباء واللام

✽ الحجة ✽

الاعرف في الاستعمال يصلحا وزعم سبويه ان بعضهم قرأ يصلحا فيصالحا يفعلا وافتعل وتفاعل بمعنى ولذلك صحت الواو في اجتوروا واعتوروا لما كان بمعنى تجاوروا وتماوروا فهذا حجة لمن قرأ ان يصلحا ومن قرأ يصلحا فإن الاصلاح عند التنازع قد استعمل كما في قوله سبحانه فاصلح بينهم وقوله صلحا يكون مفعولا على قراءة من قرأ يصلحا كما تقول اصلحت ثوبا ومسنا قرأ يصلحا فيجوز ان يكون صلحا مفعولا ايضا لان تفاعل قد جاء متعديا ويجوز ان يكون مصدرا حذفت زوائده كما قال ✽ فان تهلك فذلك كان قدرى ✽ اي تقديري ويجوز ان يكون قد وضع المصدر موضع الاسم كما وضع الاسم موضع المصدر في نحو قوله (باكرت حاجتها الدجاج بسحرة) وقوله (وبعد عطائك المائة الرتاعا)

✽ اللفظة ✽

النشوز مر ذكره في هذه السورة والشح إفراط في الحرص على الشيء ويكون بالمال وبغيره من الاعراض يقال هو شحيح بؤدتك اي حريص على دوامها ولا يقال في ذلك بخيل والبخل يكون بالمال خاصة قال الشاعر

لقد كنت في قوم عليك اشحة بفقرك الا أن من طاح طائح
يودون لو خاطوا عليك جلودهم وهل يدفع الموت النفوس الشحائح

✽ الاعراب ✽

وان امرأة خافت امرأة ارتفعت بفعل مضمر يفسره الفعل الظاهر بعدها وهو اضمار قبل الذكر على شريطة التفسير وتقديره وان خافت لو قلت ان امرأة تخف ففرقت بين أن الجزاء والفعل المستقبل فذلك قبيح لأن ان لا يفصل بينها وبين ما تجزم ذلك في الشعر جائز في ان غيرها قال الشاعر

فتى واغل يذبهم يحيو ه وئذ ططف كأس الساقى

فأما الماضي فإن غير عاملة في لفظه وان لم تكن من حروف الجزاء فجاز ان يفرق بينها وبين الفعل فاما غير ان الفصل يقع فيه مع الماضي والمستقبل جميعا

✽ النزول ✽

كانت بنت محمد بن سلمة عند رافع بن خديج وكانت قد دخلت في السن وكانت عنده امرأة شابة سواها

فطلقها تطليقة حتى اذا بقي من اجلها يسير قال ان شئت راجعتك وصبرت على الاثرة وان شئت تركتك
قالت بلى راجعتني واصبر على الاثرة فراجعها فذلك الصلح الذي بلغنا ان الله تعالى انزل فيه هذه الآية عن ابي
جعفر وسعيد بن المسيب وقيل خشيت سودة بنت زمعة ان يطلقها رسول الله فقالت لا تطلقني واجلسني مع
نساءك ولا تقسم لي واجعل يومي لعائشة فنزلت الآية عن ابن عباس

✽ المعنى ✽

لما تقدم حكم نشوز المرأة بين سبحانه تعالى نشوز الرجل فقال (وان امرأة خافت) أي علمت وقيل
ظنت (من بعلمها) أي من زوجها (نشوزا) أي استعلاء وارتفاعا بنفسه عنها الى غيرها اما بلفظه واما لكرهته
منها شيئا اما مامتها واما علو سننها او غير ذلك (او اعراضا) يعني انصرفا بوجهه او ببعض منافعه التي كانت لها
منه وقيل يعني باعراضه عنها هجرانه اياها وجفائها وميله الى غيرها (فلا جناح عليهما) أي لا حرج ولا اثم على كل
واحد منهما من الزوج والزوجة (ان يصلحا بينها صلحا) بان تترك المرأة له يومها او تضع عنه بعض ما يجب
اياه من نفقة او كسوة او غير ذلك لتستعطفه بذلك وتستديم المقام في جباله والصلح خير معناه (والصلح) بترك
بعض الحق (خير) من طلب الفرقة بعد الالفة هذا اذا كان بطيبة من نفسها فان لم يكن كذلك فلا يجوز
له الا ما يسوغ في الشرع من القيام بالكسوة والنفقة والقسمة والا طلقها وبهذه الجملة قالت الصحابة
والتابعون منهم علي وابن عباس وعائشة وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد وغيرهم (واحضرت الانفس الشح)
اختلف في تأويله فقيل معناه واحضرت انفس النساء الشح على انصباتهن من انفس ازواجهن واموالهن واهلهم
منهم عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعطا والسدي وقيل معناه واحضرت انفس كل واحد من الرجل
والمرأة الشح بحقه قبل صاحبه فشح المرأة يكون بترك حتها من النفقة والكسوة والقسمة وغيرها وشح الرجل
بانفاقه على التي لا يريد اؤها وهذا اعم وبه قال ابن وهب وابن زيد (وان تحسنوا) خطاب الرجال أي ان
تفعلوا الجميل بالصبر على ما تكرهون من النساء (وتتقوا) من الجور عليهن في النفقة والكسوة والعشرة
بالمعروف وقيل ان تحسنوا في اقوالكم وافعالكم وتتقوا معاصي الله (فان الله كان بما تعملون خبيرا) أي هو
سبحانه خبير بما يكون منكم في امرهن بحفظه لكم وعليكم حتى يجازيكم باعمالكم

قوله تعالى (١٢٩) وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ
أَمِيلٍ فَتَدْرُوهَا كَالْمُلْقَةِ وَإِنْ تَصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (١٣٠) وَإِنْ
يَتَفَرَّقَا بِعُنْ أَللَّهُ كَلًّا مِنْ سَعْتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا (آبَتَان)

✽ اللفظة ✽

الاستطاعة والقوة والقدرة نظائر والسعة خلاف الضيق والواسع في صفات القديم اختلف في معناه وقيل
انه واسع العطاء أي المكرمه وقيل هو واسع الرحمة ويؤيده قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء وقيل انه واسع المقدر

✽ المعنى ✽

لما تقدم ذكر النشوز والصلح بين الزوجين عقبه سبحانه بأنه لا يكاف من ذلك ما لا استطاع فقال (ولن

تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) أي لن تقدروا أن تسووا بين النساء في المحبة والمودة بالقلب ولو حرصتم على ذلك كل الحرص فإن ذلك ليس اليكم ولا تملكونه فلا تكلفونه ولا تؤاخذون به عن ابن عباس والحسن وقناة وقيل معناه لم تقدروا ان تعدلوا بالتسوية بين النساء في كل الأمور من جميع الوجوه من النفقة والكسوة والعطية والمسكن والصحبة والبر والبشر وغير ذلك والمراد به أن ذلك لا يخفف عليكم بل يثقل ويشق لمهلكم الى بعضهم (فلا تملوا كل الميل) أي فلا تعدلوا بأهوائكم عن من لم تملكووا محبة منهم كل العدول حتى يملككم ذلكم على ان تجوروا على صواحبها في ترك اداء الواجب لهن عليكم من حق القسمة والنفقة والكسوة والعشرة بالمعروف (فتذروها كالمعلقة) أي تذرؤا التي لا تملون اليها كالتي هي لا ذات زوج ولا ايم عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقناة وغيرهم وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله وذكر علي بن ابراهيم في تفسيره انه سأل رجل من الزنادقة ابا جعفر الاحول عن قوله سبحانه فان خفتن الا تعدلو فواحدة ثم قال ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم وبين القولين فرق قال فله يكن عندي جواب في ذلك حتى قدمت المدينة قد دخلت على ابي عبد الله (ع) فسألته عن ذلك فقال اما قوله فإن خفتن الا تعدلوا فإنه عنى في النفقة وأما قوله ولن تستطيعوا ان تعدلوا فإنه عنى في المودة فانه لا يقدر احد ان يعدل بين امرأتين في المودة قال فرجعت الى الرجل فاخبرته فقال هذا ما حملته من الحجاز وروى ابو قلابة عن النبي (ص) انه كان يقسم بين نسائه ويقول اللهم هذه قسمتي فيما املك فلا تلمني فيما تملك ولا املك قوله (وان تصلحوا) يعني في القسمة بين الأزواج والتسوية بينهن في النفقة وغير ذلك (وتتقوا) الله في امرهن وتتركوا الميل الذي نهاكم الله عنه في تفضيل واحدة على الأخرى (فان الله كان عفورا رحيمًا) بستر عليكم ما مضى منكم من الخيف في ذلك اذا تبتم ورجعتم الى الاستقامة والتسوية بينهن ويرحمكم بترك المؤاخذة على ذلك وكذلك كان يفعل فيما مضى مع غيركم وروى عن جعفر الصادق (ع) عن آباءه ان النبي (ص) كان يقسم بين نسائه في مرضه فيطاف به بينهن وروى ان عليا كان له امرأتان فكان اذا كان يوم واحدة لا يتوضأ في بيت الأخرى وكان معاذ بن جبل له امرأتان ماتتا في الطاعون فاقرع بينهما ابهما تدفن قبل الأخرى وقوله (وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته) يعني اذا ابي كل واحد من الزوجين مصلحة الآخر ان تطالب المرأة بتصيبها من القسمة والنفقة والكسوة وحسن العشرة ويمتنع الرجل من اجابتها الى ذلك ويتفرقا حينئذ بالطلاق فانه سبحانه يغني كل واحد منهما من سعته أي من سعة فضله ورزقه (وكان الله واسعا حكيما) أي لم يزل واسع الفضل على العباد حكيما فيما يدرهم به وفي هذه الآية دلالة على ان الارزاق كلها بيد الله وهو الذي يتولاها بحكمته وان كان ربما اجراها على يدي من يشاء من يرثه

قوله تعالى (١٣١) **وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا (١٣٢)** وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (آيَاتان)

✽ المعنى ✽

ثم ذكر سبحانه بعد اخباره باغناء كل واحد من الزوجين بعد الافتراق من سعة فضله ما يوجب الرغبة اليه في ابتغاء الخير منه فقال (والله ما في السماوات وما في الارض) اخبارا عن كمال قدرته وسعة ملكه أي فان من يملك ما في السماوات وما في الارض لا يتعذر عليه الاغناء بعد الفرقة والابتناس بعد الوحشة ثم ذكر الوصية بالتقوى فان بها ينال خير الدنيا والآخرة فقال (ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم) من اليهود والنصارى

وغيرهم (وإياكم) أي واوصيناكم ايها المسلمون في كتابكم (ان اتقوا الله) وتقديره بان اتقوا الله اي اتقوا عقابه باتقاء معاصيه ولا تخالفوا امره ونهيه (وان تكفروا) اي تجحدوا وصيته اياكم وتخالفوها (فان الله ما في السماوات وما في الارض) لا يضره كفرانكم وعصيانكم وهذه اشارة الى ان امره جميع الامم بطاعته ونهيه اياهم عن معصيته ليس استكثاراً بهم عن قلة ولا استنصاراً بهم عن ذلة والاستغناء بهم عن حاجة فإن له ما في السماوات وما في الارض ملكاً وملكاً وخلقاً لا يلحقه العجز ولا يعتريه الضعف ولا تجوز عليه الحاجة وانما أمرنا ونهانا نعمة منه علينا ورحمته بنا (وكان الله غنياً) أي لم يزل سبحانه غير محتاج الى خلقه بل الخلاق كلهم محتاجون اليه (حميداً) أي مستوجباً للحمد عليكم بصنائه الحميدة اليكم والآية الجميلة لديكم فاستدبوا ذلك باتقاء معاصيه والمسايرة الى طاعته فيما يأمركم به ثم قال (والله ما في السماوات وما في الارض وكفى بالله وكيلاً) أي حافظاً لجميعه لا يعزب عنه علم شيء منه ولا يؤوده حفظه وتدبيره ولا يحتاج مع سعة ملكه الى غيره واما وجه التكرار لقوله والله ما في السماوات وما في الارض في الآيتين ثلاث مرات فقد قيل انه للتأكيد والتذكير وقيل انه للابانه عن علل ثلاث (احدها) بيان إيجاب طاعته فيما قضى به لان له ملك السماوات والارض (والثاني) بيان غناه عن خلقه وحاجتهم اليه واستحقاقه الحمد على النعم لأن له ما في السماوات وما في الارض (والثالث) بيان حفظه اياهم وتقديره لهم لأن له ملك السماوات والارض

قوله تعالى (١٣٣) **إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بآخِرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا**
(١٣٤) **مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا** آيتان

✽ المعنى ✽

لما ذكر سبحانه غناه عن الخلق بأن له ملك السماوات والأرض عقب ذلك بذكر كمال قدرته على خلقه وان له الاهلاك والانباء والاستبدال بعد الافناء فقال (ان يشأ يذهبكم) يعني ان يشأ الله يهلككم (أيها الناس) ويفنكم وقيل فيه محذوف أي ان يشأ ان يذهبكم يذهبكم ايها الناس (ويأت بآخرين) أي يقوم آخريين غيركم ينصرون نبيه ويوازرونه ويروى انه لما نزلت هذه الآية ضرب النبي يده على ظهر سلمان وقال هم قوم هذا يعني عجم القرس (وكان الله على ذلك قديراً) أي لم يزل سبحانه قادراً على الابدال والافناء والاعادة ثم ذكر سبحانه عظم ملكه وقدرته بأن جزاء الدارين عنده فقال (من كان يريد ثواب الدنيا) أي الغنيمة والمنافع الدنيوية اخبر سبحانه عن من اظهر الايمان بحمد (ص) من أهل التفاق يريد عرض الحياة الدنيا باظهار ما اظهره من الايمان بلسانه (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) أي يملك سبحانه الدنيا والآخرة فيطلب المجاهد الثوابين عند الله عن ابي علي الجبائي وقيل انه وعيد للمنافقين وثوابهم في الدنيا ما ياخذونه من الثمن والغنيمة اذا شهدوا الحرب مع المسلمين وامنهم على نفوسهم واموالهم وذراريهم وثوابهم في الآخرة النار (وكان الله سميعاً بصيراً) أي لم يزل على صفة يجب لاجلها ان يسمع المسموعات ويبصر المبصرات عند الوجود وهذه الصفة هي كونه حياً لا أفة به وقيل انا ذكر هذا ليبين انه يسمع ما يقول المنافقون اذا خلوا الى شياطينهم ويعلم ما يسرونه من تفاقهم

قوله تعالى (١٣٥) **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ**
أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ
تَلَّوْا أَوْ نَعَرَضُوا فإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر وحمزة ان تلوا بضم اللام وواو واحدة ساكنة والباقون تلووا بواو بين الاولى مضمومة والثانية ساكنة

﴿ الحجة ﴾

من قرأ بواو واحدة فحجته ان يقول انه من الولاية وولاية الشيء اقبال عليه وخلاف الاعراض عنه فكون المعنى ان تقبلوا او تعرضوا فان الله خبير باعمالكم بجازي المحسن المقبل باحسانه والمسيء المعرض باعراضه وتركه الاقبال على ما يلزمه ان يقبل عليه قال واذا قرأت تلووا فهي من الي والي مثل الاعراض فيكون كالتكرير الا ترى ان قوله لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون معناه الاعراض وترك الاقياد للحق ومن قرأ تلووا من لوى فحجته ان يقول لا ينكر ان يشكر اللفظان بمعنى واحد نحو قوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون وقول الشاعر (وهنداتي من دونها التأني والبعد) وقول آخر (والتي قولها كذبا ومينا) وقيل ان تلووا يجوز ان يكون تلووا وان الواو التي هي عين همزت لانضمامها كما همزت في ادور ثم طرحت الهمزة والقيت حركتها على اللام التي هي فاء فصارت تلووا كما نطرح الهمزة في ادور وتلقى حركتها على الدال فتصير آدر

﴿ اللفظة ﴾

القسط والاقساط العدل يقال اقسط الرجل اقساطا اذا عدل واتى بالقسط وقسط الرجل يقسط قسوطا اذا جار ويقال قسط البعير يقسط قسطا اذا يبست يده وبدقسطاء اي يابسة فكان معنى اقسط اقام الشيء على حقيقته في التعديل وكان قسط اي جار معناه يبس الشيء وافسد جيته المستقيمة والقوام فعال من القيام وهو ان يكون عادته القيام والي الدفع يقال لوبت فلانا حقه اذا دفعته ومطلته ومنه الحديث لي الواجد ظلم اي مبط الغني جور

﴿ الاعراب ﴾

شهداء نصب على الحال من الضمير في قوله قوامين وهو ضمير الذين آمنوا ويجوز ان يكون خبر كان على ان لها خبرين نحو هذا حلو حامض ويجوز ان يكون صفة لقوامين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولي بهما لم يقل به لأنه اراد فالله اولي بغناء الغني وفقير الفقير لأن ذلك منه سبحانه وقيل انما ثني الضمير لان اوفي هذا الموضع بمعنى الواو وقيل انه لم يقصد غنيا بعينه ولا فقيرا بعينه فهو مجهول وما ذلك حكمه بجوزان ان يعود اليه الضمير بالتحديد والتثنية وقد ذكر ان في قراءة ابي فالله اولي بهم وقيل انما قال بها لانها قد ذكرا كما قال وله أخ اوأخت فلكل واحد منهما وقيل انما جاز ذلك لانه اضر فيه من خاصم على ما تذكره في المعنى مشروحا وان تعدلوا بجوز ان يكون في موضع نصب بانه مفعول له اي هو با من ان تعدلوا او كراهة ان تعدلوا ويجوز ان يكون في موضع جر على معنى فلا تتبعوا الهوى لتعدلوا

﴿ المعنى ﴾

لما ذكر سبحانه ان عنده ثواب الدنيا والآخرة عقبه بالامر بالقسط والقيام بالحق وترك الميل والجور فقال (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط) اي دائمين على القيام بالعدل ومعناه ولتكن عادتكم القيام بالعدل في القول والفعل (شهداء) وهو جمع شهيد امر الله تعالى عباده بالثبات والدوام على قول الحق والشهادة بالصدق تقربا اليه وطلبيا لمرضاته وعن ابن عباس كونوا قوامين بالحق في الشهادة على من كانت ولن كانت من قريب او بعيد (ولو على انفسكم) اي ولو كانت شهادتكم على انفسكم (او الوالدين والاقربين) اي على والدبكم وعلى اقرب الناس اليكم فقوموا فينا بالقسط والعدل وأقيموها على الصحة والحق ولا تميلوا فيها لغني غني او لفقير فقير فان الله قد سوى بين الغني والفقير فيما الزمكم من إقامة الشهادة لكل واحد منهما بالعدل وفي هذا دلالة على

جواز شهادة الولد لو ادله والولد لو ادله وعليه وشهادة كل ذي قرابة لقرابته وعليه واليه ذهب ابن عباس في قوله امر الله سبحانه المؤمنين ان يقولوا الحق ولو على انفسهم او آبائهم او ابنائهم ولا يجابوا غنيا لغناه ولا مسكينا لمسكنته وقال ابن شهاب الزهري كان سلف المسلمين على ذلك حتى دخل الناس فيما بعد ثم ظهرت منهم امور حملت الولاية على اتهم فمقرت شهادة من بينهم واما شهادة الانسان على نفسه فيكون باقرار الخصم فاقراره له شهادة منه على نفسه وشهادته لنفسه لا تقبل (ان يكن غنيا وفقيرا) معناه ان يكن المشهود عليه غنيا او فقيرا او المشهود له غنيا او فقيرا فلا يمنعكم ذلك عن قول الحق والشهادة بالصدق وفائدة ذلك ان الشاهد ربما امتنع عن إقامة الشهادة للغني على الفقير لاستغناء المشهود له وفقر المشهود عليه فلا يقيم الشهادة شفقة على الفقير وربما امتنع عن إقامة الشهادة للفقير على الغني تهاونا للفقير وتوقيرا للغني او خشية منه او حشمة له فبين سبحانه بقوله (فأله اولى بهما) انه اولى بالغني والفقير وانظر لهما من ساير الناس اية فلا تمتنعوا من إقامة الشهادة على الفقير شفقة عليه ونظرا له ولا من إقامة الشهادة للغني لاستغناؤه عن المشهود به فإن الله تعالى امركم بذلك مع علمه بغناء الغني وفقر الفقير فراعوا امره فيما امركم به فانه اعلم بمصالح العباد منكم (فلا تتبعوا الهوى) يعني هوى الانفس في إقامة الشهادة فتشهدوا على انسان لاحته بينكم وبينه او وحشة او عصبية وتمنعوا الشهادة له لاحد هذه المعاني وتشهدوا للانسان بغير حق لميلكم اليه بحكم صداقة او قرابة (ان تعدلوا) اي لأن تعدلوا يعني لأجل ان تعدلوا في الشهادة قال الفراء هذا كقولهم لا تتبع هواك لترضي ربك اي كما ترضي ربك وقيل انه من العدول الذي هو الميل والجور ومعناه ولا تتبعوا الهوى في ان تعدلوا عن الحق او لأن تعدلوا عن الحق وان تلووا اي تمطلوا في إداء الشهادة او تعرضوا عن إدائها عن ابن عباس ومجاهد وقيل ان الخطاب للحكام اي وان تلووا ايها الحكماء في الحكم لاحد الخصمين على الآخر وتعرضوا عن احدهما الى الآخر عن ابن عباس والسدي وقيل معناه ان تلووا اي تبدلوا الشهادة او تعرضوا اي تكتموا عن ابن زيد والضحاك وهو المروي عن أبي جعفر (فان الله كان بما تعملون خبيرا) معناه انه كان عالما بما يكون منكم من إقامة الشهادة او تحريفها والاعراض عنها وفي هذه الآية دلالة على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وسلوك طريقة العدل في النفس والغير وقد روي عن ابن عباس في معنى قوله وان تلووا او تعرضوا انها الرجلان يجلسان بين يدي القاضي فيكون لي القاضي واعراضه لأحدهما عن الآخر

قوله تعالى (١٣٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا آية

✽ القراءة ✽

قرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو وأنزل بالضم وكسر الزاي والباقون نزل وانزل بفتحها

✽ الحجة ✽

من قرأ بالضم فحجته قوله سبحانه ليبين للناس ما نزل اليهم ويعلمون انه منزل من ربك بالحق ومن قرأ نزل وانزل فحجته اننا نحن نزلنا الذكر واننا له لحافظون وانزلنا اليك الذكر

✽ المعنى ✽

(يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله) قيل فيه ثلاثة اقوال (احدها) وهو الصحيح المعتمد عليه ان معناه يا أيها الذين آمنوا في الظاهر بالاقرار بالله ورسوله آمنوا في الباطن ليوافق باطنكم ظاهركم ويكون الخطاب للمنافقين الذين كانوا يظهرون خلاف ما يبطنون (والكتاب الذي نزل على رسوله) هو القرآن (والكتاب الذي

انزل من قبل) هو التوراة والانجيل عن الزجاج وغيره (وثانيها) ان يكون الخطاب للمؤمنين على الحقيقة ظاهرا وباطنا فيكون معناه اثبتوا على هذا الايمان في المستقبل وداوموا عليه ولا تنتقلوا عنه عن الحسن واختاره الجبائي قال لأن الايمان الذي هو التصديق لا يبقى وإنما يستمر بان يحدده الانسان حالا بعد حال (وثالثها) ان الخطاب لاهل الكتاب أمروا بان يؤمنوا بالنبى والكتاب الذي انزل عليه كما آمنوا بما معهم من الكتب ويكون قوله والكتاب الذي انزل من قبل اشارة الى ما معهم من التوراة والانجيل ويكون وجه امرهم بالتصديق بهما وان كانوا مصدقين بهما احد امرين اما ان يكون لان التوراة والانجيل فيهما صفات نبينا وتصديقه وتصحيح نبوته فمن لم يصدقه ولم يصدق القرآن لا يكون مصدقا بهما لأن في تكذيبه تكذيب التوراة والانجيل واما ان يكون الله تعالى امرهم بالاقرار بمحمد (ص) وبالقرآن وبالكتاب الذي انزل من قبله وهو الانجيل وذلك لا يصح الا بالاقرار بعيسى ايضا وهو نبى مرسل وبعضه هذا الوجه ما روي عن عبد الله بن عباس انه قال ان الآية نزلت في مؤمنى اهل الكتاب عبد الله بن سلام واسد واسيد ابني كعب وعلبة بن قيس وابن اخت عبد الله بن سلام ويامين بن يامين وهو لاء من كبار اهل الكتاب قالوا نؤمن بك وبكتابك وبموسى وبالتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب وبمن سواه من الرسل فقيل لهم بل آمنوا بالله ورسوله الآية فآمنوا كما أمرهم الله (ومن يكفر بالله) اي يحدده او يشبهه بخلقه او يرد امره ونهيه (وملائكته) اي ينفيهم او ينزلهم منزلة لا يليق بهم كما قالوا انهم بنات الله (وكتبه) فيجحدوها (ورسله) فينكروهم (واليوم الآخر) اي يوم القيامة (فقد ضل ضلالا بعيدا) اي ذهب عن الحق وبعد قصد السبيل ذهابا بعيدا وقال الحسن الضلال البعيد هو مالا ائتملاف له والمعنى ان من كفر بمحمد وجحد نبوته فكأنه جحد جميع ذلك لانه لا يصح ايمان احد من الخلق بشي مما امر الله به الا بالايمان به وبما انزل الله عليه وفي هذا تهديد لاهل الكتاب واعلام لهم ان اقرارهم بالله ووحدايته وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر لا ينفعهم مع جحدهم بنبوة محمد (ص) ويكون وجوده وعدمه سواء

✽ النظم ✽

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها ان الله سبحانه لما بين الاسلام عقبه بالدعاء الى الايمان ومشرائطه وقيل انها متصل بقوله كونوا قوامين بالقسط والقيام هو الايمان على الوجه المذكور

قوله تعالى (١٣٧) **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَرَادُوا كُفْرًا**
لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا (١٣٨) **بَشِيرِ الْمُنَافِقِينَ بَأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**
(١٣٩) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَسْتَفْتُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ
الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ثلاث آيات

✽ اللغة ✽

اصل البشارة الخبر السار الذي يظهره السرور في بشرة الوجه ثم يستعمل في الخبر الذي يغم ايضا وضع اخبارهم بالعذاب موضع البشارة لهم والعرب تقول تحيتك الضرب وعذابك السيف أي تضع الضرب موضع التحية والسيف موضع العتاب قال الشاعر

وخيل قد دلفت لهم بخيل تحية بينهم ضرب وجيع

واصل العزة الشدة ومنه قيل للارض الصلبة الشديدة عزاز ومنه قيل عز على ان يكون كذا اي شدة علي وعز الشيء اذا صعب وجوده واشتد حصوله واعتز فلان فلان اذا اشتد ظهوره به والعزير القوي المنيع بخلاف الدليل

* المعنى *

ثم قال تعالى (ان الذين آمنوا ثم كفروا) قيل في معناه اقوال (احدها) انه عني به الذين آمنوا بموسى ثم كفروا بعبادة العجل وغير ذلك (ثم آمنوا) يعني النصرارى بعيسى (ثم كفروا) به (ثم ازدادوا كفرا) بمحمد (ص) عن قتادة (وثانيها) انه عني به الذين آمنوا بموسى ثم كفروا بعد موسى ثم آمنوا بعزير ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد (ص) عن الزجاج والفراء (وثالثها) انه عني به طائفة من اهل الكتاب ارادوا تشكيك نكر من اصحاب رسول الله فكانوا يظهرون الايمان بحضرتهم ثم يقولون قد عرضت لنا شبهة اخرى فيكفرون ثم ازدادوا كفر بالثبات عليه الى الموت عن الحسن وذلك معنى قوله تعالى وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهاروا كفروا آخره لعلهم يرجعون (ورابعها) ان المراد به المنافقون آمنوا ثم ارتدوا ثم آمنوا ثم ارتدوا ثم ماتوا على كفرهم عن مجاهد وابن زيد وقال ابن عباس دخل في هذه الآية كل منافق كان في عهد النبي في البحر والبر (لم يكن الله ليغفر لهم) باظهارهم الايمان فلو كانت بواطنهم كظواهرهم في الايمان لما كفروا فيما بعد (ولا يهديهم سبيلا) معناه ولا يهديهم الى سبيل الجنة كما قال فيما بعد ولا يهديهم طريقا الا طريق جهنم ويجوز ان يكون المعنى انه يخذلهم ولا يلطف بهم عقوبة لهم على كفرهم المتقدم ثم قال (بشر المنافقين) ابي اخبرهم يا محمد (بان لهم) في الآخرة (عذاباً أليماً) أي وجبعا ان ماتوا على كفرهم ونفاقهم وفي هذه الآية دلالة على ان الآية المتقدمة نزلت في شأن المنافقين وانه الاصح من الاقوال المذكورة ثم وصف هؤلاء المنافقين فقال (الذين يتخذون الكافرين) اي مشركي العرب وقيل اليهود (اولياء) اي ناصرين ومعينين واخلاء (من دون المؤمنين) اي من غيرهم (ايبنون عندهم العزة) اي يبطلون عندهم القوة والمنعة بالتحاذهم هؤلاء اولياء من دون الايمان بالله تعالى ثم اخبر سبحانه ان العزة والمنعة له فقال (فان العزة لله جميعا) يريد سبحانه انهم لو آمنوا مخلصين له وطلبوا الاعتزاز بالله تعالى وبدبته ورسوله والمؤمنين لكان اولى بهم من الاعتزاز بالمشركين فان العزة جميعاً لله سبحانه ومن عنده بعز من يشاء وبذل من يشاء

قوله تعالى (١٤٠) وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (آية)

* القراءة *

قراء عاصم ويعقوب نزل بالفتح والباقون نزل بضم النون وكسر الزاي

* الحجة *

والوجه في القراءة تبين ما ذكرناه قبل

* الاعراب *

اذا قرأت نزل بالفتح فان في موضع نصب لان تقديره نزل الله ذلك واذا قرأت نزل فان في موضع الرفع وان هذه هي المخففة من الثقيلة

* النزول *

كان المنافقون يجلسون الى احبار اليهود فيسخرن من القران فنهاهم الله تعالى عن ذلك عن ابن عباس

* المعنى *

لما تقدم ذكر المنافقين ومولاتهم الكفار عقب ذلك بالنهي عن مجالستهم ومخالطتهم فقال (وقد نزل عليكم

في الكتاب) اي في القرآن (ان اذا سمعتم آيات الله يكفروا بها ويستهنأ بها) اي يكفروا بها المشركون والمنافقون ويستهنئون بها (فلا تقعدوا معهم) اي مع هؤلاء المستهنئين الكافرين (حتى يخوضوا في حديث غيره) اي حتى ياخذوا في حديث غير الاستهزاء بالدين وقيل حتى يرجعوا الى الايمان ويتركوا الكفر والاستهزاء والمنزل في الكتاب هو قوله سبحانه في سورة الانعام واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وفي هذا دلالة على تحريم مجالسة الكفار عند كفرهم بآيات الله واستهزائهم بها وعلى اباحة مجالستهم عند خوضهم في حديث غيره وروي عن الحسن ان اباحة القعود مع الكفار عند خوضهم في حديث آخر غير كفرهم واستهزائهم بالقرآن منسوخ بقوله تعالى فلا تقعدوا بعد الذكري مع القوم الظالمين (انكم اذا مثلهم) يعني انكم اذا جالستموهم على الخوض في كتاب الله والهزاء به فاتم مثلهم وانما حكم لانهم مثلهم بانهم لم ينكروا عليهم مع قدرتهم على الانكار ولم يظهروا الكراهة لذلك ومتى كانوا راضين بالكفر كانوا كفارا لان الرضا بالكفر كفر وفي الآية دلالة على وجوب انكار المنكر مع القدرة وزوال العذر وان من ترك ذلك مع القدرة عليه فهو مخطئ آثم وفيها ايضا دلالة على تحريم مجالسة الفساق والمبتدعين من اي جنس كانوا وبه قال جماعة من اهل التفسير وذهب اليه عبد الله بن مسعود وابراهيم وابو وايل قال ابراهيم من ذلك اذا تكلم الرجل في مجلس يكذب فيضحك منه جلساؤه فيسخط الله عليهم وبه قال عمر بن عبد العزيز وروي انه ضرب رجلا صائما كان قاعدا مع قوم بشربون الخمر وروى العياشي باسناده عن علي بن موسى الرضا (ع) في تفسير هذه الآية قال اذا سمعت الرجل يجحد الحق ويكذب به ويقع في اهله فقم من عنده ولا تقاعده وروي عن ابن عباس انه قال امر الله تعالى في هذه الآية بالاتفاق ونهى عن الاختلاف والفرقة والمراء والخصومة وبه قال الطبري والبخاري والجبائي وجماعة من المفسرين وقال الجبائي واما الكون بالقرب منهم بحيث يسمع صوتهم ولا يقدر على انكارهم فليس بمحظور وانما المحظور مجالستهم من غير اظهار كراهية لما يسمعه او يراه قال وفي الآية دلالة على بطلان قول قناة الاعراض وقولهم ليس هاهنا شيء غير الاجسام لانه قال حتى يخوضوا في حديث غيره فثبت غير ما كانوا فيه وذلك هو العرض (ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا) اي ان الله يجمع الفريقين من اهل الكفر والتفاق في القيامة في النار والعقوبة فيها كما اتفقوا في الدنيا على عداوة المؤمنين والمظاهرة عليهم

قوله تعالى (١٤١) الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ لِقَاءٌ مِنْ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعِكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا آية

اللغة

التربص الانتظار والاستحواذ الغلبة والاستيلاء يقال حاذ الخمار اتنه اذا استولى عليها وجمعها وكذلك حازها قال العجاج يصف ثورا وكلابا * يجودهن وله حوذى * وروي (يجوزهن وله حوزي) واستحوذ مما خرج عن اصله فمن قال احاذ يحيد لم يقل الا استحاذ يستحيد ومن قال احوذ كما قيل احوذت واطيبت بمعنى احذت واطبت فأخرجه عن الأصل قال استحوذ والاحوذى الحاذ المنكمش الخفيف في اموره

المعنى

قد وصف الله سبحانه المنافقين والكافرين فقال (الذين يتربصون بكم) اي ينتظرون لكم ايها المؤمنون لانهم كما يقولون سيهلك محمد (ص) واصحابه فنستريح منهم ويظهر قورنا وديننا (فان كان لكم فتح من الله) اي فان اتفق لكم فتح وظفر على الاعداء (قالوا ألم نكن معكم) نجاهد عدوكم ونغزوهم معكم فاعطونا

نصيبنا من الغنيمة فقد شهدنا القتال (وان كان للكافرين نصيب) اي حظ باصابتهم من المؤمنين (قالوا) يعني المنافقين اي قال المنافقون للكافرين (الم نستحوذ عليكم) اي الم نغلب عليكم عن السدي ومعناه ألم نغلبكم على رأيكم بالموالاتة لكم (وغنمكم من) الدخول في جملة (المؤمنين) وقيل معناه ألم نبين لكم انا على ما انتم عليه اي ألم نضكم الى انفسنا ونظلمكم على اسرار محمد (ص) واصحابه ونكتب اليكم باخبارهم حتى غلبتم عليهم فاعرفوا لنا هذا الحق عليكم عن الحسن وابن جريح وغنمكم من المؤمنين اي نذفع عنكم صولة المؤمنين بتحديث اياهم عنكم وكوننا عيوننا لكم حتى انصرفوا عنكم وغلبتموهم (فأله يحكم بينكم يوم القيامة) هذا اخبار منه سبحانه عن نفسه بانه الذي يحكم بين الخلائق يوم القيامة ويفصل بينهم بالحق (وان يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) قيل فيه اقوال (احدها) ان المراد ان يجعل الله لليهود على المؤمنين نصرا ولا ظهورا عن ابن عباس وقيل ان يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا بالحجة وان جاز ان يغلبوهم بالقوة لكن المؤمنين منصورون بالدلالة والحجة عن السدي والزجاج والبلخي قال الجبائي واو حملناه على الغلبة لكان ذلك صحيحا لان غلبة الكفار للمؤمنين ليس مما فعله الله فانه لا يفعل القبيح وليس كذلك غلبة المؤمنين للكفار فانه يجوز ان ينسب اليه سبحانه وقيل ان يجعل لهم في الآخرة عليهم سبيلا لانه مذكور عقيب قوله فأله يحكم بينهم يوم القيامة بين الله سبحانه انه ان يثبت لهم سبيل على المؤمنين في الدنيا باقتل والقهر والنهب والاسر وغير ذلك من وجوه الغلبة فلن يجعل لهم يوم القيامة عليهم سبيلا بحال

قوله تعالى (١٤٢) **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرْآؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا** (١٤٣) **مُذَبَّذِينَ بَيْنَ يَدَيْكَ لَا إِلَى هَوْلَاءَ وَلَا إِلَى هَوْلَاءَ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا** آياتان

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة عبد الله بن ابي اسحاق يراون مثل يرعون والقراءة المشهورة يراون مثل يراعون وقراءة ابن عباس مذذبين بكسر الهمزة الثانية

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جني يراون يفعلون من رأيت ومعناه يبصرون الناس ويحملونهم على ان يروهم يفعلون ما يتعاطون وهو اقوى من يراون بالمد على يفاعلون لان معناه يتعرضون لان يروهم ويراون معناه يحملونهم على ان يروهم قال الشاعر

تري اوترائي عند مقعد عوزها تهاويل من اجلا دهر ماوم
وقوله مذذبين مثل قول الشاعر (مسيرة شهر للبريد المذبذب) اي المهتر القلق الذي لا يثبت في مكان فكذلك هولاء.

﴿ اللفظة ﴾

يقال ذبذبت فتذبذب اي حركته فتحرك فهو كتحريك شيء معلق قال النابغة
الم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

﴿ الاعراب ﴾

كسالى منصوب على الحال من الواو في قاموا مذذبين نصب على الحال من المنافقين

المعنى

ثم بين سبحانه افعالهم القبيحة فقال (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) قد ذكرنا معناه في اول البقرة وعلى الجملة خداع المنافقين لله اظهرهم الايمان الذي حقنوا به دماؤهم واموالهم وقيل معناه يخادعون النبي كما قال انما يباعدون الله فسمى مبايعة النبي مبايعة الله للاختصاص ولا ذلك بامر من الحسن والزجاج ومعنى خداع الله ايهم ان يجازيهم على خداعهم كما قلناه في قوله الله يستهزئ بهم وقيل هو حكمه بحقن دماؤهم مع علمه بباطنهم وقيل هو ان يعطيهم الله نورا يوم القيامة يشون به مع المسلمين ثم يسلبهم ذلك النور ويضرب بينهم بسور عن الحسن والسدي وجماعة من المفسرين (واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى) اي متثاقلين (يراون الناس) يعني انهم لا يعملون شيئا من اعمال العبادات على وجه القربة الى الله وانما يفعلون ذلك ابقاء على انفسهم وحذرا من القتل وسلب الاموال واذا رآهم المسلمون صلوا ليروهم انهم يدينون بدينهم وان لم يرههم احد لم يصلوا وبه قال قتادة وابن زيد وروى العياشي باسناده عن مسعدة ابن زياد عن ابي عبد الله عن ابيه ان رسول الله سئل فبم النجاة عدا قال النجاة ان لا تخادعوا الله فيخدعكم فإنه من يخادع الله يخدعه ونفسه يخدع او شعر فقيل له فكيف يخادع الله قال يعمل بما امره الله ثم يريد به غيره فاتقوا الرياء فإنه شرك بالله ان المرابي يدعى يوم القيامة باربعة اسماء يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر حبط عملك وبطل اجرک ولا خلاق لك اليوم فالتمس اجرک من كنت تعمل له (ولا يذكرون الله الا قليلا) اي ذكر ا قليلا ومعناه لا يذكرون الله عن نية خالصة ولو ذكره مخلصين لكان كثيرا وانما وصف بالقللة لانه غير الله عن الحسن وابن عباس وقيل لا يذكرون الا ذكرا يسيرا نحو التكبير والاذكار التي يجهر بها ويتركون التسبيح وما يخافت به من القراءة وغيرها عن ابي علي الجبائي وقيل انما وصف الذكر بالقللة لانه سبحانه لم يقبله وكل ما رده الله فهو قليل (مذنبين بين ذلك) اي مرددين بين الكفر والايمان يريد كأنه فعل بهم ذلك وان كان الفعل لهم على الحقيقة وقيل معنى مذنبين مطرودين من هولاء ومن هولاء من الذب الذي هو الطرد وصفهم سبحانه بالخيرة في دينهم وانهم لا يرجعون الى صحة نية لا مع المؤمنين على بصيرة ولا مع الكافرين على جهالة وقال رسول الله ان مثلهم مثل الشاة العابرة بين الغنمين تحسرتنظرن الى هذه وهذه لا تدري ايها تتبع (لا الى هولاء ولا الى هولاء) اي لا مع هولاء في الحقيقة ولا مع هولاء يظهرن الايمان كما يظهره المؤمنون ويضمرون الكفر كما يضمرون المشركون فلم يكونوا مع احد الفريقين في الحقيقة فان المؤمنون يضمرون الايمان كما يظهرن والمشركون يضمرون الكفر كما يضمرونه (ومن يضل الله فلن تجده سبيلا) اي طريقا ومذمبا وقدمضى ذكر معنى الاضلال مشروحا في سورة البقرة عند قوله وما يضل به الا الفاسقين فلما معنى لا عادته

قوله تعالى (١٤٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ
أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا اللَّهَ عَدُوًّا لَكُمْ سُلْطَانًا مَبِينًا (١٤٥) إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ
النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٦) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا
دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (ثلاث آيات)

القراءة

قرأ اهل الكوفة الا ابا بكر الدرك بسكون الراء والباقرن بفتحها

الحجة

ها لعتان كالنهر والنهر والشمع والشمع والقص والقص

* اللغة *

السلطان الحجة قال الزجاج وهو يذكر ويوثق قالوا قضت عليك السلطان وامرك به السلطان ولم يأت في القرآن الا مذكرا وقيل للامير سلطان ومعناه ذو الحجة واصل الدرك الحبل الذي يوصل به الرشا ويعلق به الدلو ثم لما كان في النار سفال من جهة الصورة والمعنى قيل له درك ودرك وجمع الدرك ادراك ودروك وجمع الدرك ادرك

* المعنى *

ثم نهى سبحانه عن موالاته المنافقين فقال (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء) اي انصارا (من دون المؤمنين) فتكونوا مثلهم (أتريدون ان تجعلوا الله عليكم سلطانا مبينا) اي حجة ظاهرة وهو استفهام يراد به التقرير وفيه دلالة على ان الله لا يعاقب احداً الا بعد قيام الحجة عليه والاستحقاق وان لا يعاقب الاطفال بذنوب الآباء وان لا حجة له على الخلق لولا معاصيهم قال الحسن معناه اتريدون ان تجعلوا الله سبيلا الى عذابكم بكفركم وتكذيبكم (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار) اي في الطبقة الاسفل من النار فان للنار طبقات ودركات كما ان للجنة درجات فيكون المنافق على اسفل طبقة منها لقبح عمله عن ابن كثير واي عبيدة وجماعة وقيل ان المنافقين في توابيت من حديد مغلقة عليهم في النار عن عبدالله بن مسعود وابن عباس وقيل ان الادراك يجوز ان يكون منازل بعضها اسفل من بعض بالمسافة ويجوز ان يكون ذلك اخبارا عن بلوغ الغاية في العقاب كما يقال ان السلطان بلغ فلانا الحضيض وبلغ فلانا العرش يريدون بذلك انحطاط المنزلة وعلوها لا المسافة عن ابي القاسم البلخي (وان تجد لهم نصيرا) ولا تجد يا محمد لهؤلاء المنافقين نصرا ينصرهم فينقذهم من عذاب الله اذ جعلهم في اسفل طبقة من النار ثم استثنى تعالى فقال (الا الذين تابوا) من نفاقهم (واصلحوا) نياتهم وقيل ثبتوا على التوبة في المستقبل (واعتصموا بالله) اي تمسكوا بكتاب الله وصدقوا رسله وقيل وتقوا بالله (واخلصوا دينهم لله) اي تبرأوا من الآلهة والانداد وقيل طلبوا بإيمانهم رحمة الله ورضاه مخلصين عن الحسن (فاو تلك مع المؤمنين) اي فانهم اذا فعلوا ذلك يكونون في الجنة مع المؤمنين ومحل الكرامة (وسوف يوئي الله المؤمنين اجرا عظيما) سوف كلمة ترجئة وعدة واطماع وهي من الله الحجاب لانه اكرم الاكرمين ووعدا الكريم النجواز ولم يشترط على غير المنافقين في التوبة من الاصلاح والاعتصام ما شرطه عليهم ثم شرط عليهم بعد ذلك الاخلاص لان النفاق ذنب القلب والاخلاص توبة القلب ثم قال فاو تلك مع المؤمنين ولم يقل فاو تلك المؤمنون او من المؤمنين غيظا عليهم ثم أتى بلفظ سوف في اجر المؤمنين لانضمام المنافقين اليهم هذا اذا عني به جميع المؤمنين من تقدم منه الكفر ومن لم يتقدم ويحتمل ان يكون المراد به زيادة الثواب لمن لم يسبق منه كفر ولا نفاق

قوله تعالى (١٤٧) مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا (آية)

* المعنى *

خاطب سبحانه بهذه الآية المنافقين الذين تابوا وآمنا واصلحوا اعمالهم فقال (ما يفعل الله بعذابكم) اي ما يصنع الله بعذابكم والمعنى لا حاجة بالله الى عذابكم وجعلكم في الدرك الاسفل من جهنم لانه لا يجتلب بعذابكم نفعا ولا يدفع به عن نفسه ضررا اذها يستحيلان عليه (ان شكرتم) اي أديتم الحق الواجب لله عليكم وشكرتموه على نعمه (وآمنتم) به وبرسوله وقررتما بما جاء به من عنده (وكان الله شاكرا) يعني لم ينزل سبحانه مجازيا لكم على الشكر فسمى الجزاء باسم المجزى عليه (عليما) بما يستحقونه من الثواب على الطاعات فلا يضيع عنده شيء منها عن قتادة وغيره وقيل معناه انه يشكر القليل من اعمالكم ويعلم ما ظهر وما بطن من افعالكم واقوالكم ويميزكم عليها وقال الحسن معناه انه يشكر خلقه على طاعتهم مع غناه عنهم فيعلم باعمالهم

قوله تعالى (١٤٨) لَا يُجِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ وَكَانَ اللَّهُ
سَمِيعًا عَلِيمًا (١٤٩) إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ نَخَفُوا أَوْ تَعَفَّوْا عَنْ سُوءِ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا
قَدِيرًا (آيات)

﴿ القراءة ﴾

القراءة على ضم الظالم من ظلم وروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك وعطاء بن السائب وغيرهم
الا من ظلم بفتح الظالم واللام

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جنى ظلم وظلم جميعا على الاستثناء المنقطع اي لكن من ظلم فإن الله لا يخفى عليه امره ودل عليه
قوله وكان الله سميعا عليما وموضع من نصب في الوجهين جميعا قال الزجاج فيكون المعنى لكن المظلوم يجهر بظلامته
تشكيا ولكن الظالم يجهر بذلك ظلما قال ويجوز ان يكون موضع من رفعا على معنى لا يجب الله ان يجهر
بالسوء من القول الا من ظلم فيكون من بدلا من معنى اخذ المعنى لا يجب الله ان يجهر احد بالسوء من القول الا المظلوم
قال وفيها وجه آخر لا اعلم احدا من النحويين ذكره وهو ان يكون على معنى لكن الظالم اجهر والسوء من القول

﴿ المعنى ﴾

(لا يجب الله الجهر بالسوء من القول) قيل في معناه اقوال ﴿ احدها ﴾ لا يجب الله الشتم في الانتصار
(الا من ظلم) فلا بأس له ان ينتصر ممن ظلمه بما يجوز الانتصار به في الدين عن الحسن والسدي وهو المروي
عن ابي جعفر (ع) ونظيره وانتصروا من بعد ما ظلموا قال الحسن ولا يجوز للرجل اذا قيل له يا زاني ان يقابل له
بمثل ذلك من انواع الشتم ﴿ وثانيها ﴾ ان معناه لا يجب الله الجهر بالدعاء على احد الا ان يظلم انسان
فيدعو على من ظلمه فلا يكره ذلك عن ابن عباس وقريب منه قول قتادة ويكره رفع الصوت بما يسوء الغير
الا المظلوم يدعو على من ظلمه ﴿ وثالثها ﴾ ان المراد لا يجب ان يذم احدا احد او يشكوه او يذكره
بالسوء الا ان يظلم فيجوز له ان يشكو من ظلمه ويظهر امره ويذكره بسوء ما قد صنعه ليحذره الناس عن مجاهد
وروي عن ابي عبد الله (ع) انه الضيف ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته فلا جناح عليه في ان يذكره بسوء ما فعله
(وكان الله سميعا) لما يجهر به من سوء القول (عليما) بصدق الصادق وكذب الكاذب فيجازي كلا بعمله وفي
هذه الآية دلالة على ان الرجل اذا هتك ستره واطهر فسقه جاز اظهار ما فيه وقد جاء في الحديث قولوا في الفاسق
ما فيه يعرفه الناس ولا غيبة لفاسق وفيها ترغيب في مكارم الاخلاق ونهي عن كشف عيوب الخلق واخبار بتنزيه
ذاته تعالى عن ارادة القبائح فإن المحبة اذا تعلقت بالفعل فمعناها الارادة ثم خاطب سبحانه جميع المكلفين
فقال (ان تبدوا) اي تظهروا (خيرا) اي حسنا جميلا من القول لمن احسن اليكم شكرا على انعامه عليكم
(او تخفوه) اي تتركوا اظهاره وقيل معناه ان تفعلوا خيرا او تعزموا عليه وقيل يريد بالخير المال اي تظهروا
صدقة او تخفوها (او تعفوا عن سوء) معناه او تصفحوا عن اساء اليكم مع القدرة على الانتقام منه فلا تجهروا
له بالسوء من القول الذي اذنت لكم في ان تجهروا به (فان الله كان عفوا) اي صفوحا عن خلقه يصفح لهم عن معاصيهم
(قديرا) اي قادر على الانتقام منهم وهذا حث منه سبحانه منه لخلق على العفو عن المسيء مع القدرة على الانتقام
والمكافاة فانه تعالى مع كمال قدرته يعفو عنهم ذنوبيا اكثر من ذنب من يسيء اليهم وقد تضمنت الآية التي
قبلها اباحة الانتصاف من الظالم بشرط ان يقف فيه على حد الظلم وموجب الشرع

— النظم —

الوجه في اتصال هذه الآية بما قبلها انه لما سبق ذكر اهل النفاق وهو الاظهار خلاف الابطان بين سبحانه
انه ليس كلما يقم في النفس يجوز اظهاره فانه ربما يكون ظناً فاذا تحقق ذلك جاز اظهاره عن علي بن عيسى
قوله تعالى (١٥٠) **إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ
وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا**
(١٥١) **أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (١٥٢) وَالَّذِينَ
آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ
غَفُورًا رَحِيمًا** (ثلاث آيات)

== اللغة ==

قرأ حفص يوتيههم بالياء والباقون يوتيههم بالنون

— الحجة —

حجة حفص قوله سوف يوتي الله المؤمنين وحجة من قرأ يوتيههم قوله وآتينا اجرا عظيماً او لك سنوتيههم اجرا

المعنى

لما قدم سبحانه ذكر المنافقين عقبه بذكر اهل الكتاب والمؤمنين فقال (الذين يكفرون بالله ورسوله) من
اليهود والنصارى (ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسوله) اي يكذبوا رسل الله الذين ارسلهم الى خلقه واوحى
اليهم وذلك بمعنى ارادتهم التفرقة بين الله ورسوله (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) اي يقولون نصدق
بهذا ونكذب بذاك كما فعل اليهود صدقوا بموسى ومن تقدمه من الانبياء وكذبوا بعيسى ومحمد كما فعلت
النصارى صدقوا عيسى ومن تقدمه من الانبياء وكذبوا بمحمد (ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلاً) اي
طريقاً الى الضلاله التي احدثوها والبدعة التي ابتدعوها يدعون جهال الناس اليه (اولئك هم الكافرون حقاً)
اي هؤلاء الذين اخبرنا عنهم بانهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض الكافرون حقيقة فاستيقنوا ذلك ولا
ترتابوا بدعتهم انهم يقولون بما زعموا انهم مقررون به من الكتب والرسل فانهم لو كانوا صادقين في ذلك
لصدقوا جميع رسل الله وانما قال تعالى اولئك هم الكافرون حقاً على وجه التأكيد لثلاثتهم متوهم ان قولهم
نؤمن ببعض يخرجهم من جنس الكفار ويلحقهم بالمؤمنين (واعتدنا) اي اعددنا وهياناً (للكافرين عذاباً مهيناً)
يهينهم ويذاهم (والذين آمنوا بالله ورسوله) اي صدقوا الله ووجدوه وأقروا بنبوة رسوله (ولم يفرقوا بين احد منهم)
بل آمنوا بجميعهم (اولئك سوف يوتيههم) اي سنعطيههم أجورهم وسمى الله الثواب اجرا دلالة على انه مستحق
اي نعطيهم ثوابهم الذي استحقوه على إيمانهم بالله ورسوله (وكان الله غفوراً رحيماً) اي لم يزل كان غفوراً لمن هذه
صفتهم ما سلف لهم من المعاصي والاثام رحيماً متفضلاً عليهم بانواع الانعام هادياً لهم الى دار السلام

قوله تعالى (١٥٣) **يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ
سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهُ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا
الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا**

(١٥٤) وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (آيتان)

القراءة

قرأ اهل المدينة لا تعدوا بتسكين العين وتشديد الدال وروى ورش عن نافع لا تعدوا بفتح العين وتشديد الدال وقرأ الباقون لا تعدوا خفيفة

الحجة

من قرأ لا تعدوا فأصله لا تعدوا فأدغم التاء في الدال لتقاربها ولأن الدال تزيد على التاء في الجهر قال ابو علي وكثير من النحويين ينكرون الجمع بين الساكنين اذا كان الثاني منها مدغما ولا يكون الاول حرف مد ولين نحو دابة وأصم وتمود الثوب ويقولون ان المد يصير عوضا من الحركة وقد قالوا ثوب بكر وجنب بسكر فادغموا المد الذي فيها أقل من المد الذي يكون فيهما اذا كان حركة ما قبلها امنها فاذا جاز ذلك مع نقصان المد الذي فيه لم يمنع ان يجمع بين الساكنين في نحو لا تعدوا ويقوي ذلك جواز نحو أصم ودوية ومديق ومن قرأ لا تعدوا فإن الأصل فيه لا تعدوا فسكن التاء ليدغمها في الدال ونقل حركتها الى العين الساكنة قبلها فصار لا تعدوا ومن قرأ لا تعدوا فهولا تفعلوا مثل قوله تعالى اذ يعدون في السبت وحجة الأولين قوله اعتدوا منكم في السبت

= اللغة =

قال ابو زيد يقول عدا على اللص اشد العدو والعدوان والعدو اذا سرقك وظلمك وعدا الرجل يعدو عدوا في الحضر وقد عدت عينه عن ذلك اشد العدو تعدو وعدا يعدو اذا جاوز يقال ما عدوت اذا زرتك اي ما جاوزت ذلك

(الاعراب) -

قوله جهرة يجوز ان يكون صفة لقولهم اي قالوا جهرة اي مجاهرة ارنا الله ويجوز ان يكون على ارنا الله روية ظاهرة

- النزول -

روي ان كعب بن الاشرف وجماعة من اليهود قالوا يا محمد ان كنت نبيا فأتنا بكتاب من السماء جملة اي كما اتى موسى بالتوراة جملة فنزلت الآية عن السدي

= المعنى =

لما انكر سبحانه على اليهود التفريق بين الرسل في الايمان عقبه بالانكار عليهم في طلبهم المحالات مع ظهور الآيات والمعجزات فقال (يسئلك) يا محمد (اهل الكتاب) يعني اليهود (ان تنزل عليهم كتابا من السماء) واختلف في معناه على اقوال ﴿﴾ احدها ﴿﴾ انهم سألو ان ينزل عليهم كتابا من السماء مكتوبا كما كانت التوراة مكتوبة من عند الله في الاواح عن محمد بن كعب والسدي ﴿﴾ وثانيها ﴿﴾ انهم سألو ان ينزل على رجال منهم بأعيانهم كتبيا يامرهم الله تعالى فيها بتصديقه واتباعه عن ابن جريج واختاره الطبري ﴿﴾ وثالثها ﴿﴾ انهم سألو ان ينزل عليهم كتابا خاصا لهم عن قتادة وقال الحسن انها سأوا ذلك للتعنت والتحكيم في طلب المعجزات لا لظهور الحق ولو سألو ذلك استرشادا لاعناد الاطعام الله ذلك (فقد سأوا موسى اكبر من ذلك) اي لا يعظم عليك يا محمد مسألتهم اياك انزال الكتب عليهم من السماء فإنهم سأوا موسى يعني اليهود اعظم

من ذلك بعد ما اتاهم بالآيات الظاهرة والمعجزات القاهرة التي يكفي الواحد منها في معرفة صدقه وصحة نبوته فلم يقنعهم ذلك (فقالوا ارنا الله جهرة) اي معاينة (فاخذتهم الصاعقة بظلمهم) انفسهم بهذا القول وقد ذكرنا قصة هؤلاء وتفسير اكثر ما في الآية في سورة البقرة عند قوله ان نؤمن لك حتى ترى الله جهرة الآية قوله واذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور الآية (ثم اتخذوا العجل) اي عبده واتخذوه إلهًا (من بعد ما جاءتهم البينات) اي الحجج الباهرات قد دل الله بهذا على جهل القوم وعنادهم (ففقونا عن ذلك) مع عظم جريمتهم وخيانتهم وقد اخبر الله بهذا عن سعة رحمته ومغفرته وقام نعمته وانه لا جريمة تضيق عنهارحمته ولاخيانة تقصر عنها مغفرته (وآتيناه موسى) اي اعطيناه (سلطانا مينا) اي حجة ظاهرة تبين عن صدقه وصحة نبوته (ورفعنا فوقهم الطور) اي الجبل لما امتنعوا من العمل بما في التوراة وقبول ما جاءهم به موسى (بميثاقهم) اي بما اعطوا الله سبحانه من العهد ليعملن بما في التوراة وقيل معناه ورفعنا الجبل فوقهم بنقضهم ميثاقهم الذي أخذ عليهم بأن يعملوا بما في التوراة وانما نقضوه بعبادة العجل وغيرها عن ابي علي الجبائي وقال ابو مسلم انما رفع الله الجبل فوقهم اظلالا لهم من الشمس بميثاقهم اي بعدهم جزاء لهم على ذلك وهذا القول يخالف اقوال المفسرين (وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا) يعني باب حطة وقد مر بيانه هناك (وقلنا لهم لا تعدوا في السبت) اي لا تتجاوزوا في يوم السبت ما ابيح لكم الى ما حرم عليكم عن قتادة قال أمرهم الله ان لا يأكلوا الحيات يوم السبت واجاز لهم ما عدها (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) اي عهدا وثيقا وكيدا بأن يأتمروا بأوامره وينتهوا عن مناهيه وزواجره

قوله تعالى (١٥٥) فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرْتُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغْيًا حَقًّا وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥٦) وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٧) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٨) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (أربع آيات)

✽ اللغة ✽

البهتان الكذب الذي يتحير فيه من شدته وعظمته وقد مر معنى المسيح في سورة آل عمران يقال قتل الشئ خيرا وعلمنا اي علمته علما تاما وذلك لان القتل هو التذليل ويكون كالدرس انه من التذليل ومنه الرسم الدارس لذاته فقواك درست العلم بمعنى ذلته ويقال في المثل قتل ارضا عالمها وقتلت ارض جاهلها قال الاصمعي معناه ضبط الامر من يعلمه واقول معناه ان العالم يغلب اهل ارضه والجاهل مغلوب مقهور كما ان الجاهل بالطريق لا يهتدي فيتردد فيه

✽ الاعراب ✽

ما في قوله فيما نقضهم لغواي فبنقضهم ومعناه التوكيد اي فبنقضهم ميثاقهم حقا والجالب للبا. في فبنقضهم والعامل فيه قيل انه محذوف اي لعناهم وقيل العامل فيه قوله حرمانا عليهم طيبات احلت لهم وقوله بظلم من الذين بدل من قوله فبنقضهم عن الزجاج وعلى هذا فقوله بل طبع الله عليها بكفرهم الى آخر الآية اعتراض وكذلك قوله وما قتلوه وما صلبوه الى قوله شهيدا وقوله عيسى بن مريم عطف بيان ركب مع ابن وجعل كاسم واحد لوقوع ابن بين علمين مع كونه

صفة والصفة بما ركبت مع المرصوف فجعلنا كاسم واحد نحو لا رجل ظريف في الدار ورسول الله صفة للمسيح اوبدل منه واتباع الظن منصوب على الاستثناء وهو استثناء منقطع وليس من الأول فالمعنى ما اهم بسه من علم اكنهم يتبعون الظن

✽ المعنى ✽

ثم ذكر سبحانه افعالهم القبيحة ومجازاته اياهم بها فقال (فبا نقضهم) اي فبنقض هؤلاء الذين تقدم ذكرهم ووصفهم (ميثاقهم) اي عهودهم التي عاهدوا الله عليها ان يعملوا بها في التوراة (وكفرهم بآيات الله) اي جحودهم باعلام الله وحججه وادلته التي احتج بها عليهم في صدق انبيائه ورسوله (وقتلهم الانبياء) بعد قيام الحججة عليهم بصدقهم (بغير حق) اي بغير استحقاق منهم لذلك بكبيرة اتواها او خطيئة استوجبوا بها القتل وقد قدمنا القول في امثال هذا وانه انما يذكر على سبيل التوكيد فان قتل الانبياء لا يمكن الا ان يكون بغير حق وهو مثل قوله ومن يدع مع الله إلاها آخر لا يبرهان له به والمعنى ان ذلك لا يكون البتة عليه برهان (وقولهم قلوبنا غلف) مضى تفسيره في سورة البقرة (بل طبع الله عليها بكفرهم) قد شرحنا معنى الختم والطبع عند قوله ختم الله على قلوبهم (فلا يؤمنون الا قليلا) اي لا يصدقون قوامه الا تصديقا قليلا وانما وصفه بالقللة لانهم لم يصدقوا بجميع ما كان يجب عليهم التصديق ويجوز ان يكون الاستثناء من الذين نفى عنهم الايمان فيكون المعنى الا جمعا قليلا فكانت سبحانه علم انه يؤمن من جملة جماعة قليلة فبا بعد فاستثناهم من جملة من اخبر عنهم انهم لا يؤمنون وبه قال جماعة من المفسرين مثل قتادة وغيره وذكر بعضهم ان الباء في قوله فبا نقضهم يتصل بما قبله والمعنى فآخذتهم الصاعقة بظلمهم وبنقضهم ميثاقهم وبكفرهم وبكذبا وبكذبا فتبع الكلام بعضه بعضا وقال الطبري ان معناه منفصل مما قبله يعني في هذه الأشياء لعناهم وغضبنا عليهم فترك ذكر ذلك لدلالة قوله بل طبع الله عليها بكفرهم على معنى ذلك لان من طبع على قلبه فقد لعن وسخط عليه قال وانما قلنا ذلك لأن الذين آخذتهم الصاعقة كانوا على عهد موسى والذين قتلوا الانبياء والذين رموا مريم بالبهتان العظيم وقالوا قتلنا عيسى كانوا بعد موسى بزمان طويل ومعالم ان الذين آخذتهم الصاعقة لم يكن ذلك عقوبة على رمية مريم بالبهتان ولا على قولهم انا قتلنا المسيح فبان بذلك ان الذين قالوا هذه المقالة غير الذين عوقبوا بالصاعقة وهذا كلام انما يتجه على قول من قال انه يتصل بما قبله ولا يتجه على قول الزجاج وهذا اقوى لانه اذا امكن اجراء الكلام على ظاهره من غير تقدير حذف فالاولى ان يحمل عليه وقوله (وبكفرهم) اي بجحودهم ولا يسي (وقولهم على مريم بهتان عظيم) اي اعظم كذب واشنع وهو رمية اياها بالفاحشة عن ابن عباس والسدي قال الكلبي مر عيسى برهط فقال بعضهم لبعض قد جاءكم اساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فخذوه بأمه فسمع ذلك عيسى فقال اللهم انت ربي خلقتني ولم اتهم من تلقاء نفسي اللهم العن من سبني وسب والدي فاستجاب الله دعوتهم فسخم خنازير (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله) يعني قول اليهود انا قتلنا عيسى بن مريم رسول الله حكاية الله تعالى عنهم اي رسول الله في زعمه وقيل انه من قول الله سبحانه لا على وجه الحكاية عنهم وتقديره الذي هو رسولي (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) واختلفوا في كيفية التشبيه فروي عن ابن عباس انه قال لما مسح الله تعالى الذين سبوا عيسى وامه بدعائه بلغ ذلك يهوذا وهو رأس اليهود فضاف ان يدعوا عليه فجمع اليهود فانفقوا على قتله فبعث الله تعالى جبرائيل ينعه منهم ويعينه عليهم وذلك معنى قوله وأيدناه بروح القدس فاجتمع اليهود حول عيسى فجعلوا يسأونه فيقول لهم يا معشر اليهود ان الله تعالى يبغضكم فساروا اليه ليقتلوه فادخله جبرائيل في خوخة البيت الداخل لها روزنة في سقتها فرفعه جبرائيل الى السماء فبعث يهوذا رأس اليهود رجلا من اصحابه اسمه طيطانوس ليدخل عليه الخوخة فيقتله فدخل فلم يره فأبطأ عليهم فظنوا انه يقاتله في الخوخة فالتقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج على اصحابه قتلوه وصلبوه وقيل القى عليه شبه وجه عيسى ولم يبق عليه شبه جسده فقال بعض القوم ان الوجه وجه

عيسى والجسد طيطانوس وقال بعضهم ان كان هذا طيطانوس فابن طيطانوس فاشبهه الامر عليهم وقال وهب بن منبه اتى عيسى ومعه سبعة من الخواريين في بيت فاحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم صيرهم الله كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم سحرتمونا ليرزن لنا عيسى او لنقتلنكم جميعا فقال عيسى لاصحابه من يشري نفسه منكم اليوم بالجنة فقال رجل منهم اسمه سرخس انا فخرج اليهم فقال انا عيسى فاخذوه وقتلوه وصلبوه ورفع الله عيسى من يوم ذلك وبه قال قتادة ومجاهد وابن اسحاق وان اختلفوا في عدد الخواريين ولم يذكر أحد غير وهب ان شبهه النبي على جميعهم بل قالوا النبي شبهه على واحد ورفع عيسى من بينهم قال الطبري وقول وهب اقوى لأنه لو النبي شبه على واحد منهم مع قول عيسى ايكم بلقي شبهي فله الجنة ثم رأوا عيسى رفع من بينهم قال الطبري لما اشبهه عليهم ولما اختلفوا فيه وان جاز ان يشبهه على اعدائهم من اليهود الذين ما عرفوه لكن النبي شبه على جميعهم وكانوا يرون كل واحد منهم بصورة عيسى فلما قتل احدهم اشبهه الحال عليهم وقال ابو علي الجبائي ان رؤساء اليهود اخذوا انسا فقتلوه وصلبوه على موضع عال ولم يكنوا احدًا من الدنو اليه فتغيرت حليته وقالوا قد قتلنا عيسى ليوهموا بذلك على عوامهم لأنهم كانوا احاطوا بالبيت الذي فيه عيسى فلما دخلوه كان عيسى قد رفع من بينهم فحسبوا ان يكون ذلك سببًا لإيمان اليهود به ففعلوا ذلك والذين اختلفوا فيه هم غير الذين هم صلبوه وانما باقي اليهود وقيل ان الذي دلهم عليه وقال هذا عيسى احد الخواريين اخذ على ذلك ثلاثين درهما وكان منافقًا ثم انه ندم على ذلك واختنق حتى قتل نفسه وكان اسمه بودس زكريا وهو ملعون في النصارى وبعض النصارى يقول ان بودس زكريا بودا هو الذي شبه لهم فصلبوه وهو يقول لست بصاحبكم انا الذي دللتكم عليه وقيل انهم حسبوا المسيح مع عشرة من اصحابه في بيت فدخل رجل من اليهود فالتقى الله تعالى عليه شبهه عيسى ورفع عيسى فقتلوا الرجل عن السدي (وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه) قيل يعني بذلك عامتهم لأن علماءهم علموا انه غير مقتول عن الجبائي وقيل اراد بذلك جماعة اختلفوا فقال بعضهم قتلناه وقال بعضهم لم تقتله (ما لم به علم الا اتباع الظن) أي لم يكن له بين قتلوه علم لكنهم اتبعوا ظنهم فقتلوه ظننا عنهم انه عيسى ولم يكن به وانما شكوا في ذلك لأنهم عرفوا عدة من في البيت فلما دخلوا عليهم وفتقدوا واحدًا منهم التبس عليهم امر عيسى وقتلوا من قتلوه على شك منهم في امر عيسى هذا على قول من قال لم يتفرق اصحابه حتى دخل عليهم اليهود واما من قال تفرق اصحابه عنه فإنه يقول كان اختلفا في ان عيسى هل كان فيمن بقي او كان فيمن خرج اشبهه الامر عليهم وقال الحسن معناه اختلفوا في عيسى فقالوا مرة هو عبد الله ومرة هو ابن الله ومرة هو الله وقال الزجاج معنى اختلاف النصارى فيه ان منهم من ادعى انه آله لم يقتل ومنهم من قال قتل (وما قتلوه يقينًا) اختلف في الماء في قتلوه فقيل انه يعود الى الظن اي ما قتلوا ظنهم يقينًا كما يقال ما قتله علما عن ابن عباس وجوبه ومعناه ما قتلوا ظنهم الذي اتبعوه في المقتول الذي قتلوه وهم يحسبونه عيسى يقينًا انه عيسى ولا انه غيره لكنهم كانوا منه على شبهة وقيل ان الماء عائد الى عيسى يعني ما قتلوه يقينًا اي حقا فهو من باب تأكيد الخبر عن الحسن اراد ان الله تعالى تقي عن عيسى القتل على وجه التحقيق واليقين (بل رفعه الله اليه) يعني بل رفع الله عيسى اليه ولم يصلبوه ولم يقتلوه وقد مر تفسيره في سورة آل عمران عند قوله إذ قال الله يا عيسى انا متوفيك ورافعك إلي (وكان الله عزيزا حكيمًا) معناه لم يزل الله سبحانه منتقمًا من اعدائه حكيمًا في افعاله وتقديراته فاحذروا ايها السائلون محمدًا ان ينزل عليكم كتابًا من السماء حلول عقوبة بكم كما حل باوائلكم في تكذيبهم رسله عن ابن عباس وما مر في تفسير هذه الآية من ان الله القى شبه عيسى على غيره فإن ذلك من مقدور الله بلا خلاف بين المسلمين فيه ويجوز ان يفعل الله سبحانه على وجه التخليط للمحنة والتشديد في التكليف وإن كان ذلك خارقا للعادة فإنه يكون معجز للمسيح كما روي ان جبرائيل كان يأتي نبينا في صورة دحية الكلبي ومما يسأل عن هذه الآية ان يقال قد تواترت اليهود والنصارى مع كثرتهم واجتمعت على ان المسيح قد قتل وصلب فكيف يجوز عليهم ان يخبروا عن النبي بخلاف ما هو به ولو جاز ذلك

فكيف يوثق بشيء من الاخبار والجواب ان هؤلاء دخلت عليهم الشيعة كما اخبر الله سبحانه عنهم بذلك فلم يكن اليهود يعرفون عيسى بعينه وانما اخبروا انهم قتلوا رجلا قيل لهم انه عيسى فهم في خبرهم صادقون وان لم يكن المقتول عيسى وانما اشتبه الامر على النصارى لأن شبه عيسى القبي على غيره فأروا من هو على صورته مقتولا مصلوبا فلم يخبر أحد من الفريقين الا عما رآه وظن ان الامر على ما اخبر به فلا يؤدي ذلك الى بطلان الاخبار بحال

قوله تعالى (١٥٩) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (آية)

✽ الإعراب ✽

ان في قوله وان من أهل الكتاب نافية وأكثر ما يأتي مع الا وقد يأتي مع غير الانحو قوله ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه اي في الذي ما مكناكم فيه قال الزجاج المعنى وما فيهم احد الا ليؤمنن به وكذلك قوله وان منكم الا واردها معناه وما منكم احد الا واردها وكذلك وما منا الا له مقام معلوم اي وما منا احد الا له مقام ومثله قول الشاعر

لو قلت ما في قومها لم تيشم بفضلها في حسب وميسم

اي ما في قومها احد بفضلها وذهب الكوفيون الى ان المعنى وما من أهل الكتاب الا ليؤمنن به وما منكم الا من هو واردها وما منا الا من له مقام وأهل البصرة يميزون حذف الموصول وتبقيّة الصلة

✽ المعنى ✽

ثم اخبر تعالى انه لا يبقى احد منهم الا ويؤمن به فقال (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) اختلف فيه على اقوال ✽ احدها ✽ ان كلا الضميرين يعودان الى المسيح اي ليس يبقى احد من أهل الكتاب من اليهود والنصارى الا ويؤمنن بالمسيح قبل موت المسيح اذا أنزله الله الى الأرض وقت خروج المهدي في آخر الزمان لقتل الدجال فتصير الملل كلها ملة واحدة وهي ملة الإسلام الخنيفية دين إبراهيم عن ابن عباس وأبي مالك والحسن وقتادة وابن زيد وذلك حين لا ينفعهم الايمان واختاره الطبري قال والآية خاصة لمن يكون منهم في ذلك الزمان وذكر علي بن ابراهيم في تفسيره ان اياه حدثه عن سليمان بن داود المقرئ عن ابي حمزة الثمالي عن شهر بن حوشب قال قال الحجاج بن يوسف آية من كتاب الله قد اعيتني قوله وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته الآية والله اني لأمر باليهودي والنصراني فيضرب عنقه ثم ارمقه بعيني فما اراه يجرى شفتيه حتى يحمل فقلت اصالح الله الأمير ليس علي ما أولت قال فكيف هو قلت ان عيسى بن مريم ينزل قبل يوم القيامة الى الدنيا ولا يبقى أهل ملة يهودي او نصراني او غيره الا وآمن به قبل موت عيسى ويصلي خلف المهدي قال ويحك اني لك هذا ومن أين جئت به قال قلت حدثني به الباقر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب قال جئت والله بها من عين صافية فقيل لشهر ما أردت بذلك قال اردت ان اغيظه وذكر ابو القاسم البلخي مثل ذلك وضعف الزجاج هذا الوجه قال ان الذين يبقون الى زمن عيسى من أهل الكتاب قليل والآية تقتضي عموم ايمان أهل الكتاب الا ان جميعهم يقولون ان عيسى الذي ينزل في آخر الزمان نحن نوؤمنن به ✽ وثانيها ✽ ان الضمير في به يعود الى المسيح والضمير في موته يعود الى الكتابي ومعناه لا يكون احد من أهل الكتاب يخرج من دار الدنيا الا ويؤمن بعيسى قبل موته اذا زال تكليفه وتحقق الموت ولكن لا ينفعه الايمان حينئذ وانما ذكر اليهود والنصارى لأن جميعهم مبطلون . اليهود بالكفر به والنصارى بالغلو في أمره وذهب اليه ابن عباس في رواية أخرى وبجاهد والضحاك وابن سيرين وجوير قالوا ولو ضربت رقبتهم لم تخرج نفسه حتى يؤمن ✽ وثالثها ✽ ان يكون المعنى ليؤمنن

بمحمد (ص) قبل موت الكتابي عن عكرمة ورواه ايضاً اصحابنا وضعف الطبري هذا الوجه بأن قال لو كان ذلك صحيحاً لما جاز اجراء احكام الكفار عليهم اذا ماتوا وهذا لا يصح لأن إيمانهم بمحمد (ص) انما يكون في حال زوال التكليف فلا يعند به وانما ضعف هذا القول من حيث لم يجر ذكر لبينا (ص) هاهنا ولا ضرورة توجب رد الكناية اليه وقد جرى ذكر عيسى فالاولى ان بصرف ذلك اليه (ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً) يعني عيسى يشهد عليهم بأنه قد بلغ رسالات ربه وأقر على نفسه بالعبودية وانما لم يدعهم الى ان يتخذوه إلهاً عن فتادة وابن جريج وقيل يشهد عليهم بتصديق من صدقه وتكذيب من كذبه عن ابي علي الجبائي وفي هذه الآية دلالة على ان كل كافر يومئذ عند المعايبة وعلى ان إيمانه ذلك غير مقبول كما لم يقبل إيمان فرعون في حال اليأس عند زوال التكليف ويقرب من هذا ما رواه الإمامية أن المحتضرين من جميع الأديان يرون رسول الله وخلفاءه عند الموت ويروون في ذلك عن علي انه قال للحارث الهمداني

يا حار همدان من يمت يرفي
يعرفني طرفه واعرفه
من مؤمن او منافق قبلاً
بعينه واسمه وما فعلاً

فإن صحت هذه الرواية فالمراد بروتبتهم في تلك الحال العلم بثمره ولايتهم وعداوتهم على اليقين بعلامات يجدونها من قوسهم ومشاهدة أحوال يدر كونها كما قد روي ان الإنسان اذا عاب الموت أرى في تلك الحالة ما يدل على انه من أهل الجنة او من أهل النار

قوله تعالى (١٦٠) **فَيَظْلِمُونَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّت لَهُمْ وَبَدَّوهُمْ**
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦١) وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ
وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (آياتان)

✽ المعنى ✽

ثم عطف سبحانه على ما تقدم بقوله (فيظلم من الذين هادوا) اي من اليهود معناه فيما ظلموا افسهم بارتكاب المعاصي التي تقدم ذكرها وقد مضى فيما تقدم عن الزجاج انه قال فيظلم من الذين هادوا بدل من قوله فينقضهم ميثاقهم وما بعده والعامل في الباء قوله (حرمت عليهم طيبات) ولكنه لما طال الكلام اجمل في قوله فيظلم ما ذكره قبل واخبر انه حرم على اليهود الذين تقضوا ميثاقهم الذي واثقوا الله عليه وكفروا بآياته وقتلوا انبياءه وقالوا على سريرة بهتاناً عظيماً وفعولوا ما وصفه الله طيبات من المأكول وغيرها (أحلت لهم) اي كانت حلالاً لهم قبل ذلك فلما فعلوا ما فعلوا اقتضت المصلحة تحريم هذه الاشياء عليهم عن مجاهد واكثر المفسرين وقال ابو علي الجبائي حرم الله سبحانه هذه الطيبات على الظالمين منهم عقوبة لهم على ظلمهم وهي ما بين في قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمتنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم الآية (وبصدهم عن سبيل الله كثيراً) اي وبمنعهم عباد الله عن دينه وسبيله التي شرعها لعباده صدا كثيراً وكان صدهم عن سبيل الله بقولهم على الله الباطل وادعائهم ان ذلك عن الله وتبديلهم كتاب الله وتحريفهم معانيه عن وجوهه واعظم من ذلك كله جحدهم نبوة محمد (ص) وتر كهم بيان ما علموه من امره لمن جهله من الناس عن مجاهد وغيره (واخذهم الربوا) اي ما فضل على رؤوس اموالهم بتأخيرهم له عن محله الى اجل آخر (وقد نهوا عنه) اي عن الربا (واكلهم اموال الناس بالباطل) اي بغير استحقاق ولا استيجاب وهو ما كانوا يأخذونه من الرشى في الاحكام كقوله وأكلهم السحت وما كانوا يأخذونه من اثمان الكتب التي كانوا يكتبونها بايديهم ويقولون هذا من عند الله وما اشبه ذلك من المأكول الخبيثة عاقبهم الله تعالى على جميع ذلك بتحريم ما حرم عليهم من الطيبات (واعتدنا للكافرين منهم) اي هيأنا يوم القيامة لمن جحد الله او الرسل

من هؤلاء اليهود (عذابا أليما) أي مؤلما موجعا واختلف في ان التحريم هل كان على وجه العقوبة ام لا فقال جماعة من المفسرين ان ذلك كان عقوبة واذا جاز التحريم ابتداء على جهة المصلحة جاز ايضا عند ارتكاب المعصية على جهة العقوبة وقال ابو علي كان تحريمه عقوبة فيمن تعاطى ذلك الظلم ومصلحة في غيرهم وقال ابو هاشم ان التحريم لا يكون الا للمصلحة ولما صار التحريم مصلحة عند اقدمهم على هذا الظلم جاز ان يقال حرم عليهم بظلمهم قال لأن التحريم تكليف يستحق الثواب بفعله ويجب الصبر على ادائه فهو معدود في النعم بخلاف العقوبات

قوله تعالى (١٦٢) لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا (آية)

✽ القراءة ✽

قرأ حمزة وحده سيوتيهم بالياء والباقون بالنون

✽ الحجة ✽

ذكرنا الوجه في ما قيل عند قوله أو لك سوف نؤتيهم اجرهم

✽ الإعراب ✽

اختلف في نصب المقيمين فذهب سيبويه والبصريون الى انه نصب على المدح على تقدير اعني المقيمين الصلاة قالوا اذا قلت مررت بزيد الكريم وانت تريد ان تعرف زيدا الكريم من زيد غير الكريم فالوجه الجروا واذا اردت المدح والثناء فإن شئت نصبت وقلت مررت بزيد الكريم كأنك قلت اذكر الكريم وان شئت رفعت فقلت الكريم على تقدير هو الكريم وقال الكسائي موضع المقيمين جر وهو معطوف على ما من قوله بما انزل اليك اي وبالمقيمين الصلاة وقال قوم انه معطوف على الهاء والميم من قوله منهم على معنى لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلاة وقال آخرون انه معطوف على الكاف من قبلك أي بما انزل من قبلك ومن قبل المقيمين الصلاة وقيل انه معطوف على الكاف في إليك او الكاف في قبلك وهذه الأقوال الأخيرة لا تجوز عند البصريين لانه لا يعطف بالظاهر على الضمير المجرور من غير إعادة الجار وقد شرحنا هذا في مبتدأ السورة عند قوله والارحام واما ما روي عن عروة عن عابشة قال سألتها عن قوله والمقيمين الصلاة وعن قوله والصابئون وعن قوله ان هذان فقالت يا ابن اختي هذا عمل الكتاب أخطأوا في الكتاب وما روي عن بعضهم ان في كتاب الله اشياء ستصلحها العرب بالسنتها قالوا في مصحف ابن مسعود والمقيمون الصلاة فما لا يلتفت اليه لأنه لو كان كذلك لم يكن لتعلمه الصحابة الناس على الغلط وهم القدوة والذين اخذوه عن النبي (ص)

✽ المعنى ✽

ثم ذكر سبحانه مؤمني اهل التوراة فقال (لكن الراسخون في العلم) والدين ذلك ان عبد الله بن سلام واصحابه قالوا للنبي (ص) ان اليهود لتعلم ان الذي جئت به حق وانك لعندهم مكتوب في التوراة فقالت اليهود ليس كما يقولون انهم لا يعلمون شيئا وانهم يفترونك ويمجدونك بالباطل فقال الله تعالى لكن الراسخون الثابتون المبالغون في العلم المدارسون بالتوراة (منهم) اي من اليهود يعني ابن سلام واصحابه من علماء اليهود (والمؤمنون) يعني اصحاب النبي من غير اهل الكتاب (يؤمنون بما انزل اليك) يا محمد من القرآن والشرايع انه حق (وبما انزل من قبلك) من الكتب على الانبياء والرسل وقيل انما استثنى الله تعالى من وصفهم عن هداة الله لدينه ووفقه لارشده من اليهود الذين ذكرهم فيما مضى من قوله بسألك اهل الكتاب الى هاهنا فقال لكنهم

لا يسألونك ما يسأل هو لاء الجهال من انزال الكتاب من السماء لانهم قد علموا مصداق قولك بما قرأوا في الكتب المنزلة على الانبياء ووجوب اتباعك عليهم فلا حاجة لهم الى ان يسألوك معجزة اخرى ولا دلالة غير ما علموا من امرك بالعلم الراسخ في قلوبهم عن فتادة وغيره (والمقيمين الصلاة) اذا كان نصبا على الثناء والمدح على تقدير واذا كرم المقيمين الصلاة وهم المؤمنون الزكاة ويكون على هذا عطفاً على قوله والراسخون في العلم منهم والمؤمنون والمعنى والذين يؤدون الصلاة بشرائطها واذا كان جراً عطفاً على ما انزل اي يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلاة لقبيل ان المراد بهم الانبياء اي ويؤمنون بالانبياء المقيمين للصلاة وقيل المراد بهم الملائكة واقامتهم للصلاة تسييحهم ربهم واستغفارهم لمن في الارض اي وبالملائكة واختاره الطبري قال لانه في قراءة ابي كذلك وكذلك هو في مصحفه وقيل المراد بهم الأئمة المعصومون (والمؤمنون الزكاة) اي والمعطون زكاة اموالهم (والمؤمنون بالله) بانه واحد لا شريك له (واليوم الآخر) وبالبعث الذي فيه جزاء الاعمال (اولئك) اي هو لاء الذين وصفهم الله (سنوئهم) اي سنعتيهم (اجرا) اي ثوابا وجزاء على ما كان منهم من طاعة الله واتباع امره (عظيماً) اي جزيلاً وهو الخلود في الجنة قوله تعالى (١٦٣) اِنَّا اَوْحَيْنَا اِلَيْكَ كَمَا اَوْحَيْنَا اِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَاَوْحَيْنَا اِلَى اِبْرَاهِيمَ وَاِسْمَاعِيلَ وَاِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَاَلْاَسْبَاطِ وَعِيسَى وَاَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَاَتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا (آية)

✽ القراءة ✽

قرأ حمزة وخلف زبوراً بضم الزاي حيث وقمت والباقون زبوراً بفتحها

✽ الحجة ✽

زبوراً يجوز ان يكون جمع زبور بجذف الزيادة ومثله تخوم وتخوم وعذوب وعذوب ولا نظير لهذه الثلاثة ويجوز ان يكون جمع زبر بمعنى المزبور كقولهم ضرب الأمير وفسخ البيوت

✽ اللغة ✽

والزبر احكام العمل في البرخراسة يقال بثر مزبور اي مطوية بالحجارة ويقال ما لفلان زبر اي عقل وزبرة من الحديد قطعة منه وجمعه زبر وزبرت الكتاب ازبره زبرا وزبرته ازبره زبرا اي كتبه

✽ المعنى ✽

ثم خاطب سبحانه نبيه بقوله (انا اوحينا اليك) يا محمد قدمه في الذكر وان تأخرت نبوته لتقدمه في الفضل (كما اوحينا الى نوح) وقدم نوحاً لانه ابو البشر كما قال وجعلنا ذريته هم الباقين وقيل لانه كان اطول الانبياء عمراً وكانت معجزته في نفسه لبث في قومه الف سنة الا خمسين عاماً لم يسقط له سن ولم تنقص قوته ولم يشب شعره وقيل لانه لم يبالغ احد منهم في الدعوة مثل ما بالغ فيها ولم يقاس احد من قومه ما قاساه وهو اول من عذبت أمته بسبب ان ردت دعوته (والنبيين من بعده) اي واوحينا الى النبيين من بعد نوح (واوحينا الى النبيين) ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب (اعاد ذكره لاء بعد ذكر النبيين تعظيماً لامرهم وتفخيماً لشأنهم) (والاسباط) وهم اولاد يعقوب وقيل ان الاسباط في ولد اسحاق كلقبائل في ولد اسماعيل وقد بعث منهم عدة رسل كيوسف وداود وسليمان وموسى وعيسى فيجوز ان يكون اراد بالوحي

اليهم الوحي إلى الأنبياء منهم كما تقول أرسلت إلى بني تميم إذا أرسلت إلى وجوههم ولم يصح أن الأسباط الذين هم أخوة يوسف كانوا أنبياء (وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان) وقدم عيسى على أنبياء كانوا قبله لشدة العناية بأمره لعل اليهود في الطعن فيه والواو لا يوجب الترتيب (وآتيننا داود زبوراً) أي كتاباً يسمى زبوراً واشتهر به كما اشتهر كتاب موسى بالتوراة وكتاب عيسى بالإنجيل

✽ النظم ✽

هذه الآية تتصل بما قبلها من قوله يستلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء وهذا يدل على أنهم قد سألوه ما يدل على نبوته فاخبر سبحانه أنه أرسله كما أرسل من تقدمه من الأنبياء وظهر بعد موسى على أيديهم وقيل إن اليهود لما تلا النبي عليهم تلك الآيات قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء بعد موسى فكذبهم الله بهذه الآيات إذ أخبر أنه قد أنزل على من بعد موسى من الذين ساءمهم ومن لم يسأهم عن ابن عباس

قوله تعالى (١٦٤) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (١٦٥) رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (آيتان)

✽ الاعراب ✽

ورسلا منصوب من وجهين (أحدهما) أن يكون منصوباً بفعل مضمرة يفسره الذي ظهر أي وقصصنا رسلا قد قصصناهم عليك كما تقول رأيت زيداً وعمراً أكرمتهم أي واكرمت عمرأاً أكرمتهم ويجوز أن ينصب رسلا على معنى أوحينا لأن معنى أوحينا إليك أنا أرسلناك موحيين إليك وأرسلنا رسلا قد قصصناهم عليك هذا قول الزجاج وقال الفراء أنه على تقدير أنا أوحينا إليك وإلى رسل قد قصصناهم عليك ورسلا لم نقصصهم فلما حذف إلى نصب الفعل رسلا مبشرين منصوب على الحال ويجوز أن يكون منصوباً على المدح على تقدير أعني رسلا مبشرين

✽ المعنى ✽

ثم أجل ذكر الرسل بعد تسمية بعضهم فقال (ورسلا) أي ورسلا آخرين (قد قصصناهم عليك) أي ما حكيت لك أخبارهم وعرفناك شأنهم وأمورهم من قبل قال بعضهم قصصهم عليه بيالوحي في غير القرآن (من قبل) ثم قصصهم عليه من بعد في القرآن وقال بعضهم قصصهم عليه من قبل هو لا بمكة في سورة الأنعام وفي غيرها لأن هذه السورة مدنية (ورسلا لم نقصصهم عليك) هذا يدل على أن الله سبحانه أرسل رسلا كثيرة لم يذكرهم في القرآن وإنما قص بعضهم على النبي لفضيلتهم على من لم يقصهم عليه (وكلم الله موسى تكليماً) فأنذته أنه سبحانه كلم موسى بلا واسطة إبانة له بذلك من سائر الأنبياء لأن جميعهم كلمهم الله سبحانه بواسطة الوحي وقيل إنما قال تكليماً ليعلم أن كلام الله عن ذكره من جنس هذا المعقول الذي يشتق من التكليم بخلاف ما قاله المبطلون وروي أن رسول الله (ص) لما قرأ الآية التي قبل هذه على الناس قالت اليهود فيما بينهم ذكر محمد (ص) النبيين ولم يبين لنا أمر موسى فلما نزلت هذه الآية وقرأها عليهم قالوا إن محمداً قد ذكره وفضله بالكلام عليهم (رسلا مبشرين) بالجنة والثواب لمن آمن وأطاع (ومنذرين) بالنار

والعقاب لمن كفر وعصى (ائلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) فيقولوا لم ترسل البينا رسولا ولو ارسلت لا منا بك كما اخبر سبحانه في آية اخرى بقوله لقالوا ربنا لولا ارسلت البينا رسولا وفي هذه الآية دلالة على فساد قول من زعم ان عند الله تعالى من اللطف ما وفعله بالكافر لا من لأنه لو كان كذلك لكان للكفار الحجة بذلك على الله تعالى قائمة فأما من لم يعلم من حاله ان له في انفاذ الرسل اليه لطفاً فالحجة قائمة عليه بالعقل وادلته الدالة على توحيده وعدله ولولم يقم الحجة الا بانفاذ الرسل لفسد ذلك من وجهين * أحدها * ان صدق الرسول لا يمكن العلم به الا بعد تقدم العلم بالتوحيد والعدل فإن كانت الحجة عليه غير قائمة فلا طريق له الا معرفة النبي (ص) وصدقه * والثاني * انه لو كانت الحجة لا تقوم الا بالرسل لاحتاج الرسول ايضاً الى رسول آخر حتى تكون الحجة عليه قائمة والكلام في رسوله كالكلام فيه حتى يتسلسل وذلك فاسد فمن استدلل بهذه الآية على ان التكليف لا يصح بحال الا بعد انفاذ الرسل فقد ابعد لما قلناه (وكان الله عزيزاً) اي مقتدراً على الانتقام ممن يعصيه ويكفر به (حكيماً) فيما امر به عبادته وفي جميع افعاله قوله تعالى (١٦٦) لَكِنِ اللّٰهُ يَشْهَدُ بِمَاۤ اَنْزَلَ اِلَيْكَ اَنْزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَالْمَلٰٓئِكَةُ يَشْهَدُوْنَ وَكَفٰى بِاللّٰهِ شَهِيدًا (آية)

* النزول *

وقيل ان جماعة من اليهود دخلوا على رسول الله (ص) فقال النبي لهم اني اعلم انكم تعلمون اني رسول الله فقالوا لا نعم ذلك ولا نشهد به فانزل الله تعالى هذه الآية

المعنى

ثم قال سبحانه بعد انكارهم وجحودهم (لكن الله يشهد بما انزل اليك) معناه ان لم يشهد لك هو لا بالنبوة فالله يشهد لك بذلك قال الزجاج والشاهد هو المبين لما يشهد به والله سبحانه يبين ما انزل على رسوله (ص) بنصب المعجزات له ويبين صدقه بما نعي عن بيان أهل الكتاب (انزله بعلمه) معناه انزل القرآن وهو عالم بأنك موضع لا نزاله عليك لقيامك فيه بالحق ودعائك الناس اليه وقبل معناه انزل القرآن الذي فيه علمه عن الزجاج (والملائكة يشهدون) بأنك رسول الله وان القرآن نزل من عند الله (وكفى بالله شهيداً) معناه ان شهادة الله تكفي في تثبيت المشهود ولا يحتاج معها الى شهادة وفي هذه الآية تسليية النبي على تكذيب من كذبه ولا يصح قول من استدلل على ان الله سبحانه عالم يعلم بما في هذه الآية من قوله أنزله بعلمه لانه لو اراد بالعلم ما ذهبوا اليه من كونه ذاتا سواه لوجب ان يكون آله في الانزال كما يقال كتبت بالقلم وعمل النجار بالقدوم ولا خلاف ان العلم ليس بالآله في الانزال

قوله تعالى (١٦٧) اِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَصَدُّوْا عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ قَدْ ضَلُّوْا ضَلٰلًاۙ بَعِيْدًا

(١٦٨) اِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَظَلَمُوْا لَمْ يَكُنْ اللّٰهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْۙ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيْقًاۙ

(١٦٩) اِلَّا طَرِيْقَ جَهَنَّمَ خٰلِدِيْنَ فِيْهَاۙ اَبَدًاۗ وَكَانَ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيْرًا (ثلاث آيات)

المعنى

(ان الذين كفروا) بأنفسهم (وصدوا) غيرهم (عن سبيل الله) عن الدين الذي بعثك الله به الى خلقه

(قد ضلوا ضلالا بعيدا) يعني جاوزوا عن قصد الطريق جوازا شديدا وزالوا عن الحجة التي هي دين الله الذي ارتضاه لعباده وبعثك به الى خلقه زوالا بعيدا عن الرشاد (ان الذين كفروا) جحدوا رسالة محمد (وظلموا) محمدا بتكذيبهم اياه ومقامهم على الكفر على علم منهم بظلمهم اولياء الله حسدا لهم وبغيا عليهم (لم يكن الله ليغفر لهم) اي لم يكن الله ليغفر لهم عن ذنوبهم بترك عقابهم عليها (ولا يهديهم طريقا) اي لا يهديهم الى طريق الجنة لان الهداية الى طريق الايمان قد سبقت وعم الله بها جميع المكلفين (الا طريق جهنم) معناه لكن يهديهم طريق جهنم جزاء لهم على ما فعلوه من الكفر والظلم خالدين فيها أي مقيمين فيها أبدا (وكان ذلك) اي تخليد هؤلاء الذين وصفهم في جهنم (على الله يسيرا) لأنه اذا اراد ذلك لم يقدر على الامتناع منه احدا

✽ النظام ✽

واتصال هذه الآيات بما قبلها اتصال النقبض على جهة المقابلة لأن ما قبلها يتضمن الشهادة له بالنبوة تسلية له عما لحقه من تكذيب الكفار وهذه الآيات تتضمن تحيير الكفار بذهابهم من الرشد

قوله تعالى (١٧٠) يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (آية)

✽ الإعراب ✽

الباء في قوله بالحق للتعدي كهمزة افعل تقول جئت الى عمرو وأجاءني زيد وجاءني الى عمرو وقوله خيرا لكم قال الزجاج اختلفوا في نصب خيرا فقال الكسائي انتصب بخروجه عن الكلام كقولهم لتقومن خيرا لك وانه خيرا لك فاذا كان الكلام ناقصا رفعوا فقالوا ان تنته خيرا لك قال الفراء انتصب هذا او قوله انتهوا خيرا لكم لأنه متصل بالأمر ولم يقل هو ولا الكسائي من أي المنصوبات هو ولا شرحاه وقال الخليل وجميع البصريين ان هذا محمول على معناه لأنك اذا قلت انه خيرا لك فأنت تدفعه عن أمر وتدخله في غيره كأنك قلت انه وأنت خيرا لك وادخل فيما هو خيرا لك وانشد سيويه قول عمر بن ابي ربيعة

او الربى بينها سهلا

فواعدته سرحتي مالك

كانه قال اتى مكانا سهلا

✽ المعنى ✽

ثم عاد سبحانه الى العظة وعم الخلق بذلك فقال (يا أيها الناس) خطاب لجميع المكلفين وقيل خطاب للكفار (قد جاءكم الرسول) يعني محمدا (ص) (بالحق) اي بالدين الذي ارتضاه الله لعباده وقيل بولاية من امر الله تعالى بولايته عن ابي جعفر (ع) (من ربكم) اي من عند ربكم (فآمنوا) اي صدقوه وصدقوا ما جاءكم به من عند ربكم (خيرا لكم) اي اتوا خيرا لكم مما انتم عليه من الجحود والتكذيب (وان تكفروا) اي تكذبوه فيما جاءكم به من عند الله (فان لله ما في السماوات والأرض) اي فان ضرر ذلك يعود عليكم دون الله فإنه يملك ما في السماوات والأرض لا ينقص كفركم فيما كذبتم به نبيه شيئا من ملكه وسلطانه (وكان الله عليما) بما اتم صائرون اليه من طاعته او معصيته (حكيميا) في امره ونهيه اياكم وتدييره فيكم وفي غيركم

قوله تعالى (١٧١) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ
إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتُهُ الْقَهْمَاءُ إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ
وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (آية)

اللغة

اصل الغلو مجاوزة الحد يقال غلوا في الدين يغلو غلوا او غلا بالجارية لحمها وعظمها اذا سرعت الشباب
وتجاوزت لذاتها تغلو غلوا وغلوا قال الحرث بن خالد المخزومي

خمصانة قلق موشحها رواد الشباب غلابها عظم

وغلا بسهمه غلوا اذا رمى به اقصى الغاية وتعالى الرجلان تفاعلا من ذلك واصل المسيح الممسوح سماه
الله بذلك لتطهيره اياه من الذنوب والادناس التي تكون في الادميين وقيل انه سرباني واصله مشيحا فعربت كما
عربت اسماء الانبياء وقيل انه ليس مثل ذلك فان اسحاق ويعقوب واسماعيل وغيرهم اسماء لا صفات والمسيح
صفة ولا يجوز ان يخاطب الله خلقه في صفة شي الا بما يفهم واما الدجال فانه سمي المسيح لانه ممسوح العين
اليعنى او اليسرى وعيسى ممسوح البدن من الادناس والآثم كما روي عن النبي (ص)

الاعراب

ثلاثة خبر مبتدأ محذوف دل عليه ظاهر الكلام وتقديره لا تقولوا هم ثلاثة وكذلك كل ما ورد من
مرفوع بعد القول لا رافع معه فقيه اضمار اسم رافع لذلك الاسم وانما جاز ذلك لان القول حكاية
والحكاية تكون للكلام تام انتهوا خيرا لكم قد ذكرنا وجه النصب في خيرا فيما قبل وان يكون في موضع نصب
اي سبحانه من ان يكون فلما حذف حرف الجر وصل اليه الفعل فنصبه فقيل في موضع جر وقد مر نظائره

المعنى

ثم عاد سبحانه الى حجاج اهل الكتاب فقال (يا اهل الكتاب) وقيل انه خطاب لليهود والنصارى
عن الحسن قال لان النصارى غلت في المسيح فقالت هو ابن الله وبعضهم قال هو الله وبعضهم قال هو ثالث
ثلاثة الآب والابن وروح القدس واليهود غلت فيه حتى قالوا ولد لعير رشده فالغلو لازم للفريقين وقيل
لنصارى خاصة عن ابي علي وابي مسلم وجماعة من المفسرين (لا تغلوا في دينكم) اي لا تفرطوا في دينكم
ولا تجاوزوا الحق فيه (ولا تقولوا على الله الا الحق) اي قولوا انه جل جلاله واحد لا شريك له ولا صاحبة
ولا ولد ولا تقولوا في عيسى انه ابن الله او شبهه فانه قول بغير الحق (انما المسيح) وقد ذكرنا معناه وقيل
سمي بذلك لانه كان يمسخ الارض مشيا (عيسى بن مريم) هذا بيان لقوله المسيح يعني انه ابن مريم
لا ابن الله كما يزعمه النصارى ولا ابن أب كما تزعمه اليهود (رسول الله) ارسله الله الى الخلق لا كما زعم الفرقتان
المبطلتان (وكلمته) يعني انه حصل بكلمته التي هي قوله كن عن الحسن وقتادة وقيل معناه انه يهتدي به
الخلق كما اهتدوا بكلام الله ووحيه عن ابي علي الجبائي وقيل معناه بشارة الله التي بشرتها مريم على لسان
الملائكة كما قال واذا قالت الملائكة يا مريم ان الله يشرك بكلمة وهو المراد بقوله (القها الى مريم) كما

يقال القيت اليك كلمة حسنة اي قلت وقيل معنى القاها الى مريم خلقها في رحمها عن الجبائي (وروح منه)
فيه اقوال **أحدها** انه انما سماه روحاً لانه حدث عن نفخة جبرائيل في درع مريم بأمر الله تعالى وانما نسبته
اليه لانه كان بأمره وقيل انه اضافه الى نفسه تفخيماً لثأته كما قل الصوم لي وانا اجزي به وقد يسمى النفخ
روحاً واستشهد على ذلك بيت ذي الرمة يصف ناراً

فقلت لها ارفعها اليك واحيها بروحك واقتنه لها قتيه قدرا

وظاهر لها من يابس الشخت واستعن عليه الصبا واجعل يديك لها سترا

ومعنى احياها بروحك اي بنفخك ويقال أقنت النار اذا اطعمتها خطاباً **والثاني** ان المراد به يحيى به الناس في دينهم
كما يحيون بالأرواح عن الجبائي فيكون المعنى انه جعله نبياً يقتدى به ويستن بسنته ويهتدى بهداه **والثالث**
ان معناه انسان احياء الله بتكوينه بلا واسطة من جماع او نطفة كما جرت العادة بذلك عن ابي عبيدة **والرابع**
ان معناه ورحمة منه كما قل في موضع آخر وأيدهم بروح منه اي برحمة منه فجعل الله عيسى رحمة على
من آمن به واتبعه لأنه هداهم الى سبيل الرشاد **والخامس** ان معناه روح الله من الله خلقها فصورها ثم أرسلها
الى مريم فدخلت في قلبها فصيرها الله تعالى عيسى عن ابي العالبي عن ابي بن كعب **والسادس** ان معنى الروح
ها هنا جبرائيل (ع) فيكون عطفاً على ما في القاها من ضمير ذكر الله وتقديره القاها الله الى مريم وروح منه أي من
الله اي جبرائيل القاها ايضاً (فأما والله ورسله) امرهم الله بتصديقه والاقرار بوحديته تصديق رسله فيما جاؤا
به من عنده وفيما اخبروهم به من ان الله سبحانه لا شريك له ولا صاحبة ولا ولد (ولا تقولوا ثلاثة) هذا
خطاب للنصارى اي لا تقولوا إلهنا ثلاثة عن الزجاج وقيل هذا لا يصح لأن النصارى لم يقولوا بثلاثة
آله ولكنهم يقولون إله واحد ثلاثة أقانيم أب وابن وروح القدس ومعناه لا تقولوا الله ثلاثة أب وابن وروح
القدس وقد شبهوا قولهم جوهر واحد ثلاثة أقانيم بقولنا سراج واحد ثم تقول ثلاثة اشياء دهن وقطن ونار
وشمس واحدة وانما هي جسم وضوء وشعاع وهذا غلط بعيداً نالنا نعني بقولنا سراج واحد انه شيء واحد
بل هو اشياء على الحقيقة وكذلك الشمس كما تقول عشرة واحدة وانسان واحد ودار واحدة وانما هي اشياء
متغايرة فإن قالوا ان الله شيء واحد وإله واحد حقيقة فقولهم ثلاثة متناقضة وان قالوا انه في الحقيقة اشياء
مثل ما ذكرناه في الانسان والسراج وغيرها فقد تركوا القول بالتوحيد والتحقوا بالمشبهة والافلا واسطة بين
الأمرين (انتهوا) عن هذه المقالة الشنيعة اي امتنعوا عنها خيراً لكم اي اثبتوا بالانتهاء عن قولكم خيراً لكم مما
تقولون (إنما الله إله واحد) اي ليس كما تقولون انه ثالث ثلاثة لأن من كان له ولد او صاحبة لا يجوز ان
يكون إلهاً معبوداً ولكن الله الذي له الإلهية وتحق له العبادة إله واحد لا ولد له ولا شبه له ولا
صاحبة له ولا شريك له ثم نزه سبحانه نفسه عما يقوله المبطلون فقال (سبحانه أن يكون له ولد) ولفظة
سبحانه تفيد التنزيه عما لا يليق به اي هو منزّه عن ان يكون له ولد (له ما في السماوات وما في الأرض)
ملكاً وملكاً وخلقاً وهو يملكها وله التصرف فيها وفيما بينها ومن جملة ذلك عيسى وامه فكيف يكون المملوك
والمخلوق ابناً للمالك والمخلوق (وكفى بالله وكيلاً) اي حسب ما في السماوات وما في الأرض بالله قيماً
ومديراً ورازقاً وقيل معناه وكفى بالله حافظاً لأعمال العباد حتى يجازيهم عليها فهو تسليمة للرسول ووعيد
للقائلين فيه سبحانه بما لا يليق به

قوله تعالى (١٧٢) لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ
 يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٧٣) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَسَيَّئَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ
 عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ثلاث آيات شامي وآيات في غيرهم

= اللغة =

الاستنكاف الأنفة من الشيء واصله في اللغة من نكفت الدمع اذا نحته باصبعك من خدك قال الشاعر
 فبانوا فلولاً ما تذكر منهم من الخلف لم ينكف لعينك مدمع
 ودرهم منكوف مبهرج ردي لأنه يمتنع من أخذه لردائه ونكفت من الأمر بكسر الكاف بمعنى استنكفت
 ايضاً حكاهما أبو عمرو وفتاويل ان يستنكف لن ينقبض ولم يمتنع والاستكبار طلب الكبر من غير استحقاق
 والتكبر قد يكون باستحقاق فلذلك جاز في صفة الله تعالى المتكبر ولا يجوز المنكبر

✽ النزول ✽

روي ان وفد بخران قالوا لنبينا يا محمد لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى (ع) قالوا واي
 شيء اقول فيه قالوا تقول انه عبد الله ورسوله فنزلت الآية

✽ المعنى ✽

لما تقدم ذكر النصارى والحكاية عنهم في أمر المسيح عقبه سبحانه بالرد عليهم فقال (ان يستنكف) اي
 ان يأنف ولم يمتنع (المسيح) يعني عيسى (ع) (من ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون) اي ولا الملائكة
 المقربون يأنفون ويستكبرون عن الإقرار بعبوديته والادّعاء له بذلك والمقربون الذين قربهم تعالى ورفع
 منازلهم على غيرهم من خلقه (ومن يستنكف عن عبادته) اي من يأنف عن عبادته (ويستكبر) اي يتعظم
 بترك الإذعان لطاعته (فسيحشرهم) اي فسيبعثهم (اليه) يوم القيامة (جهماً) يجعهم لموعدهم عنده ومعنى قوله
 اليه اي الى الموضع الذي لا يملك التصرف فيه سواه كما يقال صار امر فلان الى الأمير اي لا يملكه
 غير الأمير ولا يراد بذلك المكان الذي فيه الأمير واستدل بهذه الآية من قال بأن الملائكة افضل من
 الأنبياء قالوا ان تأخير ذكر الملائكة في مثل هذا الخطاب يقتضي تفضيلهم لأن العادة لم تجر بأن يقال ان
 يستنكف الأمير ان يفعل كذا ولا الحارس بل يقدم الآدون ويؤخر الأعمم فيقال ان يستنكف الوزير ان
 يفعل كذا ولا السلطان وهذا يقتضي فضل الملائكة على الأنبياء واجاب اصحابنا عن ذلك بأن قالوا انما
 أخر ذكر الملائكة عن ذكر المسيح لأن جميع الملائكة افضل واكثر ثواباً من المسيح وهذا لا يقتضي ان
 يكون كل واحد منهم افضل من المسيح وانما الخلاف في ذلك وايضاً فإننا وان ذهبنا الى أن الأنبياء افضل
 من الملائكة فإننا نقول مع قولنا بالتفاوت انه لا تفاوت في الفضل بين الأنبياء والملائكة ومع التقارب والتداني
 يحسن ان يقدم ذكر الأفضل الا ترى انه يحسن ان يقال ما يستنكف الأمير فلان من كذا ولا الأمير
 الا اذا كانا متساويين في المنزلة او متقاربين وانما لا يحسن ان يقال ما يستنكف الأمير فلان من كذا ولا الحارس
 لأجل التفاوت (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيههم أجورهم) ويوتئهم جزاء اعمالهم وعد الله الذين

يقرون بوحديته ويعملون بطاعته انه يوفيه أجورهم ويؤتيهم جزاء اعمالهم الصالحة وافيا تاما (ويزيدهم من فضله) اي يزيدهم على ما كان وعدمه به من الجزاء على اعمالهم الحسنة والثواب عليها من الفضل والزيادة ما لم يعرفهم مبلغه لانه وعد على الحسنة عشر امثالها من الثواب الى سبعين ضعفا والى سبعائة والى الاضعاف الكثيرة والزيادة على المثل تفضل من الله تعالى عليهم (واما الذين استنكفوا) اي انقوا عن الاقرار بوحديته (واستكبروا) اي تعظموا عن الاذعان له بالطاعة والعبودية (فيعذبهم عذابا أليما) اي مؤلما مومعا (ولا يجنون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) اي ولا يجند المستنكفون المستكبرون لانفسهم وليا ينجيهم من عذابه وناصره بنقذهم من عقابه

قوله تعالى (١٧٤) يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (١٧٥) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَقَضَى وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (آياتان)

اللغة

البرهان الشاهد بالحق وقيل البرهان البيان يقال برهن قوله اي بينه بحجة والاعتصام الامتناع واعتصم فلان بالله اي امتنع من الشر به والعصمة من الله دفع الشر عن عبده واعتصم فلانا هيئت له ما يعتصم به والعصمة من الله تعالى على وجهين * احدهما * بمعنى الحفظ وهو ان يمنع عبده كيد الكافرين كما قال سبحانه لنيه (ص) والله يعصمك من الناس * والآخر * ان يلفظ بعبده بشي يتنع عنده من المعاصي

الإعراب

صراطا انتصب على انه مفعول ثان ليهديهم فهو على معنى يعرفهم صراطا ويجوز ان يكون حالا من الهاء في اليه بمعنى ويهديهم الى الحق صراطا

المعنى

لما فصل الله ذكر الاحكام التي يجب العمل بها ذكر البرهان بعد ذلك ليكون الانسان على ثقة وبقين فقال (يا أيها الناس) وهو خطاب للمكلفين من ساير الملل الذين قص قصصهم في هذه السورة (قد جاءكم برهان من ربكم) اي آتاكم حجة من الله يبرهن لكم عن صحة ما امركم به وهو محمد لما معه من المعجزات القاهرة الشاهدة بصدقه وقيل هو القرآن (وانزلنا اليكم معه نورا مبينا) يبين لكم الحجة الواضحة ويهديكم الى الى ما فيه النجاة لكم من عذابه وأليم عقابه وذلك النور هو القرآن عن مجاهد وقتادة والسدي وقيل النور ولاية علي (ع) عن أبي عبدالله (ع) (فاما الذين آمنوا بالله) اي صدقوا بوحديته الله واعترفوا ببعث محمد (ص) (واعتصموا به) اي تمسكوا بالنور الذي انزله على نبيه (فسيدخلهم في رحمة منه) اي نعمة منه هي الجنة عن ابن عباس (وقضل) يعني ما ييسر لهم من الكرامة وتضعيف الحسنة وما يزداد لهم من النعم على ما يستحقونه (ويهديهم اليه صراطا مستقيما) اي يوفيهم لاصابة فضله الذي يتفضل به على أوليائه ويسددهم لسلك منهج من انعم عليه من أهل طاعته واقفاء آثارهم والاهتداء بهديهم والاستئنان بسنتهم واتباع دينهم وهو

الصراط المستقيم الذي ارتضاه الله منهجا لعباده

قوله تعالى (١٧٦) يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنَّ أَمْرًا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَكَلْدٌ
وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَكَلْدٌ فَإِنْ كَانَتَا أَنْثَىٰ فَلَهُمَا الْثُلُثَانِ
مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ بَيْنَ اللَّهِ لَكُمْ أَنْ
تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (آية)

✽ اللغة ✽

قد ذكرنا معنى الكلالة في اول السورة والاستفتاء السؤال عن الحكم وهو استعمال من الفتيا ويقال افتى
في المسئلة اذا بين حكمها فتوى وقتيا

✽ الاعراب ✽

يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة يسأل عن اي الفعلين اعمل في الكلالة والجواب ان العمل الثاني
وهو يفتيكم والتقدير يستفتونك في الكلالة قل الله يفتيكم اي في الكلالة واعمال الفعل الثاني هو الأجدود
وجاء عليه القرآن نحو قوله واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله فاعمل يستغفر ولو اعمل تسالوا لقال
تعالوا يستغفر لكم الى رسول الله (ص) ومنه قول طفيل

وكمتماً مدمامة كان متونها جرى فوقها واستشعرت لون مذهب

فاعمل استشعرت ولو اعمل جرى لقال واستشعرت لون مذهب ومثل ذلك قول كثير

قضى كل ذي دين فوفى غريمه وعزة مطول معنى غريمها

فاعمل وفي ولو اعمل قضى لقال قضى كل ذي دين فوفاه غريمه وهو كثير في القرآن والشعر وقوله
ان امرؤ هلك ارتفع امرؤ باضمار فعل يفسره ما بعده وتقديره ان هلك امرؤ هلك ولا يجوز اظهاره لأن
الثاني يعبر عنه وقوله فان كانتا اثنتين انما ذكرت اثنتين وان دلت الالف عليهما لا احد امرين اما ان يكون
تأكيد للضمير كما نقول انا فعلت انا واما ان يبين ان المطلوب في ذلك العدد دون غيره من الصفات من صغر
او كبر او عقل او عدمه بل متى حصل العدد ثبت الميراث وهذا قول ابي علي الفارسي وهو الصحيح وقوله
رجالاً ونساءً بدل من قول اخوة وهو خبر كان وقوله يبين الله لكم ان تضلوا في ان ثلاثة اقوال ✽ احدها ✽
ان المعنى ان لا تضلوا اضمر حرف النفي وتلخيصه لثلاث تضلوا عن الكسائي وانشد القطامي

وانياما يرى البصراً فيها فآلينا عليها ان تباعا (كذا)

يريد ان لا تباع ✽ وثانيتها ✽ ما قاله البصريون ان المعنى كراهة ان تضلوا فهو على هذا في موضع نصب
بأنه مفعول له ومثله قول عمرو بن كاثوم (فجئنا القرى ان تشتمونا) اي كراهة ان تشتمونا قالوا ولا يجوز
ان يضمم لا لانه حرف جاء لمعنى فلا يجوز حذفه ولكن يجوز ان تدخل لافي كلام مؤكدة وهي لغو
كقوله لأن لا يعلم اهل الكتاب ان لا يقدرين والمعنى لأن يعلم وكتقول الشاعر

وما الوم البيض ان لا تسخرنا اذا رأين الشمط القفندرا

والمعنى ان تسخرنا ✽ وثالثها ✽ ما قاله الاخفش وهو ان مع الفعل بتأويل المصدر وموضع ان نصب

يبين وتقديره يبين الله لكم الضلال لتجنبوه

﴿ النزول ﴾

اختلف في سبب نزول الآية فروي عن جابر بن عبد الله انه قال اشتكيت وعندي تسعة أخوات لي او سبع فدخل علي النبي فنفخ في وجهي فاقت فقلت يا رسول الله (ص) الا اوصي لأخواتي بالثلثين قال احسن قلت الشطر قال احسن ثم خرج وتركني ورجع الي فقال يا جابر اني لا أراك ميتامن وجعت هذا وان الله تعالى قد أنزل في الذي لأخواتك فجعل لهن الثلثين قالوا وكان جابر يقول أنزلت هذه الآية في وعن قتادة قال ان الصحابة كان همهم شأن الكلالة فانزل الله فيها هذه الآية وقال البراء بن عازب آخر سورة نزلت كاملة براءه وأخر آية نزلت خاتمة سورة النساء يستفتونك الآية اورده البخاري ومسلم في صحيحهما وقال جابر نزلت بالمدينة وقال ابن سيرين نزلت في مسير كان فيه رسول الله (ص) واصحابه وتسمى هذه الآية آية الصيف وذلك ان الله تعالى انزل في الكلالة آيتين احدهما في الشتاء وهي التي في اول هذه السورة وأخرى في الصيف وهي هذه الآية وروي عن عمر بن الخطاب انه قال سألت رسول الله (ص) عن الكلالة فقال يكفيك او يجزيك آية الصيف

﴿ المعنى ﴾

لما بين سبحانه في أول السورة بعض سهام الفرائض ختم السورة ببيان ما بقي من ذلك فقال (يستفتونك) يا محمد اي يطلبون منك الفتيا في ميراث الكلالة (قل الله يفتيكم) اي يبين لكم الحكم في الكلالة وهو اسم للاخوة والاخوات عن الحسن وهو المروي عن أنس (ع) وقيل هي ما سوى الوالد والولد عن ابي بكر وجماعة من المفسرين (ان أمروء هلك ليس له ولد) قال السدي يعني ليس له ولد ذكر وانثى وهو موافق لمذهب الإماميه فعناه ان مات رجل ليس له ولد ولا والد وانما ضميرنا فيه الوالد للاجماع ولأن لفظ الكلالة ينسب عنه فإن الكلالة أسم للنسب المحيط بالميت دون الصيق والوالد لصيق الولد كما ان الولد لصيق الوالد والاخوة والاخوات المحيطون بالميت (وله أخت) يعني وللميت أخت لأبيه وأمه او لأبيه لأن ذكر اولاد الأم قد سبق في اول السورة (فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد) عنى به ان الأخت اذا كانت الميتة ولها أخ من أب وام او من أب فالمال كله له بلا خلاف اذا لم يكن هناك ولد ولا والد (فإن كانتا اثنتين) يعني ان كانت الاختان اثنتين (فلها الثلثان مما ترك) الأخ والأخت من التركة (وان كانوا أخوة رجالا ونساء) اي اخوة وأخوات مجتمعين لأب وأم اولاً بفلذ كر مثل حظ الأنثيين وفي قوله سبحانه ان أمروء هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد دلالة على ان الأخ او الأخت لا يرثان مع البنت لانه سبحانه شرط في ميراث الأخ والأخت عدم الولد والولد يقع على الابن والبنت بلا خلاف فيه بين اهل اللغة وما روي من الخبر في ان الاخوات مع البنات عصبه خبر واحد يخالف نص القرآن والى هذا الذي ذكرناه ذهب ابن عباس وهو المروي عن سادة اهل البيت (ع) (يبين الله لكم) أمور مواريتكم (ان تضلوا) معناه كراهة ان تضلوا او لثلاثا تضلوا اي لثلاثا تضلوا في الحكم فيها وقيل معناه يبين الله لكم جميع الأحكام لتتهدوا في دينكم عن ابي مسلم (والله بكل شيء عليم) فأنذته هنا بيان كونه سبحانه عالماً بجميع ما يحتاج اليه عباده من امر معاشهم ومعادهم على ما توجبه

الحكمة وقد تضمنت الآية التي انزلها الله في اول هذه السورة بيان ميراث الولد والوالد والآية التي بعدها بيان ميراث الأزواج والزوجات والأخوة والأخوات من قبل الأم وتضمنت هذه الآية التي ختم بها السورة بيان ميراث الأخوة والأخوات من الأب والأم والأخوة والأخوات من قبل الأب عند عدم الأخوة والأخوات من الأب والأم وتضمن قوله سبحانه وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ان تداني القربى سبب في استحقاق الميراث فمن كان اقرب رحماً وادنى قرابة كان أولى بالميراث من الأبعد والخلاف بين الفقهاء في هذه المسائل وفروعها مذكور في كتب الفقه

سورة المائدة

هي مدنية في قول ابن عباس ومجاهد وقال جعفر بن مبشر والشعبي هي مدنية كلها الا قوله اليوم اكملت لكم دينكم فإنه نزل والنبي (ص) واقف على راحته في حجة الوداع * عدد آياتها * هي مئة وعشرون آية كوفي ثلاث وعشرون آية بصري واثنان وعشرون في الباقي (اختلفوا) ثلث بالعقود ويعفو عن كثير غير الكوفي فإنكم غالبون بصري

﴿ فضلها ﴾

ابن كعب عن النبي (ص) قال من قرأ سورة المائدة اعطي من الأجر بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في دار الدنيا عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وروى العياشي باسناده عن عيسى بن عبد الله عن أبيه عن جده عن علي (ع) قال كان القرآن ينسخ بعضه بعضاً وإنما يؤخذ من امر رسول الله (ص) بأخذه وكان من آخر ما نزل عليه سورة المائدة نسخت ما قبلها ولم ينسخها شيء لقد نزلت عليه وهو على بغلة شهباء وثقل عليه الوحي حتى وقفت وتدلى بطنها حتى رأيت سرتها تكاد تمس الأرض واغمي على رسول الله (ص) حتى وضع يده على رأس شيبه ابن وهب الجمحي ثم رفع ذلك عن رسول الله فقراً علينا سورة المائدة فعمل رسول الله (ص) وعلمنا باسناده عن ابي الجارود عن ابي جعفر محمد بن علي (ع) قال من قرأ سورة المائدة في كل يوم خميس لم يلبس ايمانه بظلم ولا يشرك ابداً وباسناده عن ابي حمزة الثمالي قال سمعت ابا عبد الله الصادق (ع) يقول نزلت المائدة كما نزل معها سبعون الف ملك

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سورة النساء بذكر احكام الشريعة افتتح سورة المائدة ايضا ببيان الاحكام واجمل ذلك لقوله اوفوا بالعقود ثم اتبعه بذكر التفصيل فقال

قوله تعالى بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُغْلَبِي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (آية)

﴿ القراءة ﴾

المشهور في القراءة حرم بضمين وفي الشواذ عن الحسن ويحيى بن وثاب حرم ساكنة الراء

✽ الحجة ✽

وهذا كما يقال في رسل و كتب رسل و كتب قال ابن جنبي في اسكان حرم مزية وذلك ان الراء فيه تكرير فكادت الراء الساكنة لما فيها من التكرير تكون في حكم المتحرك كزيادة الصوت بالتكرير نحو من زيادته بالحركة

✽ اللغة ✽

يقال وفي بعهده وفاء و اوفى ايفاء بمعنى و اوفى امة أهل الحجاز وهي لغة القرآن و العقود جمع عقد بمعنى معقود وهو او كد اليهود و الفرق بين العقد و العهد ان العقد فيه معنى الاستيثاق و الشد ولا يكون الا بين متعاقدين و العهد قد يتفرد به الواحد فكل عهد عقد ولا يكون كل عقد عهدا واصله عقد الشيء بغيره وهو واصله به كما يعقد الحبل و يقال اعتقدت العسل فهو معتقد و عقيد قال عنتره

و كان ربا او كحبيلا معتقدا حش الوقود به جوانب قمقم

والبهيمة اسم لكل ذي اربع من دواب البر و البحر و قال الزجاج كل حي لا يميز فهو بهيمة و انما سميت بهيمة لانها ابهمت عن ان يميز و الحزم جمع حرام يقال رجل حرام و قوم حرم قال الشاعر
فقلت لها فيئى الهك فإني حرام و إني بعد ذلك ليب
أي ملب

✽ الاعراب ✽

موضع ما يتلى عليكم نصب بالاستثناء و غير محلي الصيد اختلاف فيه فقبل انه منصوب على الحال مما في قوله اوفوا بالعقود من ضمير الذين آمنوا عن الاخفش و قيل انه حال من الكاف و الميم في قوله احلت لكم بهيمة الانعام عن الكسائي و قيل انه حال من الكاف و الميم في قوله إلا ما يتلى عليكم عن الربيع و انتم حرم جملة في موضع الحال من محلي الصيد و الصيد مجرور في اللفظ منصوب في المعنى و قال الفراء يجوز ان يكون ما يتلى عليكم في موضع رفع كما يقال جاء اخوتك الا زيد و قال الزجاج و هذا عند البصريين باطل لأن المعنى على هذا التأويل جاء اخوتك و زيد كأنه يعطف بالأ كما يعطف بلا و يجوز عند البصريين جاء الرجل الا زيد على معنى جاء الرجل غير زيد فيكون الا زيد صفة للنكرة او ما قارب النكرة من الاجناس

✽ المعنى ✽

خاطب الله سبحانه المؤمنين فقال (يا أيها الذين آمنوا) و تقديره يا أيها المؤمنون و هو اسم تكميم و تعظيم (اوفوا بالعقود) أي بالعهود عن ابن عباس و جماعة من المفسرين ثم اختلف في هذه العهود على اقوال
✽ احدها ✽ ان المراد بها العهود التي كان أهل الجاهلية عاهد بعضهم بعضا فيها على النصرة و الموازنة و المظاهرة على من حاول ظلمهم او بغاهم سواء و ذلك هو معنى الحلف عن ابن عباس و مجاهد و الربيع بن انس و الضحاك و قتادة و السدي و و انبأها ✽ انها العهود التي اخذ الله سبحانه على عباده بالإيمان به و طاعته فيما احل لهم او حرم عليهم عن ابن عباس ايضا و في رواية أخرى قال هو ما احل و حرم و ما فرض و ما حد في القرآن كله أي فلا تتعدوا فيه ولا تنكثوا و يؤيده قوله و الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه الى قوله سوء الدار ✽ و ثالثها ✽ ان المراد بها العقود التي يتعاقدها الناس بينهم و يعقدها المرء على نفسه كعقد الإيمان و عقد النكاح و عقد العهد و عقد البيع و عقد الحلف عن ابن زيد و زيد بن اسلم و رابعها ✽ ان ذلك امر من الله لأهل الكتاب بالوفاء

بما اخذ به ميثاقهم من العمل بما في التوراة والإنجيل في تصديق نبينا وما جاء به من عند الله عن ابن جريج وإبي صالح واقوى هذه الأقوال قول ابن عباس ان المراد بها عقود الله التي اوجبه الله على العباد في الحلال والحرام والفرائض والحدود ويدخل في ذلك جميع الأقوال الأخر فيجب الوفاء بجميع ذلك الا ما كان عقداً في المعاونة على امر قبيح فإن ذلك محظور بلا خلاف ثم ابتداء سبحانه كلاماً آخر فقال (احلت لكم بهيمة الانعام) واختلف في تأويله على أقوال **احدها** ان المراد به الانعام وانما ذكر البهيمة للتأكيد كما يقال نفس الانسان فمعناه احلت لكم الانعام الابل والبقر والغنم عن الحسن وقتادة والسدي والريبع والضحاك - وثانيها - ان المراد بذلك اجنة الانعام التي توجد في بطون امهاتها اذ اشعرت وقد ذكيت الامهات وهي ميتة فذكاتها ذكاة امهاتها عن ابن عباس وابن عمر وهو المروي عن ابي جعفر وإبي عبد الله (ع) - وثالثها - ان بهيمة الانعام وحشيتها كالظباء وبقر الوحش وحمر الوحش عن الكوفي والفراء والاولى حمل الآية على الجميع (الاما يتلى عليكم) معناه الاما يقر عليكم تحريمه في القرآن وهو قوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير الآية عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسدي (غير محلي الصيد وانتم حرم) من قال انه حال من افوا فمعناه افوا بالعقود غير محلي الصيد وانتم محرمون اي في حال الإحرام ومن قال انه حال من احلت لكم فمعناه احلت لكم بهيمة الانعام اي الوحشية من الظباء والبقر والحمر غير مستحلين اصطیادها في حال الإحرام ومن قال انه حال من يتلى عليكم فمعناه احلت لكم بهيمة الانعام كلها الا ما يتلى عليكم من الصيد في آخر السورة غير مستحلين اصطیادها في حال احرامكم (ان الله يحكم ما يريد) معناه ان الله يقضي في خلقه ما يشاء من تحليل ما يريد تحليله تحريم ما يريد تحريمه وايجاب ما يريد ايجابه وغير ذلك من احكامه وقضايه فافعلوا ما امركم به واتموا عما نهاكم عنه وفي قوله احلت لكم بهيمة الانعام دلالة على تحليل اكلها وذبحها وبالافتقار بها

قوله تعالى (٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (آية)

﴿ القراة ﴾

قرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم واسماعيل عن نافع شنان بسكون النون الاولى في موضعين والباقون شنان بفتحها وقرأ ابن كثير وابو عمرو ان صدوكم بكسر الميم والباقون بفتحها

﴿ الحجة ﴾

من قرأ شنان بالفتح فحجته انه مصدر والمصدر بكسر على فعلا من نحو الضربان والغليان ومن قرأ شنان فحجته ان المصدر يجي على فعلا من نحو البيان كقول الشاعر

وما العيش الا ما تلذ وتشتهي وان لام فيه ذو الشنان وفندا

بدل على ان الشنان بالسكون ايضا فخفف الميم والقى حركتها على الساكن قبلها على القياس فيكون المعنى في القراءتين واحدا وقوله ان صدوكم وان كان ماضيا فإن المعنى قد يقع في الجزاء وليس المراد على ان الجزاء يكون بالماضي ولكن المراد ان ما كان مثل هذا الفعل فيكون اللفظ على الماضي والمعنى على مثله كأنه يقول ان وقع مثل هذا الفعل يقع منكم كذا وعلى هذا حمل الخليل وسيبويه قول الفرزدق

أغضب ان اذنا قتيبة حزقا

جهارا ولم تغضب لقتل ابن حازم

وعلى ذلك قول الشاعر

اذا ما انتسبنا لم تلدني لثيمة

ولم تجدي من ان تقرى به بدا

فانتفاء الولادة امر ماض وقد جعله جزء والجزء انما يكون بالمستقبل فيكون المعنى ان تنسب لا تجدي مولود لثيمة وجواب ان قد اغنى عنه ما تقدم من قوله ولا يجرمكم المعنى ان صدوكم عن المسجد الحرام فلا تكتبوا عدوانا ومن فتح ان صدوكم فقولته بين لأنه مفعول له والتقدير ولا يجرمكم شأن قوم لأن صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا فان الثانية في موضع نصب بأنه المفعول الثاني وان الأولى منصوبة لأنه مفعول له

اللغة

الشعائر جمع شعيرة وهي اعلام الحج واعماله واشتقاقها من قولهم شعر فلان بهذا الامر اذا علم به والمشاعر المعالم من ذلك الاشعار الاعلام من جهة الحس وقيل الشعيرة والعلامة والآية واحدة والحلال والحل المباح وهو ما لامزية لفعله على تركه والحرام والحرم ضده وحريم البشر ما حولها لانها تحرم على غير حافرها والحرم الاحرام واحرم الرجل صار محرما واحرم دخل في الشهر الحرام ورجل حرمي منسوب الى الحرم والمهدي ما يهدي الى الحرم من التسمم وقلائد جمع قلادة وهي ما يقلد به الهدي والتقليد في البدن ان يعلق في عنقها شيء ليعلم انها هدي والقلد السوار لأنها كالقلادة لليد والام القصد يقال امت كذا اذا قصدته ويمت بمعناه قال الشاعر

اني كذاك اذا ما ساءني بلد

يمت صدر بعيري غيره بلدا

ومنه الإمام الذي يقتدى به والأمة الدين لأنه بقصد والامة بالكسر النعمة لأنها تقصد ويقال حلت من الاحرام تحل والرجل حلال وقالوا احرم الرجل فهو حرام وقيس وقيم يقولون احل من احرامه فهو محل واحرم فهو محرم والجرم القطع والكسب ولا يجرمكم اي لا يكسبنكم وهو فعل يتعدى الى مفعولين وقيل معناه لا يحملنكم عن الكسائي قال بعضهم يقال جرمي فلان على ان صنعت كذا اي حملني عليه واستشهدوا بقول الشاعر

ولقد طعنت ابا عيينة طعنة

جرمت فزارة بعدها ان يفضبوا

اي حملت وقيل معناه احقت الطعنة لزارة الغضب وقيل معناه كسبت فزارة الغضب وشننت الرجل أشناه شناً وشنأ وشنانا وشنأ أبغضته وذهب سبويه الى ان ما كان من المصادر على فعلان بالفتح لم يتعد فعله الا ان يشذ شيء نحو شنئته شنانا قال سبويه وقالوا لويته حقه لينا على فعلان فعلى هذا يجوز ان يكون الشنان مصدراً مثله وقال ابو زيد رجل شنان وامرأة شنانة مصروفان ويقال ايضا رجل شنان غير منصرف وامرأة شنانة فقد جاء الشنان مصدر ووصفاً وهما جميعا قلبلان

النزول

قال ابو جعفر الباقر (ع) نزلت هذه الآية في رجل من بني ربيعة يقال له الحظم وقام السدي اقبل الحظم بن هند البكري حتى اتى النبي (ص) وحده وخلف خيله خارج المدينة فقال الى ما تدعو وقد كان النبي (ص) قال لأصحابه بدخل عليكم اليوم رجل من بني ربيعة يتكلم بلسان شيطان فلما اجابه النبي (ص) قال انظرني لعلي اسلمولي من اشاوره فخرج من عنده فقال رسول الله (ص) لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقب غادر فمر بسرح من مروح المدينة فساقه وانطلق به وهو يرتجز ويقول

قد لفها الليل بسواق حظم

ليس براعي ابل ولا ضم

ولا يجزار على ظهر وضم

باتوا نياما وابن هند لم ينم

بات يقاسيها غلام كالزلم خدج الساقين ممسوح القدم

ثم اقبل من عام قابل حاجا قد قلد هديا فأراد رسول الله ان يبعث اليه فنزلت هذه الآية ولا آمين البيت الحرام وهو قول عكرمة وابن جريج وقال ابن زيد نزلت يوم الفتح في ناس يأمنون البيت من المشركين يهلون بعمرة فقال المسلمون يا رسول الله ان هؤلاء مشركون مثل هؤلاء دعنا نغير عليهم فانزل الله تعالى الآية

المعنى

ثم ابتداء سبحانه بتفصيل الاحكام فقال (يا أيها الذين آمنوا) اي صدقوا الله ورسوله فيما اوجب عليهم (لا تحلوا شعائر الله) اختلف في معنى شعائر الله على اقوال * احدها * ان معناه لا تحلوا حرمة الله ولا تتعدوا حدود الله وحملوا الشعائر على المعالم اي معالم حدود الله وامره ونهيه وفرائضه عن عطاء وغيره * وثانيها * ان معناه لا تحلوا حرم الله وحملوا الشعائر على المعالم اي معالم حرم الله من البلاد عن السدي * وثالثها * ان معنى شعائر الله مناسك الحج اي لا تحلوا مناسك الحج فتضيعوها عن ابن جريج وابن عباس * ورابعها * ما روي عن ابن عباس ان المشركين كانوا يحجون البيت ويهدون الهدايا ويعظمون حرمة المشاعر وينحرون في حجهم فأراد المسلمون ان يغيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك * وخامسها * ان شعائر الله هي الصفا والمروة والهدي من البدن وغيرها عن مجاهد وقال القراء كانت عامة العرب لا ترى الصفا والمروة من شعائر الله ولا يطوفون بينها فنهاهم الله عن ذلك وهو المروي عن ابي جعفر (ع) * وسادسها * ان المراد لا تحلوا ما حرم الله عليكم في احرامكم عن ابن عباس في رواية اخرى * وسابعها * ان الشعائر هي العلامات المنصوبة للفرق بين الحل والحرم فنهاهم الله سبحانه ان يتجاوزوها الى مكة بغير احرام عن ابي علي الجبائي * وثامنها * ان المعنى لا تحلوا الهدايا المشرفة اي المعلمة لتهدى الى بيت الله الحرام عن الزجاج والحسين بن علي المغربي واختاره البلخي واقوى الاقوال هو القول الأول لأنه يدخل فيه جميع الاقوال من مناسك الحج وغيرها وحمل الآية على ما هو الأعم اولى (ولا الشهر الحرام) معناه ولا تستحلوا الشهر الحرام بأن تقاتلوا فيه اعداءكم من المشركين كما قال تعالى يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير عن ابن عباس وقتادة اختلف في معنى الشهر الحرام هنا فقيل هو رجب وكانت مضر تحرم فيه القتال وقيل هو ذو القعدة عن عكرمة وقيل هي الأشهر الحرم كلها فنهاهم الله عن القتال فيها عن الجبائي والبلخي وهذا اليق بالعموم وقيل اراد به النسبي كقوله انما النسبي زيادة في الكفر عن القتيبي (ولا الهدي) اي ولا تستحلوا الهدي وهو ما يهديه الانسان من بعير او بقرة او شاة الى بيت الله تقربا اليه وطلباً لثوابه فيكون المعنى ولا تستحلوا ذلك فتغصبوه اهله ولا تحلوا بينهم وبين ان تبلغوه محله من الحرم ولكن خلوهم حتى يبلغوا به المحل الذي جعله الله له وقوله (ولا القلائد) معناه ولا تحلوا القلائد وفيه اقوال * احدها * انه عني بالقلائد الهدي المقلد وانما كرر لأنه اراد المنع من حل الهدي الذي لم يقلد والهدي الذي قلد عن ابن عباس واختاره الجبائي * وثانيها * ان المراد بذلك القلائد التي كان المشركون يتقلدونها اذا أرادوا الحج مقبلين الى مكة من لحاء السمر فلذا خرجوا منها الى منازلهم منصرفين منها الى المشعر عن قتادة قال كان في الجاهلية اذا خرج الرجل من اهله يريد الحج يقلد من السمر فلا يتعرض له احد واذا رجع يقلد قلادة شعر فلا يتعرض له احد وقال عطا انهم كانوا يتقلدون من لحاء شجر الحرم يأمنون به اذا خرجوا من الحرم وقال القراء اهل الحرم كانوا يتقلدون بلحاء الشجر واهل غير الحرم كانوا يتقلدون بالصوف والشعر وغيرهما * وثالثها * انه عني به المؤمنون فنهاهم ان ينزعوا شيئاً من شجر الحرم يتقلدون به كما كان المشركون يفعلونه في جاهليتهم عن عطا في رواية اخرى والربيع بن أنس * ورابعها * ان القلائد ما يقلد به الهدي فنهاهم عن حلها لأنه كان يجب ان يتصدق بها عن ابي علي الجبائي قال هو صوف بفنل وبعلق به على الهدي وقال الحسن هو نعل يقلد به الايل والبقر

ويجب التصديق بها ان كانت لها قيمة والاولى ان تكون نية عن استحلال القلائد فدخل فيه الإنسان والبهيمة او يكون نية عن استحلال حرمة المقلد هديا كان ذلك او انسانا (ولا آمين البيت) اي ولا تحلوا اقسامدين البيت (الحرام) اي لا تقاتلوه لانه من قاتل في الاشهر الحرم فقد احل فقال لا تحلوا قتال آمين البيت الحرام اي القاصدين والبيت الحرام بيت الله بمكة وهو الكعبة سمي احراما لحرمة وقيل لانه يحرم فيه ما يحل في غيره واختلف في المعنى بذلك فمنهم من حمله على الكفار واستدل بقوله فيما بعد ولا يجرمكم شأن قوم الآبىة ومنهم من حمله على من اسلم فكأنه نهى ان يؤخذ بعد الإسلام بذحل الجاهلية لأن الإسلام يجب ما قبله (ببتغون) اي يطلبون بعني الذين يأمنون البيت (فضلا من ربههم ورضوانا) اي ارباحا في تجارتهم من الله وان يرضى عنهم ينسكهم على زعمهم فلا يرضى الله عنهم وهم مشركون وقيل بلتمسون رضوان الله عنهم بان لا يحل بهم ما حل بغيرهم من الامم من العقوبة في عاجل دنياهم عن قتادة ومجاهد وقيل فضلا من الله في الآخرة ورضوانا منه فيها وقيل فضلا في الدنيا ورضوانا في الآخرة وقال ابن عباس ان ذلك في كل من توجه حاجا وبه قال الضحاك والريبع واختلف في هذا فقيل هو منسوخ بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم عن اكثر المفسرين وقيل لم ينسخ من هذه السورة شي ولا من هذه الآبىة لانه لا يجوز ان يبتدأ المشركون في الاشهر الحرم بالقتال الا اذا قاتلوا عن ابن جريج وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وروى نحوه عن الحسن وذكر ابو مسلم ان المراد به الكفار الذين كانوا في عهد النبي (ص) فلما زال العهد بسورة براءة زال ذلك الحظر ودخلوا في حكم قوله تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقيل لم ينسخ من المائة غير هذه الآبىة لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد عن الشعبي ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد وقيل انما نسخ منها قوله ولا الشهر الحرام إلى آمين البيت الحرام ذكر ذلك ابن ابي عروبة عن قتادة قال نسخها قوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله ما كان للمشركين ان يعبروا مساجد الله وقوله انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا في السنة التي نادى فيها علي بالأذان وهو قول ابن عباس وقيل لم ينسخ من هذه الآبىة الا القلائد عن ابن ابي نجیح عن مجاهد (واذا حلتم فاصطادوا) معناه اذا حلتم من احرامكم فاصطادوا فيها الصيد الذي نهين ان تحلوا فاصطادوه ان شئتم حينئذ لأن السبب المحرم قد زال عند جميع المفسرين (ولا يجرمكم) اي ولا يحملنكم وقيل لا يكسبنكم (شئان قوم) اي بغضاء قوم (ان صدوكم) اي لان صدوكم اية لأجل انهم صدوكم (عن المسجد الحرام) بعني النبي واصحابه لما صدوكم عام الحديبية (ان تعندوا) ومعناه لا يكسبنكم بغضكم قوما الاعتداء عليهم بصددهم اياكم عن المسجد الحرام قال ابو علي الفارسي معناه لا تكسبوا لبغض قوم عدوانا ولا تقتر فوه هذا فيمن فتح ان وبوقع النهي في اللفظ على الشئان والمعنى بالنهي المخاطبون كما قالوا لا آرينك ههنا ولا تموتن الا واتم مسلمون ومن جعل شئان صفة فقد اقام الصفة مقام الموصوف ويكون تقديره ولا يحملنكم بغض قوم والمعنى على الأول ومن قرأ ان صدوكم بكسر الألف فقد مر ذكر معناه وان تعندوا معناه ان تتجاوزوا حكم الله فيكم الى ما نهاكم عنه نهى الله المسلمين عن الطلب بذحول الجاهلية عن مجاهد وقال هذا غير منسوخ وهو الاولى وقال ابن زيد وهو منسوخ (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) وهو استثناء كلام وليس يعطف على تعندوا فيكون في موضع نصب امر الله عباده بأن يعين بعضهم بعضا على البر والتقوى وهو العمل بما امرهم الله تعالى به واتقاء ما نهاهم عنه ونهاهم ان يعين بعضهم بعضا على الاثم وهو ترك ما امرهم به وارتكاب ما نهاهم عنه من العدوان وهو مجاوزة ما حد الله لعباده في دينهم وفرض لهم في انفسهم عن ابن عباس وابي العالية وغيرهما من المفسرين (واتقوا الله ان الله شديد العقاب) هذا امر منه تعالى بالتقوى ووعيد وتهديد لمن تعدى حدوده وتجاوز امره يقول احذروا معصية الله فيما امركم الله به ونهاكم عنه فتستوجبوا عقابه وتستحقوا عذابه ثم وصف تعالى عقابه بالشددة لأنه نار لا يطفأ حرها ولا يخمد حجرها نعوذ بالله منها

قوله تعالى (٣) حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم وأخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم (آية)

الفراة *

روي في الشواذ قراءة ابن عباس وأكيل السبع وعن الحسن وما أكل السبع بسكون الباء وقراءة يحيى ابن وثاب وإبراهيم غير متجانف لاوثم

الحجة

قال ابن جنسي الأكلة اسم للمأكول كالنطيحة والأكيل للجنس والعموم يصلح للمذكور والمؤنث تقول مررت بشاة أكيل أي قد أكلها الأسد ونحوه وتقول وما لنا طعام إلا الأكلة أي الشاة أو الجوزر المعدة للأكل وإن كانت قد أكلت فهي بلا هاء فأكيل السبع ما أكل بعضه السبع والسبع تخفيف للسبع قال حسان بن عتبة بن أبي لهب

من يرجع العام إلى أهله فما أكيل السبع بالراجع

وقوله متجانف ومتجانف بمعنى وتفعل ابلغ من تفاعل فتجانف بمعنى متميل ومتأود ومتجانف مثل متمائل ومتأود = اللغة =

أصل الإهلال رفع الصوت بالشيء ومنه استهلال الصبي وهو صباحه إذا سقط من بطن أمه ومنه أهلال المحرم بالحج أو العمرة إذا لبى به قال ابن حجر

بهل بالفرقة ركبنا كما يهل الركب المعتمر

وسمي الهلال هلالاً لأنه يرفع الصوت عنده ويقال خنقه خنقا إذا ضغطه ومنه المخنقة للقلادة والوقد شدة الضرب يقال وقذتها أفذاها وقذاً وأوقذتها إيقاذا إذا أختنها ضرباً قال الفرزدق

شغارة تقذ الفصيل برجلها فطارة لقوادم الأبقار

الردى الهلاك والتبردي التهور والنطيحة المنطوحة تقل عن مفعول إلى فعيل وإنما يثبت فيها الهاء وإن كان فعيلة بمعنى المفعول لا تثبت فيه الهاء مثل حية دهن وعين كحيل وكف خضيب لأنها دخلت في حيز الأسماء وقال بعض الكوفيين إنما تحذف الهاء من فعيلة بمعنى مفعولة إذا كانت صفة لاسم قد تقدمها مثل كف خضيب وعين كحيل فإما إذا حذف الكف والعين وما يكون فعيلة نعتاً له واجتزوا بفعل أثبتوا فيه هاء التأنيث ليعلم ثبوتها فيه أنها صفة لمؤنث فيقال رأينا كحيلة وخضيبة والتذكيرة فري الأوداج والحلقوم لما كانت فيه حياة ولا يكون بحكم الميت وأصل الذكاء في اللغة تمام الشيء فمن ذلك الذكاءة في السن والقم قال الخليل الذكاء أن يأتي في السن على القروسة وهي في ذات الحافر وهي البرولة في ذات الخف وهي الصلوة في ذات الظلف وذلك تمام استكمال القوة قال زهير

يفضله إذا اجتهدا عليها تمام السن منه والذكاء

وفي المثل جري المذكيات غلاب أي جري المسان التي قد أسنت مغالبة يريد أن المسان يحتمل

ان تؤخذ بالغبلة لفضل قوتها والصغار لا تحمل على ذلك وتداري ويروى غلاء وهي جمع غلوة اي هي تمتد امتداداً كما تريد وليست كالجدع الذي لا علم له فيخرج في اول شوط اقصى ما عنده من الخضر ثم هو مسبوق ومعنى تمام السن النهاية في الشباب فإذا نقص عن ذلك او زاد فلا يقال له الذكاء والذكاء في الفهم ان يكون تاماً سريع القبول وذكيت النار من هذا اي اتمت اشغالها والنصب الحجارة التي كانوا يعبدونها واحداً نصاب وجائزان يكون واحداً وجمعه انصاب والازلام جمع زلم وزلم وهو القدر والاستقسام طلب القسمة والقسم المصدر والقسم بالكسر النصب والمخضة شدة ضمور البطن وهو مفعلة مثل المجنبة والمنحلة من نخص البطن وهو طيه واضطماره من الجوع وشدة السغب دون ان يكون مخلوقاً كذلك قال النابغة

والبطن ذو عكن خميص لين والنحر تنفخه بشدي مقعد

لم يصفها بالجوع وانما وصفها بلطافة طبي البطن واما قول الاعشى

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى يبيتن خمائصاً

فمن الاضطمار من الجوع والتجانف المتمايل للاثر المنحرف اليه من جنف القوم اذا مالوا وكل اعوج فهو اجنفت

المعنى *

ثم بين سبحانه ما استثناه في الآية المقدمة بقوله الا ما يتلى عليكم فقال مخاطباً للمكلفين (حرمت عليكم الميتة) اي حرم عليكم اكل الميتة والاتفاع بها وهو كل ماله تقس سائلة من دواب البر وطيره مما اباح الله اكله اهليها ووحشيتها فارقه روحه من غير تذكية وقيل الميتة كل ما فارقه الحياة من دواب البر وطيره بغير تذكية فقد روي عن النبي (ص) انه سمي الجراد والسماك ميتاً فقال ميتتان مباحتان الجراد والسماك (والدم) اي وحرم عليكم الدم وكانوا يجعلونه في المباغر ويشوونه ويأكلونه فاعلم الله سبحانه ان الدم المسفوح اي المصبوب حرام فأما المتلطح بالحم فإنه كاللحم وما كان كاللحم مثل الكبد فهو مباح واما الطحال فقد روي الكراهية فيه عن علي (ع) وابن مسعود واصحابها واجمعت الامامية على انه حرام وذهب سائر الفقهاء الى انه مباح (ولحم الخنزير) وانما ذكركم الخنزير لبيان انه حرام بعينه لا لكونه ميتة حتى انه لا يحل تناوله وان حصل فيه ما يكون ذكاة لغيره وفائدة تخصه بالتحريم مع مشاركة الكلب اياه في التحريم حالة وجود الحياة وعدمها وكذلك السباع والمسوخ وما لا يحل اكله من الحيوانات ان كثيراً من الكفار اعتادوا اكله والفوه اكثر ما اعتادوا في غيره (وما اهل لغير الله به) موضع ما رفع وتقديره وحرم عليكم ما اهل لغير الله به وقد ذكرنا معناه في سورة البقرة وفيه دلالة على ان ذبايح من خالف الاسلام لا يجوز اكله لانهم يذكرون عليه اسم غير الله لانهم يعنون به من ايدى شرع موسى او اتحد بعيسى او اتخذه ابناً وذلك غير الله فأما من أظهر الاسلام ودان بالتجسيم والتشبيه والجرير وخالف الحق فعندنا لا يجوز اكل ذبيحته وفيه خلاف بين الفقهاء (والمختنقة) وهي التي يدخل رأسها بين شعبتين من شجرة فتمتخق وتموت عن السدي وقيل هي التي تخنق بجبل الصائد فتتموت عن الضحاك وقتادة وقال ابن عباس كان اهل الجاهلية يخنقونها فياً كالونها (والموقودة) وهي التي تضرب حتى تموت عن ابن عباس وقتادة والسدي (والمرتدبة) وهي التي تقع من جبل او مكات عال او تقع في بئر فتتموت عن ابن عباس وقتادة والسدي ومضى وقع في بئر ولا يقدر على تذكيته جازان يطعن ويضرب بالسكين في غير المذبح حتى يبرد ثم يوكل (والنطيحة) وهي التي ينطحها غيرها فتتموت (وما اكل السبع) اي وحرم عليكم ما اكله السبع بمعنى قتله السبع وهي فرسة السبع عن ابن عباس وقتادة والضحاك (الا ما ذكيتم) يعني الا ما ادر كتم ذكاته فذكيتموه من هذه الاشياء وموضع ما نصب بالاستثناء وروي عن السيدين الباقر والصادق عليهما السلام ان ادنى ما بذرك به الذكاة ان تدركه بتحريك اذنه او ذنبه او تطرف عينه وبه قال الحسن وقتادة وابراهيم وطاوس والضحاك وابن زيد واختلف في

الاستثناء الى ما ذابرج فليل الى جميع ما تقدم ذكره من المحرمات سوى ما لا يقبل الذكاة من الخنزير والدم عن علي (ع) وابن عباس وقيل هو استثناء من التحريم لا من المحرمات لأن الميتة لا ذكاة لها ولا الخنزير فمعناه حرمت عليكم سائر ما ذكر الا ما ذكيتتم مما أحله الله لكم بالتذكية فإنه حلال لكم عن مالك وجماعة من اهل المدينة واختاره الجبائي ومتى قيل ما وجه التكرار في قوله والمنخنقة والموقوذة الى آخر ما عدد تحريمه مع انه افتتح الآية بقوله حرمت عليكم الميتة والميتة تعم جميع ذلك وان اختلفت اسباب الموت من خنق او ترد او نطح او اهلال لغير الله به أو أكل سبع فالجواب ان الفائدة في ذلك انهم كانوا لا يعدون الميتة الامامات حتف اقه من دون شيء من هذه الأسباب فأعلمهم الله سبحانه ان حكم الجميع واحد وان وجه الاستباحة هو التذكية المشروعة فقط قال السدي ان ناسا من العرب كانوا يأكلون جميع ذلك ولا يعدونه ميتا إنما يعدون الميت الذي يموت من الوجع (وما ذبح على النصب) يعني الحجارة التي كانوا يعبدونها وهي الأوثان عن مجاهد وقتادة وابن جريج يعني وحرم عليكم ما ذبح على النصب اي على اسم الأوثان وقيل معناه وما ذبح للأوثان تقربا اليها واللام وعلى متعاقبان الا ترى الى قوله تعالى فسألمك من اصحاب اليمين بمعنى عليك وكانوا يقربون ويلطخون اوتانهم بدمائها قال ابن جريج ليست النصب اصناما وإنما الاصنام ما تصور وتنقش بل كانت احجارا منصوبة حول الكعبة وكانت ثلاثمائة وستين حجرا وقيل كانت ثلاثماية منها حجارة فكانوا اذا ذبحوا نضحوا الدر على ما اقبل من البيت وشرحوا اللحم وجعلوه على الحجارة فقال المسلمون يارسول الله كان اهل الجاهلية يعظمون البيت بالدم فنحن احق بتعظيمه فانزل الله سبحانه لن ينال الله لحومها ولادماؤها الآية (وان تستقسموا بالازلام) موضعه رفع اي وحرم عليكم الاستقسام بالازلام ومعناه طلب قسم الارزاق بالقداح التي كانوا يتفأنون بها في اسفارهم وابتداء امورهم وهي سهام كانت للجاهلية مكتوب على بعضها امرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي وبعضها غفل لم يكتب عليه شيء فاذا ارادوا سفرا او امرا يهتمون به يذروا على تلك القداح فون خرج السهم الذي عليه امرني ربي مضى الرجل في حاجته وان خرج الذي عليه نهاني ربي لم يمض وان خرج الذي ليس عليه شيء اعادها فيبين الله تعالى ان العمل بذلك حرام عن الحسن وجماعة من المفسرين وروى علي بن ابراهيم في تفسيره عن الصادقين (ع) ان الازلام عشرة سبعة لها انصباء وثلاثة لا انصباء لها فاتي لها انصباء الفذ والتوأم والمسبل والنافس والحلس والرقيب والمعلى فالفذ له سهم والتوأم له سهمان والمسبل له ثلاثة اسهم والنافس له اربعة اسهم والحلس له خمسة اسهم والرقيب له ستة اسهم والمعلى له سبعة اسهم والتي لا انصباء لها السفيح والمنبج والرغد وكانوا يعدون الى الجزور فيجزونه اجزاء ثم يجتمعون عليه فيخرجون السهام ويدفعونها الى رجل وتومن الجزور على من تخرج له التي لا انصباء لها وهو القمار فحرمه الله تعالى وقيل هي كعاب فارس والروم التي كانوا يتقارون بها عن مجاهد وقيل هو الشطرنج عن ابي سفيان بن وكيع (ذالكم فسق) معناه ان جميع ما سبق ذكره فسق اي ذنب عظيم وخروج من طاعة الله الى معصيته عن ابن عباس وقيل ان تلكم اشارة الى الاستقسام بالازلام اي ان ذلك الاستقسام فسق وهو الأظهر (اليوم ينس الذين كفروا من دينكم) ليس يريد يوما بعينه بل معناه الا ينس الكافرون من دينكم كما يقول القائل اليوم قد كبرت يريد ان الله تعالى حول الحرف الذي كان يلحقهم من الكافرين اليوم اليهم وينسوا من بطلان الإسلام وجاءكم ما كنتم توعدون به في قوله ليظهره على الدين كله والدين اسم لجميع ما تعبد الله به خلقه وامرهم بالقيام به ومعنى ينسوا انقطع طمعهم من دينكم ان تتركوه وترجعوا منه الى الشرك عن ابن عباس والسدي وعطا وقيل ان المراد باليوم يوم عرفة من حجة الوداع بعد دخول العرب كلها في الإسلام عن مجاهد وابن جريج وابن زيد وكان يوم الجمعة ونظر النبي (ص) فلم ير الا مسلما موحدًا ولم ير مشركا (فلا تخشوهم) خطاب للمؤمنين نهاهم الله ان يخشوا ويخافوا من الكفار ان يظهروا على دين

الإسلام ويقهروا المسلمين ويردوهم عن دينهم (واخشون) أي ولكن اخشوني أي خافوني أن خالفتم أمري وارتكبتم معصيتي أن أحل بكم عقابي عن ابن جريج وغيره (اليوم أكملت لكم دينكم) قيل فيه أقوال **أحدها** أن معناه أكملت لكم فرائض وحدودي وحلالتي وحرامتي بتزليلي ما أنزلت وبياني ما بينت لكم فلا زيادة في ذلك ولا نقصان منه بالنسخ بعد هذا اليوم وكان ذلك يوم عرفة عام حجة الوداع عن ابن عباس والسدي واختاره الجبائي والبخاري قالوا ولم يزل بعد هذا على النبي (ص) شي من الفرائض في تحليل ولا تحريم وأنه مضى بعد ذلك بأحدى وثمانين ليلة فإن اعترض معترض فقال أكان دين الله ناقصا وقتنا من الأوقات حتى أتته في ذلك اليوم فجوابه أن دين الله لم يكن إلا في كمال كاملا في كل حال وأكن لما كان معرضا للنسخ والزيادة فيه ونزول الوحي بتحليل شي أو تحريمه لم يمتنع أن يوصف بالكمال إذا أمن من جميع ذلك فيه كما توصف العشرة بأنها كاملة ولا يلزم أن توصف بالنقصان لما كانت المائة أكثر منها واكمال **وثانيها** أن معناه اليوم أكملت لكم حجكم وافردتكم بالبلد الحرام تحجونه دون المشركين ولا يخالطكم مشرك عن سعيد بن جبير وقتادة واختاره الطبري قال لأن الله سبحانه أنزل بعده يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله قال الفراء وهي آخر آية نزلت وهذا الذي ذكره أبو صبح الكان لهذا القول ترجيح لكن فيه خلاف **وثالثها** أن معناه اليوم كفيتمكم الأعداء واطهرتكم عليهم كما تقول الآن كمل لنا الملك وكمل لنا ما تريد بأن كفيتمنا ما كنا نخافه من الزجاج والمروزي عن الإمامين أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) أنه لما أنزل بعد أن نصب النبي (ص) عليا (ع) علما لأنام يوم غدير خم منصرفه عن حجة الوداع قالا وهو آخر فريضة أنزلها الله تعالى ثم لم يزل بعدها فريضة وقد حدثنا السيد العالم أبو أحمد مهدي بن نزار الحسيني قال حدثنا أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني قال أخبرنا أبو عبد الله الشيرازي قال أخبرنا أبو بكر الجرجاني قال حدثنا أبو أحمد البصري قال حدثنا أحمد بن عمار بن خالد قال حدثنا يحيى بن عبد الحميد الخثعمي قال حدثنا قيس بن الربيع عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله (ص) لما نزلت هذه الآية قال الله أكبر على أكمل الدين وإتمام النعمة ورضا الرب برسائتي وولاية علي بن أبي طالب من بعدي وقال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وقال علي بن إبراهيم في تفسيره حدثني أبي عن صفوان عن العلاء ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر (ع) قال كان نزولها بكرام الغميم فأقامها رسول الله (ص) بالبحفة وقال الربيع بن أنس نزلت في المسير في حجة الوداع (واقمت عليكم نعمتي) خاطب سبحانه المؤمنين بأنه أتم النعمة عليهم باظهارهم على المشركين ونفيهم عن بلادهم عن ابن عباس وقتادة وقيل معناه أتمت عليكم نعمتي بأن أعطيتكم من العلم والحكمة ما لم يبط قبلكم نبي ولا أمة وقيل إن تمام النعمة دخول الجنة (ورضيت لكم الإسلام ديناً) أي رضيت لكم الإسلام لأمرى والانقياد اطاعتني على ما شرعت لكم من حدوده وفرائضه ومعامله ديناً أي طاعة منكم لي والفائدة في هذا أن الله سبحانه لم يزل يصرف نبيه محمداً وأصحابه في درجات الإسلام ومراتبه درجة بعد درجة ومنزلة بعد منزلة حتى أكمل لهم شرائعهم وبلغ بهم أقصى درجاته ومراقبه ثم قال رضيت لكم الحال التي أنتم عليها اليوم فالزموها ولا تفارقوها ثم عاد الكلام إلى القضية المتقدمة في التحريم والتحليل وإنما ذكر قوله اليوم يشرك الذين كفروا إلى قوله ورضيت لكم الإسلام ديناً اعتراضاً (فمن اضطر في مخصصة) معناه فمن دعت الضرورة في مجاعة حتى لا يمكنه الامتناع من أكله عن ابن عباس وقتادة والسدي (غير متجانف لأوثم) أي غير مائل إلى إثم وهو نصب على الحال يعني فمن اضطر إلى أكل الميتة وما عدد الله تحريمه عند المجاعة الشديدة غير متعمد لذلك ولا مختار له ولا مستحل له فإن الله سبحانه أباح تناوله ذلك قدر ما يسلك به رفقاً بلا زيادة عليه عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وبه قال أهل العراق وقال أهل المدينة يجوز أن يشبع منه عند الضرورة وقيل أن معنى قوله غير متجانف لأوثم غير عاص بأن يكون باغياً أو عادياً أو خارجاً في معصية عن قتادة

(فإن الله غفور رحيم) في الكلام محذوف دل عليه ما ذكر والمعنى فمن اضطر الى ما حرمت عليه غير متجانف لا يثم فأكله فإن الله غفور لذنوبه ساترا عليه اكله لا يؤاخذ به وليس يريد انه يفقر له عقاب ذلك الأكل لأنه اباحه له ولا يستحق العقاب على فعل المباح وهو رحيم اي رفيق بعباده ومن رحمته اباح لهم ما حرم عليهم في حال الخوف على النفس

قوله تعالى (٤) يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلموهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه وآتقوا الله إن الله سريع الحساب (آية)

القراءة

المشهور في القراءة مكلبين بالتشديد وروي عن ابن مسعود والحسن مكلبين بالتخفيف

الحجة

اكلاب الكلاب هو اغراؤه بالصيد وايضاده يقال كلب واكلبته كما يقال اسد واسدته ويحتمل ان يكون من اكلب الرجل اذا كثرت كلابه كما يقال امشى اذا كثرت ماشيته والمكالب بالتشديد صاحب الكلاب يقال رجل مكالب وكلاب اذا كان صاحب صيد بالكلاب وقيل هو الذي يعلم الكلاب اخذ الصيد

= اللغة =

الطيب هو الحلال وقيل هو المستلذ والجوارح الكواكب من الطير والسباع الواحدة جارحة وسميت جوارح لأنها تكتسب اربابها الطعام بصيدها يقال جرح فلان اهله خيرا اذا كسبهم خيرا وفلان جارحة اهله اي كاسبهم ولا جارحة لفلانة اي لا كاسبة لها قال اعشى بني ثعلبة

ذات خد منصح ميسمها يذكر الجارح ما كان اجترح

اي اكتسب

(الاعراب) -

اذا احل لهم يحتمل ان يكون ما وحدها اسما وخبرها قوله ذا واحل من صلة ذا وتقديره اي الذي احل لهم ويحتمل ان تكون ماذا اسما واحدا مرفوعا بالابتداء واحل خبره وتقديره اي شي احل لهم ومكلبين نصب على الحال اي وما علمتم من الجوارح في حال مصير كم اصحاب كلاب تعلمونهن في موضع نصب ايضا بانه حال من مكلبين وقوله مما أمسكن عليكم قيل ان من هنا زائدة لأن جميع ما يسكه مباح كقوله وينزل من السماء من جبال فيها من برد وتقديره وننزل من السماء جبالا فيها برد وذكر في هذه الآية غير ذا من الوجوه سند كرها اذا انتهينا الى موضعها من الكتاب إن شاء الله تعالى وقيل ان من للتبعيض لأنه لا يجوز ان يؤكل جميع ما يسكه الكلب فإن في جملة ما هو حرام من الدم والفروث والغدد وغير ذلك مما لا يجوز اكله فعنه فكلوا ما اباح الله لكم اكله مما أمسكن عليكم

النزول

عن ابي رافع قال جاء جبرائيل الى النبي (ص) يستأذن عليه فأذن له وقال قد اذناك يا رسول الله قال اجل ولكننا لا ندخل بيتا فيه كلب قال ابو رافع فأمرني رسول الله ان اقتل كل كلب بالمدينة فقتلت حتى انتهيت الى امرأة عندها كلب ينيح عليها فتركته رحمة لها وجئت الى رسول الله (ص) فأخبرته فأمرني فرجعت وقتلت الكلب فجاءوا فقالوا يا رسول الله (ص) ماذا يجمل لنا من هذه الامة التي أمرت بقتل كلبها فسكت رسول

الله فأنزل الآية فأذن رسول الله في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها ونهى عن إمساك ما لا نفع فيها وأمر بقتل العقور وما يضرب ويؤذي وعن أبي حمزة الشمالي والحكم بن ظهير أن زيد الخيل وعدي بن حاتم الطائفي اتيا رسول الله (ص) فقالا ان فينارجلين لهما ستة كلب تأخذ بقرة الوحش والظبا. فمنها ما يدرك ذكاته ومنها ما يموت وقد حرم الله الميتة فعادوا يحل لنا من هذا فأنزل الله فكلوا مما أمسكن عليكم وسماء رسول الله (ص) زيد الخير

المعنى

لما قدم سبحانه ذكر المحرمات عقبه بذكر ما أحل فقال (يسألونك يا محمد) (ماذا أحل لهم) معناه أي شيء أحل لهم أي يستخبرك المؤمنون ما الذي أحل لهم من المطاعم والمأكول وقيل من الصيد والذبايح (قيل يا محمد) (أحل لكم الطيبات) منها وهي الحلال الذي أذن لكم ربكم في أكله من المأكولات والذبايح والصيد عن أبي علي الجبائي وأبي مسلم وقيل مما لم يرد بتحريمه كتاب ولا سنة وهذا أولى لما ورد ان الأشياء كلها على الإطلاق والإباحة حتى يراد الشرع بالتحريم وقال البلخي الطيبات ما يستلذ (وما علمتم من الجوارح) أي وأحل لكم أيضا مع ذلك صيد ما علمتم من الجوارح أي الكواكب من سباع الطير والبهائم فحذف المضاف لدلالة قوله بما أمسكن عليكم عليه ولأنه جواب عن سؤال السائل عن الصيد وقيل الجوارح هي الكلاب فقط عن ابن عمر والضحاك والسدي وهو المروي عن ائمتنا (ع) فإنهم قالوا هي الكلاب المعلمة خاصة أحله الله إذا أدركه صاحبه وقد قتله لقوله فكلوا مما أمسكن عليكم وروى علي بن إبراهيم في تفسيره بإسناده عن أبي بكر الحضرمي عن أبي عبد الله (ع) قال سألت عن صيد البزاة والصقور والقهود والكلاب فقال لا تأكل إلا ما ذكيت إلا الكلاب فقلت فإن قتله قال كل فإن الله يقول وما علمتم من الجوارح مكلمين تعلمونهن ما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه ثم قال (ع) كل شيء من السباع تمسك الصيد على نفسه إلا الكلاب المعلمة فإنها تمسك على صاحبها وقال إذا أرسلت الكلب المعلم فأذكر اسم الله عليه فهو ذكاته وهو ان تقول بسم الله والله أكبر ويؤيد هذا المذهب ما يأتي بعد من قوله (مكلمين) أي اصحاب الصيد بالكلاب وقيل اصحاب التعليم للكلاب (تعلمونهن ما علمكم الله) أي لأن تؤدبونهن حتى يصرن معلمة ما علمكم الله بعقولكم حتى ميزتم بين المعلم وغير المعلم وفي هذا دلالة أيضا على ان صيد الكلب غير المعلم حرام إذا لم يدرك ذكاته وقيل معناه تعلمونهن كما علمكم الله عن السدي وهذا بعيد لأن من معنى الكاف لا يعرف في اللغة ولا تقارب بينهما لأن الكاف للتشبيه ومن التبويض واختلف في صفة الكلب المعلم فقيل هو ان يستشلى لطلب الصيد إذا أرسله صاحبه ويمسك عليه إذا أخذه ويستجيب له إذا دعاه ولا يفتر منه فإذا تولى منه ذلك كان معلما عن سعد بن أبي وقاص وسلمان وابن عمر وقيل هو ما ذكرناه كله وان لا يأكل منه عن ابن عباس وعدي بن حاتم وعطاء والشعبي وطاوس والسدي فروى عدي بن حاتم عن النبي (ص) انه قال إذا أكل الكلب من الصيد فلا تأكل منه فإنما أمسك على نفسه وقيل حد التعليم ان يفعل ذلك ثلاث مرات عن أبي يوسف ومحمد وقيل لا حد لتعلم الكلاب وإذا فعل ما قلناه فهو معلم ويدل على ذلك ما رواه اصحابنا انه إذا أخذ كلب المجوسي فعلمه في الحال فاصطاد به جاز أكل ما يقتله وقد تقدم ان عند أهل البيت لا يحل أكل صيد غير الكلب إلا ما أدرك ذكاته ومن أجاز ذلك قال ان تعلم البازي هو ان يرجع الى صاحبه وتعلم كل جارحة من البهائم والطيور هو ان يشلى على الصيد فيستشلى ويأخذ الصيد ويدعوه صاحبه فيجيب فإذا كان كذلك كان معلما أكل منه أو لم يأكل روي ذلك عن سلمان وسعد بن أبي وقاص وابن عمر وقال آخرون ما أكل منه فلا يؤكل رواه عن علي (ع) والشعبي وعكرمة وقوله (فكلوا مما أمسكن عليكم) أي ما أمسك الجوارح عليكم وهذا يقوي قول من قال ما أكل منه الكلب لا يجوز أكله لانه أمسك على نفسه ومن شرط في استباحة ما يقتله الكلب ان يكون صاحبه قد سمى عند إرساله فإذا لم يسم لم يجوز له أكله الا اذا

ادرك ذكاته وادنى ما يدرك به ذكاته ان يجده تتحرك عينه او اذنه او ذنبه فتذكيته حينئذ بفري الخلقوم والادواج
(واذكروا اسم الله عليه) اي قبل الإرسال عن ابن عباس والحسن والسدي وقيل معناه اذكروا اسم الله على ذبيح
ما تذبحونه وهذا صريح في وجوب التسمية والقول الأول اصح (واتقوا الله) اي اجتنبوا ما نهاكم الله عنه فلا
تقربوه واحذروا معاصيه التي منها أكل صيد الكلب غير المعلم او ما لا يمسه عليكم او ما لم يذكر اسم الله عليه
من الصيد والذبايح (ان الله سريع الحساب) قدمه تفسيره

قوله تعالى (٥) الْيَوْمَ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ
حَلَّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ
أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ
وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (آية)

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه في هذه الآية ما يحل من الأضحية والانسكحة اتماما لما تقدم فقال (اليوم احل لكم الطيبات)
وقدم معناه وهذا يقتضي تحليل كل مستطاب من الأضحية الا ما قام الدليل على تحريمه (وطعام الذين اوتوا الكتاب
حل لكم) اختلف في الطعام المذكور في الآية فقيل المراد بسبب ذبايح أهل الكتاب عن اكثر المفسرين واكثر
الفقهاء. وبه قال جماعة من اصحابنا اختلفوا ففهم من قال اراد به ذبايح كل كتابي من انزل عليه التوراة والانجيل
ومن دخل في ملتهم ودان بدينهم عن ابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن المسيب والشعبي وعطا وقتادة
وأجازوا ذبايح نصارى بني تغلب ومنهم من قال غنى به من أنزلت التوراة والانجيل عليهم او كان من ابنائهم فأما من كان
دغيبا فيهم من سائر الأمم ودان بدينهم فلا تحل ذبايحهم حكى ذلك الربيع عن الشافعي وحرم ذبايح بني تغلب
من النصارى ورووا ذلك عن علي (ع) وسعيد بن جبير وقيل المراد بطعام الذين اوتوا الكتاب ذبايحهم وغيرها
من الأضحية عن ابي الدرداء وعن ابن عباس و ابراهيم وقتادة والسدي والضحاك ومجاهد وبه قال الطبري والجبائي
والبلخي وغيرهم وقيل انه مختص بالحبوب وما لا يحتاج فيه الى التذكية وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) وبه قال
جماعة من الزيدية فأما ذبايحهم فلا تحل (وطعامكم حل لكم) معناه وطعامكم يحل لكم ان تطعموهم (والمحصنات
من المؤمنات) معناه واحل لكم العقد على المحصنات اي العفيفات من المؤمنات عن الحسن والشعبي و ابراهيم وقيل اراد
الحرائر عن مجاهد واختاره ابو علي فعلى هذا القول لا تدخل الإماء في الإباحة مع القدرة على طول الحرة (والمحصنات
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم) وهم اليهود والنصارى واختلف في معناه فقيل هن العناني حرائر كن او إماء
حربيات كن او ذميات عن مجاهد والحسن والشعبي وغيرهم وقيل هن الحرائر ذميات كن او حربيات وقال
اصحابنا لا يجوز عقد نكاح الدوام على الكتابية لقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنن ولقوله ولا تنكحوا
بعض الكوافر وأولوا هذه الآية بأن المراد بالمحصنات من الذين اوتوا الكتاب اللاتي اسلمن منهن والمراد بالمحصنات
من المؤمنات اللاتي كن في الأصل مؤمنات بأن ولدن على الإسلام وذلك ان قوما كانوا يتحرجون من العقد على
من اسلمت عن كفر فين سبجانه انه لا حرج في ذلك فلهذا افردهن بالذكر حكى ذلك ابو القاسم البلخي
قالوا ويجوز ان يكون مخصوصا ايضا بنكاح المتعة وملك اليمين فاون عندنا يجوز وطوهرن بكلا الوجهين على انه
قد روى ابو الجارود عن ابي جعفر (ع) انه منسوخ بقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنن وبقوله ولا تنكحوا
بعض الكوافر وقوله (اذا آتيتموهن اجورهن) اي مهورهن وهو عوض الاستمتاع بهن عن ابن عباس وغيره (محصنين
غير مسافحين) يعني اعفاء غير زانين بكل فاجرة وهو منصوب على الحال (ولا متخذين اخدان) اي ولا متفردين

ببغية واحدة خادنها وخادنته اتخذها لنفسه صديقة يفجر بها وقد مر معنى الإحصان والسفاح والاختدان في سورة النساء (ومن يكفر بالآيمان) أي ومن يجحد. أمر الله بالإنذار به والتصديق له من توحيد الله وعدله ونبوة نبيه (ص) (فقد حبط عمله) الذي عمله واعتقده قربة إلى الله تعالى وإنما تحبط الأعمال بأن لا يستحق عليها ثواب (وهو في الآخرة من الخاسرين) أي الهالكين وقيل المعنى بقوله ومن يكفر بالآيمان أهل الكتاب ويكون معناه ومن يمتنع عن الآيمان ولم يؤمن وفي قوله فقد حبط عمله هنا دلالة على أن حبوط الأعمال لا يترتب على ثبوت الثواب فإن الكافر لا يكون له عمل قد ثبت عليه ثواب وإنما يكون له عمل في الظاهر لولا كفره لكان يستحق الثواب عليه فعبر سبحانه عن هذا العمل بأنه حبط فهو حقيقة معناه

قوله تعالى (٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (آية)

القراءة

قرأ نافع وابن عامر ويعقوب والكسائي وحفص والاعشى عن أبي بكر عن عاصم وارجلكم بالنصب والباقون وارجلكم بالجر وقد ذكرنا اختلافهم في لامستم في سورة النساء وسند كرم ما قيل في ارجلكم على القراءتين في المعنى لأن الكلام فيه يتعلق بما اختلفت فيه الأمة من القول بجوب غسل الرجلين أو مسحها أو التخيير بين الغسل والمسح أو وجوب الأمرين كليهما على ما سنبينه ان شاء تعالى

اللغة

الجنب يقع على الوحدة والجمع والمذكر والمؤنث كما يقال رجل عدل وقوم عدل ورجل زور وقوم زور يقال رجل جنب وقوم جنب ورجلان جنب وامرأة جنب وإنما هو على تأويل ذو جنب لأنه مصدر والمصدر يقوم مقام ما اضيف اليه ومن العرب من يشي ويجمع ويجعل المصدر بمثابة اسم الفاعل واجنب الرجل وجنب واجتنب وأصل الجنابة البعد قال علقمة

فلا تحرمني نائلاً عن جنابة فإني امرؤ وسط القباب غريب

فاطهروا معناه فتطهروا الا ان التاء ادغم في الطاء فسكن اول الكلمة فزيد فيها الف الوصل فقيل اطهروا

المعنى

لما تقدم الأمر بالوفاء بالعقود ومن جعلتها إقامة الصلاة ومن شرائطها الطهارة بين سبحانه ذلك بقوله (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة) معناه إذا اردتم القيام إلى الصلاة وانتم على غير طهر وحذف الإرادة لأن في الكلام دلالة على ذلك ومثله قوله فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة والمعنى إذا اردت قراءة القرآن وإذا كنت فيهم فإذا اردت ان تقيم لهم الصلاة وهو قول ابن عباس واكثر المفسرين وقيل معناه إذا اردتم القيام إلى الصلاة فعليكم بالوضوء عن عكرمة واليه ذهب داود قال وكان علي (ع) يتوضأ لكل صلاة ويقرأ هذه الآية وكان الخلفاء يتوضون لكل صلاة والقول الأول هو الصحيح واليه ذهب الفقهاء. كلهم وما روه من تجديد الوضوء فمحمول على الندب والاستحباب وقيل ان الفرض كان في بدء الإسلام التوضؤ عند

كل صلاة ثم نسخ بالتخفيف وبه قال ابن عمر قال حدثتني أسماء بنت زيد بن الخطاب ان عبد الله بن حنظلة بن ابي عامر
الفسيل حدثها ان النبي (ص) امر بالوضوء عند كل صلاة فشق ذلك عليه فأمر بالسواك ورفع عنه الوضوء الا من
حدث فكان عبد الله يرى ان فرضه على ما كان عليه فكان يتوضأ وروى سليمان بن بريدة عن ابيه قال كان
رسول الله (ص) يتوضأ لكل صلاة فلما كان عام الفتح صلى الصلاة كلها بوضوء واحد فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله
صنعت شيئا ما كنت تصنعه قال عمداً فعلته يا عمر وقيل ان هذا اعلام بأن الوضوء لا يجب الا للصلاة لأن روي
أن النبي (ص) كان اذا حدث امتنع من الأعمال كلها حتى انه لا يرد جواب السلام حتى يتطهر للصلاة ثم يجب حتى
نزات هذه الآية (فاغسلوا وجوهكم) هذا امر منه سبحانه بغسل الوجه والغسل هو امرار الماء على المحل حتى
يسيل والمسح ان يبيل المحل بالماء من غير ان يسيل واختاف في حد الوجه فالمروي عن أئمتنا عليهم السلام انه من
قصاص شعر الرأس الى محادر شعر الذقن طولاً وما دخل بين الإبهام والوسطى عرضاً وقيل حده ما ظهر من بشرة
الإنسان من قصاص شعر رأسه منحدرًا الى منقطع ذقنه طولاً وما بين الأذنين عرضاً دون ما غطاه الشعر من الذقن
وغيره او كان داخل الفم والانف والعين فلون الوجه عندهم ما ظهر لعين الناظر ويواجهه دون غيره كما قلناه وهو
المروي عن ابن عباس وابن عمر والحسن وقتادة والزهري والشعبي وغيرهم واليه ذهب ابو حنيفة واصحابه وقيل
الوجه كل ما دون ما بابت الشعر من الرأس الى منقطع الذقن طولاً ومن الأذن الى الأذن عرضاً ما ظهر من ذلك
لعين الناظر من منابت شعر الاحية والعارض وما بطن وما كان منه داخل الفم والانف وما اقبل من الأذنين على
الوجه عن انس بن مالك وام سلمة وعمار ومجاهد وسعيد بن جبير وجماعة واليه ذهب الشافعي (وايديكم الى
المرافق) اي واغسلوا ذلك ايضاً والمرافق جمع مرفق وهو المكان الذي يرتفق به اي يتكأ عليه من اليد قال
الواحدي كثير من النحريين يجعلون الى هنا بمعنى مع ويوجبون غسل المرفق وهو مذهب اكثر الفقهاء وقال الزجاج
لو كان معناه مع المرفق لم يكن في المرفق فائدة وكانت اليد كلها يجب ان تغسل لكنه لما قيل الى المرفق
اقتطعت في الغسل من حد المرفق فالمرافق حد ما ينتهي اليه في الغسل منها والظاهر على ما ذكره لكن الأمة اجمعت
على ان من بدأ من المرفقين في غسل اليدين صح وضوؤه واختلفوا في صحة وضوء من بدأ من الأصابع الى المرفق
وأجمعت الأمة ايضاً على ان من غسل المرفقين صح وضوؤه واختلفوا في من لم يغسلها هل يصح وضوؤه وقال الشافعي
لا اعلم خلافاً في ان المرفق يجب غسلها وما جاء في القرآن الى بمعنى مع قوله تعالى من انصاري الى الله اي مع الله
وقوله ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم أي مع أموالكم ونحوه قول امرئ القيس

له كفل كالدهص بلله الندى الى حارك مثل الرجاج المضرب

وفي امثال ذلك كثرة (وامسحوا بروتوسكم) وهذا امر بمسح الرأس والمسح ان تمسح شيئاً بيديك كمسح العرق
عن جبينك والظاهر لا يوجب التعميم في مسح الرأس لأن من مسح البعض يسمى ماسحاً الى هذا ذهب اصحابنا قالوا
يجب ان يمسح منه ما يقع عليه اسم المسح وبه قال ابن عمر وابراهيم والشعبي وهو مذهب الشافعي وقيل يجب مسح
جميع الرأس وهو مذهب مالك وقيل يجب مسح ربيع الرأس فلان رسول الله كان يمسح على ناصيته وهي قريب من ربيع الرأس
عن ابي حنيفة ورويت عنه روايات في ذلك لان طول بذكرها (وارجلكم الى الكعبين) اختلف في ذلك فقال جمهور الفقهاء
ان فرضها الغسل وقالت الإمامية فرضها المسح دون غيره وبه قال عكرمة وقد روي القول بالمسح عن جماعة من الصحابة
والتابعين كابن عباس وانس وابي العالية والشعبي وقال الحسن البصري بالتخيير بين المسح والغسل واليه ذهب
الطبري والجبائي الا انها قالوا يجب مسح جميع القدمين ولا يجوز الاقتصار على مسح ظاهر القدم قال ناصر الحقي
من جملة أئمة الزيدية يجب الجمع بين المسح والغسل وروي عن ابن عباس انه وصف وضوء رسول الله (ص)
فمسح على رجليه وروي عنه انه قال ان في كتاب الله المسح ويأبى الناس الا الغسل وقال الوضوء غسلة ومسحان

وقال قتادة فرض الله غسليتين ومسحيتين وروى ابن عليه عن حميد عن موسى بن انس انه قال لأنس ونحن عنده ان الحجاج خطبنا بالأهرافذ كرا الطهر فقال اغسلوا وجوهكم وايديكم وامسحوا برؤوسكم وانه ليس شي من بني آدم اقرب من خبثه من قدميه فاغسلوا بطونهم وظهورهم وعواقبهم فقال انس صدق الله وكذب الحجاج قال الله تعالى وامسحوا برؤوسكم وارجلكم الى الكعبين قال فكان انس اذا مسح قدميه بلهما وقال الشعبي نزل جبرائيل (ع) بالمسح ثم قال ان في التيمم مسح ما كان غسلا ويقاى ما كان مسحا وقال يونس حدثني من صحب عكرمة الى واسط قال فما رأيت غسل رجله اثنا كان يمسح عليهما واما ما روي عن سادة اهل البيت (ع) في ذلك فأكثر من ان يحصى فمن ذلك ما روى الحسين بن سعيد الاهوازي عن فضالة عن حماد بن عثمان عن غالب بن هذيل قال سألت ابا جعفر (ع) عن المسح على الرجلين فقال هو الذي نزل به جبرائيل وعنه عن احمد بن محمد قال سألت ابا الحسن موسى بن جعفر (ع) عن المسح على القدمين كيف هو فوضع بكفه على الأصابع ثم مسحها الى الكعبين فقلت له لو ان رجلا قال باصبعين من اصابعه هكذا الى الكعبين قال لا إلا بكفه كلها وأما وجه القراءتين في ارجلكم فمن قال بالغسل حمل الجز فيه على انه عطف على برؤوسكم وقال المراد بالمسح هو الغسل وروي عن ابي زيد انه قال المسح خفيف الغسل فقد قالوا تمسحت للصلاة وقوى ذلك بأن التحديد والتوقيت انما جاء في المغسول ولم يجيء في المسح خفيف الغسل فلما وقع التحديد في المسح علم انه في حكم الغسل لموافقته الغسل في التحديد وهذا قول ابي علي الفارسي وقال بعضهم هو خفض على الجوار كما قالوا جحر ضب خرب وخرب من صفات الحجر لا الضب وكما قال امرؤ القيس

كان ثبيراً في عرائين وبله كبير اناس في بجاد مزمل

وقال الزجاج اذا قرأ بالجر يكون عطفا على الرؤوس فيقتضي كونه ممسوحا وذكروا عن بعض السلف انه قال نزل جبرائيل بالمسح والسنة الغسل قال والخفض على الجوار لا يجوز في كتاب الله تعالى ولكن المسح على هذا التحديد في القرآن كالغسل وقال الاخفش هو معطوف على الرؤوس في اللفظ مقطوع عنه في المعنى كقول الشاعر
 * علفتها تبنا وماء بارداً * المعنى وسقيتها ماء بارداً وأما القراءة بالنصب فقالوا فيه انه معطوف على ايديكم لأننا رأينا فقهاء الامصار عملوا على الغسل دون المسح ولما روي ان النبي (ص) رأى قوماً توضأوا واعقابهم تلوح فقال ويل للعراقيب من النار ذكره ابو علي الفارسي واما من قال بوجوب مسح الرجلين حمل الجز والنصب في وارجلكم على ظاهره من غير تعسف فالجر للعطف على الرؤوس والنصب للعطف على موضع الجار والمجرور وامثال ذلك في كلام العرب اكثر من ان تحصى قالوا ليس فلان بقائم ولا ذاهبا وانشد

معاوي اننا بشر فأسجح فلسنا بالجمال ولا الحديد

وقال تابط شرا

هل انت باعك دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق

فعطف بعبد على موضع دينارا فإنه منصوب على المعنى

فإنه لما كانت معنى جنني هات أو احضر لي مثاهم عطف بالنصب على المعنى واجابوا الأولين عما ذكره في وجه الجر والنصب باجوبة نودها على وجه الإيجاز قالوا ما ذكره اولاً من ان المراد بالمسح الغسل فيظهر من وجوه * احدها * أن فائدة اللفظين في اللغة والشرع مختلفة في المعنى وابعدهن ذلك قول الشاعر

جنني بمثل بني بدر لقومهم او مثل اخوة منظور بن سيار

وقد فرق الله سبحانه بين الأعضاء المغسولة وبين الأعضاء الممسوحة فكيف يكون معنى المسح والغسل واحداً * وثانيها * ان الأرجل اذا كان معطوفة على الرؤوس وكان الفرض في الرؤوس المسح الذي ليس

بغسل بلا خلاف فيجب ان يكون حكم الارجل كذلك لأن حقيقة العطف تقتضي ذلك * وثالثها * ان المسح لو كان بمعنى الغسل لسقط استدلالهم بما رووه عن النبي (ص) انه توشأ وغسل رجله لأن على هذا لا ينكر ان يكون مسحهما فمسحوا المسح غسلا وفي هذا ما فيه فأما استشهاد ابي زيد بقولهم تمسحت للصلاة فالمنبى فيه انهم لما ارادوا أن يجربوا عن الطهور بلفظ موجز ولم يجز ان يقولوا تغسلت للصلاة لأن ذلك تشبيه بالغسل قالوا بدلا من ذلك تمسحت لأن المغسول من الاعضاء ممسوح ايضا فتجاوزوا لذلك تعويلا على ان المراد مفهوم وهذا لا يقتضي ان يكونوا جعلوا المسح من اسماء الغسل واما ما قالوه في تحديد طهارة الرجلين فقد ذكر المرتضى (ره) في الجواب عنه ان ذلك لا يدل على الغسل وذلك لأن المسح فعل قد اوجبه الشريعة كالغسل فلا ينكر تحديده كتحديد الغسل ولو صرح سبحانه فقال وامسحوا ارجلكم واتموا بالمسح الى الكعبين لم يكن منكرا فإن قالوا ان تحديد اليدين لما اقتضى الغسل فكذلك تحديد الرجلين يقتضي الغسل قلنا انا لم نوجب الغسل في اليدين للتحديد بل للتصريح بغسلهما وليس كذلك في الرجلين وان قالوا عطف المحدود على المحدود اولى واشبه بترتيب الكلام قلنا هذا لا يصح لأن الأيدي محدودة وهي معطوفة على الوجه التي ليست في الآية محدودة فإذا جاز عطف الارجل وهي محدودة على الرؤوس التي ليست محدودة وهذا اشبه بما ذكرتموه لأن الآية تضمنت ذكر عضو مغسول غير محدود وهو الوجه وعطف عضو محدود مغسول عليه ثم استوفى ذكر عضو ممسوح غير محدود فيجب ان يكون الأرجل ممسوحة وهي محدودة معطوفة على الرؤوس دون غيره ليتقابل الجملةتان في عطف مغسول محدود على مغسول غير محدود وعطف ممسوح محدود على ممسوح غير محدود واما من قال انه عطف على الجوار فقد ذكرنا عن الزجاج انه لم يجوز ذلك في القرآن ومن اجاز ذلك في الكلام فإنما يجوز مع فقد حرف العطف وكل ما استشهد به على الاعراب بالمجاورة فلا حرف فيه حائل بين هذا وذاك وايضا فإن المجاورة إنما وردت في كلامهم عند ارتفاع اللبس والأمن من الاشتباه فإن احدا لا يشبهه عليه ان خربا لا يكون من صفة الضب ولفظة مزمل لا يكون من صفة الجراد وليس كذلك الارجل فإنها تجاوزت ان تكون ممسوحة كالرؤوس وايضا فإن المحققين من النحويين قوا ان يكون الاعراب بالمجاورة جائزا في كلام العرب وقالوا في جرح ضرب خرب انهم ارادوا خرب جرحه فحذف المضاف الذي هو جرح واقيم المضاف اليه وهو الضمير المجرور مقامه واذا ارتفع الضمير استكن في خرب وكذلك القول في كبير اناس في جراد مزمل فتقديره مزمل كبيره فبطل الاعراب بالمجاورة جملة وهذا واضح لمن تدبره واما من جعله مثل قول الشاعر * علفتها تبتا وماء باردا * كأنه قدر في الآية واغسلوا ارجلكم فقوله ابعده من الجميع لأن مثل ذلك لو جاز في كتاب الله تعالى على ضعفه وبعده في سائر الكلام فإنما يجوز اذا استحال حمله على ظاهره واما اذا كان الكلام مستقيما ومعناه ظاهرا فكيف يجوز مثل هذا التقدير الشاذ البعيد واما ما قاله ابو علي في القراءة بالنصب على انه معطوف على الأيدي فقد اجاب عنه المرتضى (ره) بأن قال جعل التأثير في الكلام للقريب اولى من جعله للبعيد فنصب الأرجل عطفًا على الموضع اولى من عطفها على الأيدي والوجه على أن الجملة الأولى المأمور فيها بالغسل قد تقضت وبطل حكمها باستئناف الجملة الثانية ولا يجوز بعد انقطاع حكم الجملة الأولى ان تعطف على ما فيها فإن ذلك يجري مجرى قولهم ضربت زيدا وعمرا واكرمت خالدًا وبكرًا فإن رد بكر الى خالد في الاكرام هو الوجه في الكلام الذي لا يسوغ سواه ولا يجوز رده الى الضرب الذي قد انقطع حكمه ولو جاز ذلك ايضا لرجح ما ذكرناه لتطابق معنى القراءتين ولا يتناقضان فأما ما روي في الحديث انه (ص) قال ويل للعراقب من النار وغير ذلك من الاخبار التي رووها عن النبي (ص) انه توشأ وغسل رجله فالكلام في ذلك انه لا يجوز ان يرجع عن ظاهر القرآن المعلوم بظاهر الاخبار الذي لا يوجب علما وانما يقتضي الظن على ان هذه الاخبار معارضة باخبار كثيرة وردت من طرفهم ووجدت في كتبهم ونقلت عن شيوخهم مثل ما روي عن اوس بن

اوس انه قال رأيت النبي صلى الله عليه وآله توضعاً ومسح على نعليه ثم قام فصلى وعن حذيفة قال اتى رسول الله (ص) سباطة قوم فبال عليها ثم دعابها فتوضأ ومسح على قدميه وذكره ابو عبيدة في غريب الحديث الى غير ذلك مما يطول ذكره وقوله وبيل للعراقيب من النار فقد روي فيه ان قوماً من اجلاف الاعراب كانوا يبولون وهم قيام فيتشرش البول على اعقابهم وارجلهم فلا يغسلونها ويدخلون المسجد للصلاة وكان ذلك سبباً لهذا الوعيد وأما الكعبان فقد اختلف في معناها فعند الإمامية هما العظمان الناتئان في ظهر القدم عند معقد الشراك ووافقهم في ذلك محمد بن الحسن صاحب ابني حنيفة وان كان بوجوب غسل الرجلين الى هذا الموضع وقال جمهور المفسرين والفقهاء الكعبان هما عظما الساقين قالوا ولو كان كما قالوه لقال سبحانه وارجلكم الى الكعبان ولم يقل الى الكعبين لأن على ذلك القول يكون في كل رجل كعبان (وان كنتم جنباً فاطهروا) معناه ان كنتم جنباً عند القيام الى الصلاة فتطهروا وبالغتسال وهو ان تغسلوا جميع البدن والجنابة إنما تكون بانزال الماء الدافق على كل حال او بالتقاء الختانين وحذوة غيبوبة الحشفة في الفرج سواء كان معه انزال او لم يكن (وان كنتم مرضى او على سفر أو جاء احد منكم من الغائط أو لمستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وابدانكم منه) قدم تفسيره في سورة النساء فلا معنى لإعادته (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) معناه ما يريد الله بما فرض عليكم من الوضوء اذا قمتم الى الصلاة والغسل من الجنابة والتيمم عند عدم الماء او تعذر استعماله ليلزمكم في دينكم من ضيق ولا يعتنكم فيه عن مجاهد وجميع المفسرين (ولكن يريد ليطهركم) بما فرض عليكم من الوضوء والغسل من الاحداث والجنابة اي بنظف اجسادكم بذلك من الذنوب واللام دخلت فيه لتبين الارادة اي يريد ذلك لتطهيركم كما قال الشاعر

اريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل

وبؤبد ما قلناه ما روي عن قتادة عن شهر بن جوشب عن ابني امامة ان النبي (ص) قال ان الوضوء بكفر ما قبله (وليتم نعمته عليكم) اي ويريد الله تعالى مع تطهيركم من ذنوبكم بطاعتكم اياه فيما فرض عليكم من الوضوء والغسل اذا قمتم الى الصلاة مع وجود الماء او التيمم عند عدمه ان يتم نعمته بإباحته لكم التيمم وتصويره لكم الصعيد الطيب طهوراً رخصة لكم منه من سوايغ نعمه التي انعم بها عليكم (لعلكم تشكرون) اي لتشكروا الله على نعمته بطاعتكم اياه فيما امركم به ونهاكم عنه وتضمنت هذه الآية احكام الوضوء وصفته واحكام الغسل والتيمم ومسائلها المتفرعة منها كثيرة موضعها الكتب الموافقة في الفقه

قوله تعالى (٧) وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (آية)

اللغة

إنما قال ذات الصدور على لفظ التأنيث لأن المراد بذلك المعاني التي تحمل القلوب ولم يقل ذوات ليني عن التفصيل في كل ذات

المعنى

لما قدم سبحانه ذكر بيان الشرائع عقبه بتذكير نعمه فقال (واذكروا نعمة الله عليكم) ولم يقل نعم الله للاشعار بعظم النعمة لا من جهة الضعيف اذ كل نعمة لله فإنه يستحق عليها اعظم الشكر لكونها اصل النعم اذ هي مثل الخلق والحياة والعقل والحواس والقدرة والآليات وقيل بل لأنه ذهب مذهب الجنس في ذلك وجملة النعم تسمى نعمة كما ان قطاعاً من الارض تسمى ارضاً (وميثاقه الذي واثقكم به) قيل فيه اقوال احدها ان

معناه ما اخذ عليهم رسول الله (ص) عند اسلامهم وبعثتهم بأن يطيعوا الله في كل ما يفرضه عليهم مما ساءهم
 اوسرهم عن ابن عباس والسدي **﴿ وثانيها ﴾** ان المراد بالميثاق ما بين لهم في حجة الوداع من تحريم
 المحرمات وكيفية الطهارة وفرض الولاية وغير ذلك عن ابي الجارود عن ابي جعفر (ع) وهذا داخل في القول
 الأول اذ هو بعض ما فرض الله تعالى **﴿ وثالثها ﴾** ان المراد به متابعتهم للنبي (ص) يوم بيعة العقبه وبيعة
 الرضوان عن ابي علي الجبائي **﴿ ورابعها ﴾** ان معناه ما اخذه عليهم حين اخرجهم من صلب آدم واشهدهم على
 انفسهم الست بربكم قالوا بلى عن مجاهد وهذا اضعف الأقوال (اذ قلتم سمعنا وأطعنا) يعني سمعنا ما تقول
 وأطعناك فيما سمعنا (واتقوا الله) مضى بيانه (ان الله علم بذات الصدور) اي بما تضررونه في صدوركم من المعاصي
 والمراد بالصدور هاهنا القلوب وإنما جاز ذلك لأن موضع القلب الصدر

قوله تعالى (٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ
 شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ
 (٩) وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (١٠) وَالَّذِينَ كَفَرُوا
 وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (ثلاث آيات)

﴿ اللفظة ﴾

جرمت واجرمت بمعنى وقيل معنى لا يجرمكم لا يدخلكم في الجرم كما يقال اثمه اي ادخلته
 في الإثم وتقول وعدت الرجل تريد الخير او وعدت الرجل تريد الشرف اذا ذكرت الموعد قلت فيها جميعا وعدته
 واوعدته فقوله سبحانه وعد الله الذين آمنوا يدل على الخير ثم بين ذلك الخير فقال لهم مغفرة

﴿ الاعراب ﴾

قوامين نصب بأنه خبر كان شهداً نصب على الحال وقوله لهم مغفرة جملة وقعت موقع المفرد كقول الشاعر
 وجدنا الصالحين لهم جزاء
 وجنات وعينا سلسبيلاً
 وتكون الجملة التي هي لهم مغفرة في موضع نصب ولذلك عطف في البيت وعينا ونصب على الموضع
 ويحتمل ان يكون موضع لهم مغفرة رفعا ويكون الموعود به محذوفاً

﴿ المعنى ﴾

لما ذكر سبحانه الوفاء بالعهود بين سبحانه ان ما يلزم الوفاء به ما ذكر في الآية فقال تعالى (يا أيها
 الذين آمنوا كونوا قوامين) اي قائمين لله اي ليكن من عادتكم القيام لله بالحق في انفسكم بالعمل الصالح
 وفي غيركم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ويعني بقوله الله افعلوا ذلك ابتغاء مرضاة الله (شهداء بالقسط) اي
 بالعدل وقيل معناه كونوا دعاة لله مبينين عن دين الله بالعدل والحق والحجج لأن الشاهدين ما يشهد عليه
 وقيل معناه كونوا من أهل العدالة الذين حكم الله تعالى بأن مثلهم يكونون شهداء على الناس يوم القيامة (ولا يجرمكم
 شَنَاَنُ قَوْمٍ) قد ذكرنا معناه في اول السورة قال الزجاج من حرك النون من شَنَاَنُ اراد بغيض قوم ومن
 سكن اراد بغيض قوم ذهب الى ان الشنان مصدر والشنان بالسكون صفة (على الا تعدلوا) اي لا يحملنكم
 بغيضهم اي بغيضكم ايامهم وعلى القول الآخر فتقديره لا يحملنكم بغيض قوم وعدو قوم على الا تعدلوا

في حكمكم فيهم وسيرتكم بينهم فتجوروا عليهم (اعدلوا) أي اعملوا بالعدل أيها المؤمنون في أولياتكم واعدائكم (هو أقرب للتقوى) أي العدل أقرب إلى التقوى (واتقوا الله) أي خافوا عقابه بفعل الطاعات واجتناب السيئات (ان الله خبير) أي عالم (بما تعملون) أي بأعمالكم يجازيكم عليها (وعد الله الذين آمنوا) أي صدقوا بوحداية الله تعالى وأقروا بنبوة محمد (ص) (وعملوا الصالحات) أي الحسنات من الواجبات والمندوبات (أهم مغفرة) أي مغفرة لذنوبهم وتكفير لسيئاتهم والمراد به التغطية والستر (وأجر عظيم) يريد ثوابا عظيما والفرق بين الثواب والأجر ان الثواب يكون جزاء على الطاعات والأجر قد يكون على سبيل المعارضة بمعنى الأجرة والوعدهو الخبر الذي يتضمن النفع من المخبر والوعدهو الخبر الذي يتضمن الضرر من المخبر (والذين كفروا) أي جحدوا توحيد الله وصفاته وانكروا نبوة نبيه (ص) (وكذبوا بآيات الله) أي بدلائله وبراهينه (أو كذبت أصحاب الجحيم) معناه انهم يخلدون في النار لأن المصاحبة تقتضي الملازمة

قوله تعالى (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (آية)

✽ اللغة ✽

الله كره هو حضور المعنى للنفس وقد يستعمل الذكر بمعنى القول لأن من شأنه ان يذكر به المعنى والتذكر طلب المعنى لا طلب القول والهم بالامر هو حديث النفس بفعله يقال هم بالامر بهم هاومنه الهم وهو الفكر الذي يعم وجمعه هموم واهم الامر اذا عني به فحدث نفسه به والفرق بين الهم بالشيء والتصد اليه انه قد يعم بالشيء قبل ان يريد ويقصده بأن يحدث نفسه به وهو مع ذلك مقبل على فعله

✽ المعنى ✽

ثم خاطب الله سبحانه المؤمنين وذكرهم نعمته عليهم بما دفع عنهم كيد الأعداء فقال (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم) أي قصدوا (ان يسطوا اليكم أيديهم) واختلف فيمن بسط اليهم الأيدي على اقوال ✽ أحدها ✽ انهم اليهود هموا بأن يفتكوا بالنبى (ص) وهم بنو النضير دخل رسول الله (ص) مع جماعة من اصحابه عليهم وكانوا قد عاهدوه على ترك القتال وعلى ان يعينوه في الديات فقال (ص) رجل من اصحابي اصاب رجلين معهما امان مني فلزمني ديتها فأريد ان تعينوني فقالوا نعم اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي تسألنا وهموا بالفنك بهم فأذن الله به رسوله فأطلع النبي (ص) اصحابه على ذلك وانصرفوا وكان ذلك احدى معجزاته عن مجاهد وقتادة واكثر المفسرين ✽ وثانيها ✽ ان قريشا بعثوا رجلا ليقول النبي (ص) فدخل عليه وفي يده سيف مسلول فقال له ارنيه فأعطاه فلما حصل في يده قال ما الذي يمنعني من قتلك قال الله يمنعك فرمى السيف واسلم واسم الرجل عمرو بن وهب الجمحي بعثه صفوان بن أمية ليفتاله بعد بدر وكان ذلك سبب اسلام عمرو بن وهب عن الحسن ✽ وثالثها ✽ ان المعنى بذلك ما لطف الله للمسلمين من كفا أعدائهم عنهم حين هموا باستئصالهم بالسيوف شغلهم بهامن الامراض والقحط وموت الأكاره وهلاك النواشي وغير ذلك من الاسباب التي انصرفوا عندها عن قتل المؤمنين عن ابي علي الجبائي ✽ ورابعها ✽ ما قاله الواقدي ان رسول الله (ص) غزا جمعا من بني ذبيان ومحارب بنذي امر فتحصنوا برووس الجبال ونزل رسول الله (ص) بحيث يراه فذهب لحاجته فأصابه مطر فبل ثوبه فنشره

على شجرة واصطجعت تحتها والاعراب ينظرون اليه فجاء سيدهم دعثور بن الحرث حتى وقف على رأسه بالسيف مشهورا فقال يا محمد من يمنعك مني اليوم فقال الله ودفع جبرائيل في صدره ووقع السيف من يده واخذ رسول الله (ص) وقام على رأسه وقال من يمنعك اليوم مني قال لا احد وانا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فنزلت الآية وعلى هذا فيكون تخلص النبي (ص) مما هموا به نعمة على المؤمن من حيث ان مقامه بينهم نعمة عليهم فلذلك اعتد به عليهم وقوله فكف ايديهم عنكم اي منعهم عن الفتك بكم (واتقوا الله) ظاهر المعنى (وعلى الله فليتوكل) اي فليتيق (المؤمنون) بنصر الله وليتواكوا عليه فان الله تعالى كافهم وناصرهم

قوله تعالى (١٢) وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (آية)

✽ اللغة ✽

الميثاق اليمين المؤكدة لأنها يستوثق بها من الأمور وأصل النقيب في اللغة من النقب وهو النقب الواسع ونقب القوم كالقفيل والضمين ينقب عن الاسرار ومكنون الاضمار ومنه نقاب المرأة ومنه المناقب الفضائل لأنها تظهر بالتنقيب عليها والنقب الطريق في الجبل ويقال نقب الرجل على القوم وينقب اذا صار نقيبا وصناعته النقابة ولقد نقب وكذلك عرف عليهم اذا صار عريفا ونكب عليهم ينكب نكابة اذا صار منكبا وهو عون العريف والنقاب الرجل العالم بالاشياء الذكي القلب الكثير البحث عن الأمور والنقبة اول الجرب وجمعها النقب والنقب قال

متبذلا تبدو محاسنه يضع الهناء مواضع النقب

واصل الباب كاه معناه التأثير الذي له عمق ودخول فن ذلك نقبت الحائط اي بلغت في النقب آخره ومن ذلك النقبة في الجرب لأنه داء شديد الدخول والنقبة السراويل التي لا رجلين لها قد بولغ في فتحها وانما قيل نقيب لأنه يعلم دخيلة أمور القوم ويعرف مناقبهم وهو الطريق الى معرفة أمورهم قال ابو عبيدة التعزير التوقير وانشد
وكم من ماجد لهم كريم
ومن ليث يعزر في الندي
اي يعظم والعزر الرد والمنع في قول الفراء تقول عزرت فلانا اذا ادبته وفعلت به ما يردعه عن القبيح ومنه التعزير في النصره والتعظيم لأن ذلك يمنع صاحبه من اراده بسوء والضلال الركوب على غير هدى وسواء كل شي وسطه

✽ الإعراب ✽

انما قال قرضا ولم يقل اقراضا لأنه رده الى قرض قرضا فان في اقراضتم معنى القرض وهذا كقوله والله انبتكم من الارض نباتا ولم يقل انباتا وقال امرو القيس وورضت فذلت صعبه أي اذلال لأن في رضت معنى اذلت

* المعنى *

لما بين سبحانه خيانة اليهود وهمهم بقتله وأنه دفع عنه شرهم عقبه بذكر احوال اليهود وخبث سرائرهم وقبح عاداتهم في خيانة الرسل تسليية لنبيه فيما هموا به فقال (ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل) اي عهدهم الموثوق باليمين باخلاص العبادة له والايمان برسله وما يأتون به من الشرائع (وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا) اي امرنا موسى بأن يبعث من الاسباط الاثني عشر اثني عشر رجلا كالطلائع بتجسسوت وياتون بني اسرائيل بأخبار ارض الشام واهلها الجبارين فاختر من كل سبط رجلا يكون لهم نقيبا اي امينا كفيلا فرجعوا يبنون قومهم عن قتالهم لما رأوا من شدة بأسهم وعظم خلقهم الا رجلين منهم كالب بن يوقنا ويوشع بن نون عن مجاهد والسدي وقيل معناه اخذنا من كل سبط منهم ضمينا بما عقدنا عليهم من الميثاق في امر دينهم عن الحسن والجباثي وقيل معناه اثني عشر رئيسا وقيل شهيدا على قومسه عن قتادة وقال البلخي يجوز ان يكونوا رسلا ويجوز ان يكونوا قادة وقال ابو مسلم بعثوا انبياء ليقوموا الدين ويعلموا الاسباط التوراة ويأمرهم بما فرض الله عليهم وأمرهم به (وقال الله افي معكم) قيل انه خطاب للنقباء عن الربيع وقيل خطاب لبني اسرائيل الذين أخذ منهم الميثاق ويجوز ان يدخل فيهم النقباء عن اكثر المفسرين اي قال الله لهم فحذف لدلالة الكلام عليه اني معكم بالنصر والحفظ انصر كم على عدوي وعدوكم الذين أمرتكم بقتالهم ان قاتلتموهم ووفيتهم بعهدي وميثاقي الذي اخذته عليكم ثم اجدا سبحانه فقال (لئن اقمتم الصلاة) يامعشر بني اسرائيل (وآتيتم الزكاة) اي اعطيتموها (وأمتتم برسلي) اي صدقتم بما آتاكم به رسلي من شرائع ديني وقيل انه خطاب للنقباء (وعزتموهم) اي نصرتموهم عن الحسن ومجاهد والزجاج وقيل عظمتوهم ووقرتوهم واطعتوهم عن ابن زيد وابي عبيدة (وأقرضتم الله قرضا حسنا) اي انفقتم في سبيل الله واعمال البر نفقة حسنة يجازيكم بها فكأنه قرض من هذا الوجه وقيل معنى قوله حسنا عفوا عن طيبة نفس وان لا يتبعه من ولا اذى وقيل يعني حاللا (لا تكفرون عنكم سيئاتكم) اي لا تعطين على ما مضى من اجرامكم بعفوي واسقاطي عنكم وبال ذلك (ولا تدخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار) ظاهر المعنى (فمن كفر بعد ذلك منكم) اي بعد بعث النقباء واخذ الميثاق (فقد ضل سوا السبيل) اي اخطأ قصد الطريق الواضح وزال عن منهاج الحق وفي هذا دلالة واشارة الى ان الحق بين الغلو والتفرط كما روي عن أمير المؤمنين (ع) اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى هي الجادة الى آخر كلامه

قوله تعالى (١٣) **فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** (آية)

* القراءة *

قرأ حمزة والكسائي قسية بغير الف وقرأ الباقون قاسية بالالف

* الحجة *

حجة من قرأ قسبة ان فعلا قديجي بمعنى فاعل مثل شاهد وشهيد وعالم وعليم وعارف وعريف ومن

قرأ قاسية فلأنه الاعرف والاكثر في مجرى العادة

✽ اللغة ✽

القسوة خلاف اللين والرقوة وانشد ابو عبيدة (وقد قسوت وقسا لداتي) اي فارقتي لين الشباب ولدونته فالقاسي الشديد الصلابة قال ابو العباس الدرهم انما يسمى قسيا اذا كان فاسدا زائفا لشدة صوته بالقسو الذي فيه قال ابو زيد يصف وقع المساحي في الحجارة

لها صواهل في صم السلام كما

قال ابو علي احسب قسيا في الدراهم معربا واذا كان معربا لم يكن من القسي العربي في شي الا ان ترى قابوس وابليس وجالوت وطالوت ونحو ذلك من الاسماء الاعجمية التي من الفاظها عربي لا يكون مشتقة من باب القبس والابلاس يدلك على ذلك منهم الصرف فيها والخائنة الخيانة وفاعلة في اساء المصادر كثير نحو عافاه الله عافية واهلكوا بالطاغية وليس لوقعتها كاذبة ويقال سمعت ناعية الغنم وراغية الايل وقد يقال رجل خائنة على المبالغة قال الشاعر

حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن
قوله مغل الاصبغ بدل من خائنة
للغدر خائنة مغل الاصبغ

✽ الإعراب ✽

ما في قولهم فبما نقضهم زائدة مؤكدة اي فبنقضهم ميثاقهم ومثله قول الشاعر ✽ لشي مايسود من يسود ✽ يحرفون في موضع نصب على الحال من قوله فبما نقضهم ميثاقهم اي محرفين الكلام ويجوز ان يكون كلاما مستأنفا ويكون التام عند قوله قاسية وقليل منهم نصب على الاستثناء من الهاء والميم في قوله على خائنة منهم

✽ المعنى ✽

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم) فيه تسلية للنبي (ص) يقول لا تعجبن يا محمد من هؤلاء اليهود الذين هموا ان يبسطوا ايديهم اليك والى اصحابك وينكثوا العهد الذي بينك وبينهم ويفقدوا بك فان ذلك دأبهم وعادة اسلافهم الذين أخذت ميثاقهم على طاعتي في زمن موسى وبعثت منهم اثني عشر نقيبا ففوضوا ميثاقهم وعهدي فلعنهم بنقضهم ذلك العهد والميثاق وفي الكلام محذوف اكتفي بدلالة الظاهر عليه وتقديره فنقضوا ميثاقهم فلعنهم بنقضهم ذلك الميثاق والعهد المؤكداي طردناهم واعدناهم من رحمتنا على وجه العقوبة عن عطا وجماعة وقيل معناه مسخناهم قرده وخنازير عن الحسن ومقاتل وقيل عذبناهم بالجزية عن ابن عباس وكان نقضهم الميثاق من وجوه فمنها انهم كذبوا الرسل وقتلوا الانبياء ونبذوا الكتاب وضيعوا حدوده وفرائضه عن قتادة ومنها انهم كتموا صفقة النبي (ص) عن ابن عباس (وجعلنا قلوبهم قاسية) اي يابسة غليظة تنبو عن قبول الحق ولا تلين عن ابن عباس ومعناه سلبناهم التوفيق والطف الذي تنشرح به صدورهم حتى ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وهذا كما يقول الانسان لغيره افسدت سيفك اذا ترك تماهده حتى صدى وجعلت اظافيرك سلاحا اذا لم يقصها وقيل معناه يبئنا عن حال قلوبهم وماهي عليها من المساواة وحكمنا بانهم لا يؤمنون ولا تنجع فيهم موعدة عن الجاني وقيل معنى قاسية رديئة فاسدة مثل الدراهم القسية اذا كانت زائفة وهذا راجع الى معنى اليبس ايضا لانها تكون يابسة الصوت لما فيها

من الغش والفساد ويقال للرحيم ابن القلب واغير الرحيم يابس القلب (يحرفون الكلم عن مواضعه) اي يفسرونه على غير ما انزل ويغيرون صفة النبي (ص) فيكون التحريف بأمرين * أحدهما * سوء التأويل * والآخر * التغيير والتبديل كقوله تعالى ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله (ونسوا حظا مما ذكروا به) وتركون انصيا بما وعظوا به مما أمروا به في كتابهم من اتباع النبي فصار كالذي عندهم ولو آمنوا به واتبعوه لكان ذلك لهم حظا وقيل معناه ضيعوا ما ذكرهم الله به في كتابه مما فيه رشدهم وتركوا تلاوته ففسدوا على مر الأيام (ولا تزال تطلع على خائنة منهم) يعني على خيانة اي معصية عن ابن عباس وقيل كذب وزور ونقض عهد ومظاهرة للمشركين على رسول الله (ص) وغير ذلك مما كان يظهر من اليهود من انواع الخيانات وقيل ان معناه تطلع على فرقة خائنة اي جماعة خائنة منهم اذا قالوا قولا خالفوه واذا عاهدوا عهدا نقضوه (الا قليلا منهم) لم يخونوا (فاعف عنهم واصفح) ما داموا على عهدك ولم يخونوك عنى بهم القابل الذي استثناهم عن ابي مسلم وقيل معناه فاعف عنهم اذا تابوا وبذلوا الجزية عن الحسن وجمعة بن مبشر واختاره الطبري وقيل انه منسوخ بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الآية عن قتادة وقيل منسوخ بقوله واما تخافن من قوم خيانة فانبدالهم على سواهم عن الجبائي (ان الله يحب المحسنين) ظاهر المعنى

قوله تعالى (١٤) **وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنْتَبَهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ** (آية)

اللغة *

معنى الاغراء تسليط بعضهم على بعض وقيل معناه التحريش واصله اللصوق ويقال غريت بالرجل غري اذا لصقت به عن الاصمعي وقال غيره غريت به غراء ممدود واغريت زيدا بكذا حتى غري به ومنه الغراء الذي تلصق به الاشياء

المعنى *

ثم بين سبحانه حال النصارى في نقضهم ميثاق عيسى (ع) كما بين حال اليهود في نقضهم ميثاق موسى (ع) فقال (ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم) اي ومن الذين ذكروا انهم نصارى اخذنا الميثاق بالتوحيد والاقرار بنبوته المسيح وجميع انبياء الله وانهم كانوا عبيد الله فنقضوا هذا الميثاق واعرضوا عنه وهذا اشارة الى انهم ابتدعوا النصرانية التي هم عليها اليوم وتسموا بها ولهذا لم يقل من النصارى الا انه سبحانه أطلق هذا الاسم في مواضع عليهم لانه صار سمه لهم وعلامة عن الحسن (فانسوا حظا مما ذكروا به) مريبانه (فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء) اختلف فيه فقيل المراد بين اليهود والنصارى عن الحسن وجماعة من المفسرين وقيل المراد بين اصناف النصارى خاصة من اليعقوبية والملكانية والنسطورية من الخلاف والعداوة عن الربيع واختاره الزجاج والطبري واما اغري بينهم العداوة بالاهواء المختلفة في الدين وذلك ان النسطورية قالت ان عيسى ابن الله واليعقوبية قالت ان الله هو المسيح ابن مريم والملكانية وهم الروم قالوا ان الله ثالث ثلاثة الله وعيسى ومريم وقيل يأمر بعضهم ان يعاديه بعضا عن الجبائي فكأنه يذهب الى الامر بمعاداة الكفار وان هؤلاء يكفرون بعضهم بعضا وقوله الى يوم القيامة عنى به ان المعاداة تبقى بينهم الى يوم القيامة اما بين اليهود والنصارى واما بين فرق النصارى وقيل الوجه في قوله تعالى فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء انه اخبر انهم اختلفوا فيما بينهم وكاهم على

خطأ وضلال وقد جعل الله سبحانه على كل مقالة من مقالاتهم التي اخطأوا فيها دلائل عرف بها بعضهم خطأ بعض فتعادوا على ذلك وتباغضوا ولم تعرف كل فرقة منهم خطأ انفسهم فلما لم يصل كل منهم الى المعرفة بخطأ صاحبه الا من جهة كتاب الله ودلائله والتعادي بينهم كان من اجل ذلك جاز ان يقول فاغرينا بينهم على هذا الوجه عن جعفر بن حرث وقيل الوجه في ذلك انا اخطرتنا على بال كل منهم ما يوجب الوحشة والنفرة عن صاحبه وما يهيج العصبية والعداوة عقوبة لهم على تركهم الميثاق (وسوف ينبتهم الله) عند المحاسبة (بما كانوا يصنعون) في الدنيا من نقض الميثاق ويعاقبهم على ذلك بحسب استحقاقهم فكأنه لما قال سبحانه فاعف عنهم واصفح بين بعد ذلك انه من وراء الانتقام منهم وانه سيجازيهم على صنيعهم وقبيح فعلهم

قوله تعالى (١٥) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ
(١٦) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (آياتان كوفي وثلاث عند غيرهم)

= اللغة =

الرضوان والرضا من الله ضد السخط وهو ارادة الثواب بمستحقته وقال قوم هو المدح على الطاعة والثناء وقال علي بن عيسى هو جنس من الفعل يقتضي وقوع الطاعة الخالصة مما يبطؤها ويضاد الغضب قال لأن الرضا بما مضى يصح و ارادة ما مضى لا يصح اذ قد يصح ان يرضى بما كان ولا يصح ان يريد ما كان وهذا الذي ذكره غير صحيح لأن الرضا عبارة عن ارادة حدوث الشيء من الغير غير انها لا تسمى بذلك الا اذا وقع مرادها ولم يتخللها كراهية فتقف تسميتها بالرضا على وقوع المراد الا ان بعد وقوع المراد بفعل ارادة يسمى رضاء بما كان فسقط ما قاله

✽ المعنى ✽

لما ذكر سبحانه ان اليهود والنصارى نقضوا العهد وتركوا ما أمروا به عقب ذلك بدعائهم الى الايمان بحمد (ص) وذكروهم ما أتاهم به من اسرار كتبهم حجة عليهم فقال (يا اهل الكتاب) يخاطب اليهود والنصارى (قد جاءكم رسولنا) محمد (يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) يعني ما بينه (ص) من رجم الزانين واشياء كانوا يحرفونها من كتابهم بسوء التأويل وانما لم يقل يا اهل الكتابين لأن الكتاب اسم جنس وفيه معنى العهد فيسلك الإيجاز في اللفظ من حيث كانوا كأنهم أهل كتاب واحد (ويعفوا عن كثير) معناه بترك كثيرا لا يذكروه ولا يؤخذكم به لأنه لم يأمر به عن ابي علي الجبائي وقيل معناه يصفح عن كثير منهم بالتوبة عن الحسن والوجه في تبين بعضه وترك بعضه انه تبين ما فيه دلالة على نبوته من صفاته ونعمته والبشارة به وما يحتاج الى علمه من غير ذلك مما يتفق له الاسباب التي يحتاج معها الى استعلامه كما اتفق ذلك في الرجم وما عدا هذين مما ليس في تفصيله فائدة كفى ذكره في الجملة (قد جاءكم من الله نور) يعني بالنور محمد (ص) لأنه يهدي به الخلق كما يهتدون بالنور عن قتادة واختاره الزجاج وقيل عنى به القرآن لأنه يبين الحق من الباطل عن ابي علي الجبائي والأول اولى لقوله (وكتاب مبين) فيكون اختلاف اللفظين

لاختلاف المعنيين (يهدي به الله) اي الكتاب المبين وهو القرآن وقيل بالنبي (ص) (من اتبع رضوانه) اي من اتبع رضا الله في قبول القرآن والايمان وتصديق النبي (ص) واتباع الشرائع (سبل السلام) قيل السلام هو الله تعالى عن الحسن والسدي ومعناه سبل الله وهو شرائعه التي شرعها لعباده وهو الاسلام وقيل انه السلامة من كل مخافة ومضرة الا مالا تعبد به لانه يؤول الى النفع في العاقبة عن الزجاج اي يهدي الى طرق السلامة من اتبع ما فيه رضا الله فالسلام والسلامة كالضلال والضلالة والمراد بقوله يهدهي انه يفعل اللطف المؤدي الى سلوك طريق الحق (ويخرجهم من الظلمات الى النور) لان الكفر يتحير فيه صاحبه كما يتحير في الظلام ويهتدي بالايان الى النجاة كما يهتدي بالنور (بأذنه) اي بلطفه (ويهديهم الى صراط مستقيم) اي ويرشدهم الى طريق الحق وهو دين الاسلام عن الحسن وقيل الى طريق الجنة عن ابي علي الجبائي قوله تعالى (١٧) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٨) وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (آيتان)

✽ اللغة ✽

الأحباء جمع الحبيب والحب المحبة وقد يكون بمعنى الإرادة وقد يكون بمعنى الشهوة وقد يستعمل في كل واحد منها يقال أحب استقامة أمورك وأحب جاريتي

✽ الاعراب ✽

اللام في قوله لقد كفر جواب القسم وتقديره اقسام لقد كفر الذين قالوا وانما قال وما بينهما ولم يقل وما بينهما مع انه ذكر السماوات على الجمع لانه اراد به النوعين أو الصنفين كما قال الشاعر
طرقا فتلك هما همي افرئهما
فقال طرقا ثم قال فتلك هما همي

✽ المعنى ✽

ثم حكى سبحانه عن النصارى ما قالوا في المسيح (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم) كفرهم الله سبحانه بهذا القول لانهم قالوه على وجه التدين به والاعتقاد لا على وجه الإنكار وانما كفروا بذلك لوجهين ✽ احدهما ✽ انهم كفروا بالنعمة من حيث اضافوا الى غير الله ممن ادعوا لهيته ✽ والاخر ✽ انهم كفروا بانهم وصفوا المسيح وهو محدث بصفات الله سبحانه فقالوا له وكل جاهل بالله كافر لانه لما ضيع نعمة الله تعالى كان بمنزلة من اضافها الى غيره (قل) يا محمد (فمن يملك من الله شيئا) اي من يقدر ان يدفع من امر الله شيئا من قولهم ملكت على فلان امره اذا اقتدرت عليه حتى لا يمكنه انفاذ شيء من امره الا بك وتقديره من يملك من امر الله شيئا (ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن في الأرض جميعا) عنى بذلك انه لو كان المسيح لها لقدرة على دفع امر الله تعالى اذا اراد اهلاكه واهلاك غيره وليس

بقادر عليه لاستحالة القدرة على مغالبة القديم اي فكيف يجوز اعتقاد الربوبية فيه مع انه مسخر مرئوب مقهور
وقيل معناه ان من قدر على هذا لم يجوز ان يكون معه إله ولا ان يشبه شي (والله ملك السموات والارض
وما بينهما) ومن كان بهذه الصفة فلا ثاني له وذلك يدل على ان المسيح ملك له واذا كان ملكا له لم يكن إلهاً
ولا ابناً له لان المملوك لا يجوز ان يكون مالكا فكيف يكون إلهاً وقوله (يخلق ما يشاء) اي يخلق ما يشاء
ان يخلقه فان شاء خلق من ذكر وأنثى وان شاء خلق من أنثى غير ذكر فدل بها على انه ليس في كون
المسيح من أنثى بغير ذكر دلالة على كونه إلهاً وقوله (والله على كل شي قدير) اي يقدر على كل شي يريد ان
يخلقه وفي هذه الآية رد على النصارى القائلين بأن الله جل جلاله اتحد بالمسيح فصار الناسوت لاهوتا يجب
ان يعبد وينخذل لها فاحتج عليهم بأن من جاز عليه الهلاك لا يجوز ان يكون إلهاً وكذلك من كان مولوداً مربوباً
لا يكون رباً ثم حكى عن الفرقيين من اهل الكتاب فقال (وقالت اليهود والنصارى نحن ابناؤه واحباؤه) قبل ان اليهود
قالوا نحن في القرب من الله بمنزلة الابن من أبيه والنصارى لما قالوا للمسيح ابن الله جعلوا نفوسهم ابناً لله واحباؤه
لانهم تأملوا ما في الانجيل من قول المسيح اذهب الى ابي وأطيعك عن الحسن وقيل ان جماعة من اليهود منهم كعب بن
الأشرف وكعب بن اسيد وزيد بن النابوه وغيرهم قالوا لنبي الله حين حذرهم بنعمات الله وعقوباته لا تتخوفنا فإننا
ابناء الله واحباؤه فان غضب علينا فأنا يغضب كغضب الرجل على ولده يعني انه يزول عن قريب عن ابن
عباس وقيل انه لما قال قوم ان المسيح ابن الله اجري ذلك على جميعهم كما تقول العرب هذيل شعراء ابي
فيهم شعراء وكما قالوا في رهط مسيلمة قالوا نحن انبياء اي قال قائلهم وكما قال جرير * ندسنا ابا مندوسة
القين بالقنا * فقال ندسنا وانما كان النادس رجل من قوم جرير ثم قال تعالى لنبيه محمد (ص) (قل) هؤلاء المفترين
على ربهم (فلم يعذبكم بذنوبكم) اي فلا شيء يعذبكم بذنوبكم ان كان الأمر على ما زعمتم فإن الأب يشفق
على ولده والحبيب على حبيبه فلا يعذبه وهم يقرون بأنهم يعذبون لانهم لو لم يقولوا به كذبوا بكتابتهم وقد أقرت اليهود
بأنهم يعذبون اربعين يوماً عدداً لا يام التي عبدوا فيها العجل وقيل ان معناه الماضي وان كان لفظه المستقبل اي
فلم عذبكم الله وقد اقررتم بأنه عذبكم عند عبادتكم العجل وعذبكم بأن جعل منكم القردة والخنازير وخلي بينكم وبين
بخت نصر حتى فعل بكم ما فعل والحبيب لا يعذب حبيبه فلو كنتم احباؤه لما عذبكم (بل انتم بشر من خلق)
اي ليس الأمر على ما قلتم انكم ابناؤه الله واحباؤه بل انتم خلق من نبي آدم ان احسبتم جوزيتم على احسانكم
وان اسأتم جوزيتم على اساءتكم كما يجازى غيركم وليس لكم عند الله الا ما لغبركم من خلقه (يغفر لمن يشاء
ويعذب من يشاء) انما علق العذاب بالمشيئة مع انه سبحانه لا يشاء العقوبة الا لمن كان عاصياً لما في ذلك
من البلاغة والابحار برد الأمور الى العالم الحكيم الذي يجريها على وجه الحكمة (والله ملك السموات والارض)
يملك ذلك وحده لا شريك له يعارضه (وما بينهما) اي ما بين الصنفين ودل بذلك على انه لا ولد له لان
الولد يكون من جنس الوالد فلا يكون مملوكاً له (واليه المصير) معناه يؤول اليه امر العباد فلا يملك ضرهم ونفعهم
غيره لانه يبطل تملكه لغبره ذلك اليوم كما يقال صار امرنا الى القاضي وانما يراد بذلك انه المتصرف فينا
والأمر لنا لا على معنى قرب المكان

قوله تعالى (١٩) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ
تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ بِشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (آية)

* اللغة *

الفترة فعلة من فتر عن عمله يفتر فتوراً اذا سكن فيه وفترته عنه والفترة انقطاع ما بين التبيين عند جميع المفسرين والاصل فيها الانقطاع عما كان الامر عليه من الجهد في العمل وقتر الماء اذا انقطع عما كان عليه من البرد الى السخونة وامرأة فاترة الطرف اي منقطعة عن حدة النظر

* الإعراب *

موضع ان تقولوا نصب عند البصريين وتقديره كراهة ان تقولوا فحذف المضاف الذي هو مفعول له وأقيم المضاف اليه مقامة وقال الكسائي والفراء تقديره لثلاثا تقولوا ومن في قوله من بشير مزبدة وفائدتها نفي الجنس وموضع الجار والمجرور رفع تقديره ما جاءنا بشير ولا نذير

* المعنى *

ثم عاد سبحانه الى خطاب اهل الكتاب وحجاجهم واستعطفهم والزاهمهم بالحجة برسول الله (ص) فقال (يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا) يعني محمدا (ص) (يبين لكم) اي يوضح لكم اعلام الدين وفيه دلالة على انه سبحانه اختصه من العلم بما ليس مع غيره (على فترة من الرسل) اي على انقطاع من الرسل ودروس من الدين والكتب وفيه دلالة على ان زمان الفترة لم يكن فيه نبي وكان الفترة بين عيسى ومحمد (ص) وكانت النبوة متصلة قبل ذلك في بني اسرائيل وروي عن ابن عباس انه لم يكن بينهما الا اربعة من الرسل واختلفوا في هذه الفترة لينها فقيل ستائة سنة عن الحسن وقتادة وقيل خمائة سنة وستون عن قتادة في رواية اخرى وقيل اربعمائة وبضع وستون سنة عن الضحاك وقيل خمائة وشي عن ابن عباس وقيل كان بين ميلاد عيسى ومحمد (ص) خمائة وتسع وستون سنة وكان بعد عيسى اربعة من الرسل وهو قوله تعالى اذ ارسلنا اليهم اثنتين فكذبوهما ففرزنا بثالث ولا ادري من الرابع فكان من تلك المدة مائة واربع وثلاثون سنة نبوة وسائرها فترة عن الكلبي (ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير) معناه قد جاءكم رسولنا كراهة ان تقولوا او لأن لا تقولوا محتجين يوم القيامة ما جاءنا بشير بالثواب على الطاعة ولا نذير بالعقاب على المعصية ثم بين سبحانه انه قد قطع عنهم عذرهم وازاح عنهم بإرسال رسوله فقال (فقد جاءكم بشير ونذير) وهو محمد (ص) يبشر كل مطيع بالثواب ويخوف كل عاص بالعقاب (والله على كل شيء قدير) ظاهر المعنى وفي هذه الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة لأن الحجة بمنع القدرة او كد من الحجة بمنع اللطف وتكون الحجة في ذلك لمن يعلم الله تعالى ان بعثة الأنبياء مصلحة لهم فإذا لم تبعث تكون لهم الحجة فأما من لا يعلم ذلك منهم فلا حجة لهم وان لم تبعث اليهم الرسل قوله تعالى (٢٠) واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين (٢١) يا قوم اذخلو الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على آدابكم فتنقلبوا خاسرين (آبثان)

* اللغة *

اصل التقديس التطهير ومنه قيل لاسطل الذي يتطهر به القدس ومنه تسييح الله وتقديسه وهو تنزيهه عما لا يجوز عليه من الصاحبة والولد وفعل الظلم والكذب

* الإعراب *

انبياء لا ينصرف معرفة ولا نكرة لعلامة التانيث ولزومها بخلاف علامة التانيث في حمزة وقائمة
فإنها لا تازم فلذلك انصرف في النكرة وقوله خاسرين منصوب على الحال من الواو في فتنقلبوا

* المعنى *

ثم ذكر سبحانه صنع اليهود في المخالفة لنبينهم تسليمة لبينا (ص) ومخالفتهم اياه فقال (واذ قال موسى
لقومه) اي واذا كر يا محمد اذ قال موسى لهم (يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم) وأياديه لديكم والآية فيكم
(اذ جعل فيكم انبياء) يخبرونكم بانبياء الغيب وتنصرون بهم على الأعداء ويبينون لكم الشرائع وقيل هم
الأنبياء الذين كانوا بعد موسى مقيمين فيهم الى زمن عيسى يبينون لهم امر دينهم (وجعلكم ملوكا) بأن
سخر لكم من غيركم خدما يخدمونكم عن قتادة وقيل انما خاطبهم موسى بذلك لأنهم كانوا يملكون الدور
والخدم ولهم نساء وازواج وكل من ملك ذلك ولا يدخل عليه الا بأمره فهو ملك كأننا من كان عن عبد
الله بن عمر وابن العاص وزيد بن اسلم والحسن وبوئيد ذلك ماروي عن النبي (ص) انه قال من اصبحت آمننا
في سره معافى في بدنه وعنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا مجذا فيرها وقيل الملك هو الذي له ما يستغني
به عن تكلف الاعمال وتحمل المشاق والتسكع في المعاش عن ابي علي الجبائي وقيل انهم جعلوا ملوكا باليمن
والسلوى والحجر والغمام عن ابن عباس ومجاهد وقيل لا يمتنع ان يكون الله سبحانه جعل لهم الملك والسلطان
ووسع عليهم التوسعة التي يكون بها الانسان ملكا عن ابي القاسم البلخي (وأنا كم ما لم يوث احدنا من العالمين)
اي اعطاكم ما لم يوث احدنا من عالمي زمانهم عن الحسن والبلخي وقيل معناه اعطاكم من اجتماع هذه الأمور
وكثرة الأنبياء (ع) والآيات التي جاءتهم وانزال المن والسلوى عليهم عن الزجاج والجبائي واختلفوا
في المخاطب بقوله وأنا كم قليل هم قوم موسى (ع) عن ابن عباس ومجاهد وغيره وهو الاظهر وقيل هم أمة
النبي (ص) عن سعيد بن جبير وابي مالك ثم كفهم سبحانه دخول الأرض المقدسة بعد ذكر النعم فقال
(يا قوم) حكاية عن خطاب موسى (ع) لقومه (ادخلوا الأرض المقدسة) وهي بيت المقدس عن ابن عباس والسدي
وابن زيد وقيل هي دمشق وفلسطين وبعض الأردن عن الزجاج والفرأه وقيل هي الشام عن قتادة وقيل
هي ارض الطور وما حوله عن مجاهد والمقدسة المطهرة طهرت من الشرك وجعلت مكانا وقرارا للأنبياء
والمؤمنين (التي كتب الله لكم) اي كتب في اللوح المحفوظ انها لكم وقيل معناه وهب الله لكم عن ابن
عباس وقيل معناه امركم الله بدخولها عن قتادة والسدي فإن اعترض معارض فقال كيف كتب الله لهم مع
قوله فإنها محرمة عليهم فجوابه انها كانت هبة من الله لهم ثم حرمها عليهم عن ابن اسحاق وقيل ان المراد به
الخصوص وان كان الكلام على العموم فصار كأنه مكتوب لبعضهم وحرام على البعض والذين كتب الله لهم
دخولها هم الذين كانوا مع يوشع بن نون بعد موت موسى (ع) بشهرين (ولا تردوا على اديباركم) اي لا ترجعوا
عن الأرض التي أمرتم بدخولها عن اكثر المفسرين وقيل لا ترجعوا عن طاعة الله الى معصيته عن الجبائي
(فتنقلبوا خاسرين) الثواب في الآخرة وانما قال ذلك لأنهم كانوا أمروا بدخولها كما أمروا بالصلاة وغيرها عن
قتادة والسدي وقيل انهم لم يوثمروا بذلك فيكون المراد فتنقلبوا خاسرين حظكم في دخولها كما يقال خسر
في البيع فلان

❖ القصة ❖

قال المفسرون لما عبر موسى وبنو اسرائيل البحر وهلك فرعون امرهم الله سبحانه بدخول الأرض المقدسة فلما نزلوا على نهر الأردن خافوا من الدخول فبعث موسى من كل سبط رجلا وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا فعابنوا من عظم شأنهم وقوتهم شيئا عجيبا فرجعوا إلى بني اسرائيل فأخبروا موسى (ع) بذلك فأمرهم ان يكتبوا ذلك فوفى اثنان منهم يوشع بن نون من سبط بن يامين وقيل انه كان من سبط يوسف وكالب بن يوقنا من سبط يهوذا وعصى العشرة واخبروا بذلك وقيل كتبت الخمسة منهم واظهر الباقون وفشا الخبر في الناس فقالوا ان دخلنا عليهم تكون نساوتنا واهالينا غنيمة لهم وهووا بالانصراف إلى مصر وهووا بيوشع وكالب وارادوا ان يرجعوا بالحجارة فاغتاظ لذلك موسى وقال رب اني لا املك الانفسي واخي فأوحى الله اليه انهم يتيهون في الأرض اربعين سنة وانما يخرج منهم من لم يعص الله في ذلك فبقوا في التيه اربعين سنة في ستة عشر فرسخا وقيل تسعة فراسخ وقيل ستة وهم ستماية الف مقاتل لا يتحرق ثيابهم وثبت معهم وينزل عليهم المن والسوى ومات النقباء غير يوشع بن نون وكالب ومات اكثرهم ونشأ ذرارهم فخرجوا إلى حرب اريحا وفتحوها واختلفوا فيمن فتحها فقبل فتحها موسى ويوشع على مقدمته وقيل فتحها يوشع بعد موت موسى (ع) وكان قد توفي موسى وبعثه الله نبيا وروي انهم كانوا في المحاربة اذ غابت الشمس فدعا يوشع فرد الله تعالى عليهم الشمس حتى فتحوا اريحا وقيل كانت وفاة موسى وهارون (ع) في التيه وتوفي هارون قبل موسى بسنة وكان عمر موسى (ع) مائة وعشرين سنة في ملك افريدون ومنوجهر وكان عمر يوشع مائة وستة وعشرين سنة وبقي بعد وفاته مدبرا لا مر بني اسرائيل سبعا وعشرين سنة

قوله تعالى (٢٢) قَالُوا يَا مُوسَى إِن فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٣) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أُنْعِمِ اللَّهُ عَلَيْهِمَا أَذْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمْ فَأَنْتُمْ غَائِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ قَتْلُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٤) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبِّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ (اربع آيات) بصري ثلاث عند الباقيين عند بصري غالبون وقوله جبارين مما يشكل ولا يعده الجميع

= اللغة =

الجبار هو الذي لا ينال بالقهر واصله في النخل وهو ما فات اليد طولا والجبار من الناس هو الذي يجبرهم على ما يريد والجبر جبر العظم وهو كالأكره على الصلاح وقال المعجاج

قد جبر الدين الآله فجبر وعور الرحمن من ولى العور

والجبار في صفة الله تعالى صفة تعظيم لانه يفيد الاقتدار وهو سبحانه لم يزل جبارا بمعنى ان ذاته تدعو العارف بها إلى تعظيمها والفرق بين الجبار والقهار ان القهار هو الغالب لمن ناوأه أو كان في حكم المناوي بمعصيته اياه ولا يوصف سبحانه فيما لم يزل بأنه قهار والجبار في صفة المخلوقين صفة ذم لانه يتعظم بما ليس له فإذن العظمة لله سبحانه

* الاعراب *

فاذهب انت وربك انا اتي بالضمير المرفوع المنفصل تا كيداً للضمير المستكن في اذهب ليصح العطف عليه فإنه يقبح العطف بالاسم الظاهر على الضمير المستكن والمنفصل من غير ان يوكد لأنه يصير كأنه معطوف على الفعل اذا عطف على ما هو متصل بالفعل غير مفارق له ولا يجوز ان يقال انه ابرز الضمير فان الضمير اذا ابرز يصير الفعل خالياً منه وقوله اذهب غير فارغ من الضمير وانما حسن العطف على الضمير المتصل في قوله فاجمعوا امركم وشركاءكم لأن ذكر المفعول صار عوضاً من الضمير المنفصل كما كان لا في قوله لو شاء الله ما اشركنا ولا اباءً وانا عوضاً منه .

* المعنى *

ثم ذكر جواب القوم فقال سبحانه (قالوا) يعني بني اسرائيل (يا موسى ان فيها) اي في الأرض المقدسة (قوما) اي جماعة (جبارين) شديدي البطش والبأس والخلق قال ابن عباس بلغ من جبرية هؤلاء القوم انه لما بعث موسى (ع) من قومه اثني عشر نقيبا ليخبروه خبرهم رأهم رجل من الجبارين يقال له عوج فأخذهم في كه مع فاكهة كان حملها من بستانه واتى بهم الملك فنثرهم بين يديه وقال للملك تعجباً منهم هؤلاء يريدون قتالنا فقال الملك ارجعوا الى صاحبكم فاخبروه خبرنا قال مجاهد وكل فاكهتهم لا يقدر على حمل عنقود منها خمسة رجال بالخشب ويدخل في قشر نصف رمانة خمسة رجال وان موسى (ع) كان طوله عشرة اذرع وله عصا طولها عشرة اذرع ونزا من الأرض مثل ذلك فبلغ كعب عوج بن عنق فقتله وقيل كان طول سريره ثمانمائة ذراع (وانا ان ندخلها) يعني لقتلهم (حتى يخرجوا منها فان يخرجوا) يعني الجبارين (منها) فان نادوا (خولون) (قال رجلان) من جملة النقباء الذين بعثهم موسى ليعرف خبر القوم وقيل هما يوشع بن نون و كالب ابن يوقنا عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة والربيع وقيل رجلان كانا من مدينة الجبارين وكانا على دين موسى لما بلغها خبر موسى جاءه فاتبعاه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (من الذين يخافون) الله تعالى (انعم الله عليهما) بالإسلام عن قتادة والحسن وقيل يخافون الجبارين اي لم يمنهم الخوف من الجبارين أن قالوا الحق انعم الله عليهما بالتوفيق للطاعة عن الجبائي وكان سعيد بن جبير يقرأ يخافون بضم الياء وروي تأويل ذلك عن ابن عباس انها كانا من الجبارين انعم الله عليهما بالإسلام (ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون) أخبر عن الرجلين انها قالا ادخلوا يابني اسرائيل على الجبارين باب مدينتهم وانما علموا انهم يظفرون بهم ويقتلونهم اذا دخلوا باب مدينتهم لما أخبر به موسى (ع) من وعد الله تعالى بالنصرة وقيل لما رأوه من إلقاء الله الرعب في قلوب الجبارين فعلموا انهم ان دخلوا الباب غلبوا (وعلى الله فتوكلوا) في نصرته الله على الجبارين ان كنتم مؤمنين) بالله وبما اتاكم به رسوله من عنده ثم أخبر عن قوم موسى بأنهم (قالوا يا موسى انا ان ندخلها) اي هذه المدينة ابداً (ماداموا) اي ما دلم الجبارون (فيها) وانما قالوا ذلك لانهم جبنوا وخافوا من قتالهم اعظم اجسامهم وشدة بطشهم ولم يثقوا بوعد الله سبحانه بالنصرة لهم وعليهم (فاذهب) يا موسى (انت وربك فقأتلا) الجبارين (انا هاهنا قاعدون) الى ان تظفر بهم وترجع الينا فيحينئذ ندخل وانما لم ينكر موسى عليهم قولهم اذهب انت وربك لامرين **احدهما** ان الكلام كله يدل على الإنكار عليهم والتمعجب من جهلهم في تلقيهم امر ربهم بالرد له والمخالفة عليه **والآخر** انهم انما قالوا ذلك مجازاً بمعنى وربك معين لك على ما قاله أبو القاسم البلخي والأول اليق بجمل اولئك القوم قال الحسن هذا القول منهم يدل على انهم كانوا مشبهة وبذلك عبدوا العجل ولوعرفوا الله تعالى حق معرفته لما عبدوا العجل وقال الجبائي ان كانوا قالوا ذلك على وجه الذهاب

من مكان الى مكان فإنه كفر وان قالوا على وجه الخلاف فإنه فسق واما قوله سبحانه قاتلهم الله اني يوسفكون فإنه مجاز والمعنى انه يعاديههم عداوة المقاتل ويحل بهم ما يحل للمقاتل المستعلي بالاعتدار وعظم السلطان بن يقااله قوله تعالى (٢٥) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٦) قَالَ فَإِنَّهَا مُحْرَمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (آبتان)

✽ اللغة ✽

اصل التيه التحير الذي لا يهتدى لاجله للخروج عن الطريق الى الغرض المقصود يقال تاه بتيه تيهاً وتيوها اذا تحير وتيهته وتوهته والياء اكثر والتهيهاء من الأرض هي التي لا يهتدى فيها وارض تيهاء والأسى الحزن يقال اسي يأسى أسا اذا حزن قال امرؤ القيس

وقوفا بها صحبي علي مطيهم

✽ الإعراب ✽

أخي يجوز ان يكون في موضع رفع ويجوز ان يكون في موضع نصب ورفعه من وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون عطفا على موضع اني ومثله ان الله بري من المشركين ورسوله ﴿ والآخر ﴾ ان يكون معطوفا على ما في املك اي لا املك انا وأخي الا انفسنا ونصبه ايضا من وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون عطفا على الياء في اني اي اني واخي لا نملك الا اتسنا ﴿ والآخر ﴾ ان يكون عطفا على نفسي اي لا املك الا نفسي ولا املك الا أخي واربعين نصب على الظرف والعامل فيه قوله يتيهون وقيل هو منصوب بقوله محرمة قال الزجاج هذا خطأ لأنه جاء في التفسير انها محرمة عليهم ابدأ

✽ المعنى ✽

ثم ذكر سبحانه دعاء موسى على قومه عند مخالفتهم اياه فقال تعالى (قال) اي قال موسى (ع) اذ غضب على قومه (رب اني لا املك الا نفسي) اي لا املك الا تصريف نفسي في طاعتك لأنها التي تحييني اذا دعوت (وأخي) اي واخي كذلك لا يملك الا نفسه او يكون معناه ولا املك أيضا الا أخي لانه يحييني اذا دعوت (فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) اي فافصل بيننا وبينهم بحكمك وسماهم فاسقا وان كانوا قد كفروا بالرد على نبيهم لخروجهم من الايمان الى الكفر والفسق الخروج من الطاعة الى المعصية والكفر من اعظم المعاصي قال الله تعالى الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه وقيل في سوال موسى الفرق بينه وبينهم قولان ﴿ احدهما ﴾ انه سأل تعالى ان يحكم ويقضي بما يدل على بعدهم عن الحق والصواب فيما ارتكبوا من العصيان ولذلك القوا في التيه عن ابن عباس والضحاك ﴿ والآخر ﴾ انه سأل ان يفرق بينه وبينهم في الآخرة بأن يكون هو لاه في النار ويكون في الجنة ولوداع عليهم بالهلاك لأهلكوا عن الجبائي (قال) اي قال الله سبحانه لموسى (ع) (فإنها محرمة عليهم) اي ان الأرض المقدسة حرمت عليهم وفي كيفية التحريم قولان ﴿ احدهما ﴾ انه تحريم منع كقول امرؤ القيس

جالت لتصرعني فقلت لها اقصري

اني امرؤ صرعي عليك حرام
يعني دابته التي هو راكبها ويريد بذلك اني فارس لا نملكيني ان تصرعيني وقيل يجوز ان يكون تحريم تمبد عن ابي علي الجبائي والأول أظهر وقال البلخي يجوز ان يكونوا امرؤا بأن يطوفوا فيه (اربعين سنة يتيهون في الأرض) يعني يتحيرون في المسافة التي بينهم وبينها لا يهتدون الى الخروج منها وكان مقداره ستة فراسخ عن الربيع كانوا يصبحون حيث امسوا ويمسون حيث اصبحوا عن الحسن ومجاهد وقال اكثر المفسرين ان موسى

وهارون كانا معهم في التيه وقيل ايضا انها لم يكونا في التيه لأن التيه عذاب وعذبوا عن كل يوم عبدوا فيه العجل سنة والأنبيا . لا يعذبون قال الزجاج ان كان في التيه فجايز ان يكون الله تعالى سهل عليها ذلك كما سهل على ابراهيم النار فجعلها عليه بردا وسلاما وشأنها الاحراق ومات موسى (ع) في التيه وفتح المدينة يوشع وصي موسى بعده وكان يوشع بن اخت موسى ووصيه والنبي في قومه بعده عن ابن عباس وقيل لم يمت في التيه عن الحسن ومجاهد قالا وفتح المدينة موسى ومتى سئل فقيل كيف يجوز على عقلاء كثيرين ان يسيروا في فراسخ يسيرة فلا يهتدوا للخروج منها فالجواب عنه من وجهين * احدهما * ان يكون ذلك بأن تحول الأرض التي هم عليها اذا ناموا فيردوا الى المكان الذي ابتدأوا منه عن ابي علي (ع) والآخر * ان يكون ذلك بالأسباب المانعة من الخروج عنها إما بان تمنى العلامات التي يستدل بها او بان يلقي شبه بعضها على بعض ويكون ذلك معجزة خارقا للعادة وقال قتادة لم يدخل بلد الجبارين احد من القوم الا يوشع بن نون وكاب بن يوقنا بعد موت موسى بشهرين وانما دخلها اولادهم معها (فلا تأس على القوم الفاسقين) خطاب لموسى (ع) امره الله تعالى ان لا يحزن على اهلاكهم لفسقهم وقال الزجاج هو خطاب للنبي (ص)

قوله تعالى (٢٧) وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (آية)

* اللغة *

القربان ما يقصد به القرب من رحمة الله من اعمال البر وهو على وزن فعلان من القرب كالفرقان من الفرق والشكران والكفران من الشكر والكفر وقرايين الملك جلساؤه لقربهم اليه

* الاعراب *

اذ قربا متعلق بقوله نبأ والتقدير خبر ابني آدم وما جرى منهما حين قربا قربانا اي قرب كل واحد منهما قربانا فجمعهما في الفعل وافرد الاسم لانه يستدل بفعلهما على أن لكل واحد منهما قربانا وقيل ان القربان اسم جنس فهو يصلح للواحد وللعدد على انه مصدر من قرب الرجل قربانا

* المعنى *

(واتل) اي واقرأ (عليهم) يا محمد (نبأ ابني آدم) اي خبرهما (بالحق) اي بالصدق واجمعوا على انها كانا ابني آدم لصلبه الا الحسن فإنه قال كانا رجلين من بني إسرائيل (اذ قربا قربانا) اي فعلا فعلا يتقرب به الى الله تعالى (فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر) تقبل الطاعة بإيجاب الثواب عليها قالوا وكانت علامة القبول في ذلك الزمان نارا تأتي فتأكل المتقبل ولا تأكل المردود وقيل كانت النار تأكل المردود عن مجاهد والاول أظهر قال (لا تقتلنك) في الكلام حذف التقدير قال الذي لم يتقبل منه للذي تقبل منه لا تقتلنك فقال له لم تقتلني (قال) انه تقبل قربانك ولم يتقبل قرباني قال له وما ذنبي (انما يتقبل الله من المتقين) لامعاصي فاطلق للعالم بأن المراد انها احق ما يجب ان يخاف منه قال ابن عباس اراد انما يتقبل الله من كان زاكي القلب ورد عليك لانك است بزكي القلب واستدل بهذا على ان طاعة الفاسق غير مقبولة لكنها تسقط عقاب تركها وهذا لا يصح لأن المعنى ان الثواب انما يستحقه من يوقع الطاعة لكونها طاعة فأما اذا فعلها لغير ذلك فلا يستحق عليها ثوابا ولا يجتمع على هذا ان يقع من الفاسق طاعة يوقعها على الوجه الذي يستحق عليه الثواب فيستحقه

* النظم *

ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها ان الله تعالى اراد ان يبين ان حال اليهود في نقض العهد ارتكاب الفواحش

كارتكاب ابن آدم في قتله اخاه وما عاد عليه من الرمال بتعديده فأمر نبيه (ص) ان يتلو عليهم اخبارها تأسلية لنبيه (ص) فيما ناله من جهلهم وتكذيبهم وتبكيته لليهود

❖ القصة ❖

قالوا ان حواء امرأة آدم كانت تلد في كل بطن غلاما وجارية فولدت اول بطن قابيل بن آدم وقيل قابيل وتوأمته اقليما بنت آدم والبطن الثاني هابيل وتوأمته ابودا فلما ادر كوا جميعا امر الله تعالى ان ينكح آدم قابيل اخت هابيل وهابيل اخت قابيل فرضي هابيل وابي قابيل لأن اخته كانت أحسنهما وقال ما امر الله سبحانه بهذا ولكن هذا من رأيك فأمرهما آدم ان يقربا قربانا فرضيا بذلك فعدا هابيل وكان صاحب ماشية فأخذ من خير غنمه زبدا ولبنا وكان قابيل صاحب زرع فأخذ من شر زرعه ثم صعدا فوضعا القربانين على الجبل فأثت النار فأكلت قربان هابيل وتجنبت قربان قابيل وكان آدم غائبا عنهما بمكة خرج اليها ليزور البيت بأمر ربه فقال قابيل لا عشت يا هابيل في الدنيا وقد تقبل قربانك ولم يتقبل قرباني وتريد ان تأخذ اختي الحسناء. وأخذ اختك القبيحة فقال له هابيل ما حكاه الله تعالى فشدخه بحجر فقتله روي ذلك عن ابي جعفر الباقر (ع) وغيره من المفسرين وكان سبب قبول قربان احدهما دون الآخر ان قابيل لم يكن زاكي القلب وقرب بشرمائه واخسه وقرب هابيل بخير ماله واشرفه واضمر الرضا بحكم الله تعالى وقيل انه سب أكل النار للقربان انه لم يكن هنالك فقير يدفع اليه ما يتقرب به الى الله تعالى فكانت تنزل نار من السماء فتأكله وعن اسماعيل بن رافع ان قربان هابيل كان يرتع في الجنة حتى فدي به ابن ابراهيم

قوله تعالى (٢٨) لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بياسط يدي اليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين (٢٩) إني أريد أن نبوأ بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين (٣٠) فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين (ثلاث آيات)

❖ اللغة ❖

البسط المد وهو ضد القبض تبوء ترجع يقال باء اذا رجع الى المباءة وهي المنزل وبأوا يغضب من الله اي دجروا وبأوا الرجوع بالقوم وهم في هذا الامر بوا. اي سواء طوعت فعات من الطوع والعرب تقول طاع لهذه الظبيبة اصول هذه الشجرة نطاع لفلان كذا اي أنته طوعا ولا يقال اطاعته نفسه لأن اطاع يدل على قصد موافقة معنى الأمر وليس كذلك طوع لأنه بمنزلة انطاع له اصول الشجرة وفي الفعل ما يتعدى الى نفس الفاعل نحو حرك نفسه وقتل نفسه وفيه ما لا يتعدى الى ذلك نحو امر ونهى لأن الامر والنهي لا يكونان الا بين هو اعلى الى من هو دونه

- (الاعراب) -

لئن بسطت اللام للقسم وجوابه ما انا بياسط ولا يقع ما جوابا للشرط لأن ما يكون لها صدر الكلام بالقسم لا يخرجها عن ذلك كما جاز ان يكون جواب القسم بأن ولام الابتداء ولم يميز بالفاء لأن المقسم عليه ليس يجب مع القسم وانما القسم مؤكدا وجواب الشرط يجب بوجوب الشرط فإذا اجتمع جواب القسم والجزاء كان جواب القسم اولي من الجزاء لأنه لما تقدم القسم وصار الجزاء في حشو الكلام غلبه على الجواب فصار له واكتفى به عن جواب الشرط لدلالته عليه

❖ المعنى ❖

ثم اخبر سبحانه عن هابيل انه قال لأخيه حين هدده بالقتل لما تقبل قربانه ولم تقبل قربان أخيه (لئن بسطت الي يدك) ومعناه لئن مددت الي يدك (لتقتلني) اي لأن تقتلني (ما انا بياسط يدي اليك لأقتلك) اي لأن اقتلك قال اهل

التفسير أن القتل على سبيل المدافعة لم يكن مباحا في ذلك الوقت وكان الصبر عليه هو المأمور به ليكون الله تعالى هو المتولي للانتصاف عن الحسن ومجاهد واختاره الجبائي وقيل ان معنى الآية لئن بسطت الي يدك على سبيل الظلم والابتداء لتقتلني ما انا بياسط يدي اليك على وجه الظلم والابتداء عن ابن عباس وجماعة قالوا انه قتله غيلة بأن القى عليه وهو قائم صخرة شدخه بها قال المرتضى والظاهر بغير الوجهين اشبه لأنه تعالى اخبر عنه انه وان بسط اليه اخوه ليقتله اي وهو سر يد لقتله لأن اللام بمعنى كي وهي مبنية عن الإرادة والغرض ولا شبهة في قبح ذلك لأن المدافع انما يحسن منه المدافعة للظالم طلبا للتخلص من غير أن يقصد الى قتله فكأنه قال لئن ظلمتني لم اظلمك (اني أخاف الله رب العالمين) في مدي اليك يدي لقتلك (اني اريد ان تبوء باثمي واثمك) معناه اني لا ابدؤك بالقتل لأنني اريد ان ترجع يا اثم قتلي ان قتلتني واثمك الذي كان منك قبل قتلي عن ابن عباس والحسن وابن مسعود وقتادة ومجاهد والضحاك وقال الجبائي والزجاج واثمك الذي من اجله لم يتقبل قربانك وقيل معناه باثم قتلي واثمك الذي هو قتل جميع الناس حيث سبب القتل ومعنى تبوء باثمي تبوء بعقاب اثمي لأنه لا يجوز لأحد ان يريد معصية الله من غيره ولكن يجوز ان يريد عقابه المستحق عليه بالمعصية ومقيل كيف يحسن ارادة عقاب لم يقع سببه فإن القتل على هذا لم يكن واقعا فجوابه ان ذلك بشرط وقوع ما يستحق به العقاب فهما يبل لما رأى من أخيه العزم على قتله وغلب على ظنه ذلك جاز ان يريد عقابه بشرط ان يفعل ما عزم عليه (فتكون من اصحاب النار) اي فتصير بذلك من الملائمين النار (وذلك جزاء الظالمين) اي عقاب العاصين ويحتمل ان يكون هذا اخبار عن قول هاييل ويحتمل ان يكون ابتداء حكم من الله تعالى فطوعت له نفسه فيه اقوال * احدها * ان معناه شجعته قسه على قتل أخيه اي على ان يقتل اخاه عن مجاهد * وثانيها * ان المراد زينت له نفسه قتل اخيه * ثالثها * ان المراد ساعدته نفسه وطأ وعته قسه على قتله اخاه فلما حذف حرف الجر نصب قتل أخيه ومن قال ان معناه زينت له فيكون قتل أخيه مفعولا به (فقتله) قال مجاهد لم بدر قايل كيف يقتله حتى ظهر له ابليس في صورة طير فأخذ طيرا آخر وترك رأسه بين حجرين فشدخه ففعل قايل مثله وقيل هو اول قتل كان في الناس (فاصبح من الخاسرين) اي صار من خسر الدنيا والآخرة وذهب عنه خيرها واستدل بعضهم بقوله فاصبح على انه قتله ليلا وهذا ليس بشيء لأن من عادة العرب ان يقولوا اصبح فلان خاسر الصفة اذا فعل امرا كانت ثمرة الخسران بعثت حصوله كذلك لا انه تعلق بوقت دون وقت

قوله تعالى (٣١) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ
قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (آية)

* اللمعة *

اصل البحث طلب الشيء في التراب ثم يقال بحثت عن الأمر بحثا واصل السوءة التكره يقال ساء بسوء
سوء اذا آتاهما بتكرهه قال سيبويه الويل كلمة تقال عند الهلكة وعجزت عن الأمر اعجز او معجزة

* الاعراب *

قال الزجاج يا ويلى الوقف عليها في غير القرآن يا ويلته والنداء لغير الآدميين نحو يا حسرتاه يا ويلىته
انما وقع في كلام العرب على تنبيه المخاطبين وأن الوقت الذي تدعى له هذه الاشياء هو وقتها فالمعنى يا ويلىته
تعالى فلأنه من اوانك اي قد ازمني الويل وكذلك يا عجباه المعنى يا ايها العجب هذا وقتك هذا على كلام العرب
وقرأ الحسن يا ويلى مضافا وذكر الأزهرى انهما بمعنى

* المعنى *

(بعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه) قالوا كان هابيل اول ميت من الناس فلذلك لم يدبر قابيل كيف يواريه وكيف يدفنه حتى بعث الله غرابين احدهما حي والآخر ميت وقيل كانا حين قتل احدهما صاحبه ثم بحث الارض ودفنه فيها ففعل قابيل به مثل ذلك عن ابن عباس وابن مسعود وجماعة وفي ذلك دلالة على فساد قول الحسن والجبائي وابي مسلم ان ابني آدم كانا من بني اسرائيل وقيل معناه بعث الله غرابا يبحث التراب على القليل فلما رأى قابيل ما اكرم الله به هابيل وانه بعث طيرا ليواريه وتقبل قربانه قال يا ويلتى عن الأضم وقيل كان ملكا في صورة الغراب وفي هذا دلالة على ان الفعل من الغراب وإن كان المعنى بذات الطير كان مقصودا وكذلك اضاف سبحانه بعثه الى نفسه ولم يقع اتفاقا كما قاله ابو مسلم ولكنه تعالى الهمة وقال الجبائي كان ذلك معجزا مثل حديث الهدهد وحمله الكتاب وردده الجواب الى سليمان ويجوز ان يزيد الله في فهم الغراب حتى يعرف هذا القدر كما نأمر صبياننا فيفهمون معنا (ليريه) اي ليري الغراب قابيل (كيف يواريه) اي كيف يغطي ويستر (سوءة اخيه) اي عورة اخيه وقال الجبائي يريد جيفة اخيه لأنه كان تركه حتى اتن فليله سوءة (قال يا ويلتى اعجزت) ههنا حذف فان التقدير ليريه كيف يواريه سوءة اخيه فرأه فقال القاتل اخاه يا ويلتى اعجزت (ان اكون) في هذا العلم (مثل هذا الغراب فاواريه) اي استر (سوءة اخي) والسوءة عبارة عما يكره وعما ينكر (فاصبح من النادمين) على قتله ولكن لم يندم على الوجه الذي يكون توبة كمن يندم على الشرب لأنه يصدعه فلذلك لم يقبل ندمه عن الجبائي وقيل من النادمين على حمله لا على قتله وقيل من النادمين على موت اخيه لا على ارتكاب الذنب

* القصة *

روت العامة عن جعفر الصادق (ع) قال قتل قابيل هابيل وتركه بالعراب لا يدري ما يصنع به فقصد السباع فحمله في جراب على ظهره حتى اروح وعكفت عليه الطير والسباع تنتظر متى يرمي به فتأكله بعث الله غرابين فاقتلا فقتل احدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره وبرجله ثم القاه الى الخنيرة وواراه وقابيل ينظر اليه فدفن اخاه وعن ابن عباس قال لما قتل قابيل هابيل اشك الشجر وتغيرت الأطعمة وحمضت الفواكه وامر الماء واغبرت الارض فقال آدم قد حدث في الارض حدث فاتي الهنود فاذا قابيل قد قتل هابيل فانشأ يقول

تغيرت البلاد ومن عايتها فوجه الارض مغبر قبيح

تغير كل ذي لون وطعم وقل بشاشة الوجه الصبيح

وقال سالم بن ابي الجعد لما قتل هابيل مكث آدم سنة حزينا لا يضحك واتي فقيل له حياك الله وبياك اي اضحكك قالوا لامضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمس سنين ولت له حواء شيئا وتفسيره هبة الله يعني انه خلف من هابيل وكان وصي آدم وولي عهده واما قابيل فقيل له اذهب طريدا شريدا فزعامدعورا الايام من يراه وذبح الى عدن من اليمن فاتاه ابليس فقال انما اكلت النار قربان هابيل لأنه كان يعبدها فانصب انت ايضا نارا تكون لك وامعك فيني بيت ناروهو اول من نصب النار وعبدها واتخذ اولاده الات للهو من اليراع والطبول والمزامير والعيان وانهم كروا في الهو وشرب الخمر وعبادة النار والزنا والفواحش حتى غرقهم الله ايام نوح بالطوفان وبقي نسل شيث

قوله تعالى (٣٢) من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فسادا في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحباها فكأنما أحيا الناس جميعا ولقد جاءتهم

رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو جعفر يزيد وحده من أجل ذلك مكسورة النون موصولة والباقون من أجل مقطوعة الهزة مفتوحة

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جنبي يقال فعلت ذلك من اجلك ومن اجلك ومن جلالك ومن جلالك ومن جراك فيجب ان يكون على هذا قراءة ابي جعفر على تخفيف همزة اجل بحذفها والقاء حركتها على نون من كقولك في تخفيف كم ابلك كم بلك

﴿ اللفظة ﴾

الأجل في اللغة الجنابة يقال اجل عازهم شرا يااجله اجلا اذا جنى عليهم جنابة قال خوات بن جبير

واهل خبايا صالح ذات (١) بينهم قد احتربوا في عاجل انا آجله

اي انا جانيه وفي هذا المعنى يقال جر عليهم جريرة ثم يقال فعلت ذلك من جراك ومن اجلك اي من جريرتك كأنه يقول انت جررتني الى ذلك وانت جنيت علي هذا ومنه الاجل الوقت لانه يجز اليه العقد الأول واجل بمعنى نعم لأنه انقياد الى ما جر اليه والاجل القطيع من بقر الوحش واحد الآجال لأن بعضها ينجر الى بعض قال عدي بن زيد

اجل ان الله قد فضلكم فوق من احكأ صلبا بازار

اراد من اجل فحذف الجار فوصل الفعل فنصبه والاسراف الخروج من التقدير والاقتصاد هو التعديل بلا اسراف ولا اقتار

﴿ الإعراب ﴾

اختلف في قوله من اجل ذلك فقيل انه من صلة النادمين اي من اجل انه حين قتل اخاه لم يواره ندم وروي عن نافع انه كان يقف على قوله من اجل ذلك ويجعله من تمام الكلام الاول وعامة المفسرين على ان قوله من اجل ذلك ابتداء كلام وليس يتصل بما قبله واحتج ابن الانباري لهذا بأنه رأس آية ورأس الآية فصل قال ولأن من جعله من صلة الندم اسقط اللمة للكتابة ومن جعله من صلة الكتابة لا يسقط معنى الندم اذ قد يقدم ما كشف عنه فكان هذا اولي

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه التكليف في باب القتل فقال (من اجل ذلك) قال الزجاج معناه من جنابة ذلك، وذلك اشارة الى قتل احد ابني آدم اخاه ظلما (كتبنا على بني اسرائيل) اي حكمنا عليهم وفرضنا (انه من قتل نفسا) اي من قتل منهم نفسا ظلما (بغير نفس) اي بغير قود عن ابن عباس (او فساد في الارض) او من قتل منهم نفسا بغير فساد كان منها في الارض فاستحقت بذلك قتلها وفسادها في الارض انما يكون بالحرب لله ورسوله واخلافة السبيل على ما ذكر الله في قوله انما جزاء الذين يجارون الله ورسوله الآية (فكانما قتل الناس جميعا ومن احيها فكانما احيا الناس جميعا) قيل في تأويله اقوال ﴿ احدها ﴾ ان معناه هو ان الناس كلهم خصماؤه في قتل ذلك الانسان وقودتهم وتر من قصد قتلهم جميعا فواصل اليهم من المكروه ما يشبه القتل الذي اوصله الى المقتول فكان انه قتلهم كلهم ومن استنقذها من غرق او حرق او هدم او ما يبيت لا محالة او استنقذها من ضلال فكانما احيا الناس جميعا اي اجره على الله اجر من احياهم جميعا لأنه في

في أسدائه المعروف اليهم بأحيائه أخاهم المؤمن بمنزلة من أحيأ كل واحد منهم عن مجاهد والزجاج واختاره ابن الأنباري وهذا المعنى مروى عن أبي عبد الله (ع) ثم قال وأفضل ذلك أن يخرجهما من ضلال إلى هدى وثانيهما أن من قتل نبيا أو إمام عدل فكانت أحياء الناس جميعا أي يعذب عليه كما لو قتل الناس كلهم ومن شذ على عضد نبي أو إمام عدل فكانت أحياء الناس جميعا في استحقاق الثواب عن ابن عباس **ثالثها** أن معناه من قتل نفسا بغير حق فعليه ما ثم كل قاتل من الناس لأنه سن القتل وسهله لغيره فكان بمنزلة المشارك ومن زجر عن قتلها بما فيه حياتها على وجه يقتدى به فيه بأن يعظم تعريم قتلها كما حرمة الله فلم يقدم على قتلها بذلك فقد أحيأ الناس بسلامتهم منه فذلك أحيأه إياها عن أبي علي الجبائي وهو اختيار الطبري ويؤيده قوله (ص) من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة **رابعها** أن المراد فكانت أحياء الناس جميعا عند المقتول ومن أحيأها فكانت أحياء الناس جميعا عند المستعذب عن ابن مسعود وغيره من الصحابة **خامسها** أن معناه يجب عليه من القصاص بقتلها مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعا ومن فاعن دمه أرقد وجب القود عليها كان كما لو عفا عن الناس جميعا عن الحسن وابن زيد والله سبحانه هو المحيي للمخلوق لا يقدر على خالق الحياة غيره وإنما قال أحيأها على سبيل المجاز كما حكى عن عمرو أنه قال إنا أحيي وأميت فاستبقي واحدا وقاتل الآخر وقوله (ولقد جاءتهم رسالهم بالبينات) معناه ولقد أتت بني إسرائيل الذي ذكرنا قصصهم وأخبارهم رسلا بالبينات الواضحة والمعجزات البدالة على صدقهم وصحة نبوتهم (ثم إن كثيرا منهم) يعني من بني إسرائيل (بعد ذلك في الأرض لسرفون) أي مجاوزون حد الحق بالشرك عن الكلابي وبالقتل عن غيره والأولى أن يكون عام في كل متجاوز عن حق ويؤيده ما روي عن أبي جعفر (ع) السرفون هم الذين يستحلون المحارم ويسفكون الدماء.

قوله تعالى (٣٣) **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُجَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٤) إِلَّا الَّذِينَ نَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (آيَاتان)**

اللغة

اصل النفي الإهلاك بالإبعاد ومنه النفاية لرد ذي المتاع ومنه النفي وهو ما تطاير من الماء عن الدلو قال الراجز
 كأن متنيه من النفي
 والنفي الطرد قال أوس بن حجر

ينفون من طرق الكرام كما
 ينفي المطارق ما يلي القرد
 والخزي الفضيحة يقال خزي يخزي خزيا إذا افتضح وخزي يخزي خزيا فهو خزيان إذا استحى وخزوته أخزوه إذا سسته ومنه قول لبيد (وأخزها بالبر لله الأجل)

الاعراب

فسادا مصدر وضع موضع الحال أي يسعون في الأرض مفسدين وان يقتلوا في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ الذي هو جزاء الذين تابوا ويحتمل أن يكون في موضع رفع بالابتداء وخبره فاعلموا أن الله غفور رحيم ويجوز أن يكون في موضع نصب بالاستثناء من قوله ان يقتلوا إلى ما بعده من الحد

﴿ النزول ﴾

اختلف في سبب نزول الآية فقبل نزلت في قوم كان بينهم وبين النبي موادعة فذقوا العهد وافسدوا في الأرض عن ابن عباس والضحاك وقيل نزلت في أهل الشرك عن الحسن وعكرمة وقيل نزلت في العرينيين لما نزلوا المدينة للإسلام واستوخموها واصفرت ألوانهم فأمرهم النبي أن يخرجوا إلى إبل الصدقة فيشربوا من ألبانها وأبوها ففعلوا ذلك فصجروا ثم مالوا إلى الرعاة فقتلوه واستاقوا الإبل وارتدوا عن الإسلام فأخذهم النبي (ص) وقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وسمل أعينهم عن قتادة وسعيد بن جبير والسدي وقيل نزلت في قطاع الطريق عن أكثر المفسرين وعليه جل الفقهاء

﴿ المعنى ﴾

لما قدم تعالى ذكر القتل وحكمه عقبه بذكر قطاع الطريق والحكم فيهم فقال (إنما جزاء الذين يحاربون الله) أي أولياء الله كقوله تعالى والذين يؤذون الله ورسوله أي يحاربون رسوله (ويسعون في الأرض فسادا) المروي عن أهل البيت (ع) أن المحارب هو كل من شهر السلاح وأخاف الطريق سواء كان في مصر أو خارج المصرفون اللص المحارب في مصر وخارج مصر سواء وهو مذهب الشافعي والأوزاعي ومالك وذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى أن المحارب هو قاطع الطريق في غير مصر وهو المروي عن عطاء الخراساني والمعنى في قوله إنما جزاؤهم الأهدأ عن الزجاج قال لأن القاتل إذا قاتل جزاؤك دينار فقاتل من يكون معه غيره وإذا قاتل إنما جزاؤك دينار كان المعنى ما جزاؤك إلا دينار (أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم) قال أبو جعفر وأبو عبد الله عليهما السلام إنما جزاء المحارب على قدر استحقاقه فإن قتل فجزاؤه أن يقتل وإن قتل وأخذ المال فجزاؤه أن يقتل ويصلب وإن أخذ المال ولم يقتل فجزاؤه أن تقطع يده ورجله من خلاف وإن أخاف السبيل فقط فإنما عليه النفي لا غير وبه قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقاتدة والسدي والربيع وعلي هذا فإن أو ليست الأوباحة هنا وإنما هي مرتبة الحكم باختلاف الجناية وقال الشافعي أن أخذ المال جهرا كان للإمام ضلعه حيا ولم يقتل قال ويجوز كل واحد بقدر فعله فمن وجب عليه القتل والصلب قتل قبل ضلعه كراهية تعذيبه ويصلب ثلاثا ثم ينزل قال أبو عبيد سألت محمد بن الحسن عن قوله أن يصلبوا فقال هو أن يصلب حيا ثم يطعن بالرمح حتى يقتل وهو رأي أبي حنيفة فقبل لهذا مثلا قال المثلة يراد به وقيل معنى أوهاننا للأوباحة والتخيير أي إن شاء الإمام قتل وإن شاء صلب وإن شاء نفى عن الحسن وسعيد بن المسيب ومجاهد وقد روي ذلك عن أبي عبد الله (ع) وقوله (من خلاف) معناه اليد اليمنى والرجل اليسرى (أو ينزفوا من الأرض) قيل فيه أقوال والذي يذهب إليه أصحابنا الإمامية أن ينفي من بلد إلى بلد حتى يتوب ويرجع وبه قال ابن عباس والحسن والسدي وسعيد بن جبير وغيرهم واليه ذهب الشافعي قال أصحابنا ولا يمكن من الدخول إلى بلاد الشرك ويقاوم المشركون على تكبيرهم من الدخول إلى بلادهم حتى يتوبوا وقيل هو أن ينفي من بلد إلى بلد غيره عن عمر بن عبد العزيز وعن سعيد بن جبير في رواية أخرى وقال أبو حنيفة وأصحابه أن النفي هو الحبس والسجن واحتجوا بأن المسجون يكون بمنزلة المخرج من الدنيا إذا كان ممنوعا من التصرف محولا بينه وبين أهله مع مقاساته الشدائد في الحبس وإن شئت قول بعض المسجونين

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها

فلستنا من الأحياء فيها ولا الموتي

إذا جاءنا السجن يوما حاجة

عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

(ذلك) أي فعل ما ذكرناه (أهم خزي) أي فضيحة وهو أن (في الدنيا) وأهلهم في الآخرة عذاب عظيم (زيادة على ذلك) وفي هذا دلالة على بطلان قول من ذهب إلى أن إقامة الحدود وتكفير المعاصي لأنه سبحانه بين أن لهم في الآخرة عذابا عظيما مع أنه أقيم عليهم الحدود والمعنى أنهم يستحقون العذاب العظيم وليس في الآية أنه يفعل ذلك بهم لاحتمال

لأنه يجوز ان يعفو الله عنهم ويتفضل عليهم بالسقاط ما يستحقونه من العذاب الأكبر (الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم) لما بين سبحانه حكم المحارب استثنى من جعلتهم من يتوب مما ارتكبه قبل ان يؤخذ ويقدر عليه لأن توبته بعد قيام البيعة عليه ووقوعه في يد الإمام لا تنفعه بل يجب إقامة الحد عليه (فاعلموا ان الله غفور رحيم) يقبل توبته ويدخله الجنة وفي هذه الآية حجة على من قال لا تصح التوبة من معصية مع الإقامة على معصية اخرى يعلم صاحبها انها معصية لأنه تعالى علق بالتوبة حكما لا تحل به الإقامة على معصيته هي الشكر او غيره

قوله تعالى (٣٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَأَبْغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (آية)

اللغة

اصل الإتياء في اللغة الحجز بين الشئين يقال اتقى السيف بالترس ويقال اتقوا الغريم بحقه والوسيلة فعيلة من قواهم توسلت اليه اي تقربت قال عنتر بن شداد

ان الرجال لهم اليك وسيلة
ان يأخذوك فلجلجي وتحصني
ويقال وسل اليه اي تقرب قال لبيد (بلى كل ذي رأي الى الله واسل) فمعنى الوسيلة الرصلة والقربة

المعنى

لما تقدم ذكر القتل والمحاربين عقب ذلك بالموعظة والأمر بالتقوى فقال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) اي اتقوا معاصيه واجتنبوها (وابغوا اليه الوسيلة) اي اطلبوا اليه القربة بالطاعات عن الحسن ومجاهد وعطاء والسدي وغيرهم فكانه قال تقربوا اليه بما يرضيه من الطاعات وقيل الوسيلة افضل درجات الجنة عن عطاء وروي عن النبي (ص) انه قال سلوا الله لي الوسيلة فإنها درجة في الجنة لا ينالها الا عبد واحد وارجو ان اكون انا هو وروى سعد بن طريف عن الأصمغ بن نباتة عن علي (ع) قال في الجنة اوثان الى بطنان العرش احدها بيضاء والاخرى صفراء في كل واحدة منها سبعون الف غرفة ابوابها واكوابها من عرق واحدة فالبيضاء الوسيلة لمحمد (ص) وأهل بيته والصفراء لابراهيم وأهل بيته (وجاهدوا في سبيله) اي في طريق دينه مع اعدائه امر سبحانه بالجهاد في دين الله لأنه صلة الى ثوابه والدليل على الشئ طريق الى العلم به والتعرض للشئ طريق الى الوقوع فيه واللاطف طريق الى طاعة الله والجهاد في سبيل الله قد يكون باليد واللسان والقاب والسيف والقول والكتاب (لعلكم تفلحون) اي لكي تظفروا بنعيم الأبد والمعنى اعملوا على رجاء الفلاح والغفران وقيل لعل وعسى من الله واجب فكانه قال اعملوا لتفلحوا

قوله تعالى (٣٦) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَ مَا عَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقِيلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٣٧) يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِيمٌ (آياتان)

الإعراب

خبر ان في لو وجوابها وقوله ولهم عذاب أليم يحتمل ان يكون في موضع الحال وان يكون عطفًا على خبر إن ولا يجوز ان يكون الخبر يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولو في موضع الحال كما تقول مررت بزيد لورآه عدوه ارحمه لأنه في موضع معتمد الفائدة مع ان الثاني في استئناف آية وانما أجيبت لو بما ولم يجوز ان يجاب ان بما لان ما المصدر الكلام جواب اول يخرجها من هذا المعنى كما لا يخرجها جواب القسم لأنه غير عامل وان عاملة فلذلك صلح ان يجاب ان بلا ولم يصلح ان يجاب بما تقول ان تأتي لا يلحقك سوء ولا يجوز ما لأن لا تنفي عما بعدها ما وجب

لما قبلها في اصل موضوعها كقولك قام زيد لا عمرو وما تنفي عما بعدها ما لم يجب لغيرها فلذلك كان لها صدر الكلام

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن وعيد الكفار فقال (ان الذين كفروا وان لهم) أي لكل واحد منهم (ما في الأرض جميعاً) من المال والولاية والملك (ومثله) أي مثل ذلك (معه ليفقدوا به) أي ليجعلوا ذلك فداهم وبدلهم (من عذاب يوم القيامة) الذي يستحقونه على كفرهم فافتدوا بذلك (ما تقبل منهم) ذلك الفداء (ولهم عذاب أليم) أي وجيع (يريدون ان يخرجوا من النار) أي يتمنون أن يخرجوا من النار عن أبي علي الجبائي قال لأن الإرادة هنا بمعنى التمني وقيل معناه الإرادة على الحقيقة أي كما دفعتهم النار بل يخرجوا منها إذا دفعتهم النار بل بها كما قال سبحانه جداراً يريد أن ينقض فأقامه أي يكاد ويقارب فإن قال قائل كيف يجوز ان يريدوا الخروج من النار مع علمهم بأنهم لا يخرجون منها فالجواب ان العلم بأن الشيء لا يكون لا يصرف عن إرادته كما ان العلم بأنه يكون لا يصرف عن إرادته وإنما الداعي إلى الإرادة حسنها والحاجة إليها (ومساهم بخارجين منها) يعني جهنم (ولهم عذاب مقيم) أي دائم ثابت لا يزول ولا يحول كما قال الشاعر

عذابا دائما لكم مقبياً

فإن لكم بيوم الشعب مني

قوله تعالى (٣٨) وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٩) فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٤٠) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (ثلاث آيات)

﴿ الإعراب ﴾

قال سيبويه وكثير من النحويين ارتفع السارق والسارقة على معنى وفيما فرض عليكم السارق والسارقة أي بحكم السارق والسارقة ومثله قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا والذنان بأنيانها منكم فأذوها قال سيبويه والاختيار في هذا النصب في العربية كما تقول زيدا أضربه وأبت العامة القراءة إلا بالرفع يعني بالعامية الجماعة وقرأ عيسى بن عمرو السارق والسارقة وكذلك الزانية والزاني وقال أبو العباس المبرد الاختيار في الرفع بالابتداء لأن القصد ليس إلى واحد بعينه فليس هو مثل قولك زيدا أضربه إنما هو كقولك من سرق فاقطع يده ومن زنى فاجلده قال الزجاج وهذا القول هو المختار وإنما دخلت الفاء في الخبر للشرط المنوي وذكر في قراءة ابن مسعود والسارقون والسارقات فاقطعوا أيانهم وإنما قال أيديها ولم يقل يديها لأنه أراد أيمنها من هذا ويمينا من هذه فجمع إذ ليس في الجسد الايمين واحدة قال الفراء وكل شيء موحد من خلق الانسان إذا ذكر مضافاً إلى اثنين فصاعداً جمع فقيل قد هشت رؤوسها وملأت ظهورها وبطنها ضرباً ومثله قوله ان تنوبا إلى الله فقد صفت قلوبكما قال وإنما اختير الجمع على التنبيه لأن أكثر ما يكون عليه الجوارح اثنان اثنان في الإنسان كاليدين والرجلين واثنان من اثنين جمع لذلك يقال قطعت أرجلها وفقت عيونها فلما جرى الأكثر على هذا ذهب بالواحد إذا أضيف إلى اثنين مذهب الاثنين قال ويجوز التنبيه كقول الهذلي

فتخالسا نفسيهما بنوافذ كنوفاذ العُبط التي لا ترقع

لأنه الأصل ويجوز هذا أيضا في اليس من خلق الانسان كقولك للاثنين خلتا نساء كما وانت تريد امرأتين قال ويجوز التوحيد ايضا وقلت في الكلام السارق والسارقة فاقطعوا يمينها جاز لأن المعنى اليمين من كل واحد منها قال الشاعر (كاو في بعض بطنكم تعيشوا) ويجوز في الكلام ان تقول اني برأس شاتين وبرأسي شاة فمن قال برأس شاتين اراد الرأس من كل شاة منهما ومن قال برأسي شاة اراد رأسي هذا الجنس قال الزجاج انما جمع ما كان في الشيء منه واحد عند الإضافة الى الاثنين لأن الإضافة تبين ان المراد بذلك الجمع التثنية لا الجمع وذلك انك اذا قلت شعبت بطونهما علم ان الاثنين بطنين فقط وأصل التثنية الجمع لأنك اذا ثبت الواحد فقد جمعت واحداً الى واحد وربما كان لفظ الجمع اخف من لفظ الاثنين فيختار لفظ الجمع ولا يشبه ذلك بالتثنية عند الإضافة الى اثنين لأنك اذا قلت قلوبهما فالتثنية فيهما قد اعنتك عن ثنية القاب قال وان ثني ما كان في الشيء منه واحد فذلك جائز عند جميع النحويين واشد (ظهرهما مثل ظهور الترسين) فجاء بالثنتين وهذا كما حكينا عن الفراء في قول الهذلي فتخالسا نفسيهما البيت وقوله جزاء بما كسبا قال الزجاج انتصب جزاء بأنه مفعول له وكذلك نكالا من الله وان شئت كانا منصوبين على المصدر الذي دل عليه فاقطعوا لأن معنى فاقطعوا جازوهم ونكالوا بهم قال الازهري تقديره لينكل غيره نكالا عن مثل فعله من نكل ينكل اذا جن

✽ المعنى ✽

لما ذكر تعالى الحكم فيمن أخذ المال جهارا عقبه بيان الحكم فيمن أخذ المال سرا فقال (والسارق والسارقة) والألف واللام للجنس فالمعنى كل من سرق رجلا كان او امرأة وبدأ بالسارق هنا لأن الغالب وجود السرقة في الرجال وبدأ في آية الزنا بالنساء فقال الزانية والزاني لأن الغالب وجود ذلك في النساء (فاقطعوا ايديهما) اي ايمانها عن ابن عباس والحسن والسدي وعامة التابعين قال ابو علي في تحطيم المسلمين الى قطع الرجل اليسرى بعد قطع اليد اليمنى وتركهم قطع اليد اليسرى دلالة على ان اليد اليسرى لم ترد بقوله فاقطعوا ايديهما الا ترى انها لو اريدت بذلك لم يكونوا ليدعوا نص القرآن الى غيره وهذا يدل على ان جمع اليد في هذه الآية على حد جمع القلب في قوله فقد صغت قلوبكما ودلت قراءة عبد الله بن مسعود على ان المراد بالأيدي الأيمان قال العلماء ان هذه الآية مجملة في ايجاب القطع على السارق وبيان ذلك مأخوذ من السنة واختلف في القدر الذي يقطع به يد السارق فقال اصحابنا يقطع في ربع دينار فصاعداً وهو مذهب الشافعي والاوزاعي وابي ثور ورووا عن عائشة عن النبي انه قال لا تقطع يد السارق الا في ربع دينار فصاعداً وذهب ابو حنيفة واصحابه انه يقطع في عشرة دراهم فصاعداً واحتجوا بما روي عن عطاء عن ابن عباس أن أدنى ما يقطع فيه ثمن المجن قال وكان ثمن المجن على عهد رسول الله عشرة دراهم وذهب مالك انه يقطع في ثلاثة دراهم فصاعداً وروي عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله (ص) قطع سارقاً في ثمن مجن ثلاثة دراهم وقال بعضهم لا تقطع الخمس الا في خمسة دراهم واختاره ابو علي الجبائي وقال لأنه بمنزلة من منع خمسة دراهم من الزكاة في انه فاسق وقال بعضهم تقطع يد السارق في القليل والكثير واله ذهب الخوارج واحتجوا بمعوم الآية وبما روي عن النبي انه قال لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده وهذا الخبر قد طعن اصحاب الحديث في سنده وذكر ايضا في تأويله ان المراد بالبيضة بيضة الحديد التي تغفر

الرأس في الحرب وبالجل من جبل السفينة واختلف ايضا في كيفية القطع فقال اكثر الفقهاء انه انما يقطع من الرسغ وهو مفصل بين الكف والساعد ثم ان عند الشافعي تقطع يده اليمنى في المرة الأولى ورجله اليسرى في المرة الثانية ويده اليسرى في المرة الثالثة ورجله اليمنى في المرة الرابعة ويحبس في المرة الخامسة وعند ابي حنيفة لا تقطع في الثالثة وقال اصحابنا انه تقطع من اصول الأصابع وتترك له الإبهام والكف وفي المرة الثانية تقطع رجله اليسرى من اصل الساق ويترك عقبه يعتمد عليها في الصلاة فإن سرق بعد ذلك خلد في السجن وهو المشهور عن علي واجمعت الطائفة عليه وقد استدل على ذلك ايضا بقوله فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ولا شك في انهم انما يكتبونه بالأصابع ولا خلاف ان السارق انما يجب عليه القطع اذا سرق من حرز الاماروي عن داود انه قال يقطع السارق وان سرق من غير حرز والحرز في كل شي انما يعتبر فيه حرز مثله في العادة وحدته عندنا كل موضع لم يكن لغير مالكة الدخول اليه والتصرف فيه الا بإذنه (جزاء بما كسبا) اي افعلوا ذلك بها مجازاة بكسبها وفعلها (نكالا من الله) اي عقوبة على ما فعله قال زهير

ولو لا ان ينال ابا طريف عذاب من خزيمة او نكال

اي عقوبة (فمن تاب من بعد ظلمه) اي أقلم وندم على ما كان منه من فعل الظلم بالسرقة واصلح اي وفعل الفعل الصالح الجميل (فإن الله يتوب عليه) اي يقبل توبته باسقاط العقاب بها عن المعصية التي تاب منها ووصف الله بأنه يتوب على التائب فيه فائدة عظيمة وهي ان في ذلك ترغيبا للعاصي في فعل التوبة ولذلك وصف نفسه تعالى بالتواب الرحيم ووصف العبد بانه تواب ومعناه اواب وهو من صفات المدح (ان الله غفور رحيم) فيه دلالة على ان قبول التوبة تفضل من الله (الم تعلم) قيل هو خطاب للنبي والمراد به امته كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء وقيل هو خطاب للمكافين وتقديره لم تعلم يا انسان وانما يتصل هذا الخطاب بما قبله اتصال ايضاح الحجاج والبيان عن صحة ما تقدم من الوعد والوعيد والاحكام ومعناه الم تعلم يا انسان (ان الله له ملك السموات والارض) اي له التصرف فيهما بلا دافع ولا منازع (يعذب من يشاء) اذا كان مستحقا للعقاب (ويغفر لمن يشاء) اذا عصاه ولم يتب لانه اذا تاب فقد وعده تعالى بانه لا يؤاخذ به بذلك بعد التوبة وعند أهل الوعيد يقبح منه ان يؤاخذ بعد التوبة فعلى الوجهين معا لا تعلق لذلك بالمشيئة (والله على كل شي قدير) مرمرناه

قوله تعالى (٤١) يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا يافواهم ولم نؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم توتوه فاحذروا ومن يرد الله فنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزبي ولهم في الآخرة عذاب عظيم (آية)

اللغة

سماعون للكذب اي قابلون له يقال لا تستمع من فلان قوله اي لا تقبل ومنه سمع الله لمن حمده اي تقبل الله منه حمده وفيه وجه آخر وهو ان معناه انهم يسمعون منك ليكذبوا عليك والسامع الجاسوس

والفتنة الاختبار وأصله التخليص من قولهم فنتت الذهب في النار اي خلصته من الغش

✽ الاعراب ✽

ارتفع ساعون لأنه خبر مبتدأ محذوف اي هم ساعون ويجوز ان يرتفع على معنى ومن الذين هادوا ساعون فيكون مبتدأ على قول سيبويه ومعمولا لمنهم على قول الأخفش ويكون تقديره ومنهم فريق ساعون للكذب وقوله لم يأتوك في موضع جر لأنه صفة لقوم وقوله يحرفون الكلم صفة لقوله ساعون فيكون موضعه رفعا ويجوز ان يكون موضعه نصباعلى انه حال من الضمير في اسم الفاعل اي محرفين الكلم بمعنى مقدرين تحريفه اي يسمعون كلام النبي (ص) ويقدرون في انفسهم تحريف ما يسمعون كقولهم معه صقر صائدا به غدا وقوله من بعد مواضعه من باب حذف المضاف والتقدير من بعد وضعه كلامه مواضعه ولو قال في معناه عن مواضعه لجاز لأن معناها متقارب كما يقال أيتك بعد فراغي من الشغل وعن فراغي منه ولا يجوز ان يقول رميت بعد القوس بدلا من قولك رميت عن القوس لأن المعنى يختلف وذلك ان عن لما عدا الشيء الذي هو كالسبب له بعد انما هو لما تأخر عن كون الشيء فما صح فيه معنى السبب ومعنى التأخر جاز فيه الأمران وما لم يصح فيه الا احد الأمرين لم يجز الا احد الحرفين

✽ النزول ✽

قال الباقري (ع) وجماعة من المفسرين ان امرأة من خيبر ذات شرف بينهم زنت مع رجل من اشرافهم وهما محصنان فكرها رجمها فارسوا الى يهود المدينة وكتبوا اليهم ان يسألوا النبي عن ذلك طمعا في ان يأتي لهم برخصة فانطلق قوم منهم كعب بن الأشرف وكعب بن أسيد وشعبة بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن ابي الحقيق وغيرهم فقالوا يا محمد اخبرنا عن الزاني والزانية اذا احصنا ما حددهما فقال وهل ترضون بقضائي في ذلك قالوا نعم فنزل جبرائيل بالرجم فأخبرهم بذلك فأبوا ان يأخذوا به فقال جبرائيل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال النبي هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدكا يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال فأني رجل هو فيكم قالوا اعلم يهودي بقي على ظهر الأرض بما انزل الله على موسى قال فأرسلوا اليه ففعلوا فأتاهم عبد الله بن صوريا فقال له النبي اني انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي انزل التوراة على موسى وقلق لكم البحر وانجاكم واغرق آل فرعون وظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسوى هل تجدون في كتابكم الرجم على من احصن قال ابن صوريا نعم والذي ذكرتني به لولا خشية ان يحرقني رب التوراة ان كذبت أو غيرت ما اعترفت لك ولكن اخبرني كيف هي في كتابك يا محمد قال اذا شهد اربعة رهط عدول انه قد ادخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم قال ابن صوريا هكذا انزل الله في التوراة على موسى فقال له النبي فماذا كان اول ما ترخصتم به امر الله قال كنا اذا زني الشريف تركناه واذا زني الضيف أقمنا عليه الحد فكثير الزنا في اشرافنا حتى زني ابن عم ملك لنا فلم نرجه ثم زني رجل آخر فأراد الملك رجمه فقال له قومه لا حتى ترجم فلانا يعنون ابن عمه فقلنا تعالوا نجتمع فلنضع شيئا دون الرجم يكون على الشريف والوضيع فوضعنا الجلد والتحميم وهو ان يجلد أربعين جلدة ثم يسود وجوهها ثم يحملان على حمارين ويحمل وجوهها من قبل دبر الحمار وبطاف بهما فجعلوا هذا مكان الرجم فقالت اليهود لابن صوريا ما اسرع ما اخبرته به وما كنت لما أتينا عليك باهل ولكنك كنت غائبا فكرهنا ان نفتابك فقال انه

انشدني بالتوراة ولولا ذلك لما أخبرته به فأمر بها النبي فرجها عند باب مسجده وأقال أنا أول من أحيا أمرك
 إذ أماتوه فانزل الله فيه يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفون
 عن كثير فقام ابن صورياً فوضع يديه على ركبتي رسول الله ثم قال هذا مقام العائذ بالله وبك ان تذكر لنا
 الكثير الذي أمرت ان تمفوا عنه فأعرض النبي عن ذلك ثم سأله ابن صورياً عن نومه فقال تنام عينا ي ولا
 ينام قلبي فقال صدقت وأخبرني عن شبه الولد بأبيه ليس فيه من شبه أمه شيء أو بأمه ليس فيه من شبه
 أبيه شيء فقال أيها علا وسبق ماء صاحبه كان الشبه له قال قد صدقت فأخبرني ما للرجل من الولد وما للمرأة
 منه قال فأعني على رسول الله طوبلاً ثم خلي عنه بحراً وجهه بفيض عرفاً فقال اللحم والدم والظفر والشحم
 للمرأة والعظم والعصب والعروق للرجل قال له صدقت أمرك امر نبي فأسلم ابن صورياً عند ذلك وقال يا محمد
 من يأتيك من الملائكة قال جبرائيل قال صفه لي فوصفه النبي (ص) فقال أشهد انه في التوراة كما قلت وانك
 رسول الله حقاً فلما أسلم ابن صورياً وقعت فيه اليهود وشتموه فلما أرادوا ان ينهضوا تعلقت بنو قريضة ببني
 النضير فقالوا يا محمد اخواننا بنو النضير ابونا واحد وديننا واحد ونبينا واحد اذا قتلوا منا قتيلاً لم يُقد واعطونا
 دينه سبعين وسقاً من تمر واذا قتلنا منهم قتيلاً قتلوا القاتل وأخذوا منا الضعف مائة واربعين وسقاً من تمر وان
 كان القتل امرأة قتلوا به الرجل منا وبالرجل منهم رجلين منا وبالعبد الحر منا وجراحاتنا على النصف من
 جراحاتهم فاقض بيننا وبينهم فأنزل الله في الرجم والقصاص الآيات

المعنى

لما تقدم ذكر اليهود والنصارى عقبه سبحانه بتسليمه النبي (ص) وأمانه من كيدهم فقال (يا أيها الرسول لا يحزنك
 الذين يسارعون) أي لا يغمك وقرى لا يحزنك ومعناها واحد الذين يسارعون أي مسارعة الذين يسارعون
 (في الكفر) أي يبادرون فيه بالإصرار عليه والتمسك به من المناقذين (الذين قالوا آمناً بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم
 ومن الذين هادوا) أي ومن اليهود (سارعون للكذب) قيل هو كناية عن اليهود والمناقذين وقيل عن اليهود
 خاصة والمعنى سارعون قولك ليكذبوا عليك سارعون كلامك لقوم آخرين لم يأثوك ليكذبوا عليك سارعون
 كلامك اذا رجعوا أي هم عيون عليك لأنهم كانوا رسل خبير واهل خبير لم يحضروا عن الحسن والزجاج
 واختاره ابو علي وقيل معنى سارعون أي قائلون للكذب سارعون لقوم آخرين ارسلوهم في قصة زان محصن
 فقالوا لهم ان افناكم محمد بالجلد فخذوه وان افناكم بالرجم فلا تقبلوه لأنهم كانوا حرفوا حكم الرجم الذي في
 التوراة عن ابن عباس وجابر وسعيد بن المسيب والسدي وقيل إنما كان ذلك في قتييل منهم قالوا ان افناكم بالديرة
 فاقبلوه وان افناكم بالقود فاحذروه عن قتادة وقال ابو جعفر كان ذلك في أمر بني النضير وبني قريضة (يخرفون
 الكلم) أي كلام الله (من بعد مواضعه) أي من بعد أن وضعه الله مواضعه أي فرض فروضه واحل حلاله
 وحرم حرامه يعني بذلك ما غيروه من حكم الله في الزنا ونقلوه من الرجم إلى أربعين جلدة عن جماعة من
 المفسرين وقيل نقلوا حكم القتل من القود إلى الديرة حتى كثر القتل فيهم عن قتادة وقيل أراد به تحريفهم
 التوراة بتحليلهم الحرام وتحريمهم الحلال فيها وقيل معناه يخرفون كلام النبي بعد سماعه ويكذبون عليه عن
 الحسن وابي علي الجبائي وكانوا يكتبون بذلك إلى خبير وكان أهل خبير حرباً لرسول الله (ص) وهذه تسليمة
 للنبي (ص) يقول ان اليهود كيف يؤمنون بك مع أنهم يخرفون كلام الله في التوراة ويخرفون كلامك (يقولون ان

أوتيتهم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا) أي يقول يهود خبير ليهود المدينة إن اعطيتم هذا أي إن أمركم محمد بالجلد فأقبلوه وإن لم تعطوه يعني الجلد أي إن افتاكم محمد بالرجم فاحذروه عن الحسن معناه إن أوتيتهم الدية فأقبلوه وإن أوتيتهم القود فلا تقبلوه (ومن يرد الله فنته) قيل فيه أقوال * أحدها * أن الفتنة العذاب أي من يرد الله عذابه كقوله تعالى على النار يفتنون أي يعذبون وقوله ذوقوا فتنتكم أي عذابكم عن الحسن وقتادة واختاره الجبائي وأبو مسلم * وثانيها * أن معناه من يرد الله هلاكه عن السدي والضحاك * وثالثها * أن المراد من يرد الله خزيه وفضيحه باظهار ما ينطوي عليه عن الزجاج * ورابعها * أن المراد من يرد الله اختياره بما يتليه به من القيام بحدوده فيدع ذلك ويحرفه والأصح الأول (فلن تملك له من الله شيئاً) أي فلن تستطيع أن تدفع لأجله من أمر الله الذي هو العذاب أو الفضيحة أو الهلاك شيئاً (أو لتلك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) معناه أو لتلك اليهود لم يرد الله أن يظهر من عقوبات الكفر التي هي الختم والطبع والضيق قلوبهم كما ظهر قلوب المؤمنين منها بأن كتب في قلوبهم الإيمان وشرح صدورهم للإسلام عن الجبائي والحسن وقيل معناه لم يرد الله أن يظهرها من الكفر بالحكم عليها أنها بريئة منه ممدوحة بالإيمان عن البلخي قال القاضي وهذا لا يدل على أنه سبحانه لم يرد منهم الإيمان لأن ذلك لا يعقل من تطهير القلب إلا على جهة التوسع لأن قوله لم يرد الله أن يطهر قلوبهم يقتضي نفي كونه مريداً وليس فيه بيان الوجه الذي لم يرد ذلك عليه والمراد بذلك أنه لم يرد تطهير قلوبهم مما يلحقها من الغوم بالذم والاستحقاق والعقاب ولذلك قال عقيبه (لهم في الدنيا خزى ولهم في الآخرة عذاب عظيم) ولو كان أراد ما قاله المجبرة لم تجعل ذلك ذماً لهم ولا عقبه بالذم ولا جعله في حكم الجزاء على ما لأجله عاقبهم وأراد ذلك منهم والخزى الذي لهم في الدنيا هو ما لحقهم من الذل والصغار والفضيحة بالزام الجزية وإظهار كذبهم في كتمان الرجم وإجلاء بني النضير من ديارهم وخزى المنافقين بإطلاع النبي على كفرهم

قوله تعالى (٤٢) سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْأَلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَاؤُوكَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِن حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٤٣) وَكَيْفَ يَحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (آيتان)

* القراءة *

السحت بضم السين والحاء مكى بصري والكسائي وأبو جعفر وقرأ الباقون السحت بإسكان الحاء

* الحجة *

قال أبو علي السحت والسحت لغتان ويستمر التخفيف والتنقيح في هذا النحو وهما اسم الشيء المسحوت كما وقع الضرب على المضروب في قولهم هذا الدرهم ضرب الأمير والصيد على المصيد في قوله ولا تقتلوا الصيد وأنتم حرم

* اللفظة *

أصل السحت الاستئصال يقال سحته وأسحته أي استأصله ومن أسحت قول الفرزدق

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع
ويقال للجائف اسحت أي استأصل وفلان مسحت المعدة إذا كانت أكلولا لا يشبع واسحت
ماله افسده وأذبه والحكم هو فصل الأمر على وجه الحكمة فيما يفصل به وقد يفصل به لبيان انه الحق وقد
يفصل بإلزام الحق والأخذ به كما يفصل الحاكم بين الخصوم بما يقطع الخصومة ويثبت القضية والتولي
الانصراف عن الشيء والتولي عن الحق الترك له وهو خلاف التولي اليه لأنه الاقبال عليه والتولي له هو
من صرف النصرة والمعونة اليه

✽ المعنى ✽

ثم وصفهم تعالى فقال (سماعون للكذب) قدم تفسيره أعاد الله تعالى ذمهم على استماع الكذب بقوله تأكيداً أو تشديداً
ومبالغة في الزجر عنه (أكلون للسحت) أي يكثرون الأكل للسحت وهو الحرام وروى عن النبي (ص)
ان السحت هو الرشوة في الحكم وهو المروي عن ابن مسعود والحسن وقيل السحت هو الرشوة في الحكم ومهر
البنغي وكسب الحجام وعسب الفحل وثن الكلب وثن الخمر وثن الميتة وحلوان الكاهن والاستعجال في
المعصية عن علي (ع) وروى عن أبي عبد الله (ع) ان السحت انواع كثيرة فأما الرشى في الحكم فهو الكفر بالله وقيل
في اشتقاق السحت أقوال ✽ أحدها ✽ ان الحرام إنما سمي سحتاً لأنه يعقب عذاب الاستئصال والبوار عن
الزجاج ✽ وثانيها ✽ انه إنما سمي سحتاً لأنه لا بركة فيه لأنه هلك فيهلك هلاك الاستئصال عن الجبائي
✽ وثالثها ✽ انه إنما سمي سحتاً لأنه القبيح الذي فيه العار نحو ثمن الكلب والخمر فعلى هذا يسحت مروءة
الإنسان عن الخليل (فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم) أراد به اليهود الذين تحاكموا إلى النبي في حد
الزنا عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل أراد بني قريظة وبني النضير لما تحكموا اليه فخيره الله تعالى بين أن
يحكم بينهم وبين أن يعرض عنهم عن ابن عباس في رواية أخرى وقتادة وابن زيد والظاهر في روايات اصحابنا
ان هذا التخيير ثابت في الشرع للأئمة والحكام وهو قول قتادة وعطاء والشعبي وابراهيم وقيل انه منسوخ
بقوله وان احكم بينهم بما أنزل الله عن الحسن ومجاهد وعكرمة (وان تعرض عنهم) أي عن الحكم بينهم
(فان يضروك شيئاً) أي لا يقدر عليك على ضرر في دين أو دنيا فدفع النظر بينهم ان شئت (وان حكمت)
أي وان اخترت ان تحكم (فاحكم بينهم بالقسط) أي العدل وقيل بما في القرآن وشريعة الإسلام (إن الله يحب
المقسطين) أي العادلين (وكيف يحكمونك) أي كيف يحكمك يا محمد هو لا اليهود فيهم فيرضون بك حكماً (وعندهم
التوراة) التي أنزلناها على موسى وهي التي يقرون بها أنها كتابي الذي أنزلته وانه حق وان ما فيه من حكمي
يعلمونه ولا يتناكرونه (فيها حكم الله) أي أحكامه التي لم تنسخ عن أبي علي وقيل عنى به الحكم بالرجم
عن الحسن وقيل معناه فيها حكم الله بالقود عن قتادة (ثم يولون من بعد ذلك) أي يتركون الحكم به جرأة
علي وفي هذا تعجيب للنبي وتفرغ لليهود الذين نزلت الآية فيهم فكانه قال كيف تقرون أيها اليهود بحكم
نبيي محمد مع انكاركم نبوته وتكذيبكم إياه وأنتم تتركون حكمي الذي تقرون بوجوبه وتعرفون بأنه جاءكم
من عندي وقوله من بعد ذلك إشارة إلى حكم الله في التوراة عن عبد الله بن كثير وقيل من بعد ذلك
أي من بعد تحكيمك وحكمك بالرجم لأنهم ليسوا مني على ثقة وإنما طلبوا به الرخصة (وما أولئك بالمؤمنين)
أي وما هم بمؤمنين بحكمك انه من عند الله مع جحدهم بنبوتك وقيل ان هذا اخبار من الله سبحانه عن أولئك

اليهودانهم لا يؤمنون بالنبي (ص) وبحكمه

قوله تعالى (٤٤) إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس وأخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون (آية)

﴿ القراءه ﴾

قرأ أهل البصرة وأبو جعفر وإسماعيل عن نافع وأخشوني بياء في الوصل ويعقوب يقف بالياء أبضا والباقون وأخشون بغير ياء في الوقف والوصل

الحجة

قال أبو علي الإثبات حسن لأن الفواصل في أنها أواخر الآتي مثل القوافي في أنها أواخر الأبيات فيما حذف منه الياء في القوافي قول الأعشى

فهل يمنعني ارتياد البلاد من حذر الموت أن يأتيه
ومن شأني كاشفا وجهه إذا ما انتسبت له افكرن

﴿ اللفه ﴾

الربانيون فسرناه بما مضى وهم العلماء البصراء بسياسة الأمور وتدبير الناس والأحبار جمع حبر وهو العالم مشتق من التجبير وهو التحسين فالعالم يحسن المحسن ويقبح القبيح قال الفراء أكثر ما سمعت فيه جرب الكسر

﴿ الاعراب ﴾

الياء في قوله بما استحفظوا يتعلق بالأخبار فكأنه قال العلماء بما استحفظوا وقال الزجاج تقديره يحكمون للثابنين من الكفر بما استحفظوا

﴿ المعنى ﴾

لما بين الله تعالى أن اليهود تولوا عن أحكام التوراة وصف التوراة وما أنزل فيها فقال (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى) أي بيان للحق ودلالة على الأحكام (ونور) أي ضياء لكل ما تشابه عليهم وجلاء لما اظلم عليهم عن ابن عباس وقبل معناه فيها هدى بيان للحكم الذي جاؤوا يستفتون فيه النبي (ص) ونور بيان أن أمر النبي (ص) حق عن الزجاج (يحكم بها النبيون الذين أسلموا) معناه يحكم بالتوراة النبيون الذين أذعنوا بحكم الله وأقروا به ونينا داخل فيهم عن الحسن وقتادة وعكرمة والسدي والزهري وقال أكثرهم هو المعنى بذلك لما حكم في رجم المحصن وهذا لا يدل على أنه كان متعبدا بشرع موسى لأن الله هو الذي أوجب ذلك بوحي أنزله عليه لا بالرجوع إلى التوراة فصار ذلك شرعا له وإن وافق ما في التوراة ونبه بذلك اليهود على صحة نبوته من حيث أخبر عما في التوراة من غامض العلم الذي قد النبس على كثير منهم وقد عرفوا جميعا أنه لم يقرأ كتابهم ولم يرجع في ذلك إلى علمائهم فكان من دلائل صدقه (ص) وقيل يريد بالنبيين الأنبياء الذين كانوا بعد موسى وذلك أنه كان في بني إسرائيل ألوف من الأنبياء بعثهم الله لإقامة التوراة يحدون حدودها ويحاون حلالها ويجرمون حرامها عن ابن عباس فمعناه يقضي بها النبيون الذين أسلموا من وقت موسى إلى وقت عيسى

وصفهم بالإسلام لأن الإسلام دين الله فكل نبي مسلم وليس كل مسلم نبيا وقوله (الذين هادوا) أي تابوا عن الكفر عن ابن عباس وقيل لليهود واللام فيه يتعلق بيهكم أي يحكمون بالثورة لهم وفيما بينهم قال الزجاج وجائز ان يكون المعنى على التقديم والتأخير وتقديره انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم بها النبيون الذين اسلموا (والرانيون) الذين علت درجاتهم في العلم وقيل الذين يعملون بما يعلمون (والاحبار) العلماء الخيار عن الزجاج (بما استحفظوا) به أي بما استودعوا من كتاب الله عن ابن عباس وقيل بما امروا بحفظ ذلك والقيام به وترك تضييعه عن الجبائي (وكانوا عليه شهداء) أي كانوا على حكم النبي في الرجم انه ثابت في التوراة شهداء عن ابن عباس وقيل كانوا شهداء على الكتاب انه من عند الله وحده لا شريك له عن عطاء (فلا تخشوا الناس واخشون) أي لا تخشوا باعلماء اليهود والناس في اظهار صفة النبي محمد (ص) و امر الرجم واخشوني في كتاب ذلك عن السدي والكلبي وقيل الخطاب للنبي وأمه اي لا تخشوه في اقامة الحدود وامضاتها على أهلها كأننا من كان واخشوني في ترك أمري فإن النفع والضرر بيدي عن الحسن (ولا تشنوا بأياتي ثنا قليلا) أي لا تأخذوا بترك الحكم الذي أنزلته على موسى أيها الأحبار عوضا خسيسا وهو الثمن القليل نهام الله تعالى بهذا عن أكل السمحت على تحريفهم كتاب الله وتغييرهم حكمه (ومن لم يحكم بما أنزل الله) معناه من كتم حكم الله الذي أنزله في كتابه واخفاه وحكم بغيره من رجم المحصن والقود (فأولئك هم الكافرون) اختلف في ذلك فمنهم من اجرى ظاهره على العموم عن ابن مسعود والحسن و ابراهيم ومنهم من خصه بالجاحد لحكم الله عن ابن عباس ومنهم من قال هم اليهود خاصة عن الجبائي فإنه قال لا حجة للخوارج فيها من حيث هي خاصة في اليهود و اختار علي بن عيسى القول الأول ولذلك يقول من حكم بغير ما أنزل الله مستحلا لذلك فهو كافر وروى البراء بن عازب عن النبي (ص) ان قوله من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون وبعده فأولئك هم الظالمون وبعده فأولئك هم الفاسقون كل ذلك في الكفار خاصة أورده مسلم في الصحيح وبه قال ابن مسعود وابو صالح والضحاك وعكرمة وقتادة

قوله تعالى (٤٥) وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصًا فَمَنْ نَصَّدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ الكسائي العين وما بعده كله بالرفع وقرأ ابو جعفر وابن كثير وابن عامر وابو عمر كلها بالنصب إلا قوله والجروح قصاص فإنهم قرأوا بالرفع والباقيون ينصبون جميع ذلك وكلهم ثقل الأذن إلا ناعما فإنه خففها في كل القرآن

﴿ الإعراب ﴾

قال ابو علي حجة من نصب العين وما بعده انه عطف ذلك كله على أن فجعل الواو للاشتراك في نصب ان ولم يقطع الكلام عما قبله كما فعل ذلك من رفع وأما من رفع بعد نصب فقال ان النفس بالنفس والعين بالعين فإنه يحتمل ثلاثة اوجه ﴿ احدها ﴾ ان تكون الواو عاطفة جملة على جملة كما يعطف المفرد على المفرد ﴿ والثاني ﴾

انه حمل الكلام على المعنى لانه اذا قال وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس فمعناه قلنا لهم النفس بالنفس فحمل العين بالعين على هذا كما انه لما كان المعنى في قوله يطاف عليهم بكأس من معين يمنحون كأسا من معين حمل حورا عينا على ذلك كما انه يمنحون كأسا ويمنحون حورا عينا ومن ذلك قوله

بارت وغير آيين مع البلى - الا رواكد جمرهن هببا

ومشجج اما سواء قذاله فبدا وغير ساره المعزاء

لما كان المعنى في بارت وغير آيين الا رواكد بها رواكد حمل مشججا عليه فكأنه قال هناك رواكد ومشجج ومثل هذا في الحمل على المعنى كثير وأقول ان من هذا القبيل بيت الفرزدق الذي آخره الا مسحتا ومجلف وقد ذكرناه قبل لانه لما كان المعنى لم يبق من المال الا مسحت حمل مجلفا عليه والوجه الثالث ان يكون عطف قوله والعين بالعين على الذكر المرفوع في الظرف الذي هو الخبر وإن لم يؤكده المعطوف عليه بالضمير المنفصل كما أكد في نحو قوله انه يراكم هو وقبيله الا ترى انه قد جاء لوشاء الله ما اشر كنا ولا اباؤنا فلم يؤكده بالمنفصل كما كد في الآية الاخرى قال فان قلت فان لافي قوله ولا اباؤنا عوض من التأكيد لان الكلام قد طال كما في حضر القاضي اليوم امرأة قيل هذا إنما يستقيم ان يكون عوضا إذا وقع قبل حرف العطف فاما إذا وقع بعد حرف العطف فانه لم يسد ذلك المسد واما قوله والجروح قصاص فمن رفضه فانه يحتمل هذه الوجوه الثلاثة التي ذكرناها ويجوز ان يستأنف الجروح قصاص استئناف ايجاب وابتداء شريعة لا على انه مكتوب عليهم في التوراة ويقوى انه من المكتوب عليهم في التوراة نصب من نصب فقال والجروح قصاص وأما التخفيف في الأذن فلعله مثل السحت والسحت وقد تقدم القول في ذلك

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه حكم التوراة في القصاص فقال (وكتبنا) أي فرضنا (عليهم) أي على اليهود الذين تقدم ذكرهم (فيها) أي في التوراة (ان النفس بالنفس) معناه إذا قتلت نفس نفسا أخرى عمدا فإنه يستحق عليه القود إذا كان القاتل عاقلا مميذا وكان المقتول مكافئا للقاتل اما بأن يكونا مسلمين حربين او كافرين او مملوكين فأما إذا كان القاتل حرا مسلما والمقتول كافرا أو مملوكا ففي وجوب القصاص هناك خلاف بين الفقهاء وعندنا لا يجب القصاص وبه قال الشافعي قال الضحاك لم يجعل في التوراة دية في نفس ولا جرح وإنما كان العفو او القصاص (والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن) قال العلماء كل شخصين جرى القصاص بينهما في النفس جرى القصاص بينهما في العين والأنف والأذن والسن وجميع الأطراف إذا تماثلا في السلامة من الشلل وإذا امتنع القصاص في النفس امتنع ايضا في الأطراف (والجروح قصاص) هذا عام في كل ما يمكن ان يقتص فيه مثل الشفتين والذكر والأنثيين واليدين والرجلين وغيرهما ويقتص الجراحات بثلاث الموضحة بالموضحة والهاشمة بالهاشمة والمنقلة بالمنقلة (١) إلا بالمأمومة والجائفة فإنه لا قصاص فيها وهي التي تبلغ ام الرأس والتي تبلغ الجوف في البدن لأن في القصاص فيها تقرير بالنفس واما ما لا يمكن القصاص

(١) الموضحة وتسس الواضحة من الشجاج التي بلغت العظم فأوضحت عنه والهاشمة التي هشمته فتشم وانتشر وتباين فراشه وهي قشوره التي تكون على العظم دون اللحم والمنقلة بشديد القاف وكسرهما التي تنقل العظم أي تكسره

فيه من رضة لحم او فكة عظم او جراحة يخاف منها التلف ففيه اروش مقدرة والقصاص هنا مصدر يراد به
المفعول أي والجروح متقاسة بعضها ببعض وأحكام الجراحات وتفصيل الاروش في الجنايات كثيرة وفروعها
حجة موضعها كتب الفقه (فمن تصدق به) أي بالقصاص الذي وجب له تصدق به على صاحبه بالعمو
واسقطه عنه (فهو) أي التصدق (كفارة له) أي للمتصدق الذي هو المجروح أو ولي الدم هذا قول أكثر
المفسرين وقيل ان معناه فمن عفا فهو مغفرة له عند الله وثواب عظيم عن ابن عمر وابن عباس في رواية عطا
والحسن والشعبي وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) قال يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما عفا من جراح أو غيره وروى
عبادة بن الصامت ان النبي قال من تصدق من جسده بشي كفر الله عنه بقدره من ذنوبه وقيل ان الضمير
في قوله يعود إلى المتصدق عليه أي كفارة للمتصدق عليه لأنه يقوم مقام اخذ الحق منه عن ابن عباس في
رواية سعيد بن جبير ومجاهد وابراهيم وزيد بن اسلم وعلى هذا فإن الجاني إذا عفا عنه المجني عليه كان
المغو كفارة لذنوب الجاني لا يؤخذ به في الآخرة والقول الأول اظهر لأن العائد فيه يرجع إلى المذكور
وهو من وفي القول الثاني يعود إلى مدلول عليه وهو المتصدق عليه يدل عليه قوله فمن تصدق به (ومن لم
يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) قيل هم اليهود الذين لم يحكموا بما أنزل الله وقيل هو عام في كل من
حكم بخلاف ما أنزل الله فيكون ظالماً لنفسه بارتكاب المعصية الموجبة للعقاب وهذا الوجه يوجب ان يكون
ما تقدم ذكره من الأحكام يجب العمل به في شريعتنا وان كان مكتوباً في التوراة

قوله تعالى (٤٦) وَقَفَيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَآتَيْنَاهُ
الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٤٧) أُولَئِكَ هُمُ
أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (آيتان)

﴿ القراءة ﴾

قرا حمزة وحده وليحكم بكسر اللام ونصب الميم والباقون وليحكم بالجرم وسكون اللام على الأمر

= الحجة =

حجة حمزة انه جعل اللام متعلقاً بقوله وآتيناه الانجيل فان معناه وانزلنا عليه الانجيل فصار بمنزلة انزلنا
عليك الكتاب ليحكم وحجة من قرا بالجرم انه بمنزلة قوله وان احكم بينهم بما أنزل الله فكأمر النبي (ص)
بذلك فكذلك امروا به بالانجيل

﴿ اللغة ﴾

القفو اتباع الأثر يقال قفاه يقفوه والتفقيه الاتباع يقال قفيته بكذا أي اتبعته وإنما سميت قافية الشعر
قافية لأنها تتبع الوزن والآثار جمع الأثر وهو العلم الذي يظهر للحس وآثار القوم ما بقوا من أعمالهم والآثار
المكرمة التي تأثرها الخلف عن السلف لأنها علم يظهر فضله للنفس والاثير الكريم على القوم لأنهم يؤثرونه
بالبرومنه الا يشار للاختيار فانه اظهر فضل احد العالمين على الآخر وقد مر تفسير الانجيل في اول آل عمران
والوعظ والموعظة هي الزجر عما يكرهه الله إلى ما يحبه والتنبيه عليه

قوله بعيسى بن مريم مصدقا نصب مصدقا على الحال وهدي رفع بالابتداء وفيه خبره قدم عليه ونور عطف على هدي ومصدقا لما بين يديه من التوراة نصب على الحال وليس بتكرير لأن الأول حال لعيسى وبيان انه يدعو إلى التصديق بالتوراة والثاني حال الانجيل وبيان ان فيه ذكر التصديق بالتوراة وهما مختلفان وهو عطف على موضع قوله فيه هدي لأنه نصب على الحال وتقديره آتياه الانجيل مستقرا فيه هدي ونور ومصدقا وهدي في موضع نصب بالعطف على مصدقا وموعظة عطف على هدي والتقدير وهاديا وواعظا

﴿ المعنى ﴾

لما قدم تعالى ذكر اليهودا تبعه بذكر النصارى فقال (وقفينا على آثارهم) اي واتبعنا على آثارهم النبيين الذين اسلموا عن اكثر المفسرين واختاره علي بن عيسى والبلخي وقيل معناه على آثار الذين فرضنا عليهم الحكم الذي مضى ذكره عن الجبائي والأول اجود في العربية ووضح في المعنى (بعيسى بن مريم) اي بعثناه رسولا من بعدهم (مصدقا لما بين يديه) اي لما مضى من التوراة التي انزلت على موسى صدق بها وآمن بها وانما قال لما مضى قبله لما بين يديه لأنه اذا كان يأتي بعده خلفه فالذي مضى قبله يكون قدامه وبين يديه (وآتياه) اي واعطينا عيسى الكتاب المسمى الانجيل والمعنى وانزلنا عليه (الانجيل فيه) يعني في الانجيل (هدى) اي بيان وحجة ودلائل له على الأحكام (ونور) سواه نوراً لأنه يهتدي به كما يهتدي بالنور) ومصدقا لما بين يديه من التوراة) يعني الانجيل يصدق بالتوراة لأن فيه ان التوراة حق وقيل معناه انه تضمن وجوب العمل بالتوراة وانه لم ينسخ وقيل معناه انه أتى على النحو الذي وصف في التوراة (وهدي) اي ودلالة وارشاداً ومعناه وهادياً وارشاداً (وموعظة اي واعظاً) للمتقين) بزجرهم عن المعاصي ويدعوهم الى الطاعة وانما خص المتقين بالذكر لأنهم اختصوا بالانتفاع به والا فإنه هدى لجميع الخلق (وليحكم اهل الانجيل) هذا امر لهم وقيل في معناه قولان ﴿ احدهما ﴾ ان تقديره وقلنا ليحكم اهل الانجيل فيكون على حكاية ما فرض عليهم وحذف القول لدلالة ما قبله عليه من قوله وقفينا كما قال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم اي يقوون سلام عليكم ﴿ والثاني ﴾ انه تعالى استأنف امر اهل الانجيل على غير الحكاية لأن احكامه كانت حينئذ موافقة لأحكام القرآن لم ينسخ بعد عن ابي علي الجبائي والقول الأول اقوى وهو اختيار علي ابن عيسى (بما انزل الله فيه) اي في الانجيل (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون) قيل ان من هاهنا بمعنى الذي وهو خبر عن قوم معروفين وهم اليهود الذين تقدم ذكرهم عن الجبائي وقيل ان من للجزء اي من لم يحكم من المكلفين بما انزل الله فهو فاسق لأن هذا الاطلاق يدل على ان المراد من ذهب الى ان الحكم في خلافه ما انزل الله به فلماذا قال فيما قبل فأولئك هم الكافرون فيكون معنى الفاسقين الخارجين عن الدين وجعلوا الكفر والظلم والفسق صفة لموصوف واحد وقيل ان الأول في الجاحد والثاني والثالث في المقر التارك

قوله تعالى (٤٨) وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (آية)

* اللغة *

اصل مهيمن مؤثمن فقلبت الهمزة هاء كما قيل في اרכת الماء هرقت وقد صرف فقبل هيمت الرجل اذا ارتقب وحفظ وشهد بهيمن هيمنة فهو مهيمن وعلى هذا فيكون وزنه مفعيل مثل مسيطر ومبيطر وقال الأزهري كان في الأصل ائمن يؤثمن كما ان الأصل في يفعل يؤفعل فعلى هذا يكون على وزن مؤفعل فقلبت الهمزة هاء وروى في الشواذ مهيمنا بفتح الميم عن مجاهد والشرعة والشرية واحدة وهي الطريقة الظاهرة والشرية هي الطريقة التي توصل منه الى الماء الذي فيه الحياة فقبل الشرية في الدين الطريق الذي توصل منه الى الحياة في النعيم وهي الأمور التي يعبد الله بها من جهة السمع قال الشاعر

أتنسوني يوم الشريعة والقنا
بصفين من لباتكم تتكسر
يريد شريعة القرآن والأصل فيه الظهور ويقال اشرفت القنا اذا اظهرت وشرعت في الأمر شرعاً
اذا دخلت فيه دخولا ظاهراً والناس فيه شرعاً اي متساوون والمنهاج الطريق المستمر يقال طريق نهج ومنهج اي
بين قال الراجز

من يك ذاشك فهذا فليج
ماء رواه وطريق نهج
وقال المبرد الشرعة ابتداء الطريق والمنهاج الطريق المستقيم قال وهذه الألفاظ اذا تكررت فلزيادة فائدة
فيه ومنه قول الخطيب « وهد أتى من دونها الناي والبعد » قال والناي لما قل بعده وقد جاء بمعنى واحد قال عنتره
حيث من طلل تقادم عهده
أقوى واقفر بعد ام الهيثم
وأقوى واقفر بمعنى واحد يقال نهجت لك الطريق وانهجته فهو منهوج ومنهج ونهج الطريق وانهج اذا اوضح
والاستباق يكون بين اثنين فصاعداً يجتهد كل منهما ان يستبق غيره قال تعالى واستبقا الباب يعني يوسف
وصاحبته تبادلوا الى الباب

* الإعراب *

مصدقا حال من الكتاب ومهيمنا كذلك وقيل انه حال من الكاف الذي هو خطاب النبي (ص) والأول
اقوى لأن حرف العطف لأنه قال وانزلنا اليك الكتاب مصدقا ومهيمنا ولا يجوز ان يعطف حال على
حال لغیر الأول لا تقول ضربت هند زيدا قاعدا وقائمة ولو قلت قائمة بغير واو لجاز ويجوز ان يكون عطفاً
على مصدقا ويكون مصدقا حالاً للنبي والأول أظهر

* المعنى *

لما بين تعالى نبوة موسى وعيسى عقب ذلك لبيان نبوة محمد (ص) احتجاجاً على اليهود والنصارى بأن
طريقته كطريقتهم في الوحي والمعجز فقال (وانزلنا اليك) يا محمد (الكتاب) يعني القرآن (بالحق) اي بالعدل (مصدقا
لما بين يديه من الكتاب) يعني التوراة والإنجيل وما فيها من توحيد الله وعدله والدلالة على نبوته والحكم
بالرجم والقود على ما تقدم ذكره وقيل المراد بالكتاب الكتب المنزلة على الأنبياء ومعنى الكتاب المكتوب
كقولهم هذه الدراهم ضرب الأمير اي مضروبة عن ابي مسلم (ومهيمنا عليه) معناه وأميناً عليه شاهداً بأنه الحق
عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وقيل مؤتمناً عن سعيد بن جبیر وابي عبيدة وابن جريج وهو قريب
من الأول قال ابن جريج أمانة القرآن أن ما اخبر به الكتب ان كان موافقاً للقرآن يجب التصديق به والا

فلا وقيل معناه وحافظا ورقيا عليه عن الحسن واني عبدة قالوا وفيه دلالة على ان ما حكى الله انه كتبه عليهم في التوراة يلزمنا العمل به لانه جعل القرآن مصدقا لذلك وشاهداً به (فاحكم بينهم بما انزل الله) يعني بين اليهود بالقرآن في الرجم على الزانين عن ابن عباس قال اذا ترفع اهل الكتاب الى الحكم يجب ان يحكموا بينهم بحكم القرآن وشريعة الاسلام لانه امر من الله بالحكم بينهم والا امر يقضي الايجاب وبه قال الحسن ومسروق قال الجبائي وهذا نسخ للتخيير في الحكم بين اهل الكتاب او الاعراض عنهم والترك (ولا تتبع اهواءهم) يريد فيما حرفوا وبدلوا من امر الرجم عن ابن عباس (عما جاءك من الحق) ويجوز ان يكون عن من صلة معنى لا تتبع اهواءهم لان معناه لا تزغ فكأنه قال لا تزغ عما جاءك باتباع اهوائهم ومتى قيل كيف يجوز ان يتبع النبي اهواءهم مع كونه معصوماً فالجواب ان النبي يجوز ان يرد عما يعلم انه لا يفعله ويجوز ان يكون الخطاب له والمراد جميع الحكماء (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) الخطاب للامة الثلاث امة موسى وامة عيسى وامة محمد ولا يعني به قوم كل نبي الا ترى ان ذكر هؤلاء قد تقدم في قوله انا انزلنا التوراة الاية ثم قال وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم قال وانزلنا اليك الكتاب ثم قال (لكل جعلنا منكم شرعة) فغلب المخاطب على الغائب شرعة اي شرعة فالتوراة شرعة وللانجيل شرعة وللقرآن شرعة عن قيادة وجماعة من المفسرين وفي هذا دلالة على جواز النسخ وعلى ان نبينا كان متعبداً بشرعته فقط وكذلك ائمة وقيل الخطاب لامة نبينا (ص) عن مجاهد والاول اقوى لانه سبحانه بين ان لكل نبي شرعة (ومنهاجا) اي سبيلا واضحا غير شرعة صاحبه وطريقته وقوي ذلك قوله (ولو شاء الله لجمعكم على ملة واحدة) ومعناه ولو شاء الله لجمعكم على ملة واحدة في دعوة جميع الانبياء لا تبدل شرعة منها ولا تنسخ عن ابن عباس وقيل أراد به مشيئة القدرة اي لو شاء الله لجمعكم على الحق كما قال ولو شئنا لا آتينا كل نفس هداها عن الحسن وقيادة (ولكن ليلوكم) اي ولكن جعلكم على شرائع مختلفة ليمتحنكم (فيا اناكم) اي فيافرضه عليكم وشرعه لكم وقيل فيما اعطاكم من السنن والكتاب وقال الحسين بن علي المغربي المعنى لو شاء الله لم يعث اليكم نبياً فتكونون متعبدين بما في العقل وتكونون امة واحدة ولكن ليعتبركم فيما كفكم من العبادات وهو عالم بما يوئول اليه امركم (فاستبقوا الخيرات) اي بادروا فوات الحظ بالتقدم في الخير وقيل معناه بادروا بالقوت بالموت أو المعجزو بادروا الى ما امرتكم به فاني لا امركم الا بالصلاح عن الجبائي وقيل معناه سابقوا الامم الماضية الى الطاعات والاعمال الصالحة عن الكبي وفي هذا دلالة على وجوب المبادرة الى افعال الخيرات ويكون محمولا على الواجبات ومن قال ان الامر على الندب حمله على جميع الطاعات (الى الله مرجعكم) اي مصيركم (جميعا فينبئكم) فيخبركم (بما كنتم فيه تختلفون) من امر دينكم ثم يجازيكم على حسب استحقاقكم

قوله تعالى (٤٩) **وَإِنْ أَحْكَمْتُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرْتُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٥٠) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (آيتان)**

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر وحده مبتغون بالتاء والباقون بالياء وروي في الشواذ قراءة يحيى بن يعمر و ابراهيم النخعي
 افحكم الجاهلية يبنون برفع الميم وقراءة الأعمش افحكم الجاهلية بفتح الحاء والكاف والميم

﴿ الحجة ﴾

من قرأ يبنون بالتاء فلأن ما قبله غيبة وان كثيرا من الناس لفاسقون ومن قرأ بالتاء فعلى تقدير قل
 لهم يا محمد افحكم الجاهلية يبنون ومن قرأ افحكم الجاهلية فعلى نحو ما جاء في الشعر

قد اصبحت ام الخيار تدعي علي ذنبا كله لم اصنع

اي لم اصنعه فيكون التقدير افحكم الجاهلية يبنونه فحذف العائد من الخبر كما يحذف من الصفة والحال
 في قولهم الناس رجلان رجل اكرمت ورجل أهنت اي اكرمته وأهنته ومررت بهند يضرب زيد اي يضرب بها
 زيد وقوله افحكم الجاهلية فيكون بمعنى الشيعاء اي فحكم الجاهلية يبنون وجاز ان يقع المضاف جنسا كما جاء
 عنهم من قولهم منعت العراق قفيزها ودرهمها ثم يرجع المعنى الى قوله افحكم الجاهلية لأنه ليس المراد هنا نفس
 الحكم فهو اذا على حذف المضاف والمراد فحكم حكم الجاهلية يبنون

﴿ الاعراب ﴾

موضع ان احكم نصب بالعطف على الكتاب والتقدير انزلنا اليك الكتاب وان احكم بينهم بما انزل الله
 ووصلت ان بالامر وان كان لا يجوز صلة الذي بالامر لأن الذي اسم ناقص تجري صلته في البيان عنه
 مجرى الصفة في بيان النكرة ولذلك لا بد لها من عائد يعود اليها كما ان الصفة لا بد لها من عائد يعود منها الى الموصوف
 وليس كذلك ان لأنها حرف وهي مع ما بعدها بمنزلة شيء واحد فلما كان في فعل الأمر معنى المصدر جاز وصل
 الحرف به على معنى مصدره وحكم نصب لأنه مفعول يبنون وحكا نصب على التمييز

﴿ المعنى ﴾

(وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع أهواءهم) وانما كرر سبحانه الأمر بالحكم بينهم لامرين ﴿ احدهما ﴾
 انهما حكيمان امر بهما جميعا لانهم احتكموا اليه في الزنا المحصن ثم احتكموا اليه في قتل كان بينهم عن
 الجبائي وجماعة من المفسرين وهو المروي عن ابي جعفر (ع) ﴿ والثاني ﴾ ان الأمر الأول مطلق والثاني
 يدل على انه منزل واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك قيل فيه قولان ﴿ احدهما ﴾ ان معناه احذرهم
 ان يضلوك عن ذلك الى ما يهوون من الاحكام بأن يطعموك منهم في الاجابة الى الإسلام عن ابن عباس
 ﴿ والثاني ﴾ ان معناه احذرهم ان يضلوك بالكذب على التوراة لانه ليس كذلك الحكم فيها فإن قيل قد
 بينت لك حكمها عن ابن زيد وفي هذه الآية دلالة على وجوب مجانبة اهل البدع والضلال وذوي الأهواء وترك
 مخالطتهم (فإن تولوا) اي فإن عرضوا عن حكمك بما انزل الله (فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم)
 قيل في معناه اقوال — احدها — ان معناه فاعلم يا محمد انما يريد الله ان يعاقبهم ببعض اجرامهم وذكر البعض
 والمراد به الكل كما يذكر العموم ويراد به الخصوص عن الجبائي — والثاني — انه ذكر البعض تعليقا
 للعقاب والمراد انه يكفي ان يؤخذوا ببعض ذنوبهم في اهلاكهم والندمير عليهم والثالث انه اراد تعجيل بعض
 العقاب بما كان من التمرد في الاجرام لأن عذاب الدنيا يختص ببعض الذنوب دون بعض وعذاب الآخرة

يم وقيل المراد بذلك اجلاء بني النضير لأن علماءهم لما كفروا وكنتموا الحق عوقبوا بالجللاء عن الحسن وقيل المراد بنو قريضة لما تقضوا العهد يوم الاحزاب عوقبوا بالقتل (وان كثيرا من الناس لفاسقون) هذا تسليمة للنبي (ص) عن امتناع القوم من الاقرار بنبوته والاسراع إلى اجابته بأن اهل الايمان قليل واهل الفسق كثير فلا ينبغي ان يعظم عليك ذلك ثم انكر عليهم فعلهم فقال (افحكم الجاهلية يبغون) والمراد به اليهود عن مجاهد واختاره الجبائي قال لانهم كانوا اذا وجب الحكم على ضعفائهم الزمواهم اياه واذا وجب على اقويائهم واشرافهم لم يؤاخذوهم به فقبل لهم افحكم الجاهلية اي عبدة الأوثان تطلبون وانتم اهل كتاب وقيل المراد به كل من طلب غير حكم الله فإنه يخرج منه الى حكم الجاهلية وكفى بذلك ان يحكم بما يوجبه الجهل دون ما يوجبه العلم (ومن احسن من الله حكما) اي لا أحد حكمه احسن من حكم الله (لقوم يوقنون) اي عند قوم اقيمت اللام مقام عن عن الجبائي وهذا جائز اذا تقاربت المعاني وارتفع اللبس فاذا قيل الحكم لهم فلا أنهم يستحسنونه واذا قيل عندهم فلا أن عندهم العلم بصحته

قوله تعالى (٥١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٢) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ نُصِيبَنا دَائِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٣) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُؤَلَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ (ثلاث آيات)

— القراءة —

قرا ابن عامر وابن كثير ونافع يقول بلا واو والباقون بالواو وكلمهم قرأ بضم اللام الا ابا عمرو فإنه فتحها

— الحجة —

من حذف الواو من قوله ويقول الذين آمنوا فلا أن في الجملة المعطوفة ذكر من المعطوف عليها وذلك ان من وصف بقوله يسارعون الى قوله نادمين هم الذين قال فيهم الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم انهم لمعكم فلما صار في كل واحدة من الجملتين ذكر من الأخرى حسن عطفها بالواو وبغير الواو كما ان قوله سبقولون ثلاثة رابعهم كابهم ويقولون خمسة سادسهم كابهم لما كان في كل واحدة من الجملتين ذكر مما تقدم كتنفى بذلك عن الواو لأنها بالذكر وملازمة بعضها ببعض قد ترتبط احدها بالأخرى كما ترتبط بحرف العطف وبذلك على حسن دخول الواو وقوله تعالى وثامنهم كابهم فحذف الواو من يقول كحذفها في هذه الآية والحاقة كل لاحقا فيها والوجه في قراءة ابي عمرو ويقول بالنصب ان يجعله على ان تكون ان يأتي بدلا من اسم الله كما كان ان ذكره بدلا من الهاء في انسانيه من قوله وما انسانيه الا الشيطان ان اذ كره ثم يكون ويقول منصوبا عطف على ذلك فكأنه قال عسى ان يأتي الله بالفتح ويقول الذين آمنوا من رفع فحجته ان يعطف جملة على جملة لا مفردا على مفرد

✽ اللغة ✽

الاتخاذ هو الاعتماد على الشيء لا أعداده لا أمره وهو افعال من الأخذ وأصله إتخاذ فابدلت الهمزة تاو واغتمتها في التاء التي بعدها ومثله الاتعاد من الوعد والأخذ يكون على وجوه تقول أخذ الكتاب اذا تناوله

وأخذ القربان اذا تقبله وأخذه الله من مأمته اذا أهلكه وأصله جواز الشيء من جهة الى جهة من الجهات والأولياء جمع ولي وهو النصير لأنه يلي بالنصر صاحبه والدائرة ههنا الدولة التي تتحول الى من كانت له عن يده قال حميد الا رقط

كنت حسب الخندق المحفورا ترد عنك القدر المقدورا

ودائرات الدهر ان تدورا

يعني دول الدهر الدائرة من قوم الى قوم وعسى موضوعة للشك وهي من الله تعالى تفيد الوجوب لأن الكريم اذا طمع في خير يفعله فهو بمنزلة الوعد به في تعلق النفس به ورجائها له وكذلك حق لا يضيع ومنزلة لا تخيب والفتح القضا والفصل ويقال للحاكم الفتح لأنه يفتح الحكم ويفصل به الأمر

﴿ النزول ﴾

اختلف في سبب نزوله وان كان حكمه عاماً لجميع المؤمنين فقال عطية بن سعد العوفي والزهري لما نهزم أهل بدر قال المسلمون لأوليائهم من اليهود آمنوا قبل ان يصيبكم الله بيوم مثل يوم بدر فقال مالك بن ضيف اغركم ان أصبتم رهطاً من قريش لا علم لهم بالقتال أما او أمرونا العزيمة ان نستجمع عليكم لم يكن لكم يدان بقتالنا فجاه عبادة بن الصامت الخزرجي الى رسول الله (ص) فقال يا رسول الله ان لي اولياء من اليهود كثيراً عددهم قوية انفسهم شديدة شوكتهم واني ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم ولا مولى لي الا الله ورسوله فقال عبد الله بن ابي لكتني لا ابرأ من ولاية اليهود لاني أخاف الدوائر ولا بدلي منهم فقال رسول الله (ص) يا ابا الحباب ما نفست به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه قال اذاً اقبل وانزل الله الآية وقال السدي لما كانت وقعة أحد اشتدت على طائفة من الناس فقال رجل من المسلمين انا الحق بفلان اليهودي وأخذ منه أمانا وقال آخر انا الحق بفلان النصراني ببعض أرض الشام فأخذ منه أمانا فنزلت الآية وقال عكرمة نزلت في ابي لبابة بن عبد المنذر حين قال لبني قريظة اذا رضوا بحكم سعد الذبيح

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر اليهود والنصارى أمر سبحانه عقيب ذلك بقطع موالاتهم والتبرء منهم فقال (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء) أي لا تعتمدوا على الاستنصار بهم متوددين اليهم وخص اليهود والنصارى بالذكر لأن سائر الكفار بمنزلتها في وجوب معاداتهم (بعضهم اولياء بعض) ابتداء كلام اخبر سبحانه ان بعض الكفار ولي بعض في العون والنصرة ويدهم واحدة على المسلمين وفي هذه دلالة على ان الكفر كله كالملة الواحدة في احكام المواريث لعموم قوله بعضهم اولياء بعض وقال الصادق لا تنوارث أهل ملتين ونحن نرثهم ولا يورثونا (ومن يتولهم منكم) اي من استنصر بهم واتخذهم انصاراً (فإنه منهم) اي هو كافر مثلهم عن ابن عباس والمعنى انه محكوم له حكمهم في وجوب لعنه والبراءة منه وانه من أهل النار (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) الى طريق الجنة لكفرهم واستحقاقهم العذاب الدائم بل يضلهم عنها الى طريق النار عن ابي علي الجبائي وقيل معناه لا يحكم لهم بحكم المؤمنين في المسدح والثناء والنصرة على الأعداء (فترى) يا محمد (الذين في قلوبهم مرض) اي شك ونفاق يعني عبد الله بن ابي عن ابن عباس (يسارعون فيهم) اي في موالاته اليهود ومناصحتهم وقيل في معاوتتهم على المسلمين وقيل موالاته اليهود ونصارى نجران لأنهم كانوا يميزونهم عن الكابي (يقولون) اي قائلين وهو في موضع الحال (نخشى ان تصيبنا دائرة) اي

دولة تدور لأعداء المسلمين على المسلمين فنحتاج الى نصرتهم عن مجاهد والسدي وقناة وقيل معناه نخشى ان يدور الدهر علينا بمكره ويعنون الجذب فلا يميزوننا عن الكلابي (ففسى الله ان يأتي بالفتح) يعني فتح مكة عن السدي وقيل بفتح بلاد المشركين عن الجبائي وقيل المراد بالقضاء الفصل عن قتادة ويجمع هذه الأقوال قول ابن عباس يريد بفتح الله تعالى لمحمد (ص) على جميع خلقه (وأمر من عنده) فيه اعزاز للمؤمنين واذلال للمشركين وظهور الإسلام عن السدي وقيل هو إظهار نفاق المنافقين مع الأمر بقتالهم عن الحسن والزجاج وقيل هو أمر دون الفتح الاعظم او موت هذا النفاق عن الجبائي وقيل هو القتل وسبي الذراري لبني قريضة والإجلاء لبني النضير عن مقاتل وهذا معنى قول ابن عباس أو أمر من عنده يريد فيه هلاكهم وهو يحتمل هلاك اليهود وهلاك المنافقين (فيصبحوا على ما أسروا في انفسهم نادمين) اي فيصبح اهل النفاق على ما كان منهم من نفاقهم وولايتهم لليهود ودس الاخبار اليهم نادمين عن ابن عباس وقناة والمعنى اذا فتح الله على المؤمنين ندم المنافقون والكفار على نفويتهم انفسهم ذلك وكذلك اذا ماتوا وتحققوا دخول النار ندموا على ما فعلوه في الدنيا من الكفر والنفاق (ويقول الذين آمنوا) اي صدقوا الله ورسوله ظاهرا وباطنا تعجبا من نفاق المنافقين واجترائهم على الله بالآيمان الكاذبة (أهل الذين أقسموا بالله) يعني المنافقين حلفوا بالله (جهد أيمانهم) انتصب جهدا لأنه مصدر أي جهدوا جهدا أيمانهم قال عطاء اي حلفوا باعظام الآيمان وأوكدها (انهم مؤمنون) ومعكم في معاوتكم على أعدائكم ونصرتكم يريدانهم حلفوا انهم لا مثالكم في الآيمان (حبطت أعمالهم) اي ضاعت أعمالهم التي عملوها لانهم اوقعوها على خلاف الوجه المأمور به وبطل ما اظهروه من الآيمان لأنه لم يوافق باطنهم ظاهرهم فلم يستحقوا به الثواب (فأصبحوا) اي صاروا (خاسرين) اي خسروا الدنيا والآخرة اما الدنيا فليسوا امن الأتصار واما الآخرة فقرنهم الله مع الكفار عن ابن عباس وقيل مغبونين بانفسهم ومنازلهم في الجنة اذا صاروا الى النار وورثها المؤمنون عن الكلبي

قوله تعالى (٥٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (آية)

❖ القراءة ❖

قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر يرتد بدالين والباقون بدال واحدة مشددة

❖ الحجة ❖

حجة من أدغم انه لما اسكن الحرف الأول ليدغمه في الثاني وكان الثاني ساكنا حرك المدغم فيه لانتقاء الساكنين وهذه لغة بني تميم وحجة من أظهر ان الحرف المدغم لا يكون الا ساكنا والمدغم اذا كان ساكنا والمدغم فيه كذلك التقى ساكنان والتقاء الساكنين في هذا التحوليس من كلامهم فأظهر الحرف الأول وحركه واسكن الثاني من المثليين وهذه لغة أهل الحجاز

❖ اللفظة ❖

الذل بكسر الهمزة ضد الصعوبة وبضمها ضد العز يقال ذلول بين الذل من قوم اذلة وذليل بين الذل من

قوم أذلاء والأول من اللين والانتقاد والثاني من الهوان والاستخفاف والعزة الشدة يقال عززت فلان على أمره أي غلبته عليه والعزاز الأرض الصلبة وعزيمز الشيء إذا لم يقدر عليه وأصل الباب الامتناع

✽ المعنى ✽

لما بين تعالى حال المنافقين وأنهم يتربصون الدوائر بالمومنين وعلم ان قوما منهم يرتدون بعد وفاته علم ان ذلك كائن وإنهم لا ينالون أمانتهم والله ينصر دينه بقوم لهم صفات مخصوصة تميزوا بها من بين العالمين فقال (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) أي من يرجع منكم أي من جئتم إلى الكفر بعد اظهار الإيمان (فلن يضرب الله دين الله شيئا فإن الله لا يخلي دينه من انصار يحمونه) فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أي يحبهم الله ويحبون الله (أذلة على المؤمنين أعززة على الكافرين) أي رحاء على المؤمنين غلاظ شداد على الكافرين وهو من الذل الذي هو اللين لا من الذل الذي هو الهوان قال ابن عباس تراهم للمؤمنين كالولد لو والده وكالعبد لسيدته وهم في الغلظة على الكافرين كالسبع على فرسته (يجاهدون في سبيل الله بالقتال لإعلاء كلمة الله واعزاز دينه) ولا يخافون لومة لائم) فيما يأتون من الجهاد والطاعات واختلف فيمن وصف بهذه الأوصاف منهم قليل هم أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة عن الحسن وقتادة والضحاك وقليل هم الانصار عن السدي وقليل هم أهل اليمن عن مجاهد قال قال رسول الله أتاكم أهل اليمن هم الذين قلبوا وارق أفئدة الإيمان يمانية والحكمة يمانية وقال عياض بن غنم الأشعري لما نزلت هذه الآية أو ما رسول إلى أبي موسى الأشعري فقال هم قوم هذا وقليل انهم الفرس وروي ان النبي (ص) سئل عن هذه الآية فضرب يده على عاتق سلمان فقال هذا وذووه ثم قال لو كان الدين معلقا بالثرى بالنوا له رجال من ابناء فارس وقليل هم أمير المؤمنين علي (ع) واصحابه حين قاتل من قاتله من الناكثين والقاسطين والمارقين وروي ذلك عن عمار وحذيفة وابن عباس وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) ويؤيد هذا القول ان النبي وصفه بهذه الصفات المذكورة في الآية فقال فيه وقد ندبه لفتح خيبر بعد ان رد عنها حامل الراية اليه مرة بعد أخرى وهو يجيب الناس ويحبونهم لا عطين الراية غدار جلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرارا غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يده ثم اعطاها اياه فأما الوصف باللين على أهل الإيمان والشدة على الكفار والجهاد في سبيل الله مع أنه لا يخاف فيه لومة لائم فعما لا يمكن أحد دفع علي عن استحقاق ذلك لما ظهر من شدته على أهل الشرك والكفر ونكايته فيهم ومقاماته المشهورة في تشييد الملة ونصرة الدين والرافقة بالمومنين ويؤيد ذلك نصا انذار رسول الله (ص) قريشا بقتال علي لهم من بعده حيث جاء سهيل بن عمرو في جماعة منهم فقالوا له يا محمد ان ارقاءنا لحقوا بك فارددهم علينا فقال رسول الله لتنتهين يا معاشر قريش أو لبيعن الله عليكم رجلا يضربكم على تأويل القرآن كما ضربتم على تنزيله فقال له بعض اصحابه من هو يا رسول الله أبو بكر قال لا ولكنه خاصف النعل في الحجرة وكان علي يخصف نعل رسول الله (ص) وروي عن علي انه قال يوم البصرة والله ما قوتل أهل هذه الآية حتى اليوم وتلا هذه الآية وروى ابو اسحاق الثعلبي في تفسيره بالإسناد عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة ان رسول الله قال يرد علي قوم من اصحابي يوم القيامة فيحلون عن الحوض فأقول يا رب اصحابي اصحابي فقال انك لا علم لك بما حدثوا من بعدك انهم ارتدوا على ادبارهم القهقري وقل ان الآية عامة في كل من استجمع هذه الخصال إلى يوم القيامة وذكر علي بن ابراهيم بن هاشم انها نزلت في مهدي الأمة واصحابه واولها خطاب ان ظلم آل محمد وقتلهم وغصبهم حقهم ويمكن ان ينصر هذا القول

بأن قوله تعالى فسوف يأتي الله بقوم يجب أن يكون ذلك القوم غير موجودين في وقت نزول الخطاب فهو يتناول من يكون بعدهم وبهذه الصفة إلى قيام الساعة (ذلك فضل الله) أي محبتهم لله ولين جانبهم للمؤمنين وشدتهم على الكافرين بفضل من الله وتوفيق وطف منه ومنه من جهته (يوثيه من يشاء) يعطيه من يعلم أنه محل له (والله واسع) أي جواد لا يخاف نفاذ ما عنده (عليهم) بموضع جوده وعطائه فلا يبذله إلا لمن تقتضي الحكمة إعطاءه وقيل معناه واسع الرحمة عليهم بمن يكون من أهلها

قوله تعالى (٥٥) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٦) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (آيتان)

✽ اللغة ✽

الولي هو الذي يلي النصرة والمعونة والولي هو الذي يلي تدبير الامر يقال فلان ولي المرأة إذا كان يملك تدبير نكاحها وولي الدم من كان إليه المطالبة بالقيود والسلطان ولي امر الرعية ويقال لمن برشحه لخلافته عليهم بعده ولي عهد المسلمين قال الكميتم يمدح عليا

ونعم ولي الامر بعد وليه ومتجع التقوى ونعم الموثب

ويروي الفتوى وإنا أراد ولي الامر والقائم بتدبيره قال المبرد في كتاب العبارة عن صفات الله اصل الولي الذي هو اولى أي احق ومثله المولى والر كوع هو التواطؤ المخصوص قال الخليل كل شيء ينكب لوجهه فتمس ركبته الارض اولا يمس بعد ان يطأ رأسه فهو راكع وانشد لبيد

اخبر اخبار القرون التي مضت أدب كأي كلما قمت راكع

وقال ابن دريد الراكع الذي يكبو على وجهه ومنه الر كوع في الصلاة قال الشاعر

وافلت حاجب فوت العوالي على شقاء تر كع في الطراب

وقد يوصف الخاضع بأنه راكع على سبيل التشبيه والمجاز لما يستعمله من النظام والتواطؤ وعلى ذلك قول الشاعر

لا تهين الفقير علك ان تر كع يوما والدهر قد رفعه

والحزب الطائفة والجماعة واصله من قولهم حزبه الامر يحزبه إذا نابسه وكل قوم تشابهت قلوبهم

واعمالهم فهم احزاب وتحزب القوم إذا اجتمعوا وجمار حزابية مجتمع الخلق غليظ

✽ الاعراب ✽

لفظة إنا مخصصة لما اثبت بعده نافية لما لم يثبت يقول القائل لغيره إنا لك عندي درهم فيكون مثل ان يقول انه ليس لك عندي إلا درهم وقالوا إنا السخا حاتم يريدون نفي السخا عن غيره والتقدير إنا السخا سخا حاتم فحذف المضاف والمفهوم من قول القائل إنا أكلت رغيفا وإنا لقيت اليوم زيدا نفي أكل أكثر من رغيف ونفي لقا غير زيد وقال الاعشى

ولست بالأكثر منهم حصي وإنا العزة للكائر

أراد نفي العزة عن ليس بكائر وقوله وهم راكعون جملة في موضع النصب على الحال من يوتون أي يوتون الزكاة راكعين كما يقال الجواد من يجود بماله وهو ضاحك وموضع من رفع بالابتداء وفي من يتول ضمير

يعود الى من وهو مجزوم بالشرط وموضع الفاء مع ما بعده جزم لما في ذلك من معنى الجزاء لأن تقديره فلا غالب وفي من معنى ان فلهذا جزم الفعل المضارع ومعنى هذا الحرف الذي في من مع الشرط والجزاء في موضع رفع بكونه خبر المبتدأ

✽ النزول ✽

حدثنا السيد ابو الحمد مهدي بن نزار الحسيني القاباني قال حدثنا الحاكم ابو القاسم الحسكاني (ره) قال حدثني ابو الحسن محمد بن القاسم الفقيه الصيدلاني قال اخبرنا ابو محمد عبد الله بن محمد الشعراني قال حدثنا ابو علي احمد بن علي بن رزين البيهقي قال حدثني المظفر بن الحسين الأنصاري قال حدثنا السدي بن علي الوراق قال حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحاماني عن قيس بن الربيع عن الأعمش بن غياث بن ربيعي قال بينا عبد الله بن عباس جالس على شفير زمزم يقول قال رسول الله (ص) اذا قبل رجل متعمم بعمامة فجعل ابن عباس لا يقول قال رسول الله الا قال الرجل قال رسول الله فقال ابن عباس سألتك بالله من انت فكشف العمامة عن وجهه وقال يا أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا اعرافه بنفسي انا جندب بن جنادة البصري ابو ذر الغفاري سمعت رسول الله (ص) بهاتين والا صمتا ورأيت بهاتين والا عميتا يقول علي قائد البررة وقاتل الكفرة ومنصور من نصره ومخدول من خذله اما اني صليت مع رسول الله (ص) يوماً من الأيام صلاة الظهر فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً فرفع السائل يده الى السماء وقال اللهم اشهد اني سألت في مسجد رسول الله فلم يعطني أحد شيئاً وكان علي راكعاً فأمراً بخصره اليمنى اليه وكان يتختم فيها فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خصره وذلك بعين رسول الله (ص) فلما فرغ النبي (ص) من صلاته رفع رأسه الى السماء وقال اللهم ان أخي موسى سألك فقال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشد به أزري وأشركه في أمري فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً سنشد عضدك بأخيك ونجعل لك سلطاناً فلا يضلون اليك اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك اللهم فاشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشد به ظهري قال ابو ذر فوالله ما استتم رسول الله الكلمة حتى نزل عليه جبرائيل من عند الله فقال يا محمد اقرأ قال وما اقرأ قال اقرأ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الآية وروى هذا الخبر ابو اسحاق الثعلبي في تفسيره بهذا الإسناد بعينه وروى ابو بكر الرازي في كتاب احكام القرآن على ما حكاه المغربي عنه والرماني والطبري أنها نزلت في علي حين تصدق بخاتمته وهو راكع وهو قول مجاهد والسدي والمروزي عن ابي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) وجميع علماء أهل البيت وقال الكافي نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه لما أسلموا فقطعت اليهود موالاتهم فنزلت الآية وفي رواية عطا قال عبد الله بن سلام يا رسول الله انا رأيت علياً تصدق بخاتمته وهو راكع فنحن نتولاه وقد رواه لنا السيد ابو الحمد عن ابي القاسم الحسكاني بالإسناد المتصل المرفوع الى ابي صالح عن ابن عباس قال أقبل عبد الله بن سلام ومعه نفر من قومه ممن قد آمنوا بالنبي (ص) فقالوا يا رسول الله ان منازلنا بعيدة وليس لنا مجلس ولا متحدث دون هذا المجلس وان قومنا لما رأونا آمنا بالله ورسوله وصدقناه رفضونا وآلوا على نفوسهم ان لا يجالسونا ولا يناكحونا ولا يكلمونا فشق ذلك علينا فقال لهم النبي (ص) إنما وليكم الله ورسوله الآية ثم ان النبي خرج الى المسجد والناس بين قائم وراكع فبصر بسائل فقال النبي

هل اعطاك احد شيئاً فقال نعم خاتم من فضة فقال النبي (ص) من اعطاكه قال ذلك القائم وأومى بيده الى علي فقال النبي (ص) علي اي حال اعطاك قال اعطاني وهو راكع فكبر النبي ثم قرأ ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون فأنشأ حسان بن ثابت يقول في ذلك

أبا حسن تفديك نفسي ومهجتي
وكل بطي في الهدى ومسارع
أيذهب مدحيك المخبر ضائعا
وما المدح في جنب الإله بضائع
فأنت الذي أعطيت اذ كنت راكعا
زكاة فدتك النفس ياخير راكع
فأنزل فيك الله خير ولاية
وثبتها مثني كتاب الشرائع

وفي حديث ابن ابراهيم الحكم بن ظهير أن عبد الله بن سلام أتى رسول الله مع رهط من قومه يشكون الى رسول الله ما لقوا من قومهم فينأهم يشكون اذ نزلت هذه الآية واذن بلال فخرج رسول الله (ص) الى المسجد واذا مسكين يسأل فقال (ع) ما ذا أعطيت قال خاتم من فضة قال من اعطاكه قال ذلك القائم فأذا هو علي قال علي اي حال اعطاكه قال اعطاني وهو راكع فكبر رسول الله وقال ومن يتول الله ورسوله

المعنى *

ثم بين تعالى من له الولاية على الخلق والقيام بأمرهم وتجب طاعته عليهم فقال (إنما وليكم الله ورسوله) اي الذي يتولى مصالحكم ويتحقق تدبيركم هو الله تعالى ورسوله يفعلها بأمر الله (والذين آمنوا) ثم وصف الذين آمنوا فقال (الذين يقيمون الصلاة) بشرائطها (ويؤتون) أي ويعطون (الزكاة وهم راكعون) اي في حال الركوع وهذه الآية من اوضح الدلائل على صحة إمامة علي بعد النبي بلا فصل والوجه فيه انه اذا ثبت ان لفظة وليكم تفيد من هو اولى بتدبير أموركم ويجب طاعته عليكم وثبت ان المراد بالذين آمنوا علي ثبت النص عليه بالإمامة ووضع الذي يدل على الأول هو الرجوع الى اللغة فمن تأملها علم ان القوم نصوا على ذلك وقد ذكرنا قول أهل اللغة فيه قبل فلا وجه لإعادته ثم الذي يدل على انها في الآية تفيد ذلك دون غيره ان لفظة إنما على ما تقدم ذكره تقتضي التخصيص ونفي الحكم عن عدا المذكور كما يقولون إنما الفصاحة الجاهلية يعنون نفي الفصاحة عن غيرهم واذا تقرر هذا لم يجز حمل لفظة الولي على الموالاة في الدين والمجبة لأنه لا تخصيص في هذا المعنى لمؤمن من دون مؤمن آخر والمؤمنون كاهم مشترك كون في هذا المعنى كما قال سبحانه والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض واذا لم يجز حمله على ذلك لم يبق الا الوجه الآخر وهو التحقق بالأمر وما يقتضي فرض الطاعة على الجمهور لانه لا محتمل للفظه الا الوجهان فأذا بطل أحدهما ثبت الآخر والذي يدل على ان المعنى بالذين آمنوا هو علي الرواية الواردة من طريق العامة والخاصة بنزول الآية فيه ما تصدق بجائته في حال الركوع وقد تقدم ذكرها وايضا فإن كل من قال ان المراد بلفظة ولي ما يرجع الى فرض الطاعة والإمامة ذهب الى انه هو المفصود بالآية والمتفرد بمعناها ولا أحد من الأمة يذهب الى ان هذه اللفظة تقتضي ما ذكرناه ويذهب الى ان المعنى بها سواء وليس لأحد ان يقول ان لفظ الذين آمنوا لفظ جمع فلا يجوز ان يتوجه اليه على الانفراد وذلك ان أهل اللغة قد يعبرون بلفظ الجمع عن الواحد على سبيل التفضيم والتعظيم وذلك اشهر في كلامهم من ان يحتاج الى الاستدلال عليه وليس لهم ان يقولوا ان المراد بقوله وهم راكعون ان هذه شبهتهم وعادتهم ولا يكون حالا لا يتأه الزكاة وذلك لأن قوله يقيمون الصلاة قد دخل فيه الركوع فلو لم يحمل قوله وهم راكعون على انه حال من يؤتون الزكاة وحملناه على من

صنعهم الركوع كان ذلك كالتكرار غير المفيد والتأويل المفيد اولى من البعيد الذي لا يفيد ووجه آخر في الدلالة على ان الولاية في الآية مختصة انه سبحانه قال انما اوليكم الله فخاطب جميع المؤمنين ودخل في الخطاب النبي (ص) وغيره ثم قال ورسوله فأخرج النبي (ص) من جملتهم لكونهم منساقين الى ولايته ثم قال والذين آمنوا فوجب ان يكون الذي خوطب بالآية غير الذي جعلت له الولاية والا أدى الى ان يكون المضاف هو المضاف اليه بعينه والى ان يكون كل واحد من المؤمنين ولي نفسه وذلك محال واستيفاء الكلام في هذا الباب يطول به الكتاب فمن اراده فليطلبه من مظانه قاله الواحدي واستدل أهل العلم بهذه الآية على ان العمل القليل لا يقطع الصلاة وان دفع الزكاة الى السائل في الصلاة جائز مع نية الزكاة (ومن يتول الله) بالقيام بطاعته (ورسوله) باتباع أمره (والذين آمنوا) بالموالاة والنصرة (فإن حزب الله) اي جند الله عن الحسن وقيل انصار الله (هم الغالبون) الظاهرون على اعدائهم الظاهرون بهم

قوله تعالى (٥٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُم مَّوْمِنِينَ (آية)

✽ القراءة ✽

قرأ أهل البصرة والكسائي والكفار بالجر وقرأ الباقون النصب

✽ الحجة ✽

حجة من قرأ بالجر انه حمل الكلام على أقرب العاملين وهو عامل الجر وحجة من نصب انه عطف على العامل الناصب فكأنه قال لا تتخذوا الكفار اولياء قال الزجاج يجوز في هزوا أربعة اوجه ان شئت قلت هزوا بضم الزاي وتحقيق الهمزة وهو الأصل والأجود وان شئت قلت هزوا وابدلت من الهمزة واوا لانضمام ما قبلها وان شئت قلت هزوا باسكان الزاي وتحقيق الهمزة فهذه الأوجه الثلاثة جيدة يقرأ بهن وفيها وجه آخر لا يجوز القراءة به وهو ان يقول هزا مثل هدى وذلك انه يجوز اذا أردت تخفيف همزة هزا ان تطرح حركتها الى الزاي كما تقول رأيت خبأ تريد خباء

✽ اللفظة ✽

الهزوا السخرية وهو اظهار ما باهي تعجباً مما يجري قال الله تعالى ولقد استهزى برسلك من قبلك وقال الشاعر

الاهزئت واعجبها المشيب فلا نكر لديك ولا عجب

يقال هزاً به هُزاً وتهزاً واستهزأ واللعب الأخذ على غير طريق الحق ومثله العبث وأصله من لعب الصبي يقال لعب يلعب اذا سال لعبه لانه يخرج الى غير جهته فلذلك اللاعب يمر الى غير جهة الصواب

✽ النزول ✽

قيل كان رفاعة بن زيد بن الثابت وسويد بن الحرث قد أظهر الإسلام ثم ناققا وكان رجال من المسلمين يوادونها فنزلت الآية عن ابن عباس

✽ المعنى ✽

ثم أكد سبحانه النهي عن موالاة الكفار فقال (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعباً) اي اظهروا الإيمان باللسان واستبطنوا الكفر فذلك معني تلاعبهم بالدين (من الذين اتوا الكتاب من قبلكم)

يعني اليهود والنصارى (والكفار) بالجرى ومن الكفار (أولياء) بطانة وأخلاء فيكون الهزء من الكتابي ومن المشرك والمنافق ويدل على استهزاء المشركين قوله سبحانه انا كفييناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله آلهما آخر ويدل على استهزاء المنافقين قوله وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزون وكل من ذكرنا من المشركين والمنافقين ومن لم يسلم من اليهود والنصارى يقع عليه اسم كافر يدل على ذلك قوله لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين فإذا وقع على المستهزئين اسم كافر حسن ان يكون قوله والكفار تبيينا للإسم الموصول وهو الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا كما كان قوله من الذين أتوا الكتاب من قبلكم تبيينا له ولو قال من الكفار فينبه به لم الجميع ولكن الكفار كان اطلاقه على المشركين أغلب وأهل الكتاب على ان من اذا عاهد دخل في ذمة المسلمين وقبلت منه الجزية وأقر على دينه أغلب فلذلك فصل بينها واما القراءه بالنصب فعناه لاتخذوا المستهزئين من أهل الكتاب ولا تتخذوا الكفار اولياء (واتقوا الله) في موالاتهم بعد النهي عنها (ان كنتم مؤمنين) بوعدته ووعيدة اي ليس من صفات المؤمنين موالاته من يطعن في الدين فمن كان مؤمنا غضب لا يمانه على من طعن فيه وكافأه بما يستحقه من المقت والعداوة

قوله تعالى (٥٨) وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (آية)

❖ اللغة ❖

النداء الدعاء بمد الصوت على طريقة يا فلان واصله ندى الصوت وهو بعد مذهبه وصحة جرمه ومنه قوله ناديتك ولا أناجيك اي أعاليك النداء ولا اسرك التجوى قال ابو دهب
وابرزتها من بطن مكة بعدما
أصوات المنادي بالصلاة فأعما
وأصل الباب الندو وهو الاجتماع يقال ندا القوم يندون ندوا اي اجتمعوا في النادي ومنه دار الندوة وندى الماء لأنه يجتمع قليلا قليلا وندى الصوت منه لأنه من جرم الندى

❖ المعنى ❖

ثم اخبر سبحانه عن صفة الكفار الذين نهى الله المؤمنين عن موالاتهم فقال (وإذا ناديتهم) أيها المؤمنون (إلى الصلاة) اي دعوتهم إليها (اتخذوها) اي اتخذوا الصلاة (هزوا ولعبا) وقيل في معناه قولان ❖ احدهما ❖ انهم كانوا إذا أذن المؤذن للصلاة تضاحكوا فيما بينهم وتغامزوا على طريق السخف والمجون تهيلا لآلهما وتنفيرا للناس عنها وعن الداعي إليها ❖ والآخر ❖ انهم كانوا يرون المنادي إليها بمنزلة اللاعب الهازي بفعالها جهلا منهم بمنزلتها (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) وقيل فيه قولان ❖ احدهما ❖ انهم لا يعقلون ما لهم في اجابتهم لو أجابوا إليها من الثواب وما عليهم في استهزائهم بهما من العقاب ❖ والثاني ❖ انهم بمنزلة من لا عقل له يمتعه من القبايح ويردعه عن الفواحش قال السدي كان رجل من النصارى بالمدينة فسمع المؤذن ينادي أشهدان لا إله إلا الله وأشهدان محمد رسول الله فقال حرق الكاذب فدخلت خادمة له ليلة بنار وهو نائم وأهله فسقطت بشرارة فاحترق هو وأهله واحترق البيت

قوله تعالى (٥٩) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ (آية)

﴿ اللغة ﴾

يقال نقم الأمر ينقم تقا وتقم ينقم إذا أنكره والاول أكثر قال عبد الله بن قيس الرقيات
 ما نقموا من بني أمية إلا انهم يحملون ان غضبوا
 وسمي العقاب نقمة لأنه يجب على ما ينكر من الفعل

﴿ الإعراب ﴾

قوله إن أكثركم لفاسقون في موضع نصب وكذلك قوله إن آمننا بالله والتقدير هل تنقمون منا إلا إيماننا وفسقكم

﴿ النزول ﴾

قيل إن نقرأ من اليهود أتوا رسول الله (ص) فسألوه عن يؤمن به من الرسل فقال أو من بالله وما أنزل
 إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلى قوله ونحن له مسلمون فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا والله ما نعلم
 أهل دين أقل حظاً في الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرّاً من دينكم فأنزل الله الآية وما بعدها

﴿ المعنى ﴾

ثم أمر الله سبحانه رسوله بحجاجهم فقال (قل) يا محمد (يا أهل الكتاب هل تنقمون منا) أي
 هل تنكرون منا وقيل هل تسخطون منا وقيل تكفرون منا والمعاني متقاربة (إلا أن آمننا بالله) فوجدناه
 ووصفناه بما يليق به من الصفات العلى ونزهناه عما لا يجوز عليه في ذاته وصفاته (وما أنزل البنا) من القرآن
 (وما أنزل من قبل) على الأنبياء (وان أكثركم فاسقون) قال الزجاج معناه هل تكفرون إلا إيماننا
 وفسقكم أي إيماننا وإيماننا وانتم تعلمون أنا على الحق لأنكم فسقتم بأن أقمتم على دينكم لمحبتكم الرئاسة
 وكسبكم بها الأموال وهذا معنى قول الحسن لفسقكم قمتم علينا قال بعض أهل التحقيق فعل هذا يجب
 أن يكون موضع ان في قوله وان أكثركم فاسقون نصبا بإضمار اللام على تأويل ولأن أكثركم فاسقون وقيل
 لما ذكر تعالى ما نقمه اليهود عليهم من الإيمان بجميع الرسل وليس هو مما ينقم ذكر في مقابلته فسقهم وهو
 مما ينقم ومثل هذا يحسن في الأزواج يقول القائل هل تنقم مني إلا اني عفيف وانك فاجر والا اني غني
 وانك فقير فيحسن ذلك لإتمام المعنى بالمقابلة ومعنى فاسقون خارجون عن أمر الله طلباً للرئاسة وحسد على منزلة
 النبوة والمراد بالأكثر من لم يؤمن منهم لأن قليلا من أهل الكتاب آمن وقيل في قوله وان أكثركم فاسقون
 قول آخر ذكره أبو علي الجرجاني صاحب النظم قال يجعله منظوما بقوله آمننا بالله على تأويل آمننا بالله وبأن
 أكثركم فاسقون فيكون موضع ان جر بالباء وهذا وجه حسن

قوله تعالى (٦٠) قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ
 عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ
 السَّبِيلِ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة وحده وعبد الطاغوت بضم الباء وجر التاء والباقون وعبد الطاغوت بضم الباء ونصب التاء وروى
 في الشواذ قراءة الحسن وابن هرمز مثوبة سا كنة التاء مفتوحة الواو وكذلك من سورة البقرة لمثوبة وقرأ ابن

عباس وابن مسعود و ابراهيم النخعي والأعمش وابان بن تغلب وعبد الطاغوت بضم العين والباء وفتح الدال وخفض الطاغوت وقرأ ابي بن كعب عبدوا الطاغوت ورواية عكرمة عن ابن عباس وعبد الطاغوت بتشديد الباء وفتح الدال وقرأه ابي واقد وعبد الطاغوت وقرأ أبو جعفر الرواسي النحوي وعبد الطاغوت كقولك ضرب زيد لم يسم فاعله وقرأ عون العقيلي وابن بريدة وعابد الطاغوت ورواية علقمة عن ابن مسعود عبد الطاغوت على وزن صرد فهذه عشر قراءات اثنتان منها في السبعة

✽ الحجة ✽

قال ابو علي حجة حمزة في قراءة وعبد الطاغوت انه يجعله على ما عمل فيه جعل كأنه وجعل منهم عبد الطاغوت ومعنى جعل خلق كقوله وجعل الظلمات والنور وجعل منها زوجها وليس عبد لفظ جمع لأنه ليس من أبنية الجمع شيء على هذا البناء ولكنه واحد يراد به الكثرة الا ترى ان في الأسماء المفردة المضافة إلى المعارف ما لفظه لفظ الافراد ومعناه الجمع كما في قوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ولأن بناء فعل يراد به المبالغة والكثرة نحو يقظ وندس فكان تقديره انه قد ذهب في عباد الطاغوت كل مذهب وتكرر ذلك منه واما من فتح فقال وعبد الطاغوت فإنه عطفه على بناء الماضي الذي في الصلة وهو قوله لعنه الله وافرد الضمير في عبد وان كان المعنى فيه الكثرة لأن الكلام محمول على لفظه دون معناه وفاعله ضمير من كما أن فاعل الأمثلة المعطوفة عليه ضمير من فافرد لحمل ذلك جميعاً على اللفظ ولو حمل الكل على المعنى او البعض على اللفظ والبعض على المعنى لكان مستقيماً واما الوجه في مثوبة فإنه قد خرج على الأصل شاذاً قال ابو الفتح ومثله ما يحكى عنهم الفكاكة مقودة الا الأذى وقياسهما مثابة ومقادة ومثله مزيد وقياسه مزاد إلا أن مزيداً علم والأعلام قد يحتمل فيهما يكره من الأجناس نحو محجب ومكره ومريم ومدين ورجابن حيوة ومثوبة مفعلة ونظيرها المطبحة والمشرقة واصل مثوبة مثوبة فنقلت الضمة من الواو الى التاء ومثاها معونة وقيل هي مفعولة مثل مقولة ومضوفة على معنى المصدر قال الشاعر

و كنت اذا جاري دعا لمضوفة
أشمر حتى ينصف الساق متزري

قال واما قوله عبد الطاغوت فهو جمع عبد وانشد

انسب العبد الى آبائه
اسود الجلد ومن قوم عبد

هكذا قال ابو الحسن وقال احمد بن يحيى عبد جمع عابد كبازل وبزل وشارف وشرف وكذلك عبد جمع عابد ومثله عباد وعباد ويجوز ان يكون عباد جمع عبد واما عبد الطاغوت وعبد الطاغوت فظاهر واما عابد الطاغوت فهو واحد في معنى جماعة وكذلك وعبد الطاغوت لأنه كحطم وولد كما ان عبد كحذر وفطن او وظيف وعجز

✽ الإعراب ✽

مثوبة نصب على التمييز كذلك هو خير ثواباً موضع من يحتمل ثلاثة أوجه من الاعراب « احدها » الجر على البدل والتقدير هل أنبئكم بمن لعنه الله والثاني الرفع على خير المبتدأ المحذوف أي هم من لعنه الله والثالث النصب على البدل من موضع الجار والمجرور والتقدير أنبئكم أي هل أخبركم على من لعنه الله مكاناً على التمييز

✽ المعنى ✽

ثم أمر سبحانه نبيه (ص) ان يخاطبهم فقال (قل) يا محمد هؤلاء المستهزئين من الكفار واليهود (هل

انبتكم (أي هل اخبركم (بشر من ذلك مشوبة عند الله) اي بشر مما نعمتم من ايماننا ثوابا أي جزاء المعنى ان كان ذلك عندكم شرا فأنا اخبركم بشر منه عاقبة عند الله وقيل معناه هل اخبركم بشر من الذين طعنتم عليهم من المسلمين وإنما قال بشر من ذلك وان لم يكن في المؤمنين شر على الانصاف في المخاطبة والمظاهرة في الحجاج كقوله وانا اولى بكم لعل هدى أو في ضلال مبين (من لعنه الله) أي أبعد من رحمته (وغضب عليه) بفسقه وكفره وغضبه عليه ارادته العقوبة والاستخفاف به وقيل غضبه ان ضرب عليهم الذلة والمسكنة والجزية ابنا كانوا من الأرض (وجعل منهم القردة والخنازير) اي مسخهم قردة وخنازير قال المفسرون يعني بالقردة اصحاب السبت وبالخنازير كفار مائدة عيسى وروى الوالي عن ابن عباس ان المسوخين من اصحاب السبت لأن شبانهم مسخوا قردة وشيوخهم مسخوا خنازير (وعبد الطاغوت) قال الزجاج هو نسق على لعنه الله ومن عبد الطاغوت وقال القراء تأويله وجعل منهم القردة ومن عبد الطاغوت فلي هذا يكون الموصول محذوفا وذلك لا يجوز عند البصريين فالصحيح الأول والطاغوت هنا الشيطان عن ابن عباس والحسن لأنهم أطاعوه طاعة المعبود وقيل هو العجل الذي عبده اليهود عن الجبائي لأن الكلام كله في صفتهم ولا تعلق في هذه الآية للمجبرة لأن أكثر ما تضمنته الأخبار بأنه خلق من بعد الطاغوت على قراءة حمزة أو غيره ممن قرأ عبادا أو عبادا أو عبدا وغير ذلك ولا شبهة في انه تعالى خلق الكافر وانه لا خالق للكافر سواه غير ان ذلك لا يوجب أن يكون خلق كفره وجعله كافرا وليس لهم ان يقولوا اننا نستفيد من قوله وجعل منهم من عبد الطاغوت او عبد الطاغوت انه خلق ما به كان عبادا كما نستفيد من قوله وجعل منهم القردة والخنازير انه جعل ما به كانوا كذلك وذلك اننا استفدنا ما ذكره لأن الدليل قد دل على ان ما به يكون القرود قرداً والخنازير خنازيراً لا يكون الا من فعل الله وليس كذلك ما به يكون الكافر كافراً فإنه قد دل الدليل على انه يتعالى عن فعله وخلقهم فافترق الأمران (أو لك شر مكانا) اي هو لاء الذين وصفهم الله بأنه لعنهم وغضب عليهم وانهم عبدوا الطاغوت شر مكانا لأن مكانهم سقر ولا شر في مكان المؤمنين ومثله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وقيل معناه انهم شر مكانا في عاجل الدنيا وأجل الآخرة من نعمتهم من المؤمنين اما في الدنيا بالقتل والسبي وضرب الذلة والمسكنة عليهم والزام الجزية واما في الآخرة فبعذاب الأبد (وأضل عن سواء السبيل) أي اجوز عن الطريق المستقيم وابعدهم من النجاة قال المفسرون فلما نزلت هذه الآية عبر المسلمون اهل الكتاب وقالوا يا اخوان القردة والخنازير فنكسوا رؤوسهم واقتضحوا

قوله تعالى (٦١) و إذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون (٦٢) وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكذبهم ألسنتهم ليشن ما كانوا يعملون (٦٣) لولا بيناهم أربابنايون والأخبار عن قولهم الإثم وأكذبهم ألسنتهم ليشن ما كانوا يصنعون (ثلاث آيات)

✽ اللغة ✽

الفرق بين الإثم والعدوان ان الإثم الجرم كأننا ما كان والعدوان الظلم وقد مر معنى السحت قبل والتصنع والعمل واحد وقيل الفرق بينهما ان التصنع مضمن بالجودة من قولهم ثوب صنيع وفلان صنيعه فلان اذا

استخلصه عن غيره وصنع الله لفلان أي أحسن إليه وكل ذلك كالفعل الجيد

✽ الاعراب ✽

قد تدخل في الكلام على وجهين إذا كانت مع الماضي قريبة من الحال وإذا كانت مع المستقبل دلت على التقليل وموضع الباء من قوله وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به نصب على الحال لأن المعنى دخلوا كافرين وخرجوا كافرين لأنه لا يريد أنهم دخلوا يحملون شيئاً وهو كقولك خرج زيد بشيابه أي ثيابه عليه يريد خرج لابسا ثيابه ومثله قول الشاعر

ومستنة كاستن الخرو ف قد قطع الجبل بالمرود

أي وفيه المرود يعني وهذه صفة والفرق بين قولك متى جاؤكم وإذا جاءكم أن متى يتضمن معنى أن الجزاء ويعمل فيه جاؤكم ولا يجوز أن يعمل في إذا لأن إذا مضاف إلى ما بعده والمضاف إليه لا يعمل في المضاف لأنه من تمامه لبس اللام فيه لام القسم ولا يجوز أن يكون لام الابتداء لأنها لا تدخل على الفعل إلا في باب أن خاصة لأنها آخرت إلى الخبر لئلا يجتمع حرفان متفقان في المعنى وقوله لبس ما كانوا يعملون يدل على أن المدح والذم يكونان بالأفعال لأنه بمنزلة لبس العمل عملهم وما يحتمل أمرين ✽ أحدهما ✽ أن تكون كافة كما تكون في انما زيد منطلق وليتأ عمرو قائم فلا يكون لها على هذا موضع ✽ الثاني ✽ أن يكون نكرة موصوفة كأنه قيل لبس شيئاً كانوا يعملون ولولا ههنا بمعنى هلا قال علي بن عيسى وأصلها التقرير لوجوب الشيء عن الأول فنقلت إلى التحضيض على فعل الثاني من أجل الأول وإن لم يذكر لا ولا بد معها من لا لأنه دخلها معنى لم لا تفعل ومتى قيل كيف تدخل لو لا على الماضي وهي للتحضيض وفي التحضيض معنى الأمر قيل لأنها تدخل للتحضيض والتوبيخ فإذا كانت مع الماضي فهو توبيخ كقوله تعالى لو لا جاؤا عليه بأربعة شهداء

✽ المعنى ✽

ثم أخبر الله تعالى عن هؤلاء المنافقين بقوله (وإذا جاؤكم) أي المؤمنون (قالوا آمنا) أي صدقنا (وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) قيل فيه قولان ✽ أحدهما ✽ أنهم دخلوا به على النبي (ص) وخرجوا به من عنده أي دخلوا وخرجوا كافرين والكفر معهم في كنا حالتهم عن الحسن وقتادة ✽ والثاني ✽ أن معناه وقد دخلوا به في أحوالهم وخرجوا به إلى أحوال آخر كقولك هو يتقلب في الكفر ويتصرف فيه وقوله وهم قد خرجوا به أكد الكلام بالضمير تعييناً أيام الكفر وتمييزاً لهم من غيرهم بهذه الصفة (والله أعلم بما كانوا يكتمون) معناه بما كانوا يكتمون من نفاقهم إذ أظهروا بالسنتهم ما أضمروا خلافه في قلوبهم ثم بين الله سبحانه أنهم يضمون إلى نفاقهم خصالاً أخرى ذميمة فقال (وترى) يا محمد (كثيراً منهم) قيل المراد بالكثير رؤسائهم وعلمائهم (يسارعون) يبادرون (في الآثم والمدون) قبل الآثم الكفر عن السدي والمدون مجاوزة حدود الله وتعديها وقيل الآثم كل معصية وهو الأولى والمدون الظلم أي يسارعون في ظلم الناس وفي الجرم الذي يعود عليهم بالوبال والخسران (وأكلهم السحت) أي الرشوة في الحكم عن الحسن وسأها سحتاً لأنه يؤدي إلى الاستئصال ويقال إنها تذهب بالبركة من المال قال أهل المعاني أكثر ما تستعمل المسارعة في الخير كقوله تعالى يسارعون وفائدة لفظة المسارعة وإن كان لفظ العجلة أدل على الذم أنهم يعملونه كأنهم يحقون فيه ولذلك قال ابن عباس في تفسيره وأنهم يجتروئن على الخطأ (لبس ما كانوا يعملون) أي لبس العمل عملهم

(لولا ينهاهم) اي هلا ينهاهم والكنياية فيهم تعود الى الكثير (الربانيون) اي العلماء بالدين الذين من قبل الرب على وجه تغير الاسم كما قالوا روحاني بالنسبة الى الروح وبحراني بالنسبة الى البحر وقالوا الربانيون علماء أهل الانجيل والأخبار علماء أهل التوراة وقال غيره كأنهم من اليهود لأنهم يتصل بذكرهم (عن قولهم الاثم) اي عن تحريفهم الكتاب وقيل عن كل ما قالوه بخلاف الحق (وأكلهم السحت) اي الحرام والرشوة (لبئس ما كانوا يصنعون) اي لبئس الصنع صنعم حيث اجتمعوا على معصية الله وانذر سبحانه علماءهم بترك التكبر عليهم فيما ضيعوا منزلتهم فذمهم هو لا بمثل الفظة التي ذم بها أولئك وفي هذه الآية دلالة على ان تارك النهي عن المنكر بمنزلة مرتكبه وفيه وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قوله تعالى (٦٤) وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلِعِنُوا بِمَا قَالُوا لَئِنْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَايِينَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (آية)

✽ اللغة ✽

اليد تذكر في اللغة على خمسة اوجه الجارحة والنعمة والقوة والملك وتحقيق إضافة الفعل فالنعمة في قولهم فلان عندي يد اشكرها اي نعمة قال عدي بن زيد
وان اذكر النعمان الابصالح فان له عندي يديا وانما
جمع يد على يدي كالكليب والعبيد وحسن التكرار لاختلاف اللفظين واليد للقوة في نحو قوله تعالى أولي الأيدي
والابصار اي ذوي القومس والقول وأنشد الأصمعي للغنوي

فاعمد لما يعلو فإلك بالذي لا تستطيع من الأمور يدان

يريد لیس لك به قوة وعلى هذا ذكره سيبويه من قولهم لا يدين بها لك ومعنى هذه التشية المبالغة في نفي
الاقترار والقوة على الشيء واليد بمعنى الملك في نحو قوله الذي بيده عقدة النكاح اي يملك ذلك وهذه الضيغة
في يد فلان اي في ملكه واليد بمعنى التولي للشيء وإضافة الفعل في نحو قوله تعالى لما خلقت يدي اي
لما توليت خلقه تخصيصا لآدم وتشريفه بهذا وان كان جميع المخلوقات هو خلقها لا غير وتقول يدي لك رهن
بالوفاء اذا ضمنت له شيئا وكان معناه اجتهادي وطاقتي وتسعمل ايضا حيث تراد النصرة وذلك مثل ما جاء
في الحديث وهم يد على من سواهم اي نصرتهم واحدة وكماتهم مجتمعة على من شق عصامهم قال احمد بن يحيى بن
تغلب اليد الجماعة ومنه الحديث وهم يد على من سواهم وقد يستعار اليد للشيء الذي لا يده له تشبها بمن له اليد
قال ابن الاعراب يد الدهر الدهر كانه يقال لا تبه يد الدهر ويد للسند قال ذو الرمة

الاطرقت مي هيوما بذكرها وايدي الثريا جنح في المغارب

وأصل هذه الاستعارة لثعلبة بن صعير في قوله (القت ذكاه يمينها في كافر) فجعل للشمس يدا في الغيب
لما اراد ان يصفها بالغروب ثم لليد في قوله
حتى اذا القت يدا في كافر وأجن عورات الثغور ظلامها

وقد يستعار اليد في مواضع كثيرة بطول ذكرها ولما كان الجواد ينطق باليد والبخل يمسك اليد عن الإنفاق أضافوا الجود والبخل الى اليد فقالوا للجواد مبسوط اليد وسبط البنان فياض الكف والبخل كز الأصابع مقبوض الكف جعل الأنازل في اشياء لهذا كثيرة معروفة في اشعارهم وانكر الزجاج على من ذهب الى ان معنى اليد في الآية النعمة بأن قال ان هذا ينقضه قوله بل يدها مبسوطتان فيكون المعنى بل نعمته مبسوطتان ونعم الله اكثر من ان تحصى قال ابو علي الفارسي قوله نعمته مبسوطتان لا يدل على تقليل النعمة وعلى ان نعمته نعمتان ثنتان ولكنه يدل على الكثرة والمبالغة فقد جاء التثنية ويراد به الكثرة والمبالغة وتعداد الشيء لا المعنى الذي يشفع الواحد المفرد الا ترى الى قولهم ليك انما هو اقامة على طاعتك بعد اقامة وكذلك سعديك انما هو مساعدة بعد مساعدة وليس المراد بذلك طاعتين اثنتين ولا مساعدتين فكذلك المعنى في الآية ان نعمه متظاهرة متتابعة فهذا وجهه وان شئت حملت المثني على انه تثنية جنس لا تثنية واحد مفرد ويكون احد جنسي النعمة نعمة الدنيا والاخر نعمة الآخرة او نعمة الدين فلا يكون التثنية على هذا مرادا بها اثنان وقد جاء تثنية اسم الجنس في كلامهم مجيئا واسعا قال الفرزدق

وكل رفيقي كل رحل وانها تعاطى القنا قوماها اخوان

فتأويل الرفيقين في البيت العموم والاشاعة الا ترى انه لا يجوز ان يكون رفيقان اثنان لكل رحل وبعده فاذا كانوا قد استجازوا تثنية الجمع الذي بني للكثرة كقوله

لأصبح القوم اوبادا ولم يجدوا عند التفرق في الهيجا جمالين

وقبله

سعى عقالا فلم يترك لنا سبدا فكيف لو قد سعى عمر وعقالين

وقول ابي النجم (بين رماحي نهشل وعقيل) ونحو ما حكاه سيويه من قولهم لقاحان سوداوان فان تجوز تثنية اسم الجنس اجدر لانه على لفظ الواحد فالتثنية فيه احسن اذ هو شبه بالفاظ الافراد

✽ الاعراب ✽

قال ابو علي اعلم ان بدأ كلمة نادرة ووزنها فعل يدل على ذلك قولهم ايد وجمهم له على افعال كالكلب والآنفس يدل على انه فعل كادل ابا وأخا على ان وزن أب وأخ فعل واللام منه الياء وهو من باب سلس وقلق ولا يعلم لذلك في الكلام نظير والذي يدل على ذلك يدت اليه يدا ولا يعلم في الواو مثله الا ترى انه لم يجي مثل دعوت وقد جاء في الأسماء ذلك وهو قولهم واووا ما قولهم ذهبوا ايادي سبا اذا ارادوا الافتراق وقول ذي الرمة

فيا لك من دار تحمل اهلهيا ايادي سبا بعدي وطال احتيالها

وهو في موضع حال لانه كقولك ذهبوا متفرقين واذا كان كذلك لا يصلح اضافتها لأن سبامعرفة فيكون المضاف اليه معرفة فاذا كان معرفة وجب ان لا يكون حالا قال والوجه فيها عندي ان لا يقدر فيها الاضافة ولكن يجمل الاسمان بمنزلة اسم واحد كحضر موت فيمن لم يهضم وكان القياس ان يتحرك اللام من ايادي بالفتح في موضع النصب الا انهم أسكوه ولم يجر كوه وشبهوه بالحالتين الأخيرتين وهذا الضرب قد اطرد فيه الإسكان فقالوا معدي كرب وقالي قلا وبادي بدا وسكنوا جميع ذلك

* المعنى *

ثم اخبر الله تعالى بعظيم فريتهم فقال (وقالت اليهود يد الله مغلولة) اي مقبوضة عن العطاء ممسكة عن الرزق قدسبوه الى البخل الى ابن عباس وقتادة وعكرمة والضحاك قالوا ان الله كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله في محمد (ص) وكذبوه كف الله عنهم ما بسط عليهم من السعة فقال عند ذلك فنحاص بن عاذورا يد الله مغلولة ولم يقل الى عتقه قال اهل المعاني انما قال فنحاص ولم ينه الآخرون ورضوا بقوله فأشركهم الله في ذلك وقيل معناه يد الله مكفوفة عن عذابنا فليس يعذبنا الا بما يبره قسمه قدر ما عبد آباؤنا العجل عن الحسن وقيل انه استفهام وتقديره يد الله مغلولة عنا حيث قتر المعيشة علينا وقال ابو القاسم البخاري يجوز ان يكون اليهود قالوا اقولا واعتقدوا مذهبا يوذي معناه الى ان الله يبخل في حال ويؤذي في حالة أخرى فحكى عنهم ذلك على وجه التعجب منهم والتكذيب لهم ويجوز ان يكونوا قالوا ذلك على وجه الهزؤ من حيث لم يوسع على النبي وعلى اصحابه وليس ينبغي ان يتعجب من قوم يقولون لموسى اجعل لنا آله كما لهم آلهة ويتخذون العجل آله ان يقولوا ان الله يبخل تارة ويجود أخرى وقال الحسين بن علي المغربي حدثني بعض اليهود بمصر ان طائفة منهم قالت ذلك (غلت أيديهم) قيل فيه اقوال * احدها * انه على سبيل الاخبار اي غلت ايديهم في جهنم عن الحسن واختاره الجبائي ومعناه شددت الى اعناقهم وتأويله انهم جوزوا على هذا القول بهذا الجزاء فعلى هذا يكون في الكلام ضمير الفاء أو الواو وتقديره فغلت أيديهم او غلت لأن كلامهم قد تم واستوفى بعده كلام آخر ومن عاداتهم انهم يحذفون فيما يجري هذا المجرى ومن ذلك قوله واذا قال موسى لقومه يا قوم ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتخذنا هزوا والمراد فقالوا الآن كلام موسى قد تم * وثانيها * ان يكون القول خرج مخرج الدعاء كما يقال قاتله الله عن ابي مسلم وعلى هذا فيكون معناه تعليمنا وتوفيقنا على الدعاء عليهم كما علمنا الاستثناء في غير هذا الموضع بقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين * وثالثها * ان معناه جعلوا بخلاء والزموا البخل فهم البخل قوم فلا يلقى يهودي ابدا غير لئيم بخيل عن الزجاج (ولعنوا بما قالوا) اي ابدوا عن رحمة الله وثوابه بسبب هذه المقالة وقيل عذبوا في الدنيا بالجزية وفي الآخرة بالنار عن الحسن ثم رد الله عليهم بصد مقاتلتهم فقال (بل يدها مبسوطتان) اي ليس الأمر على ما وصفوه بل هو جواد فليس لذكر اليد هنا معنى غير افادة معنى الجود وانما قال يدها على التثنية مبالغة في معنى الجود والاعتماد لأن ذلك ابلغ فيه من ان يقول بل يده مبسوطة ويمكن ان يكون المراد باليد النعمة ويكون الوجه في تثنية النعمة انه اراد نعم الدنيا ونعم الآخرة لأن الكل وان كانت نعم الله فمن حيث اخص كل منهما بصفة تخالف صفة الآخر كأنها جنسان ويمكن ان يكون تثنية النعمة انه اراد بهما النعم الظاهرة والباطنة كما قال تعالى واسبع عليكم نعمه ظاهرة وباطنة وقيل ان المراد باليدين القوة والقدرة عن الحسن ومعناه قوته بالثواب والعقاب مبسوطتان بخلاف قول اليهود ان يده مقبوضة عن عذابنا (ينفق كيف يشاء) معناه يعطي كيف يشاء من يشاء من عباده ويمنع من يشاء من عباده لأنه متفضل بذلك فيفعل على حسب المصلحة (وليؤذين كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) اي سيزدادون عند انزال القرآن اليك طغيانا وكفرا ويريد بالكثير منهم المقيمين على الكفر وانما ازدادوا كفرا لأنه كلما انزل الله حكما وأخبرهم النبي

(ص) به جحدوه وازدادوا بذلك طغيانا وهو التادي والمجاززة عن الحد وكفرا انضم الى كفرهم وهذا كما يقول القائل وعظمت فكانت موعظتي وبالا عليك وما زادتك الا شرا على معنى انك ازددت عندها شرا وذلك مشهور في الاستعمال (والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) اي بين اليهود والنصارى عن الحسن ومجاهد وقيل يريد به اليهود خاصة وقد مر تفسيره في أول السورة عند قوله فاغرنا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة (كما اوقدوا نارا للحرب أطفأها الله) اي لحرب محمد عن الحسن ومجاهد وفي هذا دلالة ومعجزة لأن الله أخبره فوافق خبره المخبر فقد كانت اليهود اشد اهل الحجاز بأسا وأمنعهم دارا حتى ان قريشا كانت تعتضد بهم والأوس والخزرج تستبق الى مخالفتهم وتكثروا بنصرتهم فأباد الله خضراءهم واستأصل شأفتهم واجتث أصلهم فأجلى النبي بني النضير وبني قنيقاع وقتل بني قريظة وشرذ أهل خيبر وغلب على فدك ودان له اهل وادي القرى فمحا الله تعالى آثارهم صاغرين وقال قتادة معناه ان الله اذلمهم ذلا لا يعززون بعده ابدوا واما يطفى نار حربهم بلطفه وبما يطلع نبيه عليه من اسرارهم وبما ينه به عليه من التأييد والنصر (ويسعون في الأرض فسادا) بمصيبة الله وتكذيب رساله ومخالفة امره ونهيه واجتهادهم في نحو ذكر النبي (ص) من كتبهم (والله لا يحب المفسدين) العاملين بالفساد والمعاصي في ارضه

قوله تعالى (٦٥) وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دَخَلْنَا لَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٦٦) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ (آيتان)

اللغة

أصل التكفير التغطية ومنه تكفر في السلاح والاقتصاد الاستواء في العمل الذي يؤدي الى الفرض واشتقاقه من القصد لأن القاصد الى ما يعرف مكانه فهو يمر على الاستقامة اليه خلاف الطالب المتعير في طلبه

الأعراب

ساء ما يعملون يحتمل ان يكون ما معها ما بعدها بمنزلة المصدر ويحتمل ان يكون بمعنى الذي وما بعدها صلة لها والعائد محذوف

المعنى

(ولو ان أهل الكتاب) يعني اليهود والنصارى (آمنوا) بمحمد (ص) (واتقوا) الكفر والفواحش (لكفرونا عنهم سيئاتهم) اي سترناها عليهم وغفرتنا لهم (ولادخلناهم جنات النعيم) ظاهر المعنى (ولو انهم أقاموا التوراة والإنجيل) اي عملوا بما فيها على ما فيها دون ان يحرفوا شيئا منها او يغيروا او يبدلوا كما كانوا يفعلونه ويحتمل ان يكون معناه عملوا بما فيها بأن أقاموها نصب اعينهم لئلا يزلوا في شيء من حدودها (وما أنزل اليهم من ربهم) يريد به القرآن عن ابن عباس واختاره الجبائي وقيل المراد به كما دل الله عليه من أمور الدين (لأكلوا من فوقهم) بإرسال الساء عليهم مدرارا (ومن تحت أرجلهم) بإعطاء الأرض خيرها وبركتها عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وقيل المراد لأكلوا ثمار النخيل والأشجار من فوقهم والزرع من تحت أرجلهم والمعنى لتركوا في ديارهم ولم يجالوا عن بلادهم ولم يقتلوا فكانوا يتمتعون بأموالهم وزروعهم

وثأرهم وما رزقهم الله من النعم وإنما خص سبحانه الأكل لأن ذلك معظم الانتفاع وفي هذا تأسياف لليهود على ما فاتهم واعتداد بسعة ما كانوا فيه من نعم الله عليهم وهو جواب تخيلهم إياه في قواهم يد الله مغلولة وقيل ان المعنى في قوله لا أكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم التوسعة كما يقال فلان في الخير من قرنه الى قدمه اي يأتيه الخير من كل جهة يلتسمه منها ونظير هذه الآية قوله وان لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب جعل الله تعالى التقوى من اسباب التوسعة في الرزق (منهم أمة مقتصد) اي من هؤلاء قوم معتدلون في العمل من غير غلو ولا تقصير قال ابو علي الجبائي وهم الذين اسلموا منهم وتابوا النبي (ص) وبه قال مجاهد والسدي وابن زيد وهو المروي في تفسير اهل البيت (ع) وقيل يريد به النجاشي واصحابه وقيل انهم قوم لم يناصروا النبي مناصبة هؤلاء حكاية الزجاج ويحتمل ان يكون أراد به من يقر منهم بأن المسيح عبد الله ولا يدعي فيه الإلهية (و كثير منهم ساء ما يعملون) قبح عملهم اي اكثر هؤلاء اليهود والنصارى يعملون الاعمال السيئة وهم الذين يقبمون على الكفر والجحود بالنبي (ص)

قوله تعالى (٦٧) يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (آية)

✽ القراءة ✽

قرأ نافع وابن عاصم وابو بكر عن عاصم رسالاته على الجمع والباقون رسالته على التوحيد

✽ الحجة ✽

قال ابو علي حجة من جمع ان الرسل يرسلون بضرور من الرسائل كالنوحيد والشرائع فلما اختلفت الرسائل حسن ان تجمع كما حسن ان تجمع أسماء الاجناس اذا اختلفت الا ترى انك تقول رأيت تمورا كثيرة ونظرت في علوم كثيرة فتجمع هذه الاسماء اذا اردت ضرورها كما تجمع غيرها من الاسماء وحجة من افرد هذه الاسماء انها تدل على الكثرة وان لم تجمع كما تدل عليها الألفاظ المصوغة للجمع فمابدل على ذلك قوله لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا فوقع الإسم الشائع على الجميع كما يقع على الواحد فكذلك الرسالة

✽ الإعراب ✽

ارسل فعل يتعدى الى مفعولين ويتعدى الى الثاني منهما بالجار كقوله انا ارسلنا نوحا الى قومه وارسلناه الى مائة الف ويجوز الاقتصار على احدهما دون الآخر كقوله ثم ارسلنا رسلا تنرى وانا ارسلناك شاهدا وقال فأرسل الى هرون فعدى الى الثاني والأول مقدر في المعنى وقال

فأرسلها العراك ولم يذدها ولم يشفق علي نعص الدخال

المعنى خلى بين هذه الأبل وبين شر بها ولم يمنعها من ذلك وانشد ابو زيد

لعمرى لقد جاءت رسالة مالك الى جسد بين العوائد مختبيل

والرسالة هنا بمعنى الإرسال والمصدر في تقدير الإضافة الى الفاعل والمفعول الاول في التقدير محذوف كما كانت في قوله فأرسل الى هرون محذوفا والتقدير رسالة الملك رشد الى جسد والجار والمجرور في موضع نصب بكونه مفعولا ثانيا والمعنى الى ذي جسد لأن الرسالة لم تأت الجسد دون سائر المرسل اليه وهذا مثل

قوله «وبعد عطاك المائة الرتاعا» في وضعه العطاء موضع الإيعطاء والرسول يكون بمعنى الرسول ويكون بمعنى المرسل فأما كونه بمعنى الرسالة فكقول الشاعر

لقد كذب الواشون ما بحت عنهم بسر ولا أرسلتهم برسول

أي برسالة و كونه بمعنى المرسل قوله وما محمد إلا رسول ومثله في أنه فعول بمعنى مفعول قوله

وما زلت خير منك مذعض كارها بلحييك عادي الطريق ركوب

يريد أنه طريق ركوب مساوك والعصمة المنع من عصام القربة وهو وكاؤها الذي تشد به من سير أو خيط قال الشاعر

وقلت عليكم مالكا ان مالكا سيعصمكم ان كان في الناس عاصم

أي سيعصمكم واعتصم فلان بفلان أي امتنع به

✽ . المعنى ✽

ثم أمر سبحانه نبيه بالتبليغ ووعده العصمة والنصرة فقال (يا أيها الرسول) وهذا نداء تشریف وتعظيم (بلغ) أي أوصل إليهم (ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فابلغت رسالته) أكثر المفسرون فيه الأقاويل فقيل إن الله تعالى بعث النبي (ص) برسالة ضاق بها ذرعا وكان يهاب قريشا فأزال الله هذه الآية تلك الهيبة عن الحسن وقيل يريد به إزالة التوهم من أن النبي (ص) كتم شيئا من الوحي للتقية عن عائشة وقيل غير ذلك وروى العياشي في تفسيره بأسناده عن ابن أبي عمير عن ابن اذينة عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس وجابر بن عبد الله قالوا أمر الله محمداً (ص) أن ينصب عليا (ع) للناس فيخبرهم بولايته فخوف رسول الله (ص) أن يقولوا حابي ابن عمه وان يطعنوا في ذلك عليه فأوحى الله إليه هذه الآية فقام بولايته يوم غدیر خم وهذا الخبر بعينه قد حدثناه السيد ابو الحمد عن الحاكم ابي القاسم الحسكاني بأسناده عن ابي عمير في كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفصيل والتأويل وفيه أيضا بالاسناد المرفوع إلى حيان بن علي العلوي عن ابي صالح عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في علي (ع) فأخذ رسول الله (ص) بيده (ع) فقال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقد أورد هذا الخبر بعينه ابو اسحاق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي في تفسيره بأسناده مرفوعا إلى ابن عباس قال نزلت هذه الآية في علي (ع) امر النبي (ص) أن يبلغ فيه فأخذ رسول الله (ص) بيد علي (ع) فقال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقد اشتهرت الروايات عن ابي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام أن الله أوحى إلى نبيه (ص) أن يستخلف عليا (ع) فكان يخاف أن يشق ذلك على جماعة من أصحابه فأنزل الله تعالى هذه الآية تشجيعا له على القيام بما أمره الله بأدائه والمعنى أن تركت تبليغ ما أنزل إليك وكنتمه كنت كأنك لم تبلغ شيئا من رسالات ربك في استحقاق العقوبة وقال ابن عباس معناه ان كتمت آية مما أنزل إليك فما بلغت رسالته أي لم تكن ممثلاً لجميع الأمر (والله يعصمك من الناس) أي يمنعك من أن ينالوك بسوء (إن الله لا يهدي القوم الكافرين) قيل فيه قولان ✽ أحدهما ✽ أن معنى الهداية هنا أنه سبحانه لا يهديهم بالمعونة والتوفيق والالطاف إلى الكفر بل إنما يهديهم إلى الإيمان لأن من هداه إلى غرضه فقد اعانه على بلوغه عن علي بن عيسى قال ولا يجوز أن يكون المراد لا يهديهم إلى الإيمان لأنه تعالى هداهم إلى الإيمان بأن دلهم عليه ورضيهم فيه وحذرهم من خلافه ✽ والآخر ✽ أن المراد لا يهديهم إلى الجنة والثواب عن الجبائي

وفي هذه الآية دلالة على صدق النبي (ص) وصحة نبوته من وجهين * أحدهما * أنه وقع مخبره على ما أخبر به فيه وفي نظائره فدل ذلك على أنه من عند عالم الغيوب والسرائر * والثاني * أنه لا يقدم على الاخبار بذلك الا وهو يأمن أن يكون مخبره على ما أخبر به لأنه لا داعي له إلى ذلك إلا الصدق وروي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما نزلت هذه الآية قال لحراس من اصحابه كانوا يحرسونه منهم سعد وحذيفة ألقوا بملاحقكم فإن الله تعالى عصمني من الناس

قوله تعالى (٦٨) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُتَيْمَمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (آية)

* النزول *

قال ابن عباس جاء جماعة من اليهود إلى رسول الله (ص) فقالوا له ألسنت تقرأ بأن التوراة من عند الله قال بلى قالوا فإننا نؤمن بها ولا نؤمن بما عداها فنزلت الآية

* المعنى *

ثم أمر سبحانه النبي (ص) ان يخاطب اليهود فقال (قل) يا محمد (يا أهل الكتاب لستم على شيء) من الدين الصحيح (حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل اليكم من ربكم) أي حتى تقرأوا بالتوراة والإنجيل والقرآن المنزل إلى جميع الخلق وقيل معناه حتى تقيموا التوراة والإنجيل بالنصديق بما فيها من البشارة بالنبي محمد (ص) والعمل بما يوجب ذلك فيها وقيل معناه الأمر بإقامة التوراة والإنجيل وما فيها وإما كان ذلك قبل النسخ لها عن الجبائي (وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا) مر تفسيره قبل (فلا تأس على القوم الكافرين) أي لا تحزن عليهم وهذه تسلية للنبي (ص) أي فلا تحزن فإن تكذيب الأنبياء عادتهم ودأبهم وقيل معناه لا تحزن على ذلك الكفر وتجاوز الحد في الظلم منهم فإن ضرر ذلك عائد عليهم وقيل معناه لا تحزن على هلاكهم وعذابهم فذلك جزاؤهم بفعالهم

قوله تعالى (٦٩) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِثُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (آية)

* الاعراب *

اختلف في وجه ارتفاع قوله الصابثون فقال الكسائي هو نسق على ما في هادوا قال الزجاج وهذا خطأ من جهنين * أحدهما * ان الصابي على هذا القول يشارك اليهودي في اليهودية وليس كذلك فإن الصابي غير اليهودي فإن جمل هادوا بمعنى تابوا من قوله انا هدنا اليك لا من اليهودية ويكون المعنى تابوا هم والصابثون فالتفسير جاء بغير ذلك لأن معنى الذين آمنوا في هذه الآية إنما هو الايمان بأفواههم ثم ذكر اليهود والنصارى فقال من آمن منهم بالله فله كذا فجعلهم يهوداً ونصارى فلو كانوا مؤمنين لم يحتاج إلى ان يقال من آمن منهم فلهم أجرهم وهذا قول الفراء والزجاج في الانكار عليه والجهة الأخرى أن العطف على الضمير المرفوع من غير توكيد قبيح وإنما يأتي في ضرورة الشعر كما قال عمر بن ابي ربيعة

قلت إذ أقبلت وزهر تهادي كنعاج الملا تعسفن رملا

وقال الفراء انه عطف على ما لم يتبين فيه الاعراب مع ضعف ان قال وهذا يجوز في مثل الذين والمضمر نحو اني وزيد قائمان ولا يجوز ان زيد وعمرو قائمان قال الزجاج وهذا غلط لأن ان تعمل النصب والرفع وليس في العربية ناصب ليس معه مرفوع لأن كل منصوب مشبه بالمفعول والمفعول لا يكون بغير فاعل وكيف يكون نصب ان ضعيفا وهو يتخطى الظروف فتنصب ما بعدها نحو ان فيها قوما جبارين ونصب ان من اقوى المنصوبات وقال سيبويه والخليل وجميع البصريين ان قوله والصابئون محمول على التأخير ومرفوع بالابتداء المعنى ان الذين آمنوا والذين هادوا من آمن منهم بالله الى آخره والصابئون والنصارى كذلك ايضا من آمن منهم بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم وانشدوا قول بشر بن حازم

والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق

والمعنى فاعلموا انا بغاة ما بقينا في شقاق وانتم ايضا كذلك وقول ضابي البرحمي

فمن يك أمسى بالمدينة رحله فإني وقيار بها لغريب

أي فإني بها غريب وقيار كذلك وزعم سيبويه ان قوما من العرب بغاطون فيقولون انهم اجمعون ذاهبون وانك وزيد قائمان فجعل سيبويه هذا غلطا وجعله كقول الشاعر

بدا لي اتي لست مدرك ما مضى ولا سابق شيئا إذا كان جائيا

المعنى

قد مضى تفسير هذه الآية مشروحا في سورة البقرة وقد ذكرنا ههنا ان المعنى بالذين آمنوا في قول الزجاج هم المنافقون ثم ذكر بعد من آمن بالقلب وقيل ان من آمن محمول على اليهود والنصارى أي من آمن منهم والذين آمنوا في الابتداء محمول على ظاهره من حقيقة الايمان وقيل ان من آمن يرجع إلى الجميع وبكون معناه من يستديم الايمان ويستمر عليه

(٧٠) لقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فرىقا كذبوا وفرىقا يقتلون (٧١) وحسبوا أن لا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون (آيتان)

القراءة

قرأ ابو عمرو وحزمة والكسائي أن لا تكون بالرفع والباقون بالنصب ولم يختلفوا في رفع فتنة

الحجة

من قرأ الآتيتين فتنة بالرفع جعل ان مخففة من الثقلية واضمر الماء وجعل حسبوا بمعنى العلم وعلى هذا الوجه تثبت النون في الخط واما النصب فعلى انه جعل ان الناصبة للفعل ولم يجعل حسبوا بمعنى العلم وعلى هذا الوجه تسقط النون من الخط

اللغة

الهوى هو لطف محل الشيء من النفس مع الميل اليه بما لا ينبغي فلذلك غلب على الهوى صفة الذم ويقال هوى بهوى هوى وهوى بهوى هوى إذا انحط من الهوى وأهوى بيده إذا انحط بها ليأخذ شيئا وهوى بهوى هوى لا نيا بهوى فيها وهم يتهاونون في المهواة إذا سقط بعضهم على بعض والفرق بين الهوى والشهوة ان الشهوة تتعلق

بالمدرجات فيشتهي الانسان الطعام ولا يهوى الطعام والحسبان هو قوة احد النقيضين في النفس على الآخر وأصله الحساب فالنقيض القوي يحتسب به دون الآخر أي هو مما يحتسب ولا يطرح ومنه الحسب لأنه مما يحتسب ولا يطرح لأجل الشرف ومنه قولم حسبك أي بكفيك لأنه بحساب الكفاية ومنه احتساب الأجر لأنه فيما يحتسب ولا يلقى والفتنة ههنا العقوبة وأصله الاختبار ومنه افتتن فلان فلانة إذا هو بها لأنه ظهر ما يطوى من خبره بها وفتنت الذهب بالنار إذا خلصته ليظهر خبره في نفسه متميزا من شائب غيره

✽ الإعراب ✽

اللام في لقد لام القسم ونصب فربقان في الموضوعين بأنه مفعول به قال ابو علي الفارسي الأفعال على ثلاثة اضرب فعل يدل على ثبات الشيء واستقراره وذلك نحو العلم واليقين والتبيين وفعل يدل على خلاف الاستقرار والثبات وفعل يجذب مرة إلى هذا القبيل ومرة إلى هذا القبيل فما كان معناه العلم وقع بعده ان الثقلة ولم يقع بعده الخفيفة الناصبة للفعل وذلك ان الثقلة معناها ثبات الشيء واستقراره والعلم بأنه كذلك أيضا فإذا وقع عليه واستعمل معه كان وفقه وأن الناصبة للفعل لا تقع على ما كان ثابتا مستقرا فمن استعمال الثقلة بعد العلم قوله ويعلمون ان الله هو الحق المبين أو لم يعلم بأن الله يرى لأن الباء زائدة وأما ما كان معناه ما لم يثبت ولم يستقر فنحو اطعم وأخاف وارجو وأخشي ونحو ذلك ويستعمل بعده الخفيفة الناصبة للفعل قال تعالى والذي اطعم أن يغفر لي خطيئتي وتجاوزون أن يتخطفكم الناس فخشنا أن يرهقها وأما ما يجذب مرة إلى هذا الباب ومرة إلى هذا الباب فنحو حسبت وظننت وزعمت وهذا النحو يجعل مرة بمنزلة ارجو واطعم من حيث كان أمرا غير مستقرومرة يجعل بمنزلة العلم من حيث يستعمل استعماله ومن حيث كان خلافا والشيء قد يجري مجرى الخلاف نحو عطشان وريان فأما استعمالهم إياه استعمال العلم فهو انهم قد أجابوه بجواب القسم حكى سيبويه ظننت لتسبقي وظنوا ما لهم من محيص كما قالوا ولقد علمت لتأتين منيتي ولقد علمت ما أنزل هو لاء إلا رب السماوات والارض وكلهم قرأ فتنة بالرفع لأنهم جعلوا كان بمنزلة وقع ولو نصب فقيل أن لا يكون فتنة على ان لا يكون قوله فتنة كان جائزا في العربية وإنما رفع لاتباع الأثر وإنما حسن وقوع ان الخفيفة من الشديدة في قراءة من رفع وإن كان بعده فعل لدخول لا ولكنها عوضا عن حذف الضمير معه وإبلاؤه ما لم يكن يليه ولو قلت علمت أن تقول لم يحسن حتى تأتي بما يكون عوضا نحو قد ولا والسين وسوف كما في قوله علم ان سيكون منكم مرضى فإن قلت قد جاء وأن ليس للإنسان إلا ما سعى فلم يدخل بين ان وليس شيئا وإنما جاء هذا لأن ليس ليس بفعل على الحقيقة وأما قوله كثير منهم فيرتفع من ثلاثة أوجه **أحدها** أن يكون بدلا من الواو في عموا وضموا **والثاني** أن يكون خبر مبتدأ محذوف كأنه قال ذو العمى والصم كثير منهم **والثالث** أن يكون على لغة أكلوني البراغيث وعليه قول الشاعر

بلوموني في اشتراء النخيل أهلي فكلهم يعذل

وقال الفرزدق

والقتا عيناك عند القفا أولى فأولى لك ذا واقية

وقال الهذلي

ولكن ديانى أبوه وأمه بجوران يعصرن السليط أقاربه

✽ المعنى ✽

ثم أقسم سبحانه بأنه أخذ عليهم الميثاق فقال (لقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل) يريد الأيمان المؤكدة

التي أخذها أنبياءهم عليهم في الإيمان بمحمد والإقرار به وقيل أخذ ميثاقهم على الإخلاص في التوحيد والعمل بما أمر به والانتفاء عما نهى عنه والتصديق برسله والبشارة بمحمد (ص) ووجه الاحتجاج عليهم بذلك وإن كان أخذ الميثاق على آباءهم انهم عرفوا ذلك في كتبهم وأقروا بصحته فالحجة لازمة لهم وعتب المخالفة بلحقهم كما يلحق آباءهم (وارسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم) أي مما لا تهوى أنفسهم أي بما لا يوافق مرادهم (فريقا كذبوا وفريقا يقتلون) أي كذبوا طائفة وقتلوا طائفة فإن قيل لم عطف المستقبل على الماضي فجوابه ليدل على ان ذلك من شأنهم ففيه معنى كذبوا وقتلوا وبكذبون ويقتلون مع ان قوله يقتلون على الماضي يجب أن يكون موافقا لرؤوس الآي ويمكن أن يقال التقدير فيه فريقا كذبوا لم يقتلوه وفريقا كذبوا يقتلون فيكون يقتلون صفة للفريق ولم يكن فيه عطف المستقبل على الماضي وعلى الجواب الأول لم يمكن كذبوا ويقتلون صفة للفريق لأن التقدير كذبوا فريقا ويقتلون فريقا وقد ذكرنا تفسير الفريقين في سورة البقرة عند قوله فريقا كذبتم وفريقا تقتلون (وحسبوا) أي وظنوا (الا تصكون فتنة) أي عقوبة على قتلهم وتكذيبهم يريد وظنوا ان الله لا يعذبهم عن عطا عن ابن عباس وقيل حسب القوم أن لا يكون بلية عن فتادة والحسن والسدي وقيل فتنة أي شدة وقحط عن مقاتل والكل متقارب وقيل وحسبوا فعلهم غير فاتن لهم وذلك انهم كانوا يقولون نحن ابناء الله وأحباؤه عن الزجاج وقيل معناه وقدرنا ان لا تقع بهم فتنة في الإصرار على الكفر وظنوا ان ذلك لا يكون موبقا لهم عن ابن الأنباري (فعموا وسموا) على التشبيه بالأعمى والأصم لأنه لا يهتدي إلى طريق الرشدي في الدين لإعراضه عن النظر كما لا يهتدي هذا إلى طريق الرشدي في الدنيا لأجل عما وصممه (ثم تاب الله عليهم) يريد ان فريقا منهم تابوا فتاب الله عليهم (ثم عموا وسموا) أي عادوا إلى ما كانوا عليه يريد فلما انقضت تلك القرون ونشأت قرون أخر تخلقوا بأخلاق آباءهم فعموا عن الحق وسموا عن استماعه وقيل معناه لما تابوا دفع الله عنهم البلاء ثم صار (كثير منهم) كما كانوا وقيل أراد بكثير منهم من كان في عصر نبينا (ص) (والله بصير بما يعملون) أي علم بأعمالهم وهذا كالوعيد لهم

(٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٣) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٤) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (ثلاث آيات)

اللغة

الشرك أصله الاجتماع في الملك فإذا كان الملك بين نفسين فما شريكان وكذلك كل شيء بين نفسين ولا يلزم على ذلك ما يضاف إلى كل واحد منها منفردا كالعبد يكون ملكا لله وهو ملك للإنسان لأنه لو بطل ملك الإنسان لكان ملكا لله كما كان لم يزد في ملكه شيء لم يكن والمس ههنا معناه ما يكون معه إحساس وهو حلوه فيه لأن العذاب لا يمس الحيوان إلا أحس به وقد يكون المس بمعنى اللمس

الإعراب

قال الفراء ثالث ثلاثة لا يكون إلا مضافا ولا يجوز التنوين في ثالث فينصب ثلاثة وكذلك قوله ثاني اثنين إذ هما في الغار لا يكون إلا مضافا لأن المعنى مذهب اسم كأنك قلت واحد من اثنين وواحد من ثلاثة ولو قلت انت

ثالث اثنين جاز الاضافة وجاز التنوين ونصب الاثنين وكذلك رابع ثلاثة لأنه فعل واقع وزاد الزجاج لهذا بياناً فقال لا يجوز في ثلاثة إلا الخفض لأن المعنى احد ثلاثة فإن قلت ثالث اثنين او رابع ثلاثة جاز الخفض والنصب اما النصب فعلى قولك كان القوم ثلاثة فربعتهم وانا رابعهم عدداً ومن خفض فعلى حذف التنوين كما قال عز وجل هديا بالغ الكعبة وتقديره بالغ الكعبة وقوله وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن فيه دلالة على اعتماد القسم في مثل قوله ولئن جنتهم بأية ليقولن على الفعل الثاني دون الأول ألا ترى انه لو كان اعتماد القسم على الأول لما حذف اللام من قوله وإن لم ينتهوا كما يحذف اللام الثانية في موضع ومثله في شعر قول عارف الطائي

فأقسمت لا احتل إلا بصهوة حرام علي رمله وشقائفه

فإن لم تغير بعض ما قد صنعتم لأنتحتن للعظم ذوأنا عارقه

فإن قيل لم لا يجوز أن يكون اعتماد القسم على اللام الأولى إلا انها حذفت كما حذفت من قوله قد افلح من زكاه فجوابه ان ذلك لا يجوز لأن اللام إنما حذفت من قد افلح لطول الكلام لما اعترض بين القسم والقسم عليه ولم يطل في هذا الموضع فيستجاز حذفها وإنما هذه اللام بمنزلة ان في قولك والله ان لو فعلت لفعلت تثبتاً تارة وتحذفها أخرى والقسم لا يعتمد على هذه اللام كما لا يعتمد على ان هذه أشد سيويه

فأقسم ان لو التقينا وانتم لكان لكم يوم من الشر مظلم

فالذي اعتمد عليه اقسام قوله لكان دون ان ألا ترى انك تقول اقسمت لو جئت لجئت فنحذف ان كما تحذف هذه اللام فهذه اللام من الزيادات التي إذا ادخلت أكدت وإذا سقطت لم يخل سقوطها بالكلام إلا ان زيادتها في القسم دون غيره كما أن إن تزداد في قولهم ما ان في النفي دون غيره وعلى هذا فيكون المعقود بالقسم في قولك لئن أتيتني لا كرمتك إنما هو لا كرمتك ولكن الشرط بكون كالاتثناء من هذه الجملة المعقودة بالقسم كأنك أردت أن تقسم على البتات ان تكرمه ثم بدا لك إذا أردت ذلك ثم عقلت اكرامك إياه بإتيانه فصار التقدير والله لا كرمتك إن أتيتني أي إن أتيتني لا كرمتك فاستغنت عن ذكر الجزاء لتقدير تقديم ما يدل عليه فقولك لان أتيتني متصل بما يدل عليه لا كرمتك من الجزاء هذا الاتصال وهذه الجملة قد لخصتها من كلام الشيخ ابي علي

المعنى *

ثم عاد تعالى إلى ذكر النصارى فقال (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم) وهذا مذهب اليعقوبية منهم لأنهم قالوا ان الله اتحد بالمسيح اتحاد الذات فصارا شيئاً واحداً وصار الناسوت لاهوتاً وذلك قولهم انه الإله (وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم) أي خالقي وخالقكم ومالكي ومالككم وإني وإياكم عبيده (انه من يشرك بالله) أي بأن يزعم أن غيره يستحق العبادة مع ما ثبت انه لا يقدر أحد على فعل ما يستحق به العبادة سوى الله تعالى (فقد حرم الله عليه الجنة) والتجريم هاهنا تجريم منعه لا تجريم عبادة ومعناه فإن الله يمنع الجنة (وماواه) أي مصيره (النار) وهذا كله اخبار من المسيح لقومه (وما للظالمين من أنصار) معناه لا ناصر لهم يخلصهم مما هم فيه من أنواع العذاب ثم أقسم تعالى قسماً آخر فقال (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) والقائلون بهذه المقالة جمهور النصارى من الملكية واليعقوبية والنسطورية لأنهم يقولون ثلاثة أقانيم جوهر واحد أب وابن وروح القدس إله واحد ولا يقولون ثلاثة آلهة ويمنعون من هذه العبارة وإن كان يلزمهم أن يقولوا ثلاثة آلهة فصح ان يحكى عنهم بالعبارة اللازمة وإنما قلنا انه يلزمهم ذلك لأنهم يقولون الابن إله والأب إله وروح القدس إله والابن ليس هو الأب (وما من إله إلا إله واحد) أي ليس إله إلا إله واحداً وإنما دخلت من للتوكيد (وإن لم ينتهوا عما يقولون) أي وان لم يرجعوا ويتوبوا عما يقولون من القول بالثالث اقسام (ليمسن)

الذين كفروا منهم عذاب أليم) وإنما خص سبحانه الذين يستمرون على كفرهم لأنه علم أن بعضهم يؤمن عن أبي علي الجبائي والزجاج وقيل أنه عم بقوله الذين كفروا الفريقين الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم والذين قالوا إن الله هو ثالث ثلاثة والضمير عائد إلى أهل الكتاب وليس في هذا دلالة على أن في أفعال الجوارح ما هو كفر لأنه إنما يتضمن أن من قال أنه ثالث ثلاثة فهو كافر ولا خلاف في ذلك فإن من قال إن الكفر هو الجحود بالقلب قال إن في أفعال الجوارح ما يدل على الكفر الذي هو الجحود مثل هذه المقالة ومثل السجود للصنم وغير ذلك فلا دلالة في الآية على ما قالوه (أفلا يتوبون إلى الله) قال الفراء هذا أمر في لفظ الاستفهام وقد يرد الأمر بلفظ الاستفهام كقوله فهل انتم منتهون وإنما دخلت إلى لأن معنى التوبة الرجوع إلى طاعة الله لأن التائب بمنزلة من ذهب عنها ثم عاد إليها (ويستغفرونه) الفرق بين التوبة والاستغفار أن الاستغفار طلب المغفرة بالدعاء والتوبة أو غيرهما من الطاعة والتوبة الندم على المعصية مع العزم على أن لا يعود إلى مثلها في القبح والاستغفار مع الإصرار على القبح لا يصح (والله غفور رحيم) يغفر الذنوب ويسترها رحمة منه لعباده وفي هذه الآية تحريض على التوبة وحث على الاستغفار

قوله تعالى (٧٥) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا بَأْسًا كِلَانِ الطَّعَامِ أَنْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنِّي بَؤُوفٌ كُونَ (٧٦) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٧) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (ثلاث آيات)

اللغة

الصديقة المبالغة في الصدق والصديق فعيل من ابنية المبالغة كما يقال رجل سكيت أي مبالغ في السكوت يقال أفكه بأفكه أفكا إذا صرفه والأفك الكذب لأنه صرف عن الحق وكل مصروف عن شيء مأفوك عنه قال ابن السكيت

ان تك عن احسن المروءة مأ فوكا ففي آخرين قد أفكوا

وقد أفكت الأرض إذا صرف عنها المطر وأرض مأفوكة لم يصبها مطر والمؤفكات المتقلبات من الرياح لأنها صرفت عن وجهها والملك القدرة على تصرف ما للقادر عليه إن صرفه فملك الضرر والنفع أخص من القدرة عليهما لأن القادر قد يقدر من ذلك على ما له أن يفعل وقد يقدر منه على ما ليس له أن يفعله والنفع هو فعل اللذة والسرور أو ما أدى إليها أو إلى أحدهما مثل الملاذ التي تحصل في الحيوان والصلة بالمال والوعد باللذة فإن جميع ذلك نفع لأنه يؤدي إلى اللذة والضرر هو فعل الألم والغم أو ما يؤدي إليها أو إلى واحد منهما كالآلام التي توجد في الحيوان وكالغذف والسب لأن جميع ذلك يؤدي إلى الألم والأهواء اجمع هوى النفس مقصور لأنه مثل فعل وفعل جمعه أفعال

الاعراب

انصباب غير الحق على وجهين * أحدهما * أن يكون على الحال من دينكم فكانه قال لا تغلوا في دينكم مخالفين للحق * والثاني * أن يكون منصوبا على الاستثناء بمعنى لا تغلوا في دينكم إلا الحق فيكون الحق مستثنى من النهي عن الغلو فيه بأن يجوز الغلو فيما هو حق على معنى اتباعه

* المعنى *

لما قدم سبحانه ذكر مقالات النصارى عقبه بالرد عليهم والحجاج لهم فقال (ما المسيح بن مريم إلا رسول) أي ليس هو بآله (قد خلت من قبله الرسل) أي كما ان الرسل الذين مضوا قبله ليسوا بألهة وان أتوا بالمعجزات الباهرات فكذلك المسيح فيمن ادعى له الإلهية فهو كمن ادعى لهم الإلهية لتساويهم في المنزلة (وامه صديقة) لأنها تصدق بآيات ربها ومنزلة ولدها وتصدق فيه فيما أخبرها به بدلالة قوله وصدقت بكلمات ربها عن الحسن والجبائي وقيل سميت صديقة لكثرة صدقها وعظم منزلتها فيما تصدق به من أمرها (كانا يأكلان الطعام) قيل فيه قولان * أحدهما * انه احتجاج على النصارى بأن من ولده النساء وبأكل الطعام لا يكون إلهًا للعباد لأن سبيله سيئهم في الحاجة إلى الصانع المدير والمعنى انها كانا يعيشان بالغذاء كما يعيش سائر الخلق فكيف يكون إلهًا من لا يقيمه إلا أكل الطعام وهذا معنى قول ابن عباس * والثاني * ان ذلك كناية عن قضاء الحاجة لأن من أكل الطعام لا بد له من الحدث فلما ذكر الأكل صار كأنه أخبر عن عاقبته (أنظر كيف نبين لهم الآيات) أمر سبحانه النبي (ص) وأمه بأن يفكروا فيما بين تعالى من الآيات أي الدلالات على بطلان ما اعتقدوه من ربوبية المسيح ثم أمر بأن ينظر (ثم انظر أنى يؤفكون) أي كيف بصرفون عن الحق الذي يؤدي إليه تدبير الآيات فالنظر الأول إنما هو إلى فعله تعالى الجميل في نصب الآيات وإزاحة العلل والنظر الثاني إلى أفعالهم القبيحة وتركهم التدبير للآيات ثم زاد تعالى في الاحتجاج عليهم فقال (قل) يا محمد (أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً) أي أتوجهون لعبادتهم إلى من لا يقدر لكم على النفع والضرر لأن القادر عليها هو الله أو من يمكنه الله تعالى من ذلك والمستحق للعبادة إنما هو القادر على اصول النعم والنفع والضرر والخلق والاحياء والرزق ولا يقدر على ذلك غير الله فلا يستحق العبادة سواه (والله هو السميع) لا أقوالكم (العليم) بضائر كم وفي هذا تحذير من الجزاء واستدعاء إلى التوبة ثم دعاهم إلى ترك الغلو فقال (قل) يا محمد للنصارى فإنهم المخاطبون هنا وقال قوم انه خطاب لليهود والنصارى لأن اليهود غلوا ايضا في تكذيب عيسى ومحمد (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) أي لا تتجاوزوا الحد الذي حده الله لكم إلى الازدياد وضده التقصير وهو الخروج عن الحد إلى النقصان والزيادة في الحد والنقصان عنه كلاهما فساد ودين الله الذي أمر به هو بين الغلو والتقصير وهو الاقتصار (غير الحق) أي مجاوزين الحق إلى الغلو وإلى التقصير فيفوتكم الحق ومن قال ان الخطاب لليهود والنصارى فغلوا نصارى فغلوا لليهود والنصارى في عيسى ادعاهم له الإلهية وغلوا لليهود فيه تكذيبهم له ونسبتهم إياه إلى انه لغير رشدة (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا) قال ابن عباس كل هوى ضلالة يعني بالقوم الذين ضلوا من قبل رؤساء الضلالة من فريقي اليهود والنصارى والآية خطاب للذين كانوا في عصر النبي (ص) نهوا ان يتبعوا اسلافهم فيما ابتدعوه بأهوائهم وان يقلدوهم فيما هووا والأهواء ههنا المذاهب التي تدعو إليها الشهوة دون الحجة لأن الإنسان قد يستقل النظر لما فيه من المشقة ويميل طبعه إلى بعض المذاهب فيعتقده وهو ضلال فيهلك به والاتباع هو سلوك الثاني طريقة الأول على وجه الاقتداء به وقد يتبع الثاني الأول في الحق وقد يتبعه في الباطل وإنما يعلم احدهما بدليل (واضلوا كثيراً) يعني به هؤلاء الذين ضلوا عن الحق اضلوا كثيراً من الخلق أيضاً ونسب الاضلال اليهم من حيث كان بدعائهم واغوائهم (وضلوا عن سواء السبيل) قيل في معناه قولان * أحدهما * انهم ضلوا باضلالهم غيرهم عن الزجاج * والثاني * انهم ضلوا من قبل بكفرهم بعيسى واضلوا غيرهم من بعد بكفرهم بمحمد (ص) فلذلك كرر ومعنى سواء السبيل مستقيم الطريق وقيل له سواء لاستمراره على استواء وقيل لأنه يستقيم بصاحبه إلى الجنة والخلود في النعيم

قوله تعالى (٧٨) لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ

بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٩) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرِ فَعْلُوهُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ
(٨٠) تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (ثلاث آيات)

✽ اللغة ✽

للتناهي هاهنا معنيان ✽ احدهما ✽ انه تفاعل من النهي اي كانوا لا ينهى بعضهم بعضاً ✽ والثاني ✽
انه بمعنى الانتهاء يقال انتهى عن الأمر وتناهى عنه إذا كف عنه

✽ الاعراب ✽

لبس ما يجوز ان يكون ما ههنا كافة لبس كما تكف في إنما ولكننا وبعدها وربما واللام فيه للقسم ويجوز
ان يكون اسماً نكرة فكأنه قال لبس شيئاً فعلوه كما تقول لبس رجلاً كان عندك ومحل ان سخط الله
عليهم ارفع كرفع زيد في قولك لبس رجلاً زيد فيكون مبتدأ ولبس وما عملت فيه خبره او يكون خبر مبتدأ
محذوف كأنه لما قال لبس رجلاً قبل من هو فقال زيد اي هو زيد ويجوز ان يكون محله نصباً على تأويل لبس
الشيء ذلك لأن سخط الله عليهم

✽ المعنى ✽

ثم اخبر تعالى عما جرى على اسلافهم فقال (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى
ابن مريم) قيل في معناه اقوال ✽ احدها ✽ ان معناه لعنوا على لسان داود فصاروا قردة وعلى لسان عيسى فصاروا
خنزير وانما خص عيسى وداود لأنها ائمة الانبياء المبعوثين من بعد موسى ولما ذكر داود اغني عن
ذكر سليمان لأن قولها واحد عن الحسن ومجاهد وقتادة وقال ابو جعفر الباقر (ع) اما داود فإنه لعن اهل ابلة
لما اعتدوا في سبتهم وكان اعتدائهم في زمانه فقال اللهم السبم اللعنة مثل الرداء ومثل المنطقة على الحقوبين
فمسخهم الله قردة فأما عيسى (ع) فإنه لعن الذين انزلت عليهم المائدة ثم كفروا بعد ذلك وثنائها ✽ ما قاله
ابن عباس انه يريد في الزبور وفي الانجيل ومعنى هذا ان الله تعالى لعن في الزبور من يكفر من بني اسرائيل
وفي الانجيل كذلك فلذلك قيل على لسان داود وعيسى ✽ وثالثها ✽ ان يكون عيسى وداود علما ان محمدا
نبي مبعوث ولعنا من يكفر به عن الزجاج والأول اصح والمراد ان الله أسبهم من المغفرة مع الإقامة على الكفر
لدعاء الأنبياء عليهم بالعقوبة ودعوتهم مستجابة وإنما ذكر العن على لسانها ازالة للاويهاهم بأن لهم منزلة بولادة
الأنبياء تنجيهم من العقوبة (ذلك) اشارة الى العن المتقدم ذكره (بما عصوا وكانوا يعتدون) اي بمعصيتهم
واعتدائهم ثم بين تعالى حالهم فقال (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) اي لم يكن ينهى بعضهم بعضاً
ولا ينتهون اي لا يكفون عما نهوا عنه قال ابن عباس كان بنو اسرائيل ثلاث فرقة فرقة اعتدوا في السبت وفرقة
نهورهم ولكن لم يدعوا مجالستهم ولا مؤاكلتهم وفرقة لما رأوهم يعتدون ارتحلوا عنهم وبقيت الفرقتان المعتدية
والناحية المخالطة فلعنوا جميعاً ولذلك قال رسول الله (ص) لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر ولتأخذن على يد السفية
ولتأطرنه على الحق اطرا او ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض ويلعنكم كما لعنهم وانما سمي القبيح منكر الأئمة
بنكره العقل من حيث ان العقل يقبل الحسن ويعترف به ولا يأباه وينكر القبيح ويأباه وما بنكره العقل فهو
الباطل وما يقر به فهو الحق وقيل ان المراد بالمنكر هنا صيدهم السمك يوم السبت وقيل هو اخذهم الرشى في
الاحكام وقيل اكلهم الربا واثمان الشحوم ثم اقسم سبحانه فقال (لبس ما كانوا يفعلون) اي لبس شيئاً
فعلهم (ترى كثيراً منهم) اي من اليهود (يتولون الذين كفروا) يريد كفار مكة عنى بذلك كعب بن

وأصله من الرهبة المخافة وقال جرير

رهبان مدين لو رأوك تزلوا والعصم من شعف الجبال القادر

وقال بعضهم الرهبان يكون واحداً وجمعاً فمن جعله واحداً جعله بناء على فعلان وانشد

لو عاينت رهبان دير في القلل لا تحدر الرهبان يمشي وتزل

وفيض العين من الدمع امثلاؤها منه كفيض النهر من الماء وفيض الاناء وهو سيلانه من شدة امتلائه وفاض صدر فلان بسره وفاض القوم من عرفات إلى منى إذا دفعوا وفاضوا في الحديث إذا تدافعوا فيه والدمع الماء الجاري من العين وبشبهه به الصافي فيقال كأنه دمعاً والمدامع مجاري الدمع وشجة دامة تسيل دما والطمع تعلق النفس بما يقوى ان يكون من معنى المحبوب ونظيره الأمل والرجاء والطمع بكون معه الخوف ولا يكون والصالح هو الذي يعمل الصلاح في نفسه فإن كان عمله في غيره فهو مصالح فلذلك بوصف الله تعالى بأنه مصالح ولم بوصف بأنه صالح

الاعراب

اللام في لتجدن لام القسم والنون دخلت ليفصل بين الحال والاستقبال هذا مذهب الخليل وسيبويه وعداوة منصوب على التمييز ويقولون ربنا في موضع نصب على الحال وتقديره قائلين ربنا ولا تؤمن في موضع نصب على الحال تقديره أي شيء لنا تاركين الإيمان أي في حال تركنا الإيمان ومن الحق معنى من تبين الاضافة التي تقوم مقام الصفة كأنه قيل والجائي لنا الذي هو الحق وقيل انها للتبويض لأنهم آمنوا بالذي جاءهم على التفصيل

التزول والقصة

نزلت في النجاشي واصحابه قال المفسرون أتمرت قريش ان يقتنوا المؤمنين عن دينهم فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين بوذونهم وبعذبونهم فافتتن من افتن وعصم الله منهم من شاء ومنع الله رسوله بعنه ابي طالب فلما رأى رسول الله ما بأصحابه ولم يقدر على منعهم ولم يؤمر بعد بالجهاد أمرهم بالخروج إلى أرض الحبشة وقال ان بها ملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده احد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله عز وجل للمسلمين فرجا وأراد به النجاشي واسمه اصحمه وهو بالحبشية عطية وانما النجاشي اسم الملك كقولهم كسرى وقيصر فخرج اليها سر أحد عشر رجلا وأربع نسوة وهم عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وابو حذيفة بن عتبة وامرأته سهيل بنت سهيل بن عمرو ومصعب بن عمير وابوسلمة بن عبد الأسد وامرأته أم سلمة بنت أبي أمية وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وامرأته ليلى بنت ابي خيشمة وحاطب بن عمرو وسهل بن البيضاء فخرجوا إلى البحر وأخذوا سفينة إلى أرض الحبشة بنصف دينار وذلك في رجب سنة الخامسة من بعث رسول الله وهذه هي الهجرة الأولى ثم خرج جعفر بن ابي طالب وتتابع المسلمون اليها وكان جميع من هاجر إلى الحبشة من المسلمين اثنين وثمانين رجلا سوى النساء والصبيان فلما علمت قريش بذلك وجهوا عمرو بن العاص وصاحبه عمارة بن الوليد بالهدايا إلى النجاشي وإلى بطارقتهم ليردوهم اليهم وكان عمارة بن الوليد شابا حسن الوجه واخرج عمرو بن العاص اهله معه فلما ركبوا السفينة شربوا الخمر فقال عمارة لعمرو بن العاص قل لأهلك قبلي فأبى فلما انتهى عمرو ودفعه عمارة في الماء ونشب عمرو سيفه صدر السفينة وأخرج من الماء والقي الله بينهما العداوة في مسيرها قبل ان يقدموا إلى النجاشي ثم وردا على النجاشي فقال عمرو ابن العاص يا ابا الملك ان قوما خالفونا في ديننا وسبوا آهتنا وصاروا اليك فردم الينا فبعث النجاشي إلى جعفر فبعاه فقال يا ابا الملك سلهم أنحن عبيد لهم فقال لا بل احرار قال فسلمهم لهم علينا ديون بطالبونا بها قال لا مانع عليكم

ديون قال فلكم في اعناقنا دماء تطالبونها بها قال عمرو لا قال فما تريدون منا آذيتمونا فخرجنامن دياركم ثم قال ايها الملك بعث الله فينا نبيا امرنا بجمع الانداد وترك الاستقسام بالأزلام وأمرنا بالصلاة والزكاة والعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ونهانا عن الفحشاء والمنكر والبغى فقال النجاشي بهذا بعث الله عيسى ثم قال النجاشي لجعفر هل تحفظ مما أنزل الله على نبيك شيئا قال نعم فقرأ سورة مريم فلما بلغ قوله وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا قال هذا والله هو الحق فقال عمرو انه مخالف لنا فرده اليسا فرفع النجاشي يده وضرب بها وجه عمرو وقال اسكت والله لئن ذكرته بعد بسوء لأفعلن بك وقال أرجعوا الى هذا هديته وقال لجعفر واصحابه أمكثوا فإني لكم سيوم والسيوم الآتون وامر لهم بما يصلحهم من الرزق فانصرف عمرو وأقام المسلمون هناك بخير دار واحسن جوار الى ان هاجر رسول الله وعلا امره وهادن قريشا وفتح خيبر فوافى جعفر الى رسول الله بجميع من كانوا معه فقال رسول الله لا ادري انا بفتح خيبر اسرام بقدوم جعفر ووافى جعفر واصحابه رسول الله في سبعين رجلا منهم اثنان وستون من الحبشة وثمانية من اهل الشام فيهم بجهراء الراهب فقرأ عليهم رسول الله (ص) سورة يس الى آخرها فبكوا حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا ما اشبه هذا بما كان ينزل على عيسى فأنزل الله فيهم هذه الآيات وقال مقاتل والكلبي كانوا اربعين رجلا اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من اهل الشام وقال ثمانين رجلا اربعون من اهل نجران من بني الحرث بن كعب واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية روميون من اهل الشام

✽ المعنى ✽

ثم ذكر تعالى معاداة اليهود للمسلمين فقال (لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا) وصف اليهود والمشركين بأنهم اشد الناس عداوة للمؤمنين لأن اليهود ظاهروا المشركين على المؤمنين مع ان المؤمنين يؤمنون بنبوته موسى والتوراة التي اتى بها فكان ينبغي ان يكونوا الى من وافقهم في الإيمان ببيهم وكتابهم اقرب وانما فعلوا ذلك حسداً للنبي (ص) (ولتجدن اقر بهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى) يعني الذين قدمنا ذكرهم من النجاشي ملك الحبشة واصحابه عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء السدي والذين جاؤمع جعفر مسلمين عن مجاهد (ذلك بأن منهم) اي من النصارى (قسيسين) اي عبادا عن ابن زيد وقيل علماء عن قطرب وقيل ان النصارى ضيعت الانجيل وادخلوا فيه ما ليس فيه وبقي من علمائهم واحد على الحق والاستقامة فهو قسيسا فمن كان على هداية ودينه فهو قسيس (ورهبانا) اي اصحاب الصوامع (وانهم لا يستكبرون) معناه ان هؤلاء النصارى الذين آمنوا لا يستكبرون عن اتباع الحق والانقياد له كما استكبر اليهود وعباد الأوثان وانقوا عن قبول الحق اخبر الله تعالى في هذه الآية عن عداوة مجاوري النبي (ص) من اليهود ومودة النجاشي واصحابه الذين اسلموا معه من الحبشة لأن الهجرة كانت الى المدينة وبها اليهود والى الحبشة وبها النجاشي واصحابه ثم وصفهم فقال (واذا سمعوا ما انزل الى الرسول) من القرآن (ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) اي لمعرفتهم بأن المتلو عليهم كلام الله وانه حق (يقولون ربنا آمنا) اي صدقنا بأنه كلامك انزلته على نبيك (فاكتبنا) اي فاجعلنا بمنزلة من قد كتب ودون وقيل فاكتبنا في أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ (مع الشاهدين) اي مع محمد وامته الذين يشهدون بالحق عن ابن عباس وقيل مع الذين يشهدون بالإيمان عن الحسن وقيل مع الذين يشهدون بتصديق نبيك وكتابك عن الجبائي (وما لنا لا نؤمن بالله وما جئنا من الحق) معناه لا أي عذر لا نؤمن بالله وهذا جواب لمن قال لهم من قومهم تعنيفا لهم لما آمنتم عن الزجاج وقيل انهم قدروا في انفسهم كأن سائلا سألهم عنه فأجابوا بذلك والحق هو القرآن والإسلام ووصفه بالنجسي مجازا كما يقال نزل وانما نزل به الملك فكذلك جاء به الملك وقيل ان جاء بمعنى حدث نحو قوله جاءت سكرة الموت بالحق (ونطمع) اي نرجو ونأمل (ان يدخلنا ربنا) يعني في الجنة لايماننا بالحق فحذف للدلالة الكلام عليه (مع القوم الصالحين) المؤمنين من أمه محمد

قوله تعالى (٨٥) فَأَنابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٨٦) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (آيتان)

✽ اللغة ✽

أنابهم أي جازاهم وأصل الثواب الرجوع والاحسان إيصال النفع الحسن إلى الغير وضده الإساءة وهو إيصال الضرر القبيح إليه وليس كل من كان من جهته إحسان فهو محسن مطلقاً فالمحسن فاعل الإحسان بشرط أن يكون خالياً من وجوه القبح والجحيم النار الشديدة الإيقاد وهو هنا اسمٌ من أسماء جهنم وجحيم فلان النار إذا شدد إيقادها ويقال لعين الأسد جحمة لشدة إيقادها قال « والحرب لا يبقي لجاحمها التخيل والمراح »

✽ المعنى ✽

(فأنابهم) أي جازاهم (الله بما قالوا) أي بالتوحيد عن الكلي وعلى هذا فإنما علق الثواب بمجرد القول لأنه قد سبق من وصفهم ما يدل على إخلاصهم فيما قالوه وهو المعرفة في قوله مما عرفوا من الحق والبكاء المؤذن بحقيقة الإخلاص واستكانة القلب ومعرفة القول إذا اقترنت به المعرفة والإخلاص فهو الإيمان الحقيقي الموعود عليه الثواب وقيل إن المراد بما قالوا ما سألوا يعني قوله فاكتبنا مع الشاهدين ونطمع أن يدخلنا الآبنة عن عطاء ابن عباس وعلى هذا فيكون القول معناه المسألة للجنة (جنت تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) مر تفسيره (وذلك جزاء المحسنين) أي المؤمنين عن الكلي والموحدين عن ابن عباس (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) لما ذكر سبحانه الوعد لمؤمنيهم ذكر الوعيد لمن كفر منهم وكذب واطلق اللفظ به ليكون لهم ولن جرى مجراهم في الكفر وإنما شرط في الوعيد على الكفر التكذيب بالآيات وإن كان كل منهما يستحق به العقاب لأن صفة الكفار من أهل الكتاب أنهم يكذبون بالآيات فلم يصح هنا وكذبوا لأنهم جمعوا الأمرين وليس من شرط المكذب أن يكون عالماً بأن ما كذب به صحيح بل إذا اعتقد أن الخبر كذب سمي مكذباً وإن لم يعلم أنه كذب وإنما يستحق به الذم لأنه جعل له طريق إلى أن يعلم صحة ما كذب به

قوله تعالى (٨٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَبِيبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٨) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (آيتان)

✽ النزول والقصة ✽

قال المفسرون جلس رسول الله يوماً فذكر الناس ووصف القيامة فرق الناس وبكوا واجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان بن مظعون الجحفي وهم علي و أبو بكر وعبد الله بن مسعود و أبو ذر الغفاري وسالم مولى أبي حذيفة وعبد الله بن عمر والمقداد بن الأسود الكندي وسلمان الفارسي ومقل بن مقرن واتفقوا على أن يصوموا النهار ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم ولا الودك ولا يقرئوا النساء والطيب ويلبسوا المسوح ويرفضوا الدنيا ويسبحوا في الأرض وهم بعضهم أن يجب مذاكيره فيبلغ ذلك رسول الله (ص) فأتى دار عثمان فلم يصادفه فقال لامرأته أم حكيم بنت أبي أمية واسمها حواء وكانت عطارة أحق ما بلغني عن زوجها وأصحابه فكرهت أن تكذب رسول الله (ص) وكرهت أن تبدي علي زوجها فقالت يا رسول الله ان كان أخبرك عثمان فقد صدقت فانصرف رسول الله فلما دخل عثمان أخبرته بذلك فأتى رسول الله (ص) هو وأصحابه فقال لهم رسول الله ألم أنبئكم أنكم اتفقتم على كذا وكذا قالوا بلى يا رسول الله (ص) وما أردنا إلا الخير فقال رسول

الله أفي لم أومر بذلك ثم قال ان لا أنفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فإني أقوم وأنام واصوم وافطر
وآكل اللحم والدسم وآتي النساء ومن رغب عن سني فليس مني ثم جمع الناس وخطبهم وقال ما بال أقوام حرّموا
النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا أما إني لست أمركم ان تكونوا قسيسين ورهباناً فإنه ليس في ديني
ترك اللحم ولا النساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتي الصوم ورهبايتهم الجهاد اعبدوا الله ولا تشرّكوا به شيئاً
وحجوا واعتمرروا واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان واستقيموا يستقيم لكم فإنما هلك من كان قبلكم
بالتشديد شدّدوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فأولئك بقاياهم في الديارات والصوامع فأنزّل الله الآية وروي عن
إبي عبد الله (ع) انه قال نزلت في علي وبلال وعثمان بن مظعون فأما علي (ع) فإنه حلف ان لا ينام بالليل ابداً
إلا ما شاء الله وأما بلال فإنه حلف ان لا يفطر بالنيهار ابداً وأما عثمان بن مظعون فإنه حلف ان لا ينكح ابداً

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر الرهبان وكانوا قد حرّموا على أنفسهم الطيبات نهى الله المؤمنين عن ذلك فقال (يا ايها الذين آمنوا)
اي يا ايها المؤمنون (لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) وهو يحتمل وجوهاً منها ان يريد لا تعتقدوا تحريمها ومنها ان يريد لا تظهروا
تحريمها ومنها ان يريد لا تجزئها على غيركم بالفتوى والحكم ومنها ان يريد لا تجزئها مجرى المحرمات في شدة الاجتناب
ومنها ان يريد لا تلتزموا تحريمها بنذر او بين فوجب حمل الآية على جميع هذه الوجوه والطيبات اللذات التي تشبهها
النفوس وتميل اليها القلوب وقد يقال الطيب بمعنى الحلال كما يقال بطيب له كذا اي يحل له ولا يليق ذلك بهذا
الموضع (ولا تعتدوا) اي لا تتعدوا حدود الله واحكامه وقيل معناه لا تجزئوا أنفسكم فسمي الخصي اعتداء
عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والأول اعم فائدة (إن الله لا يحب المعتدين) معناه يفضهم ويريد الانتقام منهم
(وكلوا مما رزقكم الله) لفظه امر والمراد به الإباحة (حلالاً طيباً) اي مباحاً لذيقاً وبسأل هنا فيقال إذا
كان الرزق كله حلالاً فلم قيد ههنا فقال حلالاً والجواب انه انما ذكر حلالاً على وجه التأكيد كما قال وكلم
الله موسى تكليماً وقد اطلق الله تعالى في موضع آخر على وجه المدح وهو قوله وما رزقناهم بنفقون وقال ابن عباس
يريد من طيبات الرزق اللحم وغيره (واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون) هذا استدعاء الى التقوى بلطف الوجوه
وتقديره ايها المؤمنون بالله لا تضيعوا إيمانكم بالتقصير في التقوى فيكون عليكم الحسرة العظمى واتقوا في تحريم
ما أحل الله لكم وفي جميع معاصيه من به تؤمنون وهو الله تعالى وفي هاتين الآيتين دلالة على كراهة التخلي والتفرد
والتوحش والخروج عما عليه الجمهور في التأهل وطلب الولد وعمارة الأرض وقد روي ان النبي (ص) كان يأكل
الدجاج والفالودج وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال ان المؤمن حلو بحب الحلاوة وقال ان سيف بن المؤمنين زاوية
لا يملؤها الا الحلواء وروي ان الحسن كان يأكل الفالودج فدخل عليه فرقد السبخي فقال يا فرقدما تقول في
هذا فقال فرقد لا آكله ولا احب اكله فأقبل الحسن على غيره كالمعجب وقال لعاب النحل بلباب البر مع سمن
البر هل يعيبه مسلم

قوله تعالى (٨٩) لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم وليكن يؤاخذكم بما عقدتم
الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو
تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا
أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر وحده عاقدم برواية ابن ذكوان وقرأ اهل الكوفة غير حفص عاقدم بالتخفيف والباقون

بالتشديد وروي ان قراءة جعفر بن محمد (ع) تطعمون اهل بيته

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من قرأ عقدهم مشددة القاف احتمل امرين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون لشكثير الفعل ﴿ والآخر ﴾ ان لا يبراد به التكثير كما ان ضاعف لا يبراد به فعل الاثنين ومن قرأ عقدهم خفيفة جاز ان يبراد به الكثير من الفعل والقليل إلا ان فعل يختص بالكثير كما ان الركبة يختص بالحال التي يكون عليها الركوب ومن قرأ عاقدهم احتمل امرين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون يبراد به عقدهم كما ان عافاه الله وعاقبت اللص وطارقت النعل بمنزلة فعلت فيكون على هذا قراءته كقراءة من خفف ويحتمل ان يبراد بعاقدهم فاعلت الذي يقتضي فاعلين فصاعدا كأنه قال يؤاخذكم بما عقدهم عليه اليمين ولما كان عاقدهم في المعنى قريبا من عاهد عده بعلى كما يهدى عاهد بها قال ومن أوفى بما عاهد عليه الله واتسع فحذف الجار ووصل الفعل إلى المفعول ثم حذف من الصلة الضمير الذي كان يعود إلى الموصول كما حذفه من قوله فاصدع بما توثر ومثله قول الشاعر

كأنه واضح الاقرب في لقح
اسمى بهن وعزته الأناصيل

إنما هو عزت عليه فاتسع والتقدير يؤاخذكم بالذي عاقدهم عليه الايمان ثم عاقدهم الايمان فحذف الراجع ويجوز ان يجعل ما التي مع الفعل بمعنى المصدر فيمن قرأ عقدهم وعقدتهم فلا يقتضي راجعا كما لا يقتضيه في قوله ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون وقوله فاليوم نساها كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون وأما قوله أهاليكم فإن أهالي كليالي كأن واحدا أهلة وليلة وانشد ابن الاعرابي

في كل يوم ما وكل ليلاه
يا ويجه من حمل ما اشقاه

ومن قال أهالي جمع أهلون فقد أبعد لأن هذا الجمع لا يكسر

﴿ اللغة ﴾

اللغو في اللغة ما لا يعتد به قال الشاعر

او مائة يجعل أولادها
لغوا وعرض المائة الجلمد

أي الذي يعارضها في قوة الجلمد يعني بالمائة نوقا أي لا يعتد بأولادها ولغو اليمين هو الخلف على وجه الغلط من غير قصد مثل قول القائل لا والله وبلى والله على سبق اللسان هذا هو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) يقال عقدت الجبل والعهد واليمين عقدا قال الخطيب « قوم إذا عقدوا عقدا اجارهم » البيت وقال في بيت آخر « وان عاهدوا اوفوا وان عاقدوا شدوا » واعقدت العسل فهو معقد وعقيد والتحرير من الحرية قال الفرزدق

ابني غدانة إنني حررتكم
فوهبتكم لمطية بن جمال

يريد اعتقتكم من ذل الهجا ولزوم العار

﴿ النزول ﴾

قيل لما نزلت لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم قالوا يا رسول الله فكيف نضنع بأيماننا فأنزل الله هذه الآية وقيل نزلت في عبد الله بن رواحة كان عنده ضيف فأخرت زوجته عشاء فحلف لا يأكل من الطعام وحلفت المرأة لا تأكل ان لم يأكل وحلف الضيف لا يأكل ان لم يأكل فأكل عبد الله بن رواحة وأكلا معه فأخبر النبي (ص) بذلك فقال له احسنت عن ابن زيد

﴿ المعنى ﴾

(لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) مضى الكلام في لغو اليمين وحكمه في سورة البقرة ولا كفارة فيه

عند أكثر المفسرين والفقهاء إلا ما روي عن ابراهيم النخعي انه قال فيها الكفارة (ولكن يؤخذكم بما عقدتم
 الأيمان) ان جعلت ما موصولة فمعناه بانذي عقدتم وان جعلته مصدرية فمعناه بعقدكم او بتعقيدكم الأيمان
 او بمعاقبتكم الأيمان وتفسيره ان يضر الأمر ثم يحلف بالله فيعقد عليه اليمين عن عطا وقيل هو ما عقدت عليه
 قلبك وتعمدته عن مجاهد (فكفارتها) أي كفارة ما عقدتم إذا حنثتم واستغني عن ذكره لأنه مدلول عليه لأن
 الأمة قد اجتمعت على ان الكفارة لا تجب إلا بعد الحنث (اطعام عشرة مساكين) واختلف في مقدار ما يعطى كل
 مسكين فقال الشافعي مدمن طعام وهو ثلثان وقال ابو حنيفة نصف صاع من حنطة او صاع من شعير أو تمر وكذلك
 سائر الكفارات وقال اصحابنا يعطى كل واحد مدين او مدا والمد رطلان وربيع ويجوز أن يجمعهم على ما هذا
 قدره لياكلوه ولا يجوز ان يعطى خمسة ما يكفي عشرة فإن كان المساكين ذكورا وانا اناجاز ذلك ولكن وقع
 بلفظ التذكير لأنه يغلب في كلام العرب (من أوسط ما تطعمون أهليكم) قيل فيه قولان ﴿ احدها ﴾
 الحنث والادم لأن افضله الحنث واللحم وادونه الحنث والملح واوسطه الحنث والسمن والزيت ﴿ والآخرة ﴾
 انه الأوسط في المقدار أي تعطيهم كما تعطي أهلك في العسر واليسر عن ابن عباس (او كسوتهم) قيل لكل واحد
 منهم ثوب عن الحسن ومجاهد وعطا وطاوس وهو مذهب الشافعي وقال ابو حنيفة ما يقع عليه اسم الكسوة
 والذي رواه اصحابنا ان لكل واحد ثوبين مثزراً وقيصاً وعند الضرورة يجزي قميص واحد (أو تحرير رقبة)
 معناه عتق رقبة عبد أو أمة والرقبة يعبر بها عن جملة الشخص وهو كل رقبة سليمة من العاهات صغيرة كانت أو
 كبيرة مؤمنة كانت أو كافرة لأن اللفظة مطلقة مبهمة الا ان المؤمن أفضل وهذه الثلاثة واجبة على التخيير
 وقيل ان الواجب منها واحد لا يعينه وفائدة هذا الخلاف والكلام في شرحها وفي الأدلة على صحة المذهب الاول المذكور
 في أصول الفقه (فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام) معناه فكفارتها صيام ثلاثة أيام فيكون صيام مرفوعاً بأنه خبر
 المبتدأ او فعليه صيام ثلاثة أيام فيكون صيام مرفوعاً بالابتداء أو بالظرف وحده من ليس بواجده من ليس عنده
 ما يفضل عن قوته وقوت عياله يومه وليلته وبه قال الشافعي ويجب التتابع في صوم هذه الأيام الثلاثة وبه قال
 ابي وابن عباس ومجاهد وقتادة وأكثر الفقهاء وفي قراءة ابن مسعود واي ثلاثة أيام متتابعات واليمين على ثلاثة
 اقسام ﴿ احدها ﴾ ما يكون عقدها طاعة وحلها معصية وهذه تتعلق بحنثها الكفارة بلا خلاف وهو كما لو
 قيل والله لا شربت خمراً ﴿ والثاني ﴾ ان يكون عقدها معصية وحلها طاعة كما يقال والله لا صليت وهذا
 لا كفارة في حنثه عند اصحابنا وخالف سائر الفقهاء في ذلك ﴿ والثالث ﴾ ان يكون عقدها مباحاً وحلها
 مباحاً كما يقول والله لا لبست هذا الثوب وهذه تتعلق بحنثها كفارة بلا خلاف أيضاً (ذلك) إشارة الى ما تقدم
 ذكره من الكفارة (كفارة أيمانكم إذا حلفتم) يعني إذا حلفتم وحنثتم لأن الكفارة لا تجب بنفس اليمين
 وانما تجب باليمين والحنث وقيل تجب بالحنث بشرط تقدم اليمين واختلف فيمن كفر بعد اليمين قبل الحنث
 فقال ابو حنيفة لا تجزي وقال الشافعي تجزي (واحفظوا أيمانكم) قيل في معناه قولان قال ابن عباس يريد
 لا تحلفوا وقال غيره احفظوا أيمانكم عن الحنث فلا تحنثوا وهو اختيار الجبائي وهذا هو الأقوى لأن الحلف
 مباح إلا في معصية بلا خلاف وانما الواجب ترك الحنث وفيه دلالة على ان اليمين في المعصية لا تنقصد لأنها لو
 انعقدت للزم حفظها واذا كانت لا تنقصد فلا يلزم فيها الكفارة (كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون)
 معناه كما بين أمر الكفارة وجميع الأحكام يبين لكم آياته وفروضه لتشكروه على تبيينه لكم
 اموركم ونعمه عليكم

قوله تعالى (٩٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ
 عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩١) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ

الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (آيَاتان)

✽ اللغة ✽

الخمر عصير العنب المشد وهو العصير الذي يسكر كثيره وسمي خمرا لأنها بالسكر تغطي على العقل وأصله في الباب التغطية من قولهم خمرت الاناء إذا غطيته ودخل في خمار الناس إذا خفي فيما بينهم والميسر القمار كله من تيسير أمر الجزور بالاجتماع على القمار فيه واصله من اليسر خلاف العسر وسميت اليد اليسرى تافزلا بتيسير العمل بها وقيل لأنه تعين اليد اليمنى فيكون العمل أيسر والأنصاب الأضنام واحدها نصب وسمي ذلك لأنها كانت تنصب للعبادة لها والانتصاب القيام ومنه النصب التعمير عن العمل الذي ينتصب له ونصاب السكين لأنه ينصب فيه ومناصبه العدو الانتصاب لعداوته قال الأعشى

وذا النصب المنصوب لا تنسكنه ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا

والأزلام القداح وهي سهام كانوا يجيلونها للقمار وقد ذكرنا ما قيل فيها في أول السورة والرجز بالزاي هو العذاب وأصل الرجز تتابع الحركات يقال ناقه رجزا إذا كانت ترتعد قوائمها في ناحية قال الزجاج الرجس في اللغة اسم لكل ما استقذر من عمل يقال رجس يرجس ورجس يرجس إذا عمل عملا قبيحا والرجس بفتح الراء شدة الصوت يقال رعد رجاس شديد الصوت فكان الرجس الذي يقبح ذكره ويرتفع في القبح

✽ المعنى ✽

ثم عطف الله تعالى على ما بين من الأحكام بالنهي عن افعال اهل الجاهلية والنقل عنها الى شريعة الإسلام فقال (يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر) أمر بمعناها في سورة البقرة قال ابن عباس يريد بالخمر جميع الاشربة التي تسكر وقد قال رسول الله (ص) الخمر من تسع من التسع وهو العسل ومن العنب ومن الزبيب ومن التمر ومن الخنطة ومن الذرة ومن الشعير والسلت وقال في الميسر يريد القمار وهو في اشياء كثيرة انتهى كلامه (والانصاب والأزلام) ذكرناهما في اول السورة (رجس من عمل الشيطان) لا بد من ان يكون في الكلام حذف والمعنى شرب الخمر وتناولها أو التصرف فيه وعبادة الانصاب والاستقسام بالأزلام رجس اي خبيث من عمل الشيطان وانما نسبها الى الشيطان وهي اجسام من فعل الله لما يأمر به الشيطان فيها من الفساد فيأمر بشرب المسكر ليزيل العقل ويأمر بالقمار ليستعمل فيه الاخلاق الدنية ويأمر بعبادة الاصنام لما فيها من الشرك بالله ويأمر بالأزلام لما فيها من ضعف الرأي والاتكال على الاتفاق وقال الباقر (ع) يدخل في الميسر اللعب بالشطرنج والنرد وغير ذلك من انواع القمار حتى ان لعب الصبيان بالجويز من القمار (فاجتنبوه) اي كونوا على جانب منه اي في ناحية (لعلمكم تفلحون) معناه لكي تفوزوا بالثواب وفي هذه الآية دلالة على تحريم الخمر وهذه الاشياء من اربعة اوجه ✽ احدها ✽ انه سبحانه وصفها بالرجس وهو النجس والنجس محرم بلا خلاف ✽ والثاني ✽ انه نسبها الى عمل الشيطان وذلك يوجب تحريمها ✽ والثالث ✽ انه أمر باجتنابها والأمر يقتضي الإيجاب — والرابع — انه جعل الفوز والفلاح في اجتنابها والهوام في قوله فاجتنبوه راجعة الى عمل الشيطان وتقديره فاجتنبوا عمل الشيطان وكل واحد من شرب الخمر وتعاطي القمار واتخاذ الانصاب والأزلام من عمل الشيطان ويجوز ان تكون الهام عائدة الى الرجس والرجس واقع على الخمر وما ذكره بعدها وقد قرن الله تعالى الخمر بعبادة الأوثان تغليظا في تحريمها ولذلك قال الباقر (ع) مدمن الخمر كما بد الرثن وفي هذا دلالة على تحريم سائر التصرفات في الخمر من الشرب والبيع والشراء والاستعمال على جميع الوجوه ثم بين تعالى انه إنما يهوى عن الخمر لما يعلم في اجتنابه من الصلاح وخير الدارين فقال

(انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر) قال ابن عباس يريد سعد بن ابي وقاص ورجلا من الانصار كان مواخيا لسعد فدعا الى الطعام فأكلوا وشربوا نبيذا مسكرا فوقم بين الانصاري وسعد مراة ومفاخرة فأخذ الانصاري لحي جمل فضرب به سعدا ففزر انفه فانزل الله تعالى ذلك فيهما والمعنى يريد الشيطان إيقاع العداوة بينكم بالاغواء المزين لكم ذلك حتى اذا سكرتم زالت عقولكم واقدمتم من القبائح على ما كان يمنعه من عقولكم قال قتادة إن الرجل كان يقامر في ماله واهله فيقمر ويبقى حزينا سلبيا فيكسبه ذلك العداوة والبغضاء (ويصدكم عن ذكر الله) اي يمنكم عن الذكر لله بالتعظيم والشكر على الاثمة (وعن الصلاة) التي هي قوام دينكم (فهل انتم منتهون) صيغته الاستفهام ومعناه النهي وانما جاز في صيغة الاستفهام ان يكون على معنى النهي لأن الله ذم هذه الافعال وأظهر قبحها واذا ظهر قبح الفعل للمخاطب ثم استفهم عن تركه لم يسعه الا الإقرار بالتكليف فكانه قيل له اتفعله بعدما قد ظهر من قبحه ما ظهر فصار المنتهي بقوله فهل انتم منتهون في محل من عقد عليه ذلك بإقرار وكان هذا ابلغ في باب النهي من ان يقال انتهوا ولا تشربوا

قوله تعالى (٩٢) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (آية)

✽ المعنى ✽

لما امر الله تعالى باجتناب الخمر وما بعدها عقبه بالأمر بالطاعة فيه وفي غيره فقال (واطيعوا الله واطيعوا الرسول) والطاعة هي امتثال الامر والانتها عن النهي عنه ولذلك يصح ان يكون الطاعة طاعة الاثنين بأن يوافق امرهما وإرادتهما (واحذروا) هذا امر منه تعالى بالحد من المحارم والمناهي قال عطاء يريد واحذروا سخطي واحذروا امتناع القادر من الشيء لما فيه من الضرر (فإن توليتم) اي فإن اعرضتم ولم تعملوا بما أمركم به (فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين) معناه الوعيد والتهديد كأنه قال فاعلموا انكم قد استحققت العقاب لتوليكم عما ادى رسولنا اليكم من البلاغ المبين يعني الأداء الظاهر الواضح فوضع كلام موضع كلام للايجاز ولو كان الكلام على صيغة من غير هذا التقدير لا يصح لأن عليهم ان يعلموا ذلك تولوا او لم يتولوا وما في قوله انما كافة لأن عن عملها قوله تعالى (٩٣) لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (آية)

✽ النزول ✽

لما نزل تحريم الخمر والميسر قالت الصحابة يا رسول الله ما تقول في إخواننا الذين مضوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فانزل الله هذه الآية عن ابن عباس وأنس بن مالك والبراء بن عازب ومجاهد وقتادة والضحاك وقيل انها نزلت في القوم الذين حرموا على انفسهم اللحوم وسلوكوا طريق الترهيب كعثمان بن مظعون وغيره فبين الله لهم انه لا جناح في تناول المباح مع اجتناب المحرمات

✽ المعنى ✽

(ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح) أي إثم وخرج (فيما طعموا) من الخمر والميسر قبل نزول التحريم وفي تفسير أهل البيت (ع) فيما طعموا من الحلال وهذه اللفظة صالحة للأكل والشرب جميعا (إذا ما اتقوا) شربها بعد التحريم (و آمنوا) بالله (وعملوا الصالحات) أي الطاعات (ثم اتقوا) اي داموا على الاتقاء (و آمنوا) أي داموا على الإيمان (ثم اتقوا) بفعل الفرائض (و أحسنوا) بفعل النوافل وعلى هذا يكون الاتقاء الأول

اتقاء الشرب بعد التحريم والاتقاء الثاني هو الدوام على ذلك والاتقاء الثالث اتقاء جميع المعاصي وضم الاحسان اليه وقيل ان الاتقاء الأول هو اتقاء المعاصي العقلية التي تختص المكلف ولا تتعداه والإيمان الأول هو الايمان بالله تعالى وبما أوجب الله تعالى الإيمان به والإيمان بقبح هذه المعاصي ووجوب تجنبها والاتقاء الثاني هو اتقاء المعاصي السمعية والإيمان بقبحها ووجوب اجتنابها والاتقاء الثالث يختص بمظالم العباد وبما يتعدى إلى الغير من الظلم والفساد وقال ابو علي الجبائي ان الشرط الأول يتعلق بالزمان الماضي والشرط الثاني يتعلق بالدوام على ذلك والاستمرار على فعله والشرط الثالث يختص بمظالم العباد ثم استدل على أن هذا الاتقاء يختص بمظالم العباد بقوله واحسنوا فإن الإحسان إذا كان متعديا وجب ان تكون المعاصي التي أمروا باتقانها قبله ايضا متعدية وهذا ضعيف لأنه لا تصريح في الآية بأن المراد به الاحسان للتعدي ولا يمتنع أن يريد بالإحسان فعل الحسن والمبالغة فيه وان اختص الفاعل ولا يتعداه كما يقوون لمن بالغ في فعل الحسن احسنت واجملت ثم لو سلم ان المراد به الإحسان المتعدي فلم لا يجوز ان يعطف فعل متعد على فعل لا يتعدى ولو صرح تعالى فقال واتقوا القبائح كلها واحسنوا إلى غيرهم لم يمتنع ولعل ابا علي إنما عدل في الشرط الثالث عن ذكر الأحوال لما ظن انه لا يمكن فيه ما يمكن في الأول والثاني وهذا ممكن غير محتتم بأن يحمل الشرط الأول على الماضي والثاني على الحال والثالث على المنتظر المستقبل ومتى قيل ان المتكلمين عندهم لا واسطة بين الماضي والمستقبل فإن الفعل اما ان يكون موجودا فيكون ماضيا واما ان يكون معدوما فيكون مستقبلا وانما ذكر الأحوال الثلاثة النحويون فجزابه ان الصحيح انه لا واسطة في الوجود بين المعدوم والموجود كما ذكرت غير ان الموجود في أقرب الزمان لا يمتنع ان نسميه حالا ونفرد بينه وبين الغاير السالف والفاير المنتظر ووجدت السيد الأجل المرتضى علي بن الحسين الموسوي ذكر في بعض مسائله ان المفسرين تشاغلوا بوضوح الوجه في التكرار الذي تضمنته هذه الآية وظنوا انه المشكل فيها وتركوا ما هو اشد اشكالا من التكرار وهو انه تعالى نفى الجناح عن الذين آمنوا و عملوا الصالحات فيما يطعمونه بشرط الاتقاء والإيمان وعمل الصالحات والإيمان ليس بشرط في نفي الجناح فإن المباح إذا وقع من الكافر فلا اثم عليه ولا وزر قال ولنا في حل هذه الشهية طريقان ﴿ احدهما ﴾ ان يضم إلى المشروط المصرح بذكره غيره حتى يظهر تأثير ما شرط فيكون تقدير الآية ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح فيما طعموا وغيره إذا ما اتقوا وآمنوا و عملوا الصالحات لأن الشرط في نفي الجناح لا بد من أن يكون له تأثير حتى يكون متى انتفى ثبت الجناح وقد علمنا ان باتقاء المحارم ينتفي الجناح فيما يطعم فهو الشرط الذي لا زيادة عليه ولما ولي ذكر الاتقاء الايمان وعمل الصالحات ولا تأثير لهما في نفي الجناح علمنا انه اضر ما تقدم ذكره ليصح الشرط وبطابق المشروط لأن من اتقى المحارم فيما لا يطعم لا جناح عليه فيما يطعمه ولكنه قد يصح أن يشب عليه الجناح فيما أكل به من واجب اوضيعة من فرض فإذا شرطنا انه وقع اتقاء القبيح عن آمن بالله وعمل الصالحات ارتفع الجناح عنه من كل وجه وليس بمنكر حذف ما ذكرناه لدلالة الكلام عليه فمن عادة العرب أن يحذفوا ما يجري هذا المجرى وتكون قوة الدلالة عليه مغنية عن النطق به ومثله قول الشاعر

تراه كأن الله يجدع انفه وعينه ان مولاه بات له وفر

لما كان الجدع لا يليق بالعين وكانت معطوفة على الاذن الذي يليق الجدع به اضر ما يليق بالعين من البخص وما يجري مجراه والطريق الثاني هو ان يجعل الايمان وعمل الصالحات هنا ليس بشرط حقيقي وان كان معطوفا على الشرط فكأنه تعالى لما أراد أن يبين وجوب الايمان وعمل الصالحات عطفه على ما هو واجب من اتقاء المحارم لاشتراكها في الوجوب وان لم يشتركا في كونها شرطا في نفي الجناح فيما يطعم وهذا توسع في البلاغة يحار فيه العقل استحسانا واستغرابا انتهى كلامه وقد قيل أيضا في الجواب عن ذلك ان المؤمن يصح ان يطلق عليه بأنه

لا جناح عليه والكافر مستحق للعقاب معصوم فلا يطبق عليه هذا اللفظ وايضا فإن الكافر قد سد على نفسه طريق معرفة التحريم والتحليل فلذلك خص المؤمن بالذكر وقوله (والله يحب المحسنين) أي يريد ثوابهم أو اجلالهم و اكرامهم وتبجيلهم ويروى ان قدامة بن مظعون شرب الخمر في أيام عمر بن الخطاب فأراد أن يقيم عليه الحد فقال ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية فأراد عمر أن يدرأ عنه الحد فقال علي أديره على الصحابة فإن لم يسمع أحدا منهم قرأ عليه آية التحريم فأدروا عنه الحد وان كان قد سمع فاستتيروه وأقيموا عليه الحد فإن لم يتب ورجب عليه القتل

قوله تعالى (٩٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَبِئْسَ لَكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنْ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدِيًّا بِأَلْغِ الْكَعْبَةَ أَوْ كَفَّارَةً طَعَامٌ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِبَاً مَا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَنَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (آيَات)

القراءة

قرأ أهل الكوفة ويعقوب فجزأ ممنونا مثل بالرفع والباقون فجزأ مثل ما قتل بالاضافة وقرأ أهل المدينة وابن عامر أو كفارة بغير تنوين طعام على الاضافة والباقون أو كفارة بالتنوين طعام بالرفع ولم يختلفوا في مساكين انه جمع وروي في الشواذ قراءة أبي عبد الرحمن فجزأ ممنون مثل منصوب وقراءة محمد بن علي الباقر (ع) وجعفر بن محمد الصادق (ع) يحكم به ذو عدل منكم

الحجة

قال ابو علي حجة رفع المثل انه صفة الجزاء والمعنى فعليه جزاء من النعم مماثل للمقتول والتقدير فعليه جزاء أي فاللازم له أو فالواجب عليه جزاء من النعم مماثل ما قتل من الصيد وقوله من النعم على هذه القراءة صفة للذكورة التي هي جزاء وفيه ذكر له ولا ينبغي اضافة جزاء إلى المثل لأن عليه جزاء المقتول لاجزاء مثله ولا جزاء عليه لمثل المقتول الذي لم يقتله ولا يجوز أن يكون قوله من النعم على هذه القراءة متعلقاً بالمصدر كما جاز ان يكون الجار متعلقاً به كما في قوله جزاء سيئة بثلمها لأنك قد وصفت الموصول وإذا وصفته لم يجوز أن تعلق به بعد الوصف شيئاً كما انك إذا عطفت عليه أو أكدته لم يجوز أن تعلق به شيئاً بعد العطف عليه والتأكيد له فأما في قراءة من أضاف الجزاء إلى مثل فإن قوله من النعم يكون صفة الجزاء كما كان في قول من نون ولم يضاف صفة له ويجوز فيه وجه آخر لا يجوز في قول من نون ووصف وهو ان تقديره متعلقاً بالمصدر ولا يجوز على هذا القول ان يكون فيه ذكر كما يتضمن الذكر لما كان صفة وإنجاز تعلقه بالمصدر ولا يجوز على قول من اضاف لأنك لم تضيف الموصول كما وصفته في قول من نون فيستتم تعلقه به وأما من اضاف الجزاء إلى مثل فإنه وان كان عليه جزاء المقتول لاجزاء مثله فإنهم قد يقولون أنا اكرم مثلك يريدون أنا اكرمك فكذلك إذا قال فجزأ مثل ما قتل فالمراد جزاء ما قتل وإذا كان كذلك كانت الاضافة في المعنى كغير الاضافة ولو قدرت الجزاء تقدير المصدر فأضفته إلى المثل كما تضيف المصدر إلى المفعول به لكان جائزاً في قول من جر مثلاً على الاتساع الذي ذكرناه

ألا ترى ان المعنى فجزاء مثل ما قتل على ما قرأه ابو عبد الرحمن اي ان يجازى مثل ما قتل ومثله قول الشاعر

بضرب بالسيوف رؤوس قوم ازلنا هامهن على المقييل

لما نون المصدر اعمله واما الوجه في قراءة من رفع طعام مساكين انه جملة عطفا على الكفارة عطف بيان لأن الطعام هو الكفارة ولم يضاف الكفارة إلى الطعام ومن اضاف الكفارة إلى الطعام فلا أنه لما خير المكفر بين ثلاثة اشياء الهدى والطعام والصيام استجاز الاضافة لذلك فكانه قال كفارة طعام لا كفارة هدي ولا صوم فاستقامت الإضافة واما ذو عدل فقد قال أبو الفتح فيه انه لم يوجد ذولا لأن الواحد يكفي لكنه أراد معنى من أي يحكم به من يعدل ومن يكون الاثنان كما يكون للواحد كقوله «تكن مثل من يا ذئب يصطحبان» وأقول ان هذا الوجه الذي ذكره ابن جني بعيد غير مفهوم وقد وجدت في تفسير أهل البيت منقولاً عن السيدين (ع) ان المراد بذئب العدل رسول الله (ص) وأولي الأمر من بعده وكفى بصاحب القراءة خيرا بمعنى قرأته

اللغة

البلاء الاختبار والامتحان واصله اظهار باطن الحال ومنه البلاء النعمة لأنه يظهر به باطن حال المنعم عليه في الشكر او الكفر والبلى الخلوقة لظهور تقادم العهد فيه والغيب ما غاب عن الحواس ومنه الغيبة وهو الذكر بظهر الغيب بالقبيح وحرم جمع حرام ورجل حرام ومحرم بمعنى وحلال ومحل كذلك وأحرم الرجل دخل في الشهر الحرام وأحرم ايضا دخل في الحرم وأحرم أهل بالحج والحرم الإحرام ومنه الحديث كنت اطيب النبي لحرمه واصل الباب المنع وسميت النساء حرما لأنها تمنع والمحرم المنوع الرزق والمثل والمثل والشبه والشبه واحد والنعيم في اللغة هي الابل والبقر والغنم وان انفردت الابل قيل لها نعم وان انفردت البقر والغنم لم تسم نعماً ذكره الزجاج قال القراء العدل بفتح العين ما عادل الشيء من غير جنسه والعدل بالكسر المثل تقول عندي عدل غلامك أو شاتك إذا كانت شاة تعدل شاة أو غلام يعدل غلاما فإذا أردت قيمته من غير جنسه فتحت فقلت عدل وقال البصريون العدل والعدل في معنى المثل كان من الجنس او غير الجنس والوبال ثقل الشيء في المكروه ومنه قولهم طعام وبيل وماء وبيل إذا كانا ثقيلين غير ناميين في المال ومنه قوله فأخذناه أخذنا وبيلاي ثقيلاً شديداً ويقال خشبة القصار وبيل من هذا قال طرفه بن العبد

فمرت كهامة ذات خيف جلالة عقيلة شيخ كالويل يلندد

الإعراب

ليلونكم هذه اللام لام القسم ومن في قوله من الصيد للتبويض ويحتمل وجهين أحدهما أن يكون عنى صيد البر دون البحر والآخر أن يكون لما عنى الصيد ما داموا في الاحرام كان ذلك بعض الصيد ويجوز أن تكون من تثيين الجنس كما تقول لامتحنك بشي من الورق اي لامتحنك بشي بالجنس الذي هو ورق كقوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان والأوثان كلها رجس فالمعنى اجتنبوا الرجس الذي هو وثن وأراد بالصيد الصيد بدلالة قوله تناله أيديكم ورماحكم ولو كان الصيد مصدرا يكون حدثا فلا يوصف ببيل اليد والرمح وإنما يوصف بذلك ما لو كان عينا وقوله بالقبي في محل نصب على الحال والمعنى من يخافه غائبا كما في قوله من خشى الرحمن بالغيب ويخشون ربهم بالغيب وقوله وانتم حرم في موضع نصب على الحال هديا بالغ الكعبة منصوب على الحال والمعنى مقدر ان يهدى قاله الزجاج قال وبالغ الكعبة لفظه معرفة ومعناه التكرة اي بالغ الكعبة وحذف التنوين استخفافاً واقول يعني بذلك ان هذه الإضافة لفظية غير محضة فيكون في تقدير الانفصال والمضاف اليه وان كان مجرورا في اللفظ فهو منصوب في المعنى لكن لما حذف التنوين مسن الأول طلبا للاختصار انجر الثاني في اللفظ وقوله صياما منصوب على التمييز والمعنى ومثل ذلك من الصيام وقوله فينتقم الله منه فيه إضمار

مقدر كأنه قال ومن عاد فهو ينتقم الله منه لأن الفاء لا تدخل في جواب الشرط على الفعل إذا كان مستغنى عنه مع الفعل ويكون موضع الفاء مع ما بعدها جزماً

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم في اول السورة تحريم الصيد على المحرم مجعلاً بين سبحانه ذلك هنا فقال (يا ايها الذين آمنوا) خص المؤمنين بالذكر وان كان الكفار ايضاً مخاطبين بالشرائح لأنهم القابلون لذلك المستغفون به وقيل لأنه لم يعتد بالكفار (ليلونكم الله) اي ليختبرن الله طاعتكم عن معصيتكم (يشي من الصيد) اي بتحريم شي من الصيد وإنما بعض لأنه عنى صيد البر خاصة عن الكلبى وقد ذكرناه قبل مفسراً ومعنى الاختبار من الله ان يأمر وينهى ليطهر المعلوم ويصح الجزاء قال اصحاب المعاني امتحن الله امة محمد (ص) بصيد البر كما امتحن امة موسى (ع) بصيد البحر (تناله ايديكم ورماحكم) قيل فيه اقوال ﴿ احدها ﴾ ان المراد به تحريم صيد البر والذي تناله الايدي فراخ الطير وصفار الوحش والبيض والذي تناله الرماح الكبار من الصيد عن ابن عباس ومجاهد وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) ﴿ وثانيها ﴾ ان المراد به صيد الحرم ينال بالايدي والرماح لأنه بأنس بالناس ولا ينفر منهم فيه كما ينفر في الحل وذلك آية من آيات الله عن ابي علي الجبائي ﴿ وثالثها ﴾ ان المراد به ما قرب من الصيد وما بعد (ليعلم الله من يخافه بالغيب) معناه ليعاملكم معاملة من يطلب منكم ان يعلم مظاهره في العدل ووجه آخر ليطهر المعلوم وهو ان يخاف بظهور الغيب فبنتهي عن صيد الحرم طاعة له تعالى وقيل ليعلم وجود خوف من يخافه بالوجود لأنه لم يزل عالماً بأنه سيخاف فإذا وجد الخوف علم ذلك موجوداً وهما معلوم واحد وان اختلفت العبارة عنه فالحدوث إنما يدخل على الخوف لا على العلم وقوله بالغيب معناه في حال الخلو والتفرد وقيل معناه ان يخشى عقابه اذ توارى بحيث لا يقع عليه الحس عن الحسن وقال ابو القاسم البلخي ان الله تعالى وان كان عالماً بما يفعلونه فيما لم يزل فإنه لا يجوز ان يشبههم ولا يعاقبهم على ما يعلمه منهم وإنما يستحقون ذلك اذا علمه واقعا منهم على الوجه الذي كفهم عليه فإذا لا بد من التكليف والابتلاء (فمن اعتدى بعد ذلك) اي من تجاوز حد الله وخالف امره بالصيد في الحرم وفي حال الإحرام (فله عذاب اليم) اي مؤلم ثم ذكر سبحانه عقيب ذلك ما يجب على ذلك الاعتداء من الجزاء فقال (يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد) اختلف في المعنى بالصيد فقيل هو كل الوحش اكل او لم يؤكل وهو قول اهل العراق واستدلوا بقول علي (ع)

صيد الملوك ارناب و ثعالب فاذا ركبت فصيدي الأبطال

وهو مذهب اصحابنا رضي الله عنهم وقيل هو كل ما يؤكل لحمه وهو قول الشافعي (وانتم حرم) اي وانتم محرمون بحج او عمرة وقيل معناه وانتم في الحرم قال الجبائي الآية تدل على تحريم قتل الصيد على الوجهين معاً وهو الصحيح وقال علي بن عيسى تدل على الإحرام بالحج او العمرة فقط (ومن قتله منكم متعمداً) قيل هو ان يتعمد القتل ناسياً للإحرام عن الحسن ومجاهد وابن زيد وابن جريج و ابراهيم قالوا فاما اذا تمعد القتل اذا كرا الإحرامه فلا جزاء فيه لأنه اعظم من ان يكون له كفارة وقيل هو ان يتعمد القتل وإن كان ذا كراً للإحرامه عن ابن عباس وعطاء والزهري وهو قول اكثر الفقهاء فأما اذا قتل الصيد خطأ او ناسياً فهو كالتعمد في وجوب الجزاء عليه وهو مذهب عامة اهل التفسير والعلم وهو المروي عن ائمتنا (ع) قال الزهري نزل القرآن بالتعمد

وجرت السنة في الخطأ (فجزاء) مثل ما قتل من النعم) قد ذكرنا معناه في القراءتين قال الزجاج ويجوز ان يكون المعنى فجزاء ذلك الفعل مثل ما قتل فيكون جزاء مبتدأ ومثل خبره واختلف في هذه المائثة اهي في القيمة او الخلقة فالذي عليه معظم اهل العلم ان المائثة معتبرة في الخلقة ففي النعامة بدنة وفي حمار الوحش وشبهه بقرة وفي الظبي والارنب شاة وهو المروي عن اهل البيت (ع) وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد والسدي وعطاء والضحاك وغيرهم وقال ابراهيم النخعي يقوم الصيد قيمة عادلة ثم يشتري بثمنه مثله من النعم فاعتبر المائثة بالقيمة والصحيح القول الاول (يحكم به ذوا عدل منكم) قال ابن عباس يريد يحكم في الصيد بالجزاء رجلان صالحان منكم اي من اهل ملتكم ودينكم فقيهان عدلان فينظران الى اشبه الاشياء به من النعم فيحكمان به (هديا بالغ الكعبة) اي يهديه هديا يبلغ الكعبة قال ابن عباس يريد اذا اتى مكة ذبحه وتصدق به وقال اصحابنا ان كان اصاب الصيد وهو محرم بالعمرة ذبح جزاءه او نحره بمكة قبالة الكعبة وان كان محرما بالحج ذبحه او نحره بمكة (او كفارة طعام مساكين) قيل في معناه قولان * احدهما * ان يقوم عدله من النعم ثم يجعل قيمته طعاما ويتصدق به عن عطاء وهو الصحيح * والآخر * ان يقوم الصبيد المقتول حيا ثم يجعل طعاما عن قتادة (او عدل ذلك صياما) وفيه ايضا قولان * احدهما * ان يصوم عن كل مد يقوم من الطعام يوما عن عطاء وهو مذهب الشافعي * والآخر * ان يصوم عن كل مدين يوما وهو المروي عن ائمتنا (ع) وهو مذهب ابي حنيفة واختلفوا في هذه الكفارات الثلاث فقيل انها مرتبة عن ابن عباس والشعبي والسدي قالوا وانما دخلت اوله لانه لا يخرج حكمه عن احدي الثلاث وقيل انها على التخيير عن ابن عباس في رواية اخرى وعطاء والحسن وابراهيم وهو مذهب ابي حنيفة والشافعي وكلا القولين رواه اصحابنا (ليذوق وبال امره) اي عقوبة ما فعله في الآخرة ان لم يتب وقيل معناه ليدوق وخامة عاقبة امره وثقله بما يلزمه من الجزاء فان سأل سائل فقال كيف يسمى الجزاء وبالا وانما هي عبادة فاذا كانت عبادة فهي نعمة ومصالحة فالجواب ان الله سبحانه شدد عليه التكليف بعد ان عصاه فنقل ذلك عليه كما حرم الشحم على بني اسرائيل لما اعتدوا في السبت فنقل ذلك عليهم وان كان مصالحة لهم (عفا الله عما سلف) من امر الجاهلية عن الحسن وقيل عفا الله عما سلف من الدفعة الاولى في الاسلام اي قبل التحريم (ومن عاد فينتقم الله منه) اي من عاد الى قتل الصيد محرما فالله سبحانه يكافيه عقوبة بما صنع واختلف في لزوم الجزاء بالماودة فقيل انه لا جزاء عليه عن ابن عباس والحسن وهو الظاهر في روايات اصحابنا وقيل انه يلزمه الجزاء عن عطاء وسعيد بن جبيرة وابراهيم وبه قال بعض اصحابنا (والله عزيز ذو انتقام) معناه قادر لا يغلب ذو انتقام ينتقم ممن يتعدى امره ويرتكب نهيته

قوله تعالى (٩٦) **أَحْلَلْنَا لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحَرَّمْنَا عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** (آية)

اللغة

عنى بالبحر جميع المياه والعرب تسمى النهر بجزراً ومنه قوله ظهر الفساد في البر والبحر والآن غلب على البحر ان يكون ماؤه ملحا ولكن اذا اطلق دخل فيه الأنهار والسيارة المسافرين

* الاعراب *

متاعا نصب على المصدر لأن قوله احل لكم يدل على انه قد متعهم به كما انه لما قال حرمت عليكم امهاتكم كان دليلا على انه كتب عليهم فقال كتاب الله عليكم

* المعنى *

ثم بين سبحانه ما يحل من الصيد وما لا يحل فقال (احل لكم صيد البحر) أي ابيح لكم صيد الماء وإنما أحل بهذه الآية الطري من صيد البحر لأن العتيق لا خلاف في كونه حلالا عن ابن عباس وزيد بن ثابت وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب وقتادة ومجاهد (وطعامه) يعني طعام البحر ثم اختلف فيه فقيل يريد به ما قذفه البحر ميتا عن ابن عباس وابن عمر وقتادة وقيل يريد به المملوح عن ابن عباس في رواية اخرى وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير ومجاهد وهو الذي يليق بمذهبنا وإنما سمي طعاما لأنه يدخر ليطعم فصار كالمقتات من الأغذية فيكون المراد بصيد البحر الطري وبتعامه المملوح لأن عندنا لا يجوز أكل ما يقذف به البحر ميتا للمحرم وغير المحرم وقيل المراد بتعامه ما ينبت بمائه من الزرع والثار (متاعا لكم والسيارة) قيل معناه منفعة للمقيم والمسافر عن قتادة وابن عباس والحسن وقيل لأهل الأمصار وأهل القرى وقيل للمحل والمحرم (وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما) هذا يقتضي تحريم الاصطياد في حال الاحرام وتحريم أكل ما صاده الغير وبه قال علي وابن عباس وابن عمر وسعيد بن جبير وقيل ان لحم الصيد لا يحرم على المحرم إذا صاده غيره عن عمر وعثمان والحسن والصيد قد يكون عبارة عن الاصطياد فيكون مصدرا ويكون عبارة عن المصيد فيكون اسما ويجب حمل الآية على الأمرين وتحريم الجميع (واتقوا الله الذي اليه تحشرون) هذا أمر منه تعالى بأن يتقي جميع معاصيه ويحبتب جميع محارمه لأن اليه الرجوع في الوقت الذي لا يملك احد فيه الضر والنفع سواء وهو يوم القيامة فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته

قوله تعالى (٩٧) جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والفلاذ ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم (آية)

* القراءة *

قرأ ابن عامر وحده قيا للناس بغير الف والباقون قياما بالالف

* الحجة *

القيام مصدر كالصيام والعباد وأما التيم فيجوز أن يكون مصدرا كالشعب ويجوز أن يكون حذف الالف من القيام كما يقصر المدود وهذا انما يجوز في الشعر دون حال السعة وإذا كان مصدرا فإنما اعل ولم يصحح كما صحح العوض والحول لأن المصدر يعل إذا اعتل فعله لأن المصدر يجري على فعله فإذا صح حرف العلة في الفعل صح في مصدره نحو اللواذ والجوار فإذا اعتل في الفعل اعتل في مصدره نحو الصيام والقيام

* اللغة *

سميت الكعبة كعبة لتربيعها وإنما قيل للمربع كعبة لتواء زواياها الأربع والكعبة التواء ومنه كعب الإنسان لتوئته وكعبت المرأة إذا تأنث فيها وكعبت بمعناه والعرب تسمي كل بيت مربع كعبة وقيل سميت كعبة لانفرادها

عن البنيان وهذا أيضا يرجع إلى الأول لأن المتفرد من البنيان كعبة لثبوته من الأرض قال الرماني والبيت الحرام سمي بذلك لأن الله حرم أن يصاد صيده وأن يمضد شجره وأن يختلى خلاه ولأنه عظم حرمة وفي الحديث مكتوب في أسفل المقام إني أنا الله ذو بكة حرمتها يوم خلقت السموات والأرض ويوم وضعت هذين الجبلين وحففتها بسبعة أملاك حنفاء من جاءني زائراً لهذا البيت عارفاً بحقه مدعناً لي بالربوبية حرمت جسده على النار

✽ المعنى ✽

لما ذكر سبحانه حرمة الحرم عقبه بذكر البيت الحرام والشهر الحرام فقال (جعل الله الكعبة البيت الحرام) أي جعل الله حج الكعبة أو نصب الكعبة (قياماً للناس) أي لمعاش الناس ومكاسبهم لأنه مصدر قاموا كأن المعنى قاموا بنصبه ذلك لهم فاستتبت معاشهم بذلك واستقامت أحوالهم به لما يحصل لهم في زيارتها من التجارة وأنواع البركة ولهذا قال سعيد بن جبير من أتى هذا البيت يريد شيئاً للدنيا والآخرة أصابه وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) وقال ابن عباس معناه جعل الله الكعبة أمناً للناس بها يقومون أي يأمنون ولولاها لفنوا وهلكوا وما قاموا وكان أهل الجاهلية يأمنون به فلو لقي الرجل قاتل أبيه وابنه في الحرم ما قتله وقيل إن معنى قوله قياماً للناس أنهم لو تركوه عاماً واحداً لا يجحونه ما نواظروا أن يهلكوا عن عطا ورواه علي بن إبراهيم عنهم (ع) قال ما دامت الكعبة يحج الناس اليها لم يهلكوا فإذا هدمت وتركوها هلكوا (والشهر الحرام) يعني الأشهر الحرم الأربعة واحد فرد وثلاثة سرد أي متتابعة فالفرد رجب والسرد ذو القعدة وذو الحجة والحرم وإنما خرج مخرج الواحد لأنه ذهب به مذهب الجنس وهو عطف على المفعول الأول لجعل كما يقال ظننت زيدا منطلقاً وعمراً (والهدي والثلاث) مر ذكرهما في أول السورة وإنما ذكر هذه الجملة بعد ذكر البيت لأنها من أسباب حج البيت فدخلت في جملة ما ذكرت معه وكان أهل الجاهلية لا يغزون في أشهر الحرم وكانوا ينصلون فيها السنة ويتفرغ الناس فيها إلى معاشهم وكان الرجل يقلد بغيره أو نفسه قلادة من لحاء شجر الحرم فلا يخاف وكانوا قد توارثوه من دين إسماعيل (ع) فبقوا عليه رحمة من الله خلقه إلى أن قام الإسلام فحججهم عن البغي والظلم وقال أبو بكر الأنباري فقد حصل في الآية طريقان ✽ أحدهما ✽ أن الله تعالى من على المسلمين بأن جعل الكعبة صلاحاً لدينهم ودنياهم وقياماً لهم ✽ والثاني ✽ أنه أخبر عما فعله من أمر الكعبة في الجاهلية (ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض وإن الله بكل شيء عليم) قد اعترض على هذا فقيل أي تعلق لهذا بقوله جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والجواب عنه من وجوه ✽ أحدها ✽ أن فيما جعله الله تعالى في البلد الحرام والشهر الحرام من الآيات والأعاجيب دلالة على أنه تعالى لا يخفى عليه شيء وذلك أنه جعل الحرم أمناً يسكن فيه كل شيء فالظبي يأنس فيه بالسبع والذئب مادام في الحرم فإذا خرج من الحرم خاف وطلبه السبع وهرب منه الظبي حتى يرجع إلى الحرم فإذا رجع إليه كف السبع عنه وكذلك الطير والحمام يأنس بالإنسان فإذا خرج من الحرم خافه مع أمور كثيرة وعجائب شهيرة ذكرنا بعضها في أول سورة آل عمران عند قوله فيه آيات بينات فيكون ما دبره الله من ذلك دالاً على أنه عالم بمصالح الخلق وبكل شيء ✽ وثانيها ✽ أنه تعالى علم أن العرب يكونون أصحاب عداوات وطوائف وأنهم يكونون حوالى الكعبة فلما خلق السموات والأرض جعل الكعبة موضعاً آمناً وعظم حرمتها في

القلوب وبقيت تلك الحرمة إلى يومنا هذا فلولا كونه سبحانه عالما بالاشياء قبل كونها لما كان هذا التدبير وفقا للصالح * وثالثها * انه تعالى لما أخبر في هذه السورة بقصة موسى وعيسى (ع) والتوراة والانجيل وما فيها من الأحكام والأخبار وذلك كله ما لم يشاهده نبينا محمد (ص) ولا أحد في عصره قال فيما بعد ذلك تعلموا ان الله يعلم ومعناه لولا انه سبحانه بكل شيء عليم لما جاز ان يخبركم عنهم فقوله ذلك إشارة إلى ما أنبأهم به من علم الغيب والعلم بالكائنات

قوله تعالى (٩٨ و ٩٩) اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون آياتان

اللغة

العلم ما اقتضى سكون النفس فإن شئت قلت هو اعتقاد الشيء على ما هو به عليه مع سكون النفس إلى ما اعتقده والأول اوجز ولا يجوز ان يجد العلم بالمعرفة لأن المعرفة هي العلم فكيف يجد الشيء بنفسه والعلم يتناول الشيء على ما هو به وكذلك الرواية والفرق بينهما ان العلم يتعلق بالمعلوم على وجوه الرواية لا تتعلق بالرأي الأعلى وجه واحد والعلم معنى يحل القلب والرواية ليست معنى على الحقيقة لكن للرأي صفة بكونه رأيا والعقاب هو الضرر المستحق المقارن للاستخفاف والإهانة ولو اقتضت على ان تقول هو الضرر المستحق لكان كافيا وكذلك لو قلت هو الضرر الذي يقارنه استخفاف وإهانة لكفى وإيما سمي عقابا لأنه يستحق عقاب الذنب الواقع من صاحبه والمغفرة هي ستر الخطيئة برفع عقابها واصل الرسول من الإرسال وهو الإطلاق يقال ارسل الطائر إذا أطلقه وترسل في القراءة إذا تثبت واسترسل الشيء إذا تسلسل والرسول اللين لا سترسالة من الضرع والفرق بين الإرسال والانباء ان الانباء عن الشيء قد يكون من غير تحمیل النبأ والإرسال لا يكون إلا بتحمیل الرسالة والبلاغ وصول المعنى إلى غيره وهو هاهنا وصول الإنذار إلى نفوس المكلفين واصل البلاغ البلوغ ومنه البلاغة وهي ايصال المعنى إلى النفس في حسن صورة من اللفظ والبلاغ الكفاية لأنه يبلغ مقدار الحاجة.

المعنى

لما تقدم بيان الأحكام عقبه سبحانه بذكر الوعد والوعيد فقال (اعلموا ان الله شديد العقاب) أي لمن عصاه (وان الله غفور رحيم) لمن تاب وأتاب وأطاع وجمع بين المغفرة والرحمة ليعلم انه لا يقتصر على وضع العقاب عنه بل ينعم عليه بفضله ولما انذر وبشر في هذه الآية عقبها بقوله (ما على الرسول إلا البلاغ) أي ليس على الرسول إلا اداء الرسالة وبيان الشريعة فاما القبول والامثال فإنه يتعلق بالمكلفين المبعوث اليهم (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) أي لا يخفي عليه شيء من أحوالكم التي تظهرونها وتخفونها وفيه غاية الزجر والتهديد وفي قوله سبحانه اعلموا ان الله شديد العقاب الآية دلالة على وجوب معرفة العقاب والثواب لكونها لطفًا في باب التكليف

قوله تعالى (١٠٠) قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَيْثُ وَالْخَيْثُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَيْثِ فَاتَّقُوا

اللَّهِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ آية

❖ اللغة ❖

الاستواء على اربعة اقسام استواء في المقدار واستواء في المكان واستواء في الزمان واستواء في الانفاق والاستواء بمعنى الاستيلاء راجع إلى الاستواء في المكان لأنه تمكن واقتدار والخبيث أصله الردي مأخوذ من خبث الحديد وهو رديه بعد ما يخلص بالنار جيدة ففي الحديد امتزاج جيد بردي والاعجاب مرور بما يتعجب منه والعجب والاعجاب والتعجب من أصل واحد والعجب مذهب لأنه كبير يدخل على النفس بحال يتعجب منها وعجب الذنب أصله وعجوب الرمل واخره لانفراده عن جملته كاقتراد ما يتعجب منه

❖ المعنى ❖

لما بين سبحانه الحلال والحرام بين انهما لا يستويان فقال (قل) يا محمد (لا يستوي) اي لا يتساوى (الخبيث والطيب) أي الحرام والحلال عن الحسن والجائز وقيل الكافر والمؤمن عن السدي (ولو اعجبك) أيها السامع أو أيها الإنسان (كثرة الخبيث) أي كثرة ما تراه من الحرام لأنه لا يكون في الكثير من الحرام بركة ويكون في القليل من الحلال بركة وقيل ان الخطاب للنبي (ص) والمراد امته (فاتقوا الله) أي فاجتنبوا ما حرم الله عليكم (يا أولي الأبواب) يا ذوي العقول (لعلكم تفلحون) أي لتفلحوا وتفوزوا بالثواب العظيم والتعمير المقيم

قوله تعالى (١٠١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبَدَّلْكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَلِ الْقُرْآنُ تُبَدَّلْ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ آية

❖ اللغة ❖

أبدى الشيء إذا أظهره وبدا يبدو بدوا إذا ظهر وبدا له رأيه بداء إذا تغير رأيه لأنه ظهر له وبالبادية خلاف الحاضرة والبدو خلاف الحضر من الظهور ومنه قوله تعالى وبداء لهم سيئات ما عملوا وحق الآية ولم يبيح في اقوال العرب البداء بمعنى الندامة وتغير الرأي وإذا كان لفظ البداء يطلق على الله فالمراد به الإرادة والظهور دون ما يظن قوم من الجهال وعليه تشهد اقوال العرب وأشعارهم فمن ذلك

قل ما بدا لك من زور ومن كذب
حلمي أصم واذني غير صماء
وأمثال ذلك والله أعلم

❖ الإعراب ❖

أشياء في موضع جر إلا أنها افتتحت لأنها لا تنصرف قال الكسائي أشياء أشبه آخرها آخر حمراء وكثير استعمالها فلم تنصرف وقد اجمع البصريون على ان قوله هذا خطأ والزموه ان لا يصرف أبناء وأسما وقال الخليل أن أشياء اسم للجمع كان أصله شيء على فعلاء مثل الطرفاء والقصباء والحلفاء في أنها على لفظ الآحاد والمراد الجمع فاستثقلت همزة الالف وليس يحاجز قوي لأجل انه ساكن ومن جنس همزة الآحاد يعود إليها إذا تحركت واستثقلت فقدموا همزة التي هي لام الفعل إلى أول الكلمة فقالوا أشياء ووزنها لفعاء كما قالوا في انوق اينق وفي أقوس قسي وهو مذهب سيويه والمازني وجميع البصريين قالوا والدلالة على ان أشياء اسم مفرد ماروي من تكسيرها على اشاوي كما كسروا صحراء على صحاري حيث كانت مثلها في الافراد وقال الأخفش ابو الحسن سعيد بن مسعدة والفراء أصل أشياء أشيياء على افعلاء فحذفت همزة التي هي لام كما حذفت من قولهم سوائيه حيث قالوا سوائيه ولزم حذفها في افعلاء* لأمرين* أحدهما* تقارب همزة وإذا كانوا قد حذفوا همزة منفردة فإذا تكررت لزم الحذف* والآخر* ان الكلمة جمع وقد يستثقل في الجمع ما لا يستثقل في الآحاد ووزن أشياء على هذا القول أفماء وذكروا ان المازني ناظر الأخفش في هذا الباب فسأله كيف تصغر

أشياء فقال اشياء فقال له لو كانت افعلاء لردت في التصغير إلى واحدها فقال شيبات كما قالوا في تصغير اصدقاء صديقات فقطع الأخش فأجاب عنه ابو علي الفارسي فقال ان افعلاء في هذا الموضع جاز تحقيرها وإن لم تحقر في غير هذا الموضع لأنها صارت بدلا من افعال بدلالة استجازتهم اضافة العدد القليل اليها كما اضيف إلى افعال وبدل على كونها بدلا من افعال تذكيرهم العدد المضاف اليها نحو ثلاثة اشياء فجاز تصغيرها كما يجوز تصغير افعال وقوله إن تبد لكم تسؤنكم جملة شرطية في موضع جر بكونها صفة لأشياء

﴿ التزول ﴾

اختلف في نزولها ف قيل سألت الناس رسول الله (ص) حتى احفوه بالمسألة فقام مغضبا خطيبا فقال سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا بينته لكم فقام رجل من بني سهم يقال له عبد الله بن حذافة وكان يطعن في نسيه فقال يا نبي الله من ابني فقال ابوك حذافة بن قيس فقام اليه رجل آخر فقال يا رسول الله أين ابني فقال في النار فقام عمر بن الخطاب وقيل رجل رسول الله (ص) وقال انا يا رسول الله حديثو عهد بجاهلية وشرك فاعف عنا عفا الله عنك فسكن غضبه فقال اما والذي نفسي بيده لقد صورت لي الجنة والنار آقا في عرض هذا الخائط فلم أر كالיום في الخير والشر عن الزهري وقتادة عن انس وقيل كان قوم يسألون رسول الله (ص) استهزاء مرة وامتحانا مرة فيقول له بعضهم من ابني ويقول الآخراين ابني ويقول الآخر إذا ضلت ناقته اين ناقتي فأنزل الله عز وجل هذه الآية عن ابن عباس وقيل خطب رسول الله (ص) فقال ان الله كتب عليكم الحج فقام عكاشة بن محصن وقيل سراقه بن مالك فقال أفي كل عام يا رسول الله فأعرض عنه حتى عاد مرتين او ثلاثا فقال رسول الله ويحك وما يؤمنك ان أقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم الكفرتم فاتركوني كما تركتمكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سوءهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشي فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه عن علي بن أبي طالب (ع) وابي امامة الباهلي وقيل نزلت حين سألو رسول الله (ص) عن البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي عن مجاهد

﴿ المعنى ﴾

(يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤنكم) خاطب الله المؤمنين ونهاهم عن المسألة عن أشياء لا يحتاجون اليها في الدين إذا ابدت واطهرت ساءت وحزنت وذلك نحو ما مضى ذكره من الرجل الذي سأل عن آية وأشياء ذلك من أمور الجاهلية وقيل ان تقديره لا تسألوه عن اشياء عفا الله عنها إن تبد لكم تسؤنكم فقدم وأخر فعلى هذا يكون قوله عفا الله عنها صفة لأشياء أيضا ومعناه كف الله عن ذكرها ولم يوجب فيها حكما وكلام الزجاج بدل على هذا لأنه قال اعلم الله ان السؤال عن مثل هذا الجنس لا ينبغي أن يقع فإنه إذا ظهر فيه الجواب ساء ذلك وخاصة في وقت سؤال النبي (ص) على جهة تبين الآيات فنهى الله عز وجل عن ذلك واعلم انه قد عفا عنها ولا وجه لمسألة ما عفا الله عنه ولعل فيه فضيحة على السائل إن ظهر وإلى هذا المعنى أشار امير المؤمنين (ع) في قوله إن الله افترض عليكم فرائض فلا تضيعوها وحد لكم حدودا فلا تمسدها ونهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها وسكت لكم عن أشياء ولم يدعها نسيانا فلا تتكفوها وقال مجاهد كان ابن عباس إذا سئل عن الشيء لم يجبي فيه أثر يقول هو من العفو ثم يقرأ هذه الآية (وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) معناه وان ألحتم وسألتم عنها عند نزول القرآن أظهر لكم جوابها إذا لم تقصدوا التعت على النبي محمد (ص) فلا تتكفوا السؤال عنها في الحال وقيل معناه وإن تسألوا عن أشياء حين ينزل القرآن تحتاجون اليها في الدين من بيان محمد (ص) ونحو ذلك تكشف لكم وهذه الأشياء غير الأشياء الأولى إلا انه قال وإن تسألوا عنها لأنه كان قد سبق ذكر الأشياء وقيل ان الهاء راجعة إلى الأشياء الأولى فبين لهم انكم ان

سألتهم عنها عند نزول القرآن في الوقت الذي يأتيه الملك بالقرآن يظهر لكم ما تسألون عنه في ذلك الوقت فلا تسألوه ودعوه مستورا ثم قال (غفي الله عنها) أي غفا الله عن تبعه سوء الكرم ويكون تقديره غفا الله عن مسألتكم التي سلفت منكم مما كرهه النبي (ص) (والله غفور حلیم) فلا تعودوا الى مثلها وهذا مثل قول ابن عباس في رواية عطا واما على ما ذكرنا من ان قوله غفا الله على التقديم فيكون تقدير الآية لا تسألوا عن أشياء ترك الله ذكرها وبيانها لأنكم لا تحتاجون اليها في التكليف ان تظهر لكم تحزنكم وتغصمكم وقال بعضهم انها نزلت فيما سألت الأمم أنبياءها من الآيات ويؤيده الآية التي بعدها

النظم

قيل في اتصال هذه الآية بما قبلها وجوه * احدها * انه متصل بقوله تفلحون لأن من الفلاح ترك السؤال عما لا يحتاج اليه * وثانيها * انه متصل بقوله ما على الرسول إلا البلاغ فإنه يبلغ ما فيه المصلحة فلا تسألوه عما لا يعينكم * وثالثها * انها متصل بقوله والله يعلم ما تبدون وما تكتمون اي لا تسألوه فيظهر لكم مرائكم

قوله تعالى (١٠٢) قد سألتها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين (١٠٣) ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون (آيتان)

اللغة

البحر الشق وبجرت اذن الناقة امجراها بجرا إذا شققتها شقا واسعا والناقة بحيرة وهي فعيلة بمعنى المفعول مثل النطيجة والذبيحة واصل الباب السعة وسعي البحر بحرا سعته وفرس بحر واسع الجري وفي الحديث انه (ع) قال لفرس له وجدته بحرا والسائبة فاعلة من ساب الماء إذا جرى على وجه الأرض ويقال سابت الدابة اي تركتها تسبب حيث شاءت ويقال للبعد يعتق ولا ولاء عليه لمعتقه سائبة لأنه يضع ماله حيث شاء واصله المخلاة وهي السبية وأخذت من قولهم سابت الحية وانسابت إذا مضت مسنمرة والوصل تقيض الفصل ولعن رسول الله (ص) الواصلة وهي التي تصل شعر المرأة بشعر آخر فالوصيلة بمعنى الموصولة كأنها وصلت بغيرها وبجوز ان يكون بمعنى الواصلة لأنها وصلت أخاها وهذا أظهر في الآية وانشد أهل اللغة في البحيرة

محرمة لا يأكل الناس لحمها
وانشدوا في السائبة

وسائبة لله املي تشكرا
وانشدوا في الوصلة لتأبط شرا

اجدك اما كنت في الناس ناعقا
وانشد في الحامي

حماها ابو قابوس في غير كنهه
كما قد حمى اولاد اولاده الفحلا

المعنى

ثم أخبر سبحانه ان قوما سألوا مثل سوء الهم فلما أجبوا إلى ما سألوا كفروا فقال (قد سألتها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين) وفيه أقوال * احدها * انهم قوم عيسى (ع) سألوه انزال المائدة ثم كفروا بها عن ابن عباس * وثانيها * انهم قوم صالح سألوه الناقة ثم عقروها وكفروا بها * وثالثها * انهم قريش حين سألوا

النبي (ص) ان يحول الصفا ذهباً عن السدي * واربعا * انهم كانوا سألوا النبي (ص) عن مثل هذه الأشياء يعني من أبي ونحوه فلما أخبرهم بذلك قالوا ليس الأمر كذلك فكفروا به فيكون على هذا نبياً عن سؤال النبي (ص) عن انساب الجاهلية لأنهم لو سألوا عنها ربما ظهر الأمر فيها على خلاف حكمهم فيحملهم ذلك على تكذيبه عن أبي علي الجبائي فإن قيل ما الذي يجوز ان يسأل عنه وما الذي لا يجوز فالجواب ان الذي يجوز السؤال عنه هو ما يجوز العمل عليه في الأمور الدينية او الدنيوية وما لا يجوز العمل عليه في أمور الدين والدنيا لا يجوز السؤال عنه فعلى هذا لا يجوز أن يسأل الإنسان من أبي لأن المصلحة قد اقتضت أن يحكم على كل من ولد على فراش انسان بأنه ولده وإن لم يكن مخلوقاً من مائه فالمسألة بخلاف ذلك سفة لا يجوز ثم ذكر سبحانه الجواب عما سألوه عنه وقيل إنه لما تقدم ذكر الحلال والحرام بين حال ما يعتقد أهل الجاهلية من ذلك فقال (ما جعل الله من بحيرة) يريد ما حرّمها على ما حرّمها أهل الجاهلية من ذلك ولا أمر بها والبحيرة هي الناقة كانت إذا نتجت خمسة أبطن وكان آخرها ذكرها بحرّوا اذنها وامتنعوا من ركوبها ونحرها ولا تطرد عن ماء ولا تمتنع من مرعى فإذا لقيها المعبي لم يركبها عن الزجاج وقيل انهم كانوا إذا نتجت الناقة خمسة أبطن نظروا في البطن الخامس فإن كان ذكراً نحرّوه فأكله الرجال والنساء جميعاً وإن كانت اثنى شقوا اذنها فنلك البحيرة ثم لا يجر لها وير ولا يذكر عليها اسم الله ان ذكيت ولا حمل عليها وحرّم على النساء ان يذفن من لبنها شيئاً ولا ان ينتفعن بها وكان لبنها ومنافعها للرجال خاصة دون النساء حتى تموت فإذا ماتت اشتركت الرجال والنساء في أكلها عن ابن عباس وقيل ان البحيرة بنت السائبية عن محمد بن اسحاق (ولا سائبية) وهي ما كانوا يسيبونه فإن الرجل إذا نذر القدوم من سفر او البرء من علة او ما اشبه ذلك قال نافي سائبية فكانت كالبحيرة في ان لا ينتفع بها وان لا تخلّى عن ماء ولا تمتنع من مرعى عن الزجاج وهو قول علقمة وقيل هي التي تسيب للأصنام أي تعتق لها وكان الرجل يسيب من ماله ما يشاء فيحيي به إلى السدنة وهم خدمة ألقمهم فيطعمون من لبنها ابناء السبيل ونحو ذلك عن ابن عباس وابن مسعود وقيل ان السائبية هي الناقة إذا تابعت بين عشرائث ليس فيهن ذكر سبيت فلم يركبها ولم يجرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف فما نتجت بعد ذلك من اثنى شق اذنها ثم يخلّى سبيلها مع امها وهي البحيرة عن محمد بن اسحاق (ولا وصيلة) وهي في الغنم كانت الشاة إذا ولدت اثنى فهي لهم وإذا ولدت ذكراً جعلوه لألقمهم فإن ولدت ذكراً واثنى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوها الذكر لألقمهم عن الزجاج وقيل كانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن فإن كان السابع جدياً ذبحوه لألقمهم ولحمه للرجال دون النساء وان كان عناقاً استحيوها وكانت من عرض الغنم وإن ولدت في البطن السابع جدياً وعناقاً قالوا ان الاخت وصلت أخاها لحرمته علينا فحرّمها جميعاً فكانت المنفعة واللبن للرجال دون النساء عن ابن مسعود ومقاتل وقيل الوصيلة الشاة إذا تأمت عشر اناث في خمسة أبطن ليس فيها ذكر جعلت وصيلة فقالوا قد وصلت فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور دون الإناث عن محمد بن اسحاق (ولاحم) وهو الذكور من الإبل كانت العرب إذا انتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حي ظهره فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا من مرعى عن ابن عباس وابن مسعود وهو قول أبي عبيدة والزجاج وقيل انه الفحل إذا لقح ولد ولده قيل حي ظهره فلا يركب عن الفراء اعلم الله انه لم يحرم من هذه الأشياء شيئاً وقال المفسرون وروى ابن عباس عن النبي (ص) ان عمرو ابن لحي بن قميعة بن خندف كان قد ملك مكة وكان اول من غير دين اسماعيل واتخذ الأصنام ونصب الاوثان وبحر البحيرة وسبب السائبية ووصل الوصيلة وحى الخامي قال رسول الله (ص) فلقد رأيت في النار بوذي أهل النار ربح قصبه ويروى بجر قصبه في النار (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) هذا اخبار منه تعالى ان الكفار يكذبون على الله بادعائهم ان هذه الأشياء من فعل الله أو أمره (واكثرهم لا يعقلون) خص

الاكثر بأنهم لا يعقلون لأنهم اتباع فهم لا يعقلون ان ذلك كذب واقتراء كما يعقله الروساء عن قتادة والشعبي وقيل ان معناه ان اكثرهم لا يعقلون ما حرم عليهم وما حل لهم يعني ان المعاند هو الأقل منهم عن ابي علي الجبائي وفي هذه الآية دلالة على ابطال قول المجبرة لأنه سبحانه تقي أن يكون جعل البحيرة وغيرها وعندهم انه سبحانه هو الجاعل والخالق لهم ثم بين ان هؤلاء قد كفروا بهذا القول واقتروا على الله الكذب بأن نسبوا اليه ما ليس بفعل له وهذا واضح

قوله تعالى (١٠٤) وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَٰئِكَ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (آية)

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن الكفار الذين جعلوا البحيرة وغيرها ويفترون على الله الكذب من كفار قريش وغيرهم فقال (واذا قيل لهم تعالوا) اي هلموا (إلى ما انزل الله) من القرآن واتباع ما فيه والاقراء بصحته (وإلى الرسول) وتصديقه والاقداء به وبأفعاله (قالوا) في الجواب عن ذلك (حسبنا) أي كفانا (ما وجدنا عليه آباءنا) يعني مذاهب آباءنا ثم اخبر سبحانه منكرًا عليهم (اولو كان آباؤهم) أي انهم يتبعون آباءهم فيما كانوا عليه من الشرك وعبادة الأوثان وان كان آباؤهم (لا يعلمون شيئًا) من الدين (ولا يهتدون) اليه وقيل في معنى لا يهتدون قولان * أحدهما * انه بذمهم بأنهم ضلال * والآخر * بأنهم عمي عن الطريق فلا يهتدون طريق العلم وفي هذه الآية دلالة على فساد التقليد وانه لا يجوز العمل في شيء من أمور الدين إلا بحجة وفي هذه الآية دلالة أيضًا على وجوب المعرفة وانها ليست بضرورية على ما قاله اصحاب المعارف فإنه سبحانه بين الحجاج عليهم فيها يعرفوا صحة ما دعاهم الرسول اليه ولو كانوا يعرفون الحق ضرورة لم يكونوا مقلدين لا بأنهم تقي سبحانه عنهم الاهتداء والعلم معًا لأن بينهما فرقًا فإن الاهتداء لا يكون الا عن حجة وبيان والعلم قد يكون ابتداء عن ضرورة

قوله تعالى (١٠٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَىٰ اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (آية)

القراءة

روي في الشواذ عن الحسن لا يضركم وعن ابراهيم لا يضركم

الحجة

ويفي ذلك أربع لغات ضاره يضره وضاره يضره وضره يضره وهي عربية أعني بفعل في المضاعف متعدية وانما جزم يضركم ويضركم لأنه جواب الأمر وهو قوله عليكم أنفسكم ويجوز أن يكون لا هنا بمعنى النهي فيكون يضركم مجزومًا به

الاعراب

قال الزجاج عليكم أنفسكم أجريت مجرى الفعل فإذا قلت عليك زيداً فتأويله الزم زيداً وعليكم أنفسكم معناه الزموا أمر أنفسكم وقال غيره العرب تأمر من الصفات بليك وعندك ودونك فتعديها إلى المفعول وتقييمها مقام الفعل فينتصب بها على الإغراء تقول عليك زيداً كأنه قيل خذ زيداً فقد علاك أي أشرف عليك وعندك زيداً أي حضرك فخذ ودونك أي قرب منك فخذ وقد تقيم العرب غير هذه الأحراف مقام الفعل لكن لا تعديه إلى المفعول وذلك نحو قولهم اليك عني أي تأخر عني ووراءك بمعناه قالوا ولا يجوز ذلك إلا في الخطاب لو قلت عليه زيداً لم يميز وقوله لا يضركم الاجود ان يكون اعرابه رفعاً ويكون على جهة الخبر ويجوز ان

يكون موضعه جزءاً ويكون الأصل لا يضرر كم إلا ان الرء الأولى أدغمت في الثانية فضمنت الثانية لالتقاء الساكنين ويجوز في العربية لا يضرر كم بفتح الرء ولا يضرر كم بكسرها فالضم لا يتباع الضم والفتح للخفة والكسر لأن اصل التقاء الساكنين الكسرة وهذا النهي للفظ يراد به المخاطبون إذا قلت لا يضرر كم كفر فلان فمعناه لاتعدن أنت كفره ضرراً كما أنك إذا قلت لا أرينك ههنا فالنهي في اللفظ لنفسك فمعناه لمخاطبك ومعناه لا تكونن هنا

✽ المعنى ✽

لما بين الله سبحانه حكم الكفار الذين قلدوا آباءهم وأسلافهم وركنوا إلى أديانهم عقبه بالأمر بالطاعة وبيان ان المطيع لا يواخذ بذنوب العاصي فقال (يا ايها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) معناه احفظوا أنفسكم من ملامسة المعاصي والإصرار على الذنوب عن الفراء وغيره وقيل معناه الزموا أمر أنفسكم فإنما أزمكم الله امرها عن الزجاج وهذا موافق لما روي عن ابن عباس ان معناه اطيعوا امري واحفظوا وصيتي (لا يضرر كم من ضل إذا اهتديتم) أي لا يضرر كم ضلال من ضل من آباءكم وغيرهم إذا كنتم مهتدين ويقال هل تدل هذه الآية على جواز ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجوابه ان في هذا وجوهاً **✽** احدها **✽** ان الآية لا تدل على ذلك بل توجب ان المطيع لربه لا يواخذ بذنوب العاصي **✽** وثانيها **✽** ان الاقتصار على الاهتداء باتباع امر الله إنما يجوز في حال التيقن او حال لا يجوز تأثير انكاره فيها او يتعلق بانكاره مفسدة وروي ان ابا ثعلبة سأل رسول الله (ص) عن هذه الآية فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت دنيا مؤثرة وشحاً مطاعاً وهوى متبعاً واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة تسك وذرا للناس وعوامهم **✽** وثالثها **✽** ان هذه او كد آية في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن الله تعالى خاطب بها المؤمنين فقال عليكم أنفسكم يعني عليكم اهل دينكم كما قال ولا تقتلوا أنفسكم لا يضرر كم من ضل من الكفار وهذا قول ابن عباس في رواية عطا عنه قال يريد بعضكم بعضاً وينهى بعضكم بعضاً ويعلم بعضكم بعضاً ما يقربه إلى الله ويبعده من الشيطان ولا يضرر كم من ضل من المشركين والمتأفقين واهل الكتاب (إلى الله مرجعكم جميعاً) أي مصيركم ومصير من خالفكم (فينبئكم بما كنتم تعملون) أي يجازيكم بأعمالكم وفي هذه غاية الزجر والتهديد وفي الآية دلالة على فساد قول من قال إن الله يعذب الأطفال بذنوب الآباء ويعذب الميت بكاء الحي عليه

قوله تعالى (١٠٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُوهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَتَقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَيْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ (آية)

✽ القراءة ✽

روي في الشواذ عن الحسن والشعبي والاعرج شهادة بينكم وعن الأعرج ايضاً شهادة بينكم بالنصب وروي عن علي والشعبي بخلاف ونعيم بن ميسرة انهم قرأوا شهادة الله بنصب شهادة والمد في الله وهو قراءة يعقوب والشعبي برواية روح وزيد وروي شهادة الله مقصورة عن الحسن ويحيى بن يعمر وسعيد بن جبير والكبي والشعبي

✽ الحجة ✽

أما قول شهادة بالرفع بينكم بالنصب فعلى نحو القراءة المشهورة شهادة بينكم إلا انه حذف التنوين فانجر لا اسم ويجوز ان يكون المضاف محذوفاً من آخر الكلام أي شهادة بينكم شهادة اثنين أي ينبغي ان تكون

الشهادة المعتمدة هكذا وأما شهادة بينكم وبالنصب والتنوين فعلى اضمار فعل أي ليقيم شهادة بينكم اثنان ذوا عدل وأما قوله ولا نكتم شهادة فهو اعم من قراءة الجماعة المشهورة بشهادة الله بالاضافة وأما المد في الله فعلى ان همزة الاستفهام صارت عوضا من حرف القسم ووقوا همزة الله من الحذف الذي كان يجب فيها من حيث كانت موصولة ثم فصل بين الهمزتين بالف كما في قوله المذكورين حرم ام الاثنيين وأما الله مقصورة بالجر فعلى ما حكاه سيبويه ان منهم من يحذف حرف القسم ولا يعوض منه همزة الاستفهام فيقول الله لقد كان كذا وذلك لكثرة الاستعمال وأما تقدير الكلام فعلى انه بقول اتقسم بالله أي اتقدم على هذا اليمين وهذا إنما يكون على وجه الاعظام لليمين والتهيب لها

﴿ الاعراب ﴾

قال الزجاج شهادة بينكم يرتفع من وجهين ﴿ احدهما ﴾ أن يرتفع بالابتداء ويكون خبرها اثنان والمعنى شهادة هذه الحال شهادة اثنان فيحذف شهادة ويقسم اثنان مقامها ﴿ والآخر ﴾ ان يكون التقدير وفيما فرض عليكم في شهادتكم ان يشهد اثنان فيرتفع اثنان بشهادة وهو قول الفراء واختار ابو علي الفارسي القول الأول قال واتسع في بين فاضيف اليه المصدر وهذا يدل على قول من قال إن الظرف يستعمل إسما في غير الشعر الا ترى انه قد جاء ذلك في التنزيل وهو لقد تقطع بينكم بالرفع كما جاء في الشعر نحو قوله ﴿ تصادم بين عينيه الجبوبا ﴾ وأما قوله اذا حضر احدكم الموت فيجوز ان يتعلق بالشهادة فيكون معمولها ولا يجوز ان يتعلق بالوصية لأمرين ﴿ احدهما ﴾ ان المضاف اليه لا يعمل فيما قبل المضاف لأنه لو عمل فيه للزم ان يقدر وقوعه في موضعه واذا قدر ذلك لزم ان يقدم المضاف اليه على المضاف ومن ثم لم يميز القتال زيدا حين يأتي ﴿ والآخر ﴾ أن الوصية مصدر فلا يتعلق به ما يتقدم عليه وأما قوله حين الوصية اثنان فلا يجوز حمله على الشهادة لأنه اذا عمل في ظرف من الزمان لم يعمل في ظرف آخر منه ولكن يحمله على احد ثلاثة اوجه اما ان يتعلق بالموت كأنه يموت في ذلك الحين وهذا إنما يكون على ما قرب منه كقوله حتى إذا حضر احدكم الموت قال افي تبت الآن وهذا القول إنما يكون قبل الموت وأما ان يتعلق بحضر أي اذا حضر هذا الحين وأما ان يكون محمولا على البديل من اذا لأن ذلك الزمان في المعنى هو هذا الزمان فتبدله منه كما تبدل الشيء من الشيء اذا كان إياه وقوله منكم صفة لقوله اثنان كما ان ذوا عدل صفة لهما وفي الظرف ضميرهما وقوله أو آخران من غيركم تقديره او شهادة آخرين من غيركم ومن غيركم صفة لآخرين كما كان منكم صفة لآخرين ان اتم ضربتم في الأرض فاصابكم مصيبة الموت اعترض بين الصفة والموصوف وعلم به ان شهادة الآخرين اللذين هما من غير اهل ملتنا إنما يجوز في السفر فاستغنى عن جواب ان بما تقدم من قوله او آخران من غيركم لأنه وان كان على لفظ الخبر فالمعنى على الأمر كأن المعنى ينبغي ان تشهدوا اذا ضربتم في الأرض آخرين من غير اهل ملتكم ويجوز ايضا ان يستغنى عن جواب اذا في قوله اذا حضر احدكم الموت بما تقدمها من قوله شهادة بينكم فإن جعلت اذا بمنزلة حين فلم تجعل له جوابا كان بمنزلة الحين وينتصب الموضع بالمصدر الذي هو شهادة بينكم كما تقدم وان قدرت له جوابا كان قوله شهادة بينكم يدل عليه ويكون موضع اذا في قوله اذا حضر احدكم الموت نصبا بالجواب المقدر المستغنى عنه بقوله شهادة بينكم لأن المعنى ينبغي ان تشهدوا وقوله تجبسونهما من بعد الصلاة صفة ثانية لقوله او آخران وقوله من بعد الصلاة يتعلق بتجبسونهما فيقسمان بالله الفاء لعطف الجملة على الجملة وان شئت جعلت الفاء للجزاء كما في قول ذي الرمة

وانسان عيني يجبس الماء مرة فيبدو وتارات يجم فيغرق

تقديره عندهم اذا حبس بدا فكذلك اذا حبستموها اقسما وقوله لا تشري به ثنا جواب ما يقتضيه قوله

فيقسمان بالله لأن أقسم ونحوه يتلقى بما يتلقى به الأيمان والتقدير لا نشري بتحريف شهادتنا ثمتنا أي ذا ثمن
 فحذف المضاف في الموضعين وإنما ذكر الشهادة لأن الشهادة قول كما قال وإذا حضر القسمة ثم قال فارزقوهم
 منه لما كان القسمة يراد به المقسوم الا ترى ان القسمة التي هي افراز الانصاء لا يرزق منه وإنما يرزق من
 التركة المقسومة ولو كان ذا قرين التقدير ولو كان المشهود له ذا قرين واذن الشهادة الى الله لأمره باقامتها ونهيه
 عن كتمانها في قوله واقيموا الشهادة لله وقوله من يكتمها فإنه آثم قلبه هذا كله مأخوذ من كلام ابي علي الفارسي
 وناهيك به فارسا في هذا الميدان نقابا يخبر عن مكشوف هذا العلم بواضح البيان

✽ النزول ✽

سبب نزول هذه الآية ان ثلاثة نفر خرجوا من المدينة تجاراً الى الشام تميم بن اوس الداري واخوه عدي
 وهما نصرانيان وابن ابي مارية مولى عمرو بن العاص السهمي وكان مسلماً حتى اذا كانوا ببعض الطريق مرض ابن
 مارية فكتب وصيته بيده وودعها في متاعه واوصى اليه بالمال اليه وقال ابغاهذا اهلي فلما مات فتح الملتاع
 واخذ ما اعجبهما منه ثم رجعا بالمال الى الورثة فلما فتش القوم المال فقدوا بعض ما كان قد خرج به صاحبهم
 فنظروا الى الوصية فوجدوا المال فيها تاماً فكلموا تميماً وصاحبه فقالوا لا علم لنا به وما دفعه ابنا ابغناه كما هو
 فرفعوا امرهم الى النبي (ص) فنزلت الآية عن الواقدي عن أسامة بن زيد عن ابيه وعن جماعة المفسرين وهو
 من المروي عن ابي جعفر (ع)

✽ المعنى ✽

لما قدم الأمر بالرجوع إلى ما انزل عقبه بذكر هذا الحكم المنزل فقال (يا أيها الذين آمنوا) أي يا أيها
 المؤمنون (شهادة بينكم) قيل في معنى الشهادة هنا اقوال ✽ احدها ✽ انها الشهادة التي تقام بها الحقوق عند
 الحكم وقد تقدم ذكر ما قيل في تقدير الآية على هذا المعنى وهو قول ابن عباس ✽ وثانيها ✽ انها بمعنى الحضور
 كما يقال شهدت وصية فلان ومنه قوله وليشهد عذابهما طائفة ام كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت فيكون
 تقديره ليشهدكم في سفركم إذا حضركم الموت وارتتم الوصية اثنان ذوا عدل منكم أي مرضيان من اهل العدالة
 جعلها اثنين تأكيذاً للأمر في الوصية عن ابن الانباري وهو قول سعيد بن جبير وابن زيد ✽ والثالث ✽ انها شهادة
 إيمان بالله إن ارتاب الورثة بالوصيين من قول القائل في اللعان اشهد بالله اني لمن الصادقين والأول أقوى والبق
 بالآية وقال صاحب كتاب نظم القرآن شهادة مصدر بمعنى الشهود كما يقال رجل عدل ورجلان عدل
 ورضاً ثم قدر حذف المضاف فيكون المعنى عدد شهود بينكم اثنان كقوله الحج أشهر معلومات أي وقت
 الحج أشهر وقال ابن جني ويجوز ان يكون التقدير تقيموا شهادة بينكم اثنان فيكون على هذين القولين حذف
 المضاف من المبتدأ وعلى قول الزجاج وابي علي من الخبر (إذا حضر احدكم الموت حين الوصية) أي حضر اسباب
 الموت من مرض وغيره وقال الزجاج معناه ان الشهادة في وقت الوصية هي للموت ليس ان الموت حاضر وهو بوصي
 إنما يقول الموصي صحيحاً كان أو غير صحيح إذا حضر في الموت واذا مات فافعلوا واصنعوا (اثنان ذوا عدل منكم)
 أي من اهل دينكم وملتكم (أو آخران من غيركم) أي من غير اهل ملتكم عن ابن عباس وسعيد بن المسيب
 وسعيد بن جبير وشريح ومجاهد وابن سيرين وابن زيد وابراهيم وهو المروي عن الباقر والصادق عليهما
 السلام فيكون أو هاهنا للتفصيل لا للتخيير لأن المعنى أو آخران من غيركم ان لم تجدوا شاهدين منكم وقيل
 معناه ذوا عدل من عشيرتكم أو آخران من غير عشيرتكم عن الحسن والزهري وعكرمة والاصم قالوا لأن
 عشيرة الموصي اعلم باحواله من غيرهم واجدر ان لا ينسوا ما شهدوا عليه وقالوا لا يجوز شهادة كافر في سفر
 ولا حضر واختاره الزجاج وذهب جماعة الى ان الآية كانت في شهادة اهل الذمة فنسخت وقد بين ابو عبيدة

هذه الأقاويل ثم قال جل العلماء يتأولونها في أهل الذمة وبرونها بحكمة ويقوي هذا القول تنابع الآثار في سورة المائدة بقوله المنسوخ وانها من محكم القرآن وآخر ما نزل (إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابكم مصيبة الموت) ومعناه فأصابكم الموت علم الله تعالى ان من الناس من يسافر فيصحبه في سفره أهل الكتاب دون المسلمين وينزل القرية التي لا يسكنها غيرهم ويحضره الموت فلا يجد من يشهده من المسلمين فقال أو آخران من غيركم أي من غير دينكم إن أنتم سافرتم فأصابكم مصيبة الموت فالمدلان من المسلمين للحضر والسفر إن أمكن اشهادهم في السفر والذميان في السفر خاصة إذا لم يوجد غيرهما ثم قال (تجسبونها من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارتبتم) المعنى تجسبونونها من بعد صلاة العصر لأن الناس كانوا يحلفون بالحجاز بعد صلاة العصر لا جتماع الناس وتكاثرهم في ذلك الوقت وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وقتادة وسعيد بن جبير وغيرهم وقيل هي صلاة الظهر أو العصر عن الحسن وقيل بعد صلاة أهل دينها يعني الذميين عن ابن عباس والسدي ومعنى تجسبونونها تقفونها كما تقول مري فلان على فرس فحبس على دابته أي وقفه وقيل معناه تصبرونها على اليمين وهو ان يحمل على اليمين وهو غير متبرع بها إن ارتبتم في شهادتها وشككتكم وخشيتكم أن يكونا قد غيرا أو بدلا أو كتما أو خانا والخطاب في تجسبونونها للورثة ويجوز أن يكون خطابا للقضاة ويكون بمعنى الأمر أي فاحبسوها ذكره ابن الأنباري وكان يقف على قوله مصيبة الموت ويتدي بقوله تجسبونونها ويحتمل ان يكون أراد به وصي الميت إذا ارتاب بها الورثة وادعوا انها استبدت بشي من التركة فيصيران مدعى عليها فيحلفان بالله (لا نشترى به ثمنا) أي لا نشترى به تحريف الشهادة ثمنا والتقدير لا نشترى به ذا ثمن ألا ترى ان الثمن لا يشترى وإنما يشترى المبيع دون ثمنه وقيل ان الهاء في به يعود الى القسم بالله وقيل معناه لا نبيعه بعرض من الدنيا لأن من باع شيئا فقد اشترى ثمنه ويريد لا نحابي في شهادتنا احداً (ولو كان) المشهود له (ذا قرى) خص ذا القرى بالذكر لئلا ينسبونه (ولا نكتم شهادة الله) أي شهادة لزمنا اداؤها بأمر الله تعالى (إننا إذا لمن الآثمين) أي انا ان فعلنا ذلك كنا من الآثمين

قوله تعالى (١٠٧) فَإِنْ عَثَرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَأَخْرَأْنِ يَقَوْمًا مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشِهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شِهَادَتِهِمَا وَمَا أَعْتَدْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٨) ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِنَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (آياتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو بكر عن عاصم وحزرة وخلف ويعقوب استحق بضم التاء والحاء الأولين جمع وقرأ حفص عن عاصم استحق بفتح التاء والحاء الأوليان بالألف تنثية الأولى وقرأ الباقون استحق بضم التاء الأوليان بالألف

﴿ الحجة والاعراب ﴾

قال الزجاج هذا الموضع من أصعب ما في القرآن في الاعراب، والأوليان في قول أكثر البصريين يرتفعان على البدل مما في يقومان المعنى فليقم الأوليان بالميت مقام هذين الخائنين فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من

شهادتهما فإذا ارتفع الأوليان على البدل فالذي في استحق من الضمير معنى الوصية المعنى فليقم الأوليان من الذين استحققت الوصية والايصاء عليهم وجاز أن يرتقما باستحق ويكون معناه الأوليان باليمين أي بان يخلفا من يشهد بعدهما فإن جاز شهادة النصرانيين كان الأوليان على هذا القول النصرانيين والآخران من غير اهل بيت الميت وقال ابو علي لا يخلو ارتفاعه من أن يكون على الابتداء وقد اخرج كانه في التقدير فالأوليان بأمر الميت آخران من أهله أو من اهل دينه بقومان مقام الخائنين اللذين عثر على خيانتهم كقولهم تمعي انا او يكون خبر مبتدأ محذوف كأنه قال فأخران يقومان مقامهما الأوليان او يكون بدلا من الضمير الذي في يقومان او يكون مسندا اليه استحق وقد أجاز ابو الحسن فيه شيئا آخر وهو أن يكون الأوليان صفة لقوله فأخران من غيركم لأنه لما وصف آخران اختص فوصف لأجل الاختصاص الذي صار له مما يوصف به المعارف ومعنى الأوليان الأوليان بالشهادة على وصية الميت وإنما كانا أولى به من اتهم بالخيانة لأنهما اعرف بأحوال الميت وأموره ولأنهما من المسلمين ألا ترى أن وصفهم بأنه استحق عليهم يدل على انهم مسلمون لأن الخطاب من اول الآية مصروف اليهم فأما ما يسند اليه استحق فلا يخلو من أن يكون الايصاء او الوصية او الإثم او الجار والمجرور وإنما جاز استحق الإثم لأن اخذه بأخذه إثم فسمي إثمًا كما سمي ما يؤخذ منا بغير حق مظلمة قال سيبويه المظلمة اسم ما أخذ منك فلذلك سمي هذا المأخوذ باسم المصدر فأما قوله عليهم فيحتمل ثلاثة اضرب احدهما ان يكون على فيه بمنزلة قولك استحق على زيد مال بالشهادة أي لزمه ووجب عليه الخروج منه لأن الشاهدين لما عثر على خيانتهم استحق عليهما ما ولياه من امر الشهادة والقيام بها ووجب عليهما الخروج منها وترك الولاية لها فصار اخراجهما منها مستحقا عليهما كما يستحق على المحكوم عليه الخروج مما وجب عليه هذا كلام ابي علي واقول ان الظاهر ان الذين استحق عليهم في الآية هم ورثة الميت والمفهوم من كلام ابي علي هذا ان الشاهدين اللذين من غيرنا هما المعنيان بذلك على ما قرره والذي يصح في نفسي ان التقدير من الذين استحققت عليهم الوصية او استحق عليهم الايصاء هم عشيرة الميت والضرب الآخر ان يكون على فيه بمنزلة من كأنه قال من الذين استحق منهم الإثم ومثل هذا قوله إذا اکتالوا على الناس أي من الناس والثالث ان يكون على بمنزلة في كأنه استحق فيهم وقام على مقام في كما قام في مقام علي في قوله ولا تصيبنكم في جذوع النخل والمعنى من الذين استحق عليهم بشهادة الآخرين اللذين هم من غيرنا واقول ان هذا المعنى ايضا إنما يلائم الضرب الأول والذي يلائم هذا الضرب ان يقال المعني من الذين استحق فيهم الإثم أي بسببهم استحق الآخران من غيرنا اللذان خانا في الوصية فيهما الإثم بخيانتهم ويمينهما الكاذبة ثم قال ابو علي فإن قلت هل يجوز أن يستند استحق إلى الأوليان فالقول في ذلك انه لا يجوز لأن المستحق إنما يكون الوصية أو شيئا منها ولا يجوز أن يستحقا فيسند استحق اليهما وامامنا قرأ من الذين استحق عليهم الأولين على الجمع فهو نعت لجميع الورثة المذكورين في قوله من الذين استحق عليهم تقديره من الأولين الذين استحق عليهم الايصاء او الإثم وإنما قيل لهم الأولين من حيث كانوا أولين في الذكر ألا ترى انه قد تقدم يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم وكذلك اثنان ذوا عدل منكم وذكر في اللفظ قبل قوله او آخران من غيركم واحتج من قرأ الأولين على من قرأ الأوليان بأن قال أرأيت ان كان الأوليان صغيرين اراد ان كانا صغيرين لم يقوموا مقام الكبيرين في الشهادة ولم يكونا لصغرها أولى بالميت وان

كانا كبيرين كانا اولى به فيقسم الآخرا ان اللذان يقومان مقام الشاهدين اللذين هما آخرا من غيرنا وقوله لشهادتنا أحق من شهادتهما ملقى به فيقسم بالله ومن قرأ استحق عليهم الأوليان فاستحق ههنا بمعنى حق أي وجب فالمعنى فآخرا من الذين وجب عليهم الايصاء بتوصية ميتهم وهم ورثته وقال ابو علي تقديره من الذين استحق عليهم الأوليان بالميت وصيته التي أوصى بها الى غير أهل دينه والمفعول محذوف وحذف المفعول في نحو هذا كثير وقال الإمام المحمود الزمخشري معناه من الورثة اللذين استحق عليهم الأوليان من بينهم بالشهادة أن يجردوها للقيام بالشهادة ويظهر وابهما كذب الكاذبين وهذا أحسن الأقوال

✽ اللغة ✽

عثر الرجل على الشيء يعثر عثورا إذا اطلع على امر لم يطلع عليه غيره واعثرت فلانا على امر اطلعت عليه ومنه قوله وكذلك اعثرنا عليهم واصله الوقوع بالشيء من قولهم عثر الرجل عثارا إذا وقعت اصبعه بشيء صدمته منه وعثر الفرس عثارا قال الأعشى

بذات لوث عفرناة إذا عثرت فالتمس اولى بها من ان يقال لعا
والعثير الغبار لأنه يقع على الوجه وغيره والعاثور حفرة تحفر ليعثر بها الأسد فيصطاد والاستحقاق والاستيجاب قريبان واستحق عليه كأنه ملك عليه حقا وحققت عليه القضاء حقا واحققته إذا أوجبه ويكون حق بمعنى استحق

✽ النزول ✽

قالوا المانزلات الآية الاولى صلى رسول الله (ص) العصر ودعا تميم وعدي فاستحلفهما عند المنبر بالله ما قبضنا له غير هذا ولا كتمناه فحلى رسول الله (ص) سبيلهما به ثم اطعوا على اناء من فضة منقوش بذهب معهما فقالوا هذا من متاعه قالوا اشتريناه منه ونسينا ان نخبركم به فرفضوا امرهما الى رسول الله (ص) فنزل قوله فإن عثر على انهما استحقا اثما الى آخره فقام رجلان من اولياء الميت احدهما عمرو بن العاص والآخر المطلب بن ابي وداعة السهمي فحلفا بالله انهما خانا وكذبا فذبح الاثماء اليهما واولياء الميت وكان تميم الداري بعد ما اسلم يقول صدق الله وصدق رسوله انا اخذت الاثماء فاتوب الى الله واستغفره

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه الحكم بعد ظهور الخيانة من الوصيين أو الشاهدين فقال (فإن عثر) اي اطلع وظهر (على انهما) اي الشاهدين عن ابن عباس والوصيين عن سعيد بن جبير (استحقا) اي استوجبا (اثما) اي ذنبا بأيمانها الكاذبة وخيانتها وقصدها في شهادتهما الى غير الاستقامة وقيل معناه استحقاق عقوبة اثم من قوله تعالى إني اريد ان تبوء بإثمي وإثمك اي بعقوبة اثم قتلي وعقوبة معاصيك المتقدمة عن الجبائي (فآخرا يقومان مقامهما) اي مقام الشاهدين اللذين هما من غيرنا وقيل مقام الوصيين (من الذين استحق عليهم الأوليان) المعنى ليقم الأوليان بالميت من الذين استحققت عليهم الوصية او يكون التقدير فالأوليان بأمر الميت آخرا من أهله يقومان مقام الخائنين اللذين عثر على خيانتهم وقد بيئنا ما قيل فيه وفي القراءتين الاخرين فيما قبل ويجوز ان يكون الأوليان بدلا من قوله آخرا فقد يجوز ابدال المعرفة من النكرة ومعنى الأوليين هما الأقربان الى الميت ويجوز ان يكون معناه الأوليان باليمين وإنما كانا أوليين باليمين لان الوصيين

ادعيا ان الميت باع الاثنا فانتقل اليه اليهين إلى الاوليين لأنها صاروا مدعى عليهما ان مورثهما باع الاثنا وهذا كما او اقر انسان لاخر بدين وادعى قضاءه حكمه برد اليهين إلى الذي ادعى الدين لانه صار مدعى عليه انه استوفى وقيل معناه الاوليان بالشهادة من المسلمين عن ابن عباس وشريح (فيقسان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما) قيل انه على الظاهر اي شهادتنا وقولنا في وصية صاحبنا احق بالقبول والصدق من شهادتهما وقولها وقيل يرد به فيقولان والله ليميننا خير من يمينهما عن ابن عباس وسميت اليهين هاهنا شهادة لأن اليهين كاشهادة على ما يخالف عليه انه كذلك (وما اعتدينا) اي ما جاوزنا الحق فيما طلبناه من حقنا عن ابن عباس وقيل فيما قلناه من ان شهادتنا احق من شهادتهما (انا اذا لمن الظالمين) تقديره انا ان اعتدينا لمن جملة الظالمين لنفوسنا وهذه الآية مع الآية التي قبلها من اعوص آيات القرآن اعرابا ومعنى وحكما ولست تجدهما في شيء من مظانها او فر فائدة واغزر عائدة واجمع علما واوجز لفظا ومعنى ما لخصته لك وسفته اليك وبالله التوفيق ثم بين سبحانه وجه الحكمة في استحلاف اليهود فقال (ذلك ادنى) اي ذلك الاحلاف والاقسام او ذلك الحكم اقرب الى (ان بانوا بالشهادة على وجهها) اي حقها وصدقها لا يكتفون شيئا ولا يزيدون شيئا لأن اليهين تردع عن امور كثيرة لا يرتدع عنها مع عدم اليهين (او يخافوا) اي اقرب إلى ان يخافوا (ان ترد ايمانك) إلى اولياء الميت (بعد ايمانهم) فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا ويفرموا فرما لا يحلفون كاذبين ويتحفظون في الشهادة مخافة رد اليهين والشهادة الى المستحق عليهم (واتقوا الله) ان تحلفوا ايمانا كاذبة او تخونوا امانة (واسمعوا) الموعظة (والله لا يهدي القوم الفاسقين) الى ثوابه وجنته

قوله تعالى (١٠٩) **يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ** (آية)

الاعراب

يوم ينتصب على تقدير واتقوا يوم يجمع ويتصل بقوله واتقوا الله واسمعوا عن الزجاج وقيل انه يتعلق بقوله لا يهدي القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل عن المغربي وقيل انه يتعلق بمحذوف على تقدير احذروا أو اذكروا ذلك اليوم

المعنى

(يوم يجمع الله الرسل) هو كقوله واتقوا يوما ترجمون فيه الى الله وإنما انتصب يوم على انه مفعول به ولم ينتصب على الظرف لأنهم لم يؤثروا بالتقوى في ذلك اليوم والمعنى اتقوا عقاب يوم يجمع الله فيه الرسل لأن اليوم لا يتقى ولا يحذر فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقاما (فيقول) لهم (ماذا اجبتم) أي ما الذي اجابكم قومكم فيما دعوتوهم اليه وهذا تقرير في صورة الاستفهام على وجه التوبيخ للمنافقين عند اظهار فضيحتهم على رؤوس الاشهاد (قالوا لا علم لنا) قيل فيه اقوال * احدها * ان القيامة احوالا حتى تزول القلوب من مواضعها فاذا رجعت القلوب الى مواضعها شهدوا لمن صدقهم على من كذبهم يريد انه عزبت عنهم افهامهم من هول يوم القيامة فقالوا لا علم لنا عن عطاء عن ابن عباس والحسن ومجاهد والسدي والكلبي وهو اختيار الفراء * وثانيها * ان المراد لا علم لنا كعلمك لأنك تعلم باطنهم وانا لا نعلم

غيهم وباطنهم وذلك هو الذي يقع عليه الجزاء عن الحسن في رواية أخرى واختاره الجبائي وأنكر القول الأول وقال كيف يجوز ذهولهم من هول يوم القيامة مع قوله لا يحزنهم الفزع الأكبر وقوله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ويمكن أن يجاب عن ذلك بأن الفزع الأكبر دخول النار وقوله لا خوف عليهم إنما هو كالبشارة بالنجاة من أهوال ذلك اليوم مثل ما يقال للمريض لا بأس عليك ولا خوف عليك * وثالثها * إن معناه لا حقيقة لعلمنا إذ كنا نعلم جوابهم وما كان من أفعالهم وقت حياتنا ولا نعلم ما كان منهم بعد وفاتنا وإنما الثواب والجزاء يستحقان بما يقع به الخاتمة مما يموتون عليه عن ابن الأنباري * ورابعها * إن المراد لا علم لنا إلا ما علمتنا فحذف لدلالة الكلام عليه عن ابن عباس في رواية أخرى * وخامسها * إن المراد به تحقيق فضيحتهم أي أنت اعلم بحالهم منا ولا تحتاج في ذلك إلى شهادتنا (أنك أنت علام الغيوب) إنما قال علام للمبالغة لا للتكثير وقيل أراد به تكثير المعلوم والمراد أنت تعلم ما غاب وما بطن ونحن إنما نعلم ما نشاهد وفي هذه الآية دلالة على إثبات المعاد والحشر والنشر وذكر الحاكم أبو سعيد في تفسيره أنها تدل على بطلان قول الإمامية أن الأئمة يعلمون الغيب وأقول إن هذا القول ظلم منه لهؤلاء القوم فإننا لا نعلم أحدا منهم بل أحدا من أهل الإسلام يصف أحدا من الناس بعلم الغيب ومن وصف مخلوقا بذلك فقد فارق الدين والشريعة الإمامية برهء من هذا القول فمن نسبهم إلى ذلك فالله فيما بينه وبينهم

قوله تعالى (١١٠) إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهدي وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرئ الأكمة والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جندتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين آية

* القراءة *

قرأ أهل الكوفة غير عاصم ساحر مبين بالألف وكذلك في سورة يونس وهود والصف وقرأ ابن كثير وعاصم في سورة يونس لساحر مبين بالألف فقط وقرأ أهل المدينة والبصرة والشام ساحر مبين بغير الألف في جميع ذلك

— الحجة —

من قرأ إلا سحر جعله إشارة إلى ما جاء به كأنه قال ما الذي جئت به إلا سحر مبين ومن قرأ إلا ساحر أشار إلى الشخص لا إلى الحديث الذي أتى به وكلاهما حسن لا استواء كل واحد منهما في أن ذكره قد تقدم غير أن الاختيار سحر لوقوعه على الحدث والشخص أما وقوعه على الحدث فظاهر وأما وقوعه على الشخص فهو أن يراد به ذو سحر كما جاء ولكن البر من آمن أي ذا البر وقالوا إنما أنت سير وإنما هي أقبال وادبار وقد جاء أيضا فاعل يراد به الكثرة في حروف ليست بالكثيرة نحو عائذا بالله من شرها أي عيادا ونحو العافية ولم تصر هذه الحروف من الكثرة بحيث يقاس عليها

— الاعراب —

العامل في اذ يحتمل امرين * احدهما * الابتداء عطفا على قوله يوم يجمع الله الرسل ثم قال وذلك اذ قال فيكون موضعه رفعا كما يقول القائل كأنك بنا قد وردنا بلد كذا وصنعنا فيه وفعلنا اذ صاح بك صائح فأجبتة وتركتني * والثاني * اذ كر اذ قال الله فيكون موضعه نصبا يا عيسى بن مريم يجوز أن يكون عيسى مضموما في التقدير فإنه منادى مفرد فيكون نداً من وتقديره يا عيسى يا ابن مريم او تكون وصفت المضموم بمضاف فنصب المضاف كقول الشاعر « يا زبرقان اخابني خلف » ويجوز ان يكون عيسى مبنيا مع الابن على الفتح في التقدير لوقوع الابن بين علمين وهذا كما أنشد النحويون من قول الشاعر

يا حاكم بن المنذر بن الجارود انت الجواد بن الجواد بن الجواد

روي في حكم الضم والفتح تكلم الناس في موضع نصب على الحال وكهلا عطف على موضع في المهد وهو جملة ظرفية في موضع نصب على الحال من تكلم فالمعنى مكلما الناس صغيرا وكبيرا

* المعنى *

لما عرف سبحانه يوم القيامة بما وصفه به من جمع الرسل فيه عطف عليه بذكر المسيح فقال (إذ قال الله) ومعناه إذ يقول الله في الآخرة و ذكر لفظ الماضي تقريبا للقيامة لأن ما هو آت فكأن قد وقع (يا عيسى بن مريم) وهذا إشارة الى بطلان قول النصارى لأن من له أم لا يكون إلهها (اذكري نعمتي عليك وعلى والدتك) أي اذكري ما أنعمت به عليك وعلى أمك واشكرى أفرد النعمة في اللفظ ويريد به الجمع كما قال تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها وإنما جاز ذلك لأنه مضاف فصلح للجنس ثم فسر نعمته بأن قال (إذ أبدتكم بروح القدس) وهو جبرئيل «ع» وقد مضى تفسيره في سورة البقرة عند قوله وأيدناه بروح القدس (تكلم الناس في المهد وكهلا) أي في حال ما كنت صبيا في المهد وفي حال ما كنت كهلا وقال الحسن المهدي حبر أمه (وإذ علمت الكتاب) قيل الكتابة يعني الخط (والحكمة) أي العلم والشريعة وقيل أراد الكتب فيكون الكتاب اسم جنس ثم فصله بذكر التوراة والإنجيل فقال (والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني) أي واذا ذكر ذلك أيضا إذ تصور الطين كهيئة الطير الذي تريد أي كخلقته وصورته وسماه خلقا لأنه كان يقدره وقوله بإذني أي تفعل ذلك بإذني وامري (فتنفخ فيها) أي تنفخ فيها الروح لأن الروح جسم يجوز أن ينفخه المسيح بأمر الله (فيكون طيرا بإذني) والطير يوثق ويذكر فمن أنت فعلى الجمع ومن ذكر فعل اللفظ وواحد الطير طائر فيكون مثل ظاعن وظعن وراكب وركب وبين بقوله فيكون طيرا بإذني انه اذا نفخ المسيح فيها الروح قلبها الله لحما ودما ويخلق فيها الحياة فصارت طائرا بإذن الله أي بأمره واراادته لا بفعل المسيح (وتبرئ) أي تصحح (الأكمة) الذي ولد أعمى (والأبرص) من به برص مستحكم (بإذني) أي بأمرى ومعناه أنك تدعوني حتى أبرئ الأكمة والأبرص ونسب ذلك الى المسيح لما كان بدعائه وسؤاله (واذا تخرج الموتى بإذني) أي اذكري اذ تدعوني فأحيي الموتى عند دعائك واخرجهم من القبور حتى يشاهدكم الناس احياء ونسب ذلك الى المسيح لما كان بدعائه (واذا كففت بني اسرائيل عنك) عن قتلك وأذيتك (اذ جئتهم) أي حين جئتهم (بالبينات) مع كفرهم وعنادهم ويجوز ان يكون تعالى كفهم عنه بأطافه التي لا يقدر عليها غيره ويجوز ان يكون كفهم بالمنع والقهر كما

منع من اراد قتل نبينا ومعنى جنتهم بالبينات اتيتهم بالحجج والمعجزات (فقال الذين كفروا) وجددوا نبوتك (منهم) اي من بني اسرائيل (ان هذا الا سحر مبين) يعنون به عيسى وسحر مبين يعني به ان ما جاء به سحر ظاهر واضح وينبغي ان يكون قوله سبحانه في اول الآية اذ قال الله يا عيسى اذ كر نعمتي يعني اخبر بها قومك الذين كذبوا عليك ليكون حجة عليهم لانهم ادعوا عليه انه آله ثم عدد النعمة نعمة نعمة على ما بيناه قوله تعالى (١١١) **وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِنَا أَنَا مُسْلِمُونَ** آية

✽ اللغة ✽

الوحي القاء المعنى الى النفس على وجه يخفى ثم ينقسم فيكون بإرسال الملك ويكون بمعنى الإلهام قال الشاعر الحمد لله الذي استقلت بإذنه السماء واطمأنت اوحى لها القرار فاستقرت اي القى اليها ويروى وحى لها القرار والفرق بين اوحى ووحى من وجهين ✽ احدها ✽ ان اوحى بمعنى جعلها على صفة ووحى بمعنى جعل فيها معنى الصفة لان افعال اصله التعدية وقيل انها لغتان والحواري خالصة الرجل وخلصاؤه من الخبز الحواري لانه اخلص لبه من كل ما يشوبه واصله الخلوص ومنه حاريجور اذا رجع الى حال الخلوص ثم كثر حتى قيل لكل راجع

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه تمام نعمته على عيسى فقال (واذ اوحيت) اي واذا ذكر اذ اوحيت (الى الخواريين) اي الهتهم وقيل القيت اليهم بالآيات التي اريتهم آياتها ومضى الكلام في الخواريين في سورة آل عمران وهم وزراء عيسى عن قتادة وانصاره عن الحسن (ان آمنوا بي وبرسولي) اي صدقوا بي وبصفتي وبعيسى انه عبدي ونبلي (قالوا) اي قال الخواريون (آمننا) اي صدقنا (واشهد) يا الله (بأننا مسلمون)

قوله تعالى (١١٢) **إِذْ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١١٣) قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (آياتان)**

✽ القراءة ✽

قرأ الكسائي وحده هل تستطيع بالتاء ربك بالنصب والباقون يستطيع بالياء ربك مرفوع وادغم الكسائي اللام في التاء

✽ الحجة ✽

وجه قراءة الكسائي ان المراد هل تستطيع سؤال ربك وذكروا الاستطاعة في سؤالهم لا لانهم شكوا في استطاعته ولكن كأنهم ذكره على وجه الاحتجاج عليه منهم كأنهم قالوا انك مستطيع فإيضاك ومثل ذلك قولك لصاحبك اتستطيع ان تذهب عني فإني مشغول اي اذهب لأنك غير عاجز عن ذلك وان ينزل على هذه القراءة متعلق بالمصدر المحذوف لا يستقيم الكلام إلا على تقدير ذلك ألا ترى انه لا يصح ان تقول هل تستطيع ان يفعل غيرك فأن ينزل في موضع نصب بأنه مفعول به والتقدير هل تستطيع ان تسأل ربك انزال

مائدة من السماء علينا وروي عن ابي عبد الله عليه السلام ما يقارب هذا التقدير قال يعني هل تستطيع ان تدع ربك واما ادغام اللام في التاء فإنه حسن لان ابا عمرو ادغم اللام في التاء في هل ثوب الكفار والتاء اقرب إلى اللام من التاء والادغام إما يحسن في المتقاربين وانشد سيبويه

فذر ذا ولكن هتيعن متيعا على ضوء برق آخر الليل ناصب

— اللغة —

الفرق بين الاستطاعة والقدرة ان الاستطاعة انطباق الجوارح للفعل والقدرة هي ما اوجب كون القادر عليه قادرا وكذلك لا يوصف تعالى بأنه مستطيع ويوصف بأنه قادر والمائدة الخوان قال الازهري في تهذيب اللغة هي في المعنى مفعولة ولفظها فاعلة لأنها من العطا وقد زيد عمرا إذا اعطاه وقيل هي من ماد يميد إذا تحرك فهي فاعلة ويقال مائدة وميدة قال الشاعر

وميدة كثيرة الالوان تصنع للاخوان والجيران

وماد به البحر يميد فهو مائد إذا تحرك به وماد يميد إذا تبخرت وماد اهله إذا مادهم واصله الحركة

✽ المعنى ✽

ثم اخبر سبحانه عن الخواريين وسؤالهم فقال (اذ قال الخواريون) والعامل في اذ قوله اوحيت ويحتمل ان يكون معناه واذ ذكر اذ قال الخواريون (يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء) قيل فيه اقوال **احدها** ان يكون معناه هل يفعل ربك ذلك بمسألتك اياه لتكون علما على صدقك ولا يجوز ان يكونوا شكوا في قدرة الله تعالى على ذلك لأنهم كانوا عارفين مؤمنين وكانهم سألوه ذلك ليعرفوا صدقه وصحة امره من حيث لا يعرض عليهم فيه اشكال ولا شبهة ومن ثم قالوا وتطمئن قلوبنا كما قال ابراهيم ولكن ليطمئن قلبي عن ابي علي الفارسي **وثانيها** ان المراد هل يقدر ربك وكان هذا في ابتداء امرهم قبل ان تستحكم معرفتهم بالله ولذلك انكر عليهم عيسى (ع) فقال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين لأنهم لم يستكمل ايمانهم في ذلك الوقت **وثالثها** ان يكون معناه هل يستجيب لك ربك واليه ذهب السدي في قوله يريد هل يطيعك ربك ان سأته وهذا على ان يكون استطاع بمعنى اطاع كما يكون استجاب بمعنى اجاب قال الزجاج يحتمل مسألة الخواريين عيسى (ع) المائدة على ضربين **احدهما** ان يكونوا ارادوا ان يزدادوا تشيبتا كما قال ابراهيم رب انني كيف تحيي الموتى **وجائز** ان يكون مسألتهم المائدة قبل علمهم انه ابرأ الاكسمة والارض واحيا الموتى (قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين) معناه اتقوا الله ان تسألوه شيئا لم تسأله الامم قبلكم وقيل ان معناه الامر بالتقوى مطلقا كما امر الله المؤمنين بها في قوله يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله عن ابي علي الفارسي وقيل امرهم ان لا يقترحوا الآيات وان لا يقدموا بين يدي الله ورسوله لأن الله تعالى قد ارهم البراهين والمعجزات باحياء الموتى وغيره مما هو اكد مما سألوه وطلبوه عن الزجاج (قالوا) اي قال الخواريون (زيد ان نأكل منها) قيل في معناه قولان **احدهما** ان تكون الارادة التي هي من افعال القلوب ويكون التقدير فيه زيد السؤال من اجل هذا الذي ذكرنا والآخرة ان يكون الارادة هاهنا بمعنى المحبة التي هي ميل الطباع اي نحب ذلك (وتطمئن قلوبنا) يجوز ان يكونوا قالوا وهم مستبصرون في دينهم ومعناه نريد ان نزداد يقينا وذلك ان الدلائل كما كثرت مكنت المعرفة في النفس عن عطا (ونعلم ان قد صدقتنا) بأنك رسول الله وهذا يقوي قول من قال ان هذا كان في ابتداء امرهم والصحيح انهم طلبوا المعاينة والعالم الضروري والتأكيد في الاعجاز (وتكون عليها من الشاهدين) لله بالتوحيد ولك بالنبوة وقيل من الشاهدين لك عند بني اسرائيل إذا رجعنا اليهم

قوله تعالى (١١٤) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١٥) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ آيَات

✽ القراءة ✽

قرأ أهل المدينة والشام وعاصم منزلها بالتشديد والباقرن منزلها مخففة

✽ الحجة ✽

يقوي التخفيف قوله أنزل علينا مائدة والأولى أن يكون الجواب على وفق السؤال والوجه في التشديد ان نزل وأنزل بمعنى واحد

✽ اللغة ✽

العيد اسم لما عاد اليك من شيء في وقت معلوم حتى قالوا للخيل عيد ولما يعود اليك من الخزن عيد قال الأعشى

فوا كبدي من لاعيج الهم والهوى إذا اعتاد قلبي من أميمة عيدها

وقال الليث العيد كل يوم مجمع قال العجاج «كما يعود العيد نصراني» قال المفضل عادي عيدي اي عادي وأنشد : «عاد قلبي من الطويلة عيد» وإنما قال تأبط شرا «باعيد ما لك من شوق ويرايق» فإنه أراد الخيال الذي يعتاده

✽ الإعراب ✽

تكون لنا في موضع النصب صفة للمائدة ولنا في موضع الحال لأن تقديره تكون عيدنا لنا فقوله لنا صفة لعيد فلما تقدمه انتصب على الحال وقوله لأننا وآخرنا بدل من قوله لنا

✽ المعنى ✽

ثم اخبر سبحانه عن سؤال عيسى «ع» إياه فقال (قال عيسى بن مريم) عن قومه لما التمسوا منه وقيل انه إذا سأله ربه ذلك حين أذن له في السؤال (اللهم ربنا أنزل علينا مائدة) أي خوانا عليه طعام (من السماء تكون لنا عيداً) قيل في معناه قولان ✽ احدهما ✽ تتخذ اليوم الذي تنزل فيه عيداً نعظمه نحن ومن يأتي بعدنا عن السدي وقتادة وابن جريج وهو قول ابي علي الجبائي ✽ والثاني ✽ ان معناه تكون عائدة فضل من الله علينا ونعمة منه لنا والأول هو الوجه (لأننا وآخرنا) أي لأهل زماننا ومن يجي بعدنا وقيل معناه يأكل منها آخر الناس كما يأكل أولهم عن ابن عباس (وآية منك) أي ودلالة منك عظيمة الشأن في ازعاج قلوب العباد إلى الاقرار بدلوها والاعتراف بالحق الذي تشهد به ظاهرها تدل على توحيدهك وصحة نبوة نبيك (وارزقنا) أي واجعل ذلك رزقاً لنا وقيل معناه وارزقنا الشكر عليها عن الجبائي (وأنت خير الرازقين) وفي هذا دلالة على ان العباد قد زق بعضهم بعضاً لأنه لو لم يكن كذلك لم يصح ان يقال له سبحانه أنت خير الرازقين كما لا يجوز أن يقال أنت خير الآلهة لما لم يكن غيره إلهاً (قال الله) وجيباً له إلى ما التمسه (إنني منزلها) يعني المائدة (عليكم فمن يكفر بعد منكم) أي بعد إنزالها عليكم (فأني أعذبه عذاباً لا أعذبه احداً من العالمين) قيل في معناه اقوال ✽ احدها ✽ انه أراد عالمي زمانه فجمد القوم فكفروا بعد نزولها فمسخروا قردة وخنازير عن قتادة وروي عن ابي الحسن موسى انهم مسخروا خنازير ✽ وثانيها ✽ انه أراد عذاب الاستئصال ✽ وثالثها ✽ انه أراد جنساً من العذاب لا يعذب به احداً غيرهم وإنما استحقوا هذا النوع من العذاب بعد نزول المائدة لأنهم

كفروا بعدما رأوا الآية التي هي من أجزر الآيات عن الكفر بعد سوء اللهم لها فاقتضت الحكمة اختصاصهم بفن من العذاب عظيم الموضع كما اختصت آيتهم بفن من الزجر عظيم الموضع

« القصة » -

اختلف العلماء في المائدة هل نزلت أم لا فقال الحسن ومجاهد انها لم تنزل وان القوم لما سمعوا الشرط استغفروا عن نزولها وقالوا لا نريدها ولا حاجة لنا فيها فلم تنزل والصحيح انها نزلت لقوله تعالى اني منزلها عليكم ولا يجوز أن يقع في خبره الخلف ولأن الأخبار قد استفاضت عن النبي (ص) والصحابة والتابعين انها نزلت قال كعب انها نزلت يوم الأحد ولذلك اتخذ النصراني عيدا واختلفوا في كيفية نزولها وما عليها فروى عن عمار بن ياسر عن النبي قال نزلت المائدة خبزاً ولحمها وذلك لأنهم سألوا عيسى «ع» طعاماً لا يتفد يأكلون منها قال فقبل لهم فإنها مقيمة لكم ما لم تحنونا وتخبأوا وترفعوا فإن فعلتم ذلك عذبتم قال فامضى يومهم حتى خبأوا ورفعوا وخانوا وقال ابن عباس ان عيسى بن مريم قال لبني اسرائيل صوموا ثلاثين يوماً ثم اسألوا الله ما شئتم يعطيكم فصاموا ثلاثين يوماً فلما فرغوا قالوا يا عيسى انالوا عملنا لخدمنا فمضى ما عملنا طعاماً واناصنا وجعلنا فادع الله أن ينزل علينا مائدة من السماء فأقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة أرغفة وسبعة احوات حتى وضعوها بين ايديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وروى عطاء بن السائب عن زاذان وميسرة قالا كانت إذا وضعت المائدة لبني اسرائيل اختلف عليهم الأيدي من السماء بكل طعام إلا اللحم وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أنزل على المائدة كل شيء إلا الخبز واللحم وقال عطاء بن السائب نزل عليها كل شيء إلا السمك واللحم وقال عطية العوفي نزل من السماء سمكة فيها طعم كل شيء وقال عمار وقتادة كان عليها ثمر من ثمار الجنة وقال قتادة كانت تنزل عليهم بكرة وعشياً حيث كانوا كل من والسوى لبني اسرائيل وقال يان بن رثاب كانوا يأكلون منها ما شاءوا وروى عطاء بن ابي رباح عن سلمان الفارسي انه قال والله ما تبع عيسى شيئاً من المساوى قط ولا انتهر يتيماً ولا قهقه ضحكاً ولا ذب ذباباً عن وجهه ولا أخذ عن انفه من شيء نتن قط ولا عبث قط ولما سأله الحواريون ان ينزل عليهم المائدة لبس صوفاً وبكى وقال اللهم ربنا انزل علينا مائدة الآية فنزلت سفرة حمراء بين غماتين وهم ينظرون اليها وهي تهوي منقضة حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلاً وعقوبة واليهود ينظرون اليها ينظرون إلى شيء لم يروا مثله قط ولم يجيدوا ريحاً طيب من ريحه فقام عيسى فتوضأ وصلى صلاة طويلة ثم كشف المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين فإذا هو سمكة مشوية ليس عليها فلوسها تسيل سيلاً من الدسم وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من انواع البقول ما عدا الكراث وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الآخرة فقال عيسى ليس شيء مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة ولكنه شيء افتعله الله بالقدرة الغالبة كلوا مما سأتم يمدكم ويزدكم من فضله فقال الحواريون يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية اليوم آية أخرى فقال عيسى يا سمكة احمي بأذن الله فاضطربت السمكة وعاد عليها فلوسها وشوكها ففرعوا منها فقال عيسى ما لكم تسألون اشياء إذا اعطيتهمها كرهتموها ما أخوفني عليكم أن تعذبوا يا سمكة عودي كما كنت بأذن الله فعادت السمكة مشوية كما كانت فقالوا يا روح الله كن اول من يأكل منها ثم تأكل نحن فقال عيسى معاذ الله أن آكل منها ولكن يأكل منها من سألها فغافروا أن يأكلوا منها فدعا لها عيسى أهل الفاقة والزمني والمرضى والمبتلين فقال كلوا منها جميعاً ولكم المهنا وغيركم البلاء فأكل منها الف وثلاثمائة رجل وامرأة من فقير ومريض ومبتلى وكلهم شعبان يتجشئ ثم نظر عيسى إلى السمكة فإذا هي كهيئتها حين نزلت من السماء ثم طارت المائدة صعداً وهم ينظرون اليها حتى توارت

عنهم فلم يأكل منها يومئذ زمن إلا صح ولا مريض إلا أبرى، ولا فقير إلا استغنى ولم يزل أغنيا حتى مات وندم الحواريون ومن لم يأكل منها وكانت إذا نزلت اجتمع الأغنيا، والفقراء، والصغار والكبار يتراحمون عليها فلما رأى ذلك عيسى جعلها نوبة بينهم فلبثت أربعين صباحا تنزل ضحى فلا تزال منصوبة يؤكل منها حتى فاء النبي طارت صعدا وهم ينظرون في ظلها حتى توارت عنهم وكانت تنزل غبا يوما ويوما لا فأوحى الله إلى عيسى اجعل ما نذيتي للفقراء دون الأغنيا، فعظم ذلك على الأغنيا، حتى شكروا وشكروا الناس فيها فأوحى الله إلى عيسى اني شرطت على المكذبين شرطا ان من كفر بعد نزولها أعذبه عذابا لا أعذبه احدا من العالمين فقال عيسى إن تعذبهم فلو أنهم عبادك وإن تغفر لهم فلو أنهم فاسخ منهم ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون رجلا باتوا من ليلهم على فرشهم مع نساءهم في ديارهم فأصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكناسات وياكلون العذرة في الحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا إلى عيسى وبكوا وبكى على المسوخين أهلهم فعاشوا ثلاثة ايام ثم هلكوا وفي تفسير أهل البيت (ع) كانت المائدة تنزل عليهم فيجتمعون عليها وياكلون منها ثم ترتفع فقال كبارهم ومتفوههم لا ندع سفلتنا ياكلون منها معنا فرفع الله المائدة بيغيهم ومسحوا قرده وخنازير

قوله تعالى (١١٦) وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ آأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ الْهَيْبِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٧) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٨) إِنْ تَعَذَّبْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
ثلاث آيات

※ اللغة ※

النفس تقع على وجوه فالنفس نفس الانسان وغيره من الحيوان وهي التي إذا فارقتها خرج من كونه حيا ومنه قوله كل نفس ذائقة الموت والنفس ايضا ذات الشيء الذي يجبر عنه كقولهم فعل ذلك فلان نفسه والنفس ايضا الإرادة كما في قول الشاعر

فنفساي نفس أقلت ائت ابن يجدل
ونفس تقول اجهد بخانك لا تكن
وقال النمر بن توبل

اما خليلي فاني لست معجمله
نفس له من نفوس القوم صالحة
حتى يؤامر نفسه كما زعمها
تمطي الجزيل ونفس ترضع الغنما

يريد انه بين نفسين نفس تأمره بالجدد واخرى تأمره بالبخل وكفى برضاع الغنم عن البخل كما يقال انهم راضع والنفس العين التي تصيب الانسان وروي ان رسول الله (ص) كان يرقى فيقول بسم الله ارقيك والله يشفيك من كل داء هو فيك من كل عين عاين ونفس نافر وحسد حاسد قال ابن الاعرابي النفوس الذي تصيب الناس

بالنفس وذكر رجلا فقال كان حسودا نفوسا كذوبا وقال ابن قيس الرقيات

يتقي اهلها النفوس عليها فعلى نحرها الرقى والتميم

وقال مضر

وإذا نموا صعدا فليس عليهم منا الخيال ولا نفوس الحسد

والنفس الغيب يقال اني لأعلم نفس فلان اي غيبه وعلى هذا تأويل الآية ويقال النفس ايضا العقوبة وعليه حمل بعضهم قوله تعالى ويحذركم الله نفسه والرقيب اصله من الترقب والانتظار ومعناه الانتظار ورقيب القوم حارسهم والشهيد الشاهد لما يكون ويجوز ان يكون بمعنى العليم

✽ الاعراب ✽

حقيقة إذ ان يكون لما مضى وهذا معطوف على ما قبله فكأنه قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم وذلك إذ يقول يا عيسى وقيل انه تعالى إنما قال له ذلك حين رفعه اليه فيكون القول ماضيا عن البلخي وهذا قول السدي والصحيح الاول لأن الله عقب هذه الآية بقوله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم و اراد به يوم القيامة وإنما خرج هذا مخرج الماضي وهو للمستقبل تحقيقا لوقوعه كقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ومثله قوله ولو ترى إذ فرعوا فلا فوت يريد اذ يفرعون وكذلك قوله ولو ترى إذ وقفوا على النار وقال ابو النجم

ثم جزاه الله عني إذ جرى جنات عدن في العلامي العلاء

من دون الله من زائدة مؤكدة للمعنى قوله إن كنت قلته للمعنى إن اكن الآن قلته فيما مضى وليس كان فيه على المعنى لأن الشرط والجزاء لا يقمان إلا فيما يستقبل وحرف الجزاء يغير معنى المضي إلى الاستقبال لامحالة هذا قول المحققين وقوله ان اعبد والله ذكر في مجله وجوه **الاحدا** **النصب** بدلا من مرتني به **والثاني** ان يكون مجرورا لموضع بدلا من الهاء في به **الثالث** ان يكون ان مفسرة لما امر به بمعنى اي وعلى هذا فلا موضع لها من الاعراب

✽ المعنى ✽

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من امر المسيح فقال (وإذ قال الله) والمعنى إذ يقول الله يوم القيامة لعيسى (يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وامي إلهين من دون الله) هذا وان خرج مخرج الاستفهام فهو تفرغ وتهديد لمن ادعى ذلك عليه من النصارى كما جرى في العرف بين الناس ان من ادعى على غيره قولا فيقال لذلك الغير بين يدي المدعى عليه ذلك القول أنت قلت هذا القول ليقول لا فيكون ذلك استعظاما لذلك القول وتكذيبا لقائله وذكر فيه وجه آخر وهو ان يكون تعالى اراد بهذا القول تعريف عيسى ان قوما قد اعتقدوا فيه وفي امه انها إلهان لأنه يمكن ان يكون عيسى لم يعرف ذلك إلا في تلك الحال عن البلخي والاول اصح وقد اعترض على قوله إلهين فقيل لا يعلم في النصارى من اتخذ مريم إلهها والجواب عنه من وجوه **الاحدا** انهم لما جعلوا المسيح إلهها لزمهم ان يجعلوا والدته ايضا إلهها لان الولد يكون من جنس الوالدة فهذا على طريق الازام لهم **والثاني** انهم لما عظموها تعظيم الالهة اطلق اسم الالهة عليهما كما اطلق اسم الرب على الرهبان والاحبار في قوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله لما عظموهم تعظيم الرب **الثالث** انه يمتثل ان يكون فيهم من قال بذلك ويعضد هذا القول ما حكاه الشيخ ابو جعفر عن بعض النصارى انه قد كان فيما مضى قوم يقال لهم المريمية يعتقدون في مريم أنها إله فعلى هذا يكون القول فيه كالتقول في الحكاية عن اليهود وقولهم عزيز ابن الله (قال) يعني عيسى (سبحانه) جل جلالك وعظمت وتعاليت عن عطا وقيل معناه تنزيها لك وبرائة ما لا يجوز عليك وقيل تنزيها لك من ان تبث رسولا يدعي إلهية لنفسه ويكفر بامتك

فجمع بين التوحيد والعدل ثم تبرأ من قول النصارى فقال (ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق) اي لا يجوز لي ان اقول ان نفسي ما لا يحق لي فأمر الناس بعبادتي وانا عبد مثلهم وإنما تحق العبادة لك لقدرتك على اصول النعم ثم استشهد الله تعالى على براءته من ذلك القول فقال (إن كنت قلتة فقد علمته) يريد اني لم اقله لأنني لو كنت قلتة لما خفي عليك لأنك علام الغيوب (تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك) اي تعلم غيبي وسري ولا اعلم غيبك وسرك عن ابن عباس وإنما ذكر النفس لمزاوجة الكلام والعادة جارئة بأن الإنسان يسر في نفسه فصار قوله ما في نفسي عبارة عن الاخفاء ثم قال ما في نفسك على جهة المقابلة وإلا فالله منزه عن ان يكون له نفس او قلب تحل فيه المعاني ويقوى هذا التأويل قوله تعالى (إنك انت علام الغيوب) لأنه علل علمه بما في نفس عيسى بأنه علام الغيوب وعيسى ليس كذلك فلذلك لم يعلم ما يختص الله بعلمه ثم قال حكاية عن عيسى في جواب ما قرره تعالى عليه (ما قلت لهم إلا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم) اي لم اقل للناس إلا ما امرتني به من الاقرار بالعبودية وانك ربي وربهم وإلهي وإلههم وامرتهم ان يعبدوك وحدك ولا يشركوا معك غيرك في العبادة (وكنت عليهم شهيدا) اي شاهدا (ما دمت) حيا (فيهم) بما شاهدته منهم وعلمته وبما ابلاغتهم من رسالتك التي حملتها وامتني بأدائها اليهم (فلما توفيتني) اي قبضتني اليك وامتني عن الجبائي وقيل معناه وفاة الرفع إلى السماء عن الحسن (كنت انت الرقيب) اي الحفيظ (عليهم) عن السدي وقناة (وانت على كل شيء شهيد) اي انت عالم بجميع الاشياء لا تخفى عليك خافية ولا يغيب عنك شيء قال الجبائي وفي هذه الآية دلالة على انه امات عيسى وتوفاه ثم رفعه اليه لانه بين انه كان شهيدا عليهم ما دام فيهم فلما توفاه الله كان هو الشهيد عليهم وهذا ضعيف لأن التوفي لا يستفاد من اطلاقه الموت الا ترى الى قوله الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيبين انه تعالى يتوفى الانفس التي لم تمت (إن تعذبهم فإنهم عبادك) لا يقدرون على دفع شيء من انفسهم (وان تغفر لهم فإنك انت العزيز الحكيم) في هذا تسليم الامر لملكه وتقويض إلى مديره وتبرؤ من ان يكون اليه شيء من امور قومه كما يقول الواحد منا إذا تبرأ من تدمير امر من الامور ويريد تفويضه إلى غيره هذا الامر لا مدخل لي فيه فإن شئت فافعله وإن شئت فاتركه مع علمه وقطعه على ان احد الامرين لا يكون منه وقيل ان المعنى ان تعذبهم فبإقامتهم على كفرهم وان تغفر لهم فبتوبة كانت منهم عن الحسن فكانه اشترط التوبة وان لم يكن الشرط ظاهرا في الكلام وإنما لم يقل فإنك انت الغفور الرحيم لأن الكلام لم يخرج مخرج السؤال ولو قال ذلك لأوهم الدعاء لهم بالمغفرة على ان قوله العزيز الحكيم ابلغ في المعنى وذلك ان المغفرة قد تكون حكمة وقد لا تكون والوصف بالعزيز الحكيم يشتمل على معنى الغفران والرحمة إذا كانا صوابين ويزيد عليهما باستيفاء معان كثيرة لأن العزيز هو المنيع القادر الذي لا يضام والقاهر الذي لا يرام وهذا المعنى لا يفهم من الغفور الرحيم والحكيم هو الذي يضع الأشياء مواضعها ولا يفعل إلا الحسن الجميل فالمغفرة والرحمة ان اقتضتهما الحكمة دخلتا فيه وزاد معنى هذا اللفظ عليهما من حيث اقتضى وضعه بالحكمة في سائر افعاله

قوله تعالى (١١٩) قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ
(١٢٠) اللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ آيَاتان

﴿ القراة ﴾

قرأ نافع وحده يوم ينفع بالنصب والباقون بالرفع

✽ الحجة ✽

قال ابو علي من رفع يوما جعله خبر المبتدأ الذي هو هذا و اضاف يوما إلى ينفع والجملة التي هي من المبتدأ والخبر في موضع نصب بأنه مفعول القول كما تقول قال زيد عمرو اخوك ومن قرأ هذا يوم ينفع لاحتل امرين ✽ احدهما ✽ ان يكون مفعول قال تقديره قال الله هذا القصص او هذا الكلام يوم ينفع الصادقين صدقهم فيوم ظرف للقول وهذا اشارة إلى ما تقدم ذكره من قوله إذ قال الله يا عيسى بن مريم وجاء على لفظ الماضي وإن كان المراد به الآتي كما قال ونادى اصحاب الجنة ونحو ذلك وليس ما بعد قال حكاية في هذا الوجه كما كان اياها في الوجه الآخر ويجوز ان يكون المعنى على الحكاية وتقديره قال الله هذا يوم ينفع اي هذا الذي اقتصدنا يقع او يحدث يوم ينفع وخبر المبتدأ الذي هو هذا الظرف لانه اشارة إلى حدث وظروف الزمان تكون اخبارا عن الاحداث والجملة في موضع نصب بأنها في موضع مفعول قال ولا يجوز ان تكون في موضع رفع وقد فتح لأن المضاف اليه معرب وإنما يكتسب البناء من المضاف اليه إذا كان المضاف اليه مبنيا والمضاف مبهما كما يكون ذلك في هذا الظرف من الاسماء اذا اضيف إلى ما كان مبنيا نحو ومن خزفي يومئذ ومن عذاب يومئذ وصار في المضاف البناء للاضافة إلى المبني كما صار فيه الاستفهام للاضافة إلى المستفهم به نحو غلام من انت وكما صار فيه الجزاء نحو غلام من تضرب اضرب وليس المضارع في هذا كالماضي في نحو قوله

على حين عاتبت المشيب على الصبا فقلت ألما أصح والشيب وازع

لأن الماضي مبني والمضارع معرب وإذا كان معربا لم يكن شي يحدث من اجله البناء في المضاف والاضافة إلى الفعل نفسه في الحقيقة لا إلى مصدره ولو كانت الإضافة إلى المصدر لم بين المضاف لبناء المضاف إليه

✽ المعنى ✽

لما بين عيسى بطلان ما عليه النصارى قال الله تعالى (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) يعني ما صدقوا فيه في دار التكليف لأن يوم القيامة لا تكليف فيه على احد ولا يجبر احد فيه إلا بالصدق ولا ينفع الكفار صدقهم في يوم القيامة إذا اقروا على انفسهم بسوء اعمالهم وقيل ان المراد بصدقهم تصديقهم لرسول الله تعالى وكتبه وقيل انه الصدق في الآخرة وانه ينفعهم لقيامهم فيه بحق الله فعلى هذا يكون المراد به صدقهم في الشهادة لانبيائهم بالبلاغ (لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدن فيها ابدًا) اي دائمين فيها في نعيم مقيم لا يزول (رضي الله عنهم) بما فعلوا (ورضوا عنه) بما اعطاهم من الجزاء والثواب (ذلك الفوز العظيم) هو ما يحصلون فيه من الثواب قال الحسن فازوا بالجنة ونجوا من النار ثم بين تعالى عظيم قدرته واتساع ملكته فقال (لله ملك السماوات والأرض وما فيهن) نزه تعالى نفسه عما قالت النصارى ان معه إلهًا فقال لله ملك السماوات والارض دون كل من سواه لقدرته عليه وحده وقيل ان هذا جواب لسؤال مضمرة في الكلام كأنه قيل من يعطيهم ذلك الفوز العظيم فقيل الذي له ملك السماوات والارض وجمع السماوات ووحده الارض تفخيما لشأن السماوات (وهو على كل شيء قدير) فهو يقدر على المعدومات بأن يوجد لها وعلى الموجودات بأن يعدمها وعلى كثير منها بأن يعيدها بعد الإفناء وعلى مقدورات غيره بأن يقدر عليها ويمنع منها وقيل معناه انه قادر على كل شيء يصح ان يكون مقدورا له كقوله خالق كل شيء عن ابي علي الجبائي

تم المجلد الثالث من مجمع البيان لعلوم القرآن ويتلوه المجلد الرابع بعون الله وتوفيقه

✽ تفسيرها ✽

لما ختم الله سورة المائدة بآية على كل شيء قدبر افتتح سورة الانعام بما يدل على كمال قدرته من خلق السموات والارض وغيره فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (٢) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ آيتان عراقية شامية وثلاث آيات حجازية

✽ اللمعة ✽

العدل خلاف الجور وعدلت به غيره أي سويته به وعدلت عنه أي اعرضت وعدلت الشيء فاعتدل أي قومه فاستقام والأجل الوقت المضروب لانقضاء الأمد فأجل الإنسان وقت انقضاء عمره واجل الدين محله وهو وقت انقضاء التأخير واصله التأخير يقال اجله تأجيلا وعجله تعجيلا والآجل تقبض العاجل والامتراؤ الشدة واصله من مرأت الناقة إذا مسحت ضرعها لاستخراج اللبن ومنه ماراه يماريه مرأه وبمارة إذا استخرج ما عنده بالمناظرة فالامتراؤ استخراج الشبهة المشككة من غير حل

✽ المعنى ✽

بدأ الله تعالى هذه السورة بالحمد لنفسه اعلاما بأنه المستحق لجميع المحامد لأن اصول النعم وفروعها منه تعالى ولأن له الصفات العلى فقال (الحمد لله الذي خلق السموات والارض) يعني اخترعها بما اشتملا عليه من عجائب الصنعة وبدائع الحكمة وقيل إنه في لفظ الخبر ومعناه الأمر أي احمدوا الله وإنما جاء على صيغة الخبر وإن كان فيه معنى الأمر لأنه ابلغ في البيان من حيث انه يجمع الأمرين وقد ذكرنا من معنى الحمد لله وتفسيره في الفاتحة ما فيه كفاية (وجعل الظلمات والنور) يعني الليل والنهار عن السدي وجماعة من المفسرين وقيل الجنة والنار عن قتادة وإنما قدم ذكر الظلمات لأنه خلق الظلمة قبل النور وكذلك خلق السموات قبل الارض ثم عجب سبحانه ممن جعل له شريكا مع ما يرى من الآيات الدالة على وحدانيته فقال (ثم الذين كفروا) أي جحدوا الحق (بربهم يعدلون) أي يسوون به غيره بأن جعلوا له اندادا مأخوذ من قولهم ما عدل بفلان احدا أي لانظير له عندى وقيل معنى يعدلون يشركون به غيره عن الحسن ومجاهد ودخول ثم في قوله ثم الذين كفروا دليل على معنى لطيف وهو أنه سبحانه انكر على الكفار العدل به وعجب المؤمنين من ذلك ومثله في المعنى قوله فيما بعد ثم انتم تمترون والوجه في التعجب ان هؤلاء الكفار مع اعترافهم بأن اصول النعم منه وأنه هو الخالق والرازق عبدوا غيره ونقضوا ما اعترفوا به وأيضا فإنهم عبدوا ما لا ينفع ولا يضر من الحجارة والموت (هو الذي خلقكم من طين) يعني به آدم والمعنى انشأ اباكم واخترع من طين وأنتم من ذريته فلما كان آدم أصلنا ونحن من نسله جاز أن يقول لنا خلقكم من طين (ثم قضى اجلا) أي كتب وقدر اجلا والقضاء يكون بمعنى الحكم وبمعنى الأمر وبمعنى الخلق وبمعنى الإتمام والإكمال (وأجل مسمى عنده) قيل فيه اقوال ✽ احدها ✽ انه يعني بالأجلين اجل الحياة إلى الموت واجل الموت إلى البعث وقيام الساعة عن الحسن وسعيد ابن المسيب وقادة والضحاك واختاره الزجاج وروى ايضا عطاء عن ابن عباس قال قضى اجلا من مولده إلى

مئاته وأجل مسمى عنده من المئات الى البعث لا يعلم ميقاته احد سواه فإذا كان الرجل صالحا واصل لرحمه زاد الله له في أجل الحياة ونقص من أجل المئات الى المبعث وإذا كان غير صالح ولا واصل نقضه الله من أجل الحياة وزاد في أجل المبعث قال وذلك قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب * وثانيها * انه الأجل الذي يجيا به اهل الدنيا إلى أن يموتوا وأجل مسمى عنده يعني الآخرة لأنه أجل دائم ممدود لا آخر له وإنما قال مسمى عنده لأنه مكتوب في اللوح المحفوظ في السماء وهو الموضع الذي لا يملك فيه الحكم على الخلق سواه عن الجبائي وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد * وثالثها * ان اجلا يعني به اجل من مضى من الخلق وأجل مسمى عنده يعني به آجال الباقيين عن ابي مسلم * ورابعها * ان قوله قضى اجلا عنى به النوم يقبض الروح فيه ثم يرجع إلى صاحبه عند اليقظة وأجل مسمى عنده هو اجل موت الانسان وهو المروي عن ابن عباس ويؤيده قوله وهرسل الاخرى إلى اجل مسمى والاصل في الأجل هو الوقت فأجل الحياة هو الوقت الذي يكون فيه الحياة وأجل الموت والقتل هو الوقت الذي يحدث فيه الموت او القتل وما يعلم الله تعالى ان المكلف يعيش اليه لو لم يقتل لا يسمى اجلا حقيقة ويجوز ان يسمى ذلك مجازا وما جاء في الأخبار من ان صلاة الرحم تزيد في العمر والصدقة تزيد في الأجل وان الله تعالى زاد في اجل قوم بونس وما اشبه ذلك فلا مانع من ذلك وقوله (ثم انتم تموتون) خطاب للكفار الذين شكوا في البعث والنشور واحتجاج عليهم بأنه سبحانه خلقهم ونقلهم من حال إلى حال وقضى عليهم الموت وهم يشاهدون ذلك ويقرون بأنه لا محيص منه ثم بعد هذا يشكون ويكذبون بالبعث ومن قدر على ابتداء الخلق فلا ينبغي ان يشك في انه يصح منه اعادتهم وبعثهم

قوله تعالى (٣) وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (آية)

* الأعراب *

هو الاشبه ان يكون ضمير القصة والحديث وتقديره الامر الله يعلم في السموات وفي الارض سركم وجهركم فالله مبتدأ ويعلم خبره وفي السموات وفي الارض في موضع النصب ويعلم سركم مفعوله ايضا ولا يكون الظرف الذي هو الجار والمجرور منصوب بالمصدر وان جعلنا الظرف متعلقا باسم الله جاز في قياس قول من قال ان اصل الله الآله فيكون المعنى هو المعبود في السموات وفي الارض يعلم وتقديره الامر المعبود في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم ومن جعل اسم الله بمنزلة اساء الاعلام فلا يجوز ان يتعلق الظرف به إلا ان يقدر فيه ضربا من معنى الفعل ويجوز ان يكون هو مبتدأ والله خبره والعامل في قوله في السموات وفي الأرض اسم الله على ما قلناه ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر

* المعنى *

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال (وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم) فيه وجوه على ما ذكرناه في الاعراب فلي التقدير الاول يكون معناه الله يعلم في السموات وفي الارض سركم وجهركم ويكون الخطاب لجميع الخلق لأن الخلق إما ان يكونوا ملائكة فهم في السماء او بشرا او جنا فهم في الارض فهو سبحانه عالم بجميع اسرارهم واحوالهم ومتصرفاتهم لا يخفى عليه منها شي ويقويه قوله ويعلم ما تكتبون اي يعلم جميع ما تعملونه من الخير والشر فيجازيكم على حسب اعمالكم وعلى التقدير الثاني

يكون معناه ان المعبود في السماوات وفي الأرض او المنفرد بالتدبير في السماوات وفي الأرض يعلم سر كم وجهر كم فلا تخفى عليه منكم خافية ويكون الخطاب لبني آدم وان جعلت اسم الله علماً على هذا التقدير ثم علق به قوله في السماوات او في الأرض لم يجوز وان علقته بمحذوف يكون خبر الله او حالاً عنه او هم بأن يكون الباري سبحانه في محل تعالى عن ذلك علواً كبيراً وقال ابو بكر السراج ان الله وان كان اسماً علماً ففيه معنى الثناء والتعظيم الذي يقرب بهما من الفعل فيجوز ان يوصل لذلك بالمحل وتأويله وهو المعظم او نحو ذا في السماوات وفي الأرض ثم قال يعلم سر كم وجهر كم ومثل ذلك قوله سبحانه وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله قال الزجاج فلو قلت هو زيد في البيت والدار لم يجوز إلا أن يكون في الكلام دليل على ان زيدا يدبر امر البيت والدار فيكون المعنى هو المدبر في البيت والدار ولو قلت هو المعتضد والخليقة في الشرق والغرب او قلت هو المعتضد في الشرق والغرب جاز وعلى مقتضى ما قاله ابو بكر والزجاج يكون في متعلقه بادل عليه اسم الله ويكون هو الله مبتدأ او خبراً والمعنى وهو المنفرد بالآلهية في السماوات وفي الأرض لا إله فيهما غيره ولا مدبر لهما سواه وان جعلت في السماوات خبراً بعد خبر فيكون التقدير وهو الله وهو في السماوات وفي الأرض يعني انه في كل مكان فلا يكون إلى مكان اقرب منه إلى مكان ثم اخبر سبحانه عن هذا المعنى مبيناً لذلك مؤكداً له بقوله يعلم سر كم وجهر كم اي الخفي المكتوم والظاهر المكشوف منكم (ويعلم ما تكسبون) والمعنى يعلم نياتكم وأحوالكم وأعمالكم وهذا الترتيب الذي ذكرته في معاني هذه الآية التي استنبطتها من وجوه الاعراب مما لم اسبق اليه وهو في استقامة فصوله ومطابقة اصول الدين كما تراه لا غبار عليه وفيه دلالة على فساد قول من يقول بأن الله تعالى في مكان دون مكان تعالى عن ذلك وتقدس وفي قوله يعلم سر كم وجهر كم دلالة على انه عالم لنفسه لأن من كان عالماً يعلم لا يصح ذلك منه

قوله تعالى (٤) وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٥) فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءٌ مِمَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ آيَاتان

✽ الاعراب ✽

من الأولى مزبدة وهي التي تقع في النفي لاستفراق الجنس وموضعه رفع والثانية للتبويض

✽ المعنى ✽

ثم اخبر سبحانه عن الكفار المذكورين في اول الآية فقال (وما تأتيهم من آية) أي لا تأتيهم حجة (من آيات ربهم) أي من حججه وبياناته كاشقاف القمر وآيات القرآن وغير ذلك من المعجزات (إلا كانوا عنها معرضين) لا يقبلونها ولا يستدلون بها على ما دلهم الله عليه من توحيده وصدق رسوله (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم) أي بالحق الذي اتاهم به محمد (ص) من القرآن وسائر امور الدين (فسوف يأتيهم انباء) أي اخبار (ما كانوا به يستهزئون) والمعنى اخبار استهزائهم وجزاؤهم وهو عقاب الآخرة وقيل معناه سيعلمون ما يؤول اليه استهزؤهم عن ابن عباس والحسن وبه قال الزجاج ومعنى الاستهزاء بهم التفخيم في معنى التحقير قوله تعالى (٦) أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّيِّئَاتِ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ

وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ آية

✽ اللغة ✽

القرن اهل كل عصر مأخوذ من اقرانهم في العصر قال الزجاج والقرن ثمانون سنة وقيل سبعون سنة قال والذي يقع عندي ان القرن اهل كل مدة كان فيها نبي او كان فيها طبقة من اهل العلم قادت السنون او كثرت والدليل عليه قول النبي (ص) خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم والتمكين اعطاء ما به يصح الفعل كأننا ما كان من آله وغيرها والاقدار اعطاء القدرة خاصة ومفعال من اسماء المبالغة يقال ديمة مدرار اذا كان مطرها غزيرا دارا وهذا كقولهم امرأة مذكار اذا كانت كثيرة الولادة للذكور وكذلك مثنات في الإناث واصل المدرار من در اللبن اذا اقبل على الحالب منه شيء كثير ودرت السماء اذا امطرت والدر اللبن ويقال لله دره اي عمله وفي الهم لا در دره اي لاكثر خبره

✽ الاعراب ✽

كم نصب باهلكنا لا بقوله يروا لأن الاستفهام له صدر الكلام فلا يعمل فيه ما قبله وهو تعليق ومعنى التعليق ان الاستفهام ابطل عمل يرى في اللفظ وقد عمل في معناه وانتقل من الخبر الى الخطاب في قوله مالم نمكن لكم اتساعا في الكلام وقد قال مكناهم في الأرض وانما لم يقل مالم نمكنكم لأن العرب تقول مكنته ومكنت له كما تقول نصحته ونصحت له

✽ المعنى ✽

ثم حذرهم سبحانه ما نزل بالأمم قبلهم فقال (لم يروا) أي ألم يعلم هؤلاء الكفار دكم اهلكنا من قبلهم من قرن) أي من أمة وكل طبقة مقترنين في وقت قرن (مكناهم في الأرض مالم نمكن لكم) معناه جعلناهم ملوكا وأغنياء كأنه سبحانه اخبر النبي عنهم في صدر الكلام ثم خاطبه معهم وقال ابن عباس يريد اعطيناهم مالم نعظكم والمعنى وسعنا عليهم في كثرة العبيد والاموال والولاية والبسطة وطول العمر ونفاذ الامر وانهم تسمعون اخبارهم وترون ديارهم وآثارهم (وأرسلنا السماء عليهم مدرارا) قال ابن عباس يريد به الغيث والبركة والساء معناه المطر هنا (وجعلنا الانهار) أي ماء الأنهار (تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم) ولم يفن ذلك عنهم شيئا لما طغوا واجترأوا علينا (وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) اي خلقنا من بعد هلاكهم جماعة اخرى وفي هذه الآية دلالة على وجوب التفكير والتدبير واحتجاج على منكري البعث بأن من اهلك من قبلهم وأنشأ قوما آخرين قادر على ان يفني العالم وينشئ عالما آخر ويعيد الخلق بعد الافناء

قوله تعالى (٧) وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ آية

✽ النزول ✽

نزلت في نصر بن الحرث وعبد الله بن ابي امية ونوفل بن خويلد قالوا يا محمد لن نؤمن بك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون عليه انه من عند الله وانك رسوله عن الكلي

✽ المعنى ✽

ثم اخبر سبحانه عن عنادهم فقال (ولو نزلنا عليك) يا محمد (كتابا في قرطاس) اي كتابا في صحيفة وأراد بالكتاب المصدر وبالقرطاس الصحيفة وقيل كتابا معلقا من السماء الى الأرض عن ابن عباس (فلمسوه بأيديهم) فعابوا ذلك معاينة ومسوه بأيديهم عن قتادة وغيره قالوا للمس بأيديهم في الاحساس من المعاينة ولذلك قال فلمسوه بأيديهم دون ان يقول فعابوه (لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين) اخبر سبحانه انهم يدفعون الدليل حتى لو أتاهم الدليل مدركا بالحس لنسبوا ذلك الى السحر لعظم عنادهم وقساوة قلوبهم وفي هذه الآية دلالة على ما يقوله اهل العدل في اللطف لانه تعالى يبين انه انما لم يفعل ما سأله حيث علم انهم لا يؤمنون عنده

قوله تعالى (٨) لَوْ لَأَنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ (٩) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ (١٠) وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ثلاث آيات

✽ اللغة ✽

قال الزجاج قضي في اللغة على ضروب كها يرجع الى معنى انقطاع الشيء وتامه وقد ذكرنا معاني القضاء في سورة البقرة عند قوله اذا قضى امرأ فانما يقول له كن فيكون يقال لبست الامر على القوم البسه لبسا اذا شبهته عليهم وجعلته مشكلا قال ابن السكيت يقال لبست عليه الامر اذا خلطته عليه حتى لا يعرف جهته ومعنى اللبس منع النفس من ادراك الشيء بما هو كالستر له واصله من الستر بالثوب وهو لبس الثوب لانه يستر النفس يقال لبست الثوب البسه لبسا ولبسا والحق ما يشتمل على الانسان من مكروه فعله يقال حاق بهم يحيق حيقا وحيوقا وحيقانا بفتح الياء

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار انهم قالوا (لولا) اي هلا (انزل عليه) اي على محمد (ملك) نشاهده فنصدقه ثم اخبر تعالى عن عظم عنادهم فقال (ولو انزلنا ملكا) على ما اقترحوه لما آمنوا به واقتضت الحكمة استئصالهم وان لا ينظروهم ولا يمهلمهم وذلك معنى قوله (لقضي الامر ثم لا ينظرون) اي لا هلكوا بمذاب الاستئصال عن الحسن وقتادة والسدي وقيل معناه لو انزلنا ملكا في صورته لقامت الساعة أووجب استئصالهم عن مجاهد ثم قال تعالى (ولو جعلناه ملكا) أي لو جعلنا الرسول ملكا أو الذي ينزل عليه ايشهد بالرسالة كما يطلبون ذلك (جعلناه رجلا) لأنهم لا يستطيعون أن يروا الملك في صورته لأن اعين الخلق تحار عن رؤية الملائكة الا بعد التجسم بالاجسام الكشيفة ولذلك كانت الملائكة تأتي الانبياء في صورة الانس وكان جبرائيل يأتي النبي (ص) في صورة دحية الكلبي وكذلك نبا الخصم اذ تسوروا المحراب وإتيانهم ابراهيم ولوطا في صورة الضيفان من الآدميين (وللبسنا عليهم ما يلبسون) قال الزجاج كانوا هم يلبسون على ضمة فتمهم في أمر النبي فيقولون إنما هذا بشر مثلكم فقال لو انزلنا ملكا فراوواهم الملك رجلا لكان يلحقهم فيه من اللبس مثل ما لحق ضعفتهم منهم اي فانما طلبوا حال لبس لا حال بيان وهذا احتجاج عليهم بأن الذي طلبوه

لا يزيدهم بيانا بل يكون الأمر في ذلك على ما هم عليه من الحيرة وقيل معناه ولو انزلنا ملكا لما عرفوه الا بالتفكر وهم لا يتفكرون فيبتقون في اللبس الذي كانوا فيه فاضاف اللبس الى نفسه لانه يقع عند انزاله الملائكة ثم قال سبحانه على سبيل التسلية لنبيه من تكذيب المشركين اياه واستهزائهم به (ولقد استهزى برسول من قبلك) يقول لقد استهزأت الأمم الماضية برسولها كما استهزأ بك قومك فلست بأول رسول استهزى به ولا هم اول امة استهزأت برسولها (فحاق بالذين سخروا منهم) اي فحل بالساحرين منهم (ما كانوا به يستهزئون) من وعيد انبيائهم بعاجل العقاب في الدنيا وقيل معنى حاق بهم احاط بهم عن الضحاك وهو اختيار الزجاج اي احاط بهم العذاب الذي هو جزاء استهزائهم فهو من باب حذف المضاف اذا جمعت ما في قوله ما كانوا به يستهزئون عبارة عن القرآن والشريعة وان جمعت ما عبارة عن العذاب الذي كان يوعدهم به النبي ان لم يؤمنوا استغثت عن تقدير حذف المضاف ويكون المعنى فحاق بهم العذاب الذي كانوا يسخرون من وقوعه

قوله تعالى (١١) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ

(١٢) قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٣) وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (ثلاث آيات)

الاعراب

قال الأخفش الذين خسروا انفسهم بدل من الكاف والميم في ليجمعنكم وقال الزجاج هو في موضع رفع على الابتداء وخبره فهم لا يؤمنون لأن ليجمعنكم مشتمل على سائر الخلق الذين خسروا انفسهم وغيرهم قال واللام في ليجمعنكم لام قسم فجائز أن يكون تمام الكلام كتب ربكم على نفسه الرحمة ثم استأنف فقال ليجمعنكم والمعنى والله ليجمعنكم وجائز أن يكون ليجمعنكم بدلا من الرحمة مفسراً لها لانه لما قال كتب ربكم على نفسه الرحمة فسر رحمته بأنه يهملهم الى يوم القيامة ليتوبوا

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه (ص) فقال (قل) يا محمد هوؤلاء الكفار (سيروا في الارض) أي سافروا فيها (ثم انظروا) والنظر طلب الادراك بالبصر وبالفكر وبالاستدلال ومعناه هنا فانظروا بابصاركم وتفكروا بقلوبكم (كيف كان عاقبة المكذبين) المستهزئين وانما امرهم بذلك لأن ديار المكذبين من الأمم السالفة كانت باقية واخبارهم في الخسف والهلاك كانت شائعة فإذا سار هوؤلاء في الارض وسمعوا اخبارهم وعابنوا آثارهم دعاهم ذلك الى الإيمان وزجرهم عن الكفر والطغيان ثم قال قل يا محمد هوؤلاء الكفار (لمن ما في السماوات والأرض) الله الذي خلقها ام الاصنام فإن اجابوك فقالوا لله والا (فقل) انت (الله) اي ملكهما وخلقهما والتصرف فيهما كيف يشاء له (كتب على نفسه الرحمة) اي اوجب على نفسه الانعام على خلقه وقيل معناه اوجب على نفسه الثواب لمن اطاعه وقيل اوجب على نفسه الرحمة بانظاره عباده واماله اياهم ليتداركوا ما فرطوا فيه ويتوبوا عن معاصيهم وقيل اوجب على نفسه الرحمة لامة محمد بأن لا يعذبهم عند التكذيب كما عذب من قبلهم من الأمم الماضية والقرون الخالية عند التكذيب بل يؤخرهم الى يوم القيامة

عن الكلبي (ليجمعنكم الى يوم القيامة) اي ليؤخرن جمعكم الى يوم القيامة فيكون تفسيراً للرحمة على ما ذكرناه ان المراد به امهال العاصي ليتوب وقيل ان هذا احتجاج على من انكر البعث والنشور ويقول ليجمعنكم الى اليوم الذي انكركموه كما تقول جمعت هؤلاء الى هؤلاء اي ضمنت بينهم في الجمع يريد بجمع آخركم الى اولكم قرنا بعد قرن (الى يوم القيامة) وهو الذي (لا ريب فيه) وقيل معناه ليجمعن هؤلاء المشركين (الذين خسروا انفسهم) الى هذا اليوم الذي يحدونه ويكفرون به عن الاخفش ويسأل عن هذا فيقال كيف يحذر المشركين بالبعث وهم لا يصدقون به والجواب انه جار مجرى الالزام وايضا فإنه تعالى انما ذكر ذلك عقيب الدليل ويقال كيف نفى الرب مطلقا فقال لا ريب فيه والكافر مراتب فيه والجواب ان الحق حق وان ارتاب فيه المبطل وايضا فإن الدلائل تزيل الشك والريب فإن نعم الدنيا نعم المحسن والمسي فلا بد من دار يتميز فيه المحسن من المسي وايضا فقد صح ان التكليف تعرض للثواب واذا لم يمكن اقبال الثواب في الدنيا لأن من شأنه ان يكون صافيا من الشوائب فلا يكون مقترنا بالتكليف لأن التكليف لا يعرى من المشقة فلا بد من دار اخرى وايضا فإن التمكين من الظلم من غير انتصاف في العاجل وانزال الامراض من غير استحقاق ولا ابقاء عوض في العاجل توجب قضية العقل في ذلك ان يكون دار اخرى توفى فيها الاعراض ويتصف من المظلوم للظالم (الذين خسروا انفسهم) اي اهلكوها بارتكاب الكفر والعدا (فهم لا يؤمنون) اي لا يصدقون بالحق ولما ذكر تعالى ملك السموات والارض عقبه بذكر ما فيهما فقال (وله ما سكن) اي وله كل متمكن ساكن (في الليل والنهار) خلقا وملكا وملكا وانما ذكر الليل والنهار هنا و ذكر السموات والارض فيما قبل لأن الاول يجمع المكان والثاني يجمع الزمان وهما ظرفان لكل موجود فكأنه اراد الاجسام والاعراض وعلى هذا فلا يكون السكون في الآتية ما هو خلاف الحركة بل المراد به الحلول كما قال ابن الاعرابي انه من قولهم فلان يسكن بلد كذا اي يحله وهذا موافق لقول ابن عباس وله ما استقر في الليل والنهار من خلق وقيل معناه ما سكن في الليل للاستراحة وتحرك في النهار للمعيشة وانما ذكر الساكن دون المتحرك لأنه اعم واكثر ولأن عاقبة التحرك السكون ولأن النعمة في السكون اكثر والراحة فيه اعم وقيل اراد الساكن والمتحرك وتقديره وله ما سكن وتحرك الا ان العرب قد تذكر احد وجهي الشيء وتحذف الآخر لأن المذكور ينبه على المحذوف كقوله تعالى سراويل تقيكم الحر والبرد متى قيل لماذا ذكر السكون والحركة من بين سائر المخلوقات فالجواب لما في ذلك من التنبيه على حدوث العالم واثبات الصانع لأن كل جسم لا ينفك من الحوادث التي هي الحركة والسكون فإذا لا بد من محرك ومسكن لاستواء الوجهين في الجواز ولما نبه على اثبات الصانع عقبه بذكر صفته فقال (وهو السميع العليم) والسميع هو الذي على صفة يصح لاجلها ان يسمع المسموعات اذا وجدت وهو كونه حيا لا آفة به ولذلك يوصف به فيما لم يزل والعليم هو العالم بوجوه التدابير في خلقه وبكل ما يصح ان يعلم وانما جعل الليل والنهار في هذه الآية كالمسكن لما اشتملا عليه لأنه ليس يخرج منهما شي فجمع كل الاشياء بهذا اللفظ القليل الحروف وهذا من افصح ما يمكن كما قال النابغة

وإن خلت ان المنتأى عنك واسع

فإنك كالليل الذي هو مدركي

فجعل الليل مدر كاله اذ كان مشتملا عليه

قوله تعالى (١٤) قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمَشْرِكِينَ (١٥) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (آيتان)

✽ القراءة ✽

روي في الشواذ قراءة عكرمة والاعمش ولا يطعمم بفتح الياء ومعناه ولا يأكل

✽ اللفظة ✽

الفترة ابتداء الخلق قال ابن عباس ما كنت ادري معنى الفاطر حتى احتكم إلي اعرابيان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأت حفرها واصل الفطر الشق ومنه اذا الساء انفطرت اي انشقت قال الزجاج فان قال قائل كيف يكون الفطر في معنى الخلق والانفطار في معنى الانشقاق قيل انها يرجعان الى شي واحد لان معنى فطرهما خلقها خلقاً قاطماً

✽ الاعراب ✽

غير نصب لانه مفعول اتخذ ولياً مفعول ثان وقوله ان عصيت ربي فيه وجهان احدهما انه اعتراض بين الكلام كما يكون الاعتراض بالاقسام فلي هذا لا موضع له من الاعراب والاخر انه في موضع نصب على الحال فكأنه قيل اني اخاف عاصيا ربي عذاب يوم عظيم ويكون جواب الشرط محذوفاً على الوجهين جميعاً

✽ الترتول ✽

قيل ان اهل مكة قالوا الرسول الله يا محمد تركت ملة قومك وقد علمنا انه لا يملك على ذلك الا الفقير فانا نجتمع لك من اموالنا حتى تكون من اغنانا فنزلت الآية

✽ المعنى ✽

(قل) يا محمد هو لولا المشركين الذين سبق ذكرهم (اغير الله اتخذ ولياً) اي مالكا ومولى وولي الشئ مالكة الذي هو اولى به من غيره والمعنى لا اتخذ غير الله ولياً الا ان اخراجه على لفظ الاستفهام المبلغ من سائر الفاظ النفي (فاطر السموات والارض) اي خالقها ومنشئها من غير اجتهاد على مثال (وهو يطعم ولا يطعم) اي يرزق ولا يرزق والمراد يرزق الخلق ولا يرزقه أحد وقيل انما ذكر الاطعام لان حاجة العباد اليه اشد ولان نفيه عن الله ادل على نفي شبهه بالمخلوقين لان الحاجة الى الطعام لا تجوز الا على الاجسام واحتج سبحانه بهذا على الكفار لان من خالق السموات والارض وانشأ ما فيهما واحكم تديرهما واطعم من فيهما وهم فقراء اليه معلوم انه الذي ليس كمثل شئ وهو القادر القاهر الغني الحي فلا يجوز لمن عرف ذلك ان يعبد غيره (قل) يا محمد (اني امرت) اي امرني ربي (ان اكون اول من اسلم) اي اسلم لان امر الله ورضي بحكمه وقبل معناه امرت ان اكون اول من اخلص العبادة من اهل هذا الزمان عن الكلابي وقيل اول من اسلم من امتي وآمن بعد الفترة عن الحسن وانما كان اولاً لانه خص بالوحي وقيل معناه ان اكون اول من خضع وآمن وعرف الحق من قومي وان اترك ما هم عليه من الشرك ونظيره قول موسى سبحانه تبت اليك وانا اول المؤمنين اي بانك لا ترى ممن سألت ان تربيه نفسك وقول السحرة انا نطعم

ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين بأن هذا ليس بسحر وانه الحق اي اول المؤمنين من السحرة (ولا تكونن من المشركين) المعنى امرت بالامرين جميعا اي امرت بالامان ونهيت عن الشرك وتقديره وقيل لي لا تكونن من المشركين وصار امرت بدلا من ذلك لانه حين قال امرت اخبر انه قيل له ذلك فقوله ولا تكونن معطوف على ما قبله في المعنى (قل) يا محمد (اني اخاف) قيل معناه اوقن واعلم وقيل هو من الخوف (ان عصيت ربي) بترك امره وترك نهيه وقيل بعبادة غيره وقيل باتخاذ غيره وليا (عذاب يوم عظيم) يعني يوم القيامة ومعنى العظيم هنا انه شديد على العباد وعظيم في قلوبهم

قوله تعالى (١٦) من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب وابو بكر عن عاصم من يصرف بفتح الياء وكسر الراء الباقون يصرف بضم الياء وفتح الراء

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي فاعل يصرف الضمير العائد الى ربي وينبغي ان يكون حذف الضمير العائد الى العذاب والمعنى من يصرفه عنه وكذلك في قراءة ابي فيما زعموا وليس حذف هذا الضمير بالسهل وليس بمنزلة الضمير الذي يحذف من الصلة لأن من جزاء ولا يكون صلة على ان الضمير إنما يحذف من الصلة اذا عاد الى الموصول نحو هذا الذي بعث الله رسولا وسلام على عباده الذين اصطفى اي بعثهم واصطفاهم ولا يعود الضمير المحذوف هنا الى موصول ولا الى من التي للجزاء وإنما يرجع الى العذاب في قوله عذاب يوم عظيم وليس هذا بمنزلة قوله والحافظين فروجهم والحافظات لأن هذا فعل واحد قد تكرر وعدي الأول منها الى المفعول فعلم بتعدية الأول ان الثاني بمنزلة وأما قراءة من قرأ يصرف فالمسند اليه الفعل المبني للمفعول ضمير العذاب المتقدم ذكره والذكر العائد الى المتبدا الذي هو من في القراءة تين جميعا الضمير الذي في عنه ومما يقوي قراءة من قرأ يصرف بفتح الياء ان ما بعده من قوله فقد رحمه مسند الى ضمير اسم الله تعالى فقد اتفق الفعلان في الإسناد الى هذا الضمير ومما يقوي ذلك ايضا ان الهاء المحذوفة من يصرفه لما كانت في حيز الجزاء وكان ما في حيزه في أنه لا يتسلط على ما تقدمه بمنزلة ما في الصلة في أنه لا يجوز ان يتسلط على الموصول حسن حذف الهاء منه كما حسن حذفها من الصلة

﴿ المعنى ﴾

(من يصرف) العذاب (عنه يومئذ فقد رحمه) الله يريد من غفر له فإنه يشبهه الله لا محالة وذكر سبحانه الرحمة مع صرف العذاب لثلاث يتوهم انه ليس له الا صرف العذاب عنه فقط (وذلك الفوز) اي الظفر بالبغية (المبين) الظاهر المبين ويحتمل ان يكون معنى الآية انه لا يصرف العذاب عن أحد الا برحمة الله كما روي ان النبي (ص) قال والذي نفسي بيده ما من الناس أحد يدخل الجنة بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل ووضع يده على فوق رأسه وطول بها صوته رواه الحسن في تفسيره قوله تعالى (١٧) وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٨) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ آياتان

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه انه لا يملك النفع والضر الا هو فقال (وان يمسسك الله بضر) اي ان يمسسك بققر او مرض او مكروه (فلا كاشف له الا هو) اي لا مزيل ولا مفرج له عنك الا هو ولا يملك كشفه سواء ما يعصده المشركون (وان يمسسك بخير) اي وان يصيبك بغنى او سعة في الرزق او صحة في البدن او شيء من محاب الدنيا (فهو على كل شيء) من الخير والضر (قدير) ولا يقدر احد على دفع ما يريد له لباده من مكروه او محبوب فان قيل ان المس من صفات الاجسام فكيف قال ان يمسسك الله قلنا الباء للتعدي والمراد ان امسك الله ضراً أياً جعل الضر يمسسك فالفعل للضر وان كان في الظاهر قد اسند الى اسم الله تعالى والضر اسم جامع لكل ما يتضرر به من المكروه كما ان الخير اسم جامع لكل ما ينتفع به (وهو القاهر) ومعناه القادر على ان يقهر غيره (فوق عباده) معنى فوق ههنا قهره واستعلاؤه عليهم فهم تحت تسخيره وتذليله بما علاهم به من الاقتدار الذي لا ينفك منه احد ومثله قوله تعالى يد الله فوق ايديهم يريد انه اقوى منهم (وهو الحكيم الخبير) معناه انه مع قدرته عليهم لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة والخبير العالم بالشيء وتأويله انه العالم بما يصح ان يخبر به والخبر علمك بالشيء تقول لي به خبر اي علم واصله من الخبر لانه طريق من طرق العلم فاذا كان القاهر على ما ذكرناه بمعنى القادر صح وصفه سبحانه فيعالم بزل بأنه قاهر وقال بعضهم لا يسمى قاهراً الا بعد ان يقهر غيره فعلى هذا يكون من صفات الافعال فلا يصح وصفه فيعالم بزل به

قوله تعالى (١٩) قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَن بَلَغَ أَنتِكُمْ لِتَشْهَدُوا أَن مَعَ اللَّهِ آلِهَةٌ أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٢٠) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ آيَاتان

— الاعراب —

شهادة نصب على التمييز ومن بلغ في محل نصب بالانذار والمائدة الى الموصول محذوف وانتم كتب بالياء لان الهمزة التي قبلها همزة تخفيف بان تجعل بين بين فاذا كانت مكسورة تجعل بين الهمزة والياء فكتب بالياء الذين آتيناهم الكتاب رفع بالابتداء ويعرفونه خبره الذين خسروا انفسهم رفع بكونه نعتا للذين الاولى ويجوز ان يكون رفعاً بالابتداء وقوله فهم لا يؤمنون خبره

✽ النزول ✽

قال الكلبي اتى اهل مكة رسول الله (ص) فقالوا اما وجد الله رسولا غيرك ما نرى احدا يصدقك فيما تقول ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا انه ليس لك عندهم ذكر فأرانا من يشهد انك رسول الله كما تزعم فانزل الله تعالى هذه الآية

✽ المعنى ✽

(قل) يا محمد لهؤلاء الكفار (اي شيء أكبر) اي اعظم (شهادة) واصدق حتى آتيتكم به وادلكم بذلك على اني صادق وقيل معناه اي شيء أكبر شهادة حتى يشهد لي بالبلاغ وعليكم بالتكذيب عن الجبائي وقيل

معناه اي شي اعظم حجة واصدق شهادة عن ابن عباس فإن قالوا الله والاقل لهم (الله شهيد بيني وبينكم) يشهد لي بالرسالة والنبوة وقيل معناه يشهد لي بتبليغ الرسالة اليكم وتكذيبكم اياي (وأوحى الي هذا القرآن) اي انزل إلي حجة او شهادة على صدقي (لانذركم به) اي لا خوفكم به من عذاب الله تعالى (ومن بلغ) اي ولا خوف به من بلغه القرآن الى يوم القيامة وروى الحسن في تفسيره عن النبي (ص) انه قال من بلغه أني ادعو الى ان لا إله الا الله فقد بلغه يعني بلغته الحجة وقامت عليه وقال محمد بن كعب من بلغه القرآن فكأنما رأى محمداً وسمع منه وقال مجاهد حيث ما يأتي القرآن فهو داعٍ ونذير وقرأ هذه الآية وفي تفسير العياشي قال ابو جعفر وابو عبد الله (ع) من بلغ معناه من بلغ ان يكون اماماً من آل محمد فهو ينذر بالقرآن كما انذر به رسول الله (ص) وعلى هذا فيكون قوله ومن بلغ في موضع رفع عطفاً على الضمير في أنذرو في الآية دلالة على ان الله تعالى يجوز ان يسمى شيئاً لأن قوله قل أي شي أكبر شهادة جاء جوابه قل الله ومعنى الشيء إنه ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فالله سبحانه شي لا كالأشياء بمعنى انه معلوم لا كالمعلومات التي هي الجواهر والأعراض والاشتراك في الأسماء لا يوجب التماثل وفي قوله ومن بلغ دلالة على انه خاتم الأنبياء ومبعوث الى الناس كافة ثم قال سبحانه مؤمناً لهم قل يا محمد لهم (أنتم لتشهدون ان مع الله آلهة أخرى) هذا استفهام معناه الجحد والإنكار وتقديره كيف تشهدون ان مع الله آلهة أخرى بعد وضوح الأدلة وقيام الحجة بوحدانية الله تعالى وإنما قال أخرى ولم يقل أخرى لأن الآلهة جمع والجمع مؤنث فهو كقوله والله الأسماء الحسنی وقوله فما بال القرون الأولى ولم يقل الأولى ثم قال سبحانه لنبية (قل) انت يا محمد (لا أشهد) بمثل ذلك وان شهدتم بإثبات الشريك لله بعد قيام الحجة بوحدانية الله تعالى والشاهد هو المبين للدعوى المدعى ثم قال (قل) يا محمد لمن شهد ان معه آلهة أخرى (إنما هو إله واحد وأنني بري مما تشركون) به وعبادته من الأوثان وغيرها ولهذا قال أهل العلم يستحب لمن أسلم ابتداءً ان يأتي بالشهادتين ويتبرأ من كل دين سوى الإسلام ثم ذكر سبحانه ان الكفار بين جاهل ومعااند فقال (الذين آتيناكم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) وهذا مفسر في سورة البقرة (الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون) مفسر في هذه السورة فإن حملته على أنه صفة للذين الأولى فالمعني به أهل الكتاب وان حملته على الابتداء فإنه يتناول جميع الكفار وقال ابو حمزة الثمالي لما قدم النبي (ص) المدينة قال عمر لعبد الله ابن سلام ان الله تعالى أنزل على نبيه (ص) ان أهل الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم كيف هذه المعرفة قال عبد الله بن سلام نعرف نبي الله بالنعمة الذي نعمة الله إذا رأينا فيكم كما يعرف أحدنا ابنه اذا رآه بين الغلمان وايم الله الذي يحلف به ابن سلام لأننا بمحمد أشد معرفة مني بابني فقال له كيف قال عبد الله عرفه بما نعمة الله لنا في كتابنا فاشهد انه هو فأما ابني فأني لا ادري ما أحدثت أمه فقال قد وفتت وصدقت وأصبحت

قوله تعالى (٢١) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ

الظَّالِمُونَ (٢٢) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاءُكُمْ الَّذِينَ

كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ آيات

✽ القراءة ✽

ويوم نحشرم ثم يقول بالياء فيها قراءة يعقوب وحده وكذلك في الفرقان وفي سبأ وقرى في سائر القرآن بالنون وقرأ حفص هنا وفي يونس بالنون وفي سائر القرآن بالياء وقرأ ابو جعفر وابن كثير في الفرقان بالياء وفي سائر القرآن بالنون وقرأ الباقر بالنون في جميع القرآن

✽ الحجية ✽

من قرأ بالياء رده الى الله في قوله على الله كذباً ومن قرأ بالنون ابتداء والياء في المعنى كالنون

✽ الاعراب ✽

يوم نحشرم العامل فيه محذوف على معنى واذا كر يوم نحشرم وقيل إنه معطوف على محذوف كأنه قيل لا يفلح الظالمون أبداً ويوم نحشرم والمائد الى الموصول محذوف من الذين كنتم تزعمون وتقديره تزعمون انهم شركاء او تزعمونهم شركاء فحذف مفعولي الزعم دلالة الكلام وحالة السؤال عليه

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه ما يلزمهم من التوبيخ والتهجين بالإشراك فقال (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً) معناه ومن أكره من اخلق على الله كذباً فأشرك به الآلهة عن ابن عباس وهذا استفهام معناه الجحد أي لأحد أظلم منه لأن جوابه كذلك فاكتفى من الجواب بما يدل عليه او كذب بآياته أي بالقرآن وبمحمد ومعجزاته (انه لا يفلح الظالمون) أي لا يفوز برحمة الله وثوابه ورضوانه ولا بالنجاة من النار الظالمون والظالم ههنا هو الكافر بنبوته محمد (ص) المكذب بآياته الجاحد لها بقوله ما نصب الله آية على نبوته (ويوم نحشرمهم جميعاً) عنى بهم من تقدم ذكرهم من الكفار لأنه سبحانه يحشرمهم يوم القيامة من قبورهم الى موضع الحساب (ثم تقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون) اختلف في وجه هذا السؤال فقيل ان المشركين اذا رأوا تجاوز الله تعالى عن أهل التوحيد قال بعضهم لبعض اذا سئلتهم فقولوا انا موحدون فلما جمعهم الله قال لهم أين شركاؤكم ليعلموا ان الله يعرف انهم أشركوا به في دار الدنيا وانه لا ينفعهم الكتمان عن مقاتل وقيل ان المشركين كانوا يزعمون أن آلهتهم تشفع لهم عند الله فقيل لهم يوم القيامة أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون انها تشفع لكم توبيخاً لهم وتبكييتاً على ما كانوا يدعون عن أكثر المفسرين وإنما أضاف الشركاء اليهم لأنهم اتخذوها لأنفسهم ومعنى تزعمون تكذيبون قال ابن عباس وكل زعم في كتاب الله كذب وفي هذه الآية دلالة واضحة على بطلان مذهب الجبر وعلى اثبات المعاد وحشر جميع الخلق

قوله تعالى (٢٣) ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (٢٤) انظر

كَيْفَ كَذَّبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ آيتان

✽ القراءة ✽

قرأ أهل المدينة وابو عمرو وابو بكر عن عاصم وخلف ثم لم تكن بالتاء فتنتهم بالنصب وقرأ ابن كثير وابن عاصم وابن عامر وحفص ثم لم تكن بالتاء ايضاً فتنتهم بالرفع وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب ثم لم يكن بالياء فتنتهم بالنصب وقرأ حمزة والكسائي وخلف والله ربنا بالنصب وقرأ الباقر بالجر

✽ الحجية ✽

من قرأ تكن بالتاء فتنتهم بالنصب فإنه أنث ان قالوا لما كان القول الفتنة في المعنى كما قال فله عشر أمثاله

فأنت الامثال لما كانت في المعنى الحسنات وما جاء في الشعر قول لبيد

فمضى وقدمها وكانت عادة منه اذا هي عودت اقدامها

فأنت الاقدام لما كانت العادة في المعنى قال الزجاج ويجوز ان يكون تاويل إلا ان قالوا الا مقاتلهم ومن قرأ لم تكن بالتاء فتنهم رفعا ثبت علامة التانيث في الفعل المسند الى الفتنة والفتنة مؤنثة وعلى هذه القراءة يكون قوله إلا ان قالوا في موضع نصب بكونه خبر كان ومن قرأ لم يكن بالياء فتنهم نصبا فعلى ان قوله ان قالوا اسم كان والاولى والاقوى ان يكون فتنهم نصبا وان قالوا الاسم لأن ان اذا وصلت لم توصف فاشبهت بامتناع وصفها المضر فكما ان المضر اذا كان مع المظهر كان ان يكون المضر الاسم احسن فكذلك ان اذا كانت مع اسم غيرها كانت ان يكون الاسم اولى واما من قرأ والله ربنا فانه جعل الاسم المضاف وصفا للمفرد ومثل ذلك رأيت زيدا صاحبنا وقوله ما كنا مشركين جواب للقسم ومن قرأ ربنا بالنصب فصل بالاسم المنادى بين القسم والمقسم عليه والفصل به لا يمتنع وقد فصل بالنداء بين الصلة والموصول لكثرة النداء في الكلام وذلك مثل قول الشاعر

ذاك الذي وابيك يعرف مالك والحق يدفع ترهات الباطل

ويجوز ان يكون نصبه على المدح بمعنى اعني ربنا واذا كر ربنا

✽ اللغة ✽

قال الازهري جماع الفتنة في كلام العرب الامتحان مأخوذ من قولك فتنك فتنك الذهب والفضة اذا ذبتهما بانثار واحرقتهما وقد فتن الرجل بالمرأة وافتتن وقد فتنته المرأة وافتنته قال الشاعر

لئن فتنني لهي بالأمس أفتنت عقيلاً فامسى قد فلا كل مسلم

✽ الاعراب ✽

العامل في كيف قوله كذبوا ولا يجوز ان يعمل فيه انظر لأن الاستفهام له صدر الكلام فلا يجوز ان يعمل فيه ما قبله

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه جواب القوم عند توجه التوبيخ اليهم فقال (ثم لم تكن فتنهم) اختلف في معنى الفتنة هنا على وجوه اعددها ان معناها ثم لم يكن جوابهم لانهم حين سئلوا اختبر ما عندهم بالسؤال فلم يكن الجواب عن ذلك الاختبار الا هذا القول وثانيها ان المراد لم يكن معذرتهم (الا ان قالوا) عن ابن عباس وقتادة وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) وهذا راجع الى معنى الجواب (ايضا) وثالثها ما قاله الزجاج ان تأويله حسن لطيف لا يعرفه الا من عرف معاني الكلام وتصرف العرب في ذلك والله عز وجل ذكر في هذه الاقاصيص التي جرت من امر المشركين وانهم مقتنون بشركهم ثم اعلم انه لم يكن اقتنائهم بشركهم واقامتهم عليه الا ان تبرأوا منه وانتفوا منه فحلفوا انهم ما كانوا مشركين ومثل ذلك في اللغة ان ترى انسانا يهب غاوريا فلماذا وقع في هلكة تبرأ منه فتقول له ما كانت محبتك فلانا الا ان اقتنت منه فالفتنة هاهنا بمعنى الشرك والافتتان بالاورثان ويؤيد ذلك ما رواه عطاء عن ابن عباس قال فتنهم يريد شركهم في الدنيا وهذا القول في التأويل يرجع الى حذف المضاف لأن المعنى لم يكن عاقبة فتنهم الا البراءة منها بقولهم (والله ربنا ما كنا مشركين) ويسأل فيقال كيف يجوز ان يكذبوا في الآخرة ويحلفوا على الكذب والدار ليست بدار تكليف وكل الناس ملجئون فيها الى ترك القبح لمشاهدة الحقائق وزوال عوارض الشبه والشكوك ولعرفتهم بالله سبحانه ضرورة والجواب ان معناه ما كنا مشركين في الدنيا عند انفسنا وفي اعتقادنا وتقديرنا وذلك ان

المشركين في الدنيا يعتقدون كونهم مصيبين فيحلفون على هذا في الآخرة فعلى هذا يكون قراهم وحلفهم يقمان على وجه الصدق وقيل ايضا انهم انما يحلفون على ذلك ازوال عقولهم بما يلحقهم من الدهشة من احوال القيامة ثم ترجع عقولهم فيقرون ويعترفون ويميزون ان ينسوا اشراكهم في الدنيا بما يلحقهم من الدهشة عند مشاهدة تلك الاحوال (انظر) المعنى يقول الله تعالى عند حلف هؤلاء انظر يا محمد (كيف كذبوا على انفسهم) وهذا وان كان لفظه الاستفهام فالمراد به التنبيه على التعجب منهم ومعناه انظر الى اخباري عن افترائهم كيف هو فانه لا يمكن النظر الى ما يوجد في الآخرة وانما كذبهم الله سبحانه في قواهم وان كانوا صادقين عند انفسهم لان الكذب هو الاخبار بالشيء لا على ما هو به علم المخبر بذلك او لم يعلم فلما كان قولهم ما كنا مشركين كذبا في الحقيقة جازان يقال كذبوا على انفسهم وقيل معناه انظر كيف كذبوا على انفسهم في دار الدنيا لا انهم كذبوا في الآخرة لانهم كانوا مشركين على الحقيقة وان اعتقدوا انهم على الحق عن الجبائي (وضل عنهم ما كانوا يقترون) اي ضلت عنهم اوثانهم التي كانوا يعبدونها ويفترون الكذب بقواهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله غدا فذهبت عنهم في الآخرة فلم يجدوها ولم ينتفعوا بها عن الحسن وقيل انه عام في كل ما يعبد من دون الله تعالى انها تضل عن عابديها يوم القيامة ولا تعني عنهم شيئا واختلف اهل العدل في ان اهل الآخرة هل يجوز ان يقع منهم الكذب فالأصح انه لا يجوز على ما قلناه وقال بعضهم يجوز ذلك لما يلحقهم من الدهش والخيرة في القيامة فاذا استقر اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار فحينئذ لا يجوز ان يقع منهم القبيح والكذب ويكون جميعهم ملجئين الى ترك القبيح وبه قال ابو بكر بن الاخشيد واصحابه وقال بعضهم انه يجوز وقوعه منهم على جميع الاحوال

قوله تعالى (٢٥) وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كَلِمًا أَبَةً لَّا يُؤْمِنُوبَهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُكَ يُجَدِّلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ آية

﴿ اللغة ﴾

الأكنة جمع كنان وهو ما وقى شيئا وستره مثل عنان وأعنة قال الليث كل شيء وقى شيئا فهو كنانه وكنه والفعل منه كننت وأكننت والكنة امرأة الابن او الأخ لأنها في كنهه واستكن الرجل من الحر واكنن استتر والوقر الثقل في الأذن والوقر بكسر الواو الحمل قال ابو زيد وقرت أذنه تقرر وقرا وقال الكسائي وقرت أذنه فهي موقرة قال الشاعر

وكلام سي قد وقرت أذني منه وما بي من صمم

واساطير واحدها اسطورة واسطاره مأخوذ من سطر الكتاب وهو سطر وسطر فمن قال سطر جمعه اسطارا ومن قال سطر فجمعه في القليل اسطر والكثير سطرور وقال روثبة

اني واسطار سطرن سطرًا لقائل يا نصر نصرًا نصرًا

وجمع اسطار أساطير قال الزجاج وتأويل السطر في اللغة ان تجعل شيئا ممتدًا موفًا وقال الاخفش اساطير جمع لا واحد له نحو أبابيل ومذاكير وقال بعضهم واحد الأبابيل يبيل بالتشديد وكسر الألف والجدال المحصورة سمي بذلك لشدة وقيل انه مشتق من الجدالة وهي الأرض لأن احدها يلقي صاحبه على الأرض

﴿ الإعراب ﴾

ان يفقهوه موضعه نصب على انه مفعول له المعنى لكراهة ان يفقهوه فلما حذفت اللام نصبت الكراهة ولما حذفت الكراهة انتقل نصبها الى ان قاله الزجاج يريد انه حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه ويجادلونك في

موضع نصب على الحال

* النزول *

قيل ان نفرا من مشركي مكة منهم النضر بن الحارث وابو سفيان بن حرب والوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة وأخوه شيبه وغيرهم جلسوا الى رسول الله (ص) وهو يقرأ القرآن فقالوا للنضر ما يقول محمد فقال أساطير الأولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية فأترل الله هذه الآية

* المعنى *

ثم وصف الله سبحانه حالهم عند استماع القرآن فقال (ومنهم) اي ومن الكفار الذين تقدم ذكرهم (من) يستمع اليك) يريد يستمعون الى كلامك قال مجاهد يعني قريشا (وجعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا) قد ذكرنا الكلام فيه في سورة البقرة عند قوله ختم الله على قلوبهم وقال القاضي ابو عاصم العامري أصح الأقوال فيه ما روي ان النبي (ص) كان يصلي بالليل ويقرأ القرآن في الصلاة جهرا رجاء ان يستمع الى قراءته انسان فيتدبر معانيه ويؤمن به فكان المشركون اذا سمعوه آذوه ومنعوه عن الجهر بالقراءة فكان الله تعالى يلقي عليهم النوم او يجعل في قلوبهم أكنة ليقطعهم عن مرادهم وذلك بعد ما بلغهم ما تقوم به الحجة وتنقطع به المذرة وبعد ما علم الله سبحانه انهم لا ينتفعون بسماعه ولا يؤمنون به فشبه القاء النوم عليهم بجعل الغطاء على قلوبهم ويوقر آذانهم لأن ذلك كان يمنعهم من التدبر كالوقر والغطاء وهذا معنى قوله تعالى واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وهو قول ابى علي الجبائي ويحتمل ذلك وجه آخر وهو انه تعالى يعاقب هؤلاء الكفار الذين علم انهم لا يؤمنون بمقربات يجعلها في قلوبهم تكون موانع من ان يفهموا ما يسمعونه ويحتمل ايضا ان يكون سمي الكفر الذي في قلوبهم كناية تشبيها ومجازا واعراضهم عن تفهم القرآن وقرا توسعا لأن مع الكفر والاعراض لا يحصل الايمان والفهم كما لا يحصلان مع الكن والوقر ونسب ذلك الى نفسه لأنه الذي شبه أحدهما بالآخر كما يقول احدنا لغيره اذا اثني على انسان وذكر مناقبه جعلته فاضلا وباضد إذا ذكر مقابجه وفسقه يقول جعلته فاسقا كما يقال جعل القاضي فلانا عدلا وكل ذلك يراد به الحكم عليه بذلك والإبانة عن حاله كما قال الشاعر

جعلتني باخلا ككلا ورب مني
اني لأسمع ككها منك في اللزب

ومعناه سميتني باخلا (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها) يريد وان يروا كل عبرة لم يصدقوا بها عن ابن عباس وقيل معناه وان يروا كل علامة ومعجزة دالة على نبوتك لا يؤمنوا بها لعنادهم عن الزجاج ولو اجري معنى الآية على ظاهرها لم يكن لهذا معنى لأن من لا يمكنه ان يسمع ويفقه لا يجوز ان يوصف بذلك وكان لا يصح ان يصفهم بانهم كذبوا بآياته وغفلوا عنها وهم ممنعون عن ذلك والذي يزيل الإشكال انه تعالى قال في وصف بعض الكفار واذا تتلى عليه آياتنا ولي مستكبرا كأن لم يسمعها الآية ولو كان في أذنيه وقر مانع عن السماع مزيل للقدرة لكان لا معنى لقوله كأن في أذنيه وقرا وكان لا يستحق المذمة لأنه لم يعط آله السمع فكيف يذم على ترك السمع (حتى إذا جاؤك يجادلونك) يعني انهم اذا دخلوا عليك بالنهار يجيئون مجيئاً خاصين مجادلين رادين عليك قواك ولم يجيروا مجيئاً من يريد الرشاد والنظر في الدلالة الدالة على توحيد الله ونسوة نبيه (يقول الذين كفروا ان هذا) اي ما هذا القرآن (الأساطير الأولين) اي أحاديث الأولين التي كانوا يسطرونها عن الضحاك وقيل معنى الأساطير الترهات والسبابس مثل حديث رستم واسفنديار وغيره مما لا فائدة فيه ولا طائل تحته وقال بعضهم ان جداهم هذا القول منهم هو مثل قولهم أتا كلون ما تقتلوننا بأيديكم ولا تأكلون ما قتله الله تعالى

قوله تعالى (٢٦) وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ آية

﴿ اللقمة ﴾

النأي البعد يقال نأيت عنه أنأى نأياً ومنه أخذ النوى وهو الحاجز حول البيت لثلا يدخله الماء.

﴿ المعنى ﴾

ثم كنى عن الكفار الذين تقدم ذكرهم فقال (وهم ينهون عنه وينهون عنه) أي ينهون الناس عن اتباع النبي (ص) ويتباعون عنه فرارا منه عن ابن عباس ومحمد بن الحنفية والحسن والسدي وقيل معناه ينهون الناس عن استماع القرآن أنلا يقع في قلوبهم صحته ويتباعونهم عن استماعه عن قتادة ومجاهد واختاره الجبائي وقيل عنى به أبا طالب بن عبد المطلب ومعناه يمنعون الناس عن أذى النبي (ص) ولا يتبعونه عن عطا ومقاتل وهذا لا يصح لأن هذه الآية معطوفة على ما تقدمها وما تأخر عنها معطوف عليها وكلها في ذم الكفار المعاندين للنبي (ص) هذا وقد ثبت إجماع أهل البيت (ع) على إيمان أبي طالب واجتماعهم حجة لأنهم أحد الثقلين اللذين أمر النبي (ص) بالتمسك بهما بقوله ان تمسكتم بهما ان تضلوا ويدل على ذلك أيضا ما رواه ابن عمران أبا بكر جاب بأبيه أبي جحافه يوم الفتح الى رسول الله (ص) فأسلم فقال (ص) الا تركت الشيخ فأتيه وكان اعمى فقال ابو بكر أردت ان يأجره الله تعالى والذي بعثك بالحق لا تاكنت بإسلام أبي طالب أشد فرحا مني بإسلام أبي التمس بذلك قره عينك فقال (ص) صدقت وروى الطبري بإسناده ان رؤساء قريش لما رأوا ذب أبي طالب عن النبي (ص) اجتمعوا عليه وقالوا جئناك بفتى قريش جمالا وجودا وشهامة عمارة بن الوليد تدفعه اليك وتدفع الينا ابن أخيك الذي فرق جماعتنا وسفه احلامنا فنقله فقال ابو طالب ما انصفتموني تعطوني ابنيكم فأغذوه واعطيكم ابني فنقتلونه بل فليات كل امرئ منكم بولده فأقتله وقال

منعنا الرسول رسول المليك بيض تلالا كلمع البروق

أذود واحمي رسول المليك حامية حام عليه شفيق

وأقواله وأشعاره المنبئة عن إسلامه كثيرة مشهورة لا تحصى فمن ذلك قوله

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبيا كوسى خط في اول الكتب

أليس أبونا هاشم شد أزره وأوصى بنيه بالطعان وبالحرث

وقوله من قصيدة

وقالوا لأحمد انت امرؤ خلوف اللسان ضعيف السبب

الا ان احمد قد جاءهم بحق ولم يأتهم بالكذب

وقوله في حديث الصحيفة وهو من معجزات النبي (ص)

وقد كان في امر الصحيفة عبرة متى ما يخبر غائب القوم يعجب

بحا الله منها كفرهم وعقوقهم وما انقموا من ناطق الحق معرب

وامسى ابن عبد الله فينا مصدقا على سخط من قومنا غير معتب

وقوله في قصيدة يحض أخاه حمزة على اتباع النبي والصبر في طاعته

صبرا أبا يعلى على دين احمد وكن مظهرا للدين وفقت صابرا

فكأن لرسول الله في الله ناصرا
وقوله من قصيدة

أقيم على نصر النبي محمد
وقوله يحض النجاشي على نصر النبي

تعلم ملك الحبش أن محمدا

أتى بهدي مثل الذي أتيا به

وإنكم تتلون في كتابكم

فلا تجعلوا لله ندا وأسلموا

وقوله في وصيته وقد حضرته الوفاة

أوصي بنصر النبي الخير مشهده

وحمة الأسد الحامي حقيقته

كونوا فدى لكم أمي وما ولدت

في أمثال هذه الآيات ما هو موجود في قصائده المشهورة ورواياه وخطبه يطول بها الكتاب على ان أبا

طالب لم ينأ عن النبي (ص) قط بل كان يقرب منه ويخالطه ويقوم بنصرته فكيف يكون المعنى بقوله ويناون
عنه (وان يهلكون الا انفسهم) معناه ما يهلكون بنهيبهم عن قبوله وبعدهم عنه الا انفسهم (وما يشعرون)
اي وما يعلمون إهلاكهم اياها بذلك

قوله تعالى (٢٧) وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا

وَنَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٨) بَلْ بَدَأَ اللَّهُ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَكَوْنُوا رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ

وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ آيَاتان

﴿ القراءة ﴾

قرأ ولا تكذب ونكون بالنصب حفص عن عاصم وحمة ويعقوب وقرأ ابن عامر ونكون بالنصب وقرأ
الباقر بالرفع فيهن

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من قرأ بالرفع جاز فيه وجهان ﴿ احدهما ﴾ ان يكون معطوفا على نرد فيكون قوله
ولا تكذب ونكون داخلا في التمني دخول نرد فيه فعلى هذا تمى الرد وان لا تكذب والكون من المؤمنين
ويجتمعا بالرفع وجها آخر وهو ان تقطعه من الأول ويكون التقدير يا ليتنا نرد ونحن لا تكذب ونكون وقال
سيبويه هو على قولك فإننا لا تكذب كما يقول القائل دعني ولا اعود اي فاني ممن لا يعود فانما يسألك الترك
وقد اوجب على نفسه ان لا يعود ترك او لم يترك ولم يرد ان يسألك ان تجتمع له الترك وان لا يعود وحجة
من نصب فقال ولا تكذب ونكون انه ادخل ذلك في التمني غير موجب لأن التمني غير موجب فهو كالاستفهام
والامر والنهي في انتصاب ما بعد ذلك كله من الافعال اذا دخلت عليها الفاء او الواو على تقدير ذكر المصدر
من الفعل الأول كأنه في التمثيل ياليتنا يكون لنا رد وانتفاء التكذب والكون من المؤمنين ومن رفع ولا تكذب

ونصب ونكون فإن الفعل الذي هو لا نكذب يحتمل وجهين * احدهما * ان يكون داخلا في التمني فيكون في المعنى كالنصب * والاخر * ان يجبر على البتات ان لا نكذب رداً ولم يرد ومن نصبها جميعاً جعلها داخلين في التمني

* اللغة *

يقال وقفت الدابة وقوفاً ووقف غيره يقفه وقفاً وحكي عن ابي عمرو انه اجاز ما اوقفك هاهنا مع اخباره انه لم يسمعه من العرب وبدا يبدو بدوا اذا ظهر وفلان ذو بدوات اذا بداله الرأي بعد الرأي وبدالي في هذا الأمر بداء والبداء لا يجوز على الله سبحانه لأنه العالم بجميع المعلومات لم يزل ولا يزال

* الاعراب *

واو ترى جوابه محذوف وتقديره لرأيت امرأ هائلاً ونحوه قوله تعالى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال يريد ان كان هذا القرآن وهذه الاجوبة انما تحذف لتعظيم الأمر وتفضيحه ومثله قول امرئ القيس وجدتك لو شئ انا رسول غيرك لما جننا ويسأل فيقال لم جاز ولو ترى اذ وقفوا واذا هي للماضي والجواب ان الخبر اصحته وصدق الخبر به صار بمنزلة ما وقع

* المعنى *

ثم بين سبحانه ما يقال هو لاء الكفار يوم القيامة من الحسرة وقتي الرجعة فقال (ولو ترى) يا محمد او يا ايها السامع (اذ وقفوا على النار) فهذا يحتمل ثلاثة اوجه جاز ان يكون المعنى عاينوا النار وجاهز ان يكونوا عليها وهي تحتهم قال الزجاج والاجرد ان يكون معناه ادخلوها فعرفوا مقدار عذابها كما تقول في الكلام قد وقفت على ما عند فلان يريد قد فهمته وتبينته وهذا وإن كان بلفظ الماضي فالمراد به الاستقبال وانما جاز ذلك لأن كل ما هو كائن يوماً ما لم يكن بعد فهو عند الله قد كان وانشد في مثله

ستندم اذ يأتي عليك رعيلا
بأرعن جرار كثير صواهله
فوضع اذ موضع اذا وقد يوضع ايضاً اذا موضع اذا كما قال الشاعر

وندمان يزيد الكأس طيباً
سقيت اذا تعرضت النجوم

(فقالوا) اي فقال الكفار حين عاينوا العذاب وندموا على ما فعلوا (يا ليتنا نرد) الى الدنيا (ولا نكذب بآيات ربنا) اي بكتب ربنا ورسله وجميع ما جاءنا من عنده (ونكون من المؤمنين) يعني من جملة المؤمنين بآيات الله (بل بدلهم ما كانوا يخفون من قبل) اختلف فيه على اقوال * احدها * ان معناه بل بدل بعضهم من بعض ما كان علمهم يخفونه عن جهالهم وضغائنهم مما في كتبهم فبدا للضعفاء عنادهم * وثانيها * ان المراد بل بدا من اعمالهم ما كانوا يخفونه فآذره الله وشهدت به جوارحهم عن ابي روق * وثالثها * ان المعنى ظهر للذين اتبعوا الغواصة ما كان الغواصة يخفونه عنهم من امر البعث والنشور لأن المتصل بهذا قوله وقالوا ان هي الاحياء الدنيا الآتية عن الزجاج وهو قول الحسن * ورابعها * ان المراد بل بدا لهم وبال ما كانوا يخفونه من الكفر عن المبرد وكل هذه الاقوال بمعنى ظهرت فضيحتهم في الآخرة وتهتك استارهم (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) اي لو ردوا الى الدنيا الى حال التكليف كما طلبوه لعادوا الى ما نهوا عنه من الكفر والتكذيب (وانهم لكاذبون) ويسأل على هذا فيقال ان التمني كيف يصح فيه الكذب وانما يقع الكذب في الخبر والجواب ان من الناس من حمل الكلام كله على وجه التمني وصرف الكذب الى غير الأمر الذي تمنوه وقال

ان معناه هم كاذبون فيما يخبرون به عن انفسهم في الدنيا من الاصابة واعتقاد الحق او يكون المعنى انهم كاذبون ان خبروا عن انفسهم بانهم متى ردوا آمنوا وان كان ما حكى عنهم من التمني ليس بنجر وقد يجوز ان يجعل على غير الكذب الحقيقي بان يكون المراد انهم تمنوا ما لا سبيل اليه فكذب املهم وتمنيهم وهذا مشهور في كلام العرب يقولون كذبتك املك لمن تمنى اما لم يدرك وقال الشاعر

كذبتم وبيت الله لا تنكحونها
بني شاب قرناها تصر ونحلب

وقال آخر

كذبتم وبيت الله لا تأخذونها
مرأعة ما دام للسيف قائم

والمراد ما ذكرناه من الحية في الأمل والتمني فإن قيل كيف يجوز ان يتمنوا الرد الى الدنيا وقد علموا انهم لا يردون فالجواب عنه من وجوه ❦ احدها ❦ انا لا نعلم ان اهل الآخرة يعرفون جميع احكام الآخرة وانما نقول انهم يعرفون الله معرفة لا يتخالجهم فيها الشك لما يشاهدونه من الايات الملجئة لهم الى المعارف واما التوجع والتمني للخلاص والدعاء للفرج فيجوز ان يقع منهم ذلك عن البلخي ❦ وثانيها ❦ أن التمني قد يجوز فيما يعلم انه لا يكون ولهذا قد يقع التمني على ان لا يكون ما قد كان وان لا يكون فعل ما قد فعله وتقضي وقته ❦ وثالثها ❦ انه لا مانع من ان يقع منهم التمني للرد ولأن يكونوا من المؤمنين عن الزجاج وفي الناس من جعل بعض الكلام تمنيا وبعضه اخبارا وعلق تكذيبهم بالخبر دون ليتنا وهذا انما ينساق في قراءة من رفع ولا نكذب ونكون على معنى فلاننا لانكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين فيكونون قد اخبروا بما علم الله انهم فيه كاذبون وان لم يعلموا من انفسهم مثل ذلك فهذا كذبهم وذكر ان ابا عمرو بن العلاء استدلل على قراءته بالرفع في الجميع بأن قوله وانهم لكاذبون فيه دلالة على انهم اخبروا بذلك عن انفسهم وان يتمنوه لأن التمني لا يقع فيه الكذب

قوله تعالى (٢٩) وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٠) وَلَوْ تَرَى إِذْ
وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (آيتان)

❦ المعنى ❦

ثم اخبر سبحانه عن الكفار الذين ذكرهم قبل هذه الآية وانكارهم البعث والنشور والحشر والحساب فقال (وقالوا ان هي) اي ماهي (الاحياتنا الدنيا) عنوا بذلك انه لا حياة لنا في الآخرة وانما هي هذه التي حينئذ بها في الدنيا (وما نحن بمبعوثين) اي لسنا بمبعوثين بعد الموت ثم خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله فقال (ولو ترى) يا محمد (اذ وقفوا على ربهم) ليس يصح في هذه الآية شيء من الوجوه التي ذكرناها في قوله ولو ترى اذ وقفوا على النار الا وجهها واحدا وهو ان المعنى عرفوا ربهم ضرورة كما يقال وقفته على كلام فلان اي عرفته اياه وقيل ايضا ان المعنى وقفوا على ما وعدهم ربهم من العذاب الذي يفعله بالكفار والثواب الذي يفعله بالمؤمنين في الآخرة وعرفوا صحة ما اخبرهم به من الحشر والحساب ويجوز ان يكون المعنى حسبوا على ربهم ينتظرهم ما يأمرهم به وخرج الكلام مخرج ما جرت به العادة من وقوف العبد بين يدي سيده لما في ذلك من الفصاحة والإفصاح بالمعنى والتبني على عظم الأمر (قال) اي يقول الله تعالى لهم وجاء على لفظ الماضي لأنه لتحقيقه كأنه واقع وقيل معناه تقول الملائكة لهم بأمر الله تعالى (ليس هذا بالحق) كما قالت الرسل وهذا سؤال توبيخ وتقريع وقوله هذا اشارة الى الجزاء والحساب والبعث قالوا اي فيقول هؤلاء الكفار مقرين بذلك مذعنين له (بلى) هو حق (وربنا) قسم ذكره واكدوا اعترافهم به (قال) الله تعالى او الملك بأمره (فذوقوا العذاب

بما كنتم تكفرون) اي بكفركم وانما قال ذوقوا لانهم في كل حال يمدون ذلك وجدان الذائق المدوق في شدة الإحساس من غير أن يصيروا الى حال من يشم بالطعام في نقصان الإدراك

قوله تعالى (٣١) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ (٣٢) وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ آيَاتَان

✽ القراءة ✽

قرأ ابن عامر ولدار الآخرة بلام واحدة وجر الآخرة على الإضافة والباقون بلامين ورفع الآخرة وقرأ أهل المدينة وابن ذكوان عن ابن عامر ويعقوب وسهل افلا تعقلون بالياء ههنا وفي الاعراف ويوسف ويس وواقفهم حفص الا في يس وحماد ويحيى عن ابي بكر في يوسف وقرأ الباقر جميع ذلك بالياء.

✽ الحجة ✽

من قرأ ولدار الآخرة فلأن الآخرة صفة للدار يدل على ذلك قوله وللآخرة خير لك من الأولى وان الدار الآخرة لهي الحيوان وتلك الدار الآخرة نجعلها ومن اضاف دارا الى الآخرة لم يجعل الآخرة صفة للدار فإن الشيء لا يضاف الى نفسه لكنها جعلها صفة للساعة فكأنه قال ودار الساعة الآخرة وجاز وصف الساعة بالآخرة كما وصف اليوم بالآخر في قوله وارجوا اليوم الآخر قال ابو علي انما حسن اضافة الدار الى الآخرة ولم يقبح من حيث استقبح اقامة الصفة مقام الموصوف لأن الآخرة قد صارت كالأبرق والابرق لا ترى انه قد جاء وللآخرة خير لك من الأولى فاستعملت استعمال الاسماء ولم يكن مثل الصفات التي لم تستعمل استعمال الاسماء ومثل الآخرة في انها استعملت استعمال الاسماء قولهم الدنيا لما استعملت استعمال الاسماء حسن ان لا يلحق لام التعريف في نحو قوله «في سعي دنيا طال ما قد مدت» واما وجه القراءة بالياء في افلا يعقلون فهو انه قد تقدم ذكر التيبة في قوله للذين يتقون ووجه القراءة بالياء انه يصلح ان تكون خطابا متوجها اليهم ويصلح ان يكون المراد الغيب والمخاطبون فيقلب الخطاب

✽ اللفظة ✽

كل شيء اتى فجاءة فقد بنت يقال بنته الامر بيفته بفتة قال الشاعر

ولكنهم باتوا ولم اخش بفتة واقطع شي حين يفجأك البغت

والحسرة شدة الندم حتى يحسر النادم كما يحسر الذي تقوم به دابته في السفر البعيد والتفريط التقصير واصله التقديم والإفراط التقديم في مجاوزة الحد والتفريط التقديم في المعجز والتقصير والوزر الثقل في اللغة واشتقاقه من الوزر وهو الحبل الذي يعتصم به ومنه قبل وزير كأنه يعتصم الملك به ومثله قوله تعالى واجعل لي وزيرا من اهلي ويزرون يفعلون من وزر يزر وزرا اذا أتم وقيل وزر فهو موزور اذا فعل به ذلك ومنه الحديث في النساء يتبع جنازة قتيل لمن ارجعن موزورات غير مأجورات والعامرة تقول مأزورات والعقل والنهي والحجى متقاربة المعنى فالعقل الإمساك عن التبيح وقصر النفس وجسها عن الحسن قال الاصمعي وبالدهناء خبرا يقال له معقلة قال وتراها سميت معقلة لأنها تمسك الماء كما يعقل الدواء البطن والنهي لا يخلو أن يكون مصدرا كالمهدي او جمعا كالظلم وهو في معنى ثبات وجس ومنه النهي والتنهية للمكان الذي ينتهي اليه الماء فيستتبع فيه لتسقله ويمنع ارتفاع ما حوله من ان يسبح على وجه الأرض والحجى اصله من

الحجوة وهو احتباس وتمكث قال «فهن يمكن به اذا حجا» وحجبت بالشيء وتحجبت به يهمز ولا يهمز اي تمسكت عن الأزهرى قال ابو علي فكان الحجى مصدر كالشبع ومن هذا الباب الحجيا للغز لتمكث الذي يلقي عليه حتى يستخرجه

✽ الاعراب ✽

يقال مامعنى الغاية في قوله حتى اذا جاءتهم الساعة وما عامل الاعراب فيها والجواب ان معناها متهم تكذيبهم الحسرة يوم القيامة والعامل فيها كذبوا اي كذبوا الى ان ظهرت الساعة بغتة فندموا حيث لا ينفعهم الندامة ويقال مامعنى دعاء الحسرة وهي مما لا يعقل والجواب ان العرب اذا اجتهدت في المبالغة في الاخبار عن امر عظيم تقع فيه جعلته نداء فلفظه لفظ ما ينبه والمنبه غيره مثل قوله يا حسرة على العباد وقوله يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ويا وهلتى ألد وهذا ابلغ من ان تقول انا انحسر على التفريط قاله الزجاج وقال سيبويه انك اذ قلت يا عجباه فكانك قلت احضر وتعال يا عجب فإنه من ازمانك وتأويل يا حسرتاه انتبهوا على اننا قد حسرنا فخرج مخرج النداء للحسرة والمعنى على النداء لغيرها تنبيها على عظم شأنها وقيل انها بمنزلة الاستغاثة فكانه قيل يا حسرتنا تعالي فهذا اوانك كما يقال يا للعجب وقوله ساء ما يزررون تقديره بشئ الشيء شيء يزررون وقد ذكرنا عمل نعم وبئس فيما مضى

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار فقال (قد خسر الذين كذبوا بقاء الله) يعني بقاء ما وعد الله به من الثواب والعقاب وجعل لقائهم لذلك لقاء له تعالى مجازا عن ابن عباس والحسن وقيل المراد ببقاء جزاء الله كما يقال للميت لقي فلان عمله اي لقي جزاء عمله ونظيره الى يوم يلقونهم ما اخلفوا الله ما وعدوه (حتى اذا جاءتهم الساعة) اي القيامة (بغتة) اي فجأة من غير ان علموا وقتها (قالوا) عند معاينة ذلك اليوم واهواله وتباين احوال اهل الثواب والعقاب (يا حسرتنا على ما فرطنا فيها) اي على ما تركنا وضيعنا في الدنيا من تقديم اعمال الآخرة عن ابن عباس وقيل ان الهاء يعود الى الساعة عن الحسن والمعنى على ما فرطنا في العمل للساعة والتقدمة لها وقيل ان الهاء يعود الى الجنة أي في طلبها والعمل لها عن السدي ويدل عليه ما رواه الأعمش عن ابي صالح عن ابي سعيد عن النبي (ص) في هذه الآية قال يرى اهل النار منازلهم من الجنة فيقولون يا حسرتنا وقال محمد بن جرير الهاء يعود الى الصفقة لأنه لما ذكر الخسران دل على الصفقة ويجوز ان يكون الهاء يعود الى معنى ما في قوله ما فرطنا اي يا حسرتنا على الاعمال الصالحة التي فرطنا فيها فعلى هذا الوجه يكون ماموصولة بمعنى الذي وعلى الوجوه المتقدمة يكون ما بمعنى المصدر ويكون تقديره على تفریطنا (وهم يحملون اوزارهم) اي اثقال ذنوبهم (على ظهورهم) وقال ابن عباس يريد اثمهم وخطاياهم وقال قتادة والسدي ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله احسن شيء صورته واطيبه ريحا فيقول انا عمك الصالح طال ما ركبك في الدنيا فار كبتني انت اليوم فذلك قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا اي ركبانا وان الكافر اذا خرج من قبره استقبله اقبح شيء صورته واخبثه ريحا فيقول انا عمك السيء طال ما ركبك في الدنيا فاننا ار كبتك اليوم وذلك قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم وقال الزجاج هذا مثل جائز ان يكون جعل ما ينالهم من العذاب بمنزلة اثقل ما يحمل لأن الثقل كما يستعمل في الوزن يستعمل في الحال ايضا كما تقول ثقل علي خطاب فلان ومعناه كرهت خطابه كراهة

اشتدت علي فعلى هذا يكون المعنى انهم يقاسون عذاب آثامهم مقاساة تثقل عليهم ولا تزيالهم والى هذا المعنى اشار امير المؤمنين عليه السلام في قوله تخففوا تلحقوا فانما ينتظر باولكم آخركم (الا ساء ما يزررون) اي بنس الحمل حملهم عن ابن عباس وقيل معناه ساء ما ينالهم جزاء لذنوبهم واعمالهم السيئة اذ كان ذلك عذابا ونكالا ثم رد عليهم قولهم ما هي الا حياتنا الدنيا وبين سبحانه ان ما يتمتع به من الدنيا يزول ويبعد فقال (وما الحياة الدنيا الا لعب واهو) اي باطل وغرور اذ لم يجعل ذلك طريقا الى الآخرة وانما عنى بالحياة الدنيا اعمال الدنيا لأن نفس الدنيا لا توصف باللعب وما فيه رضا الله من عمل الآخرة لا يوصف به ايضا لأن اللعب ما لا يعقب نفعا والاهو ما يصرف من الجد الى الهزل وهذا انما يتصور في المعاصي وقيل المراد باللعب والاهو ان الحياة تنقضي وتفنى ولا تبقى فتكون لذة فانية عن قريب كاللعب والاهو (وللدار الآخرة) وما فيها من انواع التعمير والجنان (خير للذين يتقون) معاصي الله لأنها باقية دائمة لا يزول عنهم نعيمها ولا يذهب عنهم سرورها (افلا تعقلون) ان ذلك كما ووصف لهم فبهتوا في شهوات الدنيا ويرغبوا في نعيم الآخرة ويفعلوا ما يؤذيهم الى ذلك من الاعمال الصالحة وفي هذه الآية تسلية للفقراء بما حرموا من متاع الدنيا وتفرغ للاغنياء اذا ركنوا الى حطامها ولم يعملوا لغيرها

قوله تعالى (٣٣) قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٤) وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوَدُّوا حَتَّىٰ آتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الرُّسُلِينَ آيَاتَانِ

✽ القراءة ✽

قرأ نافع ليحزنك بضم الياء وكسر الزاي والباقون يحزنك بفتح الياء وضم الزاي وقرأ نافع والكسائي والاعشى عن أبي بكر لا يكذبونك خفيف وهو قراءة علي (ع) والمروي عن جعفر الصادق (ع) والباقون يكذبونك بفتح الكاف والتشديد

✽ الحجة ✽

قال ابو علي قال سبويه قالوا حزن الرجل وحزنته وزعم الخليل إنك حيث تقول حزنه لم ترد ان تقول جعلته حزينا كما انك حيث قلت أدخلته أردت جعلته داخلا ولكنك أردت ان تقول جعلت فيه حزنا كما تقول كحلته جعلت فيه كحلا ودهنته جعلت فيه دهنا ولم ترد بفعلته هنا تعدي قوله حزن ولو أردت ذلك لقلت احزنته وحجة نافع إنه أراد ان يعدي حزن فقله بالهمزة والاستعمال في حزنه أكثر منه في احزنته فإلى كثرة الإستهعمال ذهب عامة القراء وأما قوله يكذبونك فمن ثقل فهو من فعلته اذا نسبته الى الفعل مثل زنيته وفسقته نسبته الى الزنا والفسق وقد جاء في هذا المعنى أفعلته قالوا اسقته أي قلت له سقاك الله قال ذو الرمة

وأسقيه حتى كاد مما أبته
تكلمني احجاره وملاعبه

فيجوز على هذا ان يكون معنى القراءتين واحدا ويجوز ان يكون لا يكذبونك أي لا يصادفونك كاذبا كما تقول أحمده اذا أصبته محمودا ويدل على الوجه الأول قول الكمي

وطائفة قد أكفرتني بحبكم وطائفة قالت مسيبي ومذنب
اي نسبتني الى الكفر قال احمد بن يحيى كان الكسائي يحكي عن العرب أكذبت الرجل اذا اخبرت
أنه جاءك يكذب وكذبتة اذا اخبرت أنه كذاب

✽ المعنى ✽

ثم سلى سبحانه نبيه (ص) على تكذيبهم إياه بعد إقامة الحجة عليهم فقال (قد نعلم) نحن يا محمد (انه ليحزنك
الذي يقولون) اي ما يقولون إنك شاعر او مجنون واشباه ذلك (فإنهم لا يكذبونك) دخلت الفاء في
انهم لأن الكلام الأول يقتضيه كأنه قيل اذا كان قد يحزنك قولهم فاعلم انهم لا يكذبونك واختلف في
معناه على وجوه ✽ احدها ✽ ان معناه لا يكذبونك بقولهم اعتقادا وان كانوا يظهرون بأفواههم
التكذيب عنادا وهو قول أكثر المفسرين عن ابي صالح وقتادة والسدي وغيرهم قالوا يريد أنهم يعلمون انك
رسول الله ولكن يجحدون بعد المعرفة ويشهد لهذا الوجه ما روى سلام بن مسكين عن ابي يزيد المدني
ان رسول الله (ص) لقي ابا جهل فصافحه ابو جهل فقيل له في ذلك فقال والله اني لا أعلم انه صادق ولكننا
متى كنا تبع العبد مناف فانزل الله هذه الآية وقال السدي التقى اخنس بن شريق وابو جهل بن هشام فقال له
يا ابا الحكم أخبرني عن محمد اصادق هو أم كاذب فإنه ليس ههنا احد غيري وغيرك يسمع كلامنا فقال ابو جهل
ويحك والله ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنوقصي بالواو والحجابه والسقاية والندوة والنوبة
فاذا يكون لسائر قريش ✽ وثانيها ✽ ان المعنى لا يكذبونك بحجة ولا يتمكنون من ابطال ما جئت به
ببرهان ويدل عليه ما روي عن علي (ع) انه كان يقرء لا يكذبونك ويقول ان المراد بها انهم لا يأتون بحق
هو أحق من حقتك ✽ وثالثها ✽ ان المراد لا يصادفونك كاذبا تقول العرب قاتلناكم فما أجبتناكم اي ما
أصبناكم جبنا قال الاعشى

اثوى وقصر ليله ليزودا فضى وأخلف من قتيلة موعدا
أراد صادف منها خلف الوعد وقال ذو الرمة

تريك بياض لبتها ووجها كقرن الشمس افتق ثم زالا

اي وجد فتقا من السحاب ولا يختص هذا الوجه بالقراءة بالتخفيف دون التشديد لأن أفعلت وفعلت
يجوزان في هذا الموضع وأفعلت هو الأصل فيه ثم يشدد تأكيداً مثل أكرمت وكرمت وأعظمت وعظمت
الا ان التخفيف اشبه بهذا الوجه ✽ ورابعها ✽ ان المراد لا ينسبونك الى الكذب فيما أتيت به لأنك
كنت عندهم أمينا صدوقا وإنما يدفعون ما أتيت به ويقصدون التكذيب بآيات الله ويقوي هذا الوجه
قوله ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وقوله وكذب به قومك وهو الحق ولم يقل وكذبك قومك وما روي
ان ابا جهل قال للنبي (ص) ما نتهمك ولا نكذبك ولكننا نهم الذي جئت به ونكذبه ✽ وخامسها ✽
ان المراد انهم لا يكذبونك بل يكذبونني فإن تكذيبك راجع الي ولسنت مختصا به لأنك رسول الله
فن رد عليك فقد رد علي ومن كذبك فقد كذبني وذلك تسليمة منه سبحانه للنبي (ص) وقوله (ولكن
الظالمين بآيات الله يجحدون) اي بالقرآن والمعجزات يجحدون بغير حجة سفها وجهلا وعنادا ودخلت الباء
في آيات الله والجحد يتعدى بغير الجار والمجرور لأن معناه هنا التكذيب اي يكذبون بآيات الله وقال

ابو علي الباء تتعلق بالظالمين والمعنى ولكن الظالمين برد آيات الله أو إنكار آيات الله يجحدون ما عرفوه من صدقك وأمانتك ومثله قوله سبحانه وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها أي ظلموا بردها أو الكفر بها ثم زاد سبحانه في نسليته (ص) بقوله (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا) أي صبروا على ما نالهم منهم من التكذيب والأذى في أداء الرسالة (حتى أتاهم) جاءهم (نصرنا) أي نصرنا على المكذبين وهذا أمر من سبحانه أنبياءه (ص) بالصبر على كفار قومه إلى أن يأتيه النصر كما صبرت الأنبياء (ولا مبدل لكلمات الله) معناه لا أحد يقدر على تكذيب خبر الله على الحقيقة ولا على إخلاف وعده وإن ما أخبر الله به إن يفعل بالكفار فلا بد من كونه لا محالة وما وعدك به من نصره فلا بد من حصوله لأنه لا يجوز الكذب في أخباره ولا الخلف في وعده وقال الكلابي وعكزة يعني بكلمات الله الآيات التي وعد فيها نصر الأنبياء نحو قوله كتب الله لأغلبن أنا ورسلي وقوله أنهم لهم المنصورون (ولقد جاءك من نبي المرسلين) أي خبرهم في القرآن كيف أنجيناهم ونصرناهم على قومهم قال الاخفش من هاهنا صلة مزيدة كما تقول أصابنا من مطر أي مطر وقال غيره من النحويين لا يجوز ذلك لأن من لا تزداد في الإيجاب وإنما تزداد في النفي ومن هنا للتبعيض وفاعل جاء مضمرة يدل المذكور عليه وتقديره ولقد جاءك من نبي المرسلين نبأ فيكون المعنى إنه أخبره عليه وآله السلام ببعض أخبارهم على حسب ما علم من المصالح ويؤيد ذلك قوله ومنهم من لم نقصص عليك

قوله تعالى (٣٥) وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ أُسْتَطِعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٦) إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٣٧) وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ثلاث آيات

※ اللغة ※

النفق سرب في الأرض له مخلص إلى مكان آخر وأصله الخروج ومنه المتناق لخروجه من الإيمان إلى الكفر ومنه النفقة لخروجها من اليد والسلم الدرج وهو مأخوذ من السلامة قال الزجاج لأنه الذي يسلمك إلى مصعدك والاستجابة من الجوب وهو القطع وهل عندك جاذبة خبر أي تجوب البلاد والفرق بين يستجيب ويحيب أن يستجيب فيه قبول لما دعي إليه وليس كذلك يحيب لأنه يجوز أن يحيب بالمخالفة كما أن السائل يقول أتوافق في هذا المذهب أم تخالف فيقول المجيب أخالف عن علي بن عيسى وقيل إن أجاب واستجاب بمعنى

﴿ الإعراب ﴾

جواب أن محذوف وتقديره أن استطعت ذلك فافعل قال الفراء وإنما تفعله العرب في كل موضع يعرف فيه معنى الجواب ألا ترى أنك تقول للرجل أن استطعت أن تصدق أن رأيت أن تقوم معنا فترك الجواب للمعرفة به فإذا قلت أن تقوم تصب خيرا فلا بد من الجواب لأن معناه لا يعرف إذا طرح الجواب

* المعنى *

ثم بين سبحانه ان هؤلاء الكفار لا يؤمنون فقال مخاطبا للنبيه (ص) (وان كان كبر) اي عظم واشتد (عليك إعراضهم) وانصرافهم عن الإيمان وقبول دينك وامتناعهم من اتباعك وتصديقك (فإن استطعت) اي قدرت ونهيا لك (ان تبغي) اي تطلب وتتخذ (نقفا في الأرض) اي سر با ومسكنا في جوف الأرض (او سلما) اي مصعدا (في السماء) ودرجا (فتأتيهم بآية) اي حجة تلجئهم الى الإيمان وتجمعهم على ترك الكفر فافعل ذلك وقيل فتأتيهم بآية أفضل مما آتيناكم به فافعل عن ابن عباس يريد لآية أفضل وأظهر من ذلك (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) بالإنجاء وإنما أخبر عز اسمه عن كمال قدرته وانه لو شاء لألجأهم الى الإيمان ولم يفعل ذلك لانه ينافي التكليف ويسقط استحقاق الثواب الذي هو الغرض بالتكليف وليس في الآية انه سبحانه لا يشاء منهم ان يؤمنوا مختارين او لا يشاء ان يفعل ما يؤمنون عنده مختارين وإنما نفى المشيئة لما يلجئهم الى الإيمان ليتبين ان الكفار لم يغلبوه بكفرهم فإنه لو أراد ان يحول بينهم وبين الكفر لفعل لكنه يريد ان يكون إيمانهم على الوجه الذي يستحق به الثواب ولا ينافي التكليف (فلا تكونن من الجاهلين) قيل معناه فلا تجزع في مواطن الصبر فيقارب حالك حال الجاهلين بأن تسلك سبيلهم عن الجبائي وقيل ان هذا نفي للجهل عنه اي لا تكن جاهلا بعد ان أتاك العلم بأحوالهم وانهم لا يؤمنون والمراد فلا تجزع ولا تتحسر لكفرهم وإعراضهم عن الإيمان وغلظ الخطاب تبعثا وزجرا عن هذه الحال ثم بين سبحانه الوجه الذي لأجله لا يجتمع هؤلاء الكفار على الإيمان فقال (إنما يستجيب الذين يسمعون) ومعناه إنما يستجيب الى الإيمان بالله وما انزل اليك من يسمع كلامك ويصفي اليك وإلى ما تقرأ عليه من القرآن ويتفكر في آياتك فإن من لم يتفكر ولم يستدل بالآيات بمنزلة من لم يسمع كما قيل لقد سمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي

وقال الآخر «أصم عما ساءه سميع» (والموتى يبعثهم الله) يريد ان الذين لا يصغون اليك من هؤلاء الكفار ولا يتدبرون فيما نقره عليهم وتبينه لهم من الآيات والحجج بمنزلة الموتى فكما أيست ان تسمع الموتى كلامك الى ان يبعثهم الله فكذلك فأفس من هؤلاء ان يستجيبوا لك وتقديره انما يستجيب الموتى السامع للحق فأما الكافر فهو بمنزلة الميت فلا يجيب الى ان يبعثه الله يوم القيامة فيلجئه الى الإيمان وقيل معناه انما يستجيب من كان قلبه حيا فأما من كان قلبه ميتا فلا ثم وصف الموتى بأنه يبعثهم ويحكم فيهم (ثم اليه) اي الى حكمه (يرجعون) وقيل معناه يبعثهم الله من القبور ثم يرجعون الى موقف الحساب ثم عاد سبحانه الى حكاية أقوال الكفار فقال عاطفا على ما تقدم (وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه) هذا اخبار عن رؤساء قريش لما عجزوا من معارضته فيما أتى به من القرآن اقترحوا عليه مثل آيات الأولين كهصا موسى وناقاة ثمود فقال سبحانه في موضع آخر ولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب وقال ههنا (قل) يا محمد (إن الله قادر على ان ينزل آية) اي آية تجمعهم على هدى عن الزجاج وقيل آية كما يسألونها (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ما في انزالها من وجوب الاستئصال لهم اذالم يؤمنوا عند نزولها وما في الاقتصار بهم على ما أوتوه من الآيات من المصلحة وقيل معناه ولكن أكثرهم لا يعلمون ان فيما أنزلنا من الآيات مقنعا وكهاية لمن نظر وتدبر وقد اعترضت الملحدة على المسلمين بهذه الآية فقالوا انها تدل على ان الله تعالى لم ينزل على محمد آية اذ لو نزلها لذكرها عند

سؤال المشركين اياها فيقال لهم قد بينا انهم التمسوا آية مخصوصة وتلك لم يوتوها لان المصلحة منعت عن اياتها وقد انزل الآيات الدالة على نبوته من القرآن وايتهم من المعجزات الباهرة التي شاهدوها ما لو نظروا فيها او في بعضها حق النظر لعرفوا صدقه وصحة نبوته وقد بين في آية أخرى انه لو انزل عليهم ما التمسوه لم يؤمنوا فقال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الى قوله ما كانوا يؤمنوا وفي موضع آخر وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه قل انما الآيات عند الله يعني في قدرة الله ينزل منها ما يشاء ويسقط ما اعتراضوا به

قوله تعالى (٣٨) وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٣٩) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ آيات

اللغة

الدابة كل ما يذب من الحيوانات وأصله الصفة من دب يذب دبيبا اذا مشى مشيا فيه تقارب خطو والديوب والديوبوب النام وفي الحديث لا يدخل الجنة ديوبوب ولا قلاع فالديوبوب النام لانه يدب بالتميمة والقلاع الواشي بالرجل ليقنعه قال الازهري تصغير الدابة دويبة الباء مخففة وفيها اشام الكسر وفي الحديث ايتكن صاحبة الجمل الا دب تنبجها كلاب الحوآب اراد الا دب فأظهر التضعيف وهو الكثير الوبر وقد دب يدب دبيبا والجناح احدى ناحيتي الطير اللتين يتمكن بها من الطيران في الهواء وأصله الميل الى ناحية

الاعراب

من مزيدة وتأويله وما دابة ويجوز في غير القرآن ولا طائر بالرفع عطفًا على موضع من دابة وقوله من شيء من زائدة ايضا وتفيد التعميم اي ما فرطنا شيئًا ما وصم وبكم كلاهما خبر الذين كقولهم هذا حلو حامض ودخول الواو لا يمنع من ذلك فإنه بمنزلة قولك صدم بكم

المعنى

لمابين سبحانه انه قادر على ان ينزل آية عقبه بذكر ما يدل على كمال قدرته وحسن تدبيره وحكمته فقال (وما من دابة في الأرض) اي ما من حيوان يمشي على وجه الأرض (ولا طائر يطير بجناحيه) جمع بهذين اللفظين جميع الحيوانات لأنها لا تخلو إما ان تكون مما يطير بجناحيه او يدب وما يسأل عنه ان يقال لم قال يطير بجناحيه وقد علم ان الطير لا يطير الا بالجناح فالجواب ان هذا إما جاء للتوكيد ورفع اللبس لأن القائل قد يقول طر في حاجتي اي اسرع فيها وقال الشاعر

قوم اذا الشرابدى ناجذيه لهم

وانشد سيبويه

فطرت بمنصلي في معاملات دوامي الأيد يجبطن السريحا

وقيل انما قال بجناحيه لأن السمك تطير في الماء ولا اجنحة لها وانما خرج السمك عن الطائر لأنه من دواب البحر وإنما اراد سبحانه ما في الأرض وما في الجو (الا أمم) اي اصناف مصنفة تعرف

بأسمائها يشتمل كل صنف على العدد الكثير عن مجاهد (امثالكم) قيل انه يريد اشباهكم في ابداع الله اياها
 وخلقها لها ودلالاتها على ان لها صناعا وقيل انما مثلت الأمم من غير الناس بالناس في الحاجة الى مدير
 يدبرهم في اغذيتهم وأكلهم ولباسهم ونومهم ويقظتهم وهدايتهم الى مرادهم الى ما لا يحصى كثرة من
 احوالهم ومصالحهم وانهم يموتون ويمشرون وبين هذه الآية انه لا يجوز العباد ان يتعدوا في ظلم شي من
 فان الله خالقها والمتصرف لها (ما فرطنا في الكتاب من شي) اي ما تركنا وقيل معناه ما قصرنا واختلف
 في معنى الكتاب على اقوال * احدها * انه يريد بالكتاب القرآن لأنه ذكر جميع ما يحتاج اليه فيه
 من أمور الدين والدنيا إما مجملا وإما مفصلا والمجمل قد بينه على لسان نبيه (ص) وأمرنا باتباعه في قوله
 ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وهذا مثل قوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شي ويروى
 عن عبد الله بن مسعود انه قال مالي لا العن من لعنة الله في كتابه يعني الواشمة والمستوشمة والواصلة
 والمستوصلة فقرأت المرأة التي سمعت ذلك منه جميع القرآن ثم أتته وقالت يا ابن أم عبد تلوت البارحة
 ما بين الدفتين فلم أجد فيه لعن الواشمة فقال لو تلوتيه لوجدتيه قال الله تعالى ما أتاكم الرسول فخذوه وما
 نهاكم عنه فانتهوا وان مما أتانا رسول الله ان قال لعن الله الواشمة والمستوشمة وهو قول اكثر المفسرين وهذا
 القول اختيار البلخي * وثانيها * ان المراد بالكتاب ههنا الكتاب الذي هو من عند الله عز وجل المشتمل
 على ما كان ويكون وهو اللوح المحفوظ وفيه آجال الحيوان وارزاقه وآثاره ليعلم ابن آدم ان عمله اولى
 بالاِحصاء والاستقصاء عن الحسن * وثالثها * ان المراد بالكتاب الأجل اي ما تركنا شيئا
 الا وقد أوجبت له آجال ثم يمشرون جميعا عن ابي مسلم وهذا الوجه بعيد (ثم الى ربهم يمشرون) معناه
 يمشرون الى الله بعد موتهم كما يمشر العباد فيعوض الله تعالى ما يستحق العوض منها وينتصف
 لبعضها من بعض وفيما روى عن ابي هريرة انه قال يمشر الله الخلق يوم القيامة البهائم والدواب والطيور وكل شي
 فيبلغ من عدل الله يومئذ ان يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوفي ترابا فذلك يقول الكافر يا ليتني كنت
 ترابا وعن ابي ذر قال بينا انا عند رسول الله (ص) اذ نظحت عنزان فقال النبي (ص) أتدرون فيما انتطحا
 فقالوا لا ندري قال لكن الله يدري وسيقضي بينها وعلى هذا فإنما جعلت أمثالنا في الحشر والاقتصاص
 واختاره الزجاج فقال يعني امثالكم في انهم يعيشون ويؤيده قوله واذا الوحوش حشرت ومعنى الى ربهم الى حيث
 لا يملك النفع والضر الا الله سبحانه اذ لم يمكن منه كما يمكن في الدنيا واستدلت جماعة من أهل التناسخ بهذه
 الآية على ان البهائم والطيور مكلفة لقوله أم امثالكم وهذا باطل لاننا قد بينا انها من أي وجه تكون امثالنا
 ولو وجب حمل ذلك على العموم لوجب ان تكون امثالنا في كونها على مثل صورنا وهياتنا وخلقنا وأخلاقنا
 وكيف يصح تكليف البهائم وهي غير عاقلة والتكليف لا يصح الا مع كمال العقل (والذين كذبوا بآياتنا)
 اي بالقرآن وقيل بسائر الحجج والبيانات (صم وبكم) قد بينا معناهما في سورة البقرة (في الظلمات) اي
 في ظلمات الكفر والجهل لا يهتدون الى شي من منافع الدين وقيل أراد صم وبكم في الظلمات في الآخرة
 على الحقيقة عقابا لهم على كفرهم لأنه ذكرهم عند ذكر الحشر عن ابي علي الجبائي (من يشأ الله يضلله)
 هذا مجمل قد بينه في قوله وما يضل به الا الفاسقين ويضل الله الظالمين والذين اهتدوا زادهم هدى يهدي
 به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام والمعنى من يشأ الله يخذله بأن يمنعه الطافة وفوائده وذلك اذا وافر عليه

الأدلة وأوضح له الحجج فأعرض عنها ولم ينم النظر فيها ويجوز أن يريد من يشأ الله اضلاله عن طريق الجنة ونيل ثوابها يضلله عنه (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) أي ومن يشأ أن يرجمه ويهديه إلى الجنة يجعله على الصراط الذي يسلكه المؤمنون إلى الجنة

قوله تعالى (٤٠) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنَا كُنتُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنتُمْ كُنتُمْ السَّاعَةَ أُغَيِّرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ (٤١) بَلْ آيَاتُهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ آيتان

✽ القراءة ✽

قرأ أهل المدينة أرأيتم وأرأيتم وأرأيت واشباه ذلك بتخفيف الهمزة كل القرآن وقرأ الكسائي وحده أرأيتم وأرأيت وأرأيتم كل القرآن بترك الهمزة وقرأ الباقون بالهمزة في الجميع كل القرآن

✽ الهمزة ✽

قال أبو علي من حقق الهمزة فوجه قراءته بين لأنه فعلت من الروية فالهمزة عين الفعل ومن قرأ بالف في كل القرآن من غير همز على مقدار ذوق الهمزة فإنه يجعل الهمزة بين بين أي بين الألف والهمزة وأما الكسائي فإنه حذف الهمزة حذفاً لا ترى أن التخفيف القياسي فيها أن تجعل بين بين وهذا حذف الهمزة كما قالوا وبه وكما أنشد أحمد بن يحيى (ان لم أقابل فالبسوفني برقما) وكقول أبي الأسود «بابا المغيرة رب أمر معضل» ومما جاء على ذلك قول الآخر

مرجلا ويلبس البرودا

أرأيت ان جئت به املودا

ومما يقوي ذلك قول الشاعر

ومن رأى مثل معدان بن ليلي إذا ما لنسع طال على المطيه

✽ الأعراب ✽

أرأيتم الكاف فيه للخطاب مجردا ومعنى الاسم مخلوع عنه لأنه لو كان اسماً لوجب أن يكون الاسم الذي بعده في قوله أرأيتم هذا الذي كرمت علي وأرأيتمك زيدا ما صنع هو الكاف في المعنى لأن رأيت يتعدى إلى مفعولين يكون الأول منها هو الثاني في المعنى وقد علمنا أنه ليس الكاف في المعنى وإذا لم يكن اسماً كان حرفاً للخطاب مجرداً من معنى الاسم كالكاف في ذلك وهنالك وكالتاء في أنت وإذا ثبت أنه للخطاب فالتاء في أرأيت لا يجوز أن يكون للخطاب لأنه لا يجوز أن يلحق الكلمة علامتان للخطاب كما لا يلحقها علامتان للتأنيث ولا علامتان للاستفهام فلما لم يجز ذلك أفردت التاء في جميع الأحوال لما كان الفعل لا بد له من فاعل وجعل في جميع الأحوال على لفظ واحد لأن ما يلحق الكاف من معنى الخطاب بين الفاعلين فيخصص التأنيث من التذكير والتثنية من الجمع ولو لحق علامة التأنيث والجمع التاء لاجتمعت علامتان للخطاب ما يلحق التاء وما يلحق الكاف فكان يؤدي إلى ما لا نظير له ففرض وهذا من كلام أبي علي الفارسي وجواب أن من قوله أن أتيتكم عذاب الله الفعل الذي دخل عليه حرف الاستفهام كما تقول إن أتاك زيد أنكرمه وموضع أن وجوابه نصب لأنه في موضع مفعولي رأيت وقوله أن كنتم صادقين جوابه

مخدوف يدل عليه قوله أرايتكم لأنه في معنى اخبروا فكانه قال ان كنتم صادقين فاخبروا من تدعون عند نزول البلاء بكم

المعنى

ثم أمر سبحانه نبيه بمحاجة الكفار فقال (قل) يا محمد هو لاء الكفار (ارايتم ان اتيكم عذاب الله في الدنيا كما نزل بالأمم قبلكم مثل عاد وثمود (اوانتكم الساعة) اي القيامة قال الزجاج اسم للوقت الذي يصعق فيه العباد واسم للوقت الذي يبعث فيه العباد والمعنى اوانتكم الساعة التي وعدتم فيها بالبعث والفناء لأن قبل البعث يموت الخلق كلهم (اغير الله تدعون) اي تدعون فيها لكشف ذلك عنكم هذه الاوثان التي تعلمون انها لا تقدر ان تنفع نفسها ولا غيرها او تدعون الله الذي هو خالقكم وما لكم لكشف ذلك عنكم (ان كنتم صادقين) في ان هذه الاوثان آلهة لكم احتج سبحانه عليهم بما لا يدفونه لانهم كانوا اذا مسهم الضر دعوا الله ثم قال (بل اياه تدعون) وبل استدراك وايجاب بعد نفي اعلمهم الله تعالى انهم اذا لحقتهم الشدائد في البحار والبراري والقفار يتضرعون اليه ويقبلون عليه والمعنى لا تدعون غيره بل تدعونه (فيكشف ما تدعون اليه ان شاء) اي يكشف الضر الذي من اجله دعوتهم ان شاء ان يكشفه (وتسون ما تشركون) اي تتركون دعاء ما تشركون من دون الله لأنه ليس عندهم ضرر ولا نفع عن ابن عباس ويكون العائد الى الموصول مخدوفا للعلم على تقدير ما تشركون به وقيل معناه انكم في ترككم دعاءهم بمنزلة من قد نسيهم عن الزجاج وهو قول الحسن لأنه قال تعرضون عنه اعراض الناسي اي للباس في النجاة من مثله ويجوز ان يكون مامع تشركون بمنزلة المصدر فيكون بمنزلة وتسون شرركم

قوله تعالى (٤٢) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبِأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٣) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٤٤) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (٤٥) فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (اربع آيات)

القراءة

قرأ ابو جعفر فتحنا بالتشديد في جميع القرآن وواقفه ابن عامر الا قوله ولو فتحنا عليهم بابا وحتى اذا فتحنا عليهم بابا فإنه خففها وواقفها بمقوب في القمر وقرأ الباقون في جميع ذلك بالتخفيف الا مواضع قد اختلفوا فيها سند كرها ان شاء الله اذا بلغنا الى مواضعها

الحجة

من ثقل اراد التكثير والمبالغة ومن خفف لم يرد ذلك

اللغة

البأساء البأس والخوف والضراء من الضر وقد يكون البأساء من البؤس والتضرع التذلل يقال يضرع فلان لفلان اذا بئج له وسأله ان يعطيه والمبلس الشديد الحسرة وقال الفراء المبلس المتقطع الحجة قال روية وحضرت يوم الخميس الأخماس وفي الوجوه صفره وابلاس

دابر القوم الذي يدبرهم ويدبرهم لغتان وهو الذي يتلوهم من خلفهم ويأتي على اعقابهم وأنشد
آل المهلب جز الله دابرهم
اضحوا رمادا فلا أصل ولا طرف
وقال الاصمعي الدابر الأصل يقال قطع الله دابره اي اصله وأنشد
فدى لكما رجلي ورجلي وناقتي غداة الكلاب اذ تجز الدواب
اي يقتل القوم فتذهب اصولهم فلا يبقى لهم أثر وقال غيره دابر الامر آخره وروى عن عبد الله انه
قال من الناس من لا يأتي الصلاة الا دبريا بضم الدال يعني في آخر الوقت كذا يقوله اصحاب الحديث قال
ابو زيد الصواب دبريا بفتح الدال والباء

✽ الاعراب ✽

لولا للتحضيض ولا يدخل الا على الفعل ومعناه هلا تضرعوا ولكن قست قلوبهم معطوف على تأويل
الكلام الأول فإن في قوله هلا تضرعوا دلالة على انهم لم يتضرعوا وقوله بغتة مصدر وقع موقع الحال اي
أخذناهم مباغتين

المعنى

اعلم الله سبحانه نبيه حال الامم الماضية في مخالفة رسله وبين ان حال هؤلاء إذا سلخوا طريق المخالفة
كحالهم في نزول العذاب بهم فقال (ولقد ارسلنا) وهاهنا محذوف وتقديره رسلا (إلى امم من قبلك) فخالفوهم
(فأخذناهم) وحسن الحذف للإيجاز به والاختصار من غير اخلال للدلالة مفهوم الكلام عليه (بالأساء والضراء)
يريد به الفقر والبؤس والاسقام والواجع عن ابن عباس والحسن (لعلهم يتضرعون) ومعناه لكي يتضرعوا وقال
الزجاج لعل ترج وهذا الترجي للعباد المعنى فأخذناهم بذلك ليهكون ما يرجوه العباد منهم من التضرع كما
قال في قصة فرعون لعله يذكر او يخشى قال سيويه المعنى اذها انتما على رجائكما فالله عالم بما يكون من
وراء ذلك اخبر الله تعالى انه ارسل الرسل إلى اقوام بلغوا من القسوة إلى ان أخذوا بالشدة في انفسهم
وأموالهم ليخضعوا ويدلوا الأمر الله فلم يخضعوا ولم يتضرعوا وهذا كالتسليية للنبي (ص) (فلولا إذ جاءهم
بأسنا تضرعوا) معناه فهلا تضرعوا إذ جاءهم بأسنا (ولكن قست قلوبهم) فأقاموا على كفرهم فلم تنجع فيهم
العظة (وزين لهم الشيطان) بالوسوسة والاغراء بالمعصية لما فيها من عاجل اللذة (ما كانوا يعملون) يعني
اعمالهم وفي هذا حجة على من قال ان الله لم يرد من الكافرين الايمان لأنه سبحانه بين انه إنما فعل ذلك
بهم ليتضرعوا وبين ان الشيطان هو الذي زين الكفر للكافر بخلاف ما قاله المجبرة من انه تعالى هو المزين
لهم ذلك (فلما نسوا ما ذكروا به) اي تركوا ما وعظوا به عن ابن عباس وتأويله تركوا العمل بذلك وقيل
تركوا ما دعاهم اليه الرسل عن مقاتل (فتحننا عليهم أبواب كل شيء) اي كل نعمة وبركة من السماء
والأرض عن ابن عباس وقيل ابواب كل شيء كانت مغلقا عنهم من الخير عن مقاتل والمعنى انه تعالى
امنحهم بالشدة لكي يتضرعوا ويتوبوا فلما تركوا ذلك فتح عليهم ابواب النعم والتوسعة في الرزق ليرغبوا
بذلك في نعيم الآخرة وإنما فعل ذلك بهم واوإن كان الموضع موضع العقوبة والانتقام دون الاكرام والايانام
ليدعوهم ذلك إلى الطاعة فإن الدعاء إلى الطاعة يكون تارة بالعرف وتارة باللطف او لتشديد العقوبة
عليهم بالنقل من النعيم إلى العذاب الاليم (حتى إذا فرحوا بما اوتوا) من النعم واشتغلوا بالتلذذ واظهروا

السورور بما اعطوه ولم يروه نعمة من الله تعالى حتى يشكروه (اخذناهم) اي احللتنا بهم العقوبة (بغته) اي مفاجأة من حيث لا يشعرون (فلذا هم مبلسون) أي أبسون من النجاة والرحمة عن ابن عباس وقيل اذلة خاضعون عن البلخي وقيل متحبرون منقطعو الحججة والمعاني منقاربة والمراد بقوله ابواب كل شي التكثير والتفخيم دون التعميم وهو مثل قوله واوتيت من كل شي والمراد فتحنا عليهم ابواب اشياء كثيرة وآتيناهم خيرا كثيرا وروي عن النبي (ص) انه قال اذا رأيت الله تعالى يعطي على المعاصي فإن ذلك استدراج منه ثم تلا هذه الآية ونحوه ما روي عن امير المؤمنين علي عليه السلام انه قال يا ابن آدم اذا رأيت ربك يتابع عليك نعمه فاحذره (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) معناه فاستوصل الذين ظلموا بالعذاب فلم يبق لهم عقب ولا نسل (والحمد لله رب العالمين) على اهلاك اعدائهم واعلاء كلمة رسوله حمد الله تعالى نفسه بأن استأصل شأفتهم وقطع دابرهم لأنه سبحانه ارسل اليهم وانظرهم بعد كفرهم وأخذهم بالبأساء والضراء واخبرهم بالمحنة والبلاء ثم بالنعمة والرخاء وبالغ في الانذار والامهال والانظار فهو المحمود على كل حال وفي هذا تعليم للمؤمنين ليحمدوا الله تعالى على كفايته اياهم شر الظالمين ودلالة على ان هلاكهم نعمة من الله تعالى يجب حمده عليها وروى عن علي بن ابراهيم عن ابيه عن القاسم بن محمد عن سليمان بن داود القرني عن فضيل بن عياض عن ابي عبد الله (ع) قال سألته عن الورع فقال الورع هو الذي يتورع عن محارم الله ويجنب هولاء واذا لم يتق الشبهات وقع في الحرام وهو لا يعرفه واذا رأى المنكر ولم ينكره وهو يقدر عليه فقد احب أن يعصى الله ومن أحب أن يعصى الله فقد بارز الله بالعداوة ومن احب بقاء الظالمين فقد أحب أن يعصى الله وأن الله حمد نفسه على اهلاك الظالمين فقال قطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين قوله تعالى (٤٦) قُلْ اَرَأَيْتُمْ اِنْ اَخَذَ اللهُ سَمْعَكُمْ وَاَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلٰى قُلُوبِكُمْ مِّنْ اِلٰهِ غَيْرِ اللهِ يٰۤاَتِيَكُمْ بِهٖ اَنْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْاٰيٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُوْنَ (٤٧) قُلْ اَرَأَيْتُمْ اِنْ اَنَا كُمْ عَذَابُ اللهِ بَغْتَةً اَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ اِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِيْنَ (٤٨) وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِيْنَ اِلَّا مُبَشِّرِيْنَ وَمُنذِرِيْنَ فَمَنْ اٰمَنَ وَاَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ (٤٩) وَالَّذِيْنَ كَذَّبُوا بِآيٰتِنَا بِمَسْمُومٍ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوْا يَفْسُقُوْنَ اربع آيات

اللغة

صدف عن الشيء صدوفا إذا مال عنه والصدف والصدقة الجانب والناحية والصدف كل بناء مرتفع وفي الحديث كان (ص) إذا مر بصدف مائل اسرع المشي

الاعراب

من إله مبتدأ وخبر وغير صفة إله وهذه الجملة في موضع مفعولي أرايتم ومن استفهام علق الفعل الذي هو أرايتم فلم يعمل في مفعوليه لفظا وقوله أن أخذ الله سمعكم جوابه محذوف وتقديره فمن يأتيكم به إلا أنه أغنى عنه قوله من إله غير الله يأتيكم به الذي هو مفعول أرايتم في المعنى وموضع الشرط وجوابه نصب على الحال كما تقول لا ضربته إن ذهب أو مكث فإن قولك إن ذهب أو مكث وقع موقع ذاهبا أو ما كذا وتقديره مقدرا ذاهبا أو مكثه وبدل على أنه في موضع الحال مشابهته في المفرد أنه لا يستقل بنفسه كما

لا تستقل الجمل وإن كان جملة في المعنى فإنه بدخول حرف الشرط قد صار بمنزلة المفرد في الحاجة إلى ما يستند إليه كما احتاج المفرد ويدل على قوة اتصاله بما قبله حاجته إلى ما قبله كما احتاج ما وقع موقعه إلى ما قبله وليس شيء من الفضلات يقع الجملة موقعه غير الحال فثبت أنه في موضع منصوب هو حال فإن قيل إن الجزء مقدر والشرط المذكور في اللفظ مع الجزء كلام مستقل وإنما كان هذا الاستدلال يسوغ لو كان الجزء غير مقدر قيل الجزء وإن كان مقدرًا لا حكم له لأنه لا يجوز إظهاره وإنما هو شيء ثبت من جهة التقدير فضعف أمره ولو جاز إظهاره لكان في موضع الحال وهذا مأخوذ من كلام أبي علي الفارسي ذكره في القصریات مع كلام كثير في معناه قد دقق فيه ولم يسبق إليه وقوله يأتيكم به في موضع رفع بأنه صفة له

﴿ المعنى ﴾

ثم زاد سبحانه في الاحتجاج عليهم فقال (قل) يا محمد هؤلاء الكفار (أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم) أي ذهب بها فصرتم صاعميا (وختم على قلوبكم) أي طبع عليها وقيل ذهب بعقولكم وسلب عنكم التمييز حتى لا تفهمون شيئا وإنما خص هذه الأشياء بالذكر لأن بها تتم النعمة دينا ودنيا (من آله غير الله يأتيكم به) قال الزجاج هذه الهاء تعود إلى معنى الفعل المعنى من آله غير الله يأتيكم بما أخذ منكم قال ويجوز أن يكون عائدا إلى السمع ويكون ما عطف على السمع داخلا في القصة معه إذ كان معطوفا عليه قال ابن عباس يريد لا يقدر هؤلاء الذين يعبدون أن يجعلوا لكم أسعانا وأبصارا وقلوبًا تعقلون بها وتفهمون أي إن أخذها الله منكم فمن يردّها عليكم بين سبحانه بهذا أنه كما لا يقدر على ذلك غير الله فكذلك يجب أن لا تعبدوا سواه (انظر كيف نصرف الآيات) أي نبين لهم في القرآن الآيات عن الكلي وقيل تصريف الآيات توجيهها في الجهات التي يظهرها أتم الإظهار ومرة في جهة النعمة ومرة في جهة الشدة وقيل تصريف الآيات إحداثها دالة على وجوه كما أن الآية المعجزة تدل على فاعلها وعلى قدرته وعلمه وعلى نبوة النبي (ص) وصدقه (ثم هم) أي الكفار (يصدفون) أي يعرضون عن تأمل الآيات والفكر فيها وقيل اعراضهم عنها كفرهم بها وإنما قال انظر لأنه تعالى عجب أولا من تتابع نعمه عليهم وضروب دلائله من تصريف الآيات وأسباب الاعتبار ثم عجب ثانيا من اعراضهم عنها ثم زاد تعالى في الاحتجاج فقال (قل أرأيتم) أي اعلمتم (إن أتاكم عذاب الله) أي عذبكم الله بعد اعذاره عليكم وإرساله الرسل (بغتة) أي مفاجأة (أو جهرة) أي علانية وإنما قابل البغته بالجهرة لأن البغته تتضمن معنى الخفية لأنه يأتيهم من حيث لا يشعرون وقيل البغته أن يأتيهم ليلا والجهرة أن يأتيهم نهارا عن الحسن (هل يهلك) أي لا يهلك بهذا العذاب (إلا القوم الظالمون) أي الكافرون الذين يكفرون بالله ويفسدون في الأرض وقيل أنهم كانوا يستدعون العذاب فيبين أنه إذا نزل لا يهلك به إلا الكافرون فإن هلك فيه مؤمن أو طفل فإنما يهلك محنة ويعرضه الله على ذلك اعراضا كثيرة يصغر ذلك في جنبها والمراد بذلك عذاب الدنيا دون عذاب الآخرة ثم بين سبحانه أنه لا يبعث الرسل أربابا يقدرون على كل شيء يسألون عنه من الآيات وإنما يرسلهم لما يعلمه من المصالح فقال (وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين) ثم ذكر ثواب من صدقهم في باقي الآية وعقاب من كذبهم في الآية الثانية فقال (فمن آمن) أي صدق الرسل (واصلح) أي عمل صالحا في الدنيا (فلا خوف عليهم) في الآخرة (ولا هم يحزنون) كما يحزن أهل النار وقيل لا يحزنون على ما خلفوا وراءهم في الدنيا (والذين كذبوا بآياتنا) أي ادلتنا وحججنا وقيل بمحمد (ص) ومعجزاته (يسهم العذاب) يصيبهم العذاب يوم القيامة (بما كانوا يفسقون) أي

بفسقهم وخروجهم عن الايمان

قوله تعالى (٥٠) قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ آية

✽ اللغة ✽

الخزائن جمع الخزانة وهي اسم المكان الذي يخزن فيه الشيء وخزن الشيء احرازه بحيث لاتناله الايدي ومنه خزن اللحم يخزن خزننا اذا تغير لانه يخبأ حتى يتن

✽ المعنى ✽

ثم امر النبي (ص) ان يقول لهم بعد اقتراحهم الآيات منه اني لا ادعي الربوبية وانما ادعي النبوة فقال (قل) يا محمد (لا اقول لكم) ايها الناس (عندي خزائن الله) يريد خزائن رحمة الله عن ابن عباس وقيل خزائن الله مقدوراته عن الجبائي وقيل ارزاق الخلق حتى يؤمنوا طمعا في المال (ولا اعلم الغيب) الذي يختص الله بعلمه وانما اعلم قدر ما يعلمني الله تعالى من امر البعث والنشور والجنة والنار وغير ذلك وقيل عاقبة ما تصيرون اليه عن ابن عباس (ولا اقول لكم اني ملك) لاني انسان تعرفون نسبي يريد لا اقدر على ما يقدر عليه الملك وقد استدل بهذا على ان الملائكة افضل من الانبياء وهذا بعيد لان الفضل الذي هو كثرة الثواب لا معنى له ههنا وانما المراد لا اقول لكم اني ملك فاشاهد من امر الله وغيبه عن العباد ماتشاهده الملائكة (ان اتبع الامايروحي الي) يريد ما اخبركم الابطا انزله الله الي عن ابن عباس وقال الزجاج اي ما انبأتكم به من غيب فيما مضى وفيما سيكون فهو يوحى من الله عز وجل ثم امره سبحانه فقال (قل) يا محمد لهم (هل يستوي الاعمى والبصير) اي هل يستوي العارف بالله سبحانه العالم بدينه والجاهل به وبدينه فجعل الاعمى مثلا للجاهل والبصير مثلا للعارف بالله وبنييه وهذا قول الحسن واختاره الجبائي وفي تفسير اهل البيت هل يستوي من يعلم ومن لا يعلم وقيل معناه هل يستوي من صدق على نفسه واعترف بحاله التي هو عليها من الحاجة والعبودية خالقه ومن ذهب عن البيان وعمي عن الحق عن البلخي (افلاتتفكرون) فتنصفوا من انفسكم وتعملوا بالواجب عليكم من الاقرار بالترعيد ونفي التشبيه وهذا استفهام يراد به الاخبار يعني انها لا يستويان

قوله تعالى (٥١) وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَايٌ وَلَا شَفِيعٌ لَهُمْ يَتَّقُونَ آية

✽ الاعراب ✽

الها. في به يعود الى ما من قوله ما يوحى الي وايس مع اسمه وخبره في موضع نصب على الحال من يخافون كانه قيل متخاين من ولي وشفيع

✽ المعنى ✽

ثم امر سبحانه بعد تقديم البيئات بالانذار فقال (وانذر) اي عظ وخوف (به) اي بالقرآن عن ابن عباس وقيل بالله عن الضحاك (الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم) يريد المؤمنين يخافون يوم القيامة وما فيها من شدة الاحوال عن ابن عباس والحسن وقيل معناه يعلمون عن الضحاك وقيل يخافون ان يحشروا علما بانهم سيكونون عن الفراء قال ولذلك فسره المفسرون بيلمون قال الزجاج المراد بهم كل معترف بالبعث من مسلم وكتابي وانما خص الذين يخافون الحشر دون غيرهم وهو ينذر جميع الخلق لان الذين يخافون الحشر الحجية عليهم اوجب لاعترافهم بالمعاد وقال الصادق (ع) انذر بالقرآن من يرجون الوصول الى ربهم ترغيبهم فيما عندهم فلان القرآن شافع

مشفع لهم (ليس لهم من دونه) أي غير الله (ولي ولا شفيع) عن الضحاك وقال الزجاج إن اليهود والنصارى ذكرت أنها ابناؤه فاعلم الله عز اسمه أن أهل الكفر ليس لهم من دون الله ولي ولا شفيع وهذا الذي قاله ظاهر في أهل الكفر والمفسرون على أن الآية في المؤمنين ويكون معنى قوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع على أن شفاعاة الأنبياء وغيرهم للمؤمنين إنما تكون بإذن الله لقوله سبحانه من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه فذلك راجع إلى الله تعالى (لعلمهم يتقون) كي يخافوا في الدنيا ويتقوا عما نهيتهم عنه عن ابن عباس

قوله تعالى (٥٢) وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٣) وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ آيَاتَانِ

✽ القراءة ✽

قرأ ابن عامر بالغداة والعشي في كل القرآن بواو والباقون بالغداة بالالف

✽ الحجة ✽

قال ابو علي الوجه الغداة لانها تستعمل نكرة وتعرف باللام فأما غدوة فمعرفة لم تتنكر وهو علم صيغ له قال سيبويه غدوة وبكرة جعل كل واحد منهما اسما للجنس كما جعلوا ام حنين اسما لدابة معروفة قال وزعم يونس عن ابي عمرو وهو القياس انك إذا قلت لقيته يوما من الأيام غدوة او بكرة وأنت تريد المعرفة لم تنون وهذا يقوي قراءة من قرأ بالغداة والعشي ووجه قراءة ابن عامر ان سيبويه قال زعم الخليل انه يجوز أن تقول آيتك اليوم غدوة وبكرة فجعلها بمنزلة ضحوة ومن حجته أن بعض اسماء الزمان جاء معرفة بغير الف ولام نحو ما حكاه ابو زيد من قولهم لقيته فينة غير مصروف والفينه بعد الفينة فألحق لام المعرفة ما استعمل معرفة ووجه ذلك انه يقدر فيه التنكير والشياع كما يقدر فيه ذلك إذا ثنى وذلك مستمر في جميع هذا الضرب من المعارف ومثل ذلك ما حكاه سيبويه من قول العرب هذا يوم اثنين مباركا وأيتك يوم اثنين مباركا فجاء معرفة بلا الف ولام كما جاء بالالف واللام ومن ثم انتصب الحال ومثل ذلك قولهم هذا ابن عرس مقبل اما أن يكون جعل عرسا نكرة وإن كان علما واما أن يكون اخبر عنه بخبرين

✽ الأعراب ✽

فتطردهم جواب للنفي في قوله ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء وقوله فتكون نصب لانه جواب للنهي وهو قوله ولا تطرد أي لا تطردهم فتكون من الظالمين وقد بينا تقديره في مواضع

✽ النزول ✽

روى الثعلبي بإسناده عن عبد الله بن مسعود قال مر الملاء من قريش على رسول الله (ص) وعنده صهيب وخباب وبلال وعار وغيرهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد أرضيت بهؤلاء من قومك افنحن نكون تبعاهم أهؤلاء الذين من الله عليهم اطردهم عنك فلعلك ان طردتهم اتبعناك فانزل الله تعالى ولا تطرد إلى آخره وقال سلمان وخباب فينا نزلت هذه الآية جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصين الفزاري وذوهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي (ص) قاعدا مع بلال وصهيب وعمار وخباب في ناس من ضعفاء المؤمنين فحقرهم وقالوا يا رسول الله لو نحييت هؤلاء عنك حتى نخلو بك فإلوان وفود العرب تأتيك فنستحي ان يرونا مع

هو لا. الا بعد ثم اذا انصرفنا فلن شئت فأعدهم الى مجلسك فأجابهم النبي (ص) الى ذلك فقلا له اكتب لنا بهذا على نفسك كتابا فدعا بصحيفة واحضر عليا ليكتب قال ونحن قعود في ناحية اذ نزل جبرائيل (ع) بقوله ولا تطرد الذين يدعون الى قوله أليس الله باعلم بالشاكرين فنحى رسول الله (ص) الصحيفة واقبل علينا ودنونا منه وهو يقول كتب ربكم على نفسه الرحمة فكفنا نقعد معه فلما اراد ان يقوم قام وتركنا فانزل الله عز وجل واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الاية قال فكان رسول الله (ص) يقعد معنا ويدنو حتى كادت ركبته تلمس ركبته فلما بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم وقال لنا الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من أمتي معكم المحيا ومعكم المات

✽ المعنى ✽

ثم نهى سبحانه رسوله عليه وآله السلام عن إجابة المشركين فيما اقترحوه عليه من طرد المؤمنين فقال (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) يريد يعبدون ربهم بالصلاة المكتوبة يعني صلاة الصبح والعصر عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وقيل ان المراد بالدعاء ههنا الذكر اي يذكرون ربهم طرفي النهار عن ابراهيم وروي عنه ايضا ان هذا في الصلاة الخمس (يريدون وجهه) يعني يطلبون ثواب الله ويعملون ابتغاء مرضاة الله لا يعبدون بالله شيئا عن عطاء قال الزجاج شهد الله لهم بصدق النيات وانهم مخلصون في ذلك له أي يقصدون الطريق الذي امرهم بقصده فكانه ذهب في معنى الوجه الى الجهة والطريق (ما عليك من حسابك من حسابك عليهم من شيء) يريد ما عليك من حساب المشركين شيء ولا عليهم من حسابك شيء إنما الله الذي يشب او يباه ويعذب اعداءه عن ابن عباس في رواية عطاء واكثر المفسرين يردون الضمير الى الذين يدعون ربهم وهو الاشبه وذكروا فيه وجهين ﴿احدهما﴾ ما عليك من عملهم ومن حساب عملهم من شيء عن الحسن وابن عباس وهذا كقوله تعالى في قصة نوح إن حسابهم الا على ربي لو تشعرون وهذا لأن المشركين اذ دروهم فقروهم وحاجتهم الى الأعمال الدينية وهم يرفع المشركين عليهم في المجلس فليل له ما عليك من حسابك من شيء أي لا يلزمك عار بعملهم (فقطردهم) ثم قال وما من حسابك عليهم من شيء تأكيداً لمطابقة الكلام وإن كان مستغنى عنه بالأول والوجه الثاني ﴿الثاني﴾ ما عليك من حساب رزقهم من شيء فتملهم وتطردهم أي ليس رزقهم عليك ولا رزقك عليهم وإنما يرزقك وإياهم الله الرازق فدعهم يدنوا منك ولا تطردهم (فتكون من الظالمين) لهم بطردهم عن ابن زيد وقيل فتكون من الضارين لنفسك بالمعصية عن ابن عباس قال ابن الانباري عظم الأمر في هذا على النبي صلى الله عليه وآله وخوف الدخول في جملة الظالمين لأنه كان قد هم بتقديم الرؤساء وأولي الأموال على الضعفاء مقدرًا انه يستجبر بالسلامة عليهم إسلام قومهم ومن لف لفهم وكان (ص) لم يقصد في ذلك إلا قصد الخير ولم ينور به اذ دروا بالفقراء فأعلمه الله ان ذلك غير جائز ثم اخبر الله سبحانه انه يمتحن الفقراء بالأغنياء والأغنياء بالفقراء فقال (وكذلك فتنا بعضهم ببعض) أي كما ابتلينا قبلك الغني بالفقير والشريف بالوضيع ابتلينا هؤلاء الرؤساء من قريش بالموالي فإذا نظر الشريف الى الوضيع قد آمن قبله حمي انفا ان يسلم ويقول سبقتي هذا بالإسلام فلا يسلم وإنما قال سبحانه فتنا وهو لا يحتاج الى الاختبار لأنه عاملهم معاملة المختبر (ليقولوا) هذه لام العاقبة المعنى فعلنا هذا ليصبروا ويشكروا قال امرهم الى هذه العاقبة (هاؤلا) من الله عليهم من بيننا) والاستفهام معناه الإنكار كأنهم انكروا ان يكونوا سبقوهم بفضيلة او خصوا بمنة وقال ابو علي الجبائي المعنى في فتنا شددنا التكليف على اشرف العرب بأن امرناهم بالإيمان وبتقديمهم هؤلاء الضعفاء على نفوسهم لتقدمهم اياهم في الإيمان وهذا امر كان شاقا عليهم فلذلك ساء الله فتنة وقوله ليقولوا اي فعلنا هذا بهم ليقول بعضهم لبعض على وجه الاستفهام لا على وجه الإنكار أهؤلاء من الله عليهم بالإيمان إذ رأوا النبي يقدم هؤلاء عليهم ولا يرضوا بذلك من فعل

رسول الله ولم يجعل هذه الفتنة والشدة في التكليف ليقولوا ذلك على وجه الانكار لأن انكارهم لذلك كفر بالله ومعصية والله سبحانه لا يريد ذلك ولا يرضاه ولا أنه لو أراد ذلك وفعلوه كانوا مطيعين له لا عاصين وقد ثبت خلافه وقوله (أليس الله بأعلم بالشاكرين) هذا استفهام تقرير أي انه كذلك كقول جرير

ألستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح

وهذا دليل واضح على ان فقراء المؤمنين وضعافهم اولى بالتقريب والتقديم والتعظيم من اغنيائهم ولقد قال امير المؤمنين علي (ع) من اتى غنيا فتواضع لغناؤه ذهب ثلثا دينه

قوله تعالى (٥٤) وَإِذَا جَاءكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا مِجْمَالًا لَمْ يَمْ تَبْ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غُفُورٌ رَحِيمٌ آيَةٌ

✽ القراءة ✽

قرأ أهل المدينة انه من عمل بالفتح فإنه بالكسر وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب انه فإنه بفتح الألف فيها وقرأ الباقون انه فإنه بالكسر فيهما

✽ الحجة ✽

قال ابو علي من كسر فقال انه من عمل جعله تفسيرا للرحمة كما ان قوله لهم مغفرة واجر عظيم تفسير للوعد وأما كسر فإنه غفور رحيم فلأن ما بعد الفاء حكمه الابتداء ومن ثم حمل قوله فينتقم الله منه على إرادة المبتدأ بعد الفاء وحذفه واما من فتح ان في قوله أنه فإنه جعل ان الاولى بدلا من الرحمة كأنه قال كتب ربكم على نفسه انه من عمل وأما فتحها بعد الفاء فعلى انه اضمر له خبرا وتقديره فله انه غفور رحيم أي فله غفرانه او اضمر مبتدأ يكون انه خبرا له أي فأمره انه غفور رحيم وعلى هذا التقدير يكون الفتح في قول من فتح ألم يعلموا انه من يجادد الله ورسوله فأن له نار جهنم تقديره فله ان له نار جهنم إلا ان اضماره هنا احسن لأن ذكره قد جرى في قوله ان له وان شئت قدرت فأمره أن له نار جهنم فيكون خبر هذا المبتدأ المضمر وأما قراءة كتب ربكم انه فإنه فالقول فيها انه ابدل من الرحمة ثم استأنف ما بعد الفاء.

✽ اللفظة ✽

قال المبرد السلام في اللفظة اربعة اشياء مصدر سلمت سلاما وجمع سلامة واسم من اسماء الله عز وجل وشجر في قوله «السلام وحرم» ومعنى السلام الذي هو مصدر أنه دعاء للإنسان بأن يسلم من الآفات والسلام اسم الله تأويله ذو السلام أي الذي يملك السلام الذي هو التخلص من المكروه واما السلام الشجر فهو شجر قوي سمي بذلك لسلامته من الآفات والسلام الحجارة سمي بذلك لسلامتها من الرخاوة والصلح يسمى السلام والسلم لأن معناه السلامة من الشر والسلم الدلو التي لها عروة واحدة لأنها اسلم الدلاء من الآفات

✽ النزول ✽

اختلف في من نزلت فيه هذه الآية فقول نزلت في الذين نهى الله عز وجل نبيه عن طردهم وكان النبي اذا رآهم بدأهم بالسلام وقال الحمد لله الذي جعل في امتي من أمرني ان ابدأهم بالسلام عن عكرمة وقيل نزلت في جماعة من الصحابة منهم حمزة وجعفر ومصعب بن عمير وعمار وغيرهم عن عطاء وقيل ان جماعة أتوا رسول الله (ص) فقالوا إنا أصبنا ذنوبا كثيرة فسكت عنهم رسول (ص) فنزلت الآية عن انس بن مالك وقيل نزلت في التابعين وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام

* المعنى *

ثم امر سبحانه نبيه بتعظيم المؤمنين فقال (واذا جاؤك) يا محمد (الذين يؤمنون) اي يصدقون (بآياتنا) أي
 بجحجنا وبرا هيننا (فقل سلام عليكم) ذكر فيه وجوه * احدها * انه امر نبيه (ص) ان يسلم عليهم
 من الله تعالى فهو تحية من الله على لسان نبيه (ص) عن الحسن * وثانيها * ان الله تعالى امر نبيه (ص)
 ان يسلم عليهم تكريماً لهم عن الجبائي * وثالثها * ان معناه اقبل عذرهم واعترفهم وبشرهم بالسلامة
 بما اعتذروا منه عن ابن عباس (كتب ربكم) اي اوجب ربكم (على نفسه الرحمة) اي بما موكد عن الزجاج
 قال انما خوطب الخلق بما يعقلون وهم يعقلون ان الشيء المؤخر انما يحفظ بالكتاب وقيل معناه كتبه في اللوح
 المحفوظ وقد سبق بيان هذا في اول السورة (انه من عمل منكم سوء بجهالة) قال الزجاج يحتمل الجهالة ههنا
 وجهين * احدهما * انه عمله وهو جاهل بتقدير المكروه فيه اي لم يعرف ان فيه مكروها والآخر
 انه علم ان عاقبته مكروهة ولكنه اثر العاجل فجعل جاهلاً بأنه اثر النفع القليل عن الراحة الكثيرة والعاقبة
 الدائمة وهذا اقوى ومثله قوله سبحانه انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة الآية وقد ذكرنا ما فيه هناك
 (ثم تاب من بعده واصلح) اي رجع عن ذنبه ولم يصر على ما فعل واصلح عمله (فإنه غفور رحيم)

قوله تعالى (٥٥) وَكَذَلِكَ نَفْضِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ آية

* القراءة *

قرأ اهل المدينة ولتستبين بالتاء سبيل بالنصب وقرأ اهل الكوفة غير حفص وليستبين بالياء سبيل بالرفع
 وقرأ زيد عن يعقوب وليستبين بالياء سبيل بالنصب وقرأ الباقر ولتستبين بالتاء سبيل بالرفع

* الحجة *

من قرأ لتستبين بالتاء سبيل رفعا جعل السبيل فاعلا وانته كما في قوله قل هذه سبيلي قال سيويه استبان
 الشيء واستبنته ومن قرأ ولتستبين بالتاء سبيل نصبا ففي الفعل ضمير المخاطب وسبيل مفعوله وهو على قواك
 استبنت الشيء ومن قرأ بالياء سبيل رفعا فالفعل مسند الى السبيل الا انه ذكر كما في قوله سبحانه يتخذوه سبيلا
 والمعنى وليستبين سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين فحذف لأن ذكر احدى السبيلين يدل على الآخر ومثله سراويل
 تقيكم الحر ولم يذكر البرد لدلالة الحر عليه ومن قرأ بالياء ونصب اللام فتقديره وليستبين السائل سبيل المجرمين

* الاعراب *

كذلك الكاف في موضع نصب بأنه مفعول نفضل وذلك مجرور الموضع بإضافة الكاف اليه ويسأل
 ما المشبه وما المشبه به في قوله وكذلك وفيه جوابان * احدهما * التفصيل الذي تقدم في صفة المهتمدين
 وصفة الضالين شبه بتفصيل الدلائل على الحق من الباطل في صفة غيرهم من كل مخالف للحق * والثاني *
 ان المعنى كما فصلنا ما تقدم من الآيات لكم نفضله لغيركم

* المعنى *

ثم عطف سبحانه على الآيات التي احتج بها على مشركي مكة وغيرهم فقال (وكذلك) اي كما قدمناه
 من الدلالات على التوحيد والنبوة والقضاء (نفضل الآيات) وهي الحجج والدلالات اي نيزها ونبينها ونشرحها
 على صحة قولكم وبطلان ما يقوله هؤلاء الكفار (ولتستبين سبيل المجرمين) بالرفع اي ليظهر طريق من عاند
 بعد البيان اذا ذهب عن فهم ذلك بالإعراض عنه لمن اراد التفهم لذلك من المؤمنين ليجانبوها ويسلكوا غيرها
 وبالنصب ليعرف السامع أو السائل أو التعرف انت يا محمد سبيلهم وسبيلهم يريد به ما هم عليه من الكفر

والعناد والإقدام على المعاصي والجرائم المؤدية الى النار وقيل ان المراد بسبيلهم ما عاجلهم الله به من الإذلال واللعن والبراءة منهم والأمر بالقتل والسبي ونحو ذلك والواو في ولتستبين للهطف على مضمرة محذوف والتقدير لتفهموا ولتستبين سبيل المجرمين والمؤمنين وجاز الحذف لأن فيا ابقى دليلا على ما التقي
قوله تعالى (٥٦) قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَ كُمْ
قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ آية

﴿ القراءة ﴾

روى في الشواذ عن يحيى بن وثاب ضللت بكسر اللام والقراء كلهم على فتحها

﴿ الحجة ﴾

وهما لغتان ضللت تضل وضلت تضل قال ابو عبيدة واللغة الغالبة الفتح

﴿ الإعراب ﴾

معنى من في قوله من دون الله اضافة الدعاء إلى دون بمعنى ابتداء الغاية ومعنى إذا الجزاء والمعنى قد ضللت ان عبدتها

﴿ المعنى ﴾

ثم امر الله سبحانه نبيه بأن يظهر البراءة ما يعبدونه فقال (قل) يا محمد (إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله) يعني الاصنام التي تعبدونها وتدعونها آلهة (قل) يا محمد (لا اتبع أهواءكم) في عبادتها اي إنما عبدتوها على طريق الهوى لا على طريق البينة والبرهان عن الزجاج وقيل معناه لا اتبع أهواءكم في طرد المؤمنين (قد ضللت إذا) اي ان انا فعلت ذلك عن ابن عباس (وما انا من المهتدين) الذين سلكوا سبيل الدين وقيل معناه وما انا من المهتدين الذين سلكوا طريق الهدى

قوله تعالى (٥٧) قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ (٥٨) قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقَضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل الحجاز وعاصم يقض الحق بالصاد والباقون يقضي الحق

﴿ الحجة ﴾

حجة من قرأ يقضي قوله والله يقضي بالحق وحكي عن ابي عمرو انه استدل بقوله وهو خير الفاصلين في ان الفصل في الحكم ليس في القصص وحجة من قرأ يقض قوله والله يقول الحق وقالوا قد جاء الفصل في القول ايضا في نحو قوله انه قول فصل واما قوله الحق فيحتمل امرين يجوز ان يكون صفة مصدر محذوف تقديره يقضي القضاء. الحق او يقض القصص الحق ويجوز ان يكون مفعولا به مثل يفعل الحق كقوله

وعليها مسرودتان قضاها داود او صنع السوابغ تبع

﴿ اللغة ﴾

البينة الدلالة التي تفصل بين الحق والباطل والبيان هو الدلالة وقيل هو العلم بالحادث والاستعجال طلب الشيء

في غير وقته والحكم فصل الامر على التام

✽ الاعراب ✽

يقال لم قال كذبتهم به والبيئة مؤنثة قيل لان البيئة بمعنى البيان فالهاء كناية عن البيان عن الزجاج وقيل كناية عن الرب في قوله ربي وقوله كذبتهم قد مضى معه لانه في موضع الحال والحال لا يكون بالفعل الماضي الا ومعه قدما مظهرة او مضرة

✽ المعنى ✽

للامر النبي (ص) بان يتبرأ مما يعبدونه عقب ذلك سبحانه بالبيان انه على حجة من ذلك وبيئة وانه لا بيئة لهم فقال (قل) يا محمد هؤلاء الكفار (اني على بيئة من ربي) اي على امر بين لا متبع لهوى عن الزجاج وقال الحسن البيئة النبوة اي على نبوة من جهة ربي وقيل على حجة من معجزة دالة على نبوتي وهي القرآن عن الجياثي وقيل على يقين من ربي عن ابن عباس (وكذبتهم به) اي بما أتيتكم به من البيان يعني القرآن (ما عندي) اي ليس عندي (ما تستعجلون به) قيل معناه الذي تطلبونه من العذاب كلوا يقولون يا محمد اتنا بالذي تعدنا وهذا كقوله ويستعجلونك بالعذاب عن ابن عباس والحسن وقيل هي الآيات التي اقترحوا عليه استعجلوه بها فاعلم الله تعالى ان ذلك عنده فقال (ان الحكم الا لله) يريد ان ذلك عند ربي وعن ابن عباس يعني ليس الحكم في الفصل بين الحق والباطل وفي انزال الآيات الا لله (يقص الحق) اي يفضل الحق من الباطل ويقص الحق اي يقوله ويخبر به (وهو خير الفاصلين) لانه لا يظلم في قضاياه ولا يجور عن الحق وهذا يدل على بطلان قول من يزعم ان الظلم والقبايح بقضائه لان من المعلوم ان ذلك كله ليس بحق (قل) يا محمد هؤلاء الكفار (لو ان عندي) اي برأبي وإرادتي (ما تستعجلون به) من انزال العذاب بكم (لقضي الامر بيني وبينكم) اي لفرغ من الامر بان اهلككم فاستريح منكم غير ان الامر فيسه الى الله تعالى (والله اعلم بالظالمين) ويوقت عذابهم وما يصلحهم وفي هذا دلالة على انه سبحانه انما يؤخر العقوبة لضرب من المصلحة اما لان يؤمنوا او لغير ذلك من المصالح فهو يدبر ذلك على حسب ما تقتضيه الحكمة

قوله تعالى (٥٩) وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٦٠) وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ آيَاتَانِ

✽ اللفظة ✽

المفاتيح اجمع مفتاح فالمفتح بالكسر المفتاح الذي يفتح به والمفتح بفتح الميم الخزانة وكل خزانة كانت لصنف من الاشياء فهو مفتاح قال الفراء في قوله ان مفاتيحه لتنزل بالعصبة يعني خزائنه والتوفي قبض الشيء على التام يقال توفيت الشيء واستوفيته بمعنى والجرح العمل بالجراحة والاجتراح الاكتساب

✽ الاعراب ✽

ولاحبة تقديره ولا تسقط من حبة ثابتة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس وقوله الا في كتاب مبين الجار والمجرور في موضع الرفع لانه خير الابتداء تقديره الا هو في كتاب مبين ولا بد من هذا التقدير لانه لو لم يكن محمولا على هذا لوجب ان لا يعلمها في كتاب مبين وهو سبحانه يعلم ذلك في كتاب مبين والاستثناء منقطع

المعنى

لما ذكر سبحانه انه اعلم بالظالمين بين عقبيه انه لا يخفى عليه شيء من الغيب ويعلم اسرار العالمين فقال (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو) معناه وعنده خزائن الغيب الذي فيه علم العذاب المستعجل به وغير ذلك لا يعلمها احد الا هو او من اعلمه به وعلمه اياه وقيل معناه وعنده مقدرات الغيب يفتح بها على من يشاء من عبادته بالعلم به وتعليمه اياه وتيسيره السبيل اليه ونصبه الأدلة له ويفلق عن من يشاء بأن لا ينصب الأدلة له وقال الزجاج يريد عنده الوصلة الى علم الغيب وكل ما لا يعلم اذا استعلم يقال فيه افتح علي وقال ابن عمر مفاتيح الغيب خمس ثم قرأ ان الله عنده علم الساعة الآية وقال ابن عباس معناه وعنده خزائن الغيب من الارزاق والاعمار وتأويل الآية ان الله تعالى عالم بكل شيء من مبتدآت الامور وعواقبها فهو يعجل ما تعجله اصوب واصلاح ويؤخر ما تأخيره اصوب واصلاح وانه الذي يفتح باب العلم لمن يريد من الانبياء والاولياء لانه لا يعلم الغيب سواه ولا يقدر احد ان يفتح باب العلم به للعباد الا الله (ويعلم ما في البر والبحر) من حيوان وغيره وقال مجاهد البر القفار والبحر كل قرية فيها ماء (وما تسقط من ورقة الا يعلمها) قال الزجاج المعنى انه يعلمها ساقطة وثابتة وانت تقول ما يجيئك احد الا وانا اعرفه فليس تأويله الا وانا اعرفه في حال مجيئه فقط وقيل يعلم ما سقط من ورق الاشجار وما بقي ويعلم كم انقلبت ظهراً لبطن عند سقوطها (ولا حبة في ظلمات الارض) معناه وما تسقط من حبة في باطن الارض الا يعلمها وكنى بالظلمة عن باطن الارض لانه لا تدرك كما لا يدرك ما حصل في الظلمة وقال ابن عباس يعني تحت الصخرة في اسفل الارضين السبع او تحت حجر او شيء (ولا رطب ولا يابس) قد جمع الاشياء كلها في قوله ولا رطب ولا يابس لأن الاجسام كلها لا تخلو من احد هذين وهو بمنزلة قولك ولا مجتمع ولا مفترق لأن الاجسام لا تخلو من ان تكون مجتمعة او متفرقة وقيل يريد ما ينبت وما لا ينبت عن ابن عباس وعنه ايضا ان الرطب الماء واليابس البادية وقيل الرطب الحلي واليابس الميت وروي عن ابي عبد الله (ع) انه قال الورقة السقط والحبة الولد وظلمات الارض الارحام والرطب ما يجيا واليابس ما يفض (الا في كتاب) معناه وهو مكتوب في كتاب (مبين) اي في اللوح المحفوظ ولم يكتبها في اللوح المحفوظ ليحفظها ويدرسها فإنه كان عالماً بها قبل ان كتبها ولكن ليعارض الملائكة الحوادث على ممر الأيام بالمكتوب فيه فيجدونها موافقة للمكتوب فيه فيزدادون علماً ويقينا بصفات الله تعالى وايضا فإن المكلف اذا علم ان اعماله مكتوبة في اللوح المحفوظ تطالعها الملائكة قويت دواعيه الى الافعال الحسنة وترك القبائح وقال الحسن هذاتو كهد في الزجر عن المعاصي والحث على البر لأن هذه الاشياء التي لا ثواب فيها ولا عقاب اذا كانت محصاة عنده محفوظة فالاعمال التي فيها الثواب والعقاب اولى بالحفظ وقيل ان قوله في كتاب مبين معناه انه محفوظ غير منسي ولا مغفول عنه كما يقول القائل لغیره ما تصنعه عندي مسطور مكتوب وانا يريد بذلك انه حافظ له يريد مكافأته عليه وانشد « ان سلمى عندنا ديوانا » عن البلخي قال الجرجاني صاحب النظم تم الكلام عند قوله ولا يابس ثم استأنف خبراً آخر بقوله الا في كتاب مبين يعني وهو في كتاب مبين ايضاً لانه لو جعلت قوله الا في كتاب مبين متصلاً بالكلام الأول لفسد المعنى ولما نبه سبحانه بهذه الآية على انه عالم لذاته من حيث انه لو كان عالماً بعلم لوجب احداث ثلاثة اشياء كلها فاسدة اما ان يكون له علوم غير متناهية واما ان يكون معوماته متناهية أو يتعلق علم

واحد بمعلومات غير منتهية وكلها باطل بالدليل انه في الآية التي تليها على انه قادر لذاته من حيث انه قادر على الاحياء والاموات فقال (وهو الذي يتوفاكم بالليل) اي يقبض ارواحكم عن التصرف عن ابن عباس وغيره واختاره علي بن عيسى وقيل معناه يقبضكم بالنوم كما يقبضكم بالموت فيكون كقوله الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها الآية عن الزجاج والجبائي (ويعلم ما جرحتم بالنهار) اي ما كسبتم من الاعمال على التفصيل بالنهار على كثرته وكثرتكم وفيه اشارة الى رحمة حيث يعلم مخالفتهم اياه ثم لا يعاجلهم بعقوبة ولا يمنهم فضله ورحمته (ثم يبعثكم فيه) اي يبعثكم من نومكم في النهار عن الزجاج والجبائي جعل انتباههم من النوم بعثا (ليقضى أجل مسمى) معناه لتستوفوا آجالكم وترتيب الآية وهو الذي يتوفاكم بالليل ثم يبعثكم في النهار على علم بما تجتروحون بالنهار ليقضى اجل مسمى فاللام تتصل بقوله ثم يبعثكم فيه الا انه قدم ما من أجله بعثا بالنهار لانه اهم والعناية به اشد عن علي بن عيسى ومعنى القضاء فصل الامر على تمام ومعنى قضاء الأجل فصل مدة العمر من غيرها بالموت وفي هذا حجة على الشاة الثانية لأن منزلتها بعد الاولى كمنزلة اليقظة بعد النوم في أن من قدر على احدها فهو قادر على الآخر (ثم اليه مرجعكم) يريد اذا تمت المدة المضروبة لكل نفس نقله الى الدار الآخرة ومعنى اليه الى حكمه وجزائه والى موضع ليس لاحد سواه فيه امر (ثم يبعثكم) يخبركم (بما كنتم تعملون) اي بما غفلتم عنه من اعمالكم وفي هذه الآية دلالة على البعث والاعادة نبه الله سبحانه على ذلك بالنوم واليقظة فإن كلا منها لا يقدر عليه غيره تعالى فأما ما يصح اعادته من الأشياء فالصحيح من مذهب أهل العدل فيه ان يكون الشيء من فعل القديم سبحانه القادر لذاته وأن يكون مما يبقى وأن لا يكون مما يتولد عن سبب

قوله تعالى (٦١) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ (٦٢) ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ (آيتان)

✽ القراءة ✽

قرأ حمزة وحده توفاه والباقون بالثناء وقرأ الاعرج يفرطون في الشواذ

✽ الحجة ✽

حجة من قرأ بالثناء قوله فقد كذبت رسل وقالت رسلهم وحجة حمزة انه فعل متقدم مسند الى مؤنث غير حقيقي وإنما التأنيث للجمع فهو مثل وقال نسوة وان كانت الكتابة في المصحف بالياء فليس ذلك بخلاف لأن الألف المائلة قد كتبت بياء وقراءة الاعرج من افراط في الأمر اذا زاد فيه وقراءة العامة من فرط في الأمر اذا قصر فيه فهو بمعنى لا يقصرون فيما يؤمرون به من توفي من تحضره منيته وذلك بمعنى لا يزيدون على ذلك ولا يتوفون الا من أمروا بتوفيه ونظيره قوله وكل شيء عنده بمقدار

✽ المعنى ✽

ثم زاد سبحانه في بيان كمال قدرته فقال (وهو القاهر فوق عباده) معناه والله المقدر المستعلي على عباده الذي هو فوقهم لا بمعنى انه في مكان مرتفع فوقهم وفوق مكانهم لأن ذلك من صفة الاجسام والله تعالى

مترزه عن ذلك ومثله في اللغة أمر فلان فوق أمر فلان اي هو اعلى أمراً وأنفذ حكماً ومثله قوله يد الله فوق أيديهم فالمراد به انه اقوى وأقدر منهم وانه القاهر لهم ويقال هو فوقه في العلم اي اعلم منه وفوقه في الجود اي اجود فمير عن تلك الزيادة بهذه العبارة للبيان عنها (ويرسل عليكم حفظة) عطف على صلة الألف واللام في القاهر وتقديره وهو الذي يقهر عباده ويرسل عليكم حفظة اي ملائكة يحفظون أعمالكم ويحفظونها عليكم ويكتبونها وفي هذا لطف للعباد لينزجروا عن المعاصي اذا علموا ان عليهم حفظة من عند الله يشهدون بها عليهم يوم القيامة (حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته) اي تقبض روحه (رسلنا) يعني اعوان ملك الموت عن ابن عباس والحسن وقتادة قالوا وانما يقبضون الارواح بأمره ولذلك أضاف التوفي اليه في قوله قل يشوفاكم ملك الموت وقال الزجاج يريد بالرسول هو لاء الحفظة فيكون المعنى يرسلهم للحفظ في الحياة والتوفية عند مجيئ المات وحتى هذه هي التي تقع بعدها الجملة (وهم لا يفرطون) اي لا يضيعون عن ابن عباس والسدي وقيل لا يغفلون ولا يتوانون عن الزجاج قال ومعنى التفريط تقدمه العجز فالمعنى انهم لا يعجزون ثم بين سبحانه ان هؤلاء الذين تتوفاهم رسله يرجعون اليه فقال (ثم ردوا الى الله) اي الى الموضع الذي لا يملك الحكم فيه الا هو (مولاهم الحق) قد مر معناه عند قوله أنت مولانا والحق اسم من اسماؤه الله تعالى واختلف في معناه فقيل المعنى ان أمره كانه حق لا يشوبه باطل وجد لا يجاوره هزل فيكون مصدراً وصف به نحو قولهم رجل عدل وفي قول زهير

متى يشتجر قوم يقل سروانهم هم يئتنا فهم رضا وهم عدل

وقيل ان الحق بمعنى المحق كما قيل غياث بمعنى مغيث وقيل ان معناه الثابت الباقي الذي لا فناء له وقيل معناه ذو الحق يريد ان افعاله وأقواله حق (ألا له الحكم) اي القضاء فيهم يوم القيامة لا يملك الحكم في ذلك اليوم سواه كما قد يملك الحكم في الدنيا غيره بتعليكه إياه (وهو اسرع الحاسبين) اي اذا حاسب فحسابه سريع وقد مضى معناه في سورة البقرة عند قوله سريع الحساب وروي عن أمير المؤمنين علي (ع) انه سئل كيف يحاسب الله الخلق ولا يروونه قال كما يرزقهم ولا يروونه وروي انه سبحانه يحاسب جميع عباده على مقدار حلب شاة وهذا يدل على انه لا يشغله محاسبة أحد عن محاسبة غيره ويدل على انه سبحانه يتكلم بلا لسان ولهوات ليصح ان يحاسب الجميع في وقت واحد

قوله تعالى (٦٣) قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنَ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٤) قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ (آيتان)

✽ القراءه ✽

قرأ ابو بكر عن عاصم خفية بكسر الخاء هنا وفي الاعراف والباقون خفية بالضم وقرأ قل من ينجيكم خفيفة يعقوب وسهل وقرأ الباقر ينجيكم وقرأ اهل الكوفة لئن انجانا من هذه بالالف الا ان عاصماً قرأ بالتفخيم والباقون باللام وقرأ غيرهم من القراء لئن انجيتنا وقرأ اهل الكوفة وابو جعفر ومشام عن ابن عامر قل الله ينجيكم بالتشديد والباقر ينجيكم بالتخفيف

الحجة

أما خفية فإن ابا عبيدة قال خفية أي تخفون في انفسكم وحكى غيره خفية وخفية لفتان وأما خيفة ففعلته من الخوف انقلبت الياء عن الواو للكسرة قال

فلا تعدن على زخة وتضمير في القلب وحدا وخيفا

وهو جمع خيفة وأما قوله ينجيكم فإنهم قالوا نجا زهد فإذا نقل الفعل حسن نقله بالهمزة كما حسن نقله بالتضعيف وفي التنزيل فأنجاه الله من النار فأنجيناها والذين آمنوا وفيه ونجينا الذين آمنوا فاستوى القراءتان في الحسن فأما من قرأ أنجانا فإنه حمله على الغيبة لأن ما قبله تدعونه وما بعده قل الله ينجيكم وكلاهما للغيبة ومن قرأ لئن أنجيتنا فإنه واجبه بالخطاب ولم يراع من المشاكاة ما راعاه الكوفيون

* الأعراب *

تدعونه في موضع نصب على الحال تقديره قل من ينجيكم داعين وقائلين لئن أنجيتنا تضرعا نصب بأنه حال ايضاً من تدعونه وكذلك خفية والمعنى تدعونه مظهرين الضراعة ومضمرين الحاجة اليه او معلنين ومسررين

* المعنى *

ثم عاد سبحانه الى حجاج الكفار فقال (قل) يا محمد لهؤلاء الكفار (من ينجيكم) اي يخلصكم ويسلمكم (من ظلمات البر والبحر) اي من شوائدها واهوالها عن ابن عباس قال الزجاج العرب تقول لليوم الذي تلقى فيه شدة يوم مظلم حتى انهم يقولون يوم ذو كواكب اي قد اشتدت ظلمته حتى صار كالليل وانشد

بني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوم ذو كواكب اشهب

وقال آخر

فدى لبني ذهل بز شيبان ناقتي اذا كان يوماً ذا كواكب اشنعنا

وقال غيره اراد ظلمة الليل وظلمة الغيم وظلمة التيه والحيرة في البر والبحر فجمع لفظه ليدل على معنى الجمع (تدعونه) اي تدعون الله عند معاينة هذه الاهوال (تضرعا وخفية) اي علانية وسرا عن ابن عباس والحسن وقيل معناه تدعونه مخلصين تضرعا بالستكم وخفية في انفسكم وهذا اظهر (لئن أنجيتنا) اي في اي شدة وقستم قلم لئن أنجيتنا من هذه لشكونن من الشاكرين (لأنعامك علينا وهذا يدل على ان السنة في الدعاء التضرع والاشفاق وقد روي عن النبي (ص) انه قال خير الدعاء الحفي وخير الرزق ما يكفي ومر يقوم رفوعا اصواتهم بالدعاء فقال انكم لا تدعون أصم ولا غابيا وانما تدعون سمياً قريباً (قل) يا محمد (الله ينجيكم) اي ينعم عليكم بالنجاة والفرج ويخلصكم منها اي من هذه الظلمات (ومن كل كرب) اي ويخلصكم الله من كل غم (ثم انتم تشركون) بالله تعالى بعد قيام الحجة عليكم ما لا يقدر على الإنجاء من كل كرب وان خف

قوله تعالى (٦٥) قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ أَوْ يُبَدِّلَ سَمِعَكُمُ سَمِعًا وَيُبَدِّقَ بَعْضَكُمْ بِأَسْبَعْضٍ أَنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (آية)

* اللغة *

لبست عليهم الامر البسه اذا لم يبينه وخالطت بعضه ببعض ولبست الثوب البسه واللبس اختلاط الامر واختلاط الكلام ولا بست الامر خالطته والشيء الفرق وكل فرقة شيعة على حدة وشيعت فلان اتبعته والتشيع هو الاتباع

على وجه التدوين والولاء للمتبعين والشيعية صارت في العرف اسما لمتبعي أمير المؤمنين علي (ع) على سبيل الاعتقاد لإمامته بعد النبي (ص) بلا فصل من الإمامية والزيدية وغيرهم ولا يقع إطلاق هذه اللفظة على غيرهم من المتبعين سواء كان متبعوهم محقا أو مبطلا إلا أن يسقط عنه لام التعريف ويضاف بلفظ من للتبعيض فيقال هؤلاء شيعة بني العباس أو شيعة بني فلان

✽ المعنى ✽

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من الحجج التي حاج به الكافرين ونبه على الاعتذار والانذار فقال (قل يا محمد هؤلاء الكفار) هو القادر على أن يبعث (أي يرسل) عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم) قيل فيه وجوه **أحدها** أن عذابا من فوقكم عنى به الصيحة والحجارة والطوفان والرياح كما فعل بعاد وعود وقوم شعيب وقوم لوط أو من تحت أرجلكم عنى به الحسف كما فعل بقارون عن سميد ابن جبير ومجاهد **وثانيها** أن المراد بقوله من فوقكم أي من قبل كباركم أو من تحت أرجلكم من سفلكم عن الضحاك **وثالثها** أن من فوقكم السلاطين الظلمة ومن تحت أرجلكم العبيد السوء ومن لا خير فيه عن ابن عباس وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) (أو يلبسكم شيئا) أي يخلطكم فرقا مختلفي الأهواء لا تكونون شيعة واحدة وقيل هو أن يكلمهم إلى أنفسهم فلا يلفظ لهم اللطف الذي يؤمنون عنده ويخيلهم من الطافة بذنوبهم السائفة وقيل عنى به يضرب بعضهم ببعض بما يلقيه بينهم من العداوة والعصية وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) (ويذيق بعضهم بأس بعض) أي قتال بعض وحرب بعض ومعناه يقتل بعضهم بعضا حتى يفني بعضهم بعضا كما قال وكذاك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وقيل هو سوء الحوار عن أبي عبد الله (ع) وقال الحسن التهديد بانزال العذاب والحسف يتناول الكفار وقوله أو يلبسكم شيئا يتناول أهل الصلاة وقال قال رسول الله (ص) سألت ربي أن لا يظهر على أمتي أهل دين غيرهم فأعطاني وسألته أن لا يهلكهم جوعا فأعطاني وسألته أن لا يجمعهم على ضلالة فأعطاني وسألته أن لا يلبسهم شيئا فمضني وفي تفسير الكلبي أنه لما نزلت هذه الآية قام النبي (ص) فتوضأ وأسبغ وضوءه ثم قام وصلى فأحسن صلاته ثم سأله الله سبحانه أن لا يبعث على أمته عذابا من فوقهم ولا من تحت أرجلهم ولا يلبسهم شيئا ولا يذيق بعضهم بأس بعض فنزل جبرائيل (ع) فقال يا محمد إن الله تعالى سمع مقاتلك وإنه قد أجارهم من خصلتين ولم يجرحهم من خصلتين يا جبرائيل ما بقاء أمتي مع قتل بعضهم بعضا فقام وعاد إلى الدعاء فنزل ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنوننا إلا بتين فقال لا بد من فتنة تبلي بها الأمة بعد نبيها يتبين الصادق من الكاذب لأن الوحي انقطع وبقي السيف واقتراقت الكلمة إلى يوم القيامة وفي الخبر أنه صلى الله عليه وآله قال إذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة وقال أبي بن كعب سيكون في هذه الأمة بين يدي الساعة خسف وقذف ومسح ثم أكد سبحانه الاحتجاج عليهم بقوله (انظر كيف نصرنا) أي انظر يا محمد كيف زدد الآيات ونظيرها مرة بعد أخرى بوجوه ادلتها حتى تزول الشبه (اعلمهم بفتنهم) أي لكي يعلموا الحق فيفتبره والباطل فيجتنبه وإذا كان البعث في الآية محمولا على التسليط فالمراد به التمكين ورفع الحيلولة دون أن يفعل سبحانه ذلك أو يأمر به تعالى الله عن ذلك وفي هذه الآية دلالة على أنه سبحانه قادر على ما المعلوم أنه لا يفعله

قوله تعالى (٦٦) وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (٦٧) لِكُلِّ

نَبِيٍّ مُسْتَقَرٍّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ آيتان كوفي وآية واحدة عند غيرهم

* المعنى *

لما ذكر سبحانه تصرف الآيات قال عقيب ذلك (وكذب به) أي بما تصرف من الآيات عن الجبائي والبلخي وقال الأزهرى الماء يعود إلى القرآن وهو قول الحسن وجماعة (قومك) يعني قريشا والعرب (وهو الحق) أي القرآن أو تصرف الآيات حق بمعنى أنه يدل على الحق أو إن ما فيه حق ثم بين سبحانه أن عاقبة تكذيبهم يعود عليهم فقال (قل) يا محمد (لست عليكم بوكيل) أي لم أوامر بئسكم من التكذيب بآيات الله وإن حفظكم من ذلك واحول بينكم وبينه لأن الوكيل على الشيء هو القائم بحفظه والذي يدفع الضرر عنه عن الجبائي وقيل معناه لست بحافظ لأعمالكم لأجازيكم بها إنا أنا منذر والله سبحانه هو المجازي عن الحسن وقيل معناه لم أوامر بحربكم ولا اخذكم بالإيمان كما يأخذ الموكل بالشيء الذي يلزم بلوغ آخره عن الزجاج (لكل نبا مستقر) أي لكل خير من أخبار الله ورسوله حقيقة كائنة إما في الدنيا وإما في الآخرة عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه لكل خبر قرار على غاية ينتهي إليها ويظهر عندها قال السدي استقر يوم بدر ما كان يعدم من العقاب وسمي الوقت مستقرا لأنه ظرف للفعل الواقع فيه وقيل معناه لكل عمل مستقر عند الله حتى يجازي به يوم القيامة عن الحسن (وسوف تعلمون) فيه وعيد وتهديد لهم أما بعذاب الآخرة وأما بالحرب واخذهم بالإيمان شاءوا أو أبوا وتقديره وسوف تعلمون ما يحل بكم من العذاب وحذف لدلالة الكلام عليه

قوله تعالى (٦٨) وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٦٩) وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَئِنْ ذُكِّرْتُمْ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (آياتان)

* القراءة *

قرأ ابن عامر وحده ينسينك بالتشديد والباقون ينسينك بالتخفيف

* الحجة *

حجة من خفف قوله وما انسانيه إلا الشيطان وحجة ابن عامر أنه يجوز نقل الفعل بتضعيف العين كما يجوز نقله بالهمزة كما يقال عزمته واعزمته

* الاعراب *

ذكرى يجوز أن يكون في موضع نصب على معنى ولكن ذكرىم ذكرىم ويجوز أن يكون في موضع رفع على أحد وجهين إما أن يكون على معنى ولكن الذي تأمرونهم به ذكرىم فيكون خبر المبتدأ وأما أن يكون عليكم ذكرىم أي عليكم أن تذكروهم كما قال إن عليك إلا البلاغ وعلى هذا فيكون ذكرىم مبتدأ

* النزول *

قال أبو جعفر (ع) لما نزلت فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين قال المسلمون كيف نضع إن كان كلما استهزأ المشركون بالقرآن قمنا وتركناهم فلا ندخل إذا المسجد الحرام ولا نطوف بالبيت الحرام فأنزل الله سبحانه وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء أمرهم بتذكيرهم وتبصيرهم ما استطاعوا

* المعنى *

ثم أمر سبحانه بترك مجالستهم عند استهزائهم بالقرآن فقال (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا) خاطب النبي (ص) أي إذا رأيت هؤلاء الكفار وقيل الخطاب له والمراد غيره ومعنى يخوضون يكذبون بآياتنا وديننا

عن الحسن وسعيد بن جبير والخوض التخليط في المفاوضة على سبيل العبث واللب وتترك التفهم والتبيين (فاعرض عنهم) اي فاتركهم ولا تجالسهم (حق يخوضوا في حديث غيره) اي يدخلوا في حديث غير الاستهزاء بالقرآن وإنما امره (ص) بالاعراض عنهم لان من حاج من هذه حاله فقد وضع الشيء غير موضعه وحط من قدر البيان والحجاج (واما ينسينك الشيطان) المعنى وان انسائك الشيطان نهينا اياك عن الجلوس معهم ويسأل على هذا فيقال كيف اضاف النسيان إلى الشيطان وهو فعل الله تعالى والجواب إنما اضافه إلى الشيطان لانه تعالى اجرى العادة بفعل النسيان عند الاعراض عن الفكر وتراكم الخواطر الردية والرساوس الفاسدة من الشيطان فجاز اضافة النسيان اليه لما حصل عند فعله كما ان من القى غيره في البرد حتى مات فإنه يضاف الموت اليه لانه عرضة لذلك وكان كالسبب فيه (فلا تقعد بعد الذكري) اي بعد ذكرك نهينا وما يجب عليك من الاعراض عن الجبائي وقيل معناه بعد ان تذكرهم بدعائك اياهم الى الدين عن ابي مسلم فكانه قال اعرض في حال اليأس وذكر في حال الطمع (مع القوم الظالمين) يعني في مجالس الكفار والفساق الذين يظهرون التكذيب بالقرآن والآيات والاستهزاء بذلك وبه قال سعيد بن جبير والسدي واختاره البلخي وقال كان ذلك في اول الإسلام وكان يختص النبي (ص) ورخص للمؤمنين في ذلك ثم لما عز الإسلام وكثر المسلمون نهوا عن مجالستهم ونسخت هذه الآية بقوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم قال الجبائي وفي هذه الآية دلالة على بطلان قول الإمامية في جواز التقيية على الانبياء والأئمة وأن النسيان لا يجوز على الانبياء وهذا القول غير صحيح ولا مستقيم لأن الإمامية إن اتجوز التقيية على الأئمة في ما تكون عليه دلالة قاطعة توصل إلى العلم ويكون المكلف مزاح العلة في تكليفه ذلك فاما ما لا يعرف إلا لقول الإمام من الاحكام ولا يكون على ذلك دليل إلا من جهته فلا يجوز عليه التقيية فيه وهذا كما إذا تقدم من النبي بيان في شيء من الاشياء الشرعية فإنه يجوز منه ان لا يبين في حال اخرى لامته ذلك الشيء إذا اقتضته المصلحة الا ترى إلى ما روي ان عمر بن الخطاب سأله عن الكلاله فقال يكفيك آية السيف واما النسيان والسهو فلم يجوزوها عليهم فيما يؤدونه عن الله تعالى فاما ما سواه فقد جوزوا عليهم ان ينسوه او يسهوا عنه ما لم يؤد ذلك إلى اخلال بالعقل وكيف لا يكون كذلك وقد جوزوا عليهم النوم والاغيا وها من قبل السهو فهذا ظن منه فاسد وان بعض الظن اثم (وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء) اي ليس على المؤمنين الذين اتقوا معاصي الله سبحانه من حساب الكفرة شيء بحضورهم مجلس الخوض (ولكن ذكرى لعلمهم يتقون) اي لهوا عن مجالستهم ليزدادوا تقى وامروا ان يذكروهم وينبهوهم على خطاياهم لكي يتقي المشركون إذا رأوا اعراض هؤلاء المؤمنين عنهم وتركهم مجالستهم فلا يعودون لذلك عن اكثر المفسرين وقيل معناه ليس على المتقين من الحساب يوم القيامة مكروه ولا تبعة ولكنه اعلمهم انهم محاسبون وحكمهم بذلك عليهم لكي يعلموا ان الله يحاسبهم فيتقوا عن البلخي فالها والميم على الوجه الاول يعود إلى الكفار وفي الثاني إلى المؤمنين

قوله تعالى (٧٠) وَذُرِّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَاطِلِهِمْ وَلَهُمْ وَأَغْرَثَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ يُسَلَّ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَّلَ كُلٌّ عَدَلًا لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (آية)

✽ اللغة ✽

يقال ابسلته بجر يوتيه اي اسلمته بها والمستبسل المستسلم الذي يعلم انه لا يقدر على التخلص قال الشاعر

وابسالي بنى بغير جرم بعوناه ولا بدم تراق

اي اسلامي اياهم والبعو الجنابة قال الاخفش تبسل اي تجازي وقيل تبسل اي ترهن والمعاني متقاربة وهذا بسل عليك أي حرام عليك وجائز أن يكون اسد باسل من هذا اي انه لا يقدر عليه وجائز أن يكون مسن الأول بمعنى ان معه من الاقدام ما يستبسل له قرنه ويقال اعط الرائي بسلته اي اجرته وتأويله انه عمل في الشيء الذي قد استبسل صاحبه معه والعدل الفداء وأصله المثل والحميم الماء الحار احم حتى انتهى غليانه ومنه الحمام

✽ الإعراب ✽

أن تبسل في موضع نصب بأنه مفعول له وهو من باب حذف المضاف تقديره كراهية أن تبسل وقوله ليس لها من دون الله صفة لنفس والتقدير نفس عادمة وايا وشفيها يكسبها أو لك الذين ايسلوا مبتدأ وخبر وقوله لهم شراب من حميم يجوز أن يكون خبرا ثانيا لا أولئك ويجوز أن يكون كلاما مستأنفا

✽ المعنى ✽

ثم عاد تعالى إلى وصف من تقدم ذكرهم من الكفار فقال (وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا) اي دعهم واعرض عنهم وإنما أراد به اعراض انكار لأنه قال بعد ذلك وذكر يريد دع ملاطفتهم ومجالستهم ولا تدع مذاكرتهم ودعوتهم ونظيره في سورة النساء فأعرض عنهم وعظهم (وغرتهم الحياة الدنيا) يعني به اغتروا بجياتهم (وذكر به) أي عظ بالقرآن وقيل بيوم الدين وقيل بالحساب (أن تبسل نفس بما كسبت) أي لكي لا تسلم نفس للهلكة بما كسبت أي بما عملت عن الحسن ومجاهد والسدي واختاره الجبائي والفراء وقيل ان معنى تبسل تهلك عن ابن عباس وقيل تجبس عن قتادة وقيل تؤخذ عن ابن زيد وقيل تسلم إلى خزنة جهنم عن عطية العوفي وقيل تجازي عن الأخفش (ليس لها من دون الله ولي) أي ناصر ينجيها من العذاب (ولا شفيع) يشفع لها (وأن تعدل كل عدل) وإن تعد كل فداء (لا يؤخذ منها) وقيل معناه وان تقسط كل قسط في ذلك اليوم لا يقبل منها لأن التوبة هناك غير مقبولة وإنما تقبل في الدنيا (أو لك الذين ايسلوا) اي اهلكوا وقيل اسلموا للهلكة فلا مخلص لهم وقيل ارتهنوا وقيل جوزوا (بما كسبوا) اي بكسبهم وعملهم (لهم شراب من حميم) أي ماء مغلي حار (وعذاب أليم) مؤلم (بما كانوا يكفرون) اي بكفرهم يريد جزاء على كفرهم واختلف في الآية فقيل هي منسوخة بآية السيف عن قتادة وقيل ليست بمنسوخة وإنما هي تهديد ووعد عن مجاهد وغيره وفيها دلالة على الوعيد العظيم لمن كانت هذه سبيله من الاستهزاء بالقرآن وبآيات الله وتحذير عن سلوك طريقته وقال الفراء ما من امة إلا ولهم ميد يلعبون فيه ويلهون إلا امة محمد (ص) فلن اعيادهم صلاة ودعاء وعبادة

قوله تعالى (٧١) قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أُمَّتِنَا قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمِرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (آية)

✽ القراءة ✽

قرأ حمزة وحده استهويه بالف بمالة والباقرن استهوته بالتاء المعجمة من فرق

✽ الحجة ✽

قال ابو علي كلا المذهبين حسن قال الشاعر

وكننا ورثناه على عهد تبع

طويلا سواريه شديدا دعائه

❖ اللغة ❖

استهواه من قولهم هوى من حائق إذا تردى منه ويشبه به الذي زل عن الطريق المستقيم كما ان قوله زل إنما هوى في المكان قال (قام على منزعة زلخ فزل) ثم يشبه به المخطى في طريقته في مثل قوله فأزلهما الشيطان فكذلك هوى وأهواه غيره فيقال أهويته واستهويته بمعنى كما يقال أزاله الشيطان واسترله بمعنى وكذلك استجابته بمعنى أجابه « قال فلم يستجبه عند ذلك مجيب » والحيران المتردد في امر لا يهتدي إلى المخرج منه والفعل منه حار يحار حيرة ورجل حائر وحيران وقوم حيارى

❖ الاعراب ❖

كالذي استهوته في موضع نصب صفة لمصدر محذوف تقديره اندعو من دون الله دعاء مثل دعاء الذي استهوته الشياطين في الأرض حيران وحيران نصب على الحال من مفعول استهوته له اصحاب وصف حيران ويدعونه صنة لاصحاب اي اصحاب داعون له إلى الهدى قائلون له إئتنا وهاهنا منتهى الكلام وقوله امرنا لنسلم تقول العرب امرتك لتفعل وأمرتك أن تفعل وأمرتك بأن تفعل فمن قال امرتك بأن تفعل فالبا. الإصاق والمعنى وقع الأمر بهذا الفعل ومن قال امرتك ان تفعل حذف الجر ومن قال امرتك لتفعل المعنى امرتك للفعل وقال الزجاج التقدير امرنا كي نسلم قال الشاعر

اريد لا نسي ذكرها فكأننا تمثل لي ليلي بكل سبيل

اي كي أنس

❖ المعنى ❖

ثم امر سبحانه نبيه (ص) والمؤمنين بخطاب الكفار فقال (قل) يا محمد لهؤلاء الكفار الذين يدعون إلى عبادة الأصنام او قل ايها الانسان أو أيها السامع (اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا) ان عبدناه (ولا يضرننا) إن تركنا عبادته (وزد على اعقابنا) هذا مثل يقولون لكل خائب لم يظفر بحاجته رد على عقبيه ونكص على عقبيه وتقديره انرجع القهقري في مشيتنا والمعنى انرجع عن ديننا الذي هو خير الأديان (بعد إذ هدانا الله له كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران) لا يهتدي إلى طريق وقيل معناه استغوته الغيلان في المهامسة عن ابن عباس وقيل معناه دعت الشياطين إلى اتباع الهوى وقيل اهلكته وقيل ذهبت به عن نبطويه وقيل أضلته عن ابي مسلم (له اصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا) أي إلى الطريق الواضح يقولون له إئتنا ولا يقبل منهم ولا يصير اليهم لانه قد تحير لاستيلاء الشيطان عليه يهوى ولا يهتدي ثم امره الله سبحانه فقال (قل) لهؤلاء الكفار (إن هدى الله هو الهدى) اي دلالة الله لنا على توحيد و امر دينه هو الهدى الذي يورثي المستدل به إلى الصلاح والرشاد في دينه وهو الذي يجب ان نعمل عليه ونستدل به فلا نترك ذلك إلى ما تدعون اليه (وامرنا لنسلم رب العالمين) معناه وأمرنا ان نسلم وقيل معناه ان نسلم امرنا ونفوضها إلى الله ونترك كل عليه فيها

قوله تعالى (٧٢) وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوا هُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٧٣) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ آيَاتُ كُوفِي ثَلَاثَ آيَاتٍ فِي الْبَاقِينَ عَدُوا كُنْ فَيَكُونُ آيَةٌ

❖ الاعراب ❖

يحتمل أول الآية وجهين ❖ احدهما ❖ ان يكون التقدير امرنا لان نسلم ولان نقيم الصلاة ❖ والثاني ❖

أن يكون محمولا على المعنى لأن معناه امرنا بالإسلام وبإقامة الصلاة وموضع ان نصب لأن الباء لما سقطت
افضى الفعل فنصب عالم الغيب رفع لانه نعت الذي في قوله وهو الذي خلق السماوات والارض ويحتمل ان يكون
فاعل فعل يدل عليه الفعل المبني للمفعول به وهو قوله ينفخ في الصور وهذا كما يقولون اكل طعامك عبد الله
والتقدير أكله عبد الله قال الشاعر

ليبك يزيد ضارع لخصومه
كأنه قيل من يبكيه قال يبكيه ضارع والأول اجود

✽ المعنى ✽

(وان اقيموا الصلاة) هذا موصول بما قبله أي وقيل لنا اقيموا الصلاة (واتقوه) أي واتقوا رب العالمين
أي تجنبوا معاصيه فتقوا عقابه (وهو الذي اليه تحشرون) أي تجمعون اليه يوم القيامة فيجازي كل عامل منكم
بعمله (وهو الذي خلق السماوات والارض بالحق) فيه قولان **✽** احدهما **✽** ان معناه خلقهما للحق
لا للباطل عن الحسن والزجاج وغيرهما ومعناه خلقهما حقا وصوابا لا باطلا وخطأ كما قال وما خلقنا السماء والأرض
وما بينهما باطلا وادخلت الباء والألف واللام كما ادخلت في نظائرها يقولون فلان يقول بالحق بمعنى انه يقول
حقا لا ان الحق معنى غير القول بل تقديره ان خلقهما حكمة وصواب من حكم الله وهو موصوف بالحكمة
في خلقهما وخلق ما سواهما من جميع خلقه لا ان هناك حقا سوى خلقهما خلقهما به والقول الآخر ما قاله قوم
ان معناه خلق السماوات والأرض بكلامه الحق وهو قوله إئتيا طوعا أو كرها فالحق صفة قوله وكلامه والاول
هو الصحيح (ويوم يقول كن فيكون) ذكر في نصب يوم وجوه **✽** احدها **✽** ان يكون عطفا على الهاء
في قوله واتقوه أي واتقوا يوم يقول كن فيكون كما قال سبحانه واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا
✽ والثاني **✽** أن يكون على معنى واذا كر يوم يقول كن فيكون لأن بعده وإذ قال ابراهيم لأبيه
آزر عطفا على ذلك قال الزجاج وهو الأجود **✽** الثالث **✽** أن يكون معطوفا على السماوات والمعنى وهو
الذي خلق السماوات والأرض بالحق وخلق يوم يقول كن فيكون فإذن قيل إن يوم القيامة لم يأت بعد فجوابه ان
ما أنبأ الله بكونه فحقيقة واقع لا محالة وأما قوله كن فيكون فقد قيل فيه انه خطاب للصور والمعنى يوم يقول
للصور كن فيكون وما ذكر من الصور يدل عليه وقيل ان قوله كن فيكون فيه اضمار جميع ما يخلق في ذلك
الوقت المعنى ويوم يقول للشيء كن فيكون وهذا إنما ذكر ليدل على سرعة امر البعث والساعة فكأنه يقول ويوم
يقول للخلق موتوا فيموتون وانتشروا فينتشرون أي لا يتعذر عليه ذلك ولا يتأخر عن وقت إرادته وقيل معناه
ويوم يقول كن فيكون (قوله الحق) أي يأمر فيقع امره أي ما وعدوا به من الثواب وحذروا به من العقاب والحق
من صفة قوله وقوله فاعل يكون كما تقول قد قلت فكان قواك وليس المعنى انك قلت فكان الكلام إنما
المعنى إنه كان ما دل عليه القول وأما على القول المتقدم فيكون قوله مبتدأ والحق خبره وقد ذكرنا تفسير قوله كن
فيكون في سورة البقرة مستقصى (وله الملك يوم ينفخ في الصور) قيل في نصب يوم هنا وجوه **✽** احدها **✽**
ان يكون متعلقا بلام الملك وتقديره ان الملك قد وجب له في ذلك اليوم الذي فيه ينفخ في الصور فقد خص ذلك
اليوم بأن الملك له فيه كما خصه في قوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والوجه فيه انه لا يبقى ملك من ملكه
الله في الدنيا او يغاب عليه بل يتفرد سبحانه بالملك **✽** والثاني **✽** ان يكون يوم ينفخ في الصور مبنيا عن
قوله يوم يقول كن فيكون **✽** والثالث **✽** ان يكون منصوبا بقوله الحق والمعنى قوله الحق يوم ينفخ في الصور
والوجه في اختصاصه بذلك اليوم وإن كان قوله حقا في كل وقت ما بيناه في الوجه الأول وهو مثل قوله والأمر
يومئذ ولا شك أن الأمر في كل وقت لله تعالى والمراد أن ذلك اليوم يوم لا يخالف الله في امره لأنها محتومة ليس

فيها تحييراً ولا يقدر أحد على معصيته وأما الصور فقبل فيه أنه قرن ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام نفختين فتفنى الخلائق كلهم بالنفخة الأولى ويحيون بالنفخة الثانية فتكون النفخة الأولى لانتها الدنيا والثانية لابتداء الآخرة وقال الحسن هو جمع صورة كما أن السور جمع سورة وعلى هذا فيكون معناه يوم ينفخ الروح في الصور ويؤيد القول الأول ما رواه أبو سعيد الخدري عن النبي «ص» أنه قال كيف انعم وقد التقم صاحب القرن والقرن وحنابيينه واصفى سمعه ينتظر أن يؤمر فينفخ قالوا فكيف نقول يا رسول الله قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل والعرب تقول نفخ الصور ونفخ في الصور قال الشاعر

لولا ابن جمدة لم يفتح قهندزكم ولا خراسان حتى ينفخ الصور

(عالم الغيب والشهادة) أي يعلم ما لا يشاهده الخلق وما يشاهدونه وما لا يعلمه الخلق وما يعلمونه لا يخفى عليه شيء من ذلك (وهو الحكيم) في أفعاله (الخبير) العالم بعباده وأفعالهم

قوله تعالى (٧٤) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَيُّهِ آزرَ اتَّخَذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أُرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٧٥) وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (آيتان)

﴿ القراءة ﴾

القراءة الظاهرة آزر بالفتح وقرأ يعقوب الحضرمي آزر بضم الراء وهو قراءة الحسن وابن عباس ومجاهد والضحاك

﴿ الحجة ﴾

من قرأ بالفتح جعل آزر في موضع جر بدلاً من أبيه أو عطف بيان ومن قرأ بالضم جعله منادى مفرداً وتقديره يا آزر

﴿ اللغة ﴾

الاصنام جمع صنم والصنم ما كان صورة والوثن ما كان غير مصور والآلهة جمع إله مثل أزار وأزره والمبين هو البين الظاهر والمكوت بمنزلة الملك غير أن هذا اللفظ ابلغ لأن الواو والتاء تزدان للمبالغة ومثله الرغبوت والرهبوت ووزنه فعولت وفي المثل رهبوت خير من رحموت أي لأن ترهب خير من أن ترحم

﴿ الاعراب ﴾

العامل في إذ محذوف وتقديره واذكر إذ قال وقيل أنه يتصل بقوله بعد إذ هدانا الله أي وبعد إذ قال إبراهيم والكاف في كذلك كاف التشبيه والمعنى كما أرينا إبراهيم قبح ما كان عليه أبوه وقومه من المذهب كذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض للاعتبار وقيل شبه رؤية إبراهيم بروية محمد «ص» والمعنى كما أريناك يا محمد أرينا إبراهيم وقوله وليكون عطف على محذوف وتقديره نرى الملكوت ليستدل به وليكون من الموقنين وقيل أنه جملة مستأنفة أي وليكون من الموقنين أريناه فاللام يتعلق بأريناه المحذوف وقيل إن الواو زائدة ومعناه ليكون وهذا بعيد

﴿ المعنى ﴾

(إذ قال إبراهيم) أي واذكر إذ قال (لأبيه آزر) فيه أقوال ﴿ أحدها ﴾ أنه اسم أبي إبراهيم عن الحسن والسدي والضحاك ﴿ وثانيها ﴾ أن اسم أبي إبراهيم تاريخ قال الزجاج ليس بين النسبين اختلاف أن اسم أبي إبراهيم تاريخ والذي في القرآن يدل على أن اسمه آزر وقيل آزر عندهم ذم في لغتهم كأنه قال وإذ قال إبراهيم لأبيه يا مخطئ فاذا كان كذلك فالاختيار الرفع وجائز أن يكون وصفاً له كأنه قال لأبيه المخطئ وقيل آزر اسم صنم عن سعيد بن المسيب ومجاهد قال الزجاج فاذا كان كذلك فموضعه نصب على اضمار الفعل كأنه قال وإذ قال إبراهيم لأبيه اتَّخَذُ آزرَ وجعل اصناماً بدلاً من آزر واشباهه فقال بعد أن قال اتَّخَذُ آزرَ إليها

اتخذ اصناما آلهة وهذا الذي قاله الزجاج يقوي ما قاله اصحابنا ان آزر كان جد ابراهيم لانه او كان عمه من حيث صح عندهم ان آباء النبي الى آدم كلهم كانوا موردين واجتمعت الطائفة على ذلك وروي عن النبي «ص» انه قال لم يزل ينقلني الله من اصلاب الطاهرين الى ارحام المطهرات حتى اخرجني في عالمكم هذا لم يدنسني بدنس الجاهلية ولو كان في ابائه كافر لم يصف جميعهم بالطهارة مع قوله تعالى إنما المشركون نجس ولهم في ذلك اذلة ليس هنا موضع ذكرها وقوله (اتخذ اصناما آلهة) استفهام المراد به الانكار اي لا تفعل ذلك (إني اراك وقومك في ضلال) عن الصواب (مبين) ظاهر وفي الآية حث للنبي على محاجة قومه الذين دعوه الى عبادة الاصنام والافتداء بأبيه ابراهيم فيه وتسليته له بذلك (وكذلك نري ابراهيم) أي مثل ما وصفناه من قصة ابراهيم وقوله لا ييه ما قال نويه (ملكوت السماوات والارض) اي القدرة التي تقوى بها دلالة على توحيد الله تعالى وقيل معناه كما اريناك يا محمد اربناه آثار قدرتنا فيما خلقنا من الشمس والقمر والنجوم وما في الأرض من البحار والمياه والرياح ليستدل بها وهذا معنى قول ابن عباس وقتادة وقيل يعني بالملكوت آيات السماوات والأرض عن مجاهد وقيل أن ملكوت السماوات والأرض ملكهما بالنبطية عن مجاهد ايضا وقيل أن ملكوت السماوات والارض ما نشاهده من الحوادث الدالة على ان الله سبحانه مالك لهما والله المالك لهما ولكل شي بنفسه لا يملكه سواه فأجرى الملكوت على الملوكة الذي هو في السماوات والأرض مجازا عن ابي علي الجبائي وقال ابو جعفر (ع) كسب الله له عن الأرضين حتى رآهن وما تحتهن وعن السماوات حتى رآهن وما فيهن من الملائكة وحمة العرش وروى ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال لما رأى ابراهيم ملكوت السماوات والأرض رأى رجلا يزني فدعا عليه فمات ثم رأى آخر فدعا عليه فمات ثم رأى ثلاثة فدعا عليهم فماتوا فأوحى الله تعالى يا ابراهيم إن دعوتك مستجابة فلا تدع على عبادي فأني لو شئت ان اميتهم بدعائك ما خلقتهم إني خلقت خلقي على ثلاثة اصناف صنف يعبدني لا يشرك بي شيئا فأثيبه وصنف يعبد غيري فليس يفوتني وصنف يعبد غيري فأخرج من صلبه من يعبدني (وليكون من الموقنين) اي من المتيقنين بأن الله سبحانه هو خالق ذلك والمالك له

✽ النظم ✽

وجه اتصال الآية بما قبلها انه لما عاب دينهم وذم آلهتهم واحتج عليهم بما سلف ذكره بين انه دين ابراهيم وللناس ائمة بدين الآباء لاسيما إذا كان الأب ذا قدر وقيل انها تتصل بقوله اندعو من دون الله مالا ينفعنا إلى قوله بعد إذ هدانا الله ثم قال وبعد ان قال ابراهيم كذا وكذا عن ابي مسلم
قوله تعالى (٧٦) فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب
الآفلين (٧٧) فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لا كُنت من
الضالين (٧٨) فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا كبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء
مما تشركون (٧٩) إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من
المشركين (أربع آيات)

✽ القراءة ✽

قرأ ابو عمرو وورش من طريق البخاري رأى كوكبا بفتح الراء وكسر الهمزة حيث كان قرأ ابن

عامر وحمة والكسائي وخلف ويحيى عن ابي بكر رأى بكسر الراء والمهزة وقرأ الباقون بفتح الراء والمهزة

✽ الحجة ✽

ذكر ابو علي الوجه في قراءة من لم يمل وقراءة من أمال واورد في ذلك كلاما كثيرا تر كذا ذكره خوف الاطالة

✽ اللغة ✽

يقال جن عليه الليل وجنه الليل واجنه الليل اذا اظلم حتى يستر بظلمته ويقال اكل ماستر قد جن وأجن ومنه اشتقاق الجن لأنهم استجنوا عن أعين الناس وقال الهذلي

وماء وردت قبيل الكرى وقد جنَّه السدف الأدم

ويقال اجننت الميت وجنته اذا واربتة في اللحد وأفل يأفل أفولا اذا غاب قال ذو الرمة

مصاييح ليست باللواتي يقودها نجوم ولا بالآفلات الدوالك

والبزوغ الطلوع يقال بزغت الشمس اذا طلعت ويسمى ثلاث ليال من اول الشهر الهلال ثم يسمى قمرا

الى آخر الشهر وإنما يسمى قمراً لبياضه وحمارة اقمرا ابيض والحنيف المائل الى الحق

✽ الاعراب ✽

السؤال يقال لم قال هذا ربي ولم يقل هذه كما قال بازغة والجواب ان التقدير هذا النور الطالع ربي ليكون

الخبر والمخبر عنه جميعا على التذكير كما كان جميعا على التأنيث في رأى الشمس بازغة وقال ابن فضال

المجاشعي قوله رأى الشمس بازغة اخبار من الله تعالى وقوله هذا ربي من كلام ابراهيم والشمس مؤنثة في

كلام العرب وأما في كلام ما سوامم فيجوز ان لا تكون مؤنثة و ابراهيم (ع) لم يكن عربيا فخكى الله تعالى

كلامه على ما كان في لغته ويقال لم أنت الشمس وذكر القمر والجواب ان تأنيثها تفخيم لها لكثرة ضيائها على

حد قولهم نسبة وعلامة وليس القمر كذلك لأنه دونها في الضياء ويقال لم دخلت الألف واللام فيها وهي

واحدة ولم تدخل في زيد وعمر وقيل لأن شعاع الشمس يقع عليه اسم الشمس فاحتيج الى التعريف اذا قصد

الى جرم الشمس او الى الشعاع على طريق الجنس او الواحد من الجنس وليس زيد ونحوه كذلك

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر الآيات التي أراها الله تعالى ابراهيم (ع) بين سبحانه كيف استدل بها وكيف عرف الحق

من جهتها فقال (فلما جن عليه الليل) اي اظلم عليه وستر بظلامه كل ضياء (رأى كوكبا) واختلف في الكواكب

الذي رآه فقيل هو الزهرة وقيل هو المشتري (قال هذا ربي فلما أفل) اي غرب (قال لا أحب الآفلين)

واختلف في تفسير هذه الآيات على اقوال ✽ احدها ✽ ان ابراهيم (ع) إنما قال ذلك عند كمال عقله

في زمان مهلة النظر وخطور الخاطر الموجب عليه النظر بقلبه لأنه (ع) لما أكمل الله عقله وحرك دواعيه

على الفكر والتأمل رأى الكوكب فأعظمه وأعجبه نوره وحسنه وقد كانت قومه يعبدون الكواكب فقال

هذا ربي على سبيل الفكر فلما أفل علم ان الأفل لا يجوز على الآله فاستدل بذلك على انه محدث مخلوق

وكذلك كانت حاله في رؤية القمر والشمس فإنه لما رأى أفولها قطع على حدوثها واستحالة إلهيتها وقال

في آخر كلامه يا قوم اني بري مما تشركون اني وجهي وجهي للذي فطر السماوات والأرض الى آخره

وكان هذا القول منه عقيب معرفته بالله تعالى وعلمه بأن صفات المحدثين لا تجوز عليه وهذا اختيار ابي

القاسم البلخي وغيره قال وزمان مهلة النظر هي اكثر من ساعة وأقل من شهر ولا يعلم ما بينها الا الله تعالى
 * وثانيها * انه إنما قال ذلك قبل بلوغه ولما قارب كمال العقل حر كنه الخواطر فيما شاهده من هذه
 الحوادث فلما رأى الكوكب ونوره واشراقه وزهوره ظن انه ربه فلما أفل وانتقل من حال الى حال قال لا
 أحب الآفلين (فلما رأى القمر بازغا) عند طلوعه ورأى كبره واشراقه وانبساط نوره وضياه في الدنيا
 (قال هذا ربي فلما أفل) وصار مثل الكوكب في الأفل والغيوبة وعلم انه لا يجوز ان يكون ذلك صفة
 الآله (قال لئن لم يهديني ربي) الى رشدي ولم يوقني ويلطف بي في إصابته الحق من توحيده (لا) كون
 من القوم الضالين (بعبادة هذه الحوادث (فلما رأى الشمس بازغة) اي طالعة وقد ملأت الدنيا نوراً ورأى
 عظمتها وكبرها (قال هذا ربي هذا كبر) من الكوكب والقمر (فلما أفلت قال) حينئذ لقومه (يا قوم اني بري بما
 تشركون) مع الله الذي خلقني وخلقكم في عبادته من آلهتكم فلما أكل الله عقله وضبط بفكره النظر
 في حدوث الأجسام بأن وجدها غير منفكة من المعاني المحدثة وأنه لا بد لها من محدث قال حينئذ لقومه
 (اني وجهت وجهي) اي نفسي (للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً) اي مخلصاً مائلاً عن الشرك الى
 الإخلاص (وما انا من المشركين) وهذا اختيار ابي علي الجبائي ويسأل عن القول الأول كيف قال (ع)
 هذا ربي مخبراً وهو غير عالم بما يخبر به والإخبار بما لا يأمن المخبر ان يكون فيه كاذباً قبيحاً والجواب عنه
 من وجهين * احدهما * انه لم يقل ذلك مخبراً وإنما قاله فارضاً ومقدراً على سبيل التأمل كما يفرض
 أحدنا اذا نظر في حدوث الاجسام كونها قديمة ليتبين ما يؤدي اليه الفرض من الفساد ولا يكون بذلك
 مخبراً في الحقيقة * والآخر * انه اخبر عن ظنه وقديحوز ان يظن المتفكر في حال فكره ونظره
 ما لا أصل له ثم يرجع عنه بالأدلة * سوأل آخر * كيف تعجب ابراهيم (ع) من رؤية هذه الاشياء
 تعجب من لم يكن رآها وكيف يجوز ان يكون مع كمال عقله لم يشاهد السماء والكواكب والجواب انه لا يمنع ان
 يكون (ع) ما رأى السماء الا في ذلك الوقت لأنه قد روي ان أمه كانت ولدته في مغارة خوفاً من ان يقتله
 فرود ومن يكون في المغارة لا يرى السماء فلما قارب البلوغ وبلغ حد التكليف خرج من المغارة ورأى
 السماء وقد يجوز ايضاً ان يكون قد رأى السماء قبل ذلك الا انه لم يفكر في اعلامها لأن الفكر لم يكن واجبا
 عليه وحين كمل عقله فكر في ذلك * وثالثها * ان ابراهيم (ع) لم يقل هذا ربي على طريق الشك بل
 كان عالماً موقناً ان ربه سبحانه لا يجوز ان يكون بصفة الكواكب وإنما قال ذلك على سبيل الإنكار على قومه
 والتنبيه لهم على ان يكون إلهاً معبوداً لا يكون بهذه الصفة الدالة على الحدوث ويكون قوله هذا ربي
 محمولاً على احد الوجهين إما على انه كذلك عندكم وفي مذاهبكم كما يقول احدنا للمشبه هذا ربه جسم يتحرك
 ويسكن وإما على ان يكون قال ذلك مستفهاً واسقط حرف الإستفهام للاستغناء عنه وقد كثر مجي ذلك
 في كلام العرب قال أوس بن حجر

شعيب بن سهم ام شعيب بن منقر

لعمر لا ادري وان كنت داريا

وقال الاخطل

غلس الظلام من الرباب خيالاً

كذبتك عينك ام رأيت بواسط

وقال عمر بن ابي ربيعة

ثم قالوا تحبها قلت بهراً
أي تحبها؟ وقال آخر

رفوني وقالوا يا خويلد لا ترع
فقلت وانكرت الوجوه هم هم

أي أمهم ورووي عن ابن عباس انه قال في قوله فلا اقتحم العقبة معناه أفلا اقتحم فحذف حرف الاستفهام
* ورابعها * انه (ع) إنما قال استخداعاً للقوم يريهم قصور علمهم وبطلان عبادتهم لمخلوق جارٍ عليه
اعراض الحوادث فإنهم كانوا يعبدون الشمس والقمر والكواكب وبعضهم يعبدون النيران وبعضهم يعبدون
الاوثنان فلما رأى الكوكب الذي كانوا يعبدونه قال لهم هذا ربي في زعمكم كما قال ابن شريك الذي
كنتم تزعمون فأضافه الى نفسه حكاية لقولهم فكانه قال لهم هذا ربي في قولكم وقيل انه نوى في قلبه الشرط
اي ان كان ربكم هذا الحجر كما تزعمون فهذا الكوكب وهذا القمر والشمس ربي ولم يكن الحجر ربهم ولا
الكوكب ربه وفي هذه الآيات دلالة على حدوث الاجسام واثبات الصانع وانما استدلل ابراهيم بالأقول على
حدوثها لأن حر كتبها بالأقول اظهر ومن الشبهة ابعداً إذا جازت عليها الحركة والسكون فلا بد ان تكون مخلوقة
محدثة وإذا كانت محدثة فلا بد لها من محدث والمحدث لا بد أن يكون قادراً ليصح منه الإحداث وإذا
احدثها على غاية الانتظام والإحكام فلا بد أن يكون عالماً وإذا كان قادراً عالماً وجب أن يكون حيا موجوداً
وفيها تنبيه لمشركي العرب وزجرهم عن عبادة الاصنام وحث لهم على سلوك طريق ابيهم ابراهيم (ع)
في النظر والتفكير لأنهم كانوا يعظمون آباءهم فأعلمهم سبحانه ان اتباع الحق من دين ابراهيم الذي
يقرون بفضله اوجب عليهم

* القصة *

ذكر اهل التفسير والتاريخ أن ابراهيم (ع) ولد في زمن نمرود بن كنعان وزعم بعضهم أن نمرود كان
من ولادة كيكائوس وبعضهم قال كان ملكاً برأسه وقيل لنمرود انه يولد في بلده هذه السنة مولود يكون
هلاكه وزوال ملكه على يده ثم اختلفوا فقال بعضهم إنما قالوا ذلك من طريق التنجيم والتكهن وقال
آخرون بل وجد ذلك في كتب الانبياء وقال آخرون رأى نمرود كأن كوكبا طلع فذهب بضوء الشمس
والقمر فسأل عنه فعبر بأنه يولد غلام يذهب ملكه على يده عن السدي فعند ذلك امر بقتل كل ولد يولد
تلك السنة وأمر بأن يعزل الرجال عن النساء وبأن يتفحص عن احوال النساء فمن وجدت حبلى تجلس حتى
تلد فإن كان غلاماً قتل وإن كانت جارية خليت حتى حبلت ام ابراهيم فلما دنت ولادة ابراهيم خرجت
امه هاربة فذهبت به الى غارٍ ولغنه في خرقه ثم جعلت على باب الغار صخرة ثم انصرفت عنه فجعل الله
رزقه في ابهامه فجعل يصعبها فتشخب لبنا وجعل يشب في اليوم كما يشب غيره في الجمعة ويشب في الجمعة كما
يشب غيره في الشهر ويشب في الشهر كما يشب غيره في السنة فمكث ما شاء الله ان يمكث وقيل كانت تختلف
اليه امه فكان يمص اصابعه فوجدته يمص من اصبع ماء ومن اصبع لبنا ومن اصبع عسلا ومن اصبع
تمرا ومن اصبع سمنا عن ابي روق ومحمد بن اسحاق ولما خرج من السرب نظر الى النجم وكان آخر الشهر
فراى الكوكب قبل القمر ثم رأى القمر ثم رأى الشمس فقال ما قال ولما رأى قومه يعبدون الاصنام
خالقهم وكان يعيب آلهتهم حتى فشا أمره وجرت المناظرات

قوله تعالى (٨٠) وَحَاجَهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ
بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا فَلَا تُدْرِكُونَ (٨١) وَكَيْفَ أَخَافُ
مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ
أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ نَعْلَمُونَ . آيَاتُ

✽ القراءة ✽

قرأ أهل المدينة وابن عامر في رواية ابن ذكوان أتحاجوني خفيفة النون والباقون بالتشديد

✽ الحجة ✽

قال ابو علي لا نظير في قول من شدد فأما وجه التخفيف فإنه حذف النون الثانية لالتقاء النونين
والتضعيف يكره فيتوصل الى إزالته تارة بالحذف نحو علماء بنو فلان وتارة بالابدال نحو لا املاه حتى تفارقا
نحو ديوان وقبراط فحذفوا النون الثانية كراهة التضعيف ولا يجوز ان تكون المحذوفة الاولى لأن
الاستئثار يقع بالتكرير في الأمر الأعم وفي الاولى ايضا انها دلالة الإعراب وانما حذف الثانية كما حذفها
في لبتى في نحو قوله «اذ قال لبتى أصادفه ويذهب بعض مالي» وقوله

نراه كالثغام يعل مسكا يسوء الغاليات اذا فليتي

فالمحذوفة المصاحبة للياء ليسم سكون لام الفعل وما يجري مجراها او حركتها ولا يجوز ان يكون
المحذوفة الاولى لأن الفعل يبقى بلا فاعل كما لا تحذف الاولى في أتحاجوني لأنها للإعراب ويدل على
ان المحذوفة الثانية انها حذف مع الجار ايضا في نحو قوله «قدني من نصر الحبسين قدي» وقد جاء حذف
هذه النون في كلامهم قال الشاعر

ابالموت الذي لا بد اني ملاق لا اباك تحوفيني
وقال

تذكرونا اذ نقاتلكم لا يضر معدما عدمه

✽ الإعراب ✽

موضع ان يشاء نصب اي لا أخاف الا مشيئة الله وهذا استثناء منقطع وقيل متصل وتقديره لا أخافهم
الا ان يشاء ربي احياءهم واقدارهم وعلمنا منصوب على التمييز

✽ المعنى ✽

ثم ذكر سبحانه محاجة ابراهيم مع قومه فقال (وحاجه قومه) اي خاصموه وجادلوه في الدين
وخوفوه من ترك عبادة آلهتهم (قال) اي ابراهيم لهم (أتحاجوني في الله وقد هدان) اي وفقني لمعرفة
ولطف بي في العلم بتوحيده وترك الشرك وأخلاص العبادة له (ولا أخاف ما تشركون به) اي لا أخاف
منه ضررا ان كفرت به ولا ارجو نفعا ان عبدته لأنه بين صنم قد كسر فلم يدفع عن نفسه ونجم دل أفوله
على حدوده فكيف تحاجونني وتدعونني الى عبادة من لا يخاف ضرره ولا يرجي نفعه (الا ان يشاء ربي شيئا)
فيه قولان ✽ احدهما ✽ ان معناه الا ان يغلب الله هذه الاصنام التي تخوفونني بها فيحجبها ويقدرها

فترض وتنفع فيكون ضررها ونفعها ذلك دليلا على حدوثها أيضا وعلى توحيد الله وعلى انه المستحق للعبادة دون غيره وانه لا شريك له في ملكه ثم اثني على الله سبحانه فقال (وسع ربي كل شيء علما) اي هو عالم بكل شيء ثم امرهم بالتذكر والتدبر فقال (افلا تتذكرون) والثاني قول الحسن معناه لا أخاف الاوثان الا ان يشاء ربي ان يعذبني ببعض ذنوبي او يشاء الاضرار بي ابتداء والاول اجود ثم احتج (ص) عليهم وأكد الحجاج بقوله (وكيف أخاف ما اشر كتم) أي كيف تلزموني ان أخاف ما اشر كتم به من الاوثان المخلوقة وقد تبين حالهم في انهم لا يضررون ولا ينفعون (ولا تخافون انكم اشر كتم بالله) اي ولا تخافون من هو القادر على الضر والنفع بل تجروئن عليه بأن اشر كتم أي جعلتم له شركا في ملكه وتعبدوهم من دونه وقيل معناه كيف أخاف شرككم وانا منه بري والله تعالى لا يعاقبني بفعلكم وانتم لا تخافون وقد اشر كتم به فيكون على هذا ما في قوله ما اشر كتم مصدرية (ما لم ينزل به عليكم سلطانا) أي حجة على صحته وهذا يدل على ان كل من قال قولا او اعتقد مذهبا بغير حجة فهو مبطل (فأي الفريقين أحق بالأمن) انحن وقد عرفنا الله بادلته ووجهنا العبادة نحوه ام اتهم وقد اشر كتم بعبادة غيره من الاصنام ولو اطرحتهم العصبية والحمية لما وجدتم لهذا الحجاج مدفعا (ان كتمتم لعلون) اي تستعملون عقولكم وعلمكم فتميزون الحق من الباطل والدليل من الشبهة

قوله تعالى (٨٢) الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ آية

اللغة

قال الاصمعي الظلم في اللغة وضع الشيء في غير موضعه قال الشاعر يمدح قوما «هرت الشقاشق ظلما لومون للجزر» يريد انهم عرقبوها فوضعوا النحر غير موضعه وقال النابغة «والنوى كالحوض بالظلمة الجلد» يريد الأرض التي صرف عنها المطر وإنما ساءها مظلومة لأنهم يتحوضون فيها حوضا لم يحكموا صنعه ولم يضعوه في موضعه لكونهم مسافرين

المعنى

لما تقدم قوله سبحانه أي الفريقين أحق بالأمن أي بأن يأمن من العذاب الموحد ام المشرك عقبه ببيان من هو أحق به فقال (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) معناه الذين عرفوا الله تعالى وصدقوا به وبما اوجبه عليهم ولم يخلطوا ذلك بظلم والظلم هو الشرك عن ابن عباس وسعيد بن المسيب وقتادة ومجاهدوا أكثر المفسرين وروي عن ابي بن كعب انه قال ألم تسمع قوله سبحانه ان الشرك لظلم عظيم وهو المروي عن سلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان وروي عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت هذه الآية شق على الناس وقالوا يا رسول الله وأينا لم يظلم نفسه فقال (ص) انه ليس الذي تعنون ألم تستمعوا الى ما قال العبد الصالح يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وقال الجبائي والبلخي يدخل في الظلم كل كبيرة تحبط ثواب الطاعة وقال البلخي ولو اختص الشرك على ما قالوه لوجب ان يكون مرتكب الكبيرة اذا كان مؤمنا كان آمنا وذلك خلاف القول بالإرجاء وهذا لا يلزم لأنه قول بدليل الخطاب ومرتكب الكبيرة غير آمن وان كان ذلك معلوما بدليل آخر (أولئك لهم الأمن) من الله بحصول الثواب والأمان من العقاب (وهم مهتدون) اي محكوم لهم بالاهتداء الى الحق والدين وقيل الى الجنة واختلف في هذه الآية فقيل انه من تمام

قول ابراهيم (ع) وروي ذلك عن علي (ع) وقيل ان هذا القول من الله تعالى على جهة فصل القضاء بذلك بين ابراهيم (ع) وقومه عن محمد بن اسحاق وابن زيد والجبائي

قوله تعالى (٨٣) وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا اِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأِهِ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٤) وَوَهَبْنَا لَهُ اِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَاَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٥) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَاِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصّٰلِحِينَ (٨٦) وَاِسْمَاعِيلَ وَاَلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٧) وَمِن اَبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَاِخْوَانِهِمْ وَاَجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ اِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (خمس آيات)

✽ القراءة ✽

قرأ أهل الكوفة ويعقوب درجات منونا والباقون درجات من نشاء بالاضافة وقرأ أهل الكوفة غير عاصم والليث بن سعد باللام وفتحها وسكون الياء ههنا وفي ص والباقون واليسع بسكون اللام وفتح الياء

✽ الحجة ✽

من اضاف درجات ذهب الى ان المرفوعة هي الدرجات لمن يشاء ومن نون ذهب الى ان المرفوع صاحب الدرجات ويقوي قراءة من اضاف قوله تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض فمن فضل على غيره فقد رفعت درجته عليه ويدل على قراءة من نون قوله ورفع بعضهم درجات لانه في ذكر الرسل فاما قوله ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا فانه في الرتب وارتفاع الاحوال في الدنيا واتضاعها لان قبله نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا واما من قرأ الليسع باللام فان هذه اللام زائدة قال ابو علي اعلم ان لام المعرفة يدخل الاسماء على ضربين ✽ احدهما ✽ للتعريف والآخر زيادة زيدت كما تزداد الحروف والتعريف على ضرور منها ان يكون إشارة الى معهود بينك وبين المخاطب نحو الرجل اذا اردت به رجلا عرفناه بعهد كان بينكما ✽ والآخر ✽ ان يكون إشارة الى ما في نفوس الناس من علمهم للجنس فهذا الضرب وان كان معرفة كالاول فهو مخالف له من حيث كان الاول قد علمه حسا وهذا لم يعلمه كذلك انما يعلمه معقولا واما نحو صررت بهذا الرجل فانما اشير به الى الشاهد الحاضر لا الى غائب معلوم بعهد الا ترى انك تقول ذلك فيما لا عهد بينك فيه وبين مخاطبك وبدلك على ذلك قولك في النداء يا ايها الرجل فتشير به الى المخاطب الحاضر فاما نحو العباس والحارث والحسن فانما دخلت الالف واللام فيها على تنزيل انها صفات جارية على موصوفين وهذا يعني الخليل بقوله جعلوه شي بعينه فاذا لم ينزل هذا التنزيل لم يلحقوها الالف واللام فقالوا حارث وعباس وعلى كالمذهبين جاء ذلك في كلامهم قال الفرزدق

يقعدهم اعراق حذيم بعدما رجا الهتم ادراك العلي والمكارم

وقال

ثلاث مئين للملوك وفي بها ردائي وجلت عن وجوه الالهاتم (١)

(١) صدره في الديوان فدى لسيوف من قيم وفي بها

فجعلناه مرة اسما بمنزلة اضحاة واضاح ومرة صفة بمنزلة احمر وحمر وجمع الاعشى بين الامرئين في قوله
 أتاني وعيد الحوص من آل جعفر
 فباعبد عمرو لونهيت الاحوصا
 وأما قوله

والتيم الأم من يمشي والأمهم ذبن تيم بنو السود المدانيس
 فإنه يحتمل أمرين يجوز ان يكون بمنزلة العباس لأن التيم مصدر والمصدر قد اجزيت مجرى اسماء
 الفاعلين فوصف بها كما وصف باسماء الفاعلين وجمع جمعها في نحو نور وانوار وسيل وسوائل وعلى هذا قالوا
 الفضل في اسم رجل كأنهم جعلوه الشيء الذي هو خلاف النقص والآخر ان يكون تيمي وتيم كرنجبي وزنج
 فأما الالف واللام في اليسع فلا يخالو أن تكون زائدة او غير زائدة فإن كانت غير زائدة فلا يخلو ان يكون
 على حد الرجل اذا اردت به اليهود او الجنس نحو ان الإنسان لفي خسر او على حد دخولها في العباس
 فلا يجوز ان يكون على واحد من ذلك فثبت انه زيادة ومما جاءت اللام فيه زائدة ما أنشده احمد بن يحيى

يا ليت ام العمرو كانت صاحبي
 مكان من انشا على الر كائب
 ومما جاءت الالف واللام فيه زائدة الخمسة العشر درهما حكاه ابو الحسن الاخفش الا ترى انها اسم
 واحد ولا يجوز ان يعرف اسم واحد بتعريفين كما لا يجوز ان يتعرف بعض الاسم دون بعض وذو ابوالحسن
 الى ان اللام في اللات زائدة لأن اللات معرفة فأما العر في بمنزلة العباس وقياس قول ابي الحسن هذا
 ان يكون اللام في اليسع ايضا زائدة لانه علم ممثل اللات وليس صفة ومما جاءت اللام فيه زائدة قول الشاعر
 وجدنا الوليد ابن يزيد مباركا
 شديدا باعباء الخلافة كاهله

فأما من قال اليسع فإنه يكون اللام على حد ما في الحرف الا ترى انه على وزن الصفات الا انه وان كان
 كذلك فليس له مزبة على القول الآخر الا ترى انه لم يجي في الاسماء الاعجمية المنقولة في حال التعريف نحو
 اساعيل واسحاق شي على هذا النحو كما لم يجي فيها شي فيسه لام التعريف فإذا كان كذلك كان اليسع
 بمنزلة اليسع في انه خارج عما عليه الاسماء الاعجمية المختصة المعربة

✽ الاعراب ✽

وتلك حجتنا تلك مبتدأ وحجتنا خبره والظاهر ان قوله على قومه من صلة حجتنا اي وتلك حجتنا على قومه
 واذا جعلت آتيناها من صفة حجتنا كان فصلا بين الصلة والموصول وذلك لا يجوز فينبغي ان يكون متعلقا
 بمحذوف هذا الظاهر تفسير له كذا نقل عن ابي علي الجبائي

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه ان الحجج التي ذكرها ابراهيم (ع) لقومه آتاه اياها واعطاها اياه بمعنى أنه هداه لها
 وانه احتج بها بأمره فقال (وتلك حجتنا) اي أدلتنا (آتيناها) اي اعطيناها (ابراهيم) وأخطرتناها بآله
 وجعلناها حججا (على قومه) من الكفار حتى تمكن من ايرادها عليهم عند الحاجة (نرفع درجات من نشاء) من
 المؤمنين الذين يصدقون الله ورسوله ويطيعونه ونفضل بعضهم على بعض بحسب احوالهم في الايمان واليقين
 (ان ربك حكيم عليم) يجعل التفاوت بينهم على ما توجهه حكمته ويقتضيه علمه وقيل معناه نرفع درجات
 من نشاء على الخلق بالاصطفاء للرسالة (ووهبنا له) اي لابراهيم (اسحاق) وهو ابنه من ساره (ويعقوب) ابن

اسحاق (كلا هدينا) اي كل الثلاثة فضلنا بالنبوة كما قال سبحانه ووجدك ضالاً فهدى اي ذاهبا عن النبوة فهذاك اليها وقيل معناه كلا هدينا بنيل الثواب والكرامات عن الجبائي من الله سبحانه على ابراهيم بأن رزقه الولد وولد الولد فإن من أفضل النعم على العبد ان يرزقه الله ولداً يدعو له بعد موته فكيف اذا رزق الولد وولد الولد وهما نبيان مرسلان (ونوحا هدينا من قبل) اي من قبل هو لاء (ومن ذريته) اي من ذرية نوح لانه اقرب المذكورين اليه ولأن فيمن عددهم من ليس من ذرية ابراهيم وهو لوط والياس وقيل ارادوا من ذرية ابراهيم (داود) وهو داود بن ايشا (وسليمان) ابنة (أيوب) وهو أيوب بن موص بن رازح بن روم بن عيصا بن اسحاق ابن ابراهيم (ويوسف) بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم (وموسى) بن عمران بن بصهر بن تاهث بن لاوي ابن يعقوب (هارون) أخاه وكان اكبر منه بسنة (وكذلك نجزي المحسنين) بنيل الثواب والكرامات وقيل المراد به كما تفضلنا على هو لاء الانبياء بالنبوة فكذلك نتفضل على المحسنين بنيل الثواب والكرامات (وزكريا) وهو زكريا بن أذن بن بركيا (ويحيى) وهو ابنه (وعيسى) وهو ابن مريم بنت عمران بن ياشهم بن أمون ابن حزقيا (والياس) واختلف فيه فقيل انه ادريس كما قيل ليعقوب اسرائيل عن عبد الله بن مسعود وقيل هو الياس بن بستربن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران نبي الله عن ابن اسحاق وقيل هو الخضر عن كعب (كل من الصالحين) اي من الانبياء والمرسلين (واسماعيل) وهو ابن ابراهيم (واليسع) بن اخطوب ابن العجوز (ويونس) بن متى (ولوطا) وهو لوط بن هاران بن أخي ابراهيم وقيل هو ابن اخته (وكلا) اي وكل واحد منهم (فضلنا على العالمين) اي عالمي زمانه ومن قال ان الهاء في قوله ومن ذريته كناية عن ابراهيم قال انه سمي ذريته الى قوله وكذلك نجزي المحسنين ثم عطف قوله وزكريا ويحيى على قوله ونوحا هدينا ولا يتمتع ايضا ان يكون غلب الاكثر الذين هم من نسل ابراهيم على ان الرواية التي جاءت عن ابن مسعود ان الياس ادريس هو جد نوح اذا لم تضعف قول من قال ان الهاء كناية عن نوح فكذلك اذا لم يكن لوط من ذرية ابراهيم لم يضعف قول من قال ان الهاء كناية عن ابراهيم وقال الزجاج يجوز ان يكون من ذريته من ذرية نوح ويجوز ان يكون من ذرية ابراهيم لان ذكرها جميعا قد جرى واسماء الانبياء التي جاءت بعد قوله ونوحا نسق على نوح واذ جعل الله سبحانه عيسى من ذرية ابراهيم (ع) او نوح ففي ذلك دلالة واضحة وحجة قاطعة على ان اولاد الحسن والحسين (ع) ذرية رسول الله (ص) على الاطلاق وانما ابنا رسول (ص) وقد صح في الحديث انه قال لها عليهما السلام ابناي هذان إمامان قاما او قعدا وقال للحسن (ع) ان ابني هذا سيد وان الصحابة كانت تقول لكل منها ومن اولادها يا ابن رسول (ومن آبائهم) يعني ومن آباء هو لاء الانبياء (وذرياتهم واخوانهم) جماعة فضلناهم وقال الزجاج معناه هدينا هو لاء وهدينا بعض آبائهم واخوانهم (واجتبتناهم) اي اصطفيناهم واخترناهم للرسالة وهو مأخوذ من جيت الماء في الحوض اذا جمعه (وهديناهم) اي سددناهم وارشدناهم فاهدتوا (الى صراط مستقيم) اي طريق بين لا اعوجاج فيه وهو الدين الحق

قوله تعالى (٨٨) ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٩) أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا

هُوَ لَأَقْتَدَهُ وَكَلَّمْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِكَافِرِينَ (٩٠) أَوَّلِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْيِهِمْ أَقْتَدَهُ
قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (ثلاث آيات)

✽ القراءة ✽

قرأ ابن عامر وحده اقتده بكسر الهاء مشبعة والباقون اقتده ساكنة الهاء الا ان حمزة والكسائي ويعقوب
وخلفا يحذفون الهاء في الوصل ويثبتونها في الوقف والباقون يثبتونها في الوصل والوقف

✽ الحجة ✽

قال ابو علي الوجه الوقوف على الهاء لا اجتماع الجمهور على اثباته ولا ينبغي ان يوصل والهاء ثابتة لأن
هذه الهاء في السكت بمنزلة همزة الوصل في الابتداء في ان الهاء للوقف كما ان همزة الوصل للابتداء. بالساكن
فكما لا تثبت همزة في الوصل كذلك ينبغي ان لا تثبت الهاء ووجه قراءة ابن عامر ان يجعل الهاء كناية
عن المصدر لا التي تلحق الوقف وحسن اضماره لذكر الفعل الدال عليه ومثل ذلك قول الشاعر

فجال على وحشية وتخاله على ظهره سباً جديداً يمانيا

كانه قال وتخال خيلا على ظهره سباً فعلى متعلق بمحذوف والتقدير ثابتا على ظهره ومثله قول الشاعر

هذا سراقه للقرآن يدرسه والمرء عند الرشا ان يلقها ذيب

فالهاء كناية عن المصدر ودل يدرسه على الدرس ولا يجوز ان يكون ضمير القرآن لأن الفعل قد
تعدى اليه باللام فلا يجوز ان يتعدى اليه والى ضميره

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه اكرامه لآبائه (ع) ثم أمر من بعد بالاقْتِدَاءُ بهد فقال (ذاك) وهو إشارة الى ما تقدم
ذكره من التفضيل والاجتناب والهداية والاصطفاة (هدى الله يهدي به من يشاء من عباده) ممن لم يسهم
في هذه الآيات والهداية هنا هي الإرشاد الى الثواب دون الهداية التي هي نصب الأدلة الا ترى الى قوله
وكذلك نجزي المحسنين وذلك لا يليق الا بالثواب الذي يختص المحسنين دون السدالة التي يشترك بها
المؤمن والكافر وقوله (ولو اشر كوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) يدل ايضا على ذلك ومعناه انهم لو اشر كوا
لبطلت أعمالهم التي كانوا يقومونها على خلاف الوجه الذي يستحق به الثواب لتوجيهها الى غير الله تعالى
وليس في ذلك دلالة على ان الثواب الذي استحقوه على طاعتهم المتقدمة يحبط اذ ليس في ظاهر الآية
ما يقتضي ذلك على انا قد علمنا بالدليل ان المشرك لا يكون له ثواب اصلا واجتمعت الأمة على ذلك (أو تلك)
يعني به من تقدم ذكرهم من الأنبياء (الذين آتيناهم) اي اعطيناهم (الكتاب) اراد الكتاب ووجد
لأنه عني به الجنس (والحكم) معناه والحكم بين الناس وقيل الحكمة (والنبوة) اي الرسالة (فإن يكفر بها)
اي بالكتاب والحكم والنبوة (هو لاء) يعني الكفار الذين جحدوا نبوة النبي (ص) في ذلك الوقت (فقد
وكلنا بها) اي بمراعاة أمر النبوة وتعظيمها والاخذ بهدى الأنبياء (قوما ليسوا بكافرين) واختلف
في المعنيين بذلك فقيل عني به الأنبياء الذين جرى ذكرهم آمنوا بما أتى به النبي (ص) قبل وقت مبعضه عن
الحسن واختاره الزجاج والطبري والجبائي وقيل عني به الملائكة عن ابي رجاء العطاردي وقيل عني به من

آمن من أصحاب النبي (ص) في وقت مبغضه وقيل عنى بقوله فإن يكفر بها كفار قريش وبقوله قوماً ليسوا بها بكافرين أهل المدينة عن الضحاك واختاره الفراء وإنما قال وكلنا بها ولم يقل فقد قام بها قوم تشريفا لهم بالإضافة الى نفسه وقيل معناه فقد الزمناها قوما فقاموا بها وفي هذا ضمان من الله تعالى ان ينصر نبيه (ص) ويحفظ دينه (أو لئلك الذين هدى الله) اي هدام الله الى الصبر (فبهدام اقتده) معناه اقتد بهم في الصبر على أذى قومك واصبر كما صبروا حتى تستحق من الثواب ما استحقوه وقيل معناه أو لئلك الذين قبلوا هدى الله واهتدوا بلطف الله الذي فعله بهم فاقتد بطريقهم في التوحيد والادلة وتبليغ الرسالة لاشارة بأولئك الى الأنبياء الذين تقدم ذكرهم عن ابن عباس والسدي وابن زيد وقيل الى المؤمنين الموكلين بحفظ دين الله لأنه في ذكرهم عن الحسن وقتادة وعلى هذا فلم يتكرر لفظ الهداية وفي القول الأول أعاد ذكر الهداية لطول الكلام ويكون معنى قوله فبهدام اقتده اقتد بصبر إيبوب وسخاء ابراهيم وصلابة موسى وزهد عيسى ثم فسر بعض ما يقتدى بهم فيه بقوله (قل) يا محمد (لا أسئلكم فيه أجراً) اي لا أطلب منكم على تبليغ الوحي وأداء الرسالة جملاً كما لم يسأل ذلك الأنبياء قبلي فإن أخذ الأجر عليه ينفر الناس عن القبول (ان هو) اي ما هو (الا ذكرى) اي تذكيراً (للعالمين) بما يلزمهم إتيانه واجتنابه وفي هذه الآية دلالة على انه لا يخلو كل زمان من حافظ للدين إمامي أو إمام لقوله فقدوكلنا بها قوما ليسوا وأسندوا أسندوا كيد الى نفسه وقد استدلل قوم بالآية على ان النبي (ص) وأمتة كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم الا ما قام الدليل على نسخه وهذا لا يصح لأن الآية قد وردت فيما اتفقوا عليه على ما تقدم ذكره وذلك لا يليق الا بالتوحيد ومكارم الأخلاق فأما الشرائع فإنها تختلف فلا يصح الاقتداء بجميع الأنبياء فيها وتدل الآية على ان نبينا مبعوث الى كافة العالمين وان النبوة مختومة به ولذلك قال ان هو الا ذكرى للعالمين

قوله تعالى (٩١) وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَأٰطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلِمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير وابو عمر ويجعلونه قراطيس يبدونها ويخفونها بالياء فيها والباقون بالتاء في الجميع

﴿ الحجة ﴾

من قرأ بالياء فلأن ما قبله ما قدروا الله على الغيبة ومن قرأ بالتاء فعلى الخطاب من قوله قل من أنزل الكتاب وقوله فيما بعد وعلمتم ما لم تعلموا

﴿ الإعراب ﴾

حق قدره منصوب على المصدر تبديونها وتخفونها كثيرا يجوز ان يكون صفة لقراطيس لأن التكرار توصف بالجمل ويجوز ان يكون حالا من ضمير الكتاب في تجعلونه على ان تجعل القراطيس الكتاب في المعنى لأنه مكتوب فيها وإنما رفع قوله يلعبون لأنه لم يجعله جوابا لقوله ذرهم ولو جعله جوابا لجزمه كما قال سبحانه ذرهم يأكلوا وموضع يلعبون نصب على الحال والتقدير ذرهم لاعبين في خوضهم

* النزول *

جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الضيف يخاصم النبي (ص) فقال له النبي (ص) انشدك بالذي أنزل التوراة على موسى أما تجد في التوراة ان الله سبحانه يبعث الخبير السمين وكان سمينا فغضب وقال ما أنزل الله على بشر من شيء فقال له اصحابه ويحك ولا موسى فنزلت الآية عن سعيد بن جبير وقيل ان الرجل كان فنحاص بن عازورا وهو قائل هذه المقالة عن السدي وقيل ان اليهود قالت يا محمد انزل الله عليك كتابا قال نعم قالوا والله ما انزل الله من السماء كتابا فنزلت الآية عن ابن عباس وفي رواية أخرى عنه انها نزلت في الكفار انكروا قدرة الله عليهم فمن أقر ان الله على كل شيء قدير فقد قدر الله حق قدره وقيل نزلت في مشركي قريش عن مجاهد

* المعنى *

لما تقدم ذكر الأنبياء والنبوة عقبه سبحانه بالتعجب لمن انكر النبوة فقال (وما قدروا الله حق قدره) اي ما عرفوا الله حق معرفته وما عظموه حق عظمتهم وما وصفوه بما هو اهل ان يوصف به (اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء) اي ما ارسل الله رسولا ولم ينزل على بشر شيئا مع ان المصلحة والحكمة تقتضيان ذلك والمعجزات الباهرة تدل على بعثه كثير منهم ثم أمر سبحانه نبيه (ص) فقال (قل) يا محمد لهم (من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى) يعني التوراة وانما احتج بذلك عليهم لأن القائل لذلك من اليهود ومن قال ان المعنى بالآية مشركو العرب قال احتج عليهم بالأمر الظاهر ثم بين ان منزلة محمد في ذلك كمنزلة موسى (نورا) اي يستضاء به في الدين كما يستضاء بالنور في الدنيا (وهدى للناس) اي دلالة يهتدون به (تجعلونه قراطيس) اي كتبها وصحفا منفردة وقال ابو علي الفارسي معناه تجعلونه ذا قراطيس اي تودعونها اياها (تبدونها وتخفون كثيرا) اي تبدون بعضها وتكتمون بعضها وهو ما في الكتب من صفات النبي (ص) والإشارة اليه والبشارة به (وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم) قيل انه خطاب للمسلمين يذكرهم ما أنعم به عليهم عن مجاهد وقيل هو خطاب لليهود اي علمتم التوراة فضيعتموه ولم تتفهموا به وقيل معناه علمتم بالقرآن ما لم تعلموا عن الحسن (قل) يا محمد (الله) اي انزل ذلك وهذا كما ان الانسان اذا أراد البيان والاحتجاج بما يعلم ان الخصم مقر به ولا يستطيع دفعه ذكر ذلك ثم تولى الجواب عنه بما قد علم انه لا جواب له غيره (ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) اي دعهم وما يختارونه من العناد وما خاضوا فيه من الباطل واللعب وليس هذا على اباحة ترك الدعاء والانتذار بل على ضرب من التوعد والتهدد كأنه قال دعهم فسيعلمون عاقبة أمرهم

قوله تعالى (٩٢) وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون (آية)

* القراءة *

قرأ ابو بكر عن عاصم لينذر بالياء والباقون بالتاء

* الحجة *

من قرأ بالتاء يؤيد قراءة قوله وانذر به الذين يخافون وإنما انت منذر من يخشاها ومن قرأ بالياء جعل

المنذر هو الكتاب ويؤيده قوله ولينذروا به وإنما انذرهم بالوحي فلا يمتنع اسناد الانذار اليه على وجه التوسع

— الاعراب —

انزلناه جملة مرفوعة الموضع صفة لكتاب ومبارك ايضا صفة له ايضا

✽ المعنى ✽

لما احتج سبحانه بانزال التوراة على موسى عليه السلام بين ان سبيل القرآن سبيلها فقال (وهذا كتاب) يعني القرآن (انزلناه) من السماء الى الارض لأن جبرائيل (ع) اتى به من السماء (مبارك) وإنما سماه مباركا لأنه ممدوح مستعد به فكل من تمسك به نال الفوز عن ابي مسلم وقيل ان البركة ثبوت الخير على النماء والزيادة ومنه تبارك الله اي ثبت له ما يستحق به التعظيم لم يزل ولا يزال فالقرآن مبارك لأن قراءته خير والعمل به خير وفيه علم الاولين والآخرين وفيه مغفرة للذنوب وفيه الحلال والحرام وقيل البركة الزيادة فالقرآن مبارك لما فيه من زيادة البيان على ما في الكتب المتقدمة لأنه ناسخ لا يرد عليه نسخ لبقائه الى آخر التكليف (مصدق الذي بين يديه) من الكتب كالتوراة والانجيل وغيرهما عن الحسن وتصديقه للكتب على وجهين **✽ احدها ✽** انه يشهد بانها حق **✽ والثاني ✽** انه ورد باصفة التي نطقت بها الكتب المتقدمة (ولتنذر ام القرى ومن حواها) يعني بأهالي القرى مكة ومن حواها اهل الارض كلهم عن ابن عباس وهو من باب حذف المضاف يريد لتنذر اهل ام القرى وإنما سميت مكة ام القرى لأن الارض دحيت من تحتها فكانت الارض نشأت منها وقيل لأن اول بيت وضع في الدنيا وضع بمكة فكانت القرى تنشأت منها عن السدي وقيل لأن على جميع الناس ان يستقبلوها ويعظموها لأنها قبلتهم كما يجب تعظيم الأم عن الزجاج والجبائي (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به) أي بالقرآن ويحتمل ان يكون كناية عن محمد (ص) لدلالة الكلام عليه (وهم على صلاتهم) اي على اوقات صلواتهم (يحافظون) اي يراعونها ليوذوها فيها ويقوموا بإتمام ركوعها وسجودها وجميع اركانها وفي هذا دلالة على ان المؤمن لا يجوز أن يكون مؤمنا ببعض ما اوجبه الله دون بعض وفيها دلالة على عظم قدر الصلاة ومنزلتها لأنه سبحانه خصها بالذكر من بين سائر الفرائض ونبه على أن من كان مصدقا بالقيامه والنبي (ص) لا يخل بها ولا يتركها

قوله تعالى (٩٣) **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افترى على الله كذبا أو قال أوحى إليّ ولم يؤح إليه شيئا** ومن قال سا نزل مثل ما أنزل الله ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسهم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون آية

✽ اللغة ✽

اصل الاقتراء القطع من فريت الأديم افرية فريا فكان الافتراء هو القطع على خبر لا حقيقة له والفترة الغشية وغمرة كل شي معظمه وغمرات الموت شدائده قال الشاعر

الغمرات ثم ينجليتنا ثم يذهبنا فلا يجينا

واصله الشبي يعمر الاشياء فيعطيها والهون بضم الهاء الهوان قال ذو الاصبع العدواني

اذهب اليك فما أمي براعية ترعى المخاض ولا اغضي على الهون

والهون بفتح الهاء الدعة والرفق ومنه يشون على الارض هونا وقال

هونكما لا يرد الدهر ما فاتا لا تهلكن أسفا في إثر من ماتا

✽ الاعراب ✽

من قال سأنزل في موضع الجر على العطف كأنه قال ومن أظلم ممن قال ذلك وجواب لو من قوله ولو ترى
اذ الظالمون في غمرات الموت محذوف اي لرأيت عذابا عظيما

✽ النزول ✽

اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية فقبل نزولها في مسيئة حيث ادعى النبوة الى قوله ولم يوح اليه شيء وقوله
سأنزل مثل ما أنزل الله في عبد الله بن سعد بن ابي سرح فإنه كان يكتب الوحي للنبي (ص) فكان اذا قال
له اكتب عليا حكيا كتب عفورا رحيا واذا قال له اكتب عفورا رحيا كتب عليا حكيا وارتد ولحق بمكة
وقال لي انزل مثل ما انزل الله عن عكرمة وابن عباس ومجاهد والسدي واليه ذهب الفراء والزجاج والجبائي
وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وقال قوم نزلت في ابن ابي سرح خاصة وقال قوم نزلت في مسيئة خاصة

✽ المعنى ✽

لما تقدم ذكر نبوة النبي (ص) وإنزال الكتاب عليه عقبه سبحانه بذكر تهجين الكفار الذين كذبوه او ادعوا
أنهم يأتون بمثل ما أتى به فقال (ومن أظلم ممن افتري على الله كذبا) هذا استفهام في معنى الانكار اي لا أحد
أظلم ممن كذب على الله فادعى انه نبي و ليس بنبي (او قال أوحى إلي ولم يوح اليه شيء) اي يدعي الوحي ولا
يأتيه ولا يجوز في حكمة الله سبحانه ان يبعث كذابا وهذا وان كان داخلا في الاقتراء فلما أفرد بالذكر تعظيما
(ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) قال الزجاج هذا جواب لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا فادعوا ثم يفعلوا وبدلوا
النفوس والاموال واستعملوا سائر الحيل في إطفاء نور الله و ابى الله الا ان يتم نوره وقيل المراد به عبد الله بن
سعد بن ابي سرح أملى عليه رسول الله (ص) ذات يوم ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين الى قوله ثم أنشأناه خلقا
آخر فجرى على لسان ابن ابي سرح فتبارك الله احسن الخالقين فأملأه عليه وقال هكذا انزل فارتد عدو الله وقال
لئن كان محمد صادقا فلقد أوحى الي كما أوحى اليه و لئن كان كاذبا فلقد قلت كما قال وارتد عن الإسلام وهدر
رسول الله (ص) دمه فلما كان يوم الفتح جاء به عثمان وقد أخذ بيده ورسول الله (ص) في المسجد فقال يا رسول الله اعف
عنه فسكت رسول الله (ص) ثم أعاد فسكت ثم أعاد فسكت فقال هو الك فلما مر قال رسول الله لأصحابه ألم أقل
من رآه فليقتله فقال عباد بن بشر كانت عيني اليك يا رسول الله ان تشير إلي فاقته فقال (ص) الأنبياء لا يقتلون
بالإشارة ثم اخبر سبحانه عن حال هؤلاء فقال (ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت) اي في شدائد الموت عند
الترزع وقيل في أشد العذاب في النار (والملائكة) الذين يقبضون الارواح وقيل يريد ملائكة العذاب (باسطوا
أيديهم) لقبض ارواحهم وقيل يبسطون أيديهم بالعذاب يضربون وجوههم وأذبارهم (أخرجوا أنفسكم)
اي يقولون أخرجوا أنفسكم من سكرات الموت إن استطعتم وصدقتم فيما قلتم وادعيتهم وقيل أخرجوا أنفسكم
من اجسادكم عند معاينة الموت إرهابا لهم وتغليظا عليهم وان كان إخراجها من فعل غيرهم وقيل على التأويل الاول
يقولون لهم يوم القيامة أخرجوا أنفسكم من عذاب النار إن استطعتم اي خلصوها منه (اليوم تجزون عذاب
الهنون) اي عذابا تلقون فيه الهوان (بنا كنتم تقولون على الله غير الحق) اي في الدنيا (وكنتم عن آياته تستكبرون)
اي تأنفون من اتباع آياته

قوله تعالى (٩٤) وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ
وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُغْعَاءَ كُفَّالَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ

يَسْتَكْمِلُكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (آية)

✽ القراءه ✽

قرأ أهل المدينة والكسائي وحفص بينكم بالنصب والباقون بالرفع

✽ الحجة ✽

قال ابو علي استعمل هذا الاسم على ضربين ✽ أحدهما ✽ ان يكون اسما متصفا كالافتراق ✽ والآخر ✽ ان يكون ظرفا والمرفوع في قراءة من قرأ لقد تقطع بينكم هو الذي كان ظرفا ثم استعمل اسما والدليل على جواز كونه اسما قوله ومن بيننا وبينك حجاب وهذا فراق بيني وبينك فلما استعمل اسما في هذه المواضع جاز ان يسند اليه الفعل الذي هو تقطع في قول من رفع والذي يدل على ان هذا المرفوع هو الذي استعمل ظرفا أنه لا يخلو من ان يكون الذي كان ظرفا اتسع فيه او يكون الذي هو مصدر فلا يجوز ان يكون المصدر لأن تقديره يكون لقد تقطع افتراقكم وهذا خلاف المعنى المراد لأن المراد لقد تقطع وصلكم وما كنتم تتألمون عليه فإن قلت كيف جاز ان يكون بمعنى الروصل وأصله الافتراق والتأيز قيل إنه لما استعمل مع الشينين المتلابسين في نحو بيني وبينه شركة وبينه وبينه رحمة وصداقة صارت لاستعمالها في هذه المواضع بمنزلة الرصلة وعلى خلاف الفرقة فلهذا قد جاء اقد تقطع بينكم بمعنى تقطع وصلكم فأما من نصب بينكم ففيه مذهبان ✽ أحدهما ✽ أنه أضرر الفاعل في الفعل ودل عليه ما تقدم من قوله وما نرى معكم شفعاؤكم لأن هذا يدل على التقاطع وذلك المضمر هو الروصل فكانه قال لقد تقطع وصلكم بينكم وقد حكى سيبويه أنهم قالوا إذا كان غدا فأنتي وأضرر ما كانوا فيه من رخاء وبلاء لدلالة الحال عليه والمذهب الآخر انه انتصب على شيء يراه ابو الحسن فإنه يذهب الى ان معناه معنى المرفوع فلما جرى في كلامهم منصوبا ظرفا تركوه على ما يكون عليه في أكثر الكلام وكذلك يقول في قوله يوم القيامة يفصل بينكم وقوله وإنا منا الصالحون ومنا دون ذلك ودون في موضع رفع عنده وإن كان منصوب اللفظ كما يقال منا الصالح ومنا الطالح

✽ اللغة ✽

فرادى جمع فرد وفريد وفرد والعرب تقول فرادى وفراذ فلا يصرفونها تشبيها بثلاث ورباع قال الشاعر

ترى النعرات البيض تحت لبانه فراذ ومثنى اصمقتها صواهله

وقال النابغة

من وحش وجرة موشي أكارعه طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد

ومثل الفرادى الرذافي والقرايى والتخويل الاعطاء. وأصله تملك الخول كما ان التمويل هو تملك الأموال وخوله الله اعطاه مالا وفلان خولي مال وخال مال وخائل مال إذ كان يصلح المال وهم خول فلان اي أتباعه الواحد خائل والزعم قد يكون حقا وقد يكون باطلا قال الشاعر

يقول هلكتنا إن هلكت وإنما على الله ارزاق العباد كما زعم

والبين مصدر بان يبين إذا فارق قال الشاعر

بان الخليط برامتين فودعوا او كلما ظعنوا لبين تجزع

قال ابو زيد بان الحمي بينونة وبيننا اذا ظعنوا وتباينوا اي تفرقوا بعد ان كانوا جميعا

✽ الإعراب ✽

فرادى نصب على الحال وما خولناكم موصل وصلته في موضع نصب بأنه مفعول تركتم

﴿ النزول ﴾

نزلت في النضر بن الحرث بن كادة حين قال سوف يشفع لي اللآت والعزى عن عكرمة

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه تمام ما يقال لهم على سبيل التوبيخ فقال (ولقد جثتمونا) قيل هذا من كلام الله تعالى يخاطب به عباده اما عند الموت أو عند البعث وقيل هو من كلام الملائكة يؤذونه عن الله الى الذين يقبضون ارواحهم (فرادى) اي وحدانا لا مال لكم ولا خول ولا ولد ولا حشم عن الجبائي وقيل واحدا واحدا على حدة عن الحسن وقيل كل واحد منهم منفردا من شريكه في العي وشقيقه عن الزجاج (كما خلقناكم أول مرة) اي كما خلقناكم في بطون أمهاتكم فلا ناصر لكم ولا معين عن الجبائي وقيل معناه ما روي عن النبي (ص) أنه قال تحمرون حفاة عراة عزلا والعزل هم القلف وروي ان عائشة قالت لرسول الله (ص) حين سمعت ذلك واسواته أينظر بعضهم إلى سواة بعض من الرجال والنساء فقال (ص) لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ويشغل بعضهم عن بعض وقال الزجاج معناه كما بدأناكم أول مرة اي يكون بعثكم كخلقكم (وتركتكم ما خولناكم) معناه ما ملكناكم في الدنيا مما كنتم تنبأهون به من الأموال (وراء ظهوركم) اي خلف ظهوركم في الدنيا والمراد تركتم الأموال وحملتم من الذنوب الاحمال واستمتع غيركم بما خلقتم وحوسبتم عليه فيا لها من حسرة (وما زى معكم شفعاكم) اي ليس معكم من كنتم تزعمون أنهم يشفعون لكم (عند الله يوم القيامة) وهي الاصنام الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء. معناه زعمتم أنهم شركاؤنا فيكم وشفعاؤكم يريد وما نفعكم عبادة الأوثان التي كنتم تقولون انها فيكم شركاء وانها تشفع لكم عند الله تعالى وهذا عام في كل من عبد غير الله واعتمد غيره يرجو خيره ويخاف ضيره في مخالفة الله تعالى (لقد تقطع بينكم) اي وصلكم وجمعكم ومن قرأ بالنصب فمعناه لقد تقطع الأمر بينكم او تقطع وصلكم بينكم (وضل عنكم ما كنتم تزعمون) اي ضاع وتلاشى ولا تدررون اين ذهب من جعلتم شفعاكم من آهتكم ولم تنفعكم عبادتها وقيل معناه ما تزعمون من عدم البعث والجزاء قد حث الله سبحانه في هذه الآية على اقتناء الطاعات التي بها ينال الفوز وتدرك النجاة دون اقتناء المال الذي لا شك في تركه وعدم الانتفاع به بعد الميت

قوله تعالى (٩٥) **إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ** (٩٦) **فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ** (آياتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل الكوفة وجعل الليل سكنا والباقون وجاعل بالألف والرفع الليل بالجر

﴿ الحجة ﴾

وجه قول من قرأ وجاعل الليل ان قبله إسم فاعل وهو فاتق الحب وفالق الاصبح ليكون فاعل المعطوف مثل فاعل المعطوف عليه الا ترى ان حكم الاسم ان يعطف على اسم مثله لأن الاسم بالاسم اشبه من الفعل بالاسم ويقوي ذلك قولهم

للبس عباة وتقر عيني احب إلي من لبس الشفوف
فنصب وتقر ليكون في تقدير اسم باضار أن فيكون قد عطف اسما على اسم وقوله
ولولا رجال من رزام ومازن وآل سبيع او اسوك علقما

ومن قرأ وجعل فلان اسم الفاعل الذي قبله بمعنى المضي فلما كان فاعل بمعنى فعل عطف عليه فعل او افقته له في المعنى وبذلك على انه بمنزلة فعل انه نزل منزلته فيما عطف عليه وهو قوله والشمس والقمر حسابا الا ترى انه لما كان المعنى فعل حمل المعطوف على ذلك فنصب الشمس والقمر على فعل لما كان فاعل كفعل ويقوي ذلك قولهم هذا معطي زيد درهما أمس فالدرهم محمول على اعطى لأن اسم الفاعل إذا كان لما مضى لم يعمل عمل الفعل فإذا كان معطوياً بمنزلة اعطى كذلك جعل فاتق بمنزلة فلق لأن اسم الفاعل لما مضى فعطف عليه فعل لما كان بمنزلة

✽ اللغة ✽

الفلق الشق يقال فلقة فانفلق والفلق الصبح لأن الظلام ينفلق عنه والفلق المظمن من الارض كأنه منشق عنها والحب جمع حبة وهو كل ما لا يكون له نوى كالبر والشعير والنوى جمع نواة والإصباح والصبح واحد وهو مصدر أصبحنا إصباحاً وقد روي عن الحسن انه قرأ فاتق الأصباح بالفتح يريد صبح كل يوم وما قرأ به غيره والسكن الذي يسكن اليه والحسبان جمع حساب مثل شهاب وشهبان وقيل هو مصدر حسبت الحساب احسبه حساباً وحسباناً وحكي عن بعض العرب على الله حسبان فلان وحسبته اي حسابه والحسبان بكسر الحاء جمع حسبانة وهي وبسادة صغيرة والحسبان والمحسبة مصدر حسبت فلانا عاقلاً احسبه واحسبه

✽ الاعراب ✽

النصب في الشمس والقمر مفعول فعل يدل عليه قوله وجاعل الليل سكناً وتقديره وجعل الشمس والقمر حساباً وحسباناً المفعول الثاني منه ولا يجوز وجاعل الليل سكناً لأن اسم الفاعل إذا كان واقعاً لم يعمل عمل الفعل وأضيف إلى ما بعده لا غير تقول هذا ضارب زيد أمس لا غير

✽ المعنى ✽

ثم عاد الكلام إلى الاحتجاج على المشركين بعجائب الصنع واطائف التدبير فقال سبحانه (ان الله فاتق الحب والنوى) اي شاق الحبة اليابسة الميتة فيخرج منها النبات وشاق النواة اليابسة فيخرج منها النخل والشجر عن الحسن وقتادة والسدي وقيل معناه خالق الحب والنوى ومنشئها ومبدئها عن ابن عباس والضحاك وقيل المراد به ما في الحبة والنوى من الشق وهو من عجيب قدرة الله تعالى في استوائه عن مجاهد وابي مالك (يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي) اي يخرج النبات الغض الطري الخضر من الحب اليابس ويخرج الحب اليابس من النبات الحي النامي عن الزجاج والعرب تسمي الشجر ما دام غضاً قائماً بأنه حي فإذا يبس او قطع او قلع سموه ميتاً وقيل معناه يخلق الحي من النطفة وهي موات ويخلق النطفة وهي موات من الحي عن الحسن وقتادة وابن زيد وغيرهم وهذا أصح وقيل معناه يخرج الطير من البيض والبيض من الطير عن الجبائي وقيل معناه يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن (ذاكم الله) اي فاعل ذلك كله الله (فأنتى توفكون) اي تصرفون عن الحق ويذهب بكم عن هذه الأذلة الظاهرة الى الباطل فأفلا تتدبرون فتعلمون انه لا ينبغي ان يجعل لمن انعم عليكم بخلق الحب والنوى واخراج الزرع من الحب والشجر من النوى شريك في عبادته (فاتق الإصباح) اي شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده عن أكثر المفسرين وقيل معناه خالق الصباح عن ابن عباس (وجاعل الليل سكناً) تسكنون فيه وتتودعون فيه عن ابن عباس ومجاهد وأكثر المفسرين نبه الله سبحانه على عظيم نعمته بأن جعل الليل للاسكون والنهار للتصرف ودل بتعاقبهما على كمال قدرته وحكمته ثم قال (والشمس والقمر حساباً) اي جعلها تجزيان في افلاكهما بحساب لا يتجاوزانه حتى ينتهيا إلى أقصى منازلها فتقطع الشمس جميع البروج الاثني عشر في ثلاثمائة وخمس وستين يوماً وربع والقمر في ثمانية وعشرين يوماً وربع عليها الليالي والأيام والشهور والاعوام كما قال سبحانه والشمس والقمر بحسبان وقال كل في فلك يسبحون عن ابن عباس والسدي

وقتادة ومجاهد أشار سبحانه بذلك إلى ما في حسابها من مصالح العباد في معاملاتهم وتواريحهم وأوقات عباداتهم وغير ذلك من أمورهم الدينية والدنيوية (ذاك) إشارة إلى ما وصفه سبحانه من فلق الاصبح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا (تقدير العزيز) الذي عز سلطانه فلا يقدر احد على الامتناع منه (العليم) بمصالح خلقه وتديبرهم

قوله تعالى (٩٧) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩٨) وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (آيتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب برواية روح وزيد فمستقر بكسر القاف والباقون بفتح القاف

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من كسر القاف كان المستقر بمعنى القار فإذا كان كذلك وجب خبره ان يكون المضر منكم اي فمنكم مستقر كقولك بعضكم مستقر اي مستقر في الارحام ومن فتح فليس على انه مفعول الا ترى ان المستقر لا يتعدى وإذا لم يتعد لم يبين منه اسم مفعول به وإذا لم يكن مفعولا به كان اسم مكان فالمستقر بمنزلة المقر كما كان المستقر بمعنى القار وإذا كان كذلك جعلت الخبر المضر لكم والتقدير فمستقر لكم وأما المستودع فإن استودع فعل يتعدى إلى مفعولين تقول استودعت زيدا الفأودعت زيدا الفأ فاستودع مثل أودع كما ان استجاب مثل أجاب فالمستودع يجوز ان يكون الإنسان الذي استودع ذلك المكان ويجوز ان يكون المكان نفسه ومن قرأ فمستقر بفتح القاف جعل المستودع مكانا ليكون مثل المعطوف عليه اي فلكم مكان استقرار واستيداع ومن قرأ فمستقر فالعنى منكم مستقر في الارحام ومنكم مستودع في الاصلاب فالمستودع اسم المفعول به فيكون مثل المستقر في انه اسم لغير المكان

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه ما يقارب في المعنى الآية المتقدمة فيأيدل على وحدانيته وعظيم قدرته فقال (وهو الذي جعل) اي خلق (لكم) اي لضعفكم (النجوم تهتدوا بها) اي بضرئها وطلوعها ومواضعها (في ظلمات البر والبحر) لأن من النجوم ما يكون بين يدي الإنسان ومنها ما يكون خلفه ومنها ما يكون عن يمينه ومنها ما يكون عن يساره ويهتدى بها في الاسفار وفي البلاد وفي القبله واوقات الليل وإلى الطرق في مسالك البراري والبحار وقال البلخي ليس في قوله تهتدوا بها ما يدل على انه لم يخلقها لغير ذلك بل خلقها سبحانه لأمر جليله عظيمة ومن فكر في صغر الصغير منها وكبر الكبير واختلاف مواقعها ومجاورها واتصالاتها وسيرها وظهور منافع الشمس والقمر في نشوء الحيوان والنبات علم ان الأمر كذلك ولو لم يخلقها إلا للاهتداء لما كان خلقها صغارا وكبارا واختلافاتها في المسير معنى وفي تفسير علي بن ابراهيم بن هاشم ان النجوم آل محمد (ع) (قد فصلنا الآيات) اي بينا الحجج والبيئات (لقوم يعلمون) اي يتفكرون فيعلمون (وهو الذي أنشأكم) اي ابدعكم وخلقكم (من نفس واحدة) اي من آدم (ع) لأن الله تعالى خلقنا جميعا منه وخلق أمنا حواء من ضلع من أضلاعه ومن علينا بهذا لأن الناس إذا رجعوا إلى أصل واحد كانوا أقرب الى التواد والتعاطف والتآلف (فمستقر ومستودع) قد مر ذكرهما في الحجة واختلف في معناهما فقليل مستقر في الرحم إلى ان يولد ومستودع في القبر إلى ان يبعث عن عبد الله بن مسعود وقيل مستقر في بطون الأمهات ومستودع في اصلاب الآباء عن سعيد بن جبير وعكرمة عن

ابن عباس وقيل مستقر على ظهر الأرض في الدنيا ومستودع عند الله في الآخرة عن مجاهد وقيل مستقرها أيام حياتها ومستودعها حيث يموت وحيث يبعث عن ابي العالية وقيل مستقر في القبر ومستودع في الدنيا عن الحسن وكان يقول يا ابن آدم أنت ودبيعة في أهلك ويوشك ان تلحق بصاحبك وأنشد قول لبيد

وما المال والأهلون الا ودائع ولا بد يوماً أن ترد الودائع

وقال سليمان بن زيد العدوي في هذا المعنى

فجع الأحبة بالأحبة قبلنا فالتاس مفجوع به ومفجع

مستودع او مستقر مدخلا فالمستقر يزوره المستودع

(قد فصلنا الآيات) اي بينا الحجج وميزنا الأدلة (لقوم يفقهون) مراقع الحججة ومواقع العبرة وإنما خص

الذين يعلمون ويفقهون لأنهم المنتفعون بها كما قال هدى للمتقين وكرر قوله قد فصلنا الآيات حثاً على النظر وتنبهها على ان كلاماً ذكر آية ودلالة تدل على توحيد و صفاته العلى

قوله تعالى (٩٩) وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نَخْرُجُ مِنْهُ حَبًّا مَتْرًا كَبَابًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (آية)

❖ القراءة ❖

قرأ ابو بكر عن عاصم برواية ابي يوسف الأعمش والبرجمي وجنات بالرفع وهو قراءة أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) وعبد الله بن مسعود والاعمش ويحيى بن يعمر وقرأ الباقر وجنات على النصب وقرأ حمزة والكسائي وخلف ثمره بضمين وكذلك كلوا من ثمره وفي سورة يس لياكلوا من ثمره وقرأ الباقر ثمره بفتحين في الجميع

❖ الحججة ❖

من قرأ وجنات فإنه عطفها على قوله خضرا اي فأخرجنا من الماء خضرا وجنات من اعناب ومن قرأ وجنات بالرفع فإنه عطفها على قنوان لفظا وإن لم يكن من جنسها كقول الشاعر (متقلدا سيفا ورحا) ومن قرأ الى ثمره فالثمر جمع ثمرة مثل بقرة وبقرة وشجرة وشجر ومن قرأ ثمره بضمين فيحتمل وجهين ❖ احدهما ❖ ان يكون على ثمره وثمر مثل خشبة وخشب وأكمة وأكم قال الشاعر

نحن الفوارس يوم ديسقة المغ شو الكماة غوارب الأكم

ونظيره من المعتل قارة وقور وناق وناق وساحة وسوح قال الشاعر

وكان سيان الايسرحوا نعا او يسرحوه بها واغبرت السوح

❖ والاخر ❖ ان يكون جمع ثمار على ثمر فيكون ثمر جمع الجمع

❖ اللفظة ❖

خضر بمعنى أخضر يقال اخضر فهو خضر واخضر واعرور فهو عور واعرور وفي الحديث ان الدنيا حلوة خضرة اي غضة ناعمة وذهب دمه خضرا مضرا اي باطلا وأخذ الشيء خضرا مضرا اي مجانا بغير ثمن وقيل غضا طريا ووفلان اخضر الجلادة وأخضر المنكب اي ذو سعة وخصب وقال الفضل بن عباس بن عتبة بن ابي لهب

وانا الأخضر من يعرفني
أخضر الجلدة في بيت العرب
من يساجلني يساجل ماجداً
يملاً الدلو الى عقد الكرب
برسول الله وابني بنته
وبعباس بن عبد المطلب

وكتيبة خضراء اذا كان عليها سواد الحديد والعرب تسمى الأسود اخضر ويسمى سواد العراق سوادا
لكثرة خضرتة ومتراكب متفاعل من الركوب وطلع النخل اول ما يبدو من ثمره وقد اطلع النخل والقنوان جمع
قنوهو العذق بكسر العين اي الكباسة والعذق بفتح العين النخلة وقنوان وقنوان بكسر القاف وضما اقتان وقنيان
بالياء لغة تميم ودانية قريبة المتناول والينع النضج يقال ينعم الثمر ينعا وينعا واينع إذا ادرك قال الشاعر

في قباب وسط دسكرة
حولها الزيتون قد ينعا

وقيل ان الينع جمع يانع مثل صاحب وصحب وتاجر وتجر

المعنى *

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال (وهو الذي انزل من السماء ماء) يريد من السحاب والعرب تقول كل
ما علاك فأظلك فهو سماء (فأخرجنا به نبات كل شيء) والمعنى فأخرجنا بالمااء الذي انزلناه من السماء من غدا
الانعام والطيور والوحش وأرزاق بني آدم ما يتغذون به ويأكلونه فينبثون عليه وينمون ويريد نبات كل شيء ما
ينبت به كل شيء وينمو عليه ويحتمل ان يكون المراد أخرجنا به جميع أنواع النبات ليكون كل شيء هو اصناف
النبات كقوله ان هذا هو الحق اليقين عن الفراء والاول احسن وإنما قال به لأنه سبحانه جعله سبباً مؤدياً الى
النبات لا مولداً له وقد كان يمكنه الانبات بغيره فلا يقال انه فعله بسبب مولد (فأخرجنا منه) اي من الماء وقيل
من النبات (خضراً) اي زرعاً رطباً اخضر وهو ساق السنبله (نخرج منه) اي من ذلك الزرع الخضر (حباتها كبا)
قد تتركب بعضه على بعض مثل سنبله الحنطة والسهم وغير ذلك (ومن النخل) اي ونخرج من النخل (من
طلعها قنوان) اي اعذاق الرطب (دانية) اي قريبة المتناول ولم يقل ومنها قنوان بعيدة لأن في
الكلام دليلاً على البعيدة السحيفة من النخل قد كانت غير سحيفة فاجترأ بذكر القرينة عن ذكر
السحيفة كما قال سراييل تقيكم الحر ولم يقل وسراييل تقيكم البرد لأن في الكلام دليلاً على
انها تقي البرد لأن ما يستر عن الحر يستر عن البرد عن الزجاج وقيل دانية دنت من الارض لكثرة ثمرها
وثقل حملها وتقديره ومن النخل من طاعها ما قنوانه دانية وإنما خص الطلع بالذكر لما فيه من المنافع والأغذية
الشريفة التي ليست في اكام الثمار (وجنات من اعناب) يعني وأخرجنا به ايضاً جنات من اعناب اي بساتين
من اعناب ومن رفعه فتقديره ونخرج به جنات من اعناب (والزيتون والرمان) اي فأخرجنا به الزيتون
والرمان اي شجر الزيتون والرمان وقرن الزيتون والرمان لأنهما شجرتان تعرف العرب أن ورقهما يشتمل على
الفصن من أوله الى آخره قال الشاعر

بورك الميت الغريب كما بو
رك نضج الرمان والزيتون

ومعناه ان ورقها يشتمل على العود كله (مشتبهها وغير متشابه) اي مشتبهها شجره يشبه بعضه ببعضها وغير
متشابه في الطعم وقيل مشتبهها ورقه مختلفاً ثمره عن قتادة وقيل مشتبهها في الخلق مختلفاً في الطعم وقيل مشتبهها
ما كان من جنس واحد وغير متشابه اذا اختلف جنسه عن الجبائي والاولى ان يقال ان جميع ذلك مشتبه من
وجوه مختلف من وجوه فيدخل فيه جميع ما تقدم (انظروا الى ثمره اذا اثمر) اي انظروا الى خروج الثمار انظر الاعتبار

(وبنعه) أي نضجه ومعناه انظروا من ابتداء خروجه إذا أثر إلى انتهائه إذا اهنع وادرك كيف تنتقل عليه الاحوال في الطعم واللون والرائحة والصفرة والكبر ليستدلوا بذلك على ان له صانعا مديرا (ان في ذلكم لايات) أي ان في خلق هذه الثمار والزروع مع اتقان جواهرها اجناسا مختلفة لا يشبه بعضها بعضا لدلالات على ان لها خالقا قصد إلى التمييز بينها قبل خلقها على علم بها وانها تكونت بخلقها وتديره (لقوم يؤمنون) لانهم بها يستدلون وبمعرفة مدلولاتها ينتفعون

قوله تعالى (١٠٠) وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَہُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ (١٠١) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (آياتان)

✽ القراءة ✽

قرا اهل المدينة وخرقوا بالتشديد والباقون وخرقوا بالتخفيف

✽ الحجة ✽

قال احمد بن يحيى خرق وخرق بمعنى وقال ابو الحسن الخفيفة اعجب الي لانها اكثر والمعنى في القراءتين كذبوا وقد روي في الشواذ عن ابن عباس وخرقوا بالحاء والفاء وهذا شاهد يكذبهم ايضا ومثله يحرفون الكلم عن مواضعه

✽ اللفظة ✽

البديع بمعنى المبدع والفرق بين الابداع والاختراع ان الابداع فعل ما لم يسبق الي مثله والاختراع فعل ما لم يوجد سبب له ولذلك يقال البدعة لما خالف السنة لانه احداث ما لم يسبق اليه ولا يقدر على الاختراع غير الله تعالى لأن حده ما ابتدئ في غير محل القدرة عليه والقادر بقدرة إما ان يفعل مباشرة وهو ما ابتدئ في محل القدرة او متولداً وهو ما يوقع بحسب غيره ولا يقدر على الاختراع اصلا

✽ الاعراب ✽

انتصاب الجن من وجهين ✽ احدهما ✽ ان يكون مفعولا أي جعلوا الجن لله شركاء ويكون شركاء مفعولا ثانيا كما قال وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا ✽ والآخرة ✽ ان يكون الجن بدلا من شركاء ومفسرا له سبحانه نصب على المصدر كأنه قال تسيبها له وبديع خبر مبتدأ محذوف تقديره هو بديع السماوات ويجوز ان يكون مبتدأ وخبره انى يكون له ولد وإنما تعدى بديع وهو فاعل لأنه معدول عن مفعول والصفة تعمل عمل ما عدت منه فإذا لم تكن معدولة لم تعد نحو طويل وقصير

✽ المعنى ✽

ثم رد سبحانه على المشركين وعجب من كفرهم مع هذه البراهين والحجج والبيّنات فقال (وجعلوا) يعني المشركين (الله شركاء الجن) أخبر الله سبحانه انهم اتخذوا معه آلهة جعلوهم له اندادا كما قال وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وأراد بالجن الملائكة وإنما سماهم جنا لاستنارهم عن الآعين وهذا كما قال جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا عن قتادة والسدي وقبل ان قريشا كانوا يقولون ان الله تعالى قد صاهر الجن فحدث

بينها الملائكة فيكون على هذا القول المراد به الجن المعروف وقيل أراد بالجن الشياطين لأنهم أطاعوا الشياطين في عبادة الأوثان عن الحسن (وخلقهم) الهاء والميم عائدة إليهم أي جعلوا للذي خلقهم شركاء لا يخلقون ويجوز أن يكون الهاء والميم عائدة على الجن فيكون المعنى والله خلق الجن فكيف يكونون شركاء له ويجوز أن يكون المعنى وخلق الجن والإنس جميعا وروي أن يحيى بن يعمر قرأ خلقهم بسكون اللام أي وخلق الجن يعني ما يخلقونه ويأفكون فيه ويكذبونه كأنه قال جعلوا الجن شركاء وفعالهم شركاء أفعاله أو شركاء له إذا عني بذلك الأصنام ونحوها وقيل إن المعنى بالآية المجوس إذ قالوا يزدان وأهرمن وهو الشيطان عندهم فنسبوا خلق الموتى والشروروا لأشياء الصارة إلى أهرمن وجعلوه بذلك شركاء له ومثلهم الثنوية القائلون بالنور والظلمة (وخرقوا له بنين وبنات) أي اختلقوا وموهوا وافترخوا الكذب على الله ونسبوا البنين والبنات إلى الله فإن المشركين قالوا الملائكة بنات الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله واليهود قالوا عزيز ابن الله (بغير علم) أي بغير حجة ويجوز أن يكون معناه بغير علم منهم بما عليهم عاجلا وأجلا ويجوز أن يكون معناه بغير علم منهم بما قالوه على حقيقة لكن جهلا منهم بالله وبمعلمته تعالى (سبحانه) أي تنزيها له عما يقولون (وتعالى عما يصفون) من ادعائهم له شركاء واختراعهم له بنين وبنات أي هو يجل من أن يوصف بما وصفوه به وإنما صار اتخاذ الولد نقصا لأنه لا يخلو من أن يكون ولادة أو تبنيًا وكلاهما يوجب التشبيه ومن أشبه المحدث كان على صفة نقص (بديع السموات والأرض) أي مبدعها ومنشئها بعلمه ابتداء لا من شيء ولا على مثال سبق وهو المروي عن أبي جعفر (ع) (أني يكون له ولد) أي كيف يكون له ولد ومن أين يكون له ولد (ولم تكن له صاحبة) أي زوجة وإنما يكون الولد من النساء فيما يتعارفونه (وخلق كل شيء) في هذا نفى للصاحبة والولد فإن من خلق الأشياء لا يكون شيء من خلقه صاحبة له ولا ولدًا ولا لأن الأشياء كلها مخلوقة له فكيف يعزز بالولد ويكثر به (وهو بكل شيء عليم) يعلم الأشياء كلها موجودها ومعدومها لا يخفى عليه خافية ومن قال إن في قوله وخلق كل شيء دلالة على خلق أفعال العباد فجوابه إن المفهوم منه أنه أراد المخلوقات كما يفهم المأكولات من قول من قال أكلت كل شيء والمخلوقات كلها بما فيها من التقدير العجيب يضاف خلقها إليه سبحانه على أنه سبحانه قد نزه نفسه عن إفك العباد وكذبهم فلو كان خلقا له لما تنزه عنه

قوله تعالى (١٠٢) ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٣) لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (آيتان)

✽ اللغة ✽

الوكيل على الشيء هو الحافظ له الذي يحوطه ويدفع الضرر عنه وإنما وصف سبحانه نفسه بأنه وكيل مع أنه مالك الأشياء لأنه لما كانت منافعها لغيره لاستحالة المنافع عليه والمضار صحت هذه الصفة له وقيل الوكيل من يوكل إليه الأمر يقال وكت إليه هذا الأمر أي وليته تدبيره والمؤمن يتوكل على الله أي يفوض أمره إليه والإدراك المحقق يقال أدرك قتادة الحسن أي لحقه وأدرك الطعام نضج وأدرك الزرع بلغ منتهاه وأدرك الغلام بلغ ولحق حال الرجولية وأدركته ببصره لحقته ببصري وتدارك القوم تلاحقوا ولا

يكون الإدراك بمعنى الإحاطة لأن الجدار محيط بالدار وليس يدرك لها والبصر الحاسة التي تقع بها الروية

✽ الاعراب ✽

خالق كل شيء خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون صفة ربكم وكان يجوز نصبه على الحال لأنه نكرة

✽ المعنى ✽

اتصل بمعرفة بعد التمام

لما قدم سبحانه ذكر الأدلة على وحدانيته عقبه بتبنيه عباده على انه الآله المستحق للطاعة والعبادة وتعليمهم الاستدلال بأفعاله عليه فقال (ذلكم) اي ذلك الذي خلق هذه الأشياء ودبر هذه التدابير لكم أيها الناس هو (الله ربكم) اي خالقكم ومالككم ومدبركم وسيدكم (لا إله الا هو خالق كل شيء) اي كل مخلوق من الاجسام والاعراض التي لا يقدر عليها غيره (فاعبدوه) لأنه المستحق للعبادة (وهو على كل شيء وكيل) اي حافظ ومدبر وحفيظ على خلقه فهو وكيل على الخلق ولا يقال وكيل لهم (لا تدرکه الأبصار) اي لا تراه العيون لأن الإدراك متى قرن بالبصر لم يفهم منه الا الروية كما انه اذا قرن بالآلة السمع قبيل ادركت بأذني لم يفهم منه الا السماع وكذلك اذا أضيف الى كل واحد من الحواس أفاد ما تلك الحاسة آلة فيه فقولهم أدركته بغمي معناه وجدت طعمه وأدركته بأنفي معناه وجدت رائحته (وهو يدرك الأبصار) تقديره لا تدرکه ذوو الابصار وهو يدرك ذوي الابصار اي المبصرين ومعناه انه يرى ولا يرى وبهذا خالف سبحانه جميع الموجودات لأن منها ما يرى ويرى كالأحياء ومنها ما يرى ولا يرى كالجمادات والاعراض المدركة ومنها ما لا يرى ولا يرى كالأعراض غير المدركة فالتعالى خالف جميعها وتفرّد بأن يرى ولا يرى وتقدح في الآية بجموع الأمرين كما تقدح في الآية الأخرى بقوله وهو يطعم ولا يطعم وروى العياشي بالأسناد المتصل ان الفضل بن سهل ذا الرباستين سأل ابا الحسن علي بن موسى الرضا (ع) فقال اخبرني عما اختلف الناس فيه من الروية فقال من وصف الله بخلاف ما وصف به نفسه فقد اعظم الفرية على الله لا تدرکه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهذه الأبصار ليست هي العين إنما هي الأبصار التي في القلوب لا يقع عليه الاوهام ولا يدرك كيف هو (وهو اللطيف) قيل في معناه وجوه ✽ احدها ✽ انه اللطيف بعباده بسبوغ الانعام غير انه عدل عن وزن فاعل الى فعليل للمبالغة ✽ والثاني ✽ ان معناه لطيف التدبير الا انه حذف لدلالة الكلام عليه - والثالث = ان اللطيف الذي يستقل الكثير من نعمه ويستكثر القليل من طاعة عباده = والرابع = ان اللطيف الذي اذا دعوته لباك وان قصده آواك وان أحببته أدناك وان أطعمته كافاك وان عصيته عافاك وان أعرضت عنه دعاك وان أقبلت اليه هداك ✽ والخامس ✽ اللطيف من يكافي الوافي ويعفو عن الجافي - والسادس = اللطيف من يعز المفتخر به ويعني المفتقر اليه - والسابع = اللطيف من يكون عطاؤه خيرة ومنعه ذخيرة (الخبير) العليم بكل شيء من مصالح عباده فيدبرهم عليها وبأفعالهم فيجازيهم عليها

قوله تعالى (١٠٤) قَدْ جَاءَكُمْ بِصَائِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا
وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِمَحْفِظٍ (١٠٥) وَكَذَلِكَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنَبِينَهُ لِقَوْمٍ
يَعْلَمُونَ (آياتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ودارست وقرأ ابن عامر ويعقوب وسهل درست بفتح السين وسكون التاء والباقون درست وفي قراءة عبد الله وإبي درس اي ليقولوا درس محمدروي عن ابن عباس والحسن درست

﴿ الحجية ﴾

من قرأ دارست فمعناه انك دارست اهل الكتاب وذا كرتهم ويقويه قوله وأعانته عليه قوم آخرون ومن قرأ درست فحجته ان ابن مسعود قرأ درس فأسند الفعل فيه الى الغيبة كما اسند الى الخطاب ومن قرأ درست فهو من الدروس الذي هو ثمرى الأثرى انمحت ويكون اللام في ليقولوا على هذا بمعنى لكرهية ان يقولوا ولأن لا يقولوا انها اخبار قد تقدمت فطال العهد بها وبأد من كان يعرفها لأن تلك الأخبار لا تخلو من خال فإذا سلم الكتاب منه لم يكن لطاعن فيه مطعن وأما على القراءتين الأوليين فاللام في ليقولوا كالتى في قوله ليكون لهم عدواً وحزناً ولم يلتقطوه لذلك كما لم يصرف الآيات ليقولوا درست ودارست ولكن لما قالوا ذلك أطلق على هذا للاتساع وأما قراءة ابن عباس درست ففيه ضمير الآيات ومعناه درستها أنت يا محمد ويجوز ان يكون معناه عفت وتنوسيت فيكون كقولهم ان هذا الا أساطير الأولين

﴿ اللغة ﴾

البصيرة البينة والدلالة التي يبصر بها الشيء على ما هو به والبصائر جمعها والبصيرة مقدار الدرهم من الدم والبصيرة الترس والبصيرة الثأر والدية قال الشاعر

جاؤا بصائرهم على اكتافهم وبصيرتي يعدوبها عتدواي

اي أخذوا الديات فصارت عارا وبصيرتي على فرسي أطلب بها ثأري وقيل أراد ثقل دمايتهم على اكتافهم لم يثأروا بها قال الأزهري البصيرة ما اعتقد في القلب من تحقيق الشيء والشقة تكون على الجنأ والابصار لا إدراك بحاسة البصر والدرس أصله استمرار التلاوة ودرس الأثر دروسا اذا انمحي لاستمرار الزمان به ودرست الرياح الأثر دروسا عنده باستمرارها عليه

﴿ الإعراب ﴾

كذلك موضع الكاف نصب منه بكونه صفة للمصدر اي تصريفا مثل ذلك التصريف واللام في ليقولوا معطوف على محذوف تقديره ليجحدوا وبيقولوا درست واللام لام العاقبة

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه انه بعد هذه الآيات قد أزاح العلة للمكلفين فقال (قد جاءكم) أيها الناس (بصائر) بينات ودلالات (من ربكم) تبصرون بها الهدى من الضلال وتميزون بها بين الحق والباطل ووصف البينة بأنها جاءت تفخيماً لشأنها كما يقال جاءت العافية وانصرف المرض وأقبل السعد (فمن ابصر فلنفسه) اي من تبين هذه الحجج بأن نظر فيها حتى أوجبت له العلم فمففعة ذلك تعود اليه وانفسه نظر (ومن عمي) فلم ينظر فيها وصدق عنها (فعلما) أي على نفسه وباله وبها أضرب وإياها ضرب فسمي العلم والتبين أبصارا والجهل عمى مجازا وتوسعا وفي هذا دلالة على ان المكلفين مخبرون في افعالهم غير مجبرين ثم أمر سبحانه نبيه بأن يقول لهم (وما أنا عليكم بحفيظ) اي لست أنا الرقيب على اعمالكم قال الزجاج معناه لست آخذكم بالايمن أخذ الحفيظ عليكم

والوكيل وهذا قبل الأمر بالقتال فلما أمر النبي (ص) بالقتال صار حفيظا عليهم ومسيطرا على كل من تولى (وكذلك) اي وكما صرفنا الآيات قبل (نصرف هذه الآيات) قال علي بن عيسى والتصريف اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة لتجتمع فيه وجوه الفائدة (ويقولوا درست) ذلك يا محمد اي تعلمته من اليهود قال الزجاج وهذه اللام تسميها أهل اللغة لام الصيرورة اي ان السبب الذي ادهم الي ان قالوا درست هو تلاوة الآيات وكذلك درست اي درست اهل الكتابين وقاراتهم وذاكرتهم عن الحسن ومجاهد والسدي وابن عباس (ولنبينه لقوم يعلمون) معناه لنبين الذي هذه الآيات دالة عليه للعلماء الذين يعقلون ما نوره عليهم وإنما خصهم بذلك لأنهم اتفقوا به دون غيرهم

قوله تعالى (١٠٦) اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (١٠٧) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (آيتان)

✽ اللغة ✽

الاتباع ان يتصرف الثاني بتصرف الأول والنبي كان يتصرف في الدين بتصرف الوحي فلذلك كان متبعا وكذلك كل متدبر بتدبير غيره فهو متبع له والايماء هو القاء المعنى الى النفس على وجه يخفى والاعراض أصله الانصراف بالوجه الى جهة العرض ومنه

وأعرضت اليامة وأشمخرت كأسياق بأيدي مصلتنا

اي ظهرت كالظهور بالعرض ومنه المعارضة لظهور المساواة بها كالظهور بالعرض والاعتراض المنع من الشيء الحاجز عنه عرضا ومنه العرض الذي يظهر كالظهور بالعرض ثم لا يلبث وحده ايضا بأنه ما يظهر في الوجود ولا يكون له لبث كلبث الجواهر ✽ المعنى ✽

ثم أمر سبحانه نبيه (ص) باتباع الوحي فقال (اتبع) أيها الرسول (ما أوحى اليك من ربك لا إله الا هو) وإنما عاود سبحانه هذا القول لأن المراد ادعاهم الى انه لا إله الا هو عن الحسن وقيل معناه ما أوحى اليك من انه لا إله الا هو (واعرض عن المشركين) قال ابن عباس نسخته آية القتال وقيل معناه اهجروهم ولا تخالطهم ولا تلاطفهم ولم يرد به الاعراض عن دعائهم الى الله تعالى وحكمه ثابت (ولو شاء الله ما اشركوا) اي لو شاء الله ان يتركوا الشرك قهراً واجباراً لا اضطروهم الى ذلك الا انه لم يضطرهم اليها ينافي أمر التكليف وأمرهم بتركه اختياراً ليستحقوا الثواب والمدح عليه فلم يتركوه فأتوا به من قبل نفوسهم وفي تفسير اهل البيت (ع) لو شاء الله ان يجعلهم كلهم مؤمنين معصومين حتى كان لا يعصيه أحد لما كان يحتاج الى جنة ولا الى نار ولكنه أمرهم ونهاهم وامتحنهم وأعطاهم ماله به عليهم الجحمة من الآلة والاستطاعة ليستحقوا الثواب والعقاب (وما جعلناك عليهم حفيظاً) مراقباً لأعمالهم (وما أنت عليهم بوكيل) اي ولست بموكل عليهم بذلك وإنما انت رسول عليك البلاغ وعلينا الحساب وجمع بين حفيظ ووكيل لاختلاف معنى المفظين فإن الحافظ للشيء هو الذي يصونه عما يضره والوكيل على الشيء هو الذي يجلب الخير اليه

قوله تعالى (١٠٨) وَلَا تُسَبِّحُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زِينَةٌ لِكُلِّ أُمَّةٍ عَلَيْهِمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ يعقوب عدوا بضم العين والبدال وتشديد الواو وهو قراءة الحسن وإبي رجاة وقتادة وقرأ الباقون عدواً بفتح العين وسكون الدال

﴿ الحججة ﴾

العدو والعدو جميعا الظلم والتعدي للحق ومثاها العدوان والعداء وإنما انتصب عدواً لأنه مصدر في موضع الحال

﴿ اللفظة ﴾

السب الذكربالقيح ومنه الشتم والذم وأصله السبب كأنه يتسبب الى ذكره بالقيح وسبب الذي يسابك قال لا تسبنتني فلمست بسبي إن سبي من الرجال الكريم وقيل أصل السب القطع

﴿ النزول ﴾

قال ابن عباس لما نزلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآيات قال المشركون يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا أولهنجون ربك فنزلت الآية وقال قتادة كان المسلمون يسبون اصنام الكفار فنهاهم الله عن ذلك لئلا يسبوا الله فأنهم قوم جهلة

﴿ المعنى ﴾

ثم نهى الله المؤمنين ان يسبوا الاصنام لما في ذلك من المفسدة فقال (لانسبوا الذين يدعون من دون الله) اي لا تخرجوا من دعوة الكفار ومحاجتهم الى ان تسبوا ما يعبدونه من دون الله فإن ذلك ليس من الحجاج في شيء (فيسبوا الله عدوا) اي ظلما (بغير علم) وأنتم اليوم غير قادرين على معاقبتهم بما يستحقون لأن الدار دارهم ولم يؤذن لكم في القتال وإنما قال من دون الله لأن المعنى يدعونها آيا وفي هذا دلالة على انه لا ينبغي لأحد ان يفعل او يقول ما يؤدي الى معصية غيره وسئل ابو عبد الله (ع) عن قول النبي (ص) ان الشرك أخفى من ديب النمل على صفوانة سوداء في ليلة ظلماء فقال كان المؤمنون يسبون ما يعبد المشركون من دون الله فكان المشركون يسبون ما يعبد المؤمنون فنهى الله المؤمنين عن سب آلهتهم لكيلا يسب الكفار آله المؤمنين فكان المؤمنون قد أشركوا من حيث لا يعلمون (كذلك زيننا اكل أمة عملهم) قيل في معناه أقوال ﴿ احدها ﴾ ان المراد كما زيننا لكم أعمالكم زيننا لكل أمة ممن قبلكم أعمالهم من حسن الدعاء الى الله تعالى وترك السب للاصنام ونهيناهم ان يأتوا من الأفعال ما ينفر الكفار عن قبول الحق عن الحسن والجبائي ويسني ما يجب على الإنسان ان يعمله بأنه عمله كما تقول لولدك او غلامك اعمل عملك اي ما ينبغي لك ان تفعله ﴿ وثانيها ﴾ ان معناه وكذلك زيننا لكل أمة عملهم بميل الطباع اليه ولكن قد عرفناهم الحق مع ذلك ليأتوا الحق ويمتنبوا الباطل ﴿ وثالثها ﴾ ان المراد زيننا عملهم بذكر ثوابه فهو كقوله ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان يريد حبب اليكم الايمان بذكر ثوابه ومدح فاعليه على فعله وكره الكفر بذكر عقابه ودم فاعليه على فعله ولم يرد سبحانه بذلك انه زين عمل الكافرين لأن ذلك يقتضي الدعاء اليه والله تعالى مادعا أحدا الى معصيته لكنه نهى عنها ودم

فاعليها وقد قال سبحانه وزين لهم الشيطان أعمالهم ولا خلاف ان المراد بذلك الكفر والمعاصي وفي ذلك دلالة على ان المراد به في الآية تزوين اعمال الطاعة (ثم الى ربهم مرجعهم) اي مصيرهم (فبينهم بما كانوا يعملون) اي بأعمالهم من الخير والشر نهى الله سبحانه في هذه الآية عن سب الاصنام لئلا يؤدي ذلك الى سبه فاذا كان سبحانه لا يريد ما ربما يكون سبياً الى سبه فلان لا يريد سب نفسه اولى واجدر وايضا اذا لم يرد سب الاصنام اذا كان زيادة في كفر الكافرين فلان لا يريد كفرهم اخرى فبطل قول المجبرة

قوله تعالى (١٠٩) وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (١١٠) وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (آيتان)

✽ القراءة ✽

قرأ ابن كثير واهل البصرة وابو بكر عن عاصم ونصير عن الكسائي وخلفانها بكسر الألف وقرأ الباقون انها بفتح الألف وقرأ ابن عامر وحزه لا يؤمنون بالتاء والباقون لا يؤمنون بالياء وفي الشواذ وينذرهم بالياء والجزم قراءة الأعمش

✽ الحجة ✽

قال ابو علي وما يشعر كم ما فيه استفهام وفاعل يشعر كم ضمير ما ولا يجوز ان يكون نفيًا لأن الفعل فيه يبقى بلا فاعل فإن قلت يكون ما نفيًا ويكون فاعل يشعر كم ضمير اسم الله تعالى قيل ذلك لا يصح لأن التقدير يصبر وما يشعر كم الله انتفاء ايمانهم وهذا لا يستقيم لأن الله قد اعلمنا انهم لا يؤمنون بقوله ولو اننا نزلنا الآية واذا فسد ان يكون ما للنفي ثبت انها للاستفهام فيكون اسما فيصير في الفعل ضميره ويكون المعنى وما يدريك ايمانهم اذا جاءت فحذف المفعول وحذف المفعول كثير ثم قال انهم لا يؤمنون مع مجيبي الآية فمن كسر الهمزة فإنه استأنف على القطع بأنهم لا يؤمنون ومن فتح الهمزة جاز ان يكون يشعر كم منقولاً من شعرت الشي وشعرت به مثل دريته ودريت به في انه يتمد من مرة بحرف ومرة بلا حرف فاذا عديته بالحرف جاز ان يكون ان في قول من لم يجعلها بمعنى لعل في موضع جر لأن الكلام لما طال صار كالبدل منه وجاز ان يكون في موضع نصب والوجه في هذه القراءة على تأويلين ✽ احدها ✽ ان يكون بمعنى لعل كقول الشاعر وهو دريد بن الصمة

أرى ما ترين او بنحيتا مغلدا

ذريني اطوف في البلاد لأنني

نرى المرصات او اثر الخيام

وقال هل انتم عاججون بنا لأننا

وقال عدي بن زيد

الى ساعة في اليوم او في ضحى الغد

أعاذل ما يدريك ان منيتي

اي لعل منيتي المعنى وما يشعر كم لعلها اذا جاءت لا يؤمنون وهذا ما فسر الخليل بقوله انت السوق انك تشتري لنا شيئاً اية لعلك وقد جاء في التنزيل لعل بعد العلم قال سبحانه وما يدريك لعله يزكى وما يدريك لعل الساعة قريب والتأويل الآخر الذي لم يذهب اليه الخليل وسيبويه ان يكون لا في قوله لا يؤمنون زائدة والتقدير

وما يشعر كم انها اذا جاءت يؤمنون ومثل لا هذه في كونها في تأويل زائدة وفي آخر غير زائدة قول الشاعر

ابي جوده لا البخل واستهجت به نعم من فتى لا يمنع الجوع قاتله

يريد لا يمنع الجائع الخبز وينشد ابي جوده لا البخل ولا البخل فمن نصب البخل جعلها زائدة كأنه قال

ابي جوده البخل ومن قال لا البخل أضاف لا الى البخل ووجه القراءة بالياء في يؤمنون ان المراد بهم قوم مخصوصون بدلالة قوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية وليس كل الكفار بهذه الصفة اي لا يؤمن هؤلاء

المقسمون ووجه القراءة بالتاء انه انصراف من الغيبة الى الخطاب والمراد بالمخاطبين هم الغيب المقسمون

الذين اخبر عنهم انهم لا يؤمنون ومن قرأ ويذرهم فإنه اسكن المرفوع تخفيفا

✽ اللغة ✽

الجهد بالفتح المشقة والجهد بالضمة الطاقة وقيل الجهد بالفتح المبالغة فقوله جهدايمانهم اي بالغوا في اليمين

واجتهدوا فيه وهو منصوب على المصدر لأنه مضاف الى المصدر والمضاف الى المصدر مصدر فإن الأيمان

جمع اليمين واليمين هي القسم والتقدير وأقسموا بالله جهد اقسامهم

✽ النزول ✽

قالت قرش يا محمد تخبرنا ان موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عينا وتخبرنا

ان عيسى كان يحيي الموتى وتخبرنا ان ثمود كانت لهم ناقه فأثنا بآية من الآيات حتى نصدقت فقال رسول الله

(ص) اي شي تخبرون ان آيتكم به قالوا اجعل لنا الصفا ذهباً وابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم عنك أحق ما

تقول أم باطل وأرنا الملائكة يشهدون لك او اثنتا بالله والملائكة قبيلة فقال رسول الله (ص) فإن فعلت بعض

ما تقولون أتصدقوني قالوا نعم والله لئن فعلت لتبعنك أجمعين وسأل المسلمون رسول الله (ص) ان ينزلها عليهم

حتى يؤمنوا فقام رسول الله (ص) يدعو ان يجعل الصفا ذهباً فجاءه جبرائيل (ع) فقال له ان شئت اصبح

الصفا ذهباً ولكن ان لم يصدقوا عذبهم وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله (ص) بل

يتوب تائبهم فأنزل الله تعالى هذه الآية عن الكاظمي ومحمد بن كعب القرظي

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه حال الكفار الذين سألوه الآيات فقال (وأقسموا) اي حلفوا (بالله جهد ايمانهم) اي

مجددين مجتهدين مظهرين الوفاء به (لئن جاءتهم آية) مما سألوه (ليؤمنن بها قل) يا محمد (إنما الآيات) اي

الاعلام والمعجزات (عند الله) والله تعالى مالكما والقادر عليها فلو علم صلاحكم في انزالها لانزلها (وما

يشعر كم) الخطاب متوجه الى المشركين عن مجاهد وابن زيد وقيل هو متوجه الى المؤمنين عن الفراء وغيره

لأنهم ظنوا انهم لو اجيبوا الى الآيات لآمنوا (انها اذا جاءت لا يؤمنون) قد مر معناه (وتقلب أفئدتهم

وابصارهم) اخبر سبحانه انه يقلب افئدة هؤلاء الكفار وابصارهم عقوبة لهم وفي كيفية تقليبها قولان

✽ احدهما ✽ انه يقلبها في جهنم على لهب النار وحر الجمر (كما لم يؤمنوا به اول مرة) في الدنيا عن

الجبائي قال وجمع بين صفتهم في الدنيا وصفتهم في الآخرة كما قال وجوه يومئذ خاشعة يعني في الآخرة

عاملة ناصبة يعني في الدنيا - «والآخرة» - ان المعنى يقلب أفئدتهم وابصارهم بالحيرة التي نعم وتزعج النفس وقوله

(كما لم يؤمنوا به اول مرة) قيل انه متصل بما قبله وتقديره وأقسموا بالله ليؤمنن بالآيات والله تعالى قد قلب

قلوبهم وابصارهم وعلم ان فيها خلاف ما يقولون يقال فلان قد قلب هذه المسئلة وقلب هذا الأمر اذا عرف حقيقته ووقف عليه (وما يدريكم انما اذا جاءت لا يؤمنون) كما لم يؤمنوا بما أنزل الله من الآيات أول مرة عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه لو اعبدوا الى الدنيا ثانية لم يؤمنوا به كما لم يؤمنوا به أول مرة في الدنيا كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه عن ابن عباس في رواية أخرى وقيل معناه يجازيهم في الآخرة كما لم يؤمنوا به في الدنيا عن الجبائي والهائم في به يحتمل ان يكون عائدة على القرآن وما أنزل من الآيات ويحتمل ان تكون عائدة على النبي (ص) (ونذرهم في طغيانهم) اية تخليهم وما اختاروه من الطغيان فلا تحول بينه وبينهم (يعمهمون) يترددون في الحيرة قال الحسين بن علي المغربي قوله وتقلب أفئدتهم وابصارهم حشوبين الجمليتين ومعناه انا نحيط علما بذات الصدور خائفة العين اي نختبر قلوبهم فنجد باطنها بخلاف ظاهرها

قوله تعالى (١١١) وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَئِنْ كُنَّا أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب قبل بضمتين هاهنا وفي الكهف قبل بكسر القاف وفتح الباء وقرأ أبو جعفر ههنا بكسر القاف وفي الكهف بالضم وقرأ نافع وابن عامر قبل بكسر القاف في موضعين وقرأ أهل الكوفة بضم القاف في السورتين

※ الحجة ※

قبلا يحتمل ان يكون جمع قبل بمعنى الكفيل ويجوز ان يكون بمعنى الصنف كما فسر ابو عبيدة ويجوز ان يكون بمعنى قبل اي مواجهة كما فسر ابو زيد في قوله لقيت فلانا قبلا وقبلا وقبلا ومقابلة وقبلا كاه واحد وهو المواجهة فالمعنى في القراءة تيب على قوله واحد وان اختلف اللفظان .

— اللغة —

الحشر الجمع مع سوق وكل جمع حشر

— المعنى —

ثم بين سبحانه حالهم في عنادهم وترددهم في طغيانهم وكفرهم فقال (ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة) حتى يروم عيانا يشهدون لنبينا بالرسالة (وكلمهم الموتى) اي واحيينا الموتى حتى كلموهم بالتوحيد وشهدوا لمحمد بالرسالة (وحشرنا) اي جمعنا (عليهم كل شيء) اي كل آية وقيل كل ما سألوه (قبلا) اي معاينة ومقابلة حتى يواجهوها عن ابن عباس وفتادة ومعناه انهم من شدة عنادهم وتركهم الانقياد والاذعان للحق يشكون في المشاهدات التي لا يشك فيها ومثله قوله وان يروا كسفان السماء ساقطا يقولوا سحاب مر كوم وقبلا اي قبلا قبلا يعني جماعة جماعة عن مجاهد هذا اذا حملت قبلا على جمع القبيل الذي هو الصنف وانما كانت تبهر هذه الآية لأنه ليس في العرف ان يجتمع جميع الأشياء وتنحشر الى موضع وقيل كفلا عن الفراء وهذا الوجه فيه بعد لانهم اذا لم يؤمنوا عند انزال الملائكة اليهم وكلام الموتى فان لا يؤمنوا بالكفالة اجدر الا ان يكون المراد حشر كل شيء وفي الأشياء المحشورة ما لا ينطق فاذا نطق بالكفالة ما لا ينطق كان خارقا للعادة (ما

كانوا ليؤمنوا) عند هذه الآيات (الا ان يشاء الله) ان يجبرهم على الايمان عن الحسن وهو المروي عن اهل البيت (ع) والمعنى انهم قط لا يؤمنون مختارين الا ان يكرهوا (ولكن أكثرهم يجهلون) ان الله قادر على ذلك وقيل معناه يجهلون انهم لو اتوا بكل آية ما آمنوا وعاو قيل معناه يجهلون مواضع المصلحة فطلبون مالا فائدة فيه وفي الآية دلالة على ان الله سبحانه لو علم انه اذا فعل ما اقترحوه من الآيات آمنوا لفعل ذلك ولكن ذلك من الواجب في حكمته لأنه لو لم يجب ذلك لم يكن لتعليله بأنه لم يظهر هذه الآيات لعلمه بأنه لو فعلها لم يؤمنوا معنى وفيها ايضا دلالة على ان إرادته محدثة لأن الاستثناء يدل على ذلك اذ لو كانت قديمة لم يجز هذا الاستثناء ولم يصح كما كان لا يصح لو قال ما كانوا ليؤمنوا الا ان يعلم الله والا ان يقدر الله لحصول هاتين الصفتين في لم يزل ومتى قيل فلم لا يقال انهم لم يؤمنوا لأنه سبحانه يعلم انه لم يشأ فالقول فيه أنه لو كان كذلك لكان وقوع الايمان منهم موقوفا على المشيئة سواء كانت الآيات ام لم تكن وفي هذا ابطال للآيات

قوله تعالى (١١٢) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٣) وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ (آيتان)

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ عن الحسن وتصفي اليه وليرضوه وليقتروا بسكون اللام في الجمع والقراءة الظاهرة بكسر اللام في سائرهما

﴿ الحجة ﴾

قال ابو الفتح هذه اللام هي الجارة اعني لام كي وهي معطوفة على الغرور من قوله يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا اي للغرور ولأن تصفى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقتروا الا ان إسكان هذه اللام شاذ في الاستعمال على قوته في القياس لأن هذا الإسكان إنما أكثر عنهم في لام الأمر نحو قوله تعالى ثم ليقضوا نعمتهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا وإنما اسكنت تخفيفا لثقل الكسرة فيها وفرقوا بينها وبين لام كي بأن لم يسكوها وكانهم إنما اخاروا السكون للام الأمر والتحريك للام كي من حيث كانت لام كي نائبة في أكثر الأمر عن ان وهي ايضا في جواب كان سيفعل اذا قلت ما كان ليفعل محذوفة مع اللام البتة فلما نابت عنها اقووها باقرار حركتها فيها لأن الحرف المتحرك اقوى من الساكن والاقوى اشبه بأن ينوب عن غيره من الأضعف

﴿ اللغة ﴾

الزخرف المزين يقال زخرفه زخرقة اذا زينته والزخرف كمال حسن الشيء وفي الحديث انه (ص) لم يدخل الكعبة حتى أمر بالزخرف فحجي قبل كانت نقوش وتصاوير زينت الكعبة بها وقيل أراد بالزخرف الذهب والغرور ماله ظاهر تحبه وفيه باطن مكروه والشيطان غرور لأنه يحمل على محاب النفس ووراء سوء العاقبة وبيع الغرر ما لا يكون على ثقة وصبغون اليه اصغى صبغوا وصبغوا وصبغيت اصغى بالياء ايضا واصغيت اليه اصغاه بمعنى قال الشاعر

تري السفية به عن كل محكمة زيغ وفيه الى التشبيه اصفا .

ويقال اصفيت الإناء اذا أملت له ليجتمع ما فيه ومنه الحديث كان رسول الله (ص) يصفي الإناء للنهر والاصل فيه الميل الى الشيء لغرض من الأغراض والاقتراف اكتساب الإثم ويقال خرج يقترف لأهله اي يكتسب لهم وقارف فلان هذا الأمر اذا واقعه وعمله وقرف الذنب واقترفه عمله وقرفه بما ادعاه عليه اي رماه بالريبة وقرف القرحة اي قشر منها واقترف كذبا

الإعراب

نصب عدوا على احد وجهين اما ان يكون مفعول جعلنا وشياطين بدل منه ومفسر له وعدوا في معنى اعداء واما ان يكون أصله خبر او يكون هنا مفعولا ثانيا لجعلنا على تقدير جعلنا شياطين الانس والجن عدوا اي اعداء وقوله غرور انصب على المصدر ومن معنى الفعل المتقدم لأن معنى ايحاء الزخرف من القول معنى الغرور فكأنه قال يغرون غرورا عن الزجاج وقيل انه مفعول له عن ابن جني وقيل نصب على البسول من زخرف عن ابي مسلم

المعنى

ثم بين سبحانه ما كان عليه حال الأنبياء (ع) مع اعدائهم تسلية لئيبه (ص) فقال (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن) اي وكما جعلنا لك شياطين الانس والجن اعداء كذلك جعلنا لمن تقدمك من الأنبياء وائمه وقيل في معنى قوله وجعلنا هنا وجوه * احدها * ان المراد كما امرناك بعداوة قومك من المشركين فقدمنا من قبلك بمعادة اعدائهم من الجن والانس ومتى امر الله رسوله بمعادة قوم من المشركين فقد جعلهم اعداء له وقد يقول الأمير للمبارز من عسكره جعلت فلانا قرنك في المبارزة واما يعني بذلك انه امره بمبارزته لأنه اذا امره بمبارزته فقد جعل من يبارزه قرنا له * وثانيها * ان معناه حكمنا بأنهم اعداء واخبرنا بذلك لتعاملهم معاملة الاعداء في الاحتراز عنهم والاستعداد لدفع شرهم وهذا كما يقال جعل القاضي فلانا عدلا وفلانا فاسقا اذا حكم بعدالة هذا وفسق ذلك * وثالثها * ان المراد خلينا بينهم وبين اختيارهم العداوة لم تمنعهم عن ذلك كرها ولا جبرا لأن ذلك يزيل التكليف - ورابعها -

انه سبحانه إنما أضاف ذلك الى نفسه لأنه سبحانه لما أرسل اليهم الرسل وأمرهم بدعائهم الى الإسلام والإيمان وخلع ما كانوا يعبدونه من الاصنام والآوثان نصبوا عند ذلك العداوة لأنبيائه (ع) ومثله قوله سبحانه مخبرا عن نوح (ع) فلم يزدكم دعائي إلا فرارا والمراد بشياطين الانس والجن مردة الكفار من القرينين عن الحسن وقتادة ومجاهد وقيل ان شياطين الانس الذين يغرونهم وشياطين الجن الذين هم من ولد ابليس عن السدي وعكرمة وفي تفسير الكافي عن ابن عباس ان ابليس جعل جنده فريقين فبعث فريقا منهم الى الانس وفريقا الى الجن فشياطين الانس والجن اعداء الرسل والمؤمنين فيلتقي شياطين الانس وشياطين الجن في كل حين فيقول بعضهم لبعض أضللت صاحبي بكذا فأضل صاحبك بمثلها فكذلك يوحى بعضهم الى بعض وروي عن ابي جعفر (ع) ايضا انه قال ان الشياطين يلتقى بعضهم بعضا فيلقي اليه ما يعوي به الخلق حتى يتعلم بعضهم من بعض (يوحى) اي يوسوس ويلقي خفية (بعضهم الى بعض زخرف القول) اي المموه المزين الذي يستحسن ظاهره ولا حقيقة له ولا أصل (غرورا) اي يغرونهم بذلك غرورا او ليغروهم بذلك (ولو شاء ربك ما

فعلوه) اخبر سبحانه انه لو شاء ان يمنهم من ذلك جبرا ويجول بينهم وبينه لتقدر على ذلك ولو حال بينهم وبينه لما فعلوه ولكنسه خلى بينهم وبين أفعالهم ابقاء للتكليف وامتحانا للمكلفين وقيل معناه ولو شاء ربك ما فعلوه بأن ينزل عليهم عذابا او آية فتظل اعناقهم لها خاضعين (فذرهم وما يفترون) اي دعهم وافتراءهم الكذب فإنني أجازيهم وأعاقبهم أمر سبحانه نبيه (ص) بأن يخلي بينهم وبين ما اختاروه ولا يمنهم منه بالقهر تهديدا لهم كما قال اعملوا ما شئتم دون ان يكون أمرا واجبا او ندبا (وتنصني اليه) اي ولتميل الى هذا الوحي بزخرف القول او الى هذا القول المزخرف (أفئدة) اي قلوب (الذين لا يؤمنون بالآخرة) والعامل في قوله وتنصني قوله يوحي ولا يجوز ان يكون العامل فيه جعلنا لأن الله سبحانه لا يجوز ان يريد اصفاء القلوب الى الكفر ووحي الشياطين الا ان تجعلها لام العاقبة كما في قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا على انه غير معلوم ان كل من ارادوا منه الصغو قد صغى الى كلامهم ولم يصح ذلك ايضا في قوله وليرضوه وليقتروا ما هم مقترفون لأنه غير معلوم حصول ذلك وعلى ما قلناه يكون جميع ذلك معطوفا بعضه على بعض والمراد بالآفئدة أصحاب الآفئدة ولكن لما كان الاعتقاد في القلب وكذلك الشهوة اسند الصغو الى القلب (وليرضوه) اي وليرضوا ما أوحى اليهم من القول المزخرف (وليقتروا) اي وليكتسبوا من الإثم والمعاصي (ما هم مقترفون) اي مكتسبون في عداوة النبي (ص) والمؤمنين عن ابن عباس والسدي وقال ابو علي الجبائي ان اللام في قوله وتنصني وما بعده لام الامر والمراد بها التهديد كما قال سبحانه اعملوا ما شئتم واستغفر من استطعت وهذا غلط فاحش لأنه لو كان كذلك لقال وتنصغ فحذف الألف وقال البلخي اللام في وتنصني لام العاقبة وما بعده لام الأمر الذي يراد به التهديد وهذا جائز الا أن فيه تعسفا فالأصح ما ذكرناه

قوله تعالى (١١٤) أفغير الله ابتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناكم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين (آية)

✽ القراءة ✽

قرأ ابن عامر وحفص منزل بالتشديد والباقون بالتخفيف

✽ الحجة ✽

حجة التشديد قوله سبحانه تنزل الكتاب من الله وما اشبه وحجة التخفيف انا انزلنا اليك وما اشبه

— المعنى —

ثم امر الله سبحانه نبيه (ص) ان يقول لهؤلاء الكفار الذين مضى ذكركم (أفغير الله ابتغي حكما) اي اطلب سو عى الله حاكما والحكم والحاكم بمعنى واحد الا ان الحكم أمدح لأن معناه من يستحق ان يتحاكم اليه فهو لا يقضي الا بالحق وقد يحكم الحاكم بغير حق والمعنى هل يجوز لأحد ان يعدل عن حكم الله رغبة عنه او هل يجوز ان يكون حكم سوى الله يساويه في حكمه (وهو الذي) يعني والله الذي (انزل اليكم الكتاب) اي القرآن (مفصلا) فصل فيه جميع ما يحتاج اليه وقيل فصل فيه بين الصادق والكاذب في الدين وقيل فصل بين الحلال والحرام والكفر والإيمان عن الحسن ومعنى التفصيل تبين المعاني بما ينفي التخليط المعنى للمعنى وينفي ايضا التداخل الذي يوجب نقصان البيان عن المراد (والذين آتيناكم الكتاب) يعني بهم مؤمني اهل الكتاب

والكتاب هو التوراة والإنجيل وقيل يعني بهم كبراء الصحابة واصحاب بدر والكتاب هو القرآن عن
 عطا (يعلمون انه) اي ان القرآن (منزل من ربك بالحق) يعني ببيان الحق اي يعلمون ان كل ما فيه
 بيان عن الشيء على ما هو به فترغيه وترهبه ووعده ووعيده وقصصه وأمثاله وغير ذلك جميعه بهذه الصفة
 وقيل ان معنى بالحق بالبرهان الذي تقدم لهم حتى علموه به (فلا تكونن من المعتريين) اي من الشاكين
 في ذلك والخطاب للنبي (ص) والمراد به الأمة وقيل الخطاب لغيره اي فلا تكن أيها الإنسان او أيها السامع
 وقيل الخطاب له (ص) والمراد به الزيادة في شرح صدره ويقينه وطأينة قلبه وتسكينه كقوله تعالى فلا يكن
 في صدرك حرج منه عن أبي مسلم

قوله تعالى (١١٥) وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ

الْعَلِيمُ (آية)

✽ القراءة ✽

كلمة ربك بالتوحيد عراقي غير ابي عمرو والباقون كلمات ربك

✽ الحجة ✽

من قرأ كلمة ربك قال قد وقع المفرد على الكثرة فلذلك اغنى عن الجمع قالوا ان زهيراً قال في كلمته
 يعنون قصيدته وقال قس في كلمته يعنون خطبته ومن قرأ بالجمع فلأنه لما كان جمعا في المعنى جمعوا

✽ اللغة ✽

التبديل وضع الشيء مكان غيره والصدق الخبر الذي مجزبه على وفق ما اخبر به والعدل ضد الجور وقيل
 ان افعال الله تعالى كلها عدل لأنها كلها على الاستقامة وقيل إنما يوصف بذلك فيما يعامل به عباده

✽ الإعراب ✽

صدقا وعدلا نصب على التمييز وقيل انها مصدران انتصبا على الحال من الكلمة وتقدير ذلك صادقة
 وعادلة عن ابي علي الفارسي وقد تقدم مثل هذا فيما مضى

— المعنى —

ثم بين سبحانه صفة الكتاب المنزل فقال (وتمت) اي كملت على وجه لا يمكن احداً الزيادة فيه والنقصان
 منه (كلمة ربك) اي القرآن عن قتادة وغيره وقيل معناه أنزلت شيئاً بعد شيء حتى كملت على ما تقتضيه
 الحكمة وقيل ان المراد بالكلمة دين الله كما في قوله وكلمة الله هي العليا عن ابي مسلم وقيل المراد بها حجة
 الله على الخلق (صدقا وعدلا) ما كان في القرآن من الأخبار فهو صدق لا يشوبه كذب وما فيه من الامر
 والنهي والحكم والاباحة والحظر فهو عدل (لا مبدل لكلماته) اي لا مغير لاحكامه عن قتادة لأنه وان
 امكن التغير والتبديل في اللفظ كما بدل اهل الكتاب التوراة والإنجيل فإنه لا يعتد بذلك قال وقد تطلق
 الكلمة بمعنى الحكم قال سبحانه وكذلك حق كلمة ربك اي حكم ربك ويقال عقوبة ربك وقال النبي (ص)
 في صفة النساء انهن عوان عندكم استحلتم فروجهن بكلمة الله تعالى وقيل معناه ان القرآن محروس عن
 الزيادة والنقصان فلا مغير لشيء منه وذلك ان الله تعالى ضمن حفظه في قوله وانا له لحافظون ولا يجوز ان
 يعني بالكلمات الشرائع كما عني بقوله وصدقت بكلمات ربها لأن الشرائع قد يجوز فيها النسخ والتبديل (وهو

السميع) لا قولكم (العليم) بضائر كم

قوله تعالى (١١٦) وَإِنْ تَطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (١١٧) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (آيتان)

— اللغة —

الفرق بين الاكثر والاعظم ان الاعظم قد يوصف به واحد ولا يوصف بالاكثر واحد بحال ولهذا يقال في صفة الله تعالى عظيم واعظم ولا يوصف باكثر وانما يقال اكبر بمعنى اعظم والخرص الكذب يقال خرص يخرص خرصاً وتخرص وتخرص واصله القطع قال الشاعر

ترى قصد المران فيهم كأنه تذرع خرصان بأيدي الشواطب

يعني جريداً يقطع طولاً ويتخذ منه الحصر وهو جمع الخرص ومنه خرص النخل يخرص خرصاً اذا حزره والخرص حبة القرط اذا كانت منفردة والخرص العود لا تقطاعه عن نظائره بطيب ريحه ولفظة اعلم اذا لم يذكر معها من فله معنيان * احدهما * اعلم من الكل واجتزى عن ذكر من كقولهم الله اكبر اي من كل شيء * والثاني * بمعنى فعيل كقول الفرزدق

إن الذي سمك الساء بنى لنا بيتاً دعائه أعز واطول

اي عزيز وطويل

* الإعراب *

موضع من يضل عن سبيله فيه وجوه * احدها * انه نصب على حذف الباء حتى يكون مقابلاً لقوله وهو اعلم بالمهتدين — والثاني — ان موضع من رفع بالابتداء ولفظها لفظ الاستفهام والمعنى ان ربك هو اعلم اي الناس يضل عن سبيله وهذا مثل قوله تعالى لنعلم اي الحزين احصى عن الزجاج وفي هذه المسألة خلاف وسيأتي شرح ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى — والثالث — ان موضعها نصب بفعل مضمر يدل عليه قوله اعلم فكأنه قال ان ربك هو اعلم يعلم من يضل عن سبيله وصيغة افعل من كذا لا تتعدى لأنها غير جارية على الفعل ولا معدولة عن الجارية على الفعل كما عدل ضروب عن ضارب ومتجار عن تاجر عن ابي علي الفارسي زعم قوم ان اعلم ههنا بمعنى يعلم كما قال جاتم الطائي

فخالفت طيبي من دوننا حلقاً والله اعلم ما كنا لهم خذلاً

وقالت الخنساء

القوم اعلم أن جفنته تغدو غداة الريح أو تسري

وهذا فاسد لأنه لا يطابق قوله وهو اعلم بالمهتدين ولا يجوز ان يكون من في موضع جر باضافة اعلم اليه لان افعل لا يضاف الا الى ما هو بعضه وجل ربنا وتقدس عن ان يكون بعض الضالين ولا بعض المضلين

* المعنى *

لما تقدم ذكر الكتاب بين سبحانه في هذه الآية ان من تبع غير الكتاب ضل وأضل فقال (وان تطع)

يا محمد خاطبه (ص) والمراد غيره وقيل المراد هو وغيره والطاعة هي امتثال الأمر وموافقة المطيع المطاع فيما يريد منه اذا كان المراد فوقه والفرق بينها وبين الإجابة ان الإجابة عامة في موافقة الارادة الواقعة موقع المسألة ولا يراعى فيها الرتبة (اكثر من في الأرض) يعني الكفار وأهل الضلالة وانما ذكر الأ أكثر لأنه علم سبحانه ان منهم من يؤمن ويدعو الى الحق ويذب عن الدين ولكن هم الأقل والأكثر الضلال (يضلوك عن سبيل الله) أي عن دينه وفي هذا دلالة على انه لا عبرة في دين الله ومعرفة الحق بالقلّة والكثرة لجواز ان يكون الحق مع الأقل وانما الاعتبار فيه بالحجبة دون القلة والكثرة (ان يتبعون الا الظن) اي ما يتبع هؤلاء المشركون فيما يعتقدونه ويدعون اليه الا الظن (وانهم الا يخبرون) اي ما هم الا يكذبون وقيل معناه انهم لا يقولون عن علم ولكن عن خرص وتخمين وقال ابن عباس كانوا يدعون النبي (ص) والمؤمنين الى أكل الميتة ويقولون أنا كلون ما قتلتهم ولا تأكلون ما قتل ربكم فهذا ضلالهم (ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله) خاطب سبحانه نبيه (ص) وان عني به جميع الأمة ويسأل فيقال كيف جاز في صفة القديم سبحانه اعلم مع انه سبحانه لا يخلو من ان يكون اعلم بالمعنى ممن يعلمه او ممن لا يعلمه وكلاهما لا يصح فيه افعال والجواب ان المعنى هو اعلم به ممن يعلمه لأنه يعلمه من وجوه لا يخفى على غيره وذلك انه يعلم ما يكون منه وما كان وما هو كائن الى يوم القيامة على جميع الوجوه التي يصح ان يعلم الأشياء عليها وليس كذلك غيره لأن غيره لا يعلم جميع الأشياء وما يعلمه لا يعلمه من جميع وجوهها واما من هو غير عالم اصلا فلا يقال الله سبحانه اعلم منه لأن لفظة اعلم يقتضي الاشتراك في العلم وزيادة لمن وصف بأنه اعلم وهذا لا يصح فيمن ليس بعالم اصلا إلا مجازا (وهو اعلم بالمهتدين) المعنى انه سبحانه اعلم بن يسلك سبيل الضلال المودي الى الهلاك والعقاب ومن يسلك سبيل الهدى المفضي به الى النجاة والثواب وفي هذا دلالة على ان الضلال والاضلال من فعل العبد خلاف ما يقوله اهل الجبر وعلى انه لا يجوز التقليد واتباع الظن في الدين والاعتداد بالكثرة والى هذا أشار أمير المؤمنين علي (ع) حيث قال لالحرث الهمداني يا حار الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف اهله

قوله تعالى (١١٨) فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ (١١٩) وَمَا لَكُمْ
 إِلَّا أَنْ تَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرُّرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ
 كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (١٢٠) وَذَرُوا ظَاهِرَ
 الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيَجْزُونَ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (ثلاث آيات)

✽ القراءة ✽

قرأ اهل الكوفة غير حفص فصل لكم بالفتح ما حرم بالضم وقرأ اهل المدينة وحفص ويعقوب وسهل فصل لكم ما حرم كليهما بالفتح وقرأ الباقون فصل لكم ما حرم بالضم فيها وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب ليضلون بفتح الياء هنا وفي يونس ليضلوا عن سبيلك وفي ابراهيم ليضلوا عن سبيله وفي الحج ليضل عن سبيل الله وفي لقمان والزمر في المواضع الستة وقرأ اهل الكوفة بضم الياء في هذه المواضع وقرأ الباقون هنا وفي سورة يونس بفتح الياء وفي الاربعة بعد هذين الموضوعين بضم الياء

✽ الحجة ✽

حجة من ضم الفاء من فصل والحاء من حرم قوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير فهذا تفصيل لهذا العام المجمل بقوله حرم وهو الذي انزل إليكم الكتاب مفصلا مفصلا يدل على فصل وحجة من قرأ فصل وحرم بفتح

القاء والحا. قوله قد فصلنا الآيات وقوله اقل ما حرم ربكم وقوله الذين يشهدون ان الله حرم هذا وحجة من ضم الياء من يضلون ويضلوا انه يدل على ان الموصوف بذلك في الضلالة اذهب ومن الهدى ابعد الاترى ان كل مضل ضال وليس كل ضال مضلا لأن الضلال قد يكون مقصورا على نفسه لا يتعداه الى سواه ومن قرأ بفتح الياء فإنه يريد انهم يضلون في انفسهم من غير ان يضلوا غيرهم من اتباعهم بامتناعهم من أكل ما ذكر اسم الله عليه وغير ذلك اي يضلون باتباع اهوائهم

✽ الاعراب ✽

اللغة وذرؤا الواو للمطف وإنما استعمل منه الأمر والمستقبل ولا يستعمل وذر ولا واذر اشعروا بذلك كراهية الابتداء بالواو حتى لم يزيدوها هناك اصلا مع زيادتهم اخواتها واستغنوا فيها بترك وتارك وهذا كما استعملوا الماضي دون المستقبل واسم الفاعل في عسى والظاهر الكائن على وجه يمكن ادراكه والباطن هو الكائن على وجه يتمذر ادراكه والكسب ما يفعل لاجتلاب النفع او دفع الضرر وانما يوصف به العبد دون الله تعالى لاستحالة النفع والضرر عليه سبحانه والكواسب الجوارح من الطير لانها تكسب ما تنتفع به وقد بينا ان معنى الاقتراف الاكتساب

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من الكلام فقال (فكلوا) ثم اختلف في ذلك فقيل انه لما ذكر المهتدين فكانه قال ومن الهداية ان تحلوا ما احل الله وتحرموا ما حرم الله فكلوا وقيل ان المشركين لما قالوا للمسلمين انا نكلون ما قتلتم انتم ولا تأكلوا ما قتل ربكم فكانه قال سبحانه لهم اعرضوا عن جهلكم فكلوا والمراد به الإباحة وان كانت الصيغة صيغة الأمر (ما ذكر اسم الله عليه) يعني ذكر اسم الله عند ذبحه دون الميتة وما ذكر عليه اسم الاصنام والذكر هو قول بسم الله وقيل هو كل اسم يختص الله تعالى به او صفة تخصه كقول باسم الرحمن او باسم القديم او باسم القادر لنفسه او العالم لنفسه وما يجري مجراه والاول مجمع على جوازه والظاهر يقتضي جواز غيره لقوله سبحانه قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعو فله الاسماء الحسنی (ان كنتم باياته مؤمنين) بأن عرفتم الله ورسوله وصحة ما اتاكم به من عند الله فكلوا ما احل دون ما حرم وفي هذه الآية دلالة على وجوب التسمية على الذبيحة وعلى ان ذبائح الكفار لا يجوز اكلها لأنهم لا يسمون الله تعالى عليها ومن سمي منهم لا يعتقد وجوب ذلك حقيقة ولأنه يعتقد ان الذي يسميه هو الذي ابد شرع موسى وعيسى فإذا لا يدكرون الله تعالى حقيقة (وما لكم الا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه) قد ذكرنا اعرابه في سورة البقرة عند قوله وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وتقديره اي شي اكرم في ان لا تأكلوا فيكون ما للاستفهام وهو اختيار الزجاج وغيره من البصريين ومعناه ما الذي يمنعهكم ان تأكلوا مما ذكر اسم الله عند ذبحه وقيل معناه ليس لكم ان لا تأكلوا فيكون ما للنفي (وقد فصل لكم) اي بين لكم (ما حرم عليكم) قيل هو ما ذكر في سورة المائدة من قوله حرمت عليكم الميتة والدم الآية واعترض على هذا بأن سورة المائدة نزلت بعد الانعام بمدة فلا يصح ان يقال انه فصل الا ان يحمل على انه بين على لسان الرسول (ص) وبعد ذلك نزل به القرآن وقيل إنه ما فصل في هذه السورة في قوله قل لا اجد فيما اوحى الى محرما الآية (الا ما اضطررتم اليه) معناه الا ما خفتم على قومكم الهلاك من الجوع اذا تركتم تناول منه فحينئذ يجوز لكم تناوله وان كان مما حرمه الله واختلف في مقدار ما يسوغ تناوله عند الاضطرار فعمدنا لا يجوز ان يتناول الا ما يمسك به الرمي وقال قوم يجوز أن يشبع المضطر منها وان يحمل منها معه حتى يجد ما يأكل وقال الجبائي في هذه الآية دلالة على ان ما يكره على اكله من هذه الاجناس يجوز اكله لأن المكروه يخاف على نفسه مثل المضطر (وان كثيرا يضلون

بأهوائهم) أي ياتباع أهوائهم ومن قرأ بالضم أراد أنهم يضلون أشياعهم فحذف المفعول به وفي أمثاله كثرة وإنما جعل
النكرة اسم لأن الكلام إذا طال احتمل ذلك ودل بعضه على بعض (بغير علم ان ربك هو اعلم بالمعتدين) المتجاوزين
الحق إلى الباطل والحلال إلى الحرام (وذروا ظاهر الاثم وباطنه) امر سبحانه بترك الاثم مع قيام الدلالة
على كونه إثماً ونهى عن ارتكابه سراً وعلانية وهو قول قتادة ومجاهد والربيع بن انس وقيل أراد بالظاهر
افعال الجوارح وبالباطن افعال القلوب عن الجبائي وقيل الظاهر من الاثم هو الزنا والباطن هو اتخاذ الاخذان عن
السدي والضحاك وقيل ظاهر الاثم امرأة الأب وباطنه الزنا عن سعيد بن جبير وقيل ان أهل الجاهلية كانت ترى
ان الزنا اذا أظهر كان فيه اثم واذا استسر به صاحبه لم يكن إثماً ذكره الضحاك والأصح القول
الاول لانه يعم الجميع (ان الذين يكسبون الاثم) اي يعملون المعاصي التي فيها الآثم ويرتكبون القبائح
(سيجزون) اي سيعاقبون (بما كانوا يقتربون) بما كانوا يكسبون ويرتكبون

قوله تعالى (١٢١) وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ
لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (آية)

المعنى *

ثم اكد سبحانه ما تقدم بقوله (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) يعني عند الذبح من الذبائح وهذا
تصريح في وجوب التسمية على الذبيحة لأنه لو لم يكن كذلك لكان ترك التسمية غير محرم لها (وانه لفسق)
يعني وان اكل ما لم يذكر اسم الله عليه لفسق وفي هذا دلالة على تحريم اكل ذبائح الكفار كلهم اهل الكتاب
وغيرهم من سعى منهم ومن لم يسم لأنهم لا يعرفون الله تعالى على ما ذكرناه من قبل فلا يصح منهم القصد
إلى ذكر اسمه فاما ذبيحة المسلم اذا لم يسم الله تعالى عليها فقد اختلف في ذلك فقيل لا يحل اكلها سواء ترك
التسمية عمدا او نسيانا عن مالك وداود وروى ذلك عن الحسن وابن سيرين وبه قال الجبائي وقيل يحل اكلها
في الحالين عن الشافعي وقيل يحل اكلها اذا ترك التسمية ناسيا بعد ان يكون معتقدا لوجوبها ويحرم اكلها اذا
تركها متعمدا عن ابي حنيفة واصحابه وهو المروي عن اثنتا عليهم السلام (وان الشياطين) يعني علماء الكافرين
ورؤسائهم المتمردين في كفرهم (ليوحون) اي يوسوسون ويشيرون (إلى اوليائهم) الذين اتبعوهم من الكفار
(ليجادلوكم) في استتلال الميتة قال الحسن كان مشركو العرب يجادلون المسلمين فيقولون لهم كيف تأكلون
ما تقتلونهم ولا تأكلون مما قتله الله وقتل الله اولى بالآكل من قتيلكم فهذه مجادلتهم وقال عكرمة ان قوما
من مجوس فارس كتبوا إلى مشركي قريش وكانوا اولياءهم في الجاهلية ان محمدا واصحابه يزعمون انهم يتبعون أمر الله
ثم يزعمون ان ما ذبحوه حلال وما قتله الله حرام فوقع ذلك في نفوسهم فذلك ايجادهم اليهم وقال ابن عباس معناه
وان الشياطين من الجن وهم ابليس وجنوده ليوحون إلى اوليائهم من الانس والوحي القا المعنى إلى النفس من
وجه خفي وهم يلقون الوسوسة إلى قلوب اهل الشرك ثم قال سبحانه (وان اطعتموهم) ايها المؤمنون فيما
يقولونه من استتلال الميتة وغيره (انكم اذا لمشركون) لأن من استحل الميتة فهو كافر بالاجماع ومن اكلها
محرما لم يختار فهو فاسق وهو قول الحسن وجماعة المفسرين وقال عطاء انه مختص بذبائح العرب التي كانت تذبحها الاوثان

قوله تعالى (١٢٢) أَوْ مَنْ كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ
مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٣) وَكَذَلِكَ
جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَارًا يَجْرِمُهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (آيتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل المدينة ويعقوب وميتا بالتشديد والباقون بالتخفيف

﴿ الحجة ﴾

قال أبو عبيدة الميتة تخفيف ميتة ومعناها واحد قال أبو الرعلاء (١) الفسافي

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء
 وإنما الميت من يعيش كثيبا كاسفا باله قليل الرجا
 والمحذوف من اليامين الثانية المنقلبة عن الواو وأعلت بالحذف كما أعلت بالقلب

﴿ اللغة ﴾

الأكابر جمع الأكبر وقد قالوا الأكبر والأصغر كما قالوا الأساور والاحامرة قال الشاعر
 ان الاحامرة الثلاثة اهلكت مالي وكنتم بهن قدما مولعا
 الحمر واللحم السمين أحبه والزعفران وقد أبيت مردعا
 واصل المكر القتل ومنه جارية مسكورة اي مقنلة البدن فكان المكر معناه القتل الى خلاف الرشد

﴿ الاعراب ﴾

او من هذه همزة الاستفهام دخلت على واو العطف وهو استفهام يراد به التقرير وموضع الكاف في قوله
 وكذلك جعلنا نصب معطوفة على ما قبلها وهو قوله كذلك زين للكافرين مجرميها يجوز أن يكون منصوبا على
 التقديم والتأخير تقديره جعلنا في كل قرية مجرميها اكابر ويجوز ان يكون منصوبا باضافة اكابر اليه

﴿ النزول ﴾

الآية الأولى وقيل انها نزلت في حمزة بن عبد المطلب وابي جهل بن هشام وذلك ان ابا جهل آذى رسول الله (ص)
 فاخبر بذلك حمزة وهو على دين قومه فغضب وجاء معه قوس فضرب بها رأس ابي جهل وآمن عن ابن عباس
 وقيل انها نزلت في عمار بن ياسر حين آمن وابي جهل عن عكرمة وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وقيل نزلت
 في عمر بن الخطاب عن الضحاك وقيل انها عامة في كل مؤمن وكافر عن الحسن وجماعة وهذا أولى لأنه أعم
 فائدة فيدخل فيه جميع الأقوال المذكورة

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه مثل الفريقين فقال (او من كان ميتا فأحييناه) اي كافر فأحييناه بأن هديناه الى الإيمان عن ابن
 عباس والحسن ومجاهد شبه سبحانه الكفر بالموت والإيمان بالحياة وقيل معناه من كان نطفة فأحييناه كقوله
 وكنتم أمواتا فأحييناهم (وجعلنا له نورا يمشي به في الناس) قيل فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ ان المراد بالنور
 العلم والحكمة سمي سبحانه ذلك نورا والجهل ظلمة لأن العلم يهتدى به الى الرشاد كما يهتدى بالنور في الطرقات
 ﴿ وثانيها ﴾ ان المراد بالنور هنا القرآن عن مجاهد ﴿ وثالثها ﴾ ان المراد به الإيمان عن ابن
 عباس (كمن مثله في الظلمات) لم يقل سبحانه كمن هو في الظلمات تقديره كمن مثله مثل من هو في الظلمات
 يعني به الكافر الذي هو في ظلمة الكفر وقيل معناه كمن هو في ظلمات الكفر (ليس بخارج منها) لكنه
 ذكره بلفظ المثل ليبين انه بلغ في الكفر والحيرة غاية يضرب به المثل فيها وإنما سمي الله تعالى الكافر ميتا لأنه لا ينتفع
 بحياته ولا ينتفع غيره بحياته فهو أسوأ حالا من الميت اذ لا يوجد من الميت ما يعاقب عليه ولا يضرر غيره به وسمى المؤمن

(١) في لسان العرب عدي بن الرعلاء

حيا لأن له وغيره المصلحة والمنفعة في حياته وكذلك سمي الكافر ميتا والمؤمن حيا في عدة مواضع مثل قوله اذك لا تسمع الموتى ولينذر من كان حيا وقوله وما يستوي الاحياء ولا الاموات وسمى القرآن والايمان والعلم نورا لأن الناس يبصرون بذلك ويهتدون به من ظلمات الكفر وحيرة الضلالة كما يهتدى بسائر الانوار وسمى الكفر ظلمة لأن الكافر لا يهتدى بهداه ولا يبصر أمر رشده وهذا كما سمي الكافر اعمى في قوله أفمن يعلم إذا أنزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى وقوله وما يستوي الاعمى والبصير (كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) وجه التشبيه بالكافر ان معناه زين لهؤلاء الكفر فعملوه مثل ما زين لآؤئك الايمان فعملوه فشبه حال هؤلاء في التزيين به حال أولئك فيه كما قال سبحانه كل حزب بما لديهم فرحون وروي عن الحسن انه قال زين والله لهم الشيطان وانفسهم واستدل بقوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم وقوله زين لا يقتضي مزينا غيرهم لأنه بمنزلة قوله تعالى انى يصرفون وأنى يوفكون وقول العرب اعجب فلان بنفسه واولع بكذا ومثله كثير (وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر) اي مثل ذلك الذي قصصنا عليك زين للكافرين علمهم ومثل ذلك جعلنا في كل قرية أكابر (مجرميها) وجعلنا ذا المكر من المجرمين كما جعلنا ذا النور من المؤمنين فكل ما فعلنا بهؤلاء فعلنا بأولئك الا ان أولئك اهدوا بحسن اختيارهم وهؤلاء ضلوا بسوء اختيارهم لأن في كل واحد منهما العمل بمعنى الصيرورة الا ان الأول باللطف والثاني بالتمكين من المكر وإنما خص أكابر المجرمين بذلك دون الأصغر لأنه البين بالاعتدال على الجميع لأن الأكابر اذا كانوا في قبضة القادر فالأصغر بذلك اجدر واللام في قوله (ليمكروا فيها) لام العاقبة ويسمى لام الصيرورة كما في قوله سبحانه ليكون لهم عدوا وحزنا وكما قال الشاعر

فأقسم لو قتلوا مالكا لكنت لهم حية راصدة
وامسهاك فلا تجزعي فللموت ما تلد والودة

(وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون) لأن عقاب ذلك يحل بهم ولا يصح ان يمكر الانسان بنفسه على الحقيقة لانه لا يصح ان يخفي عن نفسه معنى ما يحتال به عليها ويصح ان يخفي ذلك عن غيره وفائدة الآية ان أكابر مجرميها لم يمكروا بالمؤمنين على وجه المغالبة لله اذ هم كأنه سبحانه جعلهم ليمكروا وهذه مبالغة في انتفاء صفة المغالبة

قوله تعالى (١٢٤) وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ (آية)

✽ القراءة ✽

قرأ ابن كثير وحفص رسالته على التوحيد ونصب التاء والباقون رسالاته على الجمع

✽ الحجة ✽

من وجد فلان الرسالة تدل على القلة والكثرة لكونها مصدر او من جمع فلما تكرر من رسالات الله سبحانه مرة بعد أخرى

✽ اللغة ✽

الاجرام الاقدام على القبيح بالانقطاع اليه لان اصل الجرم القطع فكانه قطع ما يجب ان يوصل من العمل ومنه قيل للذنب الجرم والجريمة والصغار الذل الذي يصغر الى المرء نفسه يقال صغر الانسان يصغر صغارا وصغرا

* الإعراب *

الله أعلم حيث يجعل رسالاته لا يخلو حيث هنا من ان يكون ظرفا متضمنا لحرفه او غير ظرف فإن كان ظرفا فلا يجوز ان يعمل فيه أعلم لانه يصير المعنى أعلم في هذا الموضع او في هذا الوقت ولا يوصف تعالى بأنه أعلم في مواضع او في اوقات كما يقال زيد أعلم في مكان كذا او أعلم في زمان كذا واذا كان الأمر كذلك لم يجوز ان يكون حيث هنا ظرفا وإذا لم يكن ظرفا كان اسما وكان انتصابه انتصاب المفعول به على الاتساع ويقوي ذلك دخول الجار عليها فكان الاصل الله أعلم بمواضع رسالاته ثم حذف الجار كما قال سبحانه أعلم بمن ضل عن سبيله وفي موضع آخر أعلم من يضل عن سبيله فمن يضل معمول فعل مضمر دل عليه أعلم ولا يجوز ان يكون معمول أعلم لأن المعاني لا تعمل في مواضع الاستفهام ونحوه إنما تعمل فيها الافعال التي تلتقى فتعلق كما تلتقى ومثل ذلك في انه لا يكون إلا محمولا على فعل قوله * واضرب منا بالسيف القوانس * فالقوانس منصوب بفعل مضمر دل عليه قوله اضرب لأن المعاني لا تعمل في المفعول به وبما جعل حيث فيه اسما متمكنا غير ظرف متضمن لمعنى في قول الشاعر

كأن منها حيث تلوي المنطقا حققا نقا ما لا على حقفي نقا

الا ترى ان حيث هنا في موضع نصب بكان وحققا نقا مرفوع بأنه خبره وقال القاضي ابو سعيد السيرافي في شرح كتاب سيبويه ان من العرب من يضيف حيث الى المفرد فيجر ما بعدها وانشد ابن الاعرابي بيتا آخره **حيث لي العاييم** * وانشد ايضا ابو سعيد وابو علي في اخراج حيث من حد الظرفية بالاضافة اليها الى حد الاسماء المحضة قول الشاعر يصف شيخا يقتل القمل

يهز الهرايع عقده عند الخصى بأذل حيث يكون من يتذل
ومن ذلك قول الفرزدق

فمحن به عذبا رضابا غروبه رقاق واعلى حيث ركبنا اعجف

وقوله صغار عند الله قال الزجاج عند متصلة بسيصب اي سيصيهم عند الله صغار وجاهز ان يكون عند متصلة بصغار فيكون المعنى سيصب الذين اجرموا صغار ثابت اهم عند الله ولا يصلح ان يكون من محذوفة من عند انما المحذوف من عند في اذا قلت زيد عند عمرو فالمعنى زيد في حضرة عمرو وقال ابو علي اذا قلت ان عند معمول اصغار لم تحتج الى تقدير محذوف في الكلام لكن نفس المصدر يتناوله ويعمل فيه ويكون التقدير ان يصغروا عند الله فلا وجه لتقدير ثابت في الكلام فان قدرت صغارا . وصرافه عند لم يكن عند معمول اصغار ولكن يكون متعلقا بمحذوف فلا بد على هذا من تقدير ثابت ونحوه ما يكون في الأصل صفة ثم حذف وأقيم الظرف مقامه للدلالة عليه وهذا كقواك وانت تريد الصفة هذا رجل عندك فالمعنى ثابت عندك او مستقر عندك وكلا الوجهين جائز

* النزول *

نزات في الوليد بن المغيرة قال والله لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لأنني اكبر منك سنا واكثر منك مالا وقيل نزات في ابي جهل بن هشام قال زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرنسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نؤمن به ولا نتبعه ابدا الا ان يأتينا وحي كما يأتيه عن مقاتل

* المعنى *

ثم حكى سبحانه عن الاكابر الذين تقدم ذكرهم اقتراحاتهم الباطلة فقال (واذا جاءتهم آية) أي دلالة

معجزة من عند الله تعالى تدل على توحيده وصدق نبيه (ص) (قالوا ان نؤمن) اي ان نصدق بها (حتى نوتى) اي نعطي آية معجزة (مثل ماوتي) اي اعطي (رسل الله) حسدا منهم للنبي (ص) ثم اخبر سبحانه على وجه الانكار عليهم بقوله (الله اعلم حيث يجعل رسالته) انه اعلم منهم ومن جميع الخلق بمن يصلح لرسالته ويتعلق مصالح الخلق ببعثه وانه يعلم من يقوم باعباء الرسالة ومن لا يقوم بها فيجعلها عند من يقوم بادائها ويحتمل ما يلحقه من المشقة والأذى على تبليغها ثم توعدهم سبحانه فقال (سيصيب) اي سينال (الذين اجرموا) اي انقطعوا الى الكفر واقدموا عليه يعني بهم المشركين من اكابر القرى الذين سبق ذكرهم (صغار عند الله) اي سيصيبهم عند الله ذل وهوان وان كانوا اكابر في الدنيا عن الزجاج ويجوز ان يكون المعنى سيصيبهم صغار معانهم عند الله او سيصيبهم ان يصغروا عند الله (وعذاب شديد بما كانوا يمكرون) في الدنيا اي جزاء على مكروهم

قوله تعالى (١٢٥) **فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (آية)**

✽ القراءه ✽

قرأ ابن كثير ضيقا بتخفيف الياء وسكونها ههنا وفي الفرقان والباقون بتشديدها وكسرها وقرأ أهل المدينة وابو بكر وسهل حرجا بكسر الراء والباقون بفتحها وقرأ ابن كثير يصعد بتخفيف الصاد والعين وسكون الصاد وقرأ ابو بكر يصاعد بتشديد الصاد والفاء بعدها وتخفيف العين والباقون يصعد بتشديد الصاد والعين وفتح الصاد

✽ الحجة ✽

الضيق والضيق بمعنى مثل الميت والميت ومن فتح الراء من حرج فقد وصف بالمصدر كما قيل في قمن وذنق ونحوهما من المصادر التي يوصف بها ومن كسر الراء من حرج فهو مثل ذنف وقمن وقراءة ابن كثير يصعد من الصعود ومن قرأ يصعد اراد يتصعد فادغم والمعنى يتصعد انه يثقل الإسلام عليه فكأنه يتكلف ما يثقل عليه شيئا بعد شيئا كقولهم يتعفف ويتحرج ونحو ذلك مما يتعاطى فيه الفعل شيئا بعد شيئا ويصاعد مثل يصعد في المعنى فهو مثل ضائف وضعف وناعم ونعم وهما من المشقة وصعوبة الشيء ومن ذلك قوله يسلكه عذابا صعدا وقوله سار هقه صعودا اي ساعشيه عذابا صعودا وعقبه صعودا اي شاقه ومن ذلك قول عمر بن الخطاب ما يصعد في شيئا كما يصعد في خطبة النكاح اي ما شق علي شيئا مشقتها

✽ اللغة ✽

الحرج والحرج أضيق الضيق قال ابو زيد حرج عليه السحر يخرج حرجا اذا اصبح قبل ان يتسحر وحرم عليه حرما وهما بمعنى واحد وحرجت على المرأة الصلاة وحرمت بمعنى واحد وخرج فلان اذا هاب ان يتقدم على الأمر وقاتل فصبر وهو كاره وقد ذكرنا معاني الهداية والهدى والضلال والإضلال في سورة البقرة وما يجوز استناذه إلى الله تعالى من كلا الأمرين وما لا يجوز عند قوله وما يضل به الا الفاسقين

✽ المعنى ✽

لما تقدم ذكر المؤمنين والكافرين بين عقبه ما يفهمه سبحانه بكل من القبيلتين فقال (فمن يرد الله ان يهديه) قد ذكر في تأويل الآية وجوه **✽ احدها ✽** ان معناه (فمن يرد الله ان يهديه) الى الثواب وطريق الجنة

(يشرح صدره) في الدنيا (للاسلام) بأن يشتم عزمه عليه ويقوي دواعيه على التمسك به وبزيل عن قلبه وساوس الشيطان وما يعرض في القلوب من الخواطر الفاسدة وإنما يفعل ذلك لطفاً له ومناغاة له وثواباً على اهتدائه بهدى الله وقبوله إياه ونظيره قوله سبحانه والذين اهتدوا زادهم هدى ويؤيد الله الذين اهتدوا هدى (ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً) يعني ومن يرد أن يضله عن ثوابه وكرامته يجعل صدره في كفره ضيقاً حرجاً عقوبة له على ترك الإيمان من غير أن يكون سبحانه ما نعاله عن الإيمان وسألبا إياه القدرة عليه بل ربما يكون ذلك سبباً داعياً له إلى الإيمان فإن من ضاق صدره بالشيء كان ذلك داعياً له إلى تركه والدليل على أن شرح الصدر قد يكون ثواباً قوله سبحانه لم نشرحك صدرك الآيات ومعلوم أن وضع الوزر ورفع الذكر يكون ثواباً على تحمل أعباء الرسالة وكفها فكذلك ما قرن به من شرح الصدر والدليل على أن الهدى قد يكون إلى الثواب قوله والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ومعلوم أن الهداية بعد القتل لا تكون إلا إلى الثواب فليس بعد الموت تكليف وقد وردت الرواية الصحيحة أنه لما نزلت هذه الآية سئل رسول الله (ص) عن شرح الصدر ما هو فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فيشرح له صدره وينفسح قالوا فهل لذلك من إمامة يعرف بها قال (ص) نعم الإمامة إلى دار الخلود والتجاني عن دار الفروار والاستعداد للموت قبل نزول الموت * وثانيها * أن معنى الآية فمن يرد الله أن يثبتته على الهدى يشرح صدره من الوجه الذي ذكرناه جزاء له على إيمانه واهتدائه وقد يطلق لفظ الهدى والمراد به الاستدامة كما قلناه في قوله اهدنا الصراط المستقيم (ومن يرد أن يضله) أي يخذله ويخلى بينه وبين ما يريد لا اختياره الكفر وتركه الإيمان (يجمع صدره ضيقاً حرجاً) بأن يمنع اللطاف التي يشرح لها صدره لخروجه من قبولها بإقامته على كفره فإن قيل إننا نجد الكافر غير ضيق الصدر لما هو فيه ونراه طيب القلب على كفره فكيف يصح الخلف في خبره سبحانه قلنا أنه سبحانه بين أنه يجعل صدره ضيقاً ولم يقل في كل حال ومعلوم من حاله في أحوال كثيرة أنه يضيق صدره بما هو فيه من ورود الشبه والشكوك عليه وعندما يجازي الله تعالى المؤمن على استعمال الأدلة الموصلة إلى الإيمان وهذا القدر هو الذي يقتضيه الظاهر * وثالثها * أن معنى الآية من يرد الله أن يهديه زيادة الهدى التي وعدنا المؤمن يشرح صدره لتلك الزيادة لأن من حققها ان تزيد المؤمن بصيرة ومن يرد أن يضله عن تلك الزيادة بمعنى يذهب عنها من حيث أخرج هو نفسه من أن يصح عليه يجعل صدره ضيقاً حرجاً لمكان فقد تلك الزيادة لأنها إذا اقتضت في المؤمن ما قلناه أوجب في الكافر ما يضاؤه ويكون الفائدة في ذلك الترغيب في الإيمان والزجر عن الكفر وهذا التأويل قريب مما تقدمه وقد روي عن ابن عباس أنه قال إنما سمي الله قلب الكافر حرجاً لأنه لا يصل الخير إلى قلبه وفي رواية أخرى لا تصل الحكمة إلى قلبه ولا يجوز أن يكون المراد بالإضلال في الآية الدعاء إلى الضلال ولا الأمر به ولا الإيجاب عليه لإجماع الأمة على أن الله تعالى لا يأمر بالضلال ولا يدعو إليه فكيف يجبر عليه والدعاء إليه أهون من الإيجاب عليه وقد ذم الله تعالى فرعون والسامري على اضلالهما عن دين الهدى في قوله وأضل فرعون قومه وما هدى وقوله فأضلهم السامري ولا خلاف في أن اضلالهما أمر واجبار ودعاء وقد ذمهما الله تعالى عليه مطناً فكيف يتمدح بما ذم عليه غيره قوله (كأنما يصعد في السماء) فيه وجوه * أحدها * أن معناه كأنه قد كلف أن يصعد إلى السماء إذا دعي إلى الإسلام من ضيق صدره عنه أو كأن قلبه يصعد في السماء نبواً عن الإسلام والحكمة عن الزجاج * وثانيها * أن معنى يصعد كأنه يتكاف مشقة في

ارتقاء صعود وعلى هذا قيل عفة عنوت و كوثود عن ابي علي الفارسي قال ولا يكون السماء في هذا القول المظلة الأرض ولكن كما قال سيويه القيدود الطويل في غير ساء اي في غير ارتفاع صعودا وقريب منه ما روي عن سعيد بن جبير ان معناه كأنه لا يجد مسلكا الا صعودا * وثالثها * ان معناه كأنما ينزع قلبه الى السماء لشدة المشقة عليه في مفارقة مذهبه (كذلك يجعل الله الرجس) اي العذاب عن ابن زيد وغيره من أهل اللغة وقيل هو ما لا خير فيه عن مجاهد (على الذين لا يؤمنون) وفي هذا دلالة على صحة التأويل الاول لأنه تعالى بين ان الاضلال المذكور في الآية كان على وجه العقوبة على الكفر ولو كان المراد به الاجبار على الكفر لقال كذلك لا يؤمن من جعل الله الرجس على قلبه ووجه التشبيه في قوله كذلك يجعل الله الرجس انه يجعل الرجس على هؤلاء كما يجعل ضيق الصدر في قلوب أولئك وان كل ذلك على وجه الاستحقاق وروى العياشي بأسناده عن ابي بصير عن خيشمة قال سمعت أبا جعفر (ع) يقول ان القلب يتقلب من لدن موضعه الى حنجرته ما لم يصب الحق فإذا أصاب الحق قرئتم قرأ هذه الآية

قوله تعالى (١٢٦) وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ

(١٢٧) لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (آيتان)

المعنى *

ثم أشار تعالى الى ما تقدم من البيان فقال (وهذا صراط ربك) اي طريق ربك وهو القرآن عن ابن مسعود والاسلام عن ابن عباس وإنما أضافه الى نفسه لأنه تعالى هو الذي دل عليه وارشد اليه (مستقيما) لا اعوجاج فيه وإنما انتصب على الحال وإنما وصف الصراط الذي هو أدلة الحق بالاستقامة مع اختلاف وجوه الأدلة لأنها مع اختلافها تؤدي الى الحق فكأنها طريق واحد لسلامة جميعها من التناقض والفساد (قد فضلنا الآيات) اي بينها وميزناها (لقوم يذكرون) وأصله يتذكرون خص المتذكرين بذلك لأنهم المتفجعون بالحجج كما قال هدى للمتقين (لهم دار السلام) اي للذين تذكروا وتديروا وعرفوا الحق وتبعوه دار السلامة الدائمة الخالصة من كل آفة وبلية مما يلقاه اهل النار عن الزجاج والجبائي وقيل ان السلام هو الله تعالى وداره الجنة عن الحسن والسدي (عند ربهم) اي هي مضمونة لهم عند ربهم يوصلهم اليها لا محالة كما يقول الرجل لغيره لك عندي هذا المال اي في ضماني وقيل معناه لهم دار السلام في الآخرة يعطيهم اياها (وهو وليهم) يعني الله يتولى إيصال المنافع اليهم ودفع المضار عنهم وقيل وليهم أناصرهم على اعدائهم وقيل يتولاهم في الدنيا بالتوفيق وفي الآخرة بالجزاء (بما كانوا يعملون) المراد جزاء بما كانوا يعملون من الطاعات فحذف لظهور المعنى فإن من المعلوم ان ما لا يكون طاعة من الأعمال فلا ثواب عليه

قوله تعالى (١٢٨) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِيبَعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ

أَوْلِيَائِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْنِعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ

خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٢٩) وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِبَعْضِ الظَّالِمِينَ

بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (آيتان)

* القراءة *

قرأ حفص وروح ويوم يحشهم بالياء الباقون بالنون

* الحجة *

من قرأ بالياء فلقوله عند ربهم والنون كالياء في المعنى ويقوي النون قوله وحشراهم ونحشره يوم القيامة اعمى

* الإعراب *

قال الزجاج خالد بن فيها منصوب على الحال والمعنى النار مقامكم في حال خلود دائم قال ابو علي المثنوي عندي في الآية اسم للمصدر دون المكان لحصول الحال في الكلام معملا فيها الا ترى انه لا يخلو من ان يكون موصفا او مصدرا فلا يجوز ان يكون موصفا لان اسم الموضع لا يعمل عمل الفعل لانه لا معنى للفعل فيه واذا لم يكن موصفا ثبت انه مصدر والمعنى النار ذات اقامتكم فيها خالد بن اي اهل ان تقيموا او تثبوا خالد بن فيها فالكاف والميم في المعنى فاعلون وان كان في اللفظ خفض بالاضافة

* المعنى *

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال (ويوم نحشهم جميعا) اي يجمعهم يريد جميع الخلق وقيل الانس والجن لانه يتعقبه حديثهم وقيل يريد الكفار وانتصب اليوم بالقول المضمر لان المعنى ويوم يحشهم جميعا يقول (يامعشر الجن) اي يا جماعة الجن (قد استكثرتم من الانس) اي قد استكثرتم ممن أضلتموه من الانس عن الزجاج وهو مأخوذ من قول ابن عباس معناه من اغواء الانس واضلالمه (وقال اولياؤهم) اي متبعوهم من الانس (ربنا استمتع بعضنا ببعض) اي انتفع بعضنا ببعض وقد قيل فيه أقوال * احدها *

ان استمتع الجن بالانس ان اتخذهم الانس قادة وروساء فاتبعوا اهواءهم واستمتع الانس بالجن انتفاعهم في الدنيا بما زين لهم الجن من اللذات ودعوتهم اليه من الشهوات * وثانيها * ان استمتع الانس بالجن ان الرجل كان اذا سافر وخاف الجن في سلوك طريق قال أعوذ بسيد هذا الوادي ثم يسلك فلا يخاف وكانوا يرون ذلك استجارة بالجن وان الجن تجيرهم كما قال الله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقا واستمتع الجن بالانس ان الجن اذا اعتقدوا ان الانس يتعوذون بهم ويعتقدون انهم ينفعونهم ويضرونهم كان في ذلك لهم سرور ونفع عن الحسن وابن جريج والزجاج وغيرهم - وثالثها - ان المراد بالاستمتاع طاعة بعضهم لبعض وموافقة بعضهم بعضا عن محمد بن كعب قال

البلخي ويحتمل ان يكون الاستمتاع مقصورا على الانس فيكون الانس استمتع بعضهم ببعض دون الجن وقوله (وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا) يعني بالاجل الموت عن الحسن والسدي وقيل البعث والحشر لان الحشر أجل الجزاء كما ان الموت أجل استدراك ما مضى قال الجبائي وفي هذا دلالة على انه لا أجل الا واحد لانه لو كان أجلان لكان الرجل اذا اقتطع دون الموت بأن يقتل لم يكن بلغ أجله والآية تتضمن انهم أجمع قالوا بلغنا أجلنا الذي أجلت لنا وقال علي بن عيسى وغيره من البغداديين لا دلالة في الآية على ذلك بل لا يمتنع ان يكون للانسان أجلان - احدهما - ما يقع فيه الموت * والآخر * ما يقع فيه الحشر او ما كان يجوز ان يعيش اليه (قال) الله تعالى لهم (النار مثواكم) اي مقامكم والثواء الإقامة

(خالد بن فيما) اي دائمين مؤبدين فيها معذبين (الامام شاء الله) وقيل في معنى هذا الاستثناء أقوال - احدها - ما روي عن ابن عباس انه قال كان وعيد الكفار مبها غير مقطوع به ثم قطع به لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به - وثانيها - ان الاستثناء انما هو من يوم القيامة لأن قوله ويوم يحشرهم جميعا هو يوم القيامة فقال خالد بن فيما مذيوم يعشون الا ما شاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدتهم في محاسبتهم عن الزجاج قال وجائز ان يكون المراد الا ما شاء الله ان يعذبهم به من اضعاف العذاب * وثالثها * ان الاستثناء راجع الى غير الكفار من عصاة المسلمين الذين هم في مشيئة الله تعالى ان شاء عذبهم بذنوبهم بقدر استحقاقهم عدلا وان شاء عفا عنهم فضلا * ورابعها * ان معناه الا ما شاء الله ممن آمن منهم عن عطا (ان ربك حكيم عليم) اي محكم لأفعاله عليهم بكل شيء وقيل حكيم في عقاب من يختار ان يعاقبه والعفو عن من يختار ان يعفو عنه عليم بمن يستحق الثواب وبمقدار ما يستحقه ومن يستحق العقاب وبمقدار ما يستحقه (و كذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون) الكاف للشيء اي كذلك المهمل بتخلية بعضهم مع بعض للامتحان الذي معه يصح الجزاء على الاعمال توليتنا بعض الظالمين بعضا بأن نجعل بعضهم يتولى أمر بعض للعقاب الذي يجري على الاستحقاق عن علي بن عيسى وقيل معناه انا كما وكلنا هؤلاء الظالمين من الجن والانس بعضهم إلى بعض يوم القيامة وتبرأنا منهم فكذلك نكل الظالمين بعضهم إلى بعض يوم القيامة ونكل الاتباع إلى المتبوعين ونقول للاتباع قولوا للمتبوعين حتى يخلصوكم من العذاب عن ابي علي الجبائي قال والغرض بذلك اعلامهم انه ليس لهم يوم القيامة ولي يدفع عنهم شيئا من العذاب وقال غيره لما حكى الله تعالى ما يجري بين الجن والانس من الخصام والجدال في الآخرة قال وكذلك أي وكما فعلنا هؤلاء من الجمع بينهم في النار وتولية بعضهم بعضا نفعل مثله بالظالمين جزاء على أعمالهم وقال ابن عباس إذا رضي الله عن قوم ولي أمرهم خيارهم وإذا سخط على قوم ولي أمرهم شرارهم بما كانوا يكسبون من المعاصي أي جزاء على أعمالهم القبيحة وذلك معنى قوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ومثله ما رواه الكليني عن مالك بن دينار قال قرأت في بعض كتب الحكمة ان الله تعالى يقول إني أنا الله مالك الملوك قابو الملوك بيدي فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك ولكن توبوا إلي اعطهم عليكم وقيل معنى قوله نولي بعضهم بعضا نخلي بينهم وبين ما يختارونه من غير نصرة لهم وقيل معناه تتابع بعضهم بعضا في النار من الموالاة التي هي المتابعة أي يدخل بعضهم النار عقيب بعض عن قتادة

قوله تعالى (١٣٠) يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتَّبِعُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَافِرِينَ (١٣١) ذَلِكَ أَنَّ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ (١٣٢) وَكُلٌّ دَرَجاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (ثلاث آيات)

✽ القراءة ✽

قرأ ابن عامر عما تعملون بالتاء والباقون بالياء

✽ اللغة ✽

الغفلة عن المعنى والسهو عنه والعزوب عنه نظائر وضد الغفلة اليقظة وضد السهو الذكرو ضد العزوب الحضور

✽ الاعراب ✽

موضع ذلك يحتمل أن يكون رفعا على تقدير الأمر ذلك ويحتمل ان يكون نصبا على تقدير فعلنا ذلك وان لم يكن ان هذه هي المخففة من الثقيلة وتقديره لأنه لم يكن كما في قول الشاعر

في فتية كسيوف الهند قد علموا ان هالك كل من يحفى وينتعل

وان المفتوحة لا بد لها من اضرار الهاء لأنه لا معنى لها في الابتداء وإنما هي بمعنى المصدر المبني على غيره والمكسورة لا تحتاج إلى الهاء لأنها يصح ان تكون حرفا من حروف الابتداء فلا يحتاج إلى اضرار وإنما لم يبين كل إذا حذف منه المضاف اليه كما بني قبل وبعد لأن ما حذف منه المضاف اليه مثل قبل وبعد لم يكن في حال الاعراب على التمكن التام فإنه لا يدخله الرفع في تلك الحال فلما انضاف إلى ذلك نقصان التمكن بحذف المضاف اليه اخرج إلى البناء وليس كذلك كل لأنه متمكن على كل حال فلذلك لم يبين

✽ المعنى ✽

ثم بين عز وجل تمام ما يخاطب به الجن والانس يوم القيامة بأن يقول (يا معشر الجن والانس) والمعشر الجماعة التامة من القوم التي تشمل على اصناف الطوائف ومنه العشرة لأنها تمام المقدم (الم يأتكم رسل منكم) هذا احتجاج عليهم بأن ابث اليهم الرسل اعذارا وانذارا وتأكيدا للحجة عليهم وأما قوله منكم وان كان خطابا لجميعهم والرسل من الانس خاصة فإنه يحتمل ان يكون لتغليب احدهما على الآخر كما قال تعالى يخرج منها اللؤلؤ والمرجان وان كان اللؤلؤ يخرج من الملح دون العذب وكما يقال أكلت الخبز واللبن وإنما يؤكل الخبز ويشرب اللبن وهو قول اكثر المفسرين والزجاج والرماني وقيل انه ارسل رسل الى الجن كما ارسل الى الانس عن الضحاك وقال الكلبي كان الرسل يرسلون الى الانس ثم بعث محمد (ص) الى الانس والجن وقال ابن عباس انما بعث الرسول من الانس ثم كان يرسل هو الى الجن رسولا من الجن وقال مجاهد الرسل من الانس والنذر من الجن (يقصون) اي يتلون ويقرأون (عليكم آياتي) اي حججي ودلائلي وبيناتي (وينذرونكم) اي يخوفونكم (لقاء يومكم هذا) اي لقاء ما تستحقونه من العقاب في هذا اليوم وحصولكم فيه يعني يوم القيامة (قالوا شهدنا على انفسنا) بالكفر والعصيان في حال التكليف ولزوم الحجة وانقطاع المعذرة واعترافنا بذلك (وغرتهم الحياة الدنيا) اي تزينت لهم بظواهرها حتى اغتروا بها (وشهدوا على انفسهم) في الآخرة (أنهم كانوا كافرين) في الدنيا اي أقروا بذلك وشهدوا باستحقاقهم العقاب (ذلك) حكم الله تعالى (ان لم يكن ربك) اي لأنه لم يكن ربك (مهلك القرى بظلم واهلها غافلون) وهذا يجري مجرى التعليل اي لأجل انه لم يكن الله تعالى لهلك اهل القرى بظلم يكون منهم حتى بعث اليهم رسلا ينهونهم على حجج الله تعالى ويزجرونهم ويذكرونهم ولا يؤاخذهم بغتة وهذا انما يكون منه تعالى على وجه الاستظهار في الحجة دون ان يكون ذلك واجبا لأن ما فعلوه من الظلم قد استحقوا به العقاب وقيل معناه انه تعالى لا يهلككم بظلم منه على غفلة منهم من غير تنبيهه وتذكيره عن الفراء والجبائي ومثله قوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وفي هذا دلالة واضحة على انه تعالى منزه عن الظلم

ولو كان الظلم من خلقه لما صح تنزهه تعالى عنه (ولكل) اي واكل عامل طاعة او معصية (درجات مما عملوا) اي مراتب في عمله على حسب ما يستحقه فيجازى عليه ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر وانما سميت درجات لتفاضلها كتفاضل الدرج في الارتفاع والانحطاط وانما يعبر عن تفاضل اهل الجنة بالدرج وعن تفاضل اهل النار بالدرك الا انه لما جمع بينهم عبر عن تفاضلهم بالدرج تعليلا لصفة اهل الجنة (وما ربك) يا محمد او ايها السامع (بغافل) اي ساه (عما يعملون) اي لا يشذ شي من ذلك عن علمه فيجازيهم على حسب ما يستحقونه من الجزاء وفي هذا تنبيه وتذكير للخلق في كل أمورهم

قوله تعالى (١٣٣) وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنَّ يَسَاءَ يَذْهَبِكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ آخَرِينَ (١٣٤) إِنَّ مَا تُوْعَدُونَ لَأَتِي وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (١٣٥) قُلْ يَا قَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ثلاث آيات

✽ القراءة ✽

قرأ أبو بكر عن عاصم مكاناتكم على الجمع والباقون مكاتكم على التوحيد وقرأ حمزة والكسائي من يكون بالياء والباقون بالتاء

✽ الحجة ✽

وجه قراءة مكاتكم على التوحيد انه مصدر والمصادر في أكثر الأمر مفردة ووجه الجمع انه قد يجمع المصدر كقولهم الحلوم والاحلام قال

فأما اذا جلسوا في الندي فأحلام عاد وأيدهضم
ومن قرأ من يكون بالياء فلان العاقبة مصدر كالعافية وتأنيته غير حقيقي فمن أنت فهو كقوله فأخذتهم الصيحة ومن ذكر فكقوله وأخذ الذين ظلموا الصيحة وكلا الأمرين جائز

✽ اللفظة ✽

الإشياء الإبتداء أنشأ الله الخلق اذا خلقهم وابتدأهم ومنه قولهم أنشأ فلان قصيدة والنشأ الاحداث من الاولاد قال نصيب

ولو لا ان يقال صبا نصيب لقات بنفسي النشأ الصغار

وتوعدون من الايعاد ويحتمل ان يكون من الوعد والوعد في الخير والايعاد في الشر وقال ابو زيد المكنة المنزلة يقال رجل مكين عند السلطان من قوم مكاء وقد مكن مكانة

✽ الإعراب ✽

الكاف في قوله كما أنشأكم في موضع نصب اي مثل ما أنشأكم ومن في قوله ويستخلف من بعدكم للبدل كقولهم اعطيتك من دينارك ثوبا اي مكان دينارك وبدله ومن في قوله من ذرية قوم آخرين لابتداء الغاية وما في قوله ان ما توعدون بمعنى الذي ومن في قوله من تكون له عاقبة الدار في موضع رفع بالابتداء وخبره تكون له عاقبة الدار وتقديره أينا تكون له عاقبة الدار وتكون تعليقا ويحتمل ان يكون موضعه نصبا تعلمون

ويكون في معنى الذي

- المعنى -

لما أمر سبحانه بطاعته وحث عليها ورغب فيها بين انه لم يأمر بها لحاجة لأنه يتعالى عن النفع والضر فقال (وربك) اي خالقك وسيدك (الغني) عن اعمال عباده لا تنفعه طاعتهم ولا تضره معصيتهم لأن الغني عن الشيء هو الذي يكون وجود الشيء وعدمه وصحته وفساده عنده بمنزلة (ذو الرحمة) اي صاحب النعمة على عباده بين سبحانه انه مع غناه عن عباده ينعم عليهم وان انعامه وان أكثر لا ينقص من ملكه ولا من غناه ثم اخبر سبحانه عن قدرته فقال (ان يشأ يذهبكم) اي يهلككم وتقديره يذهبكم بالإهلاك (ويستخلف من بعدكم ما يشاء) أي وينشئ بعد هلاككم خلقاً غيركم يكون خلفكم (كما انشأكم) في الأول (من ذرية قوم آخرين) تقدموكم وهذا خطاب لمن سبق ذكره من الجن والانس ويحتمل ان يكون معناه ويستخلف جنساً آخر اي كما قدر على اخراج الجن من الجن والانس من الانس فهو قادر على ان يخرج قوماً آخر لا من الجن ولا من الانس وفي هذه الآية دلالة على أن خلاف المعلوم يجوز ان يكون مقدوراً لأنه سبحانه بين انه قادر على ان ينشئ خلقاً خلاف الجن والانس ولم يفعل ذلك (ان ما توعدون) من القيامة والحساب والجنة والنار والثواب والعقاب وتفاوت اهل الجنة في الدرجات وتفاوت اهل النار في الدرجات (لا محالة) وما انتم بمعجزين) بفائتين ويقال بسابقين ويقال بخارجين من ملكه وقدرته والإعجاز ان يأتي الانسان بشي يعجز خصمه عنه ويقصر دونه فيكون قد جعله عاجزاً عنه فعلى هذا يكون المعنى استم بمعجزين الله سبحانه عن الاتيان بالبعث والعقاب (قل) يا محمد لهم (يا قوم عملوا على مكانتكم) اي على قدر منزلتكم وتمكنكم من الدنيا ومعناه اثبتوا على ما انتم عليه من الكفر وهذا تهديد ووعد بصيغة الأمر وقيل على مكانتكم على طريقتكم وقيل على حالتكم عن الجبائي اي اقيموا على حالتكم التي انتم عليها فاني مجازيكم (اني عامل) اخبار عن النبي (ص) اي عامل بما أمرني الله تعالى به وقيل اخبار عن الله تعالى اي عامل ما وعدتكم به من البعث والجزاء عن ابي مسلم والأول الصحيح (فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار) اي فتعلمون ايما تكون له العاقبة المحمودة في دار السلام عند الله تعالى وقيل المراد عاقبة دار الدنيا في النصر عليكم (انه لا يفلح الظالمون) اي لا يظفر الظالمون بمطوبهم وانما لم يقل الكافرون وان كان الكلام في ذكرهم لأنه سبحانه قال في موضع آخر والكافرون هم الظالمون وقال ان الشرك لظلم عظيم

قوله تعالى (١٣٦) وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ
وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ
سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (آية)

✽ القراءة ✽

قرأ الكسائي بزعمهم بضم الزاي وهي قراءة يحيى بن ثابت والاعمش وقرأ الباقون بفتح الزاي

✽ الحجة ✽

القول فيه انها لغتان وقيل ان الكسر ايضاً لغة ومثله الفتك والفتك والود والود والود

- اللغة -

الذرة الخلق على وجه الاختراع وأصله الظهور ومنه ملح ذرآتي وذرآني لظهور بياضه والذرة ظهور الشيب قال ﴿وقد علمتني ذرأة بادي بدي﴾ وذرئت لحيته اذا شابت والحراث الزرع والحراث الارض التي تثار للزرع والانعام جمع النعم مأخوذ من نعمة الوطاء ولا يقال لذوات الحافر انعام ﴿المعنى﴾

ثم عاد الكلام الى حجاج المشركين وبيان اعتقاداتهم الفاسدة فقال سبحانه (وجعلوا لله) أي كفار مكة ومن تقدمهم من المشركين والجعل هنا بمعنى الوصف والحكم (بما ذرأ من الحراث) أي مما خلق من الزرع (والانعام) أي المواشي من الابل والبقر والغنم (نصيبا) أي حظا وههنا حذف بدل الكلام عليه وهو وجعلوا للأوثان منه نصيبا (فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا) يعني الأوثان وانما جعلوا الأوثان شركاءهم لأنهم جعلوا لها نصيبا من أموالهم ينفقونه عليها فشاركوها في نعمهم (فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم) قيل في معناه أقوال ﴿ احدها ﴾ انهم كانوا يزرعون لله زرعاً وللانعام زرعاً فكان اذا زكا الزرع الذي زرعه الله ولم يرك الزرع الذي زرعه للانعام جعلوا بعضه للانعام وصرفوه اليها ويقولون ان الله غني والانعام احوج وان زكا الزرع الذي جعلوه للانعام ولم يرك الزرع الذي زرعه الله لم يجعلوا منه شيئاً لله وقالوا هو غني وكانوا يقسمون النعم فيجعلون بعضه لله وبعضه للانعام فما كان لله اطعموه الضيفان وما كان للصنم انفقوه على الصنم عن الزجاج وغيره ﴿ وثانيها ﴾ انه كان اذا اختلط ما جعل للانعام بما جعل لله ما جعل لله بما جعل للانعام تركوه وقالوا الله اغني واذا تخرق الماء من الذي لله في الذي للانعام لم يسدوه واذا تخرق من الذي للانعام في الذي لله سدوه وقالوا الله اغني عن ابن عباس وقتادة وهو المروي عن أنسنا (ع) - وثالثها - انه كان اذا هلك ما جعل للانعام بدلوه مما جعل لله واذا هلك ما جعل لله لم يبدلوه مما جعل للانعام عن الحسن والسدي (ساء ما يحكمون) أي ساء الحكم حكمهم هذا

قوله تعالى (١٣٧) وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ لِيُرْذُوهُمْ وَلِيَلْبَسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (آية)

- القراءة -

قرأ ابن عامر وحده زين بضم الزاي قتل بالرفع اولادهم بالنصب شركائهم بالجر والباقون زين بالفتح قتل بالنصب اولادهم بالجر شركائهم بالرفع

- الحجة -

شركائهم في قراءة الاكثرين فاعل زين وقتل اولادهم مفعوله ولا يجوز ان يكون شركاء فاعل المصدر الذي هو قتل اولادهم لأن زين حينئذ يبقى بلا فاعل ولأن الشركاء ليسوا قاتلين انما هم مزنون القتل لهم وأضيف المصدر الذي هو قتل الى المفعولين الذين هم الأولاد وحذف الفاعل وتقديره قتلهم اولادهم كما حذف ضمير الانسان في قوله لا يسأم الانسان من دعاء الخير والمعنى من دعائه الخير وأما قراءة

ابن عامر وكذلك زين فإنه اسند زين الى قتل واعمل المصدر عمل الفعل وأضافه الى الفاعل ونظير ذلك قوله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض فاسم الله هنا فاعل كما ان الشركاء في الآية فاعلون والمصدر مضاف الى الشركاء الذين هم فاعلون والمعنى قتل شركائهم اولادهم وتقديره ان قتل شركاؤهم اولادهم وفصل بين المضاف والمضاف اليه بمفعول به والمفعول مفعول المصدر وهذا قبيح في الاستعمال قال ابو علي ووجه ذلك على ضعفه انه قد جاء في الشعر الفصل قال الطرماح

يطفن بجوزي المراتع لم ترع بواديه من قرع القسي الكنائن

وزعموا ان ابنا الحسن أشد «زج القلوص ابي مزاده» فهو شاذ مثل قراءة ابن عامر وذكر سيويه في هذه الآية قراءة أخرى وهو قوله وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم وهو قراءة ابي عبد الرحمن السلمي فحمل الشركاء فيها على فعل مضمر غير هذا الظاهر كأنه لما قيل وكذلك زين قيل من زينه فقال زينه شركاؤهم ومثل ذلك قوله

ليبك يزيد ضارع لخصومة ومختبط مما تطيح الطوائح

كأنه لما قيل ليبك يزيد قيل من يبكيه فقال يبكيه ضارع

✽ اللفظة ✽

الارداء: الاهلاك وردى يردي ردى اذا هلك وتردى ترديا والمرداة الحجر يتردى من رأس الجبل

— المعنى —

ثم بين سبحانه خصلة أخرى من خصالهم الذميمة فقال (وكذلك) اي وكما جعل أولئك في الحرث والانعام ما لا يجوز كذلك (زين لكثير من المشركين) اي مشركي العرب (قتل اولادهم شركاؤهم) يعني الشياطين الذين زينوا لهم قتل البنات وأدهن احياء خيفة العيلة والفقر والعار عن الحسن ومجاهد والسدي وقيل ان المزيين لهم ذلك قوم كانوا يخدمون الأوثان عن الفراء والزجاج وقيل هم القواة من الناس وقيل كان السبب في تزيين قتل البنات ان النعمان بن المنذر اغار على قوم فسبى نساءهم وكان فيهن بنت قيس بن عاصم ثم اصطالحوا فأرادت كل امرأة منهن عشرتها غير ابنة قيس فإنها أرادت من سبأها فحلف قيس لا يولد له بنت الا وأدها فصار ذلك سنة فيما بينهم (ليردوهم) اي يهلكوهم واللام العاقبة لانهم لم يكونوا معاندين لهم فبقصدوا ان يردوهم عن ابي علي الجبائي وقال غيره يجوز ان يكون فيهم المعاند فيكون ذلك على التغليب (وليلبسوا عليهم دينهم) اي يخلطوا عليهم دينهم ويدخلوا عليهم الشبهات فيه (ولو شاء الله ما فعلوه) معناه ولو شاء ان يمنهم من ذلك او يضطرهم الى تركه لفعل ولو فعل المنع والحيلولة لما فعلوه ولكن كان يكون ذلك منافيا للتكليف (فذرهم وما يفترون) اي اتركهم ودعهم وافتراءهم اي كذبهم على الله تعالى فإنه بجازيهم وفي هذا غاية الزجر والتهديد كما يقول القائل دعه وما اختاره وفي هذه الآية دلالة واضحة على ان تزيين القتل والقتل فعلهم وانهم في اضافة ذلك الى الله سبحانه كاذبون

قوله تعالى (١٣٨) «وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتٌ حَجِرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِمْ سَجَازٍ بِهَمٍّ يَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (آية)»

- القراءة -

قري في الشواذ حرج روي ذلك عن ابى بن كعب وابن مسعود وابن الزبير والاعمش وعكرمة وعمرو بن دينار

= الحججة =

الحرج يمكن ان يوؤل معناه الى الحجر فإنها يرجعان في الأصل الى المعنى الضيق فإن الحرام سمي حرجا لضيقه والحرج ايضا الضيق فعلى هذا يكون لغة في حجر مثل جذب وجذب فهو من المقلوب

✽ اللغة ✽

الحجر الحرام والحجر العقل وفلان في حجر القاضي من حجرت حجرا اي في منع القاضي اياه من الحكم في ماله وحجر المرأة وحجرها بالفتح والكسر حضنها

✽ الاعراب ✽

افتراء منصوب بقوله لا يذكرون وهو مفعول له ويجوز ان يكون لا يذكرون بمعنى يفترون فكأنه قال يفترون افتراء

✽ المعنى ✽

ثم حكى سبحانه عنهم عقيدة أخرى من عقائدهم الفاسدة فقال (وقالوا) يعني المشركين (هذه انعام) اي مواش وهي الاوبل والبقر والغنم (وحرث) زرع حجر اي حرام عنى بذلك الانعام والزرع الذين جعلوهم مالا لهم واولادهم (لا يطعمها الا من نشاء بزمهم) اي لا يأكلها الا من نشاء ان نأذن له في أكلها وأعلم سبحانه ان هذا التحريم زعم منهم لا حجة لهم فيه ولا برهان وكانوا لا يحلون ذلك الا لمن قام بخدمة اصنامهم من الرجال دون النساء (وانعام حرمت ظهورها) يعني الانعام التي احرموا الركب عليها وهي السائبة والبحيرة والحام عن الحسن ومجاهد وقيل هي الحامي الذي حمى ظهره اذا ركب ولد ولد عندهم فلا يركب ولا يحمل عليه (وانعام لا يذكرون اسم الله عليها) قيل كانت لهم من انعامهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شيء من شأنها عن مجاهد وقيل انهم كانوا لا يحجون عليها عن ابي واثل وقيل هي التي اذا ذكوها اهلوا عليها بأصنامهم فلا يذكرون اسم الله عليها عن الضحاك (افتراء عليه) اي كذبا على الله تعالى لأنهم كانوا يقولون ان الله أمرهم بذلك وكانوا كاذبين به عليه سبحانه (سيجزبهم بما كانوا يفترون) ظاهر المعنى

قوله تعالى (١٣٩) وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير وان يكن بالياء ميتة رفع وقرأ ابن عامر وابو جعفر تكن بالياء ميتة رفع وقرأ ابو بكر عن عاصم تكن بالياء ميتة نصب والباقون يكن بالياء ميتة نصب وفي الشواذ قراءة ابن عباس بخلاف وقتادة والاعرج خالصة بالنصب وقراءة سعيد بن جبيرة خالصة وقراءة ابن عباس بخلاف والزهري والاعمش خالص بالرفع وقراءة ابن عباس وابن مسعود والاعمش بخلاف خالصة مرفوع مضاف

= الحججة =

وجه قراءة الاكثر ان يحمل على ما فيكون تقديره ان يكن ما في بطون الانعام ميتة ووجه قراءة ابن كثير انه لما لم يكن تأنيث الميتة تأنيث ذوات الفروج جاز تذكير الفعل كقوله فمن جاءه موعظة من ربه ويكون كان

تامة وتقديره ان وقع ميتة ومن أنت الفعل فكقوله سبحانه قد جاءكم موعظة ووجه قراءة ابي بكر ان ما في بطون الانعام من الانعام فلذلك أنثها واما خالصة بالرفع على القراءة المشهورة فتقديره ما في بطون الانعام من الانعام خالصة لنا اي خالص فأنت للمبالغة في الخلوص كما يقال فلان خالصة فلان اي صفيه والمبالغ في الصفاء والثقة عنده والتاء فيه للمبالغة وليكون ايضا بلفظ المصدر نحو العافية والعاقبة والمصدر الى الجنسية فيكون أعم وأوكد ويدل على ذلك قراءة من قرأ خالص وأما من نصب خالصة وخالصا فية وجهان - احدها - ان يكون حالاً من المضمر في الظرف الذي جرى صلة على ما فيكون كقولهم الذي في الدار قائماً زيد فيكون قوله لذكورنا خبر المبتدأ الموصول - والآخر - ان يكون حالاً من ما على مذهب ابي الحسن في اجازته تقديم الحال على العامل فيها اذا كان معنى بعد ان يتقدم صاحب الحال عليها كقولنا زيد قائماً في الدار واحتج بقوله سبحانه والأرض جميعا قبضته يوم القيامة

المعنى

ثم حكى الله سبحانه عنهم مقالة أخرى فقال (وقالوا) يعني هو لاء الكفار الذين تقدم ذكركم (ما في بطون هذه الانعام) يعني البان البحائر والسيب عن ابن عباس والشعبي وقتادة وقيل أجنة البحائر والسيب ما ولد منها حياً فهو خالص للذكور دون النساء وما ولد ميتاً كله الرجال والنساء عن مجاهد والسدي وقيل المراد به كليهما (خالصة لذكورنا) لا بشر كهم فيها أحد من الإناث من قولهم فلان يخلص العمل لله ومنه اخلاص التوحيد وسمي الذكور من الذكر الذي هو الشرف والذكر أشبه وأذكر من الأنثى (ومحرم على ازواجنا) اي نساتنا (وان يكن ميتة) معناه وان يكن جنين الانعام ميتة (فهم فيه شركاء) أي الذكور والإناث فيه سواء ثم قال سبحانه (سيجزبهم وصفهم) اي سيجزبهم العقاب بوصفهم فلما اسقط الباء نصب وصفهم وقيل تقديره سيجزبهم جزاء وصفهم فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه عن الزجاج (انه حكيم) فيما يفعل بهم من العقاب أجلاً وفي امهالهم عاجلاً (عليم) بما يفعلونه لا يخفى عليه شيء منها وقد عاب الله سبحانه الكفار في هذه الآية من وجوه اربعة - احدها - ذمهم الأتعام بغير اذن الله - وثانيها - أكلهم على ادعاء التذكية اقتراء على الله - وثالثها - تحليلهم للذكور وتحريمهم على الإناث تفرقة بين ما لا يفترق إلا بحكم من الله - ورابعها - تسويتهم بينهم في الميتة من غير رجوع الى مجمع موثوق به

قوله تعالى (١٤٠) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (آية)

القراءة

قرأ ابن كثير وابن عامر قتلوا بتشديد التاء والباقون بالتخفيف

الحجة

التشديد للتكثير والتخفيف يدل على القلة والكثرة وقد تقدم بيان ذلك

الإعراب

قوله سفها واقتراء على الله نصب على الوجهين اللذين ذكرناهما في قوله اقتراء عليه

= المعنى =

ثم جمع سبحانه بين الفريقين الذين قتلوا اولادهم والذين حرموا الحلال فقال (قد خسر الذين قتلوا اولادهم) خوفاً من الفقر وهرباً من العار ومعناه هلكت نفوسهم باستحقاقهم على ذلك عقاب الأبد والحسران هلاك الرأس

المال (سفه) اي جهلا وتقديره سفهوا بما فعلوه سفها والفرق بين السفه والنزق ان السفه عجلة يدعو اليها الهوى والنزق عجلة من جهة حدة الطبع والغيظ (بغير علم) وهذا تاكيد لجهلهم وذهابهم عن الثواب (وحرموا ما رزقهم الله) يعني الأنعام والحراث الذين زعموا انها حجر عن الحسن واعترض علي بن عيسى على هذا فقال الانعام كانت محرمة حتى ورد السمع فما قاله غير صحيح وهذا الاعتراض يفسد من حيث ان الركوب لا يحتاج الى السمع وان احتاج الذبح اليه لأن الركوب مباح اذا قام بمصالحها ولأن أكلها ايضا بعد الذبح مباح (افتراء) اي كذبا (على الله) سبحانه (قد ضلوا) اي ذهبوا عن طريق الحق بما فعلوه وحكموا بحكم الشياطين فيما حكموا فيه (وما كانوا مهتدين) الى شي من الدين والخير والرشاد وفي هذه الآيات دلالات على بطلان مذهب المجبرة لأنه سبحانه أضاف القتل والافتراء والتحريم اليهم ونزه نفسه عن ذلك وذمهم على قتل الاطفال بغير جرم فكيف يعاقبهم سبحانه عقاب الأبد على غير جرم

قوله تعالى (١٤١) وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (آية)

✽ القراءة ✽

قرأ أهل البصرة والشام وعاصم حصاده بالفتح والباقون حصاده بالكسر

✽ الحجة ✽

هما لغتان قال سيبويه جاؤا بالمصادر حين أرادوا انتهاء الزمان على مثال فعال وذلك الصرام والجداد والجرام والجزاز والقطاع والحصاد وربما دخلت اللغتان في بعض هذا فكان فيه فعال وفعال

✽ اللغة ✽

الإنشاء احداث الفعل ابتداء لا على مثال سبق وهو كالاتباع . والاختراع هو احداث الأفعال في الغير من غير سبب . والخلق هو التقدير والترتيب . والجنات البساتين التي يجهتها الشجر من النخل وغيره والروضة الخضراء بالنبات والزهر المشرقة باختلاف الألوان الحسننة والعرش أصله الرفع ومنه سمي السرير عرشاً لارتفاعه والعرش السقف والملك وعرش الكرم رفع بعض اغصانها على بعض العريش شبه المودج يتخذ للمرأة والامراف مجاوزة الحد وقد يكون بالمجازة الى الزيادة وقد يكون بالتقصير وهو ان يجاوز حد الحق والعدل قال الشاعر

اعطوا هنيذة يحدوها ثمانية ما في عطائهم من ولا سرف

اي ولا تقصير وقيل معناه ولا افراط

✽ الإعراب ✽

مختلفا أكله نصب على الحال من انشأ وانما انصب على الحال وان كان يؤكل بعد ذلك بزمان لا مرتين — احدها — ان المعنى مقدر اختلاف أكله كما في قوله مررت برجل معه صقر صائدا به غذا اي مقدرأ الصيد به غذا — والثاني — ان يكون معنى أكله ثمره الذي يصلح ان يؤكل منه

✽ المعنى ✽

لما حكى سبحانه عن المشركين انهم اجعلوا بعض الاشياء للاوثان عقب ذلك البيان بأنه الخالق لجميع الاشياء فلا يجوز اضافة شي منها الى الاوثان ولا تحليل ذلك ولا تحريمه الا بإذنه فقال (وهو الذي أنشأ) اي

خلق وابتدع لاعلى مثال (جنات) اي بساتين فيها الأشجار المختلفة (معروشات) مرفوعات بالدعائم قيل هو ما
 عرشه الناس من الكروم ونحوها عن ابن عباس والسدي وقيل عرشها ان يجعل لها حظائر كالحيطان عن ابي
 علي قال وأصله الرفع ومنه قوله تعالى خاوية على عروشها يعني على أعاليها وما ارتفع منها ما لم تندك فتسوى بالارض
 (وغير معروشات) يعني ما خرج من قبل نفسه في البراري والجبال من انواع الأشجار عن ابن عباس وقيل معناه
 غير مرفوعات بل قائمة على أصولها مستغنية عن التعريش عن ابي مسلم (والنخل والزرع) اي وأنشأ النخل والزرع
 (مختلفا أكله) اي طعمه وقيل ثمره وقيل هذا وصف للنخل والزرع جميعا فخلق سبحانه بعضها مختلف اللون
 والطعم والرائحة والصورة وبعضها مختلفا في الصورة متفقا في الطعم وبعضها مختلفا في الطعم متفقا في الصورة
 وكل ذلك يدل على توحيدته وعلى انه قادر على ما يشاء عالم بكل شيء (والزيتون والرمان) اي وأنشأ الزيتون
 والرمان (مشابها) في الطعم واللون والصورة (وغير مشابهه) فيها وانما قرن الزيتون الى الرمان لأنها متشابهان
 باكتناز الاوراق في اغصانها (كلوا من ثمره اذا أثمر) المراد به الإباحة وان كان بلفظ الأمر قال الجبائي وجماعة
 هذا يدل على جواز الأكل من الثمر وان كان فيه حق الفقراء (وأتوا حقه يوم حصاده) هذا امر بإيتاء
 الحق يوم الحصاد على الجملة والحق الذي يجب اخراجه يوم الحصاد فيه قولان * أحدهما * انه الزكاة
 العشر او نصف العشر عن ابن عباس ومحمد بن الحنفية وزيد بن اسلم والحسن وسعيد بن المسيب وقتادة والضحاك
 وطاوس * والثاني * انه ما تيسر مما يعطى المساكين عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه (ع) وعطا ومجاهد وابن عمر
 وسعيد بن جبير والربيع بن انس وروى اصحابنا انه الضغث بعد الضغث والجفنة بعد الجفنة وقال ابراهيم والسدي
 الآية منسوخة بفرض العشر ونصف العشر لأن هذه الآية مكينة وفرض الزكاة انما انزل بالمدينة ولما روي
 ان الزكاة نسخ كل صدقة قالوا ولأن الزكاة لا تخرج يوم الحصاد قال علي بن عيسى وهذا غلط لأن يوم حصاده
 ظرف لحقه وليس بظرف للإيتاء المأمور به (ولا تسرفوا) اي لا تجاوزوا الحد وفيه أقوال * أحدها *
 أنه خطاب لأرباب الأموال اي لا تسرفوا بأن تصدقوا بالجميع ولا تبقوا للعيال شيئا كما فعل ثابت بن قيس بن
 شماس فإنه صرم خمسين نخلا وتصدق بالجميع ولم يدخل منه شيئا في داره لأهله عن ابي العالية وابن جريج
 * وثانيها * ان معناه ولا تقصروا بأن تمنعوا بعض الواجب والتقصير سرف عن سعيد بن المسيب * وثالثها *
 ان المعنى لا تسرفوا في الأكل قبل الحصاد كيلا يؤدي الى نجس حق الفقراء عن ابي مسلم * ورابعها *
 ان معناه لا تنفقوه في المعصية ولا تضعوه في غير موضعه وفي جميع هذه الأقوال الخطاب لأرباب الأموال
 * وخامسها * ان الخطاب للأئمة ومعناه لا تأخذوا ما يحجف بأرباب الأموال ولا تأخذوا فوق الحق عن
 ابن زيد * وسادسها * ان الخطاب للجميع بأن لا يسرف رب المال في الإيعطاء ولا الإمام في الأخذ
 وصرف ذلك الى غير مصارفه وهذا أعم فائدة (انه لا يجب المسرفين) ظاهر المعنى

قوله تعالى (١٤٢) وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشًا كُلُّوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ
 الشَّيْطَانِ إِنَّهُ أَكْرَمُ عَدُوِّ مَبِينٍ (١٤٣) ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ
 الَّذِكْرَيْنِ حَرَّمَ أُمَّ الْأَنْثِيَيْنِ أَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأَنْثِيَيْنِ نَبِئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
 (١٤٤) وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ الَّذِكْرَيْنِ حَرَّمَ أُمَّ الْأَنْثِيَيْنِ أَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ
 أَرْحَامُ الْأَنْثِيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
 لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (ثلاث آيات)

القراءة

قرأ ابن كثير وابن فليح وابن عامر واهل البصرة المعز بفتح العين والباقون بسكونها

— الحجة —

قال ابو علي من قرأ المعز فإنه جمع ما عزم مثل خادم وخدم وحارس وحرس وطالب وطلب وقال ابو الحسن هو جمع على غير واحد وكذلك المعزى وحكى ابو زيد الأمعوز وقالوا المعيز كالكلب والضئير ومن قرأ المعز فإنه جمع ايضا مثل صاحب وصحب وتاجر وتجر وراكب وركب وابو الحسن يرى هذا الجمع مستمرا ويرده في التصغير الى الواحد فيقول في تحقير ركب روكبون وفي تجر توجرون وسيبويه يراه اسما من اساء الجموع وانشد ابو عثمان في الاحتجاج لسيبويه « اخشى ركبيا او رجلا عاديا » فتحقيره له على لفظه بدل على انه اسم للجمع وانشد (وأين ركب واضعون رحالم)

— اللغة —

الحمولة الاوبل بحمل عليه الاثقال ولا واحد لها من لفظها كالركوبة والجزورة والحمولة بضم الحاء هي الاحمال وهي الحمول ايضا وانما قيل للصغار فرش لأمرين — احدهما — لاستواء اسانها في الصغر والانحطاط كاستواء ما يفرش — والثاني — انه من الفرش وهو الارض المستوية التي بتوطأها الناس والزوج يقع على الواحد الذي يكون معه آخر وعلى الاثنين كما يقال للواحد والاثنين خصم وعدل والاشتغال أصله الشمول يقال شملهم الأمر بشملهم وشملهم الأمر بشملهم شمولا اذا عمدهم ومنه الشمال لشمولها على ظاهر الشيء وباطنه بقوتها ولطفها ومن ذلك الشمول للخمر لاشتغالها على العقل وقيل لأن لها عصفة كعصفة الشمال

— الاعراب —

حمولة عطف على جنات اي وانشأ من الانعام حمولة واثنين محمول على انشا ايضا اي ثمانية ازواج اثنين من كذا واثنين من كذا فثمانية ازواج بدل من ثمانية او عطف بيان وقوله آآ الذ كرين حرم دخلت همزة الاستفهام على همزة الوصل وفضل بينها بالألف ولم تسقط همزة الوصل لثلا بلبس الاستفهام بالخبر ولو اسقطت لجاز لأن ام تدل على الاستفهام وعلى هذا الوجه اجاز سيبويه ان يكون قول الشاعر

فوالله ما ادرى وان كنت داريا شعيب بن سهم او شعيب بن منقر

استفهاما فيكون تقديره أشعيت وما في قوله ام ما اشتملت في موضع نصب بكونه عطف على الاثنين وانما قال الاثنين مثنى لأنه اراد من الضأن والمعز

— المعنى —

ثم عطف سبحانه على ما عده فيما تقدم من عظيم الانعام ببيان نعمته في انشاء الانعام فقال (ومن الانعام) اي وانشأ من الانعام (حمولة وفرشا) قد قيل فيه اقوال — احدها — ان الحمولة كبار الاوبل والفرش صغارها عن ابن عباس وابن مسعود بخلاف والحسن بخلاف ومجاهد — وثانيها — ان الحمولة ما بحمل عليه من الاوبل والبقر والفرش الغنم عن الحسن في رواية اخرى وقتادة والربيع والسدي والضحاك وابن زيد * وثالثها * ان الحمولة كل ما حمل من الاوبل والبقر والخليل والبغال والحمير والفرش الغنم عن ابن عباس في رواية اخرى فكأنه ذهب إلى انه يدخل في الانعام الحافر على وجه التبعية * رابعها * ان معناه ما ينتفعون به في الحمل وما يفتشونه في الذبيح فمعنى الاقتراس الاضطجاع للذبيح عن ابي مسلم قال وهو كقوله فاذا وجبت جنوبها وروي عن الربيع بن انس ايضا ان الفرش ما يفرش للذبيح ايضا * وخامسها * ان الفرش ما يفرش من اصوافها

وأوبارها ويرجع الصفتان إلى الانعام أي من الانعام ما يحمل عليه ومنها ما يتخذ من أوبارها واصوافها ما يفرش
ويبسط عن أبي علي الجبائي (كلوا ما رزقكم الله) أي استحلوا الأكل مما أعطاكم الله ولا تحرموا شيئا منها كما
فعله أهل الجاهلية في الحرث والانعام وعلى هذا يكون الأمر على ظاهره ويمكن أن يكون أراد نفس الأكل فيكون
بمعنى الإباحة (ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين) مضى تفسيره في سورة البقرة ثم فسر تعالى
المجولة والفرش فقال (ثمانية أزواج) وتقديره واثنا عشر أزواج أنثى (من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن
الأبل اثنين ومن البقر اثنين) وإنما أجمل ثم فصل المجمل لأنه أراد أن يقرر على شيء شيء منه ليكون أشد في
التوبيخ من أن يذكر ذلك دفعة واحدة ومعناه ثمانية أفراد لأن كل واحد من ذلك يسمى زوجا فالذكر زوج
الأنثى والأنثى زوج الذكر كما قال تعالى أمسك عليك زوجك وقيل معناه ثمانية اصناف من الضأن اثنين يعني
الذكر والأنثى ومن المعز اثنين الذكر والأنثى والضأن ذوات الصوف من الغنم والمعز ذوات الشعر منه وواحد
الضأن ضأن كقولهم تاجر وتجر والأنثى ضائفة وواحد المعز معز وقيل إن المراد بالانثيين الأهل والوحشي من الضأن والمعز
والبقر والمراد بالانثيين من الأبل العراب والبخاقي وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) وإنما خص هذه الثمانية لأنها جميع
الانعام التي كانوا يحرمونها ما يحرمونه على ما تقدم ذكره (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يحرمون
ما أحل الله تعالى (أألدكرين) من الضأن والمعز (حرم) الله (أم الانثيين) منها (أم ما اشتملت عليه أرحام
الانثيين) أي أم حرم ما اشتملت عليه رحم الانثى من الضأن والأنثى من المعز وإنما ذكر الله سبحانه هذا على
وجه الاحتجاج عليهم بين به فريتهم وكذبهم على الله تعالى فيما ادعوا من أن ما في بطون الانعام حلال للذكور
وحرام على الإناث وغير ذلك ما حرموه فإنهم لو قالوا أحرم الذكورين لزمهم أن يكون كل ذكر حراما ولو
قالوا أحرم الانثيين لزمهم أن يكون كل أنثى حراما ولو قالوا أحرم ما اشتملت عليه رحم الانثى من الضأن والمعز لزمهم
تحريم الذكور والإناث فإن أرحام الإناث تشتمل على الذكور والإناث فيلزمهم بزعمهم تحريم هذا الجنس أصغارا
وكبارا وذكورا وإناثا ولم يكونوا يفعلون ذلك بل كانوا يخصون بالتحريم بعضا دون بعض فقد لزمهم الحجة
ثم قال (نبئوني بعلم إن كنتم صادقين) معناه أخبروني بعلم عما ذكرتموه من تحريم ما حرمتموه وتحليل ما حللتموه
إن كنتم صادقين في ذلك (ومن الأبل اثنين ومن البقر اثنين) هذا تفصيل لتام الأزواج الثمانية (قل) يا محمد
(أألدكرين حرم) الله (منها) أم الانثيين أم ما اشتملت عليه أرحام الانثيين (قد تقدم معناه) أم كنتم شهداء
أي حضورا (إذ وصاكم الله بهذا) أي أمركم به وحرمه عليكم حتى تضيفوه إليه وإنما ذكر ذلك لأن طرق العلم
أما الدليل الذي يشترك العقلاء في إدراك الحق به أو المشاهدة التي يختص بها بعضهم دون بعض فإذا لم يكن واحد
من الأمرين سقط المذهب والمراد بذلك أعلمتموه بالسمع والكتب المنزلة وانتم لاتقرون بذلك أم شافهكم الله تعالى
به فعلمتموه وإذا لم يكن واحد منهما فقد علم بطلان ما ذهبتم إليه (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) أي من
أظلم لنفسه من كذب على الله وأضاف إليه تحريم ما لم يحرمه وتحليل ما لم يحلله (ليضل الناس بغير علم) أي
بعمل عمل القاصد إلى اضلالهم من أجل دعائه أيام إلى ما لا يثق بصحته مما لا يأمن من أن يكون فيه هلاكهم وإن
لم يقصد اضلالهم (إن الله لا يهدي القوم الظالمين) إلى التواب لأنهم مستحقون العقاب الدائم بكفرهم وضلالهم

قوله تعالى (١٤٥) قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ
مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ أَحْمًا خَنِزِيرًا فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ
وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير وحزمة تكون بالتاء ميتة بالنصب وقرأ ابو جعفر وابن عامر تكون بالتاء ميتة بالرفع والباقون بالياء ونصب ميتة وكلهم خففوا ميتة غير ابي جعفر فإنه شددتها

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي قراءة ابن كثير وحزمة محمولة على المعنى كأنه قال الا ان تكون العين والنفس ميتة ألا ترى أن المحرم لا يخلو من جواز العبارة عنه بأحد هذه الاشياء وليس قوله إلا أن يكون كقولك جاء في القوم لا يكون زيدا وليس زيدا في ان الضمير الذي يتضمنه من الاستثناء لا يظهر ولا يدخل الفعل علامة التانيث لأن الفعل إنما يكون عاريا من علامة التانيث ومن ان يظهر معه الضمير إذا لم يدخل عليه أن فاما إذا دخله ان فعلى حكم سائر الافعال ومن قرأ بالياء ونصب ميتة فإنه جعل فيه ضميرا مما تقدم وهو اقبس مما تقدم ذكره أي إلا ان يكون الموجود ميتة ومن قرأ إلا ان تكون ميتة فألحق علامة التانيث الفعل كما ألحق في قوله قد جاء تكلم وعظة وتقديره إلا أن تقع ميتة

— المعنى —

لما قدم سبحانه ذكر ما حرمه المشركون عقبه ببيان المحرمات فقال (قل) يا محمد هو لاء الكفار (لا اجد فيما اوحى إلي) أي اوحاه الله تعالى إلي شيئا محرما (على طاعم بطعمه) أي على أكل بأكله (إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا) أي مصبوبا وإنما خص المصبوب بالذكر لأن ما يختلط باللحم منه ما لا يمكن تخليصه منه معفو عنه مباح (او لحم خنزير) وإنما خص الاشياء الثلاثة هنا بذكر التحريم مع أن غيرها محرم فإنه سبحانه ذكر في المائدة تحريم المنخقة والموقوذة والمتردية وغيرها لأن جميع ذلك يقع عليه اسم الميتة فيكون في حكمها فأجمل هاهنا وفصل هناك واجود من هذا أن يقال انه سبحانه خص هذه الاشياء بالتحريم تعظيما لحرمتها وبين تحريم ما عداها في موضع آخر إما بنص القرآن وإما بوحى غير القرآن وأيضاً فإن هذه السورة مكية والمائدة مدنية فيجوز أن يكون غير ما في الآية من المحرمات إنما حرم فيما بعد والميتة عبارة عما كان فيه حياة فقدت من غير تذكية شرعية (فإنه رجس) أي نجس والرجس اسم لكل شيء مستقدر مغفور عنه والرجس أيضا العذاب والهاء في قوله فإنه عائد إلى ما تقدم ذكره فلذلك ذكره (اوفسقا) عطف على قوله او لحم خنزير فلذلك نصبه (أهل لغير الله به) أي ذكر عليه اسم الأصنام والأوثان ولم يذكر اسم الله عليه وسعي ما ذكر عليه اسم الصنم فسقا لخروجه عن امر الله واصل الإهلال رفع الصوت بالشيء وقد ذكرناه في سورة المائدة (فمن اضطر) إلى تناول شيء مما ذكرناه (غير باغ ولا عاد) قد سبق معناه في سورة البقرة (فإن ربك غفور رحيم) حكم بالرخصة كما حكم بالمغفرة والرحمة

قوله تعالى (١٤٦) وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (١٤٧) فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (آيتان)

﴿ اللغة ﴾

الظفر ظفر الإنسان وغيره ورجل الظفر إذا كان طويل الأظفار كما يقال اشعر لطويل الشعر والحوايا

المباعر قال الزجاج واحدها حاوية وحاوية وهي ما يحوى في البطن فاجتمع واستندار

الإعراب

موضع الحوايا يحتمل أن يكون رفعا عطفا على الظهور وتقديره او ما حملت الحوايا ويحتمل أن يكون نصبا عطفا على ما في قوله إلا ما حملت فأما قوله او ما اختلط بعظم فإن ما هذه معطوفة على ما الاولى ذلك يجوز أن يكون منصوب الموضع بأنه مفعول ثان لجزيناهم التقدير جزيناهم ذلك بغيره ولا يجوز ان يرفع بالابتداء لأنه يصير التقدير ذلك جزيناهموه فيكون كقولهم زيد ضربت اي ضربته وهذا إنما يجوز في ضرورة الشعر

المعنى

ثم بين سبحانه ما حرمه على اليهود فقال (وعلى الذين هادوا) أي على اليهود في أيام موسى (جرمنا كل ذي ظفر) اختلف في معناه فقيل هو كل ما ليس بمنفرد الاصابع كالإبل والنعام والاوز والبط عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد والسدي وقيل هو الإبل فقط عن ابن زيد وقيل يدخل فيه كل السباع والكلاب والسنائير وما يصطاد بظفره عن الجبائي وقيل كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب عن القتيبي والبلخي (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) اخبر سبحانه انه كان حرم عليهم شحوم البقر والغنم من الثرب وشحم الكلى وغير ذلك ما في اجوافها واستثنى من ذلك فقال (إلا ما حملت ظهورهما) من الشحم وهو اللحم السمين فإنه لم يحرم عليهم (او الحوايا) اي ما حملته الحوايا من الشحم فإنه غير محرم عليهم ايضا والحوايا هي المباعر عن ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد والسدي وقيل هي بنات اللبن عن ابن زيد وقيل هي الامعاء التي عليها الشحوم عن الجبائي (او ما اختلط بعظم) ذلك ايضا مستثنى من جملة ما حرم وهو شحم الحنبل والألية لأنه على العصص عن ابن جريج والسدي وقيل الالية لم تدخل في هذا لأنها لم تستثن عن الجبائي فكأنه لم يعتد بعظم العصص قال الزجاج إنما دخلت او ما هنا على طريق الإباحة كما قال سبحانه ولا تطع منهم آثما او كفورا والمعنى أن كل هؤلاء اهل ان بعض فاعص هذا او اعص هذا وابلغة في هذا المعنى لانك إذا قلت لا تطع زيدا وعمرا فجائز أن يكون نهيتي عن طاعتهم في حال معا فإن اطعت زيدا على حدته لم أكن عصيتك وإذا قلت لا تطع زيدا أو عمرا أو خالدا فالمعنى أن هؤلاء كلهم اهل ان لا يطاع فلا تطع واحدا منهم ولا تطع الجماعة ومثله جالس الحسن او ابن سيرين او الشعبي (ذلك جزيناهم بغيرهم) المعنى حرمنا ذلك عليهم عقوبة لهم بقتلهم الانبياء واخذهم الربا واستحلالهم اموال الناس بالباطل فهذا بغيرهم وهو كقوله فيظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقيل بغيرهم ظلمهم على اقساهم في ارتكابهم المحظورات وقيل إن ملوك بني اسرائيل كانوا يمتعون فقراءهم من اكل لحوم الطير والشحوم فحرم الله ذلك بغيرهم على فقرائهم ذكره علي بن ابراهيم في تفسيره ويسأل فيقال كيف يكون التكليف عقوبة وهو تابع للمصلحة وتعرض للشواب وجوابه انه إنما سمي جزاء وعقابا لأن عظيم ما فعلوه من المعاصي اقتضى تحريم ذلك وتغيير المصلحة فيه ولو لا عظم جرمهم لما اقتضت المصلحة ذلك (وإننا لصادقون) أي في الاخبار عن التحريم وعن بغيرهم وفي كل شيء وفي ان ذلك التحريم عقوبة لأوائهم ومصلحة لمن بعدهم إلى وقت النسخ (فإن كذبوك) يا محمد فيما تقول (فقل ربكم ذو رحمة واسعة) لذلك لا يعجل عليكم بالعقوبة بل يمهلكم (ولا يرد بأسه) اي لا يدفع عذابه إذا جاء وقته (عن القوم المجرمين) اي المكذبين قوله تعالى (١٤٨) سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ

لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (١٤٩) قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١٥٠) قُلْ هَلَمْ شُهَدَاءَ كُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَغْدُلُونَ (ثلاث آيات)

اللغة

هلم قال الزجاج انها هاء ضمت اليها لم وجعلنا كالكلمة الواحدة فاكثر اللغات ان يقال هلم للواحد والاثنين والجماعة بذلك جاء القرآن نحو قوله هلم الينا ومعنى هلم شهداء كم هاتوا شهداء كم ومن العرب من يثني ويجمع ويؤنث فيقول للمذكر هلم وللانثين هلم وللجماعة هلموا وللمؤنث هلمي وللنسوة هلممن وفتحت لانها مدغمة كما فتحت رد يا هذا في الأمر لا لتقاء الساكنين ولا يجوز فيها هلم للواحد بالضم كما يجوز في رد الفتح والضم والكسر لانها لا تنصرف قال ابو علي هي في اللغة الاولى بمنزلة رويد وصه ومه ونحو ذلك من الاسماء التي سميت بها الافعال وفي الأخرى بمنزلة رد في ظهور علامات الفاعلين فيها كما يظهر في رد واما هاء اللاحق بها فهي التي للتنبية لحقت اولاً لأن لفظ الأمر قد يحتاج الى استعطف المأمور به واستدعاء إقباله على الأمر فهو لذلك يقرب من المنادى ومن ثم دخل حرف التنبية في الايا اسجدوا الا ترى انه امر كما أن هذا امر وقد دخل في جمل آخر نحوها انتم هؤلاء فكما دخل في هذه المواضع كذلك لحقت في لم الا انه كثر الاستعمال معها فغير بال حذف لكثرة الاستعمال كاشياء تغير لذلك نحو لم ابل ولم أدر وما اشبه ذلك مما يغير للكثرة

المعنى

لما تقدم الرد على المشركين لاعتقاداتهم الباطلة رد عليهم سبحانه هنا مقالتهم الفاسدة فقال (سيقول الذين اشركوا) اي سيحتج هؤلاء المشركين في اقامتهم على شر كههم وفي تحريمهم ما احل الله تعالى بأن يقولوا (لو شاء الله ما اشركنا) اي لو شاء الله ان لا نعتقد الشرك ولا تفعل التحريم (ولا آباؤنا) واراد منا خلاف ذلك ما اشركنا ولا آباؤنا (ولا حرمنا من شيء) اي شيئاً من ذلك ثم كذبهم الله تعالى في ذلك بقوله (كذلك) اي مثل هذا التكذيب الذي كان من هؤلاء في انه منكر (كذب الذين من قبلهم) وانما قال كذب بالتشديد لانهم بهذا القول كذبوا رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله لم ان الله سبحانه امركم بتوحيد وتترك الاشراك به وترك التحريم لهذه الانعام فكانوا يقولهم ان الله تعالى اراد منا ذلك وشاءه ولو اراد غيره ما فعلناه مكذبين للرسول عليه السلام كما كذب من تقدمهم انبياءهم فيما اتوا به من قبل الله تعالى (حتى ذاقوا بأسنا) اي حتى نالوا عذابنا وقيل معناه حتى اصابوا العذاب المعجل ودل بذلك على ان لهم عذاباً مدخراً عند الله تعالى لأن الذوق اول ادراك الشيء (قل) يا محمد لم جواباً عما قالوه من ان الشرك بمشيئة الله تعالى (هل عندكم من علم) اي حجة تؤدى الى علم وقيل معناه هل عندكم علم فيما تقولونه (فتخرجوه لنا) اي فخرجوا ذلك العلم او تلك الحججة لنا بين سبحانه بهذا انه ليس عندهم علم ولا حجة فيما يضيفونه الى الله تعالى وان ما قالوه باطل ثم أكد سبحانه الرد عليهم وتكذيبهم في مقالتهم بقوله (ان تتبعون الا الظن) اي ما تتبعون فيما تقولونه الا الظن والتخمين (وان أنتم إلا تخرصون) اي إلا تكذبون في هذه المقالة على الله تعالى وفي هذه دلالة واضحة على ان الله سبحانه لا يشاء المعاصي والكفر وتكذيب ظاهر لمن اضاف ذلك الى الله سبحانه هذا مع قيام الأدلة العقلية التي لا بدخلها التأويل على انه سبحانه يتعالى عن ارادة القبيح وجميع صفات النقص علواً كبيراً (قل) يا محمد اذا عجز هؤلاء عن اقامة حجة على ما قالوه (فله الحججة البالغة) والحجة اليقينية الصحيحة المصححة للاحكام

وهي التي تقصد الى الحكم بشهادته مأخوذة من حج اذا قصدوا بالباغية هي التي تبلغ قطع عذر المحجوج بأن تزبل كل لبس وشبهة عمن نظر فيها واسندل بها وانما كانت حجة الله صحيحة بالغة لأنه لا يحتج الا بالحق وبما يؤدي الى العلم (فلو شاء لهداكم اجمعين) اي لو شاء لألجأكم الى الإيمان وهذاكم جميعا اليه بفعل الإلجاء الا انه لم يفعل ذلك وان كان فعله حسنا لأن الإلجاء ينافي التكليف وهذه المشيئة بخلاف المشيئة المذكورة في الآية الاولى لأن الله تعالى اثبت هذه ونفى تلك وذلك لا يستقيم الا على الوجه الذي ذكرناه فالاولى مشيئة الاختيار والثانية مشيئة الإلجاء وقيل ان المراد انه لو شاء لهداكم الى نيل الثواب ودخول الجنة ابتداء من غير تكليف ولكنه سبحانه لم يفعل ذلك بل كلفكم وعرضكم للثواب الذي لا يحسن الابتداء بمثله ولو كان الأمر على ما قاله اهل الجبر من ان الله سبحانه شاء منهم الكفر لكانت الحجة للكفار على الله تعالى من حيث فعلوا ما شاء الله تعالى ولكانوا بذلك مطيعين له لأن الطاعة هي امثال الأمر المراد ولا يكون الحجة لله تعالى عليهم على قولهم من حيث انه خلق فيهم الكفر واراد منهم الكفر فأبي حجة له عليهم مع ذلك ثم بين سبحانه ان الطريق الموصل الى صحة مذاهبهم مسد غير ثابت من جهة حجة عقلية ولا سمعية وما هذه صفة فهو فاسد لا محالة فقال (قل) يا محمد لهم (هلم شهدائكم) اي احضروا وهاتوا شهداءكم (الذين يشهدون) بصحة ما تدعونه من (ان الله حرم هذا) اي هذا الذي ذكر مما حرمه المشركون من البحيرة والسائبة والوصيلة والحرب والانعام وغيرها (فإن شهدوا فلا تشهد معهم) معناه فإن لم يجدوا شاهدا يشهد لهم على تحريمها غيرهم فشهدوا بانفسهم فلا تشهد انت معهم وانما نهاه عن الشهادة معهم لأن شهادتهم تكون شهادة بالباطل فإن قيل كيف دعاهم الى الشهادة ثم قال فلا تشهد معهم فالجواب انه امرهم أن يأتوا بالعدول الذين يشهدون بالحق فإذا لم يجدوا ذلك وشهدوا لأنفسهم فلا ينبغي ان تقبل شهادتهم او تشهد معهم لأنها ترجع الى دعوى مجردة بعيدة من الصواب وقيل انه سبحانه اراد هاتوا شهداء من غيركم ولم يكن احد غير العرب يشهد على ذلك لأنه كان للعرب شرائع شرعوها لأنفسهم (ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا) الخطاب للنبي (ص) والمراد امته اي لا تعتقد مذهب من اعتقد مذهبه هوى ويمكن ان يتخذ الانسان المذهب هوى من وجوه منها ان يهوى من سبق اليه فيقلده فيه ومنها ان يدخل عليه شبهة فيخيله بصورة الصحيح مع ان في عقله ما يمنع منها ومنها ان يقطع النظر دون غايته للمشقة التي تلحقه فيعتقد المذهب القاسد ومنها ان يكون نشأ على شيء والله واعتاده فيصعب عليه مفارقتها وكل ذلك متميز مما استحسنته بعقله (والذين لا يؤمنون بالآخرة) اي ولا تتبع اهواء الذين لا يؤمنون بالآخرة وإنما ذكر الفريقين وان كانوا كلهم كفارا ليفصل وجوه كفرهم لأن منه ما يكون مع الاقرار بالآخرة كحال اهل الكتاب ومنه ما يكون مع الانكار كحال عبدة الاوثان (وهم يريدون يعدلون) اي يجعلون له عدلا وهو المثل وفي الآية دلالة على فساد التقليد لأنه سبحانه طالب الكفار على صحة مذاهبهم وجعل عجزهم عن الايمان بها دلالة على بطلان قولهم وايضا فإنه سبحانه اوجب اتباع الدليل دون اتباع الهوى

قوله تعالى (١٥١) قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَن تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (آية)

— اللغة —

تعالوا مشتق من العلو على تقدير ان الداعي في المكان العالي وان كانا في مستوي من الارض كما يقال للانسان

ارتفع الى صدر المجلس والتلاوة مثل القراءة والمتلو مثل المقرؤ والتلاوة غير المتلو كما ان الحكاية غير المحكي
فالمتلو والمحكي هو الكلام الاول والتلاوة والحكاية هي الثاني منه على طريق الإعادة والإملاق الإفلاس من المال
والزاد ومنه الملق والتملق لأنه اجتهاد في تقرب المفلس للطمع في العطية والفواحش جمع فاحشة وهو القبيح العظيم
القبيح والقبيح يقع على الصغير والكبير لأنه يقال القرد قبيح الصورة ولا يقال فاحش الصورة وضد القبيح
الحسن وليس كذلك الفاحش

✽ الاعراب ✽

ما حرم ربكم في موضع نصب بقوله اتل المعنى اتل الذي حرمه ربكم عليكم فيكون ما موصولة وجائز ان
يكون في موضع نصب بحرم لأن التلاوة بمنزلة القول فكأنه قال اقول اي شيء حرم ربكم عليكم اهذا ام
هذا فجائز ان يكون الذي تلاه عليهم قوله الا ان يكون مية او دماً مسفوحاً ويكون الا تشر كوا به منصوبة
بمعنى طرح اللام اي أين لكم الحرام لأن لا تشر كوا لأنهم اذا حرموا ما احل الله فقد جعلوا غير الله في القبول
منه بمنزلة الله سبحانه فصاروا بذلك مشركين ويجوز ان يكون ان لا تشر كوا به شيئاً محمولاً على المعنى فيكون
المعنى اتل عليكم الا تشر كوا اي اتل عليكم تحريم الشرك ويجوز ان يكون على معنى اوصيكم ان لا تشر كوا
به شيئاً لأن قوله وبالوالدين احساناً محمول على معنى اوصيكم بالوالدين احساناً هذا كله قول الزجاج وتشر كوا
يجوز ان يكون منصوباً بأن ويكون لا للثني ويجوز ان يكون مجزوماً بلا على النهي واذا كان منصوباً فيكون قوله
ولا تقتلوا اولادكم عطفاً بالنهي على الخبر وجاز ذلك كما جاز في قوله قل اي امرت أن اكون اول من اسلم ولا
تكونن من المشركين وقال جامع العلوم البصير الاصفهاني يجوز ان تقف على عليكم ثم تبتدىء بأن لا تشر كوا
اي هو ان لا تشر كوا اي هو الا شرارك اي المحرم الاشرارك ولا زيادة ويجوز ان يكون ما استفهماً فيقف على
قوله ربكم ثم يبتدىء فيقول عليكم الا تشر كوا اي عليكم ترك الاشرارك وهذا وقف ييات وتمام قوله قل
تعالوا عند قوله بلقاء ربهم يؤمنون لأن قوله وان هذا صراطي فيمن فتح معطوف على قوله ما حرم اي اتل هذا
وهذا ومن كسر فالتقدير وقل ان هذا صراطي وكذلك ثم اتينا اي وقل ثم اتينا وهذا كله داخل في التلاوة والقول

﴿ المعنى ﴾

لما حكي سبحانه عنهم تحريمهم ما حرموه عقبه بذكر المحرمات فقال سبحانه (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين
(تعالوا) اي اقبلوا وادنوا (اتل) اي اقرأ (ما حرم ربكم عليكم) اي منعكم عنه بالنهي ثم بدأ بالتوحيد فقال
(ان لا تشر كوا به شيئاً) اي امركم ان لا تشر كوا ولا فرق بين ان تقول لا تشر كوا به شيئاً وبين ان تقول
حرم ربكم عليكم ان تشر كوا به شيئاً اذ النهي يتضمن التحريم وقد ذكرنا ما يحتمله من المعاني في الاعراب
وقد قيل ايضاً ان الكلام قد تم عند قوله حرم ربكم ثم قال عليكم ان لا تشر كوا كقوله سبحانه عليكم اقسكم
(وبالوالدين احساناً) أي واوصى بالوالدين احساناً ويدل على ذلك ان في حرم كذا معنى اوصى بتحريمه وامر بتجنبه
ولما كانت نعم الوالدين تالية نعم الله سبحانه في الرتبة امر بالاحسان اليهما بعد الأمر بعبادة الله تعالى (ولا تقتلوا
اولادكم من املاق) اي خوفاً من الفقر عن ابن عباس وغيره (نحن نرزقكم واباهم) اي فإن رزقكم ورزقهم
جميعاً علينا (ولا تقرّبوا الفواحش) اي المعاصي والقبايح كلها (ما ظهر منها وما بطن) اي ظاهرها وباطنها عن
الحسن وقيل انهم كانوا لا يرون بالزنا في السر بأساً ويمنعون منه علانية فنهى الله سبحانه عنه في الحالتين عن ابن
عباس والضحاك والسدي وقريب منه ما روي عن ابي جعفر (ع) ان ما ظهر هو الزنا وما بطن هو المخالفة وقيل
ان ما ظهر افعال الجوارح وما بطن افعال القلوب فالمراد ترك المعاصي كلها وهذا اعم فائدة (ولا تقتلوا النفس
التي حرم الله الا بالحق) اعاد ذكر القتل وان كان داخلاً في الفواحش تفخيماً لشأنه وتعظيماً لامره والنفس المحرم

قتلها هي قس المسلم والمعاهد دون الحربي والحق الذي يستباح به قتل النفس المحرم قتلها ثلاثة اشياء القود والزنا بعد احسان والكفر بعد ايمان (ذلكم) خطاب لجميع الخلق اي ما ذكر في هذه الآية (وصاكم به) اي امركم به (لعلمكم تعقلون) اي لكي تعقلوا ما امركم الله تعالى به فتحللوا ما حله لكم وتحرموا ما حرمه عليكم ودل قوله سبحانه وصاكم به على ان الوصية مضمرة في اول الآية على ما قلناه وفي قوله سبحانه ان لا تشرکوا به شيئاً دلالة على ان التكليف قد يتعلق بأن لا يفعل كما يتعلق بالفعل وعلى انه يستحق الثواب والعقاب على ان لا يفعل وهو الصحيح من المذهب

قوله تعالى (١٥٢) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا
الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ
وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٣) وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا
فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (آيتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة الا ابا بكر تذكرون بتخفيف الذال حيث وقع والباقون بالتشديد وقرأ أهل الكوفة غير عاصم وان هذا بكسر الهمزة والباقون بفتحها وكلهم شدد النون الا ابن عامر ويعقوب فلوئهما قرأا بالتخفيف وكلهم سكن الياء من صراطي الا ابن عامر فلوئنه فتحها وقرأ ابن عامر وابن كثير سراطي بالسين وقرأ حمزة بين الصاد والزاي

— الحجة —

القراءتان في تذكرون متقاربتان والاصل تتذكرون فمن خفف حذف التاء الاولى ومن شدد ادغم التاء الثانية في الذال واما من فتح وان هذا فانه حملها على فاتبعوه على قياس قول سيبويه في قوله تعالى لا يبلغان قريش وقوله وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون وقوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا فيكون على تقدير ولا ان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ومن خفف فقال وان هذا فان الخفيفة في قوله يتعلق بما يتعلق به الشديدة وموضع هذا رفع بالابتداء وخبره صراطي وفي ان ضمير القصة والحديث وعلى هذه الشريطة يخفف وليست المفتوحة كالمكسورة اذا خففت وعلى هذا قول الاعشى

في فتية كسيوف الهند قد علموا ان هالك كل من يحفى وينتعل
والفاء التي في قوله فاتبعوه على قول من كسر ان عاطفة جملة على جملة وعلى قول من فتح ان زائدة
- [اللغة] -

الاشد واحدها شد مثل الأثر في جمع شر والاضر في جمع ضر والشد القوة وهو استحكام قوة الشباب والسن كما ان شد النهار هو ارتفاعه قال عنتره

عهدي به شد النهار كأنما خضب البنان ورأسه بالعظم
وقيل هو جمع شدة مثل نعمة وانعم وقال بعض البصريين الأشد واحد فيكون مثل الآتك قال سيبويه
الذكر والذكر بمعنى وذكر فعل يتعدى الى مفعول واحد فاذا ضاعفت العين بعدي الى مفعولين كما في قوله
يدك زكريك حنين العجول ونوح الحمامة تدعو هديلا

ويقول ذكره فتذكر فتفعل مطاوع فعل كما أن تفاعل مطاوع فاعل

✽ المعنى ✽

ثم ذكر سبحانه تمام ما يتلو عليهم فقال (ولا تقربوا مال اليتيم) والمراد بالقرب التصرف فيه وإنما خص مال اليتيم بالذكر لأنه لا يستطيع الدفاع عن نفسه ولا عن ماله فيكون الطمع في ماله اشد ويد الرغبة اليه أمد فأكد سبحانه النهي عن التصرف في ماله وإن كان ذلك واجبا في مال كل احد (إلا بالتي هي احسن) أي بالخلصة أو الطريقة الحسنی ولذلك انث وقد قيل في معناه اقوال ✽ أحدها ✽ ان معناه إلا بشئير ماله بالتجارة عن مجاهد والضحاك والسدي ✽ وثانيها ✽ بأن يأخذ القيم عليه بالأكل بالمعروف دون الكسوة عن ابن زيد والجبائي ✽ وثالثها ✽ بأن يحفظ عليه حتى يكبر (حتى يبلغ أشده) اختلف في معناه فقيل انه بلوغ الحلم عن الشعبي وقيل هو ان يبلغ ثماني عشرة سنة وقال السدي هو ان يبلغ ثلاثين سنة ثم نسخها قوله حتى اذا بلغوا النكاح الآية وقال ابو حنيفة اذا بلغ خسا وعشرين سنة دفع المال اليه وقبل ذلك يمنع منه اذا لم يؤنس منه الرشد وقيل انه لا حد له بل هو ان يبلغ ويكمل عقله ويؤنس منه الرشد فيسلم اليه ماله وهذا أقوى الوجوه وليس بلوغ اليتيم أشده مما يبيح قرب ماله بغير الأحسن ولكن تقديره ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي احسن على الأبد حتى يبلغ أشده فادفعوا اليه بدليل قوله ولاتأكلوها سرفا وباداران يكبروا (وأوفوا) أي أتموا (الكيل والميزان بالقسط) أي بالعدل والوفاء من غير بخس (لا تكلف قسا إلا وسعها) أي إلا ما يسعها ولا يضيق عنه ومعناه هنا انه لما كان التعديل في الوزن والكيل على التحديد من أقل القليل يتعذر بين سبحانه انه لا يلزم في ذلك إلا الاجتهاد في التحرز من النقصان (وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى) أي فقولوا الحق وان كان على ذي قرابة لكم وإنما خص القول بالعدل دون الفعل لأن من جعل عادته العدل في القول دعاه ذلك الى العدل في الفعل ويكون ذلك من أكد الدواعي اليه وقيل معناه اذا شهدت أو حكمت فاعدلوا في الشهادة والحكم وان كان المقول عليه أو المشهود له أو عليه قرابتك وهذا من الأوامر البليغة التي يدخل فيها مع قلة حروفها الأقرار والشهادات والوصايا والفتاوى والقضايا والأحكام والمذاهب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (وبعهد الله أوفوا) قيل في معنى عهد الله قولان ✽ أحدهما ✽ ان كل ما أوجبه الله تعالى على العباد فقد عهد اليهم بإيجابه عليهم وبتقديم القول فيه والدلالة عليه ✽ والآخر ✽ ان المراد به النذور والعهود في غير معصية الله تعالى والمراد أوفوا بما عاهدتم الله عليه من ذلك (ذلكم) أي ذلك الذي تقدم ذكره من ذكر مال اليتيم وان لا يقرب إلا بالحق وإيفاء الكيل واجتناب البخس والتطفيف وتحري الحق فيه على مقدار الطاقة والقول بالحق والصدق والوفاء بالعهد (وصاكم) الله سبحانه (به لعلمكم تذكرون) أي لكي تتذكروه وتأخذوا به فلا تطرحوه ولا تغفلوا عنه فتتركوا العمل به والقيام بما يلزمكم منه (وان هذا صراطي مستقيما) أي ولأن هذا صراطي مستقيما ومن خفف فتقديره ولأنه هذا صراطي مستقيما ومن كسر ان فإنه استأنف قال ابن عباس يريد ان هذا ديني دين الخنيفية اقوم الأديان واحسنها وقيل يريد ان ما ذكر في هذه الآيات من الواجب والمحرم صراطي لأن امتثال ذلك على ما أمر به يؤدي الى الثواب والجنة فهو طريق اليها والى النعيم فيها مستقيما أي قبا لا عوج فيه ولا تناقض وهو منصوب على الحال (فاتبعوه) أي اقتدوا به واعملوا به واعتقدوا صحته واحلوا حلاله وحرموا حرامه (ولا تتبعوا السبل) أي طرق الكفر والبدع والشبهات عن مجاهد وقيل يريد اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الأوثان عن ابن عباس (فنفرو) واصلد فتفرق (بكم عن سبيله) أي فتشتت وقمبل وتخالف بكم عن دينه الذي ارتضى وبه أوصى وقيل عن طريق الدين (ذلكم وصاكم به لعلمكم تتقون) أي لكي تتقوا عقابه باجتنب معاصيه قال ابن عباس هذه الآيات محكمات لم ينسخن شي من جميع الكتب وهي محررات على نبي آدم

كاهن ومن أم الكتاب من عمل بين دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وقال كعب الاحبار والذي تقس كعب يده ان هذا لأول شيء في التوراة بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم الآيات

قوله تعالى (١٥٤) ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (١٥٥) وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ قَاتِبِعُوهُ وَأَنْقُولُ الْعَلَمَكُمُ تُرْحَمُونَ (آيتان)

✽ القراءة ✽

في الشواذ قراءة يحيى بن يعمر على الذي احسن بالرفع

✽ الحجة ✽

قال ابن جني هذا مستضعف الاعراب عندنا لأنه حذف المبتدأ العائد الى الذي لأن تقديره على الذي هو احسن وإنما يحذف من صلة الذي الهاء المنصوبة بالفعل الذي هو صلتهما نحو مررت بالذي ضربت اي ضربته ومن المفعول بدله وطال الاسم بصلته فحذف الهاء لذلك وايس المبتدأ بنيف ولافضلة فيحذف تحنيقا لاسيا وهو عائد الموصول وعلى ان هذا قد جاء نحوه عنهم حكى سيبويه عن الخليل انه سمع ما انا بالذي قائل لك شيئا وسوا اي بالذي هو قائل لك وقال - لم ارمش الفتيان في غير الأيام ينسون ما عرقها - اي ينسون الذي هو عواقبها ويجوز ان يكون ينسون معلقة كما علقوا نقيضتها التي هي يعلمون فيكون ما استفهما وعواقبها خبر ما كقولك قد علمت من أبوك وعلى الوجه الأول حمله اصحابنا وقال الزجاج تماما منصوب بأنه مفعول له وكذلك تفصيلا وما بعده والمعنى آتينا هذه العلة اي للتمام وللتفصيل انزلناه في موضع رفع بأنه صفة كتاب

- المعنى -

(ثم آتينا موسى الكتاب) قيل في معنى ثم آتينا موسى الكتاب مع ان كتاب موسى قبل القرآن ثم يقتضي التراخي وجوه ✽ احدها ✽ ان فيه حذفاً وتقديره ثم قل يا محمد آتينا موسى الكتاب بدلالة قوله قل تعالوا ✽ وثانيها ✽ ان تقديره ثم اتل عليكم آتينا موسى الكتاب ويكون عطفا على معنى التلاوة والمعنى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ثم اتل عليكم ما آتاه الله موسى عن الزجاج ✽ وثالثها ✽ انه عطف خبر على خبر لا عطف معنى على معنى وتقديره ثم اخبركم انه اعطى موسى الكتاب والذي يؤيده قول الشاعر

ولقد ساد ثم ساد ابوه ثم قد ساد قبل ذلك جده

✽ ورابعها ✽ انه يتصل بقوله في قصة ابراهيم ووهبنا له اسحاق ويعقوب فعد سبحانه نعمته عليه بما جعل في ذريته من الأنبياء ثم عطف عليه بذكر ما انعم عليه بما أتى موسى من الكتاب والنبوة وهو ايضا من ذريته عن ابي مسلم واستحسنه المغربي (تماما على الذي احسن) قيل فيه وجوه ✽ احدها ✽ تماما على احسان موسى فكانه قال ليكمل احسانه الذي يستحق به كمال ثوابه في الآخرة عن الربيع والفراء ✽ وثانيها ✽ تماما على المحسنين عن مجاهد وقيل ان في قراءة عبد الله تماما على الذي احسنوا فكانه قال تماما للنعمة على المحسنين الذين هو احدهم والنون قد تحذف من الذين كما في البيت

وإن الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يام خالد

ويجوز ان يكون الذي للجنس ويكون بمعنى من احسن ✽ وثالثها ✽ ان معناه تماما على احسان الله الى انبيائه عن ابن زيد ✽ ورابعها ✽ ان معناه تماما لكرامته في الجنة على احسانه في الدنيا عن الحسن

وقتادة وقال قتادة تقديره من احسن في الدنيا تمت عليه كرامة الله في الآخرة ﴿ وخامسها ﴾ ان معناه تماما على الذي احسن الله سبحانه الى موسى بالنبوة وغيرها من الكرامة عن الجبائي ﴿ وسادسها ﴾ ما قاله ابو مسلم انه يتصل بقصة ابراهيم فيكون المعنى تماما للنعمة على ابراهيم ولجزائه على احسانه في طاعة ربه وذلك من لسان الصدق الذي سأل الله سبحانه ان يجعله له ولفظة على تقتضي المضاعفة عليه ولو قال تماما ولم يأت بقوله على الذي احسن لدل على نقصانه قبل تكميله (وتفصيلا لكل شي) اي ويينا لكل ما يحتاج اليه الخلق (وهدى) اي ودلالة على الحق والدين يهتدي بها الى التوحيد والعدل والشرائع (ورحمة) اي نعمة على سائر المكلفين لما فيه من الأمر والنهي والوعد والوعيد والاحكام (اعلمهم بلقاء ربهم يؤمنون) معناه لكي يؤمنوا بجزاء ربهم فسمى الجزاء لقاء الله تفخيلا لشأنه مع ما فيه من الايجاز والاختصار وقيل معنى اللقاء الرجوع الى ملكه وسلطانه يوم لا يملك احد سواه شيئا (وهذا كتاب) يعني القرآن وصفه بهذا الوصف لبيان انه مما ينبغي ان يكتب لأنه اجل الحكم (انزلناه) يعني أنزله جبرائيل الى محمد (ص) فأضاف النزول الى نفسه توسعا (مبارك) وهو من يأتي من قبله الخير الكثير عن الزجاج فالبركة ثبوت الخير بزيادته ونموه وأصله الثبوت ومنه براكا. القتال في قوله

وما ينجي من العمرات إلا براكا القتال او الفرار

ومنه تبارك الله اي تعالى بصفة اثبات لا أول له ولا آخر وهذا تعظيم لا يستحقه غير الله تعالى (فاتبعوه) أي اعتقدوا صحته واعملوا به وكونوا من اتباعه (واتقوا) معاصي الله ومخالفته ومخالفة كتابه (لعلكم ترحمون) اي لكي ترحموا وانما قال واتقوا لعلكم ترحمون مع انهم اذا اتقوا رحموا لا محالة لامرين ﴿ احدهما ﴾ انه اتقوا على رجاء الرحمة لأنكم لا تدرسون بما توفون في الآخرة ﴿ والثاني ﴾ اتقوا لرحموا اي ليكون الغرض بالتقوى منكم طلب ما عند الله من الرحمة والثواب

قوله تعالى (١٥٦) أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين (١٥٧) أو تقولوا لو أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزيه الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون (آيتان)

﴿ الإعراب ﴾

قال الزجاج ان تقولوا معناه عند البصريين كراهة ان تقولوا وهم لا يميزون اضمار لا فلا يقولون جئت ان اكرمك اي لأن لا اكرمك ولكن يجوز فعلت ذلك ان اكرمك على اضمار محبة ان اكرمك او كراهة ان اكرمك ويكون الحال ينبي عن الضمير واو تقولوا نصب تقولوا بأنه معطوف على ان تقولوا اي او كراهة ان تقولوا واقول اراد أنه مفعول له على حذف المضاف وإقامة المضاف اليه مقامه واذا كان حذف المضاف يطرد جوازه مع غير ان فلان يجوز مع ان اجدر مع طول الكلام بالصلة وقال الكسائي موضع ان تقولوا نصب باتقوا اي اتقوا يا اهل مكة ان تقولوا ولو انا فتحت ان بعد لو مع انه لا يقع فيه المصدر لأن الفعل مقدر بعد او فكأنه قيل لو وقع الينا انا انزل الكتاب علينا الا ان هذا الفعل لا يظهر من اجل طول ان بالصلة ولا يحذف مع المصدر الا في الشعر قال

لو غيركم علق الزبير بجبله ادى الجوار الى بني العوام

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه انه لما انزل القرآن قطعا للمعذرة وازاحة للاملة فقال (ان تقولوا) اي كراهة ان تقولوا يا اهل





مكة أو اثلا تقولوا (انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) اي جماعتين وهم اليهود والنصارى عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسدي وانما خصها بالذكر لشهرتها وظهور امرها اي انزلنا عليكم هذا الكتاب لنقطع حجبتكم (وان كنا عن دراستهم لغافلين) والمعنى انا كنا غافلين عن تلاوة كتبهم وما كنا الا غافلين عن دراستهم ولم ينزل علينا الكتاب كما انزل عليهم لانهم كانوا اهل دوننا ولو أريد منا ما أريد منهم لانزل الكتاب علينا كما انزل عليهم (او تقولوا) يا أهل مكة او أنا انزل علينا الكتاب (لكننا اهدى منهم) في المبادرة الى قبوله والتمسك به لانا اجود اذهاننا واثبت معرفة منهم فان العرب كانوا يدلون بجودة الفهم وذكاة الحدس وحدة الذهن وقد يكون العارف بالشيء اهدى اليه من عارف آخر بان يعرفه من وجوه لا يعرفها هو وبأن يكون ما يعرفه به اثبت مما يعرفه به الاخر ثم قال تعالى (فقد جاءكم بينة من ربكم) اي حجة واضحة ودلالة ظاهرة وهو القرآن (وهدى) يهتدي به الخلق الى النعيم المقيم والثواب العظيم (ورحمة) اي نعمة لمن اتبعه وعمل به (فمن اظلم) لنفسه (ممن كذب بايات الله وصدق عنها) اي اعرض عنها غير مستبدل بها ولا مفكر فيها عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة (سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب) اي شدة العذاب وهو ما أعد الله للكفار نعوذ بالله منه (بما كانوا يصدفون) اي جزاء بما كانوا يصدفون عن القرآن ومن أتى به وهو محمد (ص) وفي هذا دلالة على ان انزال القرآن لطف للمكلفين وانه لو لم ينزله لكان لهم الحجة واذا كان في منع اللطف عذر وحجة للمكلف فمنع القدرة وخلق الكفر اولى بذلك فان قيل فهل للذين ماتوا من قبل من خوطب بقوله ان تقولوا حجة وعذر قيل له ان عذر أو لك كان مقطوعا بالعقل وبما تقدم من الاخبار والكتب وهو لا. ايضا لو لم يأتهم الكتاب والرسول لم يكن لهم حجة لكن الله تعالى لما علم ان المصلحة تعلقت بذلك فعله ولو علم مثل ذلك فيمن تقدم لانزل عليهم مثل ما أنزل على هؤلاء. واذا لم ينزل عليهم علمنا ان ذلك لم يكن من مصالحهم

قوله تعالى (١٥٨) هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا قل أنتظروا إنا منتظرون (آية)

✽ القراءة ✽

قرأ حمزة والكسائي وخلف يأتهم بالياء ههنا وفي النحل وقرأ الباقون تأتيهم بالثاء. وقدمضى الكلام في امثال ذلك

✽ المعنى ✽

ثم توعدهم سبحانه فقال (هل ينظرون) معناه ما ينتظرون يعني هؤلاء الكفار الذين تقدم ذكرهم وقال ابو علي الجبائي معناه هل تنتظر انت يا محمد واصحابك الا هذا وهم وان انتظروا غيره فذلك لا يعتد به من حيث ما ينتظرونه من هذه الاشياء المذكورة لعظم شأنها فهو مثل قوله ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى وكما يقال تكلم فلان ولم يتكلم اذا تكلم بما لا يعتد به (الا ان تأتيهم الملائكة) لقبض ارواحهم عن مجاهد وقتادة والسدي وقيل لانزال العذاب والخسف بهم وقيل لعذاب القبر (او يأتي ربك) فيه اقوال  احدها  او يأتي أمر ربك بالعذاب فحذف المضاف ومثله وجاء ربك عن الحسن وجاز هذا الحذف كما جاز في قوله ان الذين يؤذون الله اي اولياء الله وقال ابن عباس يأتي أمر ربك فيهم بالقتل  وثانيها  او يأتي ربك بجلائل آياته فيكون حذف الجار فوصل الفعل ثم حذف المفعول لدلالة الكلام عليه وهو قيام الدليل في العقل على ان

الله سبحانه لا يجوز عليه الانتقال ولا يختلف عليه الحال ﴿ وثالثها ﴾ ان المعنى او يأتي إهلاك ربك إياهم بعذاب عاجل او آجل او بالقيامة وهذا كقولنا قد نزل فلان ببلد كذا وقد أتاهم فلان اي قد أوقع بهم عن الزجاج (او يأتي بعض آيات ربك) وذلك نحو خروج الدابة او طلوع الشمس من مغربها عن مجاهد وقتادة والسدي وروي عن النبي (ص) انه قال بادروا بالأعمال ستأ طلوع الشمس من مغربها والدابة والدجال والدخان وخويصة احدثم اي موته وأمر العامة يعني القيامة (يوم يأتي بعض آيات ربك) التي تضطرهم الى المعرفة ويحول التكليف عندها (لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل) لأنه ينسد باب التوبة بظهور آيات القيامة ويضطر الله تعالى كل أحد الى معرفته ومعرفة المحسنات والمقبحات ضرورة ويعرفه انه ان حاول القبيح او ترك الحسن حيل بينه وبينه فيصير ملجأ الى فعل الحسن وترك القبيح (او كسبت في إيمانها خيرا) عطف على قوله آمنت وقيل في معناه اقوال ﴿ احدها ﴾ انه انما قال ذلك على جهة التغليب لأن الأكثر مما ينتفع بإيمانه حينئذ من كسب في إيمانه خيراً ﴿ وثانيها ﴾ انه لا ينفع احداً فعل الايمان ولا فعل خير فيه في تلك الحال لأنها حال زوال التكليف وإنما ينفع ذلك قبل تلك الحال عن السدي فيكون معناه لا ينفعه إيمانه حينئذ وان كسب في إيمانه خيراً اي طاعة وبراً لأن الايمان واكتساب الخير انما ينفعان من قبل ﴿ وثالثها ﴾ انه الاوبهان في احد الامرين فالمعنى انه لا ينفع في ذلك اليوم إيمان نفس اذا لم تكن آمنت قبيل ذلك اليوم او ضمت الى إيمانها افعال الخير فلونها اذا آمنت قبل نفعها إيمانها وكذلك اذا ضمت الى الايمان طاعة نفعها ايضا يريد انه لا ينفع حينئذ إيمان من آمن من الكفار ولا طاعة من أطاع من المؤمنين ومن آمن من قبل نفعه إيمانه بانفراده وكذلك من أطاع من المؤمنين نفعته طاعته ايضاً وهذا اقوى الأقوال واوضحها (قل أنتظروا) اتيان الملائكة ووقوع هذه الآيات (فالإنسان منتظرون) بكم ووقوعها وفي هذه الآية حث على المسارعة الى الايمان والطاعة قبل الحال التي لا يقبل فيها التوبة وفيها ايضاً حجة على من يقول ان الايمان اسم لأداء الواجبات وللطاعات فالله سبحانه قد صرح فيها بأن اكتساب الخيرات غير الايمان المجرد لعطفه سبحانه كسب الخيرات وهي الطاعات في الايمان على فعل الايمان فكانه قال لا ينفع نفساً لم تؤمن من قبل ذلك اليوم إيمانها ذلك اليوم وكذا لا ينفع نفساً لم تكن كاسبة خيراً في إيمانها قبل ذلك كسبها الخيرات ذلك اليوم وقد عكس الحاكم ابو سعيد في تفسيره الامر فيه فقال هو خلاف ما يقوله المرجئة لانه يدل على أن الايمان بمجردة لا ينفع حتى يكون معه اكتساب الخيرات وليت شعري كيف تدل الآية على ما قاله وكيف حكم لنفسه على خصمه فيما الحكم فيه خصمه عليه وهل هذا إلا عدول عن سنن العدل والانصاف

قوله تعالى (١٥٩) إِنَّ الَّذِينَ فَارَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (آية)

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة والكسائي هاءنا وفي الروم فارقوا بالالف وهو المروي عن علي عليه السلام والباقون فرقوا بالتشديد

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من قرأ فرقوا فتقديره يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض كما قال افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وقال ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ومن قرأ فارقوا دينهم فالمعنى باينوه وخرجوا عنه وهو يؤول الى معنى فرقوا الا ترى انهم لما آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه فارقوه كله فخرجوا عنه ولم يتبعوه

* اللغة *

الشيعة الفرق التي يالئ بعضها على أمر واحد مع اختلافهم في غيره وقيل إن أصله من الظهور يقال شاع الخبز يشيع شيوعاً ظهر وشيعت النار إذا القيت عليها الحطب فكأنك تظهرها وقال الزجاج أصله الاتباع يقال شاعكم السلام وأشاعكم السلام أي تبعكم السلام قال

الأيا نخلة من ذات عرق
برود الظل شاعكم السلام
ويقول آتيك غدا أو شيعه أي أو اليوم الذي تتبعه فمعنى الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضاً قال الكمي
ومالي إلا آل أحمد شيعة
ومالي إلا مشعب الحق مشعب

* المعنى *

ثم عطف سبحانه على ما قدمه من الوعيد فقال (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً) اختلف في المعنيين بهذه الآية على أقوال **❦** أحدها **❦** أنهم الكفار واصناف المشركين عن السدي والحسن ونسختها آية السيف **❦** وثانيها **❦** أنهم اليهود والنصارى لأنهم يكفرون بعضهم بعضاً عن قتادة **❦** وثالثها **❦** أنهم أهل الضلالة واصحاب الشبهات والبدع من هذه الأمة رواه ابو هريرة وعائشة مرفوعاً وهو المروي عن الباقر عليه السلام جعلوا دين الله ادياناً لاوكفار بعضهم بعضاً وصاروا احزاباً وفرقاً (لست منهم في شيء) هذا خطاب للنبي (ص) واعلام له انه ليس منهم في شيء وانه على المباحة التامة من ان يجتمع معهم في معنى من مذاهبهم الفاسدة وليس كذلك بعضهم مع بعض لانهم يجتمعون في معنى من المعاني الباطلة وان افرقوا في غيره فليس منهم في شيء لانه بري من جسيمه وقيل ان معناه لست من مخالطهم في شيء وإنما هو نهى النبي من مقاربتهم وامر له بمباعدتهم عن قتادة وقيل معناه لست من قتالهم في شيء ثم نسختها آية القتال عن الكلبي والحسن (إنما امرهم إلى الله) في مجازاتهم على سوء افعالهم وقيل امرهم في الانظار والاستئصال إلى الله وقيل الحكم بينهم في اختلافهم إلى الله (ثم ينبئهم) أي يجزيهم ويجازيهم (بما كانوا يفعلون) يوم القيامة فيظهر المحق من المبطل

قوله تعالى (١٦٠) مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (آية)

* القراءة *

قرأ يعقوب عشر منون أمثالها برفع اللام وهو قراءة الحسن وسعيد بن جبير والباقر عشر مضاف أمثالها مجرور

* الحجة *

من قرأ عشر أمثالها فالمعنى له عشر حسنات أمثالها فيكون أمثالها صفة للموصوف الذي اضيف اليه عشرون قرأ عشر أمثالها فيكون أمثالها صفة لعشر قول الزجاج وحذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه ضعيف عند المحققين وأكثر ما يأتي ذلك في الشعر والاولى ان يكون أمثالها غير صفة في قوله عشر أمثالها بل يكون محمولا على المعنى فأنث الامثال لما كان في معنى الحسنات وحكي عن ابي عمرو انه سمع اعرابياً يقول فلان لغوب جاءته كتابي فاحتقرها قال فقلت له اتقول جاءته كتابي قال نعم أليس بصحيفة

* اللغة *

الحسنة اسم للأعلى في الحسن ودخول الهاء للمبالغة قال علي بن عيسى دخول الهاء يدل على انها طاعة اما واجب او ندى وليس كل حسن كذلك لأن في الحسن ما هو مباح لا يستحق عليه مدح ولا ثواب واقوى من

ذلك ان يقال دخول لام التعريف فيها يدل على انها المأمور بها لانها لام العهد والله سبحانه لا يأمر بالمباح

✽ المعنى ✽

لما ذكر سبحانه الوعيد على المعاصي عقبه بذكر الوعد وتضعيف الجزاء في الطاعات فقال (من جاء بالحسنة فله عشر امثالها) اي من جاء بالحسنة الواحدة من خصال الطاعة فله عشر امثالها من الثواب (ومن جاء بالسيئة) اي بالحسنة الواحدة من خصال الشر (فلا يجزى إلا مثلها) وذلك من عظيم فضل الله تعالى وجزيل إنعامه على عباده حيث لا يقتصر في الثواب على قدر الاستحقاق بسبل يزيد عليه وربما يعفو عن ذنوب المؤمن منا منه عليه وتفضلا وان عاقب عاقب على قدر الاستحقاق عدلا وقيل المراد بالحسنة التوحيد وبالسيئة الشرك عن الحسن واكثر المفسرين وعلى هذا فإن اصل احسن الحسنات التوحيد وأسوأ السيئات الكفر (وهم لا يظلمون) بالزيادة على مقدار ما استحقوا من العقاب ثم اختلف الناس في ان هذه الحسنات العشر التي وعدا الله من جاء بالحسنة هل يكون كلها ثوابا ام لا فقال بعضهم لا يكون كلها ثوابا وإنما يكون الثواب منها الواحدة والتسع الزائدة يكون تفضلا ويؤيده قوله ليوفيهم اجرهم ويزيدهم من فضله فيكون على هذا معنى عشر امثالها في النعيم واللذة لا في عظيم المنزلة ويجوز ان يكون التفضل مثل الثواب في الكثرة واللذة وان يميز منه الثواب بمقارنة التعظيم والاجلال اللذين لولاها لما حسن التكليف وهذا هو الصحيح وقال قوم لا يجوز ان يساوى الثواب والتفضل على وجه فيكون على قولهم كل ذلك ثوابا قال الزجاج ان المجازاة من الله عز وجل على الحسنة بدخول الجنة شيء لا يبلغ وصف مقداره فإذا قال عشر امثالها وقال كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة وقال فيضاعفه له اضعافا كثيرة فالمعنى في هذا كله ان جزاء الله سبحانه على الحسنات على التضعيف للمثل الواحد الذي هو النهاية في التقدير في النفوس فيضاعف الله سبحانه ذلك بما بين عشرة اضعاف إلى سبعة اضعاف إلى اضعاف كثيرة وقد قيل ايضا في ذلك ان المعنى من جاء بالحسنة فله عشر امثال المستحق عليها والمستحق لا يعلم مقداره إلا الله تعالى وليس المراد امثال ذلك في العدد وهذا كما يقول الانسان لأجيرته من الأجر مثل ما عملت اي مثل ما تستحقه بعملك وقد وردت الرواية عن المعرور بن سويد عن ابي ذر قال حدثني الصادق المصدق ان الله تعالى قال الحسنة عشر اوازيد والسيئة واحدة او اغفر فالويل لمن غلبت آحاده اعشاره

قوله تعالى (١٦١) قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦٢) قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٣) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (ثلاث آيات كوفي واربع عند غيرهم)

✽ القراءة ✽

قرأ ابن عامر واهل الكوفة قيا مكسورة القاف خفيفة اليا. والباقرن قيا مقترحة القاف مشددة اليا. وقرأ اهل المدينة محياي ساكنة اليا. ومما تفتحها والباقرن محياي بفتح اليا ومما تفتح ساكنة اليا.

✽ الحجة ✽

من قرأ قيا فالقيم هو المستقيم فيكون وصفا للدين كما ان التقدير في قوله دين القية دين الملة القيمة لأن الملة هي مثل الدين ومن قرأ قيا فالونه مصدر كالصغر والكبر الا انه لم يصحح كما صحح حول وعرض وكان القياس ولكن شذ كما شذ نحو ثيرة في جمع ثور وجياد في جمع جواد وكان القياس الواو وقال الزجاج انما اعتل قيم لأنه من قام فلما اعتل قام اعتل قيم لأنه جرى عليه واما حول فإنه جار على غير فعل واما إسكان

الياء في محياي فإنه شاذ عن القياس والاستعمال فإن الساكنين لا يلتقيان على هذا الحد وإذا كان ما قبلها متحركا نحو ومحاتي فالفتح جائز والاسكان جائز قال ابو علي والوجه في محياي بسكون الياء مع شذوذه ما حكى عن بعض البغداديين انه سمع التقت حلقتا البطان بأسكان الالف مع سكون لام المعرفة ومثل هذا ما جوزة يونس في قوله اضربان زيدا واضربان زيدا وسيبويه ينكر هذا من قول يونس وقال علي بن عيسى ولو وصله على نيسة الوقف جاز كما جاز فبهدهم اقتده فإنما تزد هذه الهاء في الوقف كما تسكن تلك الياء في الوقف

✽ اللغة ✽

الملة الشريعة مأخوذة من الإيملاء كأنه ما يأتي به الشرع ويورده الرسول من الشرائع المتجددة فيسله على أمته ليكتب أو يحفظ فأما التوحيد والعدل فواجبان بالعقل ولا يكون فيهما اختلاف والشرائع تختلف ولهذا يجوز ان يقال ديني دين الملائكة ولا يقال ماني ملة الملائكة فكل ملة دين وليس كل دين ملة والنسك العبادة ورجل ناسك ومنه النسيكة الذبيحة والمنسك الموضع الذي تذبح فيه النساءك قال الزجاج فالنسك كل ما تقرب به الى الله تعالى الا ان الغالب عليه امر الذبح وقول الناس فلان ناسك ليس يراد به ذابح وإنما يراد به انه يودي المناسك اي يودي ما افترض عليه مما يتقرب به الى الله

✽ الاعراب ✽

دينا قال ابو علي يحتمل نصبه ثلاثة اضرب ✽ احدها ✽ انه لما قال هادي ربي الى صراط مستقيم استغنى بجري ذكر الفعل عن ذكره ثانيا فقال دينا قيعا كما قال امدنا الصراط المستقيم وان شئت نصبته على اعرفوا لأن هدايتهم اليه تعريف لهم فحمله على اعرفوا دينا قيعا وان شئت حملته على الاتباع كأنه قال اتبعوا دينا قيعا والزموه كما قال اتبعوا ما أنزل اليكم قال الزجاج ملة ابراهيم بدل من دينا قيعا وحنيفا منصوب على الحال من ابراهيم والمعنى هادي وعرفني ملة ابراهيم في حال حنيفية

✽ المعنى ✽

ثم امر الله نبيه (ص) فقال (قل) يا محمد لهؤلاء الكفار وللخلق جميعا (انني هادي) اي داني وارشدي (ربي الى صراط مستقيم) وقيل اراد اطف لي ربي في الاهتداء ووقفني لذلك وقد بينا معنى الصراط المستقيم في سورة الحمد (دينا قيعا) اي مستقيما على نهاية الاستقامة وقيل ثابتا دائما ينسخ (ملة ابراهيم) انما وصف دين النبي بأنه ملة ابراهيم ترغيبا فيه للعرب جلالة ابراهيم في نفوسها ونفوس كل اهل الاديان لانساب العرب اليه واتفاقهم على انه كان على الحق (حنيفا) اي مخلصا في العبادة لله عن الحسن وقيل ماثلا الى الاسلام ميلا لازما لا رجوع معه من قولهم رجل احنف اذا كان ماثل المقدم من خلقه عن الزجاج وقيل مستقيما وانما جاء احنف على التفاضل عن الجبائي (وما كان من المشركين) يعني ابراهيم كان يدعو الى عبادة الله وينهى عن عبادة الاصنام (قل ان صلاتي) قد فسرنا معنى الصلاة فيما تقدم (ونسكي) اي ذبيحتي للحج والعمرة عن سعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والسدي وقيل نسكي ديني عن الحسن وقيل عبادتي عن الجبائي والزجاج وانما ضم الصلاة الى أصل الواجبات من التوحيد والعدل لأن فيها التظيم لله عند التكبير وفيها تلاوة القرآن الذي يدعو الى كل بر وفيها الركوع والسجود وفيها الخضوع لله تعالى والتسبيح الذي هو التنزيه له (ومحياي ومحاتي) اي حياتي وموتي (الله رب العالمين) وانما جمع بين صلته وحياته واحدهما من فعله والاخر من فعل الله لأنهما جميعا بتدبير الله وقيل معناه صلاتي ونسكي له عبادة وحياتي ومحاتي له ملكا وقدرة عن القاضي وقيل ان عبادتي له لأنها بهدائمه ولطفه ومحياي ومحاتي له لأنه بتدبيره وخلقه وقيل معنى قوله ومحياي ومحاتي لله ان الاعمال الصالحة التي تتعلق بالحياة في فنون الطاعات وما يتعلق بالمعات من الوصية والحثم بالخيرات لله وفيه تنبيه

على انه لا ينبغي ان يجعل الانسان حياة شهوته وجماته اورثته (لا شريك له) اي لا ثاني له في الإلهية وقيل لا شريك له في العبادة وفي الاحياء والإماتة (وبذلك أمرت) اي وبهذا أمرني ربي (وانا أول المسلمين) من هذه الأمة فان ابراهيم كان أول المسلمين ومن بعده تابع له في الاسلام عن الحسن وقتادة وفيه بيان فضل الاسلام وبيان وجوب اتباعه على الاسلام اذ كان صلى الله عليه وآله أول من سارع اليه لانه امر بذلك ليتأسى به وبقتدى بفعله قوله تعالى (١٦٤) قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (١٦٥) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (آيتان)

✽ اللغة ✽

الرب اذا اطلق أفاد المالك بتصرف الشيء باتم التصريف واذا أضيف فقيل رب الدار ورب الضيعة فمعناه المالك لتصرفه باتم تصرف العباد وأصله التربية وهي تنشئة الشيء حالاً بعد حال حتى يصير الى الكمال والفرق بين الرب والسيد ان السيد المالك لتدبير السواد الأعظم والرب المالك لتدبير الشيء حتى يصير الى الكمال مع اجرائه على تلك الحال ويقال وزير وزيراً ووزير وزيراً وهو الملقب بالوزير الذي هو الملجأ فحال الموزور كحال الملتجئ الى غير ملجأ ومنه الوزير لأن الملك ياتجئ اليه في الأمور وقيل ان أصله الثقل ومنه قوله ووضعنا عنك وزرك وكلاهما محتمل وواحد الخلائف خليفة مثل صحيفة وصحائف وسفينة وسفائن وخلف فلان فلاناً يخلفه فهو خليفته اذا جاء بعده

✽ الاعراب ✽

في نصب درجات ثلاثة اقوال - احدها - ان يقع موقع المصدر فكأنه قال رفعة بعد رفعة - والثاني - انه الى درجات فحذفت الى كما حذفته في قولك دخلت البيت وتقديره الى البيت - والثالث ان يكون مفعولاً من قولك ارتفع درجة ورفعته درجة مثل اكتسى ثوباً وكسوته ثوباً

✽ المعنى ✽

لما أمر سبحانه نبيه (ص) ببيان الاخلاص في الدين عقبه بأمره ان يبين لهم بطلان افعال المشركين فقال (قل) يا محمد هؤلاء الكفار على وجه الانكار (اغير الله ابغي رباً وهو رب كل شيء) وتقديره يجوز ان اطلب غير الله رباً واطلب الفوز بعبادته وهو مريب مثلي وأترك عبادة من خلقني ورباني وهو مالك كل شيء وخالقه ومدبره وليس بربوب ام هذا قبيح في العقول وهو لازم لكم على عبادتكم الاوتان (ولا تكسب كل نفس الا عليها) أي لا تكسب كل نفس جزاء كل عمل من طاعة او معصية الا عليها فعليها عقاب معصيتها ولها ثواب طاعتها ووجه اتصاله بما قبله انه لا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما أنتم عليه من ذلك لأنه ليس بعذر لي في اكتساب الاثم اكتساب غيري له لأنه لا تزر وازرة وزر آخر من أي لا يحمل احد ذنب غيره ومعناه ولا يجازى احد بذنب غيره وقال الزجاج معناه لا تؤخذ نفس غير آئمة بأثم أخرى وقيل ان الكفار قالوا للنبي (ص) اتبعنا وعلينا وزرك ان كان خطأ فأنزل الله هذا وفيه دلالة على فساد قول المجبرة ان الله تعالى يعذب الطفل بكفر ابيه (ثم الى ربكم مرجعكم) أي مالكم ومصيركم (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) أي يخبركم بالحق فيما اختلفتم فيه فيظهر المحسن من المسيء (وهو الذي جعلكم خلائف الارض) اخبر سبحانه

انه الذي جعل الخلق خلائف الأرض ومعناه ان أهل كل عصر يخلف أهل العصر الذي قبله كما مضى قرن خلفهم قرن يجري ذلك على انتظام واتساق حتى تقوم الساعة على العصر الأخير فلا يخلفه عصر وهذا لا يكون إلا من عالم مدبر عن الحسن والسدي وجماعة وقيل المراد بذلك أمة نبينا محمد صلى الله عليه وآله جعلهم الله تعالى خلفاء لسائر الأمم ونصرهم على سائر الخلق (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) في الرزق عن السدي وقيل في الصورة والعقل والعمر والمال والقوة وهذا أولى لأن الأول يدخل فيه ووجه الحكمة في ذلك مع انه سبحانه خلقهم ابتداء من غير استحقاق بعمل يوجب التفاضل بينهم ما فيه من اللطاف الداعية الى الواجبات والصارفة عن المقبحات لأن كل من كان غنيا في ماله شريفا في نسبه ربما دعاه ذلك الى طاعة من يملكه رغبة في امتثاله ومن كان على ضد ذلك ربما دعاه الى طاعته رهبة من امثاله ورجاء أن ينقله عن هذه الحال الى حال جليلة يفتبط عليها (ليبلوكم فيما آتاكم) أي ليعتبركم فيما اعطاكم أي يعاملكم معاملة المختبر مظهرة في العدل وانتفاء من الظلم ومعناه لينظر الغني الى الفقير فيشكر وينظر الفقير الى الغني فيصبر ويفكر العاقل في الأدلة فيعلم ويعمل بما يعلم (ان ربك سريع العقاب) إنما وصف نفسه بذلك مع ان عقابه في الآخرة من حيث ان كل ما هو آت قريب فهو إذا سريع وقيل معناه انه سريع العقاب بين استحقاقه في دار الدنيا فيكون تحذيراً لمواقع الخطيئة على هذه الجهة وقيل معناه انه قادر على تعجيل العقاب فاحذروا معاجلته بالعلاك في الدنيا (وانه لغفور رحيم) قابل سبحانه بين العقاب والغفران ولم يقابل بالثواب لأن ذلك ادعى الى الإقلاع عما يوجب العقاب لأنه لو ذكر الثواب لجاز أن يتوهم انه لمن لم يكن منه عصيان وقيل انه سبحانه افتتح السورة بالحمد على نعمه تليها وختمها بالمغفرة والرحمة ليحمد على ذلك

(سورة الاعراف)

هي مكية وقد روي عن قتادة والضحاك انها مكية غير قوله واستلهم عن القرية الى قوله بما كانوا يفسقون فإنها نزلت بالمدينة عدد آياتها مائتان وست آيات حجازي كوفي وخمس بصري شامي

✽ اختلافها ✽

خمس آيات المص وبداكم تهودون كوفي مخلصين له الدين بصري شامي ضعفا من النار والحسني علي بن اسرائيل حجازي

✽ فضلها ✽

أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال من قرأ سورة الاعراف جعل الله بينه وبين ابليس ستراً وكان آدم شغيباً له يوم القيامة وروى العياشي بإسناده عن ابي بصير عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة الاعراف في كل شهر كان يوم القيامة من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فإن قرأها في كل يوم جمعة كان ممن لا يحاسب يوم القيامة قال ابو عبد الله (ع) اما ان فيها آيات محكمة فلا تدعوا قراءتها وتلاوتها والقيام بها فإنها تشهد يوم القيامة لمن قرأها عند ربه

✽ تفسيرها ✽

لما ختم الله سبحانه سورة الأنعام بالرحمة افتتح هذه السورة بأنه أنزل كتاباً فيه معالم الدين والحكمة فقال

﴿ بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ ﴾

قوله تعالى (١) ألمص (٢) كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لَتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٣) أَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (ثلاث آيات كوفي وآيتان في الباقيين)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر بتذكرون بياء وتاء وقرأ اهل الكوفة غير ابي بكر تذكرون خفيفة الذال وقرأ الباقيون تذكرون بتشديد الذال والكاف

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من قرأ تذكرون مشددة أراد تذكرون فأدغم التاء في الذال وإدغامها فيها حسن لأن التاء مهموسة والذال مجهورة والمجهور أزيد صوتا واقوى من المهموس فحسن ادغام الأتقص في الأزيد ولا يسوغ ادغام الأزيد في الأتقص وما في قوله ما تذكرون موصولة بالفعل وهي منه بمنزلة المصدر والمعنى قليلا تذكرم ولا ذكر في الصلة يعود اليها كما لا يكون في صلة ان ذكر ومن قرأ تذكرون فإنه حذف التاء التي أدغمها من شدد الذال وذلك حسن لاجتماع ثلاثة احرف متقاربة ويقوي ذلك قولهم استطاع يستطيع فحذفوا أحد الثلاثة المتقاربة ومن قرأ يتذكرون بياء وتاء فوجهه انه مخاطبة النبي (ص) أي قليلا ما يتذكروا

﴿ اللغة ﴾

قد تقدم ذكر الحروف المقطعة في أوائل السور في أول سورة البقرة وذكرنا الأتقوال في معانيها واعرابها فلا معنى لإعادتها وبيننا ان حروف الهجاء توصل على نية الوقف فرقا بينها وبين ما يوصل للمعاني فعلى هذا متى سميت رجلا بالمص وجبت الحكاية وإن سميته بصاد او قاف لم يجب ذلك لأن صاد وقاف لها نظير في الأسماء المفردة مثل باب ونار وليس كذلك المص لأنه بمنزلة الجملة إذ ليس له نظير في المفرد وإنما عد الكوفيون المص آية ولم يعدوا صاد لأن المص بمنزلة الجملة مع ان آخره على ثلاثة احرف بمنزلة المردف فلما اجتمع هذان السببان وكل واحد منها يقتضي عدّه عدّوه ولم يعدوا المر لأن آخره لا يشبه المردف ولم يعدوا صاد لأنه بمنزلة اسم مفرد وكذلك قاف ونون ومن قال ان هذه الحروف في أوائل السور أسماء للسور فعلى قوله إنما سميت بها ولم تسم بالأسماء المنقولة لأنها تتضمن معاني أخر مضافة الى التسمية وهو انها فاتحة لما هو منها وانها فاصلة بينها وبين ما قبلها ولأنه يأتي من التألف بعدها ما هو معجز مع انه تأليف كتأليفها فهذه المعاني من اسرارها والذكرى مصدر ذكر يد كرتذ كبرا فهي اسم للتذكير وفيه مبالغة ومثله الرجعي

﴿ الإعراب ﴾

قال الزجاج اجمع النحويون على ان قوله كتاب أنزل إليك مرفوع بغير هذه الحروف فالمعنى هذا كتاب أنزل إليك ومن قال ان كتاب يرتفع بالمص وتقديره المص حروف كتاب يلزمه اضمار شيئين فيكون المعنى المص بعض حروف كتاب أنزل إليك فيكون قد اضمر المضاف وما أضيف اليه وهذا ليس بجائز فإن قال قائل قد يقول اب ت ث ثمانية وعشرون حرفا وإنما ذكرت اربعة فمن أين جاز ذلك قيل قد صار

اسم هذه الحروف كلها اب ت ث كما انك تقول الحمد سبع آيات فالحمد اسم الجملة السورة وليس اسم الكتاب ألم ولا اسم القرآن طسم وهذا فرق بين قال والذي اخترناه في تفسير المص قول ابن عباس ان المص انا الله اعلم وافصل فيكون يرتفع بعض هذه الحروف ببعض والجملة لا موضع لها وقوله فلا يكن في صدرك حرج دخول الفاء فيه يحتمل وجهين * احدهما * ان تكون عاطفة جملة على جملة وتقديره هذا كتاب أنزله اليك فلا يكن بعد انزاله في صدرك حرج والاخر ان يكون جوابا وتقديره اذا كان انزل اليك الكتاب لتنذر به فلا يكن في صدرك حرج منه فيكون محمولا على معنى اذا وذكري قال الزجاج يصلح أن يكون في موضع نصب ورفع وخفض فالنصب على قوله أنزل اليك لتنذر به ولذكرك به ذكري لأن في الانذار معنى التذكير وهذا كما يقال جئتك للإحسان وشوقا اليك فيكون مفعولا له واما الرفع فعلى تقدير وهو ذكري واما الخفض فعلى معنى لتنذر فإن معنى لتنذر لأن تنذر فيكون تقديره للانذار ولذكركه قال علي بن عيسى وهذا الوجه ضعيف لأنه لا يجوز أن يحمل الجر على التأويل كما لا يجوز مررت به وزيد

— * المعنى * —

(المص) مضى تفسيره وما قبل فيه (كتاب أنزل اليك) أي هذا الذي أوحيته اليك كتاب أنزل اليك أي انزله الملائكة اليك بأمر الله تعالى (فلا يكن في صدرك حرج منه) ذكر في معناه اقوال * احدها * ما ذكره الحسن ان معنى الحرج الضيق فمعناه ولا يضيقت صدرك لتشعب الفكر خوفا من ان لا تقوم بتبليغ ما أنزل اليك حق القيام فليس عليك اكثر من الانذار * وثانيها * ان معنى الحرج الشك عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي فمعناه فلا يكن في صدرك شك فيما يلزمك من القيام بحقه فانما انزل اليك لتنذر به * وثالثها * ان معناه فلا يضيقت صدرك من قومك ان يكذبوك ويجهوك بالسوء فيما انزل اليك كما قال سبحانه فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا عن الفراء وقد روي في الخبر ان الله تعالى لما أنزل القرآن إلى رسول الله (ص) قال إني اخشى ان يكذبني الناس ويثقلوا رأسي فيتركوه كالخبرة فأزال الله الخوف عنه بهذه الآية وقوله (لتنذر به) أي بالقرآن قال الفراء والزجاج واكثر العلماء انه على التقديم والتأخير وتقديره كتاب انزل اليك لتنذر به (وذكري للمؤمنين) فلا يكن في صدرك حرج منه وقال آخرون هو متصل بقوله فلا يكن في صدرك حرج منه (لتنذر به) أي كن على انشراح صدر بالانذار ومعناه التخوف بوعده ووعيده وامثاله وامره ونهيه وليذكروا بما فيه وانما خص المؤمنين لأنهم المنتفعون به ثم خاطب الله سبحانه المكلفين فقال (اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم) ويحتمل ان يكون المراد قل لهم يا محمد اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم لأنه قال قبل لتنذر به والاتباع تصرف الثاني بتصرف الأول وتدبره بتدبيره فالأول إمام والثاني مؤتم ووجوب الاتباع فيما أنزل الله تعالى يدخل فيه الواجب والندب والمباح لأنه يجب ان يعتقد في كل منها ما امر الله سبحانه به كما يجب ان يعتقد في الحرام وجوب اجتنابه (ولا تتبعوا من دونه اولياء) أي ولا تتخذوا غيره اولياء تطيعونهم في معصية الله لأن من لا يتبع القرآن صار متبعا لغير الله من الشيطان والاثوان فأمر سبحانه باتباع القرآن ونهى عن اتباع الشيطان ليعلموا ان اتباع القرآن اتباع له سبحانه (قليل ما تذكرون) أي قليلا يامعشر المشركين تذكركم واتعظكم وهذا استبطاء في التذكر وخرج مخرج الخبر والمراد به الامر فمعناه تذكروا كثيرا

ما يلزمكم من امر دينكم وما اوجبه الله عليكم ومعنى التذکر ان يأخذ في الذکر شيئا بعد شيء مثل التفقه والتعلم
قوله تعالى (٤) وكم من قرية اهلكناها فجاءها بأسنا بيانا أو هم قائلون (٥) فما كان
دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا انا كنا ظالمين (آيتان)

— الاعراب —

كم لفظه موضوعة للتكثير ورب للتقليل وإنما كان كذلك لأن رب حرف وكم اسم والتقليل ضرب
من النفي وكم يدخل في الخبر بمعنى التكثير فأما في الاستفهام فلا لأن الاستفهام موكول إلى بيان المجيب
وإنما دخلها التكثير لأن استفهام العدد عن ان يظهر أو يضبط وإنما يكون لكثرتة في غالب الأمر وكم
مبهمة قال الفرزدق

كم عمه لك يا جرير وخالة فدعا قد حلبت علي عشاري

فدل بكم على كثرة العات والخالات وموضع كم في الآية رفع بالابتداء وخبرها اهلكناها ولو جعلتها
في موضع نصب جاز كما تقول في قوله سبحانه انا كل شيء خلقتنا بقدر والاول اجود وقيل في دخول
الفاء في قوله فجاءها بأسنا بيانا مع ان الفاء للتعقيب اقوال * احدها * اهلكناها في حكمنا فجاءها بأسنا
* والثاني * اهلكناها بإرسال ملائكة العذاب اليها فجاءها بأسنا * والثالث * انه مثل زرتني فاكرمتني
فاكرمت نفس الإكرام هي الزيارة قال علي بن عيسى وليس هذا مثل ذلك لأن هذا إنما جاز لأنه قصد
الزيارة ثم الإكرام بها * والرابع * اهلكناها فصح انه جاءها بأسنا وقال الفراء ان الفاء هنا بمعنى
الواو ورد عليه علي بن عيسى بأنه نقل حرف عن معناه بغير دليل وذلك لا يجوز وقوله او هم قائلون قال
الفراء او الحال مقدرة فيه وتقديره او هم قائلون وإنما حذف استخفا قال الزجاج وهذا لا يحتاج إلى
ضمير الواو ولو قلت جاءني زيد راجلا او هو فارس او جاءني زيد هو فارس لم يحتاج إلى واو لأن الذكر
قد عاد إلى الاول ومعنى بيانا اي ليلا يقال بات بيانا حسنا وبيته حسنة والمصدر في الاصل بات بيتا وإنما
سمي البيت بيتا لأنه يصلح للمبيت فمعنى او هم قائلون اي او جاءهم بأسنا نهارا في وقت القائلة فأو دخلت
ها هنا على جهة تصرف الشيء ووقوعه وامارة كذا فهي في الخبرها هنا بمنزلة او في الاباحة إذا قلت جالس
الحسن او ابن سيرين أي كل واحد منها اهل أن يجالس أو هاهنا احسن من الواو لأن الواو يتضمن
اجتماع الشئتين لو قلت ضربت القوم قياما وقياما لا وجبت الواو إنك ضربتهم وهم على هاتين الحالتين
ولو قلت ضربتهم قياما او ضربتهم قعودا ولم تكن شاكا فأنا المعنى انك ضربتهم مرة على هذه الحال ومرة
على هذه الحال وأقول أن الاولى أن يكون بيانا مصدرا وضع موضع الحال فيكون بمعنى بائنين او قائلين
فيكون حالا عن الهاء والميم في جاءهم وموضع ان قالوا الاختيار أن يكون رفعا وأن يكون دعواهم في موضع
نصب كقوله وما كان جواب قومه إلا أن قالوا ويجوز أن يكون في موضع نصب ويكون الدعوى في
موضع رفع إلا أن الدعوى إذا كانت في موضع رفع فلا كثر في اللفظ فما كانت دعواهم كذا لأن الدعوة
مؤنثة وهي اسم لما تدعيه وتصلح أن تكون بمعنى الدعاء حكى سيبويه اللهم اشر كنا في صالح دعوى
المسلمين وانشد (وات ودعواها كثيرا صخبه) اي دعواها

- المعنى -

لما تقدم الامر منه سبحانه للمكافئين باتباع القرآن والتحذير من مخالفته والذبح كبير عقب ذلك بتذكيرهم ما نزل بمن قباهم من العذاب وتحذيرهم ان ينزل بهم ما نزل بأولئك فقال (وكم من قرية) أي من أهل قرية فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه (اهلكناها) بعذاب الاستئصال (فجاءها بأسنا) أي عذابنا (بياتنا) بالليل (أو هم قائلون) أي في وقت القيلولة وهي نصف النهار واصله الراحة ومنه الإقالة في البيع لانه الراحة منه بالإعفاء من عقده والأخذ بالشدة في وقت الراحة اعظم في العقوبة فلذلك خص الوقتين بالذكر (فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا) أي لم يكن دعاء هؤلاء الذين اهلكناهم عقوبة لهم على معاصيهم وكفرهم في الوقت الذي جاءهم شدة عذابنا (إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين) يعني اعترفهم بذلك على نفوسهم واقرارهم به وهذا القول كان منهم عند معاينة البأس والتيقن بأنه ينزل بهم ويجوز أن يكونوا قالوه حين لا يسهم طرف منه ولم يهلكوا بعد وفي هذا دلالة على ان الاعتراف والتوبة عند معاينة البأس لا ينفع

قوله تعالى (٦) فلنساءن الذين أرسل إليهم ولنساءن المرسلين (٧) فلنقصن عليهم يعلم وما كنا غائبين (٨) والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون (أربع آيات)

* اللغة *

السؤال طلب الجواب بأدائه في الكلام كما ان الاستخبار طلب الخبر بأدائه في الكلام والقصص ما يتلو بعضه بعضاً ومنه المقص لأن قطعه يتلو بعضه بعضاً ومنه النصبة من الشعر والقصة من الكتاب ومنه القصص لانه يتلو الجنابة في الاستحقاق ومنه المقاصة في الحق لأنه يسقط ماله قصاصاً بما عليه والوزن في اللغة هو مقابلة احد الشئين بالآخر حتى يظهر مقداره وقد استعمل في غير ذلك تشبيهاً به فمنها وزن الشعر بالمعروض ومنها قولهم فلان يزن كلامه وزناً قال الاخطل

وإذا وضعت اباك في ميزانهم رجحوا وشال ابوك في الميزان

والحق وضع الشيء موضعه على وجه تقتضيه الحكمة وقد استعمل مصدراً على هذا المعنى وصفة كما جرى ذلك في العدل قال الله سبحانه ذلك بأن الله هو الحق فجرى على طريق الوصف والثقل عبارة عن الاعتماد اللازم سفلاً وتقيضه الخفة وهي الاعتماد اللازم علواً

* الإعراب *

الفاء في قوله فلنساءن عاطفة جملة على جملة وإنما دخلت الفاء وهي موجبة التعقيب مع تراخي ما بين الأول والثاني وذلك يليق بتم تقريب ما بينهما كما قال سبحانه اقتربت الساعة وقال وما امر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب وقال أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين وإذا ظرف المفاجأة بينهما بعد يومئذ يجوز فيه الإعراب والبناء لأن اضافته الي مبني اضافة غير محضة تقربه من الاسماء المركبة و اضافته الي الجملة تقربه من الاضافة الحقيقية ونون اذ لانه قد قطع عن الاضافة اذ من شأن التنوين ان يعاقب الإضافة

* المعنى *

ولما أُنذِرهم سبحانه بالعذاب في الدنيا عقبه بالإنذار بعذاب الآخرة فقال (فلنساءن الذين أرسل اليهم ولنساءن المرسلين) أقسم الله سبحانه انه يسأل المكلفين الذين أرسل اليهم رسوله وأقسم ايضا انه يسأل المرسلين الذين بعثهم فيسأل هؤلاء عن الإوبلاغ ويسأل أولئك عن الامتثال وهو تعالى وإن كان عالما بما كان منهم فإنما أخرج الكلام مخرج التهديد والزجر ليتأهب العباد بحسن الاستعداد لذلك السؤال وقيل انه يسأل الأمم عن الإجابة ويسأل الرسل ماذا عملت أممهم فيما جاؤا به وقيل ان الأمم يسألون سؤال توبيخ والانبيا يسألون سؤال شهادة على الحق عن الحسن واما فائدة السؤال فاشياء منها أن يعلم الخلاق انه سبحانه أرسل الرسل وأزاح العلة وانه لا يظلم احداً ومنها ان يعلموا ان الكفار استحقوا العذاب بأفعالهم ومنها ان يزداد سرور أهل الإيمان بالثناء الجميل عليهم ويزداد غم الكفار بما يظهر من أفعالهم القبيحة ومنها ان ذلك لطف للمكلفين إذا أخبروا به ومما يسأل على هذا أن يقال كيف يجمع بين قوله تعالى ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان وقوله فلنساءن الذين أرسل اليهم فوربك لنسئلكم اجمعين والجواب عنه من وجوه * احدها * انه سبحانه نفى ان يسألهم سؤال استرشاد واستعلام وإنما يسألهم سؤال تبيخ وتقريع ولذلك قال عقبيه يعرف المجرمون بسيماهم وسؤال الاستعلام مثل قولك أين زيد ومن عندك وهذا لا يجوز على الله سبحانه وسؤال التوبيخ والتقريع كمن يقول ألم أحسن اليك فكفرت نعمتي ومنه قوله ألم اعهد اليكم يا بني آدم ألم تكن آياتي تتلى عليكم وكقول الشاعر (أطربا وانت قنصري) أي كبير السن وهذا توبيخ منه لنفسه أي كيف اطرب مع الكبر والشيب وقد يكون السؤال للتقرير كقول الشاعر

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

أي أنتم كذلك وفي ضده قوله « وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر » أي لا يصلح واما سؤال المرسلين فليس بتقريع ولا توبيخ لهم ولكنه توبيخ للكفار وتقريع لهم « وثانيها » انهم إنما يسألون يوم القيامة كما قال وقفوه انهم مسؤلون ثم تنقطع مسألتهم عند حصولهم في العقوبة وعند دخولهم النار فلا تنافي بين الخبرين بل هو اثبات للسؤال في وقت ونفي له في وقت آخر * وثالثها * ان في القيامة مواقف ففي بعضها يسأل وفي بعضها لا يسأل فلا تضاد بين الآيات واما الجمع بين قوله فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وقوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون فهو ان الأول معناه لا يسأل بعضهم بعضا سؤال استخبار عن الحال التي جعلها بعضهم لتشاغلهم عن ذلك ولكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه والثاني معناه يسأل بعضهم بعضا سؤال تلاوم وتوبيخ كما قال في موضع آخر يتلاومون وكقوله ونحن صدقناكم عن الهدى الآية ومثل ذلك كثير في القرآن ثم بين سبحانه ما ذكرناه من انه لا يسألهم سؤال استعلام بقوله (فلنقصن عليهم) أي لنخبرنهم بجميع أفعالهم ليعلموا أن أعمالهم كانت محفوظة وليعلم كل منهم جزاء عمله وانه لا ظلم عليه ول يظهر لأهل الموقف أحوالهم (يعلم) قبل معناه نقص عليهم أعمالهم بأننا عالمون بها وقيل معناه معلوم كما قال ولا يحيطون بشيء من علمه أي من معلومه وقال ابن عباس معنى قوله فلنقصن عليهم يعلم ينطق عليهم كتاب أعمالهم كقوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق (وما كنا غائبين) عن علم ذلك وقيل عن الرسل فيما بلغوا وعن

الأمم فيما أجابوا وذكروا ذلك مؤكدا لعله بأحوالهم والمعنى انه لا يخفى عليه شيء (والوزن يومئذ الحق) ذكر فيه اقوال « احدها » ان الوزن عبارة عن العدل في الآخرة وانه لا ظلم فيها على احد عن مجاهد والضحاك وهو قول البلخي « وثانيها » ان الله ينصب ميزانا له لسان وكفتان يوم القيامة فتوزن به اعمال العباد الحسنات والسيئات عن ابن عباس والحسن وبه قال الجبائي ثم اختلفوا في كيفية الوزن لأن الاعمال اعراض لا يجوز عليها الإعادة ولا يكون لها وزن ولا تقوم بأنفسها فقبل توزن صحائف الاعمال عن عبد الله بن عمر وجاعة وقيل يظهر علامات للحسنات وعلامات للسيئات في الكفتين فيراها الناس عن الجبائي وقيل يظهر للحسنات صورة حسنة والسيئات صورة سيئة عن ابن عباس وقيل توزن نفس المؤمن والكافر عن عبيد بن عمير قال يوتى بالرجل العظيم الجثة فلا يزن جناح بعوضة « وثالثها » ان المراد بالوزن ظهور مقدار المؤمن في العظم ومقدار الكافر في الذلة كما قال سبحانه فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا فمن أتى بالعمل الصالح الذي يثقل وزنه أي يعظم قدره فقد أفلح ومن أتى بالعمل السي الذي لا وزن له ولا قيمة فقد خسر عن ابي مسلم وأحسن الأقوال القول الأول وبعده الثاني وإنما قلنا ذلك لأنه اشتهر من العرب قولهم كلام فلان موزون وافعاله موزونة يريدون بذلك انها واقعة بحسب الحاجة لا يكون ناقصة عنها ولا زائدة عليها زيادة مضره او داخله في باب العبث قال مالك بن اساء الفزاري

وحدث الده هو مما ينعت التاعنون يوزن وزنا
منطق صائب وتلحن احيا نا وخير الحديث ما كان لحنا

أي يعرض في الكلام ولا يصرح به وقيل انه من اللحن الذي هو سرعة الفهم والفظنة وعلى هذا فيكون معنى الوزن انه قام في النفس مساويا لغيره كما يقوم الوزن في مرآة العين كذلك واما حسن القول الثاني فلمراعاة الخبر الوارد فيه والجري على ظاهره (فمن ثقلت موازينه) وإنما جمع الموازين لأنه يجوز ان يكون لكل نوع من انواع الطاعات يوم القيامة ميزان ويجوز ان يكون كل ميزان صنفا من اصناف اعماله ويؤيد هذا ما جاء في الخبر ان الصلاة ميزان فمن وفى استوفى (فأولئك هم المفلحون) أي الفائزون بثواب الله (ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم) بأن استحقوا عذاب الأبد « بما كانوا بآياتنا يظلمون » أي بجحودهم بما جاء به محمد (ص) من آياتنا وحججنا واخسران ذهاب رأس المال ومن اعظم رأس المال النفس فإذا أهلك نفسه بسوء عمله فقد خسر نفسه

قوله تعالى (١٠) وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ
(١١) وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ
لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (آيتان)

== « القراءة » ==

قرأ كل القراء معايش بغير همز وروى بعضهم عن نافع معاش بمدودا مهموزا

== « الحجة » ==

قال ابو علي معايش جمع معيشة واعتل معيشة لأنه على وزن يعيش وزيادته زيادة تختص الاسم دون

الفعل فلم يحتاج إلى الفصل بين الاسم والفعل كما احتيج اليه فيما كانت زيادته مشتركة نحو الهمزة في اخاف وهو اخوف منك وموافقة الاسم لبناء الفعل توجب في الاسم الاعلال الا ترى انهم اعلوا بابا وزابا ويوم راح لما كانت على وزن الفعل وصححوا نحو حول وغيبة ولومة لما لم تكن على مثال الفعل فمعيشه موافقة للفعل في البناء الا ترى انه مثل يعيش في الزنة وتكسيرا يزيل مشابهته في البناء فقد علمت بذلك زوال المعنى الموجب للاعلال في الواحد في الجمع فلزم التصحيح في التكسير لزوال المشابهة في اللفظ ولأن التكسير معنى لا يكون في الفعل إنما يختص به الاسم وإذا كانوا قد صححوا نحو الجولان والهيمان مع قيام بناء الفعل فيه لما لحقه من الزيادة التي يختص بها الاسم فتصحيح قولهم معاش الذي قد زال مشابهة الفعل عنه في اللفظ والمعنى لا اشكال فيه وفي وجوب العدل عن اعلاله ومن أعل فهمز فمجازه على وجه اللفظ وهو ان معيشة على وزن مصيبة فتوهمها فعيلة فهمزها كما همز مصائب ومثل ذلك ما يحمل على الغلط قولهم في جمع مسبل امسلة فتوهموه فعيلة وإنما هو مفعلة وذكر المحققون ان الهمزة في هذه الياء إنما تكون إذا كانت زائدة نحو صحيفة وصحائف وإنما يهز الياء الزائدة لانه لا حظ لها في الحركة وقد قربت من آخر الكلمة ولزمتها الحركة فأوجبوا فيها الهمزة وإذا جمعت مقاما قلت مقاوم وانشدوا

وإني لقوام مقاوم لم يكن جريرو ولا مولى جريرو يقومها

اللغة

التمكين اعطاء ما يصح به الفعل مع رفع المنع لأن الفعل كما يحتاج إلى القدرة فقد يحتاج إلى آلة وإلى دلالة وإلى سبب ويحتاج إلى ارتفاع المنع فالتمكين عبارة عن جميع ذلك والجمع إيجاد ما به يكون الشيء على خلاف ما كان عليه مثل ان تقول جعلت الساكن متحررا كأنك فعلت فيه الحركة ونظيره التصيير وجعل الشيء اعم من حدوثة لأنه قد يكون يحدث غيره ما يتغير به والمعيشة ما يكون وصلة إلى ما فيه الحياة من جهة المطعم والمشرب والملبس والخلق احداث الشيء على تقدير تقتضيه الحكمة والتصوير جعل الشيء على صورة من الصور والصورة بينة مقومة على هيئة ظاهرة والسجود اصله الانخفاض وحقيقته وضع الجبهة على الأرض

الإعراب

قليلان نصب بتشكرون وتقديره تشكرون قليلا وما زائدة ويجوز ان يكون ما مع ما بعدها بمنزلة المصدر فيكون تقديره قليلا شكركم

المعنى

ثم ذكر سبحانه نعمه على البشر بالتمكين في الأرض وما خلق فيها من الارزاق مضافة إلى نعمه السابقة عليهم بانزال الكتب وارسال الرسل فقال (ولقد مكناكم في الارض) اي مكناكم من التصرف فيها وملكناكموها وجعلناها لكم قرارا (وجعلنا لكم فيها معاش) اي ما تعيشون به من انواع الرزق ووجوه النعم والمنافع وقيل يريد المكاسب والاقدار عليها بالعلم والقدرة والآلات (قليلان تشكرون) اي ثم انتم مع هذه النعم التي انعمناها عليكم لتشكروا قد قل شكركم ثم ذكر سبحانه نعمته في ابتداء الخلق فقال (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) قال الاخفش ثم هاهنا في معنى الواو وقال الزجاج وهذا خطأ لا يجيزه الخليل

وسبويه وجميع من يوثق بعلمه إنما ثم الشيء الذي يكون بعد المذكور قبله لا غير وإنما المعنى في هذا الخطاب ذكر ابتداء الخلق أولا فالمراد أنابدأنا خلق آدم ثم صورناه فابتداء خلق آدم (ع) من التراب ثم وقعت الصورة بعد ذلك فهذا معنى خلقناكم ثم صورناكم (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) بعد الفراغ من خلق آدم فثم إنما هو لما بعد وهذا مروى عن الحسن ومن كلام العرب فعلنا بكم كذا وكذا وهم يعنون اسلافهم وفي التنزيل وإذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور أي ميثاق اسلافكم وقد قيل في ذلك أقوال أخر منها ان معناه خلقنا آدم ثم صورناكم في ظهره ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم عن ابن عباس ومجاهد والربيع وقتادة والسدي ومنها ان الترتيب وقع في الأخبار فكأنه قال خلقناكم ثم صورناكم ثم انا نخبركم إنما قلنا للملائكة اسجدوا لآدم كما يقول القائل انا راجل ثم انا مسرع وهذا قول جماعة من النحويين منهم علي بن عيسى والقاضي ابو سعيد السيرافي وغيرهما وعلى هذا فقد قيل إن المعنى خلقناكم في اصلاب الرجال ثم صورناكم في ارحام النساء عن عكرمة وقيل خلقناكم في الرحم ثم صورناكم بشق السمع والبصر وسائر الاعضاء عن يمان وقول الشاعر

سئلت ربيعة من خيرا أبا ثم أما

فقلت له فمعناه لتجيب أولا عن الاب ثم الام وقوله (فسجدوا إلا ابليس لم يكن من الساجدين) قد مضى الكلام فيه في سورة البقرة

قوله تعالى (١٢) قال ما منعك إلا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نارٍ وخلقته من طين (١٣) قال فأهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فأخرج إناك من الصاغرين (آيتان)

❖ اللغة ❖

الصاغر الذليل بصغر القدر يقال صغر يصغر صفرا وصفارا فهو صاغر إذا رضي بالضيعه ومن الصغر ضد الكبر صغر يصغر قال ابن السكيت يقال فلان صفرة ولد ابيه اي اصفرهم

❖ الاعراب ❖

ما في قوله ما منعك مرفوع الموضع والمعنى اي شيء منعك ولا ملغى في قوله الاتسجد المعنى ما منعك ان تسجد ومثله قوله سبحانه لئلا يعلم ومعناه لأن يعلم وقال الشاعر

أبي جوده لا البخل واستعجلت به نعم من فتى لا يمنع الجود قائله

قالوا معناه ابي جوده البخل وقال ابو عمرو بن العلاء الرواية ابي جوده لا البخل بالجور والمعنى ابي جوده لا التي تبخل الانسان قال الزجاج وروى فيه وجه آخر حسنا وهو أن يكون لا غير لغو ويكون البخل منصوبا بدلا من لا والمعنى ابي جوده لا التي هي البخل فكأنه قال ابي جوده البخل وقد قيل إنما دخل لا في قوله إلا تسجد لأن معناه ما دعاك إلى ان لا تسجد او ما احوجك إلى ان لا تسجد

— المعنى —

ثم حكى سبحانه خطابه لآبليس حين امتنع من السجود لآدم بقوله (قال) اي قال الله تعالى (ما منعك ان لا تسجد) اي ما دعاك إلى ان لا تسجد وما اضطرك إليه او ما منعك أن تسجد (إذ أمرتك) بالسجود

لآدم (قال) ابليس (انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) وهذا الجواب غير مطابق لانه كان يجب ان يقول معني كذا لان قوله انا خير منه جواب لمن يقول ايكها خير ولكن فيه معنى الجواب ويجري ذلك مجرى ان يقول القائل لغيره كيف كنت فيقول انا صالح وكان يجب ان يقول كنت صالحا لكنه جاز ذلك لانه افاد انه صالح في الحال مع انه كان صالحا فيما مضى قال ابن عباس اول من قاس ابليس فأخطأ القياس فمن قاس الدين بشيء من رايه قرنه الله بابليس وقال ابن سيرين اول من قاس ابليس وما عبت الشمس والقمر الا بالمقاييس ووجه دخول الشبهة على ابليس انه ظن ان النار اذا كانت اشرف من الطين لم يجوز ان يسجد الاشرف للأدون وهذا خطأ لان ذلك تابع لما يعلم الله سبحانه من مصالح العباد وقد قيل ايضا ان الطين خير من النار لانه اكثر منافع للخلق من حيث ان الارض مستقر الخلق وفيها ما يشتمون ومنها يخرج انواع ارزاقهم والخيرية انما يراد بها كثرة المنافع دون كثرة الثواب لان الثواب لا يكون الا للمكلف المأمور دون الجواد (قال) اي قال الله سبحانه لابليس (فاهبط) اي انزل وانحدر (منها) اي من السماء عن الحسن وقيل من الجنة وقيل معناه انزل عما انت عليه من الدرجة الرفيعة والمنزلة الشريفة التي هي درجة متبعي امر الله سبحانه وحافظي حدوده الى الدرجة الدنيا التي هي درجة العاصين المضيعين امر الله (فايكون لك ان تتكبر) عن امر الله (فيها) اي في الجنة او في السماء فانها ليست بموضع المتكبرين وانما موضعهم النار كما قال اليس في جهنم مثوى للمتكبرين (فاخرج) من المكان الذي انت فيه او المنزلة التي انت عليها (انك من الصاغرين) اي من الأذلاء بالمعصية في الدنيا لان العاصي ذليل عند من عصاه او بالعذاب في الآخرة لان المعذب ذليل وهذا الكلام انما صدر من الله سبحانه على لسان بعض الملائكة عن الجبائي وقيل ان ابليس رأى معجزة تدله على ان ذلك كلام الله وقوله سبحانه فما يكون لك ان تتكبر فيها لا يدل على انه يجوز التكبر في غير الجنة فان التكبر لا يجوز على حال لانه اظهر كبر النفس على جميع الاشياء وهذا في صفة العباد ذم وفي صفة الله سبحانه مدح الا ان ابليس تكبر على الله سبحانه في الجنة فاخرج منها قسرا ومن تكبر خارج الجنة منع من ذلك بالامر والنهي

قوله تعالى (١٤) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يَبْعَثُونَ (١٥) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (١٦) قَالَ فِيمَا آغَاوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٧) ثُمَّ لَأَنْبِتَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (أربع آيات)

-- اللفظة --

الانظار والامهال والتأخير والتأجيل نظائر وبينها فروق وضد الامهال الاعمال والبعث الاطلاق في الأمر والانبعاث الانطلاق والبعث والحشر والنشر والجمع نظائر

✽ الاعراب ✽

لا تعدن جواب القسم والقسم محذوف لان غرضه بالكلام التأكيد وهو ضد قوله ص والقرآن ذي الذكر فانه حذف الجواب هناك وبقي القسم لان الغرض تعظيم المقسم به ونصب صراطك على الحذف دون الظرف وتقديره على صراطك كما قيل ضرب زيد الظهر والبطن اي على الظهر والبطن قال الشاعر

لندن بهز الكف يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الشعلب
وقال آخر

كأنى اذ اسعى لأظفر طائرا مع النجم في جو السماء يصبوب
اي لأظفر على طائر

— المعنى —

(قال) يعنى ابليس (انظرنى) اي امهاني وأخري في الأجل ولا تمنني (الى يوم يبعثون) اي يبعث الخلق من قبورهم للجزاء وقيل معناه أنظرنى في الجزاء الى يوم القيامة فكأنه خاف ان يعاجله الله سبحانه بالعقوبة يدل عليه قوله الى يوم يبعثون ولم يقل الى يوم يموتون ومعلوم ان الله تعالى لا يبيى أحداً حيا الى يوم القيامة قال الكلبي أراد الخبيث ان لا يذوق الموت في النفخة الأولى مع من يموت فأجيب بالانظار الى يوم الوقت المعلوم وهي النفخة الأولى ليذوق الموت بين النفختين وهو اربعون سنة وأما الوجه في مسألة ابليس الانظار مع علمه بأنه مطرود ملعون فعلمه بأنه سبحانه يظاھر الى عباده بالنعم وبعمه بالفضل والكرم فلم يصرفه ارتكابه المعصية عن المسألة والطعم في الإجابة (قال) اي قال الله سبحانه لابليس (انك من المنظرين) اي من المؤخرين (قال) ابليس لما لعنه الله وطرده ثم سأله الانظار فأجابه الله تعالى الى شيء منه (فما اغويتني) اي فبالذي اغويتني قيل في معناه أقوال * أحدها * ان معناه بما خيبتني من رحمتك وجنتك كما قال الشاعر

فمن يلقى خيرا يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما
اي من يحب * وثانيها * ان المراد امتحنتني بالسجود لا دم فنويت عنده فلذلك قال اغويتني كما قال فزادتهم رجسا الى رجسهم * وثالثها * ان معناه حكمت بغوايتي كما يقال أضللتني اي حكمت بضلالتني عن ابن عباس وابن زيد — ورابعها — ان معناه اهلكتني بلغتك اياي كما قال الشاعر
معطفة الاثنا ليس فصيلها برازئها درا ولا ميت غوى

اي ولا ميت هلاكا بالنعوذ عن شرب اللبن ومنه قوله فسوف يلقون غيا اي هلاكا وقالوا غوى الفصيل اذا فقد اللبن فمات والمصدر غوى مقصور — وخامسها — ان يكون الكلام على ظاهره من الغواية ولا يبعد ان يكون ابليس قد اعتقد ان الله تعالى يغوي الخلق بأن يضلهم ويكون ذلك من جملة ما كان اعتقده من الشر (لا تعدن) اي لا تجلسن (لهم) اي لاؤولاد آدم (صراطك المستقيم) اي على طريقك المستوي وهو طريق الحق لأصدهم عنه بالاغواء حتى اصرفهم الى طريق الباطل كيدا لهم وعداوة وقول من قال انه لو كان ما يفعل به الايمان هو بعينه ما يفعل به الكفر لكان قوله فيما اغويتني مساويا لقوله فيما أضللتني يفسد بأن صفة الآلة اذا وقع بها الكفر خلاف صفتها اذا وقع بها الايمان وان كانت الآلة واحدة كما ان السيف واحد ويصلح لأن يستعمل في قتل المؤمن كما يصلح أن يستعمل في قتل الكافر ولا يجب من ذلك ان تكون الصفتان واحدة من أجل انه واحد فلا يمتنع ان يكون متى استعملت آلة الايمان في الضلال والكفر تسمى اغواء وان استعمل في الايمان سميت هداية وان كان ما يصح به الايمان هو بعينه ما يصح به الكفر والضلال (ثم لا تينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شائهم) قيل في ذلك أقوال = أحدها = ان المعنى من قبل دنياهم

وأخرتهم ومن جهة حسناتهم وسيئاتهم عن ابن عباس وقتادة والسدي وابن جريج وتلخيصه اني ازين لهم الدنيا وأخوفهم بالفقر وأقول لهم لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب واثبتهم عن الحسنات واشغلهم عنها وأحب اليهم السيئات وأحثهم عليها قال ابن عباس وإنما لم يقل ومن فوقهم لأن فوقهم جهة نزول الرحمة من السماء فلا سبيل له الى ذلك ولم يقل من تحت ارجلهم لأن الاتيان منه موحش = وثانيها = ان معنى من بين ايديهم وعن أيمانهم من حيث يبصرون ومن خلفهم وعن شمائلهم من حيث لا يبصرون عن مجاهد = وثالثها = ما روي عن ابي جعفر (ع) ثم قال لا تينهم من بين ايديهم معناه أهون عليهم أمر الآخرة ومن خلفهم أمرهم يجمع الأموال والبخل بها عن الحقوق لتبقى لورثتهم وعن ايمانهم أفسد عليهم أمر دينهم بتزيين الضلالة وتحسين الشبهة وعن شمائلهم بتحبيب اللذات اليهم وتغليب الشهوات على قلوبهم وإنما دخلت من في القدام والخلف وعن في اليمين والشمال لأن في القدام والخلف معنى طلب النهاية وفي اليمين والشمال الانحراف عن الجهة (ولا تجد اكثرهم شاكرين) هذا اخبار من ابليس ان الله تعالى لا يجد اكثر خلقه شاكرين وقيل انه يمكن ان يكون قد قال ذلك من أحد وجهين إما من جهة الملائكة بإخبار الله تعالى اياهم وإما عن ظن منه كما قال سبحانه ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فإنه لما استزل آدم ظن ان ذريته ايضا سيحبونه لكونهم أضعف منه والقول الأول اختيار الجبائي والثاني عن الحسن وأبي مسلم

قوله تعالى (١٨) قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ نَبَعَكَ مِنْهُمْ لَأَمَلَانَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (١٩) وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٢٠) فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَا كَمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢١) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (اربع آيات)

✽ القراءة ✽

في الشواذ قراءة الزهري مذموما على تخفيف الهمزة وقرأ ابو جعفر وشيبة سواتها بتشديد الواو وهو قراءة الحسن والزهري وقرأ ابن محبض عن هذي الشجرة

✽ الحجة ✽

الوجه في تخفيف السوات انه يحذف الهمزة ويلقي حركتها على الواو فيقال السوة ومنهم من يقول السوة وهو اردأ اللتين وأما هذي الشجرة فإنه الأصل في الكلمة وإنما الهاء في ذه بدل من الياء في ذي وأما الياء اللاحقة بعد الهاء في هذه ونحوه فزائدة لحقت بعد الهاء تشبيها لها بهاء الاضمار في نحو مررت بهي

✽ اللفظ ✽

الذام والذيم اشد العيب يقال ذامه بذامه ذاما فهو مذوم وذامه يذيم ذيما وذاما فهو مذيم قال الشاعر
صحبتك إذ عيني عليها غشاوة فلما انجلت قطعت نفسي اذيمها
وفي رواية الومها والدحر الدفع على وجه الهوان والاذلال دحره يدحره دحرا ودحورا الوسوسة الدعاء الى أمر بصوت خفي كاهنمة والخشخشة قال روية

وسوس يدعو مخلصاً رب الفلق
وقال الأعشى
سرا وقد أوّٰن تأوين العقق

تسمع للحلى وسواساً إذا انصرفت
كما استعان بريح عشرق زجل
والابداء الاظهار وهو جعل الشيء على صفة ما يصح ان يدرك وضده الاخفاء وكل شيء ازيل عنه
الساتر فقد ابدى والموار اقجعل الشيء وراء ما يستره ومثله المساترة وضده المكاشفة ولم يهمز ووري لأن الثانية
مدة ولولا ذلك لوجب همز الواو المضمومة والسواة الفرج لانه يسوء صاحبه اظهاره واصل القسم من القسمة
قال أعشى بنى ثعلبة

رضيحي لبان ثدي أم تقاسما
بأسحج داج عوض لا نتفرق
والمقاسمة لا تكون الا بين اثنين والقسم كان من ابليس لا من آدم فهو من باب عاقبت اللص وطارقت
النمل وعافاه الله وقيل إن في جميع ذلك معنى المقابلة فالمعاقبة مقابلة بالجزاء وكذلك المعافاة مقابلة المرض
بالسلامة وكذلك المقاسمة مقابلة في المنازعة باليمين والنصح نقيض الغش يقال نصحته انصحته وهو اخلاص
الفاعل ضميره فيما يظهر من عمله

﴿ الاعراب ﴾

لمن تبعك منهم لا ملأن اللام الأولى لام الابتداء والثانية لام القسم ومن للشرط وهو في موضع رفع
بالابتداء ولا يجوز ان يكون هنا بمعنى الذي لأنها لا تنقلب الماضي الى الاستقبال وحذف الجزاء في قوله لمن تبعك
لأن جواب القسم اولى بالذکر من حيث انه في صدر الكلام ولو كان القسم في حشو الكلام لكان الجزاء
أحق بالذکر من جواب القسم كقولك ان تاتي والله اكرمك ويجوز ان تقول والله ان جاءك اضربه بمعنى لا اضربه
ولم يجز بمعنى لا اضربه كما يجوز والله أضرب زيداً بمعنى لا اضرب ولا يجوز بمعنى لا ضربين لأن الايجاب
لا بد فيه من نون التأكيد مع اللام وإنما قال منكم على التغليب للخطاب على الغيبة والمعنى لا ملأن جهنم
منك ومن تبعك منهم كما قاله في موضع آخر وقوله الا ان تكونا تقديره الا كراهة ان تكونا ملكين فحذف
المضاف فهو في موضع نصب بأنه مفعول له وقيل ان تقديره لأن لا تكونا ملكين فحذف لا والأول الصحيح
وقوله اني لكما لمن الناصحين تقديره اني لكما ناصح ثم فسر ذلك بقوله لمن الناصحين ولا يكون قوله لكما
متعلقاً بالناصحين لأن ما في الصلة لا يجوز ان يتقدم على الموصول ومثله قوله وانا على ذلكم من الشاهدين
وانا على ذلكم شاهد وبينه بقوله من الشاهدين

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه ما فعله بإبليس من الإهانة والاذلال وما آتاه آدم من الاكرام والاجلال بقوله (قال
اخرج منها) اي من الجنة أو من السماء أو من المنزل الرفيعة (مذموماً) أي مذموماً عن ابن زيد وقيل معيباً
عن المبرد وقيل مهاناً لعينا عن ابن عباس وقتادة (مدحوراً) أي مطروداً عن مجاهد والسدي (لمن تبعك منهم)
أي من بني آدم معناه من اطاعك واقتدى بك من بني آدم (لا ملأن جهنم منكم) أي منك ومن ذريتك وكفار
بني آدم (أجمعين) وإنما جمعهم في الخطاب لأنه لا يكون في جهنم إلا إبليس وحزبه من الشياطين وكفار الإنس
وضلالهم الذين اتقادوا له وتركوا امر الله لاتباعه (ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) هذا امر بالسكنى
دون السكنون وإنما لم يقل وزوجتك لأن الإضافة إليه قد اغنت عن ذكره وأبانت عن معناه فكان الحذف
احسن لما فيه من الإيجاز من غير اخلال بالمعنى (فكللا من حيث شئتما) أباح سبحانه لهما أن يأكلوا من حيث

شَاءَ أَوْ أَيْنَ شَاءَ أَوْ مَا شَاءَ (ولانقربا هذه الشجرة) بالأكل (فتكونا من الظالمين) أي من الباخسين قوسهم الثواب العظيم وقد مضى تفسير هذه الآية مشروحا في سورة البقرة (فوسوس لها) أي لآدم وحواء (الشيطان) الفرق بين وسوس إليه ووسوس له أن معنى وسوس إليه أنه التقى إلى قلبه المعنى بصوت خفي ومعنى وسوس له أنه أوهمه النصيحة له في ذلك (ليبدي لها) أي ليظهر لها (ما ووربي) أي ستر (عنهما من سواتهما) أي عوراتهما وهذا الظاهر يوجب أن يكون ابليس علم أن من أكل من هذه الشجرة بدت عورته وأن من بدت عورته لا يترك في الجنة فاحتال في اخراجهما منها بالوسوسة (وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة) أي عن أكل هذه الشجرة (إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين) والمعنى أنه أوهمهما انهما إذا أكلا من هذه الشجرة تغيرت صورتها إلى صورة الملك وأن الله تعالى قد حكم بذلك وبأن لا تبدي حياتهما إذا أكلا منها وروي عن يحيى بن ابي كثير أنه قرأ ملكين بكسر اللام قال الزجاج قوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى بدل على الملكين واحسبه قد قرأ به ويحتمل أن يكون المراد بقوله إلا أن تكونا ملكين انه أوهمهما ان المنهي عن تناول الشجرة الملائكة خاصة والخالدين دونها فيكون كما يقول احدنا لغيره ما نهيت عن كذا إلا أن تكون فلانا وإنما يريد أن المنهي إنما هو فلان دونك وهذا المعنى او كد في الشبهة واللبس عليها ذكره المرتضى قدس الله روحه (وقاسمها) أي وحلف لها بالله تعالى حتى خدعها عن فتادة (إني لكما لمن الناصحين) أي المخلصين النصيحة في دعائكما إلى التناول من هذه الشجرة ولذلك تأكدت الشبهة عندهما إذ ظنا أن أحدا لا يقدر على اليمين بالله تعالى إلا صادقا فدعاهما ذلك إلى تناول الشجرة واستدل جماعة من المعتزلة بقوله إلا أن تكونا ملكين على أن الملائكة أفضل من الأنبياء قالوا لأن ابليس رغبهما بالتناول من الشجرة في منزلة الملائكة حتى تناولوا ولا يجوز أن يرغب عاقل في أن يكون على منزلة دون منزلته فيحمله ذلك على معصية الله وأجاب عنه المرتضى بأن قال ما انكرتم أن تكون الآية محمولة على الوجه الثاني الذي ذكرناه دون أن يكون معناها أن ينقلبا إلى صفة الملائكة وإذا كانت الآية محتملة لما ذكره أيضا فمما يرفع هذه الشبهة أن يقال ما انكرتم أن يكونا رغبا في أن ينقلبا إلى صفة الملائكة وخالقتهم لما رغبهما ابليس في ذلك ولا تدل هذه الرغبة على ان الملائكة افضل منها فإن الثواب إنما يستحق على الطاعات دون الصور والهيئات ولا يمتنع ان يكونا رغبا في صور الملائكة وهياتها ولا يكون ذلك رغبة في الثواب ولا الفضل الا ترى انهما رغبا في أن يكونا من الخالدين وليس الخلود مما يقتضي مزبة في الثواب ولا الفضل

قوله تعالى (٢٢) فدلها بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين (٢٣) قالوا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم نغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين (٢٤) قال أهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين (٢٥) قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون (أربع آيات)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم تخرجون بفتح التاء هاهنا وفي الروم والزخرف والجمالية لا يخرجون منها بفتح الياء ووافقهم يعقوب وسهل هاهنا وابن ذكوان هاهنا وفي الزخرف وقرأ الباقون جميع ذلك بضم التاء والياء

— الحجة —

من قرأ بالفتح فحجته اتفاق الجميع في قوله إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون بفتح التاء وقوله إلى ربهم ينسلون يؤيده أيضا وقوله كما بدأكم تعودون ومن قرأ بالضم فحجته قوله ابعدهم إنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما إنكم مخرجون وقوله كذلك نخرج الموتى

— اللغة —

دلاهما قيل اصله من تدلية الدلو وهو ان ترسلها في البئر والغرور اظهار التصحيع ابطن الغش واصل الغرطي الثوب يقال اطوه على غره اي على كسر طيه فالغرور بمنزلة لما فيه من اظهار حال واخفاء حال وطفق يفعل كذا بمعنى جعل يفعل ومثله ظل يفعل وابتدأ يفعل واخذ يفعل والخصف اصله الضم والجمع ومنه خصف النعل والمخصف المثقب الذي يخصف به النعل ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله لكنه خاضع النعل في الحجره يعني عليا (ع) والاخصاف سرعة العدو لانه يقطعه بسرعة والبعض هو احد قسمي العدة فاحد قسمي العشرة بعضها واحد قسمي الاثنيين كذلك ولا بعض للواحد لأنه لا ينقسم قال علي بن عيسى العدو هو النائي بنصرته في وقت الحاجة إلى معونته والولي هو الداني بنصرته في وقت الحاجة اليها والمستقر هو موضع الاستقرار وهو أيضا الاستقرار بعينه لان المصدر يجيء على وزن المفعول والمتاع الانتفاع بما فيه عاجل للاستلذاذ والحين الوقت قصيرا كان او طويلا ولا انه استعمل هنا على طول الوقت وليس بأصل فيه

* المعنى *

(فدلاهما بغرور) اي اوقعهما في المكره بأن غرهما بيمينه وقيل معناه دلاهما من الجنة إلى الأرض وقيل معناه خدلهما وخلاههما من قولهم تدلى من الجبل او السطح إذ انزل إلى جهة السفلى عن اي عبيدة اي حطهما عن درجتهما بغروره (فلما ذاقا الشجرة) اي ابتداء بالاكل ونالا منها شيئا يسيرا ولذلك اتى بلفظة ذاقا عبارة عن انهما تناولا شيئا قليلا من ثمرة الشجرة على خرف شديد لأن الذوق ابتداء الاكل والشرب ليعرف الطعم وفي هذا دلالة على ان ذوق الشيء المحرم يوجب الظم فكيف استيفاءه وقضاء الوطرنه (بدت لهما سرايتها) اي ظهرت لهما عوراتهما ظهر لكل واحد منهما عورة صاحبه قال الكلابي فلما اكلا منها تهافت لباسهما عنهما فأبصر كل واحد منهما سرايتها صاحبه فاستحيا (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) اي اخذا يجعلان ورقة على ورقة ليسترا سرايتهما عن الزجاج وقيل معناه جملا يرقعان ويصلان عليهما من ورق الجنة وهو ورق التين حتى صار كهينة الثوب عن قتادة وهذا إما كان لأن المصاحبة اقتضت اخراجهما من الجنة واهباطهما إلى الأرض لاعلى وجه العقوبة فان الانبياء لا يستحقون العقوبة وقد مضى الكلام فيه في سورة البقرة (وناداهما ربهما ألم انهكما عن تلكما الشجرة) اي عن تلك الشجرة لكنه لما خاطب اثنين قال تلكما والكاف حرف الخطاب (وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين) ظاهر المعنى (قالا) اي قال آدم وحواء عاتبهما الله سبحانه ووبخهما على ارتكاب المنهي عنه (ربنا ظلمنا انفسنا) ومعناه نجسناها الثواب بترك المندوب اليه فالظلم هو النقص ومن ذهب إلى انهما فعلا صغيرة فإنه يحمل الظلم على تنقيص الثواب إذا كانت الصغيرة عنده تنقص مسن ثواب الطاعات فأما من قال ان الصغيرة تقع مكفرة من غير ان تنقص من ثواب فاعلم شيئا فلا يتصور هذا المعنى عنده ولا يثبت في الآية فائدة ولا خلاف أن حوا وادم لم يستحقا العقاب وإنما قالا ذلك لأن من جل في الدين قدمه كثر على يسير الزل ندمه وقيل معناه ظلمنا انفسنا بالترؤل إلى الأرض ومفارقة العيش الرغد (وإن لم تغفر لنا) معناه وإن لم تستر علينا لأن المغفرة هي الستر على ما تقدم بيانه (وترحمنا) أي ولم تفضل علينا بنعمتك التي يتم بها ما فرتناه نفوسنا من الثواب وبضروب فضلك (لنكونن من الخاسرين) أي من جملة من خسروا ولم يربحوا والانسان يصح أن يظلم نفسه بأن

يدخل عليها ضرراً غير مستحق فلا يدفع عنها ضرراً عظيماً منه ولا يجتلب به منفعة توفي عليه ولا يصح أن يكون معاقباً لنفسه (قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين) قد مر تفسيره في سورة البقرة قال الله تعالى (فيها تحيون) أي في الأرض تعيشون (وفيها تموتون ومنها تخرجون) عند البعث يوم القيامة قال الجبائي في الآية دلالة على أن الله سبحانه يخرج العباد يوم القيامة من هذه الأرض التي حيوا فيها بعد موتهم وأنه يفنيها بعد أن يخرج العباد منها في يوم الحشر وإذا أراد افناءها زجرهم عنها زجرة فيصبرون إلى أرض أخرى يقال لها الساهرة وتفنى هذه كما قال فإذا هم بالساهرة

قوله تعالى (٢٦) يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِّنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٢٧) يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٨) وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ عَلَىٰ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (ثلاث آيات)

✽ القراءة ✽

قرأ أهل المدينة وابن عامر والكسائي ولباس بالنصب والباقون بالرفع

✽ الحجة ✽

قال أبو علي أما النصب فلأنه حمل على أنزل أي أنزلنا عليكم لباساً ولباس التقوى وقوله ذلك على هذا مبتدأ وخبره خير ومن رفع فقال ولباس التقوى قطع اللباس من الأول واستأنف به فجعله مبتدأ وذلك صفة أو بدل أو عطف بيان ومن قال إن ذلك لغو لم يكن على قوله دلالة لأنه يجوز أن يكون على أحدهما ذكرنا وخبر خبر اللباس والمعنى لباس التقوى خير لصاحبه إذا أخذ به واقرب له إلى الله تعالى مما خالق له من اللباس والرياش الذي يتجمل به واضيف اللباس إلى التقوى كما اضيف في قوله فأذاقها الله لباس الجوع إلى الجوع والخوف

✽ اللغة ✽

اللباس كل ما يصلح للباس من ثوب أو غيره من نحو الدرع وما يغشى به البيت من نطم أو كسوة وأصله المصدر تقول لبسه يلبسه لبسا ولباسا ولبسا بكسر اللام قال الشاعر

فلما كشفن اللبس عنه مسحته بأطراف طفل زان غيلا موشما

والغيل الساعد الريان المعتلى والريش والاثاث متاع البيت من فراش أو دثار وقيل الريش ما فيه الجبال ومنه ريش الطائر وقيل انه المصدر من راشه يريشه ريشا وانشد سيبويه

ريشي منكم وهو اي معكم وإن كانت زيارتكم لمأما

قال الزجاج الريش كل ما يستر الرجل في جسمه ومعيشته يقال تريش فلان أي صار له ما يعيش به وتقول العرب اعطيته رجلا بريشه أي بكسوته وقال أبو عبيدة الريش والرياش ما ظهر من اللباس والفتنة الابتلاء والامتحان يقال فتنه الذهب بالنار امتحنته وقلب فتنه أي مقتون قال الشاعر

رخيم الكلام قطيع القيام امسى فواد يعبها فائنا

القبيل الجماعة من قبائل شتى فلماذا كانوا من اب وام واحد فهم قبيلة

✽ المعنى ✽

لما ذكر سبحانه نعمته على بني آدم في تبوئته الدار والمستقر عقبه بذكر النعمة في الملابس والستر فقال (يا بني آدم) وهو خطاب عام لجميع اهل الازمنة من المكلفين كما يوصي الانسان واده وولد ولده بتقوى الله ويجوز خطاب المعلوم إذا كان من المعلوم انه سيوجد ويتكامل فيه شروط التكليف (قد أنزلنا عليكم لباساً) قيل انه انزل ذلك مع آدم وحوا حين امرا بالانهايط عن الجبائي وهو الظاهر وقيل معناه انه ينبت بالمطر الذي ينزل من السماء عن الحسن وقيل لأن البر كانت ينسب إلى انها تأتي من السماء كقوله وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد عن علي بن عيسى وقيل معنى أنزلنا عليكم اعطيناكم ووهبنا لكم وكل ما اعطاه الله تعالى لعبده فقد انزله عليه ليس ان هناك علوا وسفلا ولكنه يجري مجرى التعظيم كما يقال رفعت حاجتي إلى فلان ورفعت قضيتي إلى الأمير عن ابي مسلم وقيل معناه خلقنا لكم كما قال وأنزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وأنزلنا الحديد عن ابي علي الفارسي (يواري سواآتكم) أي يستر عوراتكم (وريشا) اي أثاثا مما تحتاجون اليه وقيل مالا عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقيل جمالا عن ابن زيد وقيل خصبا ومعاشا عن الأخفش وقيل خيرا وكل ما قاله المفسرون فإنه يدخل فيه إلا ان كلا منهم خص بعض الخير بالذكر (ولباس التقوى) هو العمل الصالح عن ابن عباس وقيل هو الحياء الذي يكسيكم التقوى عن الحسن وقيل هو ثياب النسك والتواضع إذا اقتصر عليه كلباس الصوف والحشن من الثياب عن الجبائي وقيل هو لباس الحرب الصدر المعفر والآلات التي يتقى بها من العدو عن زيد بن علي بن الحسين (ع) وابي مسلم وقيل هو خشية الله تعالى عن عروة بن الزبير وقيل هو ستر العورة يتقى الله فيواري عورته عن ابن زيد وقيل هو الايمان عن قتادة والسدي ولا مانع من حمل ذلك على الجميع (ذلك خير) اي لباس التقوى خير من جميع ما يلبس (ذلك من آيات الله) أي ذلك الذي خلقه الله وانزله من حجج الله التي تدل على توحيد (المعلم يذكرون) معناه لكي يتفكروا فيها فيؤمنوا بالله ويصيروا إلى طاعته وينتهوا عن معاصيه ثم خاطبهم سبحانه مرة اخرى فقال (يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان) أي لا يضلنكم عن الدين ولا يصرفنكم عن الحق بأن يدعركم إلى المعاصي التي تميل اليها النفوس وإنما صح أن ينهي الانسان بصيغة النهي للشيطان لأنه ابلغ في التحذير من حيث يقتضي انه يطلبنا بالمكروه ويقصدنا بالعداوة فالنهي له يدخل فيه النهي لنا عن ترك التحذير منه (كما اخرج ابيكم من الجنة) نسب الاخراج اليه لما كان باغوائه وإن كان خروجهما بأمر الله تعالى وجرى ذلك مجرى ذمه لفرعون بأنه يذبح ابتاعهم واوغا امر بذلك وتحقيق الذم فيها راجع إلى فعل المذموم ولكنه يذكر بهذه الصفة لبيان منزلة فعله في عظم الفاحشة (يتزع عنها) عند وسوسته ودعائه لهما (لباسهما) من ثياب الجنة وقيل كان لباسها الظفر عن ابن عباس اي كان شبه الظفر وعلى خلقته وقيل كان لباسها نورا عن وهب بن منبه (ليريهما سواآتكما) عوراتهما (انه) يعني الشيطان (يراكم هو وقبيله) اي نسله عن الحسن وابن زيد يدل عليه قوله اقتنذونه وذريته اولياء من دوني وقيل جنوده واتباعه من الجن والشياطين (من حيث لا ترونهم) قال ابن عباس إن الله تعالى جعلهم مجرون من بني آدم مجرى الدم وصدور بني آدم مساكن لهم كما قال الذي يوسوس في صدور الناس فهم يرون بني آدم وبنو آدم لا يرونهم قال قتادة والله ان عدوا يراك من حيث لا تراه لشديد المؤنة إلا من عصم الله وإنا قال ذلك لاننا إذا كنا لا نراهم لم نعرف قصدهم لنا بالكيد والاعواء فينبغي أن نكون على حذر فيما نجد في انفسنا من الوسوس خيفة أن يكون ذلك من الشيطان وإنما لا يراهم البشر لأن اجسامهم شفافة لطيفة تحتاج رؤيتها إلى فضل شعاع وقال ابو الهذيل وابو بكر بن الأخشيد يجوز أن يكتمهم الله تعالى فيتكشفوا فيراهم حينئذ من يحضهم واليه ذهب علي بن عيسى وقال انهم مكنون من ذلك وهو الذي نصره الشيخ المفيد أبو عبد الله رحمه الله قال الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه وهو الأقوى

عندي وقال الجبائي لا يجوز أن يرى الشياطين والجن لأن الله عز اسمه قال لا ترونها وانما يجوز ان يروا في زمن الانبياء بأن يكشف الله اجسادهم على الانبياء كما يجوز أن يرى الناس الملائكة في زمن الانبياء (إنا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون) أي حكمنا بذلك حكماً باطلاً وإنما خص الذين لا يؤمنون تنبيهاً على أنهم مع الذين هم عباد الرحمن انما أي حكموا بذلك حكماً باطلاً وإنما خص الذين لا يؤمنون تنبيهاً على أنهم مع اجتهادهم لا يتمكنون من خيار المؤمنين المتيقظين منهم وانما يتمكنون من الكفرة والجهال والفسقة الاغفال (وإذا فعلوا فاحشة) كنى به عن المشركين الذين كانوا يبدون سواتهم في طوافهم فكان يظوف الرجال والنساء عراة يقولون نظرف كما ولدتنا امهاتنا ولا نظرف في الثياب التي قارفنا فيها الذنوب وهم الحمس قال الفراء كانوا يعملون شيئاً من سيور مقطعة يشدونهم على حقوبهم يسمى حوفاً ولون عمل من صوف يسمى رهطاً وكانت تضع المرأة على قبلها النسعة فتقول

اليوم يبدو بعضه او كله وما بدا منه فلا احله

يعني الفرج لان ذلك يستتر سترًا تاماً وفي الآية حذف تقديره وإذا فعلوا فاحشة فنهرا عنها (قالوا وجدنا عليها اباؤنا) قيل ومن أين اخذها اباؤكم قالوا (الله امرنا بها) اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار انهم إذا فعلوا ما يعظم قبحه اعتذروا لنفوسهم إنا وجدنا اباؤنا يفعلونها وان اباؤهم فعلوا ذلك من قبل الله وقال الحسن انهم كانوا اهل اجبار فقالوا لو كره الله ما نحن عليه لنقلنا عنه فهذا قالوا والله امرنا بها فرد الله سبحانه عليهم قولهم بأن قال (إن الله لا يأمر بالفحشاء) ثم انكر عليهم من وجه آخر فقال (اتقولون على الله ما لا تعلمون) لأنهم إن قالوا لنقضوا مذهبهم ولون قالوا نعم افتضحوا في قراهم قال الزجاج اتقولون على الله معناه اتكذبون عليه

قوله تعالى (٢٩) قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٣٠) فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهم مُهْتَدُونَ (آيتان) تمام الآية الأولى تعودون عند الكوفي ومخلصين له الدين عند البصري

اللغة

اصل القسط العدل فإذا كان على جهة الحق فهو عدل ومنه قوله ان الله يحب المقسطين وإذا كان الى جهة الباطل فهو جور ومنه قوله وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً واصل الاخلاص اخراج كل شائب من الجنس ومنه اخلاص الدين لله وهو توجيه العبادة اليه خالصاً دون غيره والبدا فعل الشيء أول مرة والعود فعله ثاني مرة وقد يكون فعل أول خصلة منه بد. كبد. الصلاة وبد. القراءة وبدأ وابتداً لفتان والفريق جماعة انفصلت من جماعة والاتخاذ افتعال من الأخذ بمعنى اعداد الشيء لأمر من الأمور والحسبان بمعنى الظن وهو ما قوى عند الظان كون المظنون على ما ظنه مع تجريزه ان يكون على غيره فبالقوة يتميز من اعتقاد التقليد والتبخيت والتجريز يتميز من العلم لأن مع العلم القطع

الإعراب

وأقيموا عطف على ما تقدم من قوله لا يفتننكم الشيطان فتقديره احذروا الشيطان وأقيموا وجوهكم عن أبي مسلم وقيل ان تقديره أمر ربي بالقسط وقل أقيموا وقوله كما بدأكم قال ابو علي الفارسي تقديره كما بدأ خلقكم ثم حذف المضاف وتعودون معناه ويعود خلقكم ثم حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فصار المخاطبون فاعلين وفريقاً حق عليهم الضلالة نصبه ليعطف فعلاً على فعل وتقديره وفريقاً أضل فأضمر أضل لأنه

قد فسره ما بعده فاغني عن ذكره ونظيره قوله يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما وقال الفراء فريقا منصوب على الحال من تعودون وفريقا الثاني عطف عليه واورفع على تقدير احدهما كذا والآخر كذا لجاز كما قال قد كان لكم آية في فئتين التقتا فتمت تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة

— المعنى —

لما بين سبحانه انه لا يأمر بالفحشاء وهو اسم جامع لجميع الخيرات فقال (قل) يا محمد (أمر ربي بالقسط) اي بالعدل والاستقامة عن مجاهد والسدي واكثر المفسرين وقيل بالتوحيد عن الضحاك وقيل بلا إله إلا الله عن ابن عباس وقيل بجميع الطاعات والقرب عن النبي مسلم (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) قيل فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ ان معناه توجهوا الى قبلته كل مسجد في الصلاة على استقامة عن مجاهد والسدي وابن زيد ﴿ وثانيها ﴾ ان معناه أقيموا وجوهكم الى الجهة التي أمركم الله بالتوجه اليها في صلاتكم وهي الكعبة والمراد بالمسجد اوقات السجود وهي اوقات الصلاة عن الجبائي وغيره ﴿ وثالثها ﴾ ان المراد اذا ادركتم الصلاة في مسجد فصلوا ولا تقولوا حتى ارجع الى مسجدي والمراد بالمسجد موضع السجود عن الفراء وهو اختيار المغربي ﴿ ورابعها ﴾ ان معناه اقصوا المسجد في وقت كل صلاة أمر بالجماعة لها ندبا عند الاكثرين وحتمنا عند الاقلين ﴿ وخامسها ﴾ ان معناه اخلصوا وجوهكم لله تعالى في الطاعة فلا تشركوا به وثنا ولا غيره عن الربيع (وادعوه مخلصين له الدين) وهذا امر بالدعاء والتضرع اليه سبحانه على وجه الاخلاص اي ارغبوا اليه في الدعاء بعد اخلاصكم له الدين وقيل معناه وادعوه مخلصين له الدين (كما بدأكم تعودون) قيل في وجه اتصاله بما قبله وجوه - احدها - ان معناه وادعوه مخلصين فان كنتم مبعوثون ومجازون وان بعد ذلك في عقولكم فاعتبروا بالابتداء واعلموا انه كما بدأكم في الخلق الأول فإنه يبعثكم فتعودون اليه في الخلق الثاني - وثانيها - انه يتصل بقوله فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون فقال كما بدأكم تعودون اي فليس بعشكم بأشد من أبتدائكم عن الزجاج قال وانما ذكره على وجه الحجاج عليهم لأنهم كانوا لا يقرون بالبعث - وثالثها - انه كلام مستأنف اي يعيدكم بعد الموت فيجازيكم عن النبي مسلم قال قتادة بدأكم من التراب واليه تعودون كما قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم وقيل معناه كما بدأكم لا تكونون شيئا كذلك تبعثون يوم القيامة ويروى عن النبي (ص) انه قال تحشرون يوم القيامة عراة حفاة غبرا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين وقيل معناه تبعثون على ما تمتم عليه المؤمن على ايمانه والكافر على كفره عن ابن عباس وجابر (فريقا) اي جماعة (هدى) اي حكم لهم بالاهتداء بقبولهم للهدى او لطف لهم بما اهدوا عنده او هداهم الى طريق الشواب كما تكرر بيانه في مواضع (وفريقا حق) اي وجب عليهم الضلالة) اذ لم يقبلوا الهدى او حق عليهم الخذلان لأنه لم يكن لهم لطف ينشرح له صدورهم او حق عليهم العذاب والهلاك بكفرهم ويؤيدها القول الأخير انه سبحانه ذكر الهدى والضلال بعد العود والبعث ثم قال (انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله) بين سبحانه انه لم يبدأهم بالعقوبة ولكن جازاهم على عصيانهم واتباعهم الشيطان وإنما اتخذوهم اولياء بطاعتهم لهم فيما دعوهم اليه (ويحسبون انهم مهتدون) ومعناه وهم مع ذلك يظنون انهم في ذلك على هداية وحق

قوله تعالى (٣١) يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣٢) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (آيتان)

* القراءة *

قرأ نافع وحده خالصة بالرفع والباقون بالنصب

* الحجة *

قال ابو علي من رفعه جعله خير المبتدأ الذي هو هي ويكون للذين آمنوا تبييناً للخلوص ولا شيء فيه على هذا ومن قال هذا حلو حامض امكن أن يكون للذين آمنوا خيراً وخالصة خير آخر ومن نصب خالصة كان حالاً بما في قوله للذين آمنوا الا ترى ان فيه ذكراً يعود الى المبتدأ الذي هو هي فخالصة حال عن ذلك الذكر والعامل في الحال ما في اللام من معنى الفعل وحجة من رفع ان المعنى هي تخلص للذين آمنوا يوم القيامة وان شر كهم فيها غيرهم من الكافرين في الدنيا ومن نصب فالمعنى عنده ثابتة للذين آمنوا في حال خلوصها يوم القيامة لهم وانتصاب خالصة على حال اشبه بقوله ان المتقين في جنات وعيون آخذين ونحو ذلك مما انتصب الاسم فيه على الحال بعد الابتداء وخبره وما يجري مجراه اذا كان فيه معنى فعل قال الزجاج من نصب خالصة فهو حال على ان العامل في قولك في الحياة الدنيا في تأويل الحال كأنك تقول هي ثابتة للمؤمنين مستقرة في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة قال ابو علي قوله في الحياة الدنيا يحتمل ثلاثة اضرب ﴿﴾ احدها ﴿﴾ ان يكون قل هي في الحياة الدنيا للذين آمنوا خالصة على ان يكون خبر هي قوله للذين آمنوا ويكون في الحياة الدنيا ظرفاً والعامل فيه الظرف الذي هو قوله للذين آمنوا والتقدير هي في الحياة الدنيا للمؤمنين مقدار خلوصها يوم القيامة ففي هذا الوجه يجوز تقديرها مقدمة على اللام الجارة لأنه ظرف للذين آمنوا والظروف وان كان العامل فيها المعاني فإذن تقديرها عليها جائز وان لم يجز ذلك في الاحوال ويحتمل ان يكون قوله في الحياة الدنيا متصلاً بالصلة التي هي آمنو وهي العاملة فيه والمعنى هي للذين آمنوا في حياتهم اي للذين آمنوا لم يكفروا فيها خالصة فموضع في على هذا نصب بآمنوا ويجوز ان يكون في الحياة الدنيا في موضع حال وصاحب الحال هو هي والعامل في الحال معنى الفعل وهو قوله للذين آمنوا والمعنى قل هي لهم مستقرة في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ولا يجوز في هذا الوجه ولا في الوجه الذي قبله تقدير تقديم في الحياة على قوله للذين آمنوا اما في الوجه الأول فلأن قوله في الحياة صلة الذين ولا يجوز تقديم الصلة على الموصول وأما في الوجه الآخر فلأنه في موضع الحال والحال لا يجوز تقديرها اذا كان العامل فيها معنى الفعل وهذا الوجه الثالث ذكره ابو اسحاق واما قراءة من قرأ خالصة بالنصب جعله منصوباً على الحال على ان العامل في قوله في الحياة الدنيا على تأويل الحال الى آخر كلامه فينبغي ان تعلم ان من نصب خالصة في قراءة جاز ان يكون في الحياة الدنيا ظرفاً للذين آمنوا والعامل فيه معنى الفعل وجاز ان يكون متعلقاً بآمنوا وظرفاً له وجاز ان يكون في موضع الحال كما ذكر فالوجهان الأولان لا يحتاج معهما الى تقدير شيء حتى تعلقه بما قبله اما اذا كان ظرفاً للام الجارة فمعنى الفعل يعمل فيه كما تقول لك، ثوب كل يوم واذا كان من الصلة فنفس الفعل الظاهر يعمل فيه فأما اذا جعلته حالاً فإنه ينبغي ان تقدر فعلاً او اسم فاعل يكون في موضع الحال ويكون في الحياة متعلقاً به ولا يوهنك قول ابى اسحاق الذي ذكرناه انه يانزم ان يقدر قوله في الحياة الدنيا في تقدير الحال لا غير اذا جعلت خالصة منصوباً على الحال فإن الوجهين الآخرين كل واحد منهما مع نصب خالصة على الحال سائغ جائز

- المعنى -

لما تقدم ذكر ما انعم الله سبحانه على عباده من اللباس والرزق أمرهم في أثرها بتناول الزينة والتستر والاقتصاد في المأكل والمشرب فقال (يا بني آدم) وهو خطاب لسائر المكلفين (خذوا زينتكم عند كل مسجد) اي خذوا ثيابكم التي تزينون بها للصلاة والجمعات والاعياد عن ابى جعفر الباقر (ع) وقيل عند كل صلاة روى العياشي باسناده ان الحسن بن علي عليه السلام كان اذا قام الى الصلاة لبس اجود ثيابه فقيل له يا ابن رسول الله لم تلبس

اجود ثيابك فقال ان الله جميل يحب الجمال فأتجمل لربي وهو يقول خذوا زينتكم عند كل مسجد فأحب ان
اللبس اجود ثيابي وقيل معناه خذوا ما تسترون به عوراتكم وانما قال ذلك لأنهم كانوا يتعرون من ثيابهم
للطواف على ما تقدم بيانه وكان يطوف الرجال بالنهار والنساء بالليل فأمرنا بلبس الثياب في الصلاة والطواف عن
جماعة من المفسرين وقيل ان اخذ الزينة هو التمشط عند كل صلاة روي ذلك عن الصادق (ع) (وكلاوا واشربوا)
صورتها صورة الأمر والمراد الإباحة وهو عام في جميع المباحة (ولا تسرفوا) اي لا تجاوزوا الحلال الى الحرام
قال مجاهد لو انفقت مثل احد في طاعة الله لم تكن مسرفا ولو انفقت درهما او مدا في معصية الله لكان اسرافا
وقيل معناه لا تخرجوا عن حد الاستواء في زيادة المقدار وقد حكى ان الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال
ذات يوم لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شي والعالمان علم الأديان وعلم الأبدان
فقال له علي قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه وهو قوله كاوا واشربوا ولا تسرفوا وجمع نبينا (ص)
الطب في قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء واعط كل بدن ما عودته فقال الطبيب ما ترك كتابكم
ولا نبيكم جالينوس طبيا وقيل معناه ولا تأكلوا محرما ولا باطلا على وجه لا يحل وأكل الحرام وان قل اسراف
ومجاوزة للحد وما أستقبه العقلاء وعاد بالضرر عليكم فهو ايضا اسراف لا يحل كمن يطبخ القدر بما الورد
ويطرح فيها المسك وكم لا يملك الا دينارا فاشترى به طيبا فتطيب به وترك عياله محتاجين (انه لا يجب
المسرفين) اي ييغضهم لأنه سبحانه قد ذمهم به ولو كان بمعنى لا ييغضهم ولا ييغضكم لم يكن ذما ولا مدحا ولما
حث الله سبحانه على تناول الزينة عند كل مسجد وندب اليه الأكل والشرب ونهي عن الاسراف وكان قوم
من العرب يحرمون كثيرا من هذا الجنس حتى انهم كانوا يحرمون السمون والالبان في الاحرام وكانوا يحرمون
السواشب والبخائر انكر عز اسمه ذلك عليهم فقال (قل) يا محمد (من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات
من الرزق) اي من حرم الثياب التي تتزين بها الناس مما اخرجها الله من الأرض لعباده والطيبات من الرزق قيل
هي المستلذات من الرزق وقيل هي المحللات والاول اظهر لخلوها يوم القيامة للمؤمنين (قل هي للذين آمنوا
في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) قال ابن عباس يعني ان المؤمنين يشاركون المشركين في الطيبات في الدنيا
فأكلوا من طيبات طعامهم ولبسوا من جيد ثيابهم ونكحوا من صالح نساءهم ثم يخص الله الطيبات في الآخرة
للذين آمنوا وليس للمشركين فيها شي قال الفراء مجازة هي للذين آمنوا مشركة في الدنيا وهي خالصة لهم
في الآخرة وهذا معنى قول ابن عباس وقيل معناه قل هي في الحياة الدنيا للذين آمنوا غير خالصة من الهوموم
والاحزان والمشقة وهي خالصة يوم القيامة من ذلك عن الجبائي (كذلك نفضل الآيات) اي كما نيزلكم الآيات
وندلكم بها على منافعتكم وصلاح دينكم كذلك نفضل الآيات (لقوم يعلمون) وفي هذه الآية دلالة على
جواز لبس الثياب الفاخرة وأكل الأطعمة الطيبة من الحلال وروى العياشي بأسناده عن الحسين بن زيد عن عمه
عمر بن علي عن ابيه زين العابدين بن الحسين بن علي عليهم السلام انه كان يشتري كساء الخبز بجمسين دينارا
فاذا ضاف تصدق به ولا يرى بذلك باسا ويقول قل من حرم زينة الله الآية وبأسناده عن يوسف بن ابراهيم قال
دخلت على ابي عبد الله (ع) وعليه جبة خز وطيلسان خز فنظر الي فقالت جعلت فداك هذا خز ما تقول فيه فقال
وما بأس بالخز قلت فسأله ابراهيم قال لا بأس به فقد أصيب الحسين (ع) وعليه جبة خز ثم قال ان عبد الله بن عباس
لما بعثه أمير المؤمنين (ع) الى الخوارج لبس أفضل ثيابه وتطيب بأطيب طيبه وركب أفضل مراكبه فخرج اليهم
فوافقهم قالوا يا ابن عباس بيننا أنت خير الناس اذ أتيتنا في لباس الجبابة ومراكبهم فتلا هذه الآية قل من حرم
زينة الله الى آخرها فالبس وتجمل فأون الله جميل يحب الجمال وليكن من حلال وفي الآية دلالة ايضا على
ان الاشياء على الإباحة لقوله من حرم فالسمع ورد مؤكدا لما في العقل

قوله تعالى (٣٣) قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ۖ وَالْإِثْمَ ۗ وَالْبَغْيَ ۖ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا ۚ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ (٣٤) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (آيتان)

اللغة

التحريم هو المنع من الفعل بإقامة الدليل على وجوب تجنبه وضده التحليل وهو الاطلاق في الفعل بالبيان على جواز تناوله وأصل التحريم المنع من قولهم حرم فلان الرزق حرمانا فهو محروم واحرم بالحج وحرمة الرجل زوجته والحرمت الجنائيات والمحرم القرابة التي لا يحل تزوجها وحریم الدار ما كان من حقوقها والفواحش جمع فاحشة وهي اقبح القبائح وهي الكبائر والبغي الاستطالة على الناس وحده طلب الرأس بالقهر من غير حق واصله الطلب وينبغي كذا اي هو اولى ان يطلب والسلطان والبرهان والبيان والفرقان نظائر وحدودها تختلف فالبيان اظهار المعنى المنفس كإظهار نقيضه والبرهان اظهار صحة المعنى وافساد نقيضه والفرقان اظهار تميز المعنى مما التبس به والسلطان اظهار ما يتسلط به على نقيض المعنى بالابطال والأمة الجماعة التي يعيها معنى وأصلها من أمه يومه اذا قصده فالأمة الجماعة التي على مقصد واحد والأجل الوقت المضروب لانقضاء المهل لأن بين العقد والأول الذي يضرب لنفس الأجل وبين الوقت الآخر مهلا مثل أجل الدين وأجل الرزق وأجل الوعد وأجل العمر

المعنى

ثم بين سبحانه المحرمات فقال (قل) يا محمد (إنما حرم ربي الفواحش) اي جميع القبائح والكبائر عن الجبائي وايي مسلم (ما ظهر منها وما بطن) اي ما أعلن منها وما خفي وقد ذكرنا ما قيل فيه في سورة الانعام ومعناه لم يحرم ربي الا الفواحش لما قد بينا قبل ان لفظه إنما محققة لما ذكرنا فيه لما لم يذكر فذكر القبائح على الاجمال ثم فصل للبيان فقال (والإثم والبغي) فكأنه قال حرم ربي الفواحش التي منها الإثم ومنها البغي ومنها الاشرار بالله وقيل ان الفواحش هي الزنا وهو الذي بطن منها والتعري في الطواف وهو الذي ظهر منها عن مجاهد وقيل هي الطواف فما ظهر منها طواف الرجال بالنهار وما بطن طواف النساء بالليل والإثم قيل هو الذنوب والمعاصي عن الجبائي وقيل الإثم ما دون الحد عن الفراء وقيل الإثم الحرام عن الحسن وانشد الاخفش

شربت الإثم حتى ضل عقلي كذلك الإثم يذهب بالعقول
وقال آخر

نهانا رسول الله ان تقرب الحنا وان نشرب الإثم الذي يوجب الوزا
والبغي الظلم والفساد وقوله (بغير الحق) تأكيد كقوله ويقتلون النبيين بغير حق وقيل قد يخرج البغي من كونه ظلما اذا كان بسبب جائز في الشرع كالتقصاص (وان شركوا بالله) اي وحرم الشرك بالله (ما لم ينزل به سلطانا) اي لم يتم عليه حجة وكل اشراك بالله فهو بهذه الصفة ليس عليه حجة ولا برهان (وان تقولوا على الله ما لا نعلمون) اي وحرم القول على الله بغير علم ثم بين تعالى ما فيه تسلية النبي صلى الله عليه وسلم في تأخير عذاب الكفار فقال (ولكل أمة أجل) اي لكل جماعة واهل عصر وقت لاستئصالهم عن الحسن

ولم يقل لكل احد لأن ذكر الأمة يقتضي تقارب اعمار أهل العصر ووجه آخر وهو انه يقتضي اهلاكم في الدنيا بعد اقامة الحججة عليهم بإتيان الرسل وقال الجبائي المراد بالأجل هنا اجل العمر الذي هو مدة الحياة وهذا اقوى لأنه يعم جميع الأمم (فإذا جاء اجلهم لا يستأخرون) اي لا يتأخرون (ساعة) عن ذلك الوقت (ولا يستقدمون) اي لا يتقدمون ساعة على ذلك الوقت وقيل معناه لا يطلبون التأخر عن ذلك الوقت الأياس عنه ولا يطلبون التقدم عليه ومعنى جاء اجلهم قرب اجلهم كما يقال جاء الصيف اذا قارب وقته

قوله تعالى (٣٥) يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ
اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٦) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا
عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (آيتان)

✽ الاعراب ✽

اما اصله ان الجزاء دخلت عليه ما ولدخولها دخلت النون الثقيلة في يأتيكم ولو قال ان يأتيكم لم يميز وقد شرحنا هذا في سورة البقرة وبيناه وقال سيويه ان حتى واما والا لا يجوز فيهن الإمالة لأن هذه الألفات الزمت الفتح لأنها اواخر حروف جاءت لمعنى ففصل بينها وبين اواخر الاسماء التي فيها الألف نحو حبلى وهدى الا ان حتى كتبت بالياء لأنها على اربعة احرف فاشبهت سكرى واما التي للتخيير شبهت بأن التي ضمت اليها ما فكتبت بالالف والا كتبت بالالف لأنها لو كتبت بالياء لاشبهت الى

✽ المعنى ✽

لما تقدم ذكر النعم الدنيوية عقبه بذكر النعم الدينية فقال (يا بني آدم) هو خطاب يعم جميع المكلفين من بني آدم من جاءه الرسول منهم ومن جاز ان يأتيه الرسول معطوف على ما تقدم (اما يأتيكم) اي ان يأتيكم (رسل منكم) اي من جنسكم (يقصون عليكم آياتي) اي يعرضونها عليكم ويخبرونكم بها (فمن اتقى) انكار الرسل والآيات (واصلاح) عمله وقيل فمن اتقى المعاصي واجتنبها والتقوى اسم جامع لذلك وتقديره فمن اتقى منكم واصلاح (فلا خوف عليهم) في الدنيا (ولا هم يحزنون) في الآخرة (والذين كذبوا بآياتنا) اي حججنا (واستكبروا عنها) اي عن قبولها (اولئك اصحاب النار) الملازمون لها (هم فيها خالدون) باقون فيها على وجه الدوام والتأييد

قوله تعالى (٣٧) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ
يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (آية)

✽ اللفظة ✽

النيل وصول النفع الى العبد اذا اطلق فإن قيد وقع على الضرر لأن اصله الوصول الى الشيء من نلت انال نيلا قال امرؤ القيس

ذا ونائل ذا إذا صحا

سماحة ذا وبر ذا ووفاء

وإذا سكر والتوفي قبض الشيء بتمامه يقال توفيته واستوفيته

— المعنى —

ثم ذكر سبحانه وعيد المكذبين فقال (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) اي لا احد اظلم منه صورته صورة الاستفهام والمراد به الاخبار وانما جاء بلفظ الاستفهام ليكون ابلغ (او كذب بآياته) الدالة على توحيد ونبوة رسله (اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) اي من العذاب الا انه كنى عن العذاب بالكتاب لأن الكتاب ورد به كقوله لقد حقت كلمة العذاب على الكافرين عن الحسن وابي صالح وقيل معناه ينالهم نصيبهم من العمر والرزق وما كتب لهم من الخير والشر فلا يقطع عنهم رزقهم بكفرهم عن الربح وابن زيد وقيل ينالهم جميع ما كتب لهم وعليهم عن مجاهد وعطية (حتى اذا جاءتهم رسلنا) يعني الملائكة اي حتى اذا استوفوا ارزاقهم وجاءهم ملك الموت مع اعوانه (يتوفونهم) اي يقبضون ارواحهم وقيل معناه حتى اذا جاءتهم الملائكة لحشرهم يتوفونهم الى النار يوم القيامة عن الحسن (قالوا) يعني الملائكة (اين ما كنتم تدعون من دون الله) من الاوثان والاصنام والمراد بهذا السؤال توبيخهم اي هلا دفعوا عنكم ما نزل بكم من العذاب (قالوا) يعني قال الكفار (ضلوا عنا) اي ذهبوا عنا وافتقدناهم فلا يقدر على الدفع عنا وبطلت عبادتنا اياهم (وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين) اي اقروا على نفوسهم بالكفر

قوله تعالى (٣٨) قَالَ ادْخُلُوا فِي اُمَّمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْاِنْسِ فِي النَّارِ كَلِمًا دَخَلَتْ اُمَّةٌ لَعْنَتٌ اُخْتَهَا حَتَّىٰ اِذَا اَدَارَ كُؤُوفَهَا جَمِيعًا قَالَتْ اٰخِرًا اُمَّمٍ اَوْلَا اُمَّمٍ رَبَّنَا هُوَ اَوْلَا اُمَّمٍ فَاسْتَلَمْنَا عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ (٣٩) وَقَالَتْ اَوْلَا اُمَّمٍ لَآخِرًا اُمَّمٍ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون (آيتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو بكر لا يعلمون بالياء والباقون بالتاء

﴿ الحجة ﴾

وجه القراءة بالياء انه حمل الكلام على كل لانه وان كان للمخاطبين فهو اسم ظاهر موضوع للغيبة

فحمل على اللفظ دون المعنى

﴿ اللفظة ﴾

الخلو انتفاء الشيء عن مكانه يقال خلا عن البيت وكذلك خلت بمعنى مضت لأنها اذا مضت بالهلاك فقد خلا مكانها منها الجن جنس من الحيوان مستترون عن اعين الناس لرقبتهم يقبل عليهم التمرد في افعالهم كما يقبل على الملك افعال الخير والضعف المثل الزائد على مثله فاذا قال القائل اضعف هذا الدرهم فمعناه اجعل معه درهما آخر لا ديناراً وكذلك اذا قال اضعف الاثنين فمعناه اجعلهما اربعة وحكي ان المضعف في كلام العرب ما كان ضعفين والمضاعف ما كان اكثر من ذلك وادار كوا اصله تدار كوا

فادغمت التاء في الدال واجتلب الف الوصل ليمكن النطق بالساكن الذي بعده ومعناه تلاحقوا

✽ المعنى ✽

(قال ادخلوا) هذه حكاية قول الله تعالى للكفار يوم القيامة وامره لهم بالدخول ويجوز أن يكون اخبارا عن جعله اياهم في جملة اولئك من غير ان يكون هناك قول كما قال كونوا قردة خاسئين والمراد انه جعلهم كذلك (في امم قد خلت) اي في جملة اقوام وجماعات قد مضت (من قبلكم من الجن والانس) على الكفر (في النار) وقيل ان في بمعنى مع اي ادخلوا مع امم كافرة (كلما دخلت امة) من هذه الامم النار (لعت اختها) يعني التي سبقتها إلى النار وهي اختها في الدين لا في النسب يريد انهم يلعنون من كان قبلهم عن ابن عباس وقيل يلعن الاتباع القادة والروساء اذا حصلوا في العذاب بعد ما كانوا يتوادقون في الدنيا يقولون انتم اوردتمونا هذه الموارد فلعنكم الله عن اي مسلم (حتى اذا اداركوا) اي تلاحقوا واجتمعوا (فيها) اي في النار (جميعا) اي كان هذا حالهم حتى اجتمعوا فيها فلما اجتمعوا فيها (قالت آخراهم لا ولاهم) اي قالت آخراهم دخولا النار وهم الاتباع لا ولاهم دخولا وهم القادة والروساء (ربنا هو لا اضلونا) اي شرعوا لنا ان نتخذ من دونك آلهما عن ابن عباس وقيل معناه دعونا إلى الضلال وحملونا عليه ومنعونا عن اتباع الحق قال الصادق عليه السلام يعني ائمة الجور (فآتهم عذابا ضعفا من النار) اي فاعطهم عذابا مضاعفا قال ابن مسعود اراد بالضعف هنا الحيات والافاعي وقيل اراد باحد الضعفين عذابهم على الكفر وبالاخر عذابهم على الاغواء (قال) الله تعالى (لكل ضعف) اي للتابع والمتبوع عذاب مضاعف لانهم قد دخلوا في الكفر جميعا (ولكن لا تعلمون) ايها المضلون والمضلون ما لكل فريق منكم من العذاب (وقالت اولاهم لا خراهم) اي قال المتبوعون للتابعين (فما كان لكم علينا من فضل) اي تغاوت في الكفر حتى تطلبوا من الله ان يزيد في عذابنا وينقص من عذابكم وقيل معناه قالت الامة السابقة للامة المتأخرة ما كان لكم علينا من فضل في الرأي والعقل وقد بانكم ما نزل بنا من العذاب فلم اتبعتمونا وقيل من فضل اي من تخفيف من العذاب (فذوقوا العذاب بما كسبتكم تسبون) من الكفر باختياركم لا باختيارنا لكم

قوله تعالى (٤٠) **إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (٤١) لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (آيَاتان)**

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة والكسائي وخلف لا يفتح بالياء والتخفيف وقرأ ابو عمرو بالتاء والتخفيف وقرأ الباقون بالتاء والتشديد وروي في الشواذ عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والشعبي وابن جبير حتى يلبج الجمل بالضم والتشديد عن سعيد بن جبير في رواية اخرى وعبد الكريم وحنظلة الجمل بالضم والتخفيف وعن ابن عباس ايضا الجمل بضم الجيم وسكون الميم والجمل بضمتين وعن ابن السكيت الجمل بفتح الجيم وسكون الميم

— الحجة —

حجة من قرأ لا تفتح بالتشديد قوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب وحجة من خفف قوله ففتحنا

ابواب السماء واما الجمل بالضم والتشديد والجمل بالتخفيف وكلاهما الجبل الغليظة من القنب وقيل هو جبل السفينة وقيل الجبال المجموعة واما الجمل فيجوز ان يكون جمع جبل فيكون مثل اسد و اسد ووثن ووثن وكذلك المضموم ايضا كأسد ووثن قال ابن جني واما الجمل فيبعد ان يكون مخففا من جبل خلفه الفتحة وان كان قد جاء عنهم قوله

وما كل مبتاع ولو سلف صفقة يراجع ما قد فاته برداد

✽ اللغة ✽

السم بفتح السين وضمها الثقب ومنه السم القاتل لأنه ينفذ بلفظه في مسام البدن حتى يصل الى القلب فينقض بنيته وكل ثقب في البدن لطيف فهو سم وم جمعه سموم وقال الفرزدق

فنفست عن سميه حتى تنفسا وقلت له لا تخش شيئا وراثيا

يريد بسميه ثوبي انفه ويجمع السم القاتل سماما والخياط والمخيط الابرة كالخفاف والملحف والتناع والمنقع والازار والمئزر والقمام والمقرم ذكره الفراء وجهنم اسم من اسماء النار واشتقاقها من الجهومة وهي الغلظ وقيل اخذ من قولهم بشرجهنام اي بعيد قعرها والمهاد الوطاء الذي يفترش ومنه مهد الصبي وقد مهدت له هذا الأمر اي وطأته له والغواشي جمع غاشية وهو كل ما يغشاك اي يسترك ومنه غاشية السرج وفلان يغشى فلانا اي يأتبه ويلاسه

✽ الاعراب ✽

قال ابو علي للنحويين في نحو غواشي وجوابي قولان ✽ احدهما ✽ مذهب سيبويه والخليل وهو ان الياء حذفت حذفاً لا لتقاء الساكنين فلما حذفت الياء انقص الاسم عن الزنة التي كان التنوين يعاقبها ولا يجتمع معها فدخلها وانما حذفت هنا الياء لالتقاء الساكنين كما يحذف حرف اللين في الوقف في نحو والليل اذا يسر وذلك ما كنا نبغ وقد حذفت في الوصل ايضا وكان الذي حسن ذلك الحذف انها قد صارت بمنزلة الحركات لأنها قد صارت عوضاً منها بدلالة تعاقبها وانها تحذف في الموضع الذي تحذف فيه الحركة فلما قوي الحذف فيها وكثر وكان هذا الجمع خارجاً عن الأبنية الاولى وبأنا لزم الحذف والقول الآخر ما حدث السراج عن المبرد عن المازني قال ينظر يونس النحوي وابو زيد والكسائي الى جواربي وبابه فما كان من الصحيح لا يلحقه التنوين لم يلحقه في المعتل وما كان يلحقه التنوين في الصحيح الحقوه في المعتل قال والذي عليه البصريون هو القول الاول

✽ المعنى ✽

ثم عاد الكلام الى الوعيد فقال سبحانه (ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها) اي تكبروا عن قبولها (لا تفتح لهم ابواب السماء) اي لا تفتح ابواب السماء لارواحهم كما تفتح لارواح المؤمنين عن ابن عباس والسدي وقيل لا تفتح لأعمالهم ولدعاتهم عن الحسن ومجاهد وعن ابن عباس في رواية اخرى وروي عن ابي جعفر الباقر عليه السلام انه قال اما المؤمنون فترفع اعمالهم وارواحهم الى السماء فتفتح لهم ابوابها واما الكافر فيصعد بمعله وروحه حتى اذا بلغ الى السماء نادى مناد اهبطوا به الى سجين وهو واد بحضرموت يقال له برهوت وقيل لا تفتح لهم ابواب السماء لدخول الجنة لأن الجنة في السماء عن الجبائي

(ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) أي حتى يدخل البعير في ثقب الابرة والمعنى لا يدخلون الجنة أبداً وسئل ابن مسعود عن الجمل فقال هو زوج الناقة كأنه استجهل من سأله عن الجمل وهذا كما تقول العرب في التباعد للشيء لا أفعل كذا حتى يشيب الغراب وحتى يبيض القار وحتى يوثوب القارطان قال الشاعر

إذا شاب الغراب أتيت أهلي وصار القار كاللبن الحليب
وقال آخر

فرجي الخير وانتظري آيبي إذا ما القارظ العنزى آبا
وتعليق الحكم بما لا يتوهم وجوده ولا يتصور حصوله تأكيد له وتحقيق للباس من وجوده (وكذلك نجزي المجرمين) أي ومثل ما جزينا هؤلاء، نجزي سائر المجرمين المكذبين بآيات الله تعالى (لهم) أي هؤلاء، (من جهنم مهاد) أي فراش ومضجع (ومن فوقهم غواش) مثل قوله لهم من فوقهم ظلال من النار وقيل المراد به لطف والمعنى أن النار محيطية بهم من اعلامهم واسفلهم (وكذلك نجزي الظالمين) قال ابن عباس يرهد الذين اشر كوا به واتخذوا من دونه آلهما

قوله تعالى (٤٢) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٤٣) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنَ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولَ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (آيتان)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر ما كنا لنهتدي بغير واو وكذلك في مصاحف أهل الشام والباقون مع الواو وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي اورثموها مدغمة وكذلك في الزخرف وقرأ الباقر اورثموها غير مدغمة
« الحجة »

قال أبو علي وجه الاستغناء عن حرف العطف أن الجملة متبسة بما قبلها فاغنى التباسها به عن حرف العطف وقد تقدم ذكر أمثاله ومن ترك الإدغام في اورثموها فلتباين المخرجين وكأن الحرفين في حكم الانفصال وإن كانا من كلمة واحدة إلا ترى أنهم لم يدغموها ولو شاء الله ما اقتنلوا وإن كانا مثلين لما لم يكونا لازمين إلا ترى أن تاء افتعل قد يقع بعدها غير التاء فكذلك اورث قد يقع بعد التاء منها غير التاء فلا يجب الإدغام ووجه الإدغام أن التاء والتاء مهموستان متقاربتان فاستحسن الإدغام لذلك

﴿ اللفظة ﴾

الفل الحقد الذي ينقل بلطفه إلى صميم القلب ومنه الغلول وهو الوصول بالحيلة إلى دقيق الخيانة ومنه الفل الذي يجمع البدن والعنق بانغلاله فهما الصدر ما يصدر من جهته التدبير والرأي ومنه قيل للرئيس صدر والجريان انحدر المانع فالما يجري والدم يجري وكل ما يصح أن يجري فهو مانع والنهر الواسع من مجاري الماء ومنه النهار لا تساع ضيائه والنداء الدعاء بطريقة يا فلان

— الأعراب —

لانكلف نفسا الا وسعها جملة في موضع رفع بأنه خبر الذين آمنوا وحذف العائد الى المبتدأ فكانه قيل منهم لا من غيرهم نحو قولهم السمن منوان بدرهم اي منوان منه ويجوز ان يكون اعتراضا ما بين المبتدأ والخبر ويكون الخبر الجملة التي هي او تلك اصحاب الجنة واذا كان اعتراضا فلا موضع له من الاعراب وان تلکم الجنة بجوز ان يكون ان بمعنى اي لتفسير النداء فيكون المعنى نودوا على وجه التهنية بكلام هذا معناه ويجوز ان يكون مخففة من الثميلة والهاء مضمرة والتقدير بأنه تلکم الجنة قال الشاعر

اكثره واعلم ان كلانا على ما ساء صاحبه حريص

— المعنى —

لما تقدم وعيد الكفار بالخلود في النيران اتبع ذلك بالوعد للمؤمنين بالخلود في الجنان فقال (والذين آمنوا) اي صدقوا بآيات الله واعترفوا بها ولم يستكبروا عنها (وعملوا الصالحات) اي ما اوجبه الله عليهم او ندمهم اليه (لا نكلف نفسا الا وسعها) التكليف من الله سبحانه هو ارادة ما فيه المشقة من الكلفة التي هي المشقة اي لا نلزم نفسا الا قدر طاقتها وما دونها لأن الوسع دون الطاقة ووجه اتصاله بما قبله بين اذا جعلته خبراً لأن معناه لانكلف احدا منهم من الطاعات الا ما يقدر عليه واذا كان اعتراضا بين الكلامين فكانه لما وعد المؤمنين بالجنان والكافرين بالنيران بين انه لا يكلف احدا منهم الا ما في وسعه وان من استحق النار فمن نفسه اتى (او تلك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) مقيمون (ونزعنا ما في صدورهم من غل) اي واخرجنا ما في قلوبهم من حقد وحسد وعداوة في الجنة حتى لا يحسد بعضهم بعضا وان رآه ارفع درجة منه (تجري من تحتهم الانهار) قيل انه في موضع الحال اي يجري ماء الانهار من تحت ابنتهم واشجارهم في حال نزعنا الغل من صدورهم وقيل هو استئناف (وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا) اي هدانا للعمل الذي استوجبنا به هذا الثواب بأن دلنا عليه وعرضنا له بتكليفه ايانا وقيل معناه هدانا لثبوت الايمان في قلوبنا وقيل لنزع الغل من صدورنا وقيل هدانا لمجاوزة الصراط ودخول الجنة (وما كنا لنهتدي) لما يصيرنا الى هذا النعيم المقيم والثواب العظيم (لولا ان هدانا الله) هذا اعتراف من اهل الجنة بنعمة الله سبحانه اليهم ومنته عليهم في دخول الجنة على سبيل الشكر والتلذذ بذلك لأنه لا تكلف هناك (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) وهذا اقرار منهم بأن ما جاءت به الرسل اليهم من جهة الله تعالى فهو حق لاشبهة في صحته (ونودوا) اي وينادونهم مناد من جهة الله تعالى ويجوز ان يكون ذلك خطابا منه سبحانه لهم (ان تلکم الجنة) اي هذه الجنة وانما قال تلکم لانهم وعدوا بها في الدنيا فكانه قيل لهم هذه تلکم التي وعدتم بها ويجوز ان يكونوا عاينوها فيقال لهم قيل ان يدخلوها اشارة اليها تلکم الجنة اورثتموها اي اعطيتموها ارثا وصارت اليكم كما يصير الميراث لاهله وقيل معناه جعلها الله سبحانه بدلا لكم كما كان أعده للكفار لو آمنوا وروي عن النبي (ص) انه قال ما من أحد الا وله منزل في الجنة ومنزل في النار فأما الكافر فيرث المؤمن منزله من النار والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة فذلك قوله اورثتموها (بما كنتم تعملون) اي توحدون الله وتقومون بقرائضه

قوله تعالى (٤٤) وَنَادَىٰ اصْحَابُ الْجَنَّةِ اصْحَابَ النَّارِ اَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَاذْنُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ اَنْ لَعْنَةُ اللّٰهِ عَلَى الظّٰلِمِيْنَ (٤٥) الَّذِيْنَ يَصُدُّوْنَ عَنِ سَبِيْلِ اللّٰهِ وَيَبْغُوْنَهَا عِوَجًا وَّهُمْ بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ (آيتان) * القراءة *

قال الكسائي وحده نعم بكسر العين كل القرآن والباقون بالفتح وقرأ اهل المدينة والبصرة ان مخففة لعنة الله بالرفع والباقون ان مشددة لعنة الله بالنصب

* الحجة *

قال الاخفش نعم ونعم لغتان فالكسر لغة كناية وهذيل والفتح لغة باقي العرب وان التي تقع بعد العلم وانما هي المشددة والمخففة عنها واذن مؤذن معناه اعلم معلم ان لعنة الله ومن خفف ان فعلي ارادة اضمار القصة والحديث وتقديره انه لعنة الله ومثله وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين التقدير انه ولا تخفف ان هذه الا واضار القصة والحديث يراد معها والمكسورة اذا خففت لا يكون كذلك والفصل بينهما ان المفتوحة موصولة والموصولة تقتضي صلتها فصارت لاقتضاها الصلة اشد اتصالا بما بعدها من المكسورة فقدر بعدها الضمير الذي هو من جملة صلتها وليست المكسورة كذلك

* الاعراب واللغة *

قال سيبويه نعم عدة وتصديق فاذا استفهمت اجبت بنعم قال ابو علي والذي يريد بقوله عدة وتصديق انه يستعمل عدة ويستعمل تصديقا وليس يريد انه يجتمع التصديق مع العدة الا ترى انه اذا قال اعطيني قلت نعم كان عدة ولا تصديق في هذا واذا قال قد كان كذا قلت نعم فقد صدقته ولا عدة في هذا فليس هذا القول من سيبويه كقوله في اذا انها جواب وجزء لان اذا يكون جوابا في الموضع الذي يكون فيه جزاء وقوله اذا استفهمت اجبت بنعم يريد اذا استفهمت عن موجب اجبت بنعم ولو كان مكان الايجاب النفي لقلت بلى ولم تقل نعم كما لا تقول في جواب الموجب بلى قال السكت بربكم قالوا بلى والذين يصدقون في موضع جر بأنه صفة للظالمين وعوجا يجوز ان يكون منصوبا بأنه مفعول به بمعنى يبعون لها العوج ويجوز ان يكون منصوبا على المصدر بمعنى يطلبون لها هذا الضرب من الطلب كما تقول رجعت القهقري اي رجعت هذا الضرب من الرجوع وكذلك عدا البشكي واشتمل الصها والعوج بالكسر يكون في الطرسق وفي الدين وبالفتح يكون في الخلقعة تقول في ساقه عوج بفتح العين وفي دينه عوج بالكسر

* المعنى *

ثم حكى سبحانه ما يجري بين اهل الجنة والنار بعد استقرارهم في الدارين فقال (ونادى) اي وسينادي (اصحاب الجنة اصحاب النار) اي اهل الجنة اهل النار وانما ذكره بلفظ الماضي لتحقيق المعنى جعل ما سيكون كأنه قد كان لانه كائن لا محالة وذلك ابلغ في الردع (ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا) من الثواب في كتبه وعلى السنة رسله (حقا) اي العقاب (حقا) وانما اضافوا الوعد بالجنة الى نفوسهم لان الكفار ما وعدهم الله بالجنة الا بشرط ان يؤمنوا فلما لم يؤمنوا فكأنهم لم يوعدوا بالجنة

وانما سألوهم هذا السؤال لأن الكفار كانوا يكذبون المؤمنين فيما يدعون لأنفسهم من الثواب ولهم من العقاب فهو سؤال توبيخ وشامة يريد به سرور أهل الجنة وحسرة أهل النار (قالوا نعم) أي قال أهل النار وجدنا ما وعدنا ربنا من العقاب حقاً وصدقاً (فأذن مؤذن بينهم) أي نادى مناد بينهم اسمع الفريقين (ان لعنة الله على الظالمين) أي غضب الله وسخطه وأليم عقابه على الكافرين لأنه وصف الظالمين بقوله (الذين يصدون عن سبيل الله) أي يعرضون عن الطريق الذي دل الله سبحانه على أنه يؤدي إلى الجنة وقبل معناه يصرفون غيرهم عن سبيل الله أي دينه والحق الذي دعا اليه (ويغووناهوجا) قال ابن عباس معناه يصلون لغير الله ويعظمون ما لم يعظمه الله وقيل معناه يطلبون لها العوج بالشبه التي يلبسون بها ويوهمون انه يقدح فيها وهي معوجة عن الحق بتناقضها (وهم بالآخرة) أي بالدار الآخرة يعني القيامة والبعث والجزاء (كافرون) جاحدون وقيل في المؤذن أنه مالك خازن النار وروي عن أبي الحسن الرضا (ع) انه قال المؤذن أمير المؤمنين علي (ع) ذكره علي بن ابراهيم في تفسيره قال حدثني أبي عن محمد بن فضيل عن الرضا (ع) ورواه الحاكم أبو القاسم الحسكاني باسناده عن محمد بن الحنفية عن علي عليه السلام انه قال انا ذلك المؤذن وباسناده عن أبي صالح عن ابن عباس ان لعلي (ع) في كتاب الله اسماء لا يعرفها الناس قوله فأذن مؤذن بينهم فهو المؤذن بينهم يقول الا لعنة الله على الذين كذبوا بولايتي واستخفوا بحقي

قوله تعالى (٤٦) وَيَبْنِيهِمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كَلِمًا بَسِيمًا وَمَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (٤٧) وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (آيتان)

اللغة

الحجاب الحاجز المانع من الادراك ومنه قيل للضرب محجوب وحاجب الأمير وحاجب العين والاعراف الامكنة المرتفعة أخذ من عرف الفرس ومنه عرف الذهب وكل مرتفع من الأرض عرف لأنه بظهوره اعرف مما انخفض قال الشاخر

وظلت بأعراف تعالى كأنها
وقال آخر
رماح تجاها وجهة الرمح راكز

كل كزاز لحمها زيف كالعلم الموفي على الاعراف

يعني نشوزا من الأرض والسيما العلامة وهو فعلى من سام ابله يسومها اذا ارسلها في المرعى معلة وهي السائمة وقيل ان وزنه عفى من وسمت فقلت كما قالوا له جاء في الناس وأصله وجه وكما قالوا اضمحل وامضحل وأرض خامة اي وخيمة وفيه ثلاث لغات سيماء بالضم والمد وسيمياء على زنة كبرياء قال الشاعر «له سيمياء ما يشق على البصر» والتلقاء جهة اللقاء وهي جهة المقابلة ولذلك كان ظرفا من ظروف المكان يقول هو لتقاءك نحو هو حذاءك والابصار جمع بصر وهو الحاسة التي يدرك بها البصر وقد يستعمل بمعنى المصدر ويقال له بصر بالاشياء اي علم بها وهو بصير بالأمر اي عالم

* المعنى *

ثم ذكر سبحانه الفريقين في الجزء (وبينهما حجاب) اي بين الفريقين أهل الجنة وأهل النار ستر وهو الاعراف والاعراف سور بين الجنة والنار عن ابن عباس ومجاهد والسدي وفي التنزيل ف ضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وقيل الاعراف شرف ذلك السور عن الجبائي وقيل الاعراف الصراط عن الحسن بن الفضل (وعلى الاعراف رجال) اختلف في المراد بالرجال هنا على اقوال فقيل انهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فحالت حسناتهم بينهم وبين النار وحالت سيئاتهم بينهم وبين الجنة فجعلوا هناك حتى يقضي الله فيهم ما شاء ثم يدخلهم الجنة عن ابن عباس وابن مسعود وذكر ان بكر بن عبد الله المزني قال للحسن بلغني انهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ف ضرب الحسن يده على فخذه ثم قال هؤلاء قوم جعلهم الله على تعريف أهل الجنة والنار يميزون بعضهم من بعض والله لا ادري لعل بعضهم معنا في هذا البيت وقيل ان الاعراف موضع عال على الصراط عليه حمزة والعباس وعلي وجعفر يعرفون محبيهم ببياض الوجوه وبمغضبيهم بسواد الوجوه عن الضحاك عن ابن عباس رواه الثعلبي بالإسناد في تفسيره وقيل انهم الملائكة في صورة الرجال يعرفون أهل الجنة والنار ويكونون خزنة الجنة والنار جميعا او يكونون حفظة الاعمال الشاهدين بها في الآخرة عن ابي مجاز وقيل انهم فضلاء المؤمنين عن الحسن ومجاهد وقيل انهم الشهداء وهم عدول الآخرة عن الجبائي وقال ابو جعفر الباقر (ع) هم آل محمد عليهم السلام لا يدخل الجنة الا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار الا من انكرهم وانكروه وقال ابو عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام الاعراف كثنان بين الجنة والنار فيقف عليها كل نبي وكل خليفة نبي مع المذنبين من أهل زمانه كما يقف صاحب الجيش مع الضعفاء من جنده وقد سبق المحسنون الى الجنة فيقول ذلك الخليفة للمذنبين الواقفين معه أنظر والى اخوانكم المحسنين قد سبقوا الى الجنة فيسلم المذنبون عليهم وذلك قوله ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم ثم أخبر سبحانه انهم لم يدخلوها وهم يطعمون يعني هؤلاء المذنبين لم يدخلوا الجنة وهم يطعمون ان يدخلهم الله اياها بشفاعته النبي والامام وينظر هؤلاء المذنبون الى أهل النار فيقولون ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ثم ينادي اصحاب الاعراف وهم الأنبياء والخلفاء أهل النار مقرعين لهم ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون هؤلاء الذين أقسمتم يعني هؤلاء المستضعفين الذين كنتم تحقرونهم وتستطيون بدنياكم عليهم ثم يقولون هؤلاء المستضعفين عن أمر من الله لهم بذلك ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ويؤيده ما رواه عمر بن شبة وغيره ان علياً (ع) قسيم النار والجنة ورواه ايضا باسناده عن النبي (ص) انه قال يا علي كافي بك يوم القيامة ويبدك عصا عوسج تسوق قوما الى الجنة وآخرين الى النار وروى ابو القاسم الحسكاني باسناده رفعه الى الأصعب بن نباته قال كنت جالسا عند علي (ع) فأتاه ابن الكوا فسأله عن هذه الآية فقال ويحك يا ابن الكوا نحن نقف يوم القيامة بين الجنة والنار فمن ينصرنا عرفناه بسياها فأدخلناه الجنة ومن ابغضنا عرفناه بسياها فأدخلناه النار وقوله (يعرفون كلا بسياهم) يعني هؤلاء الرجال الذين هم على الاعراف يعرفون جميع الخلق بسياهم يعرفون أهل الجنة بسياهم المطيعين وأهل النار بسياهم العصاة (ونادوا اصحاب الجنة) يعني هؤلاء الذين على الاعراف ينادون باصحاب الجنة (ان سلام عليكم) وهذا تسليم وتهنئة وسرور بما وهب الله لهم (لم يدخلوها) اي لم يدخلوا الجنة بعد عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة (وهم يطعمون)

ان يدخلوها وقيل ان الطمع ههنا طمع يقين مثل قول ابراهيم والذي أطمع ان يغفر لي خطيئتي وهو قول الحسن وابي علي الجبائي (وإذا صرفت ابصارهم) يعني ابصار الذين على الاعراف (تلقاء اصحاب النار) الى جهنم فنظروا اليهم وانما قال صرفت ابصارهم لأن نظرهم نظر عداوة فلا ينظرون اليهم الا اذا صرفت وجوههم اليهم (قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) اي لا نجعلنا واباهم في النار وروي ان في قراءة عبد الله ابن مسعود وسالم واذا قلبت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا عاذاً بك ان تجعلنا مع القوم الظالمين وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع)

قوله تعالى (٤٨) وَنَادَىٰ اصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجُلًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسْمَائِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تُسْتَكْبِرُونَ (٤٩) أَهْوَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (آيتان)
- [اللغة] -

النداء امتداد الصوت ورفع وندادى نظير دعا الا ان الدعاء قد يكون بعلامة من غير صوت ولا كلام ولكن بإشارة تنبئ عن معنى تعال ولا يكون النداء الا برفع الصوت وهو مشتق من الندى والخوف توقع المكروه وهو ضد الأمن وهو الثقة بانتفاء المكروه

* الاعراب *

هو لاء مبتدأ وخبره الذين اقسمتهم والاولى ان يكون الذين اقسمتهم خبر مبتدأ محذوف التقدير أهؤلاء هم الذين اقسمتهم وقوله لا ينالهم الله برحمة جواب اقسمتهم وهذا داخل في صلة الذين لأن الذين هنا وصل بالقسم وجوابه ولا يجوز ان يكون الذين صفة لهؤلاء من وجهين * احدهما * ان المبهم لا يوصف الا بالجنس * والاخر * انه يبقى المبتدأ بلا خبر

* المعنى *

ثم بين سبحانه خطاب اصحاب الاعراف لأصحاب النار فقال (ونادى) اي وسينادي (اصحاب الاعراف رجالات) من اصحاب النار (يعرفونهم بسمايمهم) اي بصفاتهم يدعونهم بأسمائهم وكنامهم ويسمون رؤساء المشركين عن ابن عباس وقيل بعلاماتهم التي جعلها الله تعالى لهم من سواد الوجوه وتشويه الخلق وزرقة العين عن الجبائي وقيل بصورهم التي كانوا يعرفونهم بها في الدنيا (قالوا ما اغنى عنكم جمعكم) الاموال والعدد في الدنيا (وما كنتم تستكبرون) اي واستكباركم عن عبادة الله وعن قبول الحق وقد كنا نصحنكم فاشتغلتم بجمع المال وتكبرتم فلم تقبلوا منافقين ذلك المال واين ذلك التكبر وقيل معناه ما نفعكم جماعتكم التي استندتم اليها وتجبركم عن الانقياد لانبياؤه في الدنيا عن الجبائي (أهؤلاء الذين اقسمتهم لا ينالهم الله برحمة) اي حلفتم انهم لا يصيبهم الله برحمة وخير ولا يدخلون الجنة كذبتم ثم يقولون لهؤلاء (ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون) اي لا خائفين ولا محزونين على اكل سرور واتم كرامة والمراد بهذا تفرغ الذين زروا على ضعفاء المؤمنين حتى حلفوا انهم لا خير لهم عند الله وقد اضطربت أقوال المفسرين في القائل لهذا القول فقال الاكثرون انه كلام اصحاب الاعراف وقيل هو كلام الله تعالى وقيل كلام

الملائكة والصحيح ما ذكرناه لأنه المروي عن الصادق (ع)

قوله تعالى (٥٠) وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَا عَلَى الْكَافِرِينَ (٥١) الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَأُهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (آيات)

✽ اللغة ✽

الإفاضة إجراء المائع من علو ومنه قولهم أفاضوا في الحديث أي أخذوا فيه من أوله لأنه بمنزلة اعلاؤه وأفاضوا من عرفات إلى المزدلفة صاروا إليها واللهو طلب صرف الهم بما لا يحسن أن يطلب به واللعب طلب المرح بما لا يحسن أن يطلب به واشتقاقه من اللعاب وهو المرور على غير استواء

✽ الإعراب ✽

قال إن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ثم قال حرمهما ولم يقل حرمه وإن كان التقدير أفيضوا أحد هذين لأنه جاء على قولهم جالس الحسن وابن سيرين فيجوز بحالتهما جميعاً وقوله الذين اتخذوا يجوز أن يكون في موضع جر صفة للكافرين ويحتمل أن يكون رفعا بالابتداء فيكون اخباراً من الله تعالى على وجه الذم لهم

— المعنى —

ثم ذكر سبحانه كلام أهل النار وما ظهره من الافتقار بدلاً مما كانوا عليه من الاستكبار فقال (ونادى) أي وسينادي (اصحاب النار) وهم المخلدون في النار وفي عذابها (اصحاب الجنة إن أفيضوا علينا من الماء) أي صبوا علينا من الماء نسكن به العطش أو ندفع به حر النار (أو مما رزقكم الله) أي أعطاكم الله من الطعام عن السدي وابن زيد (قالوا) يعني أهل الجنة جواباً لهم (إن الله حرمها على الكافرين) ويسأل فيقال كيف يتنادى أهل الجنة وأهل النار وأهل الجنة في السماء على ما جاءت به الرواية وأهل النار في الأرض وبينهما أبعاد الغايات من البعد وأجيب عن ذلك بأنه يجوز أن يزيل الله تعالى عنهم ما يمنع من السماع ويجوز أن يقويه الله أصواتهم فيسمع بعضهم كلام بعض (الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً) أي أعدوا دينهم الذي أمرهم الله تعالى به للهو واللعب دون التدين به وقيل معناه اتخذوا دينهم الذي كان يلزمهم التدين به وبالتجنب من محظوراته لعباً ولهواً فحرموا ما شاءوا واستحلوا ما شاءوا بشهواتهم (وغرَّتْهم الحياة الدنيا) أي اغتروا بها وبطول البقاء فيها فكان الدنيا غرَّتْهم (فالْيَوْمَ نَنسَأُهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا) أي نتركهم في العذاب كما تركوا التأهب والعمل لقاء هذا اليوم عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل معناه تعاملهم معاملة المنسي في النار فلا نجيب لهم دعوة ولا نرحم لهم عبدة كما تركوا الاستدلال حتى نسوا العلم وتعرضوا للنسيان عن الجبائي (وما كانوا باياتنا يجحدون) ما في الموضوعين بمعنى المصدر وتقديره كنسيانهم لقاء يومهم هذا وكونهم جاحدين لا يأتنا واختلاف في هذه الآية فقيل إن الجميع كلام الله تعالى على غير وجه الحكاية عن أهل الجنة وتم كلام أهل الجنة عند قوله حرمها على الكافرين وقيل إنه من كلام أهل الجنة إلى قوله الحياة الدنيا ثم

استأنف تعالى الكلام بقوله فالיום تنسأم

قوله تعالى (٥٢) وَلَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
 (٥٣) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ
 رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَبَلِّغْ لَنَا مِنْ شَفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدِّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا
 أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (آيتان)

-- اللغة --

الكتاب صحيفة فيها حروف مسطورة تدل بتأليفها على معان مفهومة والتفصيل والتبيين والتقسيم نظائر
 ينظرون أي ينتظرون والانتظار هو الاقبال على ما يأتي بالتوقع له وأصله الاقبال على الشيء بوجه من
 الوجوه والتأويل ما يؤول اليه حال الشيء والنسيان ذهاب المعنى عن النفس واختلاف المتكلمون فيه فقال ابو
 علي الجبائي انه معنى وقال ابو هاشم ليس بمعنى وإنما هو من قبيل السهو وقال القاضي هو ذهاب العلم الضروري
 واليه ذهب المرتضي

✽ الاعراب ✽

هدى ورحمة يجوز ان يكون حالا ويجوز ان يكون مفعولا له وقال ابو مسلم مصدر وضع موضع الحال
 ولو قرئ بالرفع على الاستئناف او بالجر على البدل لجاز الا ان القراءة بالنصب فيشفعوا نصب لأنه جواب
 التمني بالفاء وتقديره هل يكون لنا شفعاء فشفاعة او نرد بالرفع على تقديره او هل نرد فنعمل اي هل يكون
 لنا رد فنعمل اي فعل مناغير ما كنا عملناه

✽ المعنى ✽

لما ذكر حال الفريقين بين سبحانه انه قد أتاهم الكتاب والحجة فقال (ولقد جئناهم بكتاب) وهو القرآن
 (فصلناه) بيناه وفسرناه (على علم) اي ونحن عالمون به ولما كانت لفظة عالم مأخوذة من العلم جاز ان يذكر
 العلم ليدل به على العالم كما ان الوجود في صفة الموجود كذلك (هدى ورحمة لقوم يؤمنون) اي دلالة
 ترشدهم الى الحق وتنجيهم من الضلالة ونعمة على جميع المؤمنين لأنهم المنتفعون به (هل ينظرون الا تأويله)
 اي هل ينتظرون الا عاقبة الجزاء عليه وما يؤول مغبة أمورهم اليه عن الحسن وقتادة ومجاهد والسدي وإنما
 أضاف اليهم مجازا لأنهم كانوا جاحدين لذلك غير متوقعين له وإنما كان ينتظر بهم المؤمنون لايمانهم بذلك
 واعترافهم به وقيل ان تأويله ما وعدوا به من البعث والنشور والحساب والعقاب عن الجبائي (يوم يأتي تأويله)
 اي يوم يأتي عاقبة ما وعدوا به (يقول الذين نسوه من قبل) اي يقول الذين تركوا العمل به ترك
 الناس له واعرضوا عنه عن مجاهد والزجاج (قد جاءت رسل ربنا بالحق) اعترفوا بأن ما جاءت به الرسل
 كان حقا والحق ما شهد بصحته العتل (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) تمنوا ان يكون لهم شفعاء يشفعون
 لهم في ازالة العقاب (او نرد) أي او هل نرد الى الدنيا (فنعمل غير الذي كنا نعمل) من الشرك والمعصية
 (قد خسروا انفسهم) اي اهلكوها بالمذاب (وضل عنهم ما كانوا يفترون) على الاصنام بقولهم انها آلهة
 وانها تشفع لنا

قوله تعالى (٥٤) **إِنَّ رَبَّكُمْ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ بَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (آيَةٌ)**

✽ القراءة ✽

قرأ أهل الكوفة غير حفص ويعقوب بن غشي بالتشديد وكذلك في الرعد والباقون بالتخفيف وقرأ ابن عامر والشمس والقمر والنجوم مسخرات كله بالرفع والباقون بالنصب

✽ الحجة ✽

قال أبو علي غشي فعل متمم إلى مفعول واحد فإذا نقلته بالهمزة أو بتضعيف العين تعدى إلى مفعولين وقد جاء التنزيل بالأمرين قال فغشاها ما غشى فما في موضع نصب بأنه المفعول الثاني وقال فأغشينا هم فهم لا يبصرون فهذا منقول بالهمزة والمفعول الثاني محذوف والمعنى فأغشينا هم المعنى أو فقد الروية عنهم فإذا جاء التنزيل بالأمرين فكلا الفريقين قرأ بما جاء في التنزيل وقوله يغشي الليل النهار كل واحد من الليل والنهار منتصب بأنه مفعول به والفعل قبل النقل غشي الليل النهار ولم يقل يغشي النهار الليل كما قال سراويل تقيكم الحر ولم يقل تقيكم البرد للعلم بذلك من الفحوى ومثل هذا لا يضيق وحجة من نصب الشمس والقمر والنجوم أنه حمله على خلق كما قالوا واسجدوا لله الذي خلقهم وحجة ابن عامر قوله وسخر لكم في السماوات والأرض ومما في السماء الشمس والقمر فإذا أخبر بتسخيرها حسن الإخبار عنها به كما أنك إذا قلت ضربت زيدا استقام أن تقول زيد مضروب

✽ اللغة ✽

قد بينا معنى الاستواء في سورة البقرة عند قوله ثم استوى إلى السماء والعرش السرير ومنه ولها عرش عظيم والعرش الملك يقال نل عرشه والعرش السقف ومنه قوله فهي خاوية على عروشها والحديث السير السريع بالسوق وأصل البركة الثبات ومنه براكاء القتال

✽ الإعراب ✽

قوله حيثما يجوز أن يكون حالاً من الفاعل أو المفعول أو منها جميعاً ومثله قوله فأتت به قومها تحمله فإن تحمله كذلك ومثله قول الشاعر

متى ما تلقني فردين ترجف روائف اليتيمك وتستطارا

✽ المعنى ✽

لما ذكر سبحانه الكفار وعبادتهم غير الله سبحانه احتج عليهم بمقدوراتهم ومصنوعاتهم ودلهم بذلك على أنه لا معبود سواه فقال مخاطباً لجميع الخلق (إن ربكم الله) أي إن سيدكم ومالككم ومنشئكم ومحدثكم هو الله (الذي خلق السماوات) أي أنشأ أعيانها وأبدعها لا من شيء ولا على مثال شيء ثم أمسكها بلا عمد يدعمها (والأرض) أي وأنشأ الأرض أوجدها كذلك (في ستة أيام) أي في مقدار ستة أيام من أيام الدنيا ولا شبهة أنه سبحانه يقدر على خلق أمثال ذلك في لحظة ولكنه خلقها في هذه المدة لمصلحة ورتبها على أيام

الأسبوع فابتدأ بالأحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس والجمعة فاجتمع له الخلق يوم الجمعة فلذلك سمي الجمعة عن مجاهد وقيل ان ترتيب الحوادث على انشاء شيء بعد شيء على ترتيب ادل على كون فاعله عالما مدبراً يصرفه على اختياره ويجريه على مشيئته وقيل انه سبحانه علم خلقه الثابت والرفق في الأمور عن سعيد بن جبير (ثم استوى على العرش) أي استوى امره على الملك عن الحسن يعني استقر ملكه واستقام بعد خلق السماوات والأرض فظهر ذلك للملائكة وإنما أخرج هذا على المتعارف من كلام العرب كقولهم استوى الملك على عرشه إذا انتظمت أمور مملكته وإذا اختل أمر ملكه قالوا ثل عرشه ولعل ذلك الملك لا يكون له سرير ولا يجلس على سرير أبداً قال الشاعر

إذا ما بنو مروان ثلث عروشهم
واودت كما اودت اباد وحجير
وقال

إن يقتلوك فقد ثلثت عروشهم
بعتيبة بن الحارث بن شهاب
وقيل معناه ثم استوى عليه بأن رفعه عن الجبائي وقيل معناه ثم قصد إلى خلق العرش عن الفراء وجماعة واختاره القاضي قال دل بقوله ثم ان خلق العرش كان بعد خلق السماء والأرض وروي عن مالك ابن انس انه قال الاستواء غير مجهول وكيفيته غير معلومة والسؤال عنه بدعة وروي عن ابي حنيفة انه قال امرؤه كما جاء أي لا نفسروه (يعشى) أي يلبس (الليل النهار) يعني يأتي بأحدهما بعد الآخر فيجعل ظلمة الليل بمنزلة الفسادة للنهار ولم يقل ويعشى النهار الليل لأن الكلام يدل عليه وقد ذكر في موضع آخر يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل (يطلبه حثيثاً) أي يتلوه فيدركه سريعاً وهذا توسع يريد أن يأتي في أثره كما يأتي الشيء في أثر الشيء طالباً له (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) أي مذلات جاريات في مجاريهن بتدبيره وصنعه خلقهن لمنافع العباد ومن قرأ مسخرات بالنصب فإنه منصوب على الحال (ألا له الخلق والأمر) وإنما فصل بين الخلق والأمر لأن فائدتهما مختلفة لأنه يريد بالخلق ان له الاختراع والأمر ان يأمر في خلقه بما أحب ويفعل بهم ما شاء (تبارك الله) أي تعالى بالوحدانية فيما لم يزل ولا يزال فهو بمعنى تعالى بدوام الثبات وقيل معناه تعالى عن صفات المخلوقين والمحدثين وقيل تعالى بدوام البركة أي البركة في ذكر اسمه (رب العالمين) أي خالقهم ومالكهم وسيدهم

قوله تعالى (٥٥) ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين (٥٦) ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمت الله قريب من المحسنين (آيتان)

القراءة

قرأ أبو بكر عن عاصم خفية بكسر الخاء والباقون بضمها وهما لقتان

اللغة

التضرع التذال وهو اظهار الذل الذي في النفس ومثله التخضع ومنه التطلب لأن من الأمور واصل التضرع الميل في الجهات ذلاً من قولهم ضرع الرجل يضرع ضرعاً إذا مال باصبعه يميناً وشمالاً ذلاً وخوفاً ومنه ضرع الشاة لأن اللبن يميل إليه ومنه المضارعة للمشابهة لأنها تميل إلى شبهه والضرع نبت لا يسمن لأنه يميل مع كل داء

والخفية خلاف العلانية والهمزة في الاخفاء منقلبة عن الياء كما أن الهمزة في الغناء منقلبة عن الياء بدلالة الغنية وقالوا اخفيت الشيء إذا اظهرته قال الشاعر

يخفي التراب باخلاف ثمانية في أربع مسهن الأرض تحليل

ويمكن ان يكون أخفيت الشيء أي أزلت اظهره واذا أزلت اظهره فقد كتتمته كما ان اشكيت به بمعنى أزلت شكايته والخفية الاخفاء والخيفة الخوف والرغبة والطمع توقع المحبوب وضده اليأس وهو القطع بانتفاء المحبوب

✽ الاعراب ✽

تضرعا وخفية مصدران وضعا موضع الحال أي ادعوه متضرعين ومخفين وقوله خوفا وطمعا في موضع الحال أيضا أي خائفين عقابه وطماعين في رحمته قال الفراء إنما ذكر قريب ولم يوثق ليفصل بين القريب من القرابة والقريب من القرب قال الزجاج وهذا غلط لأن كل ما قرب في مكان أو نسب فهو جار على ما يصيبه مسن التأنيث والتذكير والوجه في تذكيره هنا ان الرحمة والغفران والغفر في معنى واحد وكذلك كل تأنيث ليس بحقيقي وقال الاخفش جائز أن يكون أراد بالرحمة هنا النظر فلذلك ذكره في مثله قول الشاعر

يا ايها الراكب المزجي مطيته
سائل بني اسد ما هذه الصوت
أي ما هذه الصيحة وقول الآخر

إن السباحة والمروة ضمنا
قبرا بمرور على الطريق الواضح

✽ المعنى ✽

ثم أمره سبحانه بعد ذكر دلائل توحيد بدعائه على وجه الخشوع كافة عبده فقال (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) أي تخشعا وسرا عن الحسن قال بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا ثم قال ان كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره وان كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس وان كان الرجل ليصلي الصلاة الكثيرة في بيته وعنده الزور فلا يشعرون به ولقد تداركنا أقواما ما كان على الأرض من عمل يقصدون ان يعملوه في السر فيكون علانية أبداً ولقد كان المسلمون المجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت ان كان إلا همساً بينهم وبين ربهم وروي ان النبي صلى الله عليه وآله كان في غزاة فأشرفوا على واد فجعل الناس يهللون ويكبرون ويرفعون اصواتهم فقال (ص) يا ايها الناس اربعوا على انفسكم اما انكم لا تدعون الأصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا انه معكم وقيل ان التضرع رفع الصوت والخفية السر أي ادعوه علانية وسرا عن ابي مسلم ورواه علي بن ابراهيم في تفسيره (انه لا يجب المعتدين) في الدعاء قيل هو ان يطلب منازل الأنبياء فيجاوز الحد في الدعاء عن ابي مجاز وقيل هو الصياح في الدعاء عن ابن جريج وقيل معناه لا يجب المجاوزين الحد المرسوم في جميع العبادات والدعوات (ولا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها) ومعناه النهي عن قتل المؤمنين واضلالهم والعمل بالمعاصي في الأرض بعد ان اصلاحها الله بالكتب والرسل عن السدي والحسن والضحاك والكلبي وقيل بعد ان أمر الله بالاصلاح فيها قال الحسن واصلاحها اتباع اوامر الله تعالى فيها وروي عنه أيضا انه قال لا تفسدوها بقتل المؤمن بعد اصلاحها ببقائه وقيل لا تفسدوها بالظلم بعد اصلاحها بالعدل وقيل معناه لا تعصوا في الأرض فيمسك الله المطر وبهالك الحرث بمعاصيكم عن عطية وعلى هذا فيكون معنى قوله بعد اصلاحها بعد اصلاح الله اياها بالمطر والخصب وروي ميسر عن ابي جعفر عليه السلام في هذه الآية قال ان الارض كانت فاسدة فأصلحها الله بنبيه (ص) (وادعوه خوفاً وطمعا) خوفاً من عقابه وطمعا في ثوابه وقيل خوفاً من الرد وطمعا في الإجابة وقيل خوفاً من عدله وطمعا في فضله عن ابن جريج وقيل معناه خوفاً من النيران وطمعا في الجنان عن عطاء (ان رحمة الله قريب من المحسنين)

معناه ان انعام الله قريب إلى فاعلي الاحسان وقيل ان رحمة الله اي ثوابه قريب من المطيعين عن سعيد بن جبير وقيل المراد بالرحمة المطر عن الاخفش ويؤيده قوله فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها والاحسان هو النفع الذي يستحق به الحمد والاساءة هي الضرر الذي يستحق به الذم ومن قال ان المراد بالحسنين من خلصت افعاله من الاساءة وكانت كلها حسنة فالظاهر لا يقتضي ذلك بل الذي يقتضيه ان رحمة الله واصله إلى من فعل الاحسان وليس فيه انه لا يصل إلى من جمع الاحسان والاساءة وذلك موقوف على الدلالة

قوله تعالى (٥٧) وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْهِ رَحْمَتَهُ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٥٨) وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ (آياتان)

❖ القراءة ❖

قرأ ابن كثير الريح واحدة ونشرا مضمومة النون والشين وقرأ أهل المدينة والبصرة الرياح جمع نشريضم النون والشين حيث كان وقرأ أهل الكوفة غير عاصم الريح نشرا بفتح النون وسكون الشين وقرأ ابن عامر الرياح نشراً بضم النون وسكون الشين وقرأ عاصم الرياح بشراً بالباء ساكنة الشين وقرأ أبو جعفر إلا نكدا بفتح الكاف والباقون بالكسر

— الحجة —

قال ابو علي اعلم ان الريح اسم على فعل والعين منه واو فانقلبت في الواحد للكسر فأما في الجمع القليل فصحت لأنه لا شيء فيه يوجب الاعلال ألا ترى ان الفتحة لا توجب إعلال هذه الواو في نحو قوم وقول فأما في الجمع الكثير فرياح انقلبت ياء للكسرة التي قبلها وإذا كانت انقلبت في نحو ديمة وديم وحيلة وحيل فان تنقلب في رباح اجدر لوقوع الألف بعدها والألف تشبه الياء والياء إذا تأخرت عن الواو اوجب فيه الاعلال وكذلك الألف لتشبهها بها وقد يجوز ان يكون الريح على لفظ الواحد ويراد به الكثرة كقولهم كثر الدرهم والدينار والشاة والبعير وان الانسان لفي خسار ثم قال إلا الذين آمنوا وكذلك من قرأ الريح نشرا فأفرد ووصف بالجمع فإنه حمله على المعنى وقد اجاز ابو الحسن ذلك وقال الشاعر

فيها اثنتان واربعون حلوبة سوداً كخافية الغراب الاسحم

ومن نصب حمله على المعنى لأن المفرد يراد به الجمع وهذا وجه قراءة ابن كثير وقول من جمع الريح إذا وصفها بالجمع الذي هو نشرا احسن لأن الحمل على المعنى ليس بكثير كالحمل على اللفظ واما ما جاء في الحديث ان النبي صلى الله عليه وآله كان يقول إذا هبت ريبح اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا فلأن عامة ما جاء في التنزيل على لفظ الرياح للسقيا والرحمة كقوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح ويرسل الرياح مبشرات وما جاء بخلاف ذلك جاء على الافراد كقوله فأهلكوا بريح صرصر عاتية ريبح فيها عذاب اليم قال ابو عبيدة نشرا متفرقة من كل جانب وقال ابو زيد انشر الله الموتى انشارا إذا بعثها وانشر الله الريح مثل احيائها فنشرت هي اي حييت والدليل على ان انشار الريح احيائها قول المراد الفقهي

وهبت له الريح الجنوب واهييت له ريده يحيي المياه نسيهما والريدة والريدانة الريح قال «اودت به ريده صرصر» ومن قرأ نشرا يمتثل ضربين يجوز ان يكون جمع

ريح نشور وريح ناشر ويكون على معنى النسب فإذا جعلته جمع نشور احتمل امرين ﴿احدهما﴾ ان يكون النشور بمعنى المنشر كما ان الركوب بمعنى المركوب فكأن المعنى ريح او رياح منشرة ويجوز ان يكون جمع نشور يراد به الفاعل مثل ظهور ونحوه من الصفات ويجوز ان يكون نشرا جمع ناشر كشاهد وشهد ونازل ونزل وقاتل وقتل قال الاعشى «انا لأمثالكم يا قومنا قتل» وقول ابن عامر نشر ايحتمل الوجهين ﴿احدهما﴾ ان يكون على فعول وفاعل وخفف العين كما خفف في كتب ورسل ويكون جمع فاعل كنزل ونازل وعايط وعايط واما من قرأ نشرا فإنه يحتمل ضربين ﴿احدهما﴾ ان يكون المصدر حالا من الريح فإذا جعلته حالا منها احتمل امرين ﴿احدهما﴾ ان يكون النشر الذي هو خلاف الطي كأنها كانت بانقطاعها كالمطوية ويجوز على تأويل ابي عبيدة ان تكون متفرقة في وجوهها ﴿والآخر﴾ ان يكون النشر الذي هو الحياة في نحو قوله «يا عجباً الميت الناشر» فإذا حملته على ذلك وهو الوجه كان المصدر يراد به الفاعل كما تقول أتنا ركضا اي راكضا ويجوز ان يكون المصدر يراد به المفعول كأنه يرسل الرياح انشارا اي محياة فحذف الزوائد من المصدر كما قال عمر ك الله وكما قال «وان يهلك فذلك كان قدرى» اي تقديري ﴿والضرب الآخر﴾ ان يكون نشر اي نصب انتصاب المصدر من باب صنع الله لأنه إذا قال يرسل الرياح دل هذا الكلام على يرسل تنشر الرياح نشر او تنشر نشر من قوله «كما تنشر بعد الطية الكتب» ومن نشرت الريح كما ينشر الميت وقرأ عاصم بشرا جمع بشير وبشر من قوله يرسل الرياح مبشرات اي تبشر بالمطر والرحمة وجمع بشيرا على بشر ككتاب وكتب والوجه في قراءة ابي جعفر نكدنا انه لغة في نكد قال الزجاج ويجوز فيه وجهان آخران نكدنا ونكدنا إلا انه لم يثبت بهما رواية

— اللغة —

الإقلال حمل الشيء بأسره حتى يقل في طاقة الحامل له بقوة جسمه يقال استقل بجمله استقلالاً واقبله اقلالا والسحاب الغيم الجاري في السماء يقال سحبه فانسحب والسوق حث الشيء في السير حتى يقع الاسراع فيه يقال ساقه واستاقه والبلد هو الأرض التي تجمع الخلق الكثير والبادية كالبلد الاعراب ونحوهم من الاكراد والنكد العسر الممتنع من اعطاء الخير على وجه البخل يقال نكد ينكد نكدنا ونكدنا فهو نكد ونكد وقد نكد إذا سئل فبخل قال الشاعر

واعط ما اعطيته طيبا لا خير في المنكود والناكد

— المعنى —

لما اخبر الله سبحانه في الآية المتقدمة بأنه خلق الساعات والأرض وما فيها من البدائع عطف على ذلك بقوله (وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) تعداد النعمة على بريته اي يطلقها ويجريها منتشرة في الأرض او محيية للأرض او مبشرة بالغيث على ما تقدم بيانه قدام رحمته وهو المطر (حتى إذا أقلت) أي حملت وقيل رفعت (سحابا ثقلا) بالماء (سقناه لبلد ميت) أي إلى بلد ميت وموت البلد تعفي مزارعه ودروس مشاربه لا نبات فيه ولا زرع ولم يقل سقناها لانه رد الضمير إلى لفظ السحاب والرياح تجمع السحاب من المواضع المختلفة حتى إذا اتصل السحاب أتزل المطر (فانزلنا به الماء) يجوز أن يكون الضمير في به راجعاً إلى البلد أي فانزلنا بالبلد الماء ويجوز أن يكون راجعاً إلى السحاب أي فانزلنا بالسحاب الماء (فاخرجنا به) أي بهذا الماء المنزل او بهذا البلد (من كل الثمرات) يحتمل أن يكون من للتبعيض ويحتمل أن يكون لتبيين الجنس (كذلك نخرج الموتى) أي كما اخرجنا الثمرات كذلك نخرج الموتى بأن نحييها بمد موتها (لعلكم تذكرون) أي لكي تذكروا وتفتكروا وتعتبروا بأن من قد على انشاء الاشجار والثمار في البلد الذي لا ماء فيه ولا زرع يريح يرسلها فإنه

يقدر على احياء الاموات بأن يعيدها إلى ما كانت عليه ويخلق فيها الحياة والقدرة واستدل ابو القاسم البلخي بهذه الآية على أن كثيرا من الاشياء يكون بالطبع قال لأن الله تعالى بين انه يخرج الشمرات بالماء الذي ينزله من السماء ثم قال ولا ينبغي ان ينكر ذلك وإنما ينكر قول من يقول بقدوم الطبايع وأن الجرادات فاعلة فأما من قال أن الله تعالى هو الفاعل لهذه الاشياء غير انه يفعلها تارة مخترعة بلا وسائل وتارة يفعلها بوسائل فلا كراهة في ذلك كما تقول في السبب والمسبب وانكر عليه هذا القول أكثر اهل العدل وقالوا ان الله سبحانه اجري العادة باخراج النبات عند انزال المطر مع قدرته على اخراج ذلك من غير مطر لما تقتضيه الحكمة من وجوه المصالح الدينية والدنيوية ثم بين سبحانه حال الأرض التي يأتيها المطر فقال (والبلد الطيب) معناه والأرض الطيب ترابسه (يخرج نباته) أي زرعه خروجا حسنا ناميا زاكيا من غير كد ولا عناء (باؤذن ربه) بأمر الله تعالى وإنما قال باؤذن ربه ليكون ادل على العظمة ونفوذ الإرادة من غير تعب ولا نصب (والذي خبث لا يخرج إلا نكدا) أي والأرض السبخة التي خبث ترابها لا يخرج ريعها إلا شيئا قليلا لا ينتفع به عن السدي ومعناه الا عسرا متمتعاً من الخروج او اراد سبحانه ان يخرج من الأرض النكدة أكثر مما يخرج من الأرض الطيبة لامكانته إلا انه اجري العادة باخراجه من الأرض الطيبة ليكون ذلك باعثا للانسان على طلب الخير من مظاهره ودلالة له على وجوب الاجتهاد في الطاعات فإذا حمل نفسه على ابتغاء الخير اليسير الذي لا يدوم وربما لا يحصل فإن يتبني النعيم الدائم الذي لا يفنى ولا يبئد بالاعمال الصالحة اولى (كذلك تصرف الآيات) أي الدلالات المختلفة (لقوم يشكرون) معناه كما بينا هذا المثل نبين الدلالات للشاكرين وقيل كما صرفنا الآيات لكم بالاتيان بآية بعد آية وحجة بعد اخرى نصرها قوم يشكرون الله على انعامه عليهم ومن انعامه عليهم هدايته إياهم لما فيه نجاتهم وتبصيرهم سبيل أهل الضلال وامره اياهم تجنب ذلك والمدول عنه وروي عن ابن عباس ومجاهد والحسن ان هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر فأخبر بأن الأرض كلها جنس واحد إلا أن منها طيبة تلين بالمطر ويحسن نباتها ويكثر ريعها ومنها سبخة لا تنبت شيئا فإن انبتت فما لا منفعة فيه وكذلك القارب كلها لحم ودم ثم منها لين يقبل الوعظ ومنها قاس جاف لا يقبل الوعظ فليشكر الله تعالى من لان قلبه لذكره

قوله تعالى (٥٩) لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٦٠) قَالَ لِللَّامِ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٦١) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَيْكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٢) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٣) أَوْعَجَّيْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٦٤) فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (ست آيات)

✽ القراءة ✽

قرأ ابو جعفر والكسائي من إله غيره بخفض الراء حيث وقع والباقون بالرفع وقرأ ابو عمرو وحده ابلعكم بتخفيف اللام والباقون بتشديدها

✽ الحجة ✽

قال ابو علي وجه قراءة من جر انه جعل غيرا صفة لإله على اللفظ وجعل لكم مستقرا او جعله غير مستقر واضر الخبر والخبر ما لكم في الوجود او في العالم او نحو ذلك لا بد من هذا الاضمار إذا لم نجعل لكم مستقرا

لأن الصفة والموصوف لا يستقل بها كلام وحجة من رفع قوله ما من إله إلا الله فكما أن قوله إلا الله بدل من قوله من إله كذلك قوله غيره يكون بدلا من قوله من إله وغيره يكون بمنزلة الاسم الذي بعد إلا وهذا الذي ذكرنا أولى أن يحمل عليه من أن يجعل غير صفة لا إله على الموضوع فإذن قلت ما تنكر أن يكون إلا الله صفة لقوله من إله على الموضوع كما كان قوله لو كان فيها آلهة إلا الله صفة لا آلهة قيل إن الإبكونها استثناء. أعرف وأكثر من كونها صفة وإنما جعلت صفة على التشبيه بغيرها فإذا كان الاستثناء أولى حملنا هل من خالق غير الله على الاستثناء من النفي في المعنى لأن قوله هل من خالق غير الله بمنزلة ما من خالق غير الله ولا بد من اضمار الخبر كأنه ما من خالق للعالم غير الله ويؤكد ذلك إلا إله إلا الله فهذا استثناء من منفي مثل لا أحد في الدار إلا زيد فأما قراءة حمزة والكسائي هل من خالق غير الله فعلى أن جملا غير صفة للخالق وأضمر الخبر كما تقدم والباقرن جملة استثناء بدلا من المنفي وهو الأولى عندنا لما تقدم من الاستشهاد عليه من قوله وما من إله إلا الله وما ابلغكم فالقول فيه أن بلغ يتعدى إلى مفعول في نحو بلغني الخبر فإذا نقلته تعدى إلى مفعولين والنقل يكون بالمحز وبضعيف العين وكلا الأمرين جاء به التنزيل قال سبحانه يأيتها الرسول بلغ إلى قوله فما بلغت رسالته وقال فإذن تولوا فقد ابلغتكم وليعلم أن قد ابلغوا

✽ اللغة ✽

الملا الجماعة من الرجال خاصة ومثله القوم والنفر والرهط عن الفراء وسموا بذلك لأنهم يملأون المحافل والقوم الجمع الذي يقوم بالأمر سمو بالمصدر والابلاغ إيصال ما فيه بيان وأفهام ومنه البلاغة وهو إيصال المعنى إلى النفس بأحسن صورة من اللفظ والبلغ الذي ينشئ البلاغة لا الذي يأتي بها على وجه الحكاكية والفرق بين الإبلوغ والاداء ان الاداء إيصال الشيء على الوجه الذي يجب فيه ومنه فلان أدى الدين أداءا وفلان حسن الاداء. لما يسمع وحسن الاداء للقراءة والرسالات جمع رسالة وهي جملة من البيان يحملها القائم بها ليؤديها إلى غيره والنصيحة إخلاص النية من شائب الفساد في المعاملة والفاك السفن يقع على الواحد وعلى الجمع واصله الدور مشتق من قواهم فلك ثدي الجارية اذا استدار ومنه الفلكة والفلك

✽ الإعراب ✽

ياقرم حذف يا. الإضافة لقوة النداء على التغيير حتى يحذف للترخيم فلما جاز أن يحذف في غير النداء للاجترأ بالكسرة منها لزم أن يحذف فيه لاجتماع سببين فيها لكنني أصله لكنني حذف النون لاجتماع النونات ويجوز الأوتام في غير القرآن لأنه الأصل وكذلك اني وكأني فاما ليتني فلا يجوز فيه إلا اثبات النون لأنه لم يعرض فيه علة الحذف وأما اعلم فيجوز فيه الوجهان لأن اللام قريبة من النون رسول من رب العالمين من هنا لا ابتداء الغاية أي هو ابتدائي بالرسالة وكل مبتدأ بفعل فذلك الفعل منه واصل من أن يكون لا ابتداء الغاية

✽ المعنى ✽

لما بين الله سبحانه الأدلة على وحدانيته ذكر بعده حال من عانده وكذب رسله تسليمة لئيبينا محمد صلى الله عليه وآله وتشبيها له على احتمال الأذى من قومه وتحذيرا لهم عن الاقتداء. باو لثك فينزل بهم ما نزل بهم وابتدأ بقصة نوح فقال (لقد أرسلنا نوحا إلى قومه) اللام للاقسم وقد تأكيد للكلام وتقديره حقا أقول أنا حملنا نوحا الرسالة إلى قومه وتحميل الرسالة تكليفه القيام بها وهي منزلة جليلة شريفة يستحق الرسول بقبله إياها وقيامه بأعبائها من التعظيم والاحلال مالا يستحق بغيره وهو نوح بن ملك بن متوشلخ بن اخنوخ النبي وهو ادريس (ع) وهو اول نبي بعد ادريس وقيل انه كان نجارا وولد في العام الذي مات فيه آدم (ع) قبل موت آدم في الألف الأولى وبعث في الألف الثانية وهو ابن اربعمائة وقيل بعث وهو ابن خمسين سنة ولبث في قومه الفسنة الا خمسين عاما وكان في تلك الألف ثلاثة قرون عايشهم وعمر فيهم وكان يدعوهم ليلا ونهارا فلا يزيدهم دعاؤه إلا فرارا وكان يضربه

قومه حتى يغشى عليه فإذا أفاق قال اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون ثم شكاهم إلى الله تعالى ففرغت له الدنيا وعاش بعد ذلك تسعين سنة وروي أكثر من ذلك أيضا (فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من آله غيره) أخبر سبحانه انه امرهم بعبادة الله وحده لأنه لا إله لهم غيره ولا معبود لهم سواه ثم اوعدهم على مخالفته فقال (إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) إنا قال أخاف ولم يقطع لأنه جوز أن يؤمنوا ثم ذكر سبحانه جوابهم فقال (قال الملائكة من قومه) أي الجماعة من قومه عن الجبائي وقيل الأشراف والرؤساء الذين يلاؤن الصدور هيبة وجمالا عن ابي مسلم (إنا انراك في ضلال مبين) قيل معناه رؤية القلب الذي هو العلم أي إنا لتعلمك في ذهاب من الحق بين ظاهر لدعائك إيانا إلى ترك عبادة الاصنام وقيل معناه رؤية البصري تراك ببصارنا على هذه الحال وقيل انه من الرأي الذي هو غالب الظن فكأنه قال إنا لنظنك (قال يا قوم ليس بي ضلالة) هذا اخبار عما اجابهم به نوح (ع) أي ليس بي عدول عن الحق ولا ذهاب عن الصواب يقال به ضلالة لأن معناه عرض به ذلك كما يقال به جنة ولا يجوز أن يقول به معرفة لأنها ليست مما يعرض لصاحبها ولكن يصح أن يقال به جوع وبه عطش (والكني رسول من رب العالمين) الذي يملك كل شيء (ابلفكم رسالات ربي) أي اؤذي اليكم ما حملني ربي من الرسالات (وانصح لكم) في تبليغ الرسالة على وجهها من غير تغيير ولا زيادة ولا نقصان (وأعلم من الله) أي من صفات الله وتوحيده وعدله وحكمته (ما لا تعلمون) وقيل اعلم من دين الله وقيل اعلم من قدرته وسلطانه وشدة عقابه ما لا تعلمونه والكل محتمل وقيل إنا قال ذلك لأن قوم نوح لم يسمعوا قط ان الله سبحانه عذب قوما وقد سمعت الامم بعدهم هلاك من قباهم الا ترى أن هودا قال جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وقال شعيب مثل ما اصاب قوم نوح (او عجبتم) هذه همزة استفهام دخلت على واو العطف على جهة الانكار فبقيت الواو مفتوحة كما كانت فالكلام مستأنف من وجه متصل من وجه (ان جاءكم ذكر) أي لأن جاءكم بيان وقيل نبوة ورسالة (من ربكم على رجل منكم لينذركم) أي على بشر مثلكم ليخوفكم العقاب إن لم تؤمنوا وقيل أن على هنا بمعنى مع أي مع رجل منكم تعرفون مولده ومنشأه ليعلمكم بموضع المخافة وإنا انكر عليهم التعجب لأنه ليس في ارساله اليهم ليرشدكم إلى ما فيه صلاحهم موضع تعجب وإنما العجب من اهل امرهم كيف وجوب الرسالة إذا كان للخلق فيها مصلحة امر قد اقتضته الحكمة ودل عليه العقل (ولتتقوا) أي ولتتقوا الشرك والمعاصي (ولعلمكم ترحمون) أي ولكي ترحموا وقال الحسن ولتتقوه رجاء ان يرحمكم (فكذبوه) أي فكذبوا نوحا فيما دعاهم اليه (فانجيناهم والذين معه في الفلك) أي فخلصناه والذين كانوا معه في السفينة وهم المؤمنون من عذاب الفرق (واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) أي واهلكنا الذين كذبوا بدلائلنا بالما (إنهم كانوا قوما عديين) عن الحق أي ذاهبين عنه جاهلين به يقال رجل عم إذا كان اعمى القلب ورجل اعمى في البصر قال زهير « والكنني عن علم ما في غد عمي »

﴿ قصة نوح (ع) ﴾

قد ذكرنا نسبه وكان من قصته ما رواه الشيخ ابو جعفر بن بابويه باسناده في كتاب النبوة مرفوعا إلى ابي عبد الله (ع) قال لما بعث الله عز وجل نوحا دعا قومه علانية فلما سمع عقب هبة الله بن آدم من نوح تصديق ما في ايديهم من العلم وعرفوا أن العلم الذي في ايديهم هو العلم الذي جاء به نوح صدقوه وسلموا له فاما ولد قابيل فلينهم كذبوه وقالوا إن الجن كانوا قبلنا فبعث الله اليهم ملكا فلو أراد أن يبعث الينا لبعث الينا ملكا من الملائكة حنان بن سدير عن ابي عبد الله (ع) قال آمن مع نوح من قومه ثمانية نفر وفي حديث وهب بن منبه ان نوحا (ع) كان اول نبي نبأه الله عز وجل بعد ادريس وكان إلى الابد ما هو دقيق الرجة في رأسه طول عظيم العينين دقيق الساقين طويلا جسما دعا قومه إلى الله حتى انقرضت ثلاثة قرون منهم كل قرن ثمانمائة سنة يدعوهم سرا

وجهرها فلا يزدادون إلا طغيانا ولا يأتي منهم قرن إلا كان اعنى على الله من الذين قبلهم وكان الرجل منهم يأتي بابنه وهو صغير فيقيم على رأس نوح فيقول يابني إن بقيت بعدي فلا تطيعن هذا المجنون وكانوا يشورون إلى نوح فيضربونه حتى يسيل مسامحه دما وحتى لا يعقل شيئا مما يصنع به فيحمل فيرمى به في بيت أو على باب داره مغشيا عليه فأوحى الله تعالى إليه أنه إن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فمعهها اقبل إلى الدعاء عليهم ولم يكن دعاء عليهم قبل ذلك فقال رب لا تذر على الأرض إلى آخر السورة فاعقم الله تعالى اصلا ب الرجال وارحام النساء ولبثوا اربعين سنة لا يولد لهم ولد وقحطوا في تلك الأربعين سنة حتى هلكت اموالهم واصابهم الجهد والبلاء ثم قال لهم نوح استغفروا ربكم إنه كان غفارا الآيات فاعذر اليهم وانذر فلم يزدادوا إلا كفرا فلما ينس منهم اقصر عن كلامهم ودعائهم فلم يؤمنوا وقالوا لا تذرنا آهتكم ولا تذرنا ودا ولا سواها الآية يعنون آهتهم حتى غرقهم الله وآهتهم التي كانوا يعبدونها فلما كان بعد خروج نوح من السفينة وعبد الناس الاصنام سموا اصنامهم باسماء اصنام قوم نوح فاتخذ اهل اليمن يغوث ويعوق واهل دومة الجندل صنما سموه ودا واتخذت حمير صنما سموه نسرا وهذيل صنما سموه سواعا فلم يزالوا يعبدونها حتى جاء الإسلام وسندكر قصة السفينة والغرق في سورة هود إن شاء الله تعالى وروى الشيخ ابو جعفر بن بابويه عن علي بن احمد بن موسى قال حدثنا محمد بن ابي عبد الله الكوفي قال حدثنا سهل بن زياد الادمي قال حدثنا عبد العظيم بن عبد الله الحسني قال سمعت علي بن محمد (ع) يقول عاش نوح (ع) الفين وخمسمائة سنة وكان يوما في السفينة ناظما فهبت ريح فكشفت عورته فضحك حام ويافث وزجرهما سام ونهاهم عن الضحك وكان كلما غطى سام ما يكشفه الريح كشفه حام ويافث فانتبه نوح فرأهم يضحكون فقال ما هذا فأخبره سام بما كان فرفع نوح يده إلى السماء يدعو فقال اللهم غير ماء صلب حام حتى لا يولد له إلا السودان اللهم غير ماء صلب يافث فغير الله ماء صلبهما فجميع السودان من صلب حام حيث كانوا وجميع الترك والسقلا ب وأجوج والصيغ من يافث وجميع البيض سواهم من سام وقال نوح لحام ويافث جعل الله ذريتكما خولا لذرية سام إلى يوم القيامة لأنه برّ بي وعقمتاني فلا زالت سمة عقوقكلي في ذريتكما ظاهرة وسمة البري في ذرية سام ظاهرة ما بقيت الدنيا قال الشيخ ابو جعفر بن بابويه القمي رحمه الله ذكر يافث في هذا الخبر قريب لم اروه إلا من هذا الطريق وجميع الاخبار التي رويتها في هذا المعنى فيها ذكر حام وحده وأنه ضحك لما انكشفت عورة ابيه وان ساما ويافث كانا في ناحية فبأفهما ما صنع فأقبلا ومعهما ثوب وهما معرضان والقبيا عليه الثوب وهو ناظم فلما استيقظ اوحى الله عز وجل اليه الذي صنع حام فلحن حاماً ودعا عليه وروى ابراهيم بن هاشم عن علي بن الحكم عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال عاش نوح الفين سنة وخمسمائة سنة منها ثمانمائة وخمسين قبل أن يبعث والف سنة إلا خمسين عاما وهو في قومه يدعوهم ومأتي عام في عمل السفينة وخمسمائة عام بعد ما نزل من السفينة ونضب الماء فمصر الأمصار واسكن ولده البلدان ثم أن ملك الموت جاءه وهو في الشمس فقال السلام عليك فرد عليه نوح وقال له ما جاء بك يا ملك الموت فقال جئتك لا قبض روحك فقال له تدعني اتحول من الشمس إلى الظل فقال له نعم قل فتحول نوح ثم قال له يا ملك الموت كأن ما مر بي من الدنيا مثل تحولي من الشمس إلى الظل فامض لما امرت به قال قبض روحه (ع)

قوله تعالى (٦٥) وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ
(٦٦) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظَنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ

(٦٧) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٦٨) أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٩) أَوْعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذَكُرُوكُمْ وَإِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءً مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٠) قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا نَعِدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧١) قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِلَيَّ مَعْكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ (٧٢) فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا مُؤْمِنِينَ (ثماني آيات)

* اللغة *

السفاهة خفة الحلم وثوب سفيه إذا كان خفيفا قال مؤرج السفاهة الجنون بلفظة حبر والفرق بين المعجب والمعجب أن المعجب بضم العين عقد النفس على فضيلة لها ينبغي أن يعجب منها وليس كذلك المعجب بفتح العين والجيم لأنه قد يكون حسنا وفي المثل لا خير فبمن لا يتمجب من المعجب وارذل منه المتعجب من غير عجب وخلفاء جمع خليفة وهو الكائن بدل غيره ليقوم مقامه في تدبيره وهذا الجمع على التذكير لا على اللفظ مثل ظريف وظرفاء وجائز أن يجمع على خلائف على اللفظ مثل ظريفة وظرائف والآلاء النعم وفي واحدها اربع لغات إلى مثل معي وإلى مثل قفا وإلى مثل رمي وإلى مثل حسي قال الاعشى

ابيض لا يرهب الهزال ولا يقطع رحما ولا يخون إلى

وروي ألي أيضا وقيل انه اراد بقوله إلا إلا بالتشديد فخففه وهو العهد والقرابة والوقوع والسقوط والنزول نظائر والرجس العذاب وقيل الرجس الرجز قلبت الزاي سينا كما قلبت السين ناء في قول الشاعر

الاحلى الله بني السمعات

عمر بن يربوع شرار النات

اي الناس «ليسوا باعفاف ولا اكيات» يربدا كياس

* الاعراب *

انتصب اخاهم هودا بقوله ارسلنا في اول الكلام لأن تفصيل القصص يقتضي ذلك والتقدير وارسلنا إلى عاد اخاهم هودا وصرف هود خلفته كما صرفت جل خلفتها يا قوم موضع قومي نصب لانه ندا مضاف ولو وصفته لم يجز في صفة إلا النصب قوله ولكني رسول استدرك ولكن لأن فيه معنى ما دعاني إلى امركم السفه ولكن دعاني إليه اني رسول

* المعنى *

ثم عطف سبحانه على قصة نوح قصة هود فقال (وإلى عاد) وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح (أخاهم) يعني في النسب لا في الدين (هودا) وهو هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح (ع) عن محمد بن اسحاق وقيل هو هود بن عبد الله بن رياح بن جلوث بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح

عن غيره وكذا هو في كتاب النبوة وإنما قال أخاهم لأنه ابلغ في الحججة عليهم إذا اختار للرسالة اليهم من هو من قبيلتهم ليكونوا اليه اسكن وبه أنس وعنه افهم (قال) هود (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) قد مر تفسيره (افلا تتقون) استفهام يراد به التقرير (قال الملا الذين كفروا من قومه قد مر تفسيره) (إنا لنراك) يهود (في سفاهة) أي جهالة ومعناه نراك سفيها إلا أنه قال في سفاهة على جهة المبالغة أي نراك منغمسا في سفاهة (وإنا لنظنك من الكاذبين) أي كذبوه ظانين لامتيقنين عن الحسن والزجاج وقيل إن المراد بالظن هنا العلم كما في قول الشاعر

فقلت لهم ظنوا بألقي مدجج
سراتهم في الفارسي المسرد

ومعناه ايقنوا (قال) هود (يا قوم ليس بي سفاهة) أي لم يحملني على هذا الاخبار السفاهة (ولكني رسول من رب العالمين) هذا تعليم من الله تعالى بأن لا يقابل السفاهة بالكلام القبيح ولكن يقتصر الانسان على نفي ما اضيف اليه عن النفس (ابلغكم رسالات ربي) أي نبوات ربي وإنما قال رسالات هنا وفيما تقدم بلفظ الجمع لأن الرسالة متضمنة لاشياء كثيرة من الامر والنهي والترغيب والترهيب والوعد والوعيد وغير ذلك فأتى بلفظ يدل عليها وإذا قال رسالة ربي بلفظ الواحد اتى بلفظة مشتملة على هذه الاشياء بطريق الاجمال (وأنا لكم ناصح) فيما ادعوكم اليه من طاعة الله وتوحيده (أمين) أي ثقة مأمون في تأدية الرسالة فلا اكذب ولا اغير عن الضحاك والجبائي وقيل معناه كنت مأمونا فيكم فكيف تكذبونني عن الكلابي (أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم) أي لا عجب في أن جاءكم نبوة وقيل معجزة وبيان (على رجل منكم) في النسب نشأ بينكم وقيل إن معناه كيف تعجبون من بعثة رجل منكم ولا تعجبون من عبادة حجر (لينذركم) ليخوفكم (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) معناه واذكروا نعمة الله عليكم بأن جعلكم سكان الأرض من بعد قوم نوح وهلاكهم بالعصيان (وزادكم في الخلق بسطة) أي طولا وقوة عن ابن عباس وجماعة قال الكلابي كان اطولهم مائة ذراع واقصرهم ستين ذراعا وقيل كان اقصرهم اثني عشر ذراعا وقال ابو جعفر الباقر «ع» كانوا كأنهم النخل الطوال وكان الرجل منهم ينحو الجبل بيديه فيهدم منه قطعة وقيل معناه وزاد في خلقكم بسطة فكانوا اطول من غيرهم بمقدار أن يمد الانسان يده فوق رأسه باسطة (فاذكروا آلاء الله) أي نعم الله (لعلكم تفلحون) أي لكي تفوزوا بنعيم الدنيا والآخرة (قالوا اجئتنا) يهود (لنعبد الله وحده وننذر) عبادة (ما كان يعبد آباؤنا) من الاصنام (فأتنا بما تعدنا) من العذاب (إن كنت من الصادقين) في انك رسول الله الينا وفي نزول العذاب بنا لو لم نترك عبادة الاصنام (قال) هود لقومه جوابا عما قالوه (قد وقع عليكم) أي وجب عليكم وحل بكم لا محالة فهو كالواقع (من ربكم رجس) أي عذاب (وغضب) والغضب من الله ارادة العذاب بمستحقه ومثله السخط (اتجادونني) أي اتناظرونني وتخاصمونني (في اسماء سميتوها أنتم وآباؤكم) أي في اصنام صنعتموها أنتم وآباؤكم واخترعتم لها اسماء سميتوها آلهة وما فيها من معنى الإلهية شي وقيل معناه سميتهم لبعضها انه يسقيهم المطر ولا آخر انه يأتيهم بالرزق ولا آخر انه يشفي المرضى ولا آخر انه يصحبهم في السفر (ما نزل الله بها من سلطان) أي حجة وبرهان وبينه وعليكم البينة بما ادعيتهم وسميتهم وليس علي أن آتيتكم بالبينة على ما تعبدون من دون الله بل ذلك عليكم وعلي أن آتيتكم بسطان مبين إن الله تعالى هو المعبود

ولا معبود سواه واني رسوله (فانظروا) عذاب الله فإنه نازل بكم (إني معكم من المنتظرين) لنزوله بكم عن الحسن والجبائي والمفسرين (فأنجيناها والذين معه برحمة منا) أي فخلصنا هودا والذين كانوا آمنوا معه من العذاب باخراجنا اياهم من بينهم قبل انزال العذاب بهم (وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) أي واستأصلنا الذين كذبوا بجهننا بعذاب الاستئصال فلم يبق لهم نسل ولا ذرية (وما كانوا مؤمنين) بالله ورسوله وإنما قال ذلك ليبين انه كان المعلوم من حالهم انه لو لم يهلكهم ما كانوا ليؤمنوا كما قل في موضع آخر ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا وفي هذه الآية دلالة على أن قوم هود استوصلوا فلا عقب لهم

❖ قصة هود ❖

جملة ما ذكره السدي ومحمد بن اسحاق وغيرهما من المفسرين في قصة هود أن عادا كانوا ينزلون اليمن وكانت مساكنهم منها بالشجر والاحقاف وهي رمال يقال لها رمل عاليج والدهناء ويبرهن ما بين عمان الى حضرموت وكان لهم زرع ونخل ولهم اعمار طويلة واجساد عظيمة وكانوا اصحاب اصنام يعبدونها فبعث الله تعالى اليهم هودا نبيا وكان من اوسطهم نسبا وافضلهم حسبا فدعاهم الى التوحيد وخلع الأنداد فأبوا عليه وكذبوه وأذوه فأمسك الله عنهم المطر سبع سنين وقيل ثلاث سنين حتى قحطوا وكان الناس في ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء او جهد التجؤا الى بيت الله الحرام بمكة مسلمهم وكافرهم واهل مكة يومئذ العماليق من ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وكان سيد العماليق اذ ذاك بمكة رجلا يقال له معاوية بن بكر وكانت امه من عاد فبعث عاد وفدا الى مكة ليستسقوا لهم فنزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فأكرمهم وأنزلهم وأقاموا عنده شهراً يشربون الخمر فلما رأى معاوية طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم شق ذلك عليه وقال هلك اخوالي وهو لا، مقبمون عندي وهم ضيفي استحي ان أمرهم بالخروج الى ما بعثوا اليه وشكا ذلك الى قبيته التين كانتا تغنيانهم وهما الجرادتان فقالتا قل شعراً تغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية بن بكر

الا يا قيل ويحك قم فهيم	لعل الله يصبحنا غماما
فيسقي أرض عاد إن عادا	قد امسوا ما يبينون الكلاما
وان الوحش تأتيتهم جهاراً	ولا تحشى لمادي سهاما
وانتم ههنا فيما اشتهيتم	نهاركم وليلكم التماما
فقبح وفدكم من وفد قوم	ولا تقوا التحية والسلاما

فلما غنتهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض انما بعثكم قومكم يتغوثون بكم من هذا البلاء فادخلوا هذا الحرم واستسقوا لهم فقال رجل منهم قد آمن بهود سرا والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان أطعتم نبيكم سقيتم فزجروه وخرجوا الى مكة يستسقون بها لعاد وكان قيل بن عنزرأس وفد عاد فقال يا آلهنا ان كان هود صادقا فاسقنا فإننا قد هلكنا فأنشأ الله سبحانه سحابة سوداء وجرأ وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فاختر السحابة السوداء التي فيها العذاب فساق الله سبحانه تلك السحابة بما فيها من النعمة الى عاد فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله عز وجل

بل هو ما استعجلتم به ربح فيها عذاب اليم فسخرها الله تعالى عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوما اي دائمة فلم تدع من عاد احداً الا اهلك واعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبه ومن معه الا ما تلين عليه الجلود وتلذذ النفوس وانها لتمر من عاد بالطن ما بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة فأهلكتهم وروى ابو حمزة الثمالي عن سالم عن ابي جعفر (ع) قال ان الله تبارك وتعالى بيت ربح مقفل عليه لو فتح لأذرت ما بين السماء والأرض ما رسل على قوم عاد الا قدر الخاتم وكان هود وصالح وشعيب واسماعيل ونبينا صلى الله عليه وآله يتكلمون بالعربية

قوله تعالى (٧٣) وَإِلَى ثَمُودَ آخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ الْعَلَمِ (٧٤) وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَآذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٧٥) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ آتَعْلَمُونَ أَنْ صَالِحًا مَرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٧٦) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٧٧) فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ أَتُنَبِّئُنَا إِذْ بَدَأْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ مِنْ رَبِّكَ إِلَّا كَذِبٌ أُولَئِكَ فَجَرْنَا لَهُمُ اللَّعْنَةَ وَلَئِنَّ لَكَ لَأَنْبَاءً مِنْ رَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧٨) فَآخَذَتْهُمْ الرِّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٧٩) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِنْ رَبِّكُمْ فَاصْبِرُوا لِحُكْمِ رَبِّكُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨٠) وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (سبع آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر وحده وقال الملاء باثبات الواو والباقون بغير الواو

﴿ الحجة ﴾

قد تقدم القول في نحو هذا الواو وان اثباتها حسن وحذفها حسن

﴿ اللغة ﴾

البينة العلامة الفاصلة بين الحق والباطل من جهة شهادتها به والناقة اصلها من التوطئة والتذليل يقال يعبر منوق اي مذال موطأ وتنوق في العمل جوده والآية والعبرة والدلالة والعلامة نظائر والتبوتة التمكن من المنازل يقال بواته منزلاً اذا مكنته منه لياوي اليه وأصله من الرجوع قال الشاعر
وبوتت في صميم معشرها
فتم في قومها مبعواها
اي انزلت ومكنت والقصور جمع قصر وهو الدار التي لها سور يكون به مقصورة وأصله القصر الذي هو الجعل على منزلة دون منزلة ومنه القصير لأنه دون غيره والقصر الغاية يقال قصرك الموت لأنه قصر عليه والعشي الفساد يقال عشي يعشي وعاش يعيث بمعنى والعقر الجرح الذي يأتي على اصل النفس وهو من عقر

الحوض أصله قال امرؤ القيس * بإزاء الحوض أو عقره * والعتو تجاوز الحد في الفساد والرجف الاضطراب يقال رجف بهم السقف يرجف رجوا إذا اضطرب من تحتهم وارجف الناس بالشيء إذا خاضوا فيه واضطربوا والجنوم البروك على الركبة يقال جثم يجثم جثوما قال جرير
عرفت المتأني وعرفت منها مطايا القدر كالحدا الجنوم

﴿ الإعراب ﴾

ثود جاء مصروفاً وغير مصروف فمن صرفه فعلى أنه اسم الحي مذكر ومن ترك صرفه فعلى أنه اسم القبيلة كما قال الأبن ثودا كفروا ربهم إلا بعدا لثود فصرف الأول ولم يصرف الثاني آية منصوب على الحال لأن معنى قوله هذه ناقة الله أنظروا إلى هذه الناقة آية أي علامة وتأكل في موضع نصب على الحال أي آكلة ومفسدين أيضاً نصب على الحال وقوله لمن آمن منهم موضع نصب بدل من قوله للذين استضعفوا وهو بدل البعض من الكل إلا أنه أعيد فيه حرف الجر وقوله يا صالح اثنا ان وصلته همزته وان ابتدأت به لم تهمز بل تقول إيتنا وإنما كان كذلك لأن أصله اثنا بهمزتين فكرهوا اجتماعها فقلبوا الثانية ياء لكسرة ما قبلها وإذا وصل تسقط همزة الوصل فتظهر همزة الأصل

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على ما تقدم قصة صالح فقال (وإلى ثود أخاهم صالحا) أي وارسلنا إلى ثود و ثود هنا القبيلة وهو ثود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وصالح من ولد ثود قال (يا قوم اعبدوا الله) وحده (ما لكم من آله غيره) فعبدوه (قد جاءكم بينة من ربكم) أي دلالة معجزة شاهدة على صدقي (هذه ناقة الله لكم آية) أشار إلى ناقة بعينها أضافها إلى الله سبحانه تفضيلاً وتخصيصاً نحو بيت الله وقيل إنما أضافها إليه لأنها خلقها بلا واسطة وجعلها دلالة على توحيد وصدق رسوله لأنها خرجت من صخرة ملساء تمخضت بها كما تمخض المرأة ثم انفلقت عنها على الصفة التي طلبوها وكان لها شرب يوم تشرب فيه ماء الوادي كله وتسقيهم اللبن بدله ولهم شرب يوم يخصهم لا تقرب فيه ماءهم عن السدي وابن اسحاق وجماعة وقيل إنما أضافها إلى الله لأنه لم يكن لها مالك سواه تعالى عن الجبائي قال الحسن كانت ناقة من النوق وكان وجه الإعجاز فيها أنها كانت تشرب ماء الوادي كله في يوم على ما شرحناه (فذروها) أي اتركوها (تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء) أي بعقر أو نحر (فياخذكم) أي ينالكم (عذاب اليم) أي مؤلم (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد) أي واذكروا نعم الله تعالى عليكم في أن أورثكم الأرض ومكنكم فيها من بعد عاد (وبوأكم في الأرض) أي أنزلكم فيها وجعل لكم فيها مساكن وبيوتاً تأوون إليها (وتتخذون من سهولها قصوراً) والسهل خلاف الجبل وهو ما ليس فيه مشقة على النفس أي تبنون في سهولها الدور والقصور وإنما اتخذوها في السهول ليصيفوا فيها (وتنحتون الجبال بيوتاً) قال ابن عباس كانوا يبنون القصور بكل موضع وينحتون من الجبال بيوتاً يسكنونها شتاء لتكون مساكنهم في الشتاء أحصن وادفاً ويروى أنهم لطول أعمارهم يحتاجون إلى أن ينحتوا بيوتاً في الجبال لأن السقوف والأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم (فاذكروا آلاء الله) أي نعم الله عليكم بما أعطاكم من القوة وطول العمر والتمكن في الأرض (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) أي ولا تضطربوا بالفساد في الأرض ولا تبالغوا فيه (قال الملائكة الذين استكبروا) أي تعظموا

ورفعوا انفسهم فوق مقدارها يجحود الحق للانفة من اتباع الرسول الداعي اليه (من قومه) اي من قوم صالح (للذين استضعفوا) اي للذين استضعفوه من المؤمنين (لمن آمن منهم) انما ذكره لئلا يظن بالمستضعفين انهم كانوا غير مؤمنين لأنه قد يكون المستضعف مستضعفا في دينه ولا يكون مؤمنا فأزال الله سبحانه هذه الشبهة (اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه) اي هل تعلمون ان الله سبحانه ارسل صالحا (قالوا انا بما أرسل به مؤمنون) اي مصدقون (قال الذين استكبروا) لهم حين سمعوا منهم الايمان والاعتراف بنبوة صالح (انا بالذي آمتم به) اي صدقتم به (كافرون) جاحدون ثم اخبر سبحانه عما فعله المستكبرون بقوله (فغفروا لنا) اي فغفروا لنا قال الازهري العقر عند العرب قطع عرقوب البعير ثم جعل النحر عقرآ لأن ناجر البعير يعقره ثم ينحره (وعتوا عن امر ربهم) اي تجاوزوا الحد في الفساد والمعصية وقالوا يا صالح اثنا بما تعدنا) من العذاب على قتل الناقة فقد قتلناها (ان كنت من المرسلين) ثم اخبر سبحانه بما حل بهم من العذاب بقوله (فأخذتهم الرجفة) اي الصيحة عن مجاهد والسدي وقيل الصاعقة وقيل الزلزلة اهلكوا بها عن ابي مسلم وقيل كانت صيحة زلزلت بها الأرض واصل الرجفة الحركة المزعجة بشدة الزعزعة (فأصبحوا في دارهم) اي في بلدهم ولذلك وحد وقيل يريد في دورهم وانما وحد لأنه اراد الجنس كقوله ان الإنسان لغى خسرو وقد ذكر في موضع آخر ديارهم بالجمع (جاثمين) اي صرعى ميتين ساقطين لا حركة بهم وقيل كالرماد الجاثم لأنهم احترقوا بالصاعقة (فتولى عنهم) صالح اي اعرض عنهم لأنه انما كان يقبل عليهم لدعائهم الى الايمان (وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم) اي أدبت النصيح في تبليغ الرسالة (ولكن لا تعجبون الناصحين) اي ولكنكم لا تعجبون من ينصح لكم لأن من أحب انسانا قبل منه

❀ قصة صالح ❀

وكان من قصة صالح وقومه على ما ذكره اصحاب التواريخ أن عادا لما ملكت وتقتضى امرها عمرت ثمود بعدها واستخلفوا في الأرض فكثروا وعمروا وكانوا في سعة من معاشهم فعتوا على الله وافسدوا في الأرض وعبدوا غير الله فبعث الله اليهم صالحا وكان من اوسطهم نسبا وكانوا قوما عربا وروى في الخبر انه لما بعث كان ابن ست عشرة سنة فلبث فيهم بدعوهم إلى الله تعالى حتى بلغ عشرين ومائة سنة لا يجيبونه إلى خير وكان لهم سبعون صنما يعبدونها فلما رأى ذلك منهم قال لهم انا اعرض عليكم امرين إن شئتم فاسألوني حتى اسأل إلهي فيجيبكم فيما تسألون وإن شئتم سألت آلهتكم فإن اجابوني خرجت عنكم فقد شئتمكم وشئتموني قالوا قد انصفت فاتعدوا ليوم يخرجون فيه فخرجوا باصنامهم إلى عيدهم وأكلوا وشربوا فلما فرغوا دعوهم فقالوا يا صالح سل فسألها فلم تجبه قال لا أرسي آلهتكم تجيبني فاسألوني حتى اسأل إلهي فيجيبكم الساعة فقالوا يا صالح أخرج لنا من هذه الصخرة وأشاروا إلى صخرة منفردة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة ما شاكل البخت من الإبل فإن فعلت صدقناك وأمانك فسأل الله سبحانه ذلك صالح فأنصدت الصخرة صدعا كادت عقولهم تطير منه ثم اضطربت كالمرأة يأخذها الطلق ثم انصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبتيها إلا الله عظماء وهم ينظرون ثم نتجت سقبا مثلها في العظم فأمن به رهط من قومه ولم يؤمن أكابرهم فقال لهم صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وقد بينا ذلك قبل فإذا كان يومها وضعت رأسها في مائهم فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيه ثم ترفع رأسها فتفجع

لهم فيحتلبون ما شاؤوا من لبن فيشربون ويدخرون حتى يملؤا اوانهم كلها قال الحسن بن محبوب حدثني
 رجل من اصحابنا يقال له سعيد بن يزيد قال آتيت أرض ثمود فذرت مصدر الناقة بين الجبلين ورأيت اثر
 جنبها فوجدته ثمانين ذراعا وكانت تصدر من غير الفج الذي منه وردت لا تقدر على ان تصدر من حيث
 ترد لانه يضيق عنها فكانوا في سعة ودعة منها وكانوا يشربون الماء يوم الناقة من الجبال والمغارات فشق
 ذلك عليهم وكانت مواشيهم تنفر عنها لعظمتها فهموا بقتلها قالوا وكانت امرأة جميلة يقال لها صدوف ذات مال
 من ابل وبقر وغنم وكانت اشد الناس عداوة لصالح فدعت رجلا من ثمود يقال له مصدع بن مخرج وجعلت
 له نفسها على أن يعقر الناقة وامرأة اخرى يقال لها عنيزة دعت قدار بن سالف وكان احمر ازرق قصيرا وكان
 ولد زنا ولم يكن لسالف الذي يدعى اليه ولكنه ولد على فراشه وقالت له اعطيك اي بناتي شئت على ان تعقر
 الناقة وكان قدار عزيزا منيعا في قومه فانطلق قدار بن سالف ومصدع فاستغويا غواة ثمود فاتبعها سبعة نفر
 واجتمعوا على عقر الناقة قال السدي وغيره اوحى الله تعالى إلى صالح ان قومك سيعمرون ناقتك فقال ذلك لقومه
 فقالوا ما كنا لنفعل قال صالح انه يولد في شهر كم هذا غلام يعقرها ويكون هلاككم على يديه فقالوا لا يولد
 لنا ابن في هذا الشهر الا قتلناه فولد التسعة منهم في ذلك الشهر فذبحوا ابناءهم ثم ولد للعاشر فأبى ان يذبح
 ابنه وكان لم يولد له قبل ذلك شيئا وكان العاشر ازرق احمر ونبت نباتا سريعا وكان اذا مر بالتسعة
 فرأوه قالوا لو كان ابناؤنا احياء لكانوا مثل هذا فغضب التسعة على صالح لانه كان سبب قتلهم ابناءهم
 فتقاسموا بالله لنبيتنه واهله قالوا نخرج فيرى الناس انا قد خرجنا الى سفر فنأتي الغار فكون فيه حتى اذا
 كانت الليل وخرج صالح الى مسجده اتيناه فقتلناه ثم رجعنا الى الغار فكنا فيه ثم رجعنا فقلنا ما شهدنا
 مهلك اهله وانا لصادقون فيصدقوننا يعلمون انا قد خرجنا الى سفرنا وكان صالح لا ينام معهم في القرية وبيت
 في مسجد يقال له مسجد صالح فاذا اصبح اناهم فوعظهم واذا امسى خرج الى المسجد فبات فيه فانطلقوا فلما
 دخلوا الغار وأرادوا ان يخرجوا من الليل سقط عليهم الغار فقتلهم فانطلق رجال ممن اطلع على ذلك منهم
 فاذا هم رضع فرجعوا وجعلوا يصيحون في القرية اي عباد الله امارضي صالح ان امرهم بقتل اولادهم اذ
 قتلهم فاجتمع اهل القرية على عقر الناقة وقال ابن اسحاق انما كان تقاسم التسعة على تبييت صالح بعد عقر
 الناقة وانذار صالح اياهم بالعذاب قال السدي ولما ولد قدار وكبر جلس مع اناس يصيبون من الشراب فأرادوا
 ماء يمزجون به شرابهم وكان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربه الناقة فاشتد ذلك عليهم فقال
 قدار هل لكم في ان اعقرها لكم قالوا نعم وقال كعب كان سبب عقرهم الناقة ان امرأة يقال لها ملكاء
 كانت قد ملكت ثمودا فلما اقبل الناس على صالح وصارت الرئاسة اليه حسدته فقالت لامرأة يقال لها قطام
 وكانت معشوقة قدار بن سالف ولامرأة اخرى يقال لها اقبال كانت معشوقة مصدع وكان قدار ومصدع
 يجتمعان معها كل ليلة ويشربون الخمر فقالت لها ملكاء ان اتاكما اللبلة قدار ومصدع فلا تطيعاهما وقولا لها ان
 ملكاء حزينة لأجل الناقة ولأجل صالح فنحن لا نطيعكما حتى تعقرا الناقة فلما اتياها قالتا هذه المقالة لهما
 فقالا نحن نكون من وراء عقرها قالوا فانطلق قدار ومصدع واصحابها السبعة فرصدوا الناقة حين صدرت
 عن الماء وقد كمن لها قدار في اصل صخرة على طريقها وكن لها مصدع في اصل اخرى فمرت على مصدع
 فرمى بسهم فانتظم به عضلة ساقها وخرجت عنيزة وامرت ابنتها وكانت من احسن الناس فاسفرت لقدار ثم

زمرته فشد على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرت وورغت رغاء واحدة وتحذرت سقبا ثم طعن في لبتها فنحرها وخرج أهل البلدة واقتسموا لحمها وطبخوه فلما رأى الفصيل ما فعل بأهله ولى هاربا حتى صعده جبلا ثم رغاء تقطع منه قلوب القوم واقتل صالح فخرجوا يعتذرون إليه إنما عقربا فلان ولا ذنب لنا فقال صالح انظروا هل تدركون فصيلها فإن ادركتموه فمسي أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه في الجبل فلم يجدوه وكانوا عقروا الناقة ليلة الأربعاء فقال لهم صالح تمتعوا في داركم يعني في محلتكم في الدنيا ثلاثة أيام فإن العذاب نازل بكم ثم قال يا قوم انكم تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة واليوم الثاني تصبحون ووجوهكم حمرة واليوم الثالث وجوهكم مسودة فلما كان أول يوم أصبحت وجوههم مصفرة فقالوا جاءكم ما قال لكم صالح ولما كان اليوم الثاني احمرت وجوههم واليوم الثالث اسودت وجوههم فلما كان نصف الليل اتاهم جبرائيل (ع) فصرخ بهم صرخة خرقت اسمعهم وفلقت قلوبهم وصدعت اكبادهم وكانوا قد تحنطوا وتكفونوا وعلمو أن العذاب نازل بهم فماتوا اجمعين في طرفة عين صغيرهم وكبيرهم فلم يبق الله منهم ثاغية ولا راغية ولا شيبا يتنفس إلا اهلكه فاصبحوا في ديارهم موتى ثم ارسل الله اليهم مع الصيحة النار من السماء فأحرقتهم اجمعين فهذه قصتهم وفي كتاب علي بن ابراهيم فبعث الله عليهم صيحة وزلزلة فهلكوا وروى الثعلبي باسناده مرفوعا عن النبي (ص) قال يا علي اتدري من اشقى الا ولين قال قلت الله ورسوله اعلم قال عاقر الناقة قال اتدري من اشقى الاخرين قال قلت الله ورسوله اعلم قال قاتلك وفي رواية اخرى قال اشقى الاخرين من يخضب هذه من هذه وأشار إلى لحيته ورأسه وروى ابو الزبير عن جابر بن عبد الله قال لما مر النبي (ص) بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائهم ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين ان يصيبكم الذي اصابهم ثم قال اما بعد فلا تسألوا رسولكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألوها رسولهم الآية فبعث الله لهم الناقة وكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج تشرب ماءهم يوم ورودها وأراهم مرتقى الفصيل حين ارتقى في القارة فمتوا عن امر ربهم فمقروها فأهلك الله من تحت اديم السماء منهم في مشارق الأرض ومغاربها إلا رجلا واحدا يقال له ابو رغال وهو ابو ثقيف كان في حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله فلما خرج اصابه ما اصاب قومه فدفن ودفن معه غصن من ذهب وأراهم قبر ابي رغال فنزل القوم فابتدروه بأسياهم وحشوا عنه فاستخرجوا ذلك الغصن ثم قنع رسول الله صلى الله عليه وآله رأسه واسرع السير حتى جاز الوادي

قوله تعالى (٨٠) وَلَوْ طَأَّ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٨١) أَلَيْسَ لَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (٨٢) وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرَبَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٣) فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَةً كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٨٤) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (خمس آيات)

✽ القراءة ✽

قرأ أهل المدينة وحفص وسهل هنا انكم لتأتون وكذلك مذهبهم في الاستفهامين يجتمعان يكتبون بالاستفهام الأول عن الثاني في كل القرآن وهو مذهب الكسائي الا في قصة لوط والباقون بهمزتين الثانية مكسورة وحقها أهل الكوفة الا ان حفصا يفصل بينها بألف وابن كثير وابو عمرو ورويس يحققون الأولى ويلينون الثانية الا ان ابا عمرو يفصل بينهما بالألف

✽ الحجة ✽

قال ابو علي كل واحد من الاستفهامين جملة مستقلة لا يحتاج في تمامها الى شيء فمن ألحق حرف الاستفهام جملة نقلها به من الخبر الى الاستخبار ومن لم يلحقها بقاها على الخبر فإذا كان كذلك فمن قرأ انكم لتأتون الرجال جعله تفسيراً للفاحشة كما ان قوله للذكر مثل حظ الأنثيين تفسير للوصية

✽ اللغة ✽

قال الزجاج لوط اسم غير مشتق لأن المعجمي لا يشتق من العربي وإنما قال ذلك لأنه لم يوجد الا علما في اسماء الانبياء وقيل انه مشتق من لطت الحوض اذا الرقت عليه الطين وملسته به ويقال هذا لوط بقلبي من ذاك اسم الصق والديطة القشر للصوقه بما اتصل به والشهوة مطالبة النفس بفعل ما فيه اللذة وليست كالإرادة لأنها قد تدعو الى الفعل من جهة الحكمة والشهوة ضرورية فينا من فعل الله تعالى والإرادة من فعلنا يقال شهيت شهى شهوة قال

واشعث يشهى النوم قلت له ارتحل اذا ما النجوم اعرضت واسبكرت
فقام يجر البرد لو ان نفسه يقال له خذها بكفيك خرت
والاسراف الخروج عن حد الحق الى الفساد والغابر الباقي قال الاعشى
عض بما ابقى المواسي له من أمه في الزمن الغابر

✽ الاعراب ✽

انما صرف لوطا لظفنه بكونه على ثلاثة احرف ساكن الاوسط فقومت الخفة احد السببين ويجوز في قوله جواب قومه الرفع الا ان الاجود النصب وعليه القراءة شهوة مصدر وضع موضع الحال وقوله الا امراته استثناء متصل لأنه يجوز ان تدخل الزوجة في الأهل على التغليب في الجملة دون التفصيل ولم يقل من الغابرات لأنه اراد انها ممن بقيت مع الرجال ومطرا مصدر ذكر للتأكيد كقوله ضربه ضربا

— المعنى —

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال (ولو طوا) اي وارسلنا لوطا وقيل ان تقديره واذ كر لوطا قال الاخفش يحتمل للعنيين جميعا ههنا ولم يحتمل في قصة عاد وثمود الا ارسلنا لأن فيها ذكر الى وهو لوط ابن هاران بن تارخ بن اخي ابراهيم الخليل عليه السلام وقيل انه كان ابن خالة ابراهيم وكانت سارة امرأة ابراهيم اخت لوط (اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة) اي السيئة العظيمة القبح يعني اتيان الرجال في ادبارهم (ما سبقكم بها من احد من العالمين) قيل ما نزا ذكر على ذكر قبل قوم لوط عن عمر وبن دينار قال الحسن وكانوا يفعلون ذلك بالقرباء ثم بين تلك الفاحشة فقال (انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء) معناه أتأتون

الرجال في ادبارهم اشتهاه منكم اية تشتهونهم فتأتونهم وتتركون اتيان النساء اللاتي اباحها الله لكم (بل انتم قوم مسرفون) اي متجاوزون عن الحد في الظلم والفساد ومستوفون جميع المعاصي اتيان الذكرا ن وغيره (وما كان جواب قومه) اي لم يجيبوه عما قال (الا ان قالوا اخرجوهم من قريبتكم) قابلوا النصح والوعظ بالسفاهة فقالوا اخرجوا لوطا ومن آمن به من بلدتكم والمراد بالقريسة البلدة كما قال ابو عمرو بن العلاء ما رأيت قرويين افصح من الحسن البصري والحجاج يريد بالقروي من يسكن المدن (انهم اناس يتطهرون) اية يتخرجون عن ادبار الرجال فعابوهم بما يجب ان يدحوا به عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقبل معناه يتنزهون عن افعالكم وطرائقكم (فأنجيناه) اي فخلصنا لوطا من الهلاك (واهل) المختصين به واهل الرجل من يختص به اختصاص القرابة (الامراته) كانت من الغابرين) اي من الباقين في قومه المتخلفين عن لوط حتى هلكت لانها كانت على دينهم فلم تؤمن به وقبل معناه كانت من الباقين في عذاب الله عن الحسن وقتادة (وامطرا عليهم مطرا) اي ارسلنا عليهم الحجارة كما قال في آية أخرى وامطرا عليهم حجارة من سجيل (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) معناه تفكروا ونظر بعين العقل كيف كان مآل أمر المقترفين للسيئات والمنقطعين اليها وعاقبة فعلهم من عذاب الدنيا بالاستئصال قبل عذاب الآخرة بالخلود في النار

﴿ قصة لوط مع قومه ﴾

وجلة امرهم فيما روي عن ابي حمزة الثمالي وابي بصير عن ابي جعفر عليه السلام أن لوطا لبث في قومه ثلاثين سنة وكان نازلا فيهم ولم يكن منهم يدعوهم إلى الله وينهاهم عن الفواحش ويحثهم على الطاعة فلم يجيبوه ولم يطيعوه وكانوا لا يتطهرون من الجنابة بخلاء اشحاء على الطعام فأعقبهم البخل الذي لا دواء له في فروجه وذلك انهم كانوا على طريق السيارة إلى الشام ومصر وكان ينزل بهم الضيفان فدعاهم البخل إلى أن كانوا إذا نزل بهم الضيف فضحوه وإنما فعلوا ذلك لتشكل النازلة عليهم من غير شهوة بهم إلى ذلك فأوردهم البخل هذا الداء حتى صاروا يطلبونه من الرجال ويمطون عليه الجمع وكان لوط سخيا كريما يقري الضيف إذا نزل به فنهوه عن ذلك وقالوا لا تقربن ضيفا جاء ينزل بك فانك إن فعلت فضحنا ضيفك فكان لوط إذا نزل به الضيف كتم امره مخافة ان يفضحه قومه ولما اراد الله سبحانه عذابهم بعث اليهم رسلا مبشرين ومنذرين فلما عتوا عن امره بعث الله اليهم جبرائيل (ع) في نفر من الملائكة فأقبلوا إلى ابراهيم قبل لوط فلما رأى ابراهيم ذبح عجلا سمينا فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا يا ابراهيم انا رسل ربك ونحن لا نأكل الطعام انا أرسلنا إلى قوم لوط وخرجوا من عند ابراهيم فوقفوا على لوط وهو يستقي الزرع فقال من انتم قالوا نحن ابنا السبيل أضفنا الليلة فقال لوط إن أهل هذه القرية قوم سوء ينكحون الرجال في ادبارهم ويأخذون أموالهم قالوا قد ابطننا فأضفنا فجاء لوط إلى اهله وكانت امراته كافرة فقال قد اناني أضيف في هذه الليلة فاكتمني أمرهم قالت افعل وكنات العلامة بينها وبين قومها انه إذا كان عند لوط أضيف بالنهار تدخن من فوق السطح وإذا كان بالليل توقد النار فلما دخل جبرائيل (ع) والملائكة معه بيت لوط وثبت امراته على السطح فأوقدت نارا فأقبل القوم من كل ناحية يهرعون اليه أي يسرعون ودار بينهم ما قصه الله تعالى في مواضع من كتابه فضرب جبرائيل (ع) بجناحه على عيونهم فطمسها فلما رأوا ذلك علموا أنهم قد اتاهم العذاب فقال جبرائيل عليه السلام بالوط اخرج من

بينهم أنت وأهلك إلا امرأتك فقال كيف أخرج وقد اجتمعوا حول داري فوضع بين يديه عمودا من نور وقال اتبع هذا العمود ولا يلتفت منكم احد فخرجوا من القرية فلما طلع الفجر ضرب جبرائيل بجناحه في طرف القرية فقلعها من تخوم الأرضين السابعة ثم رفعها في الهواء حتى سمع اهل السماء نباح كلابهم وصراخ ديوهم ثم قلبها عليهم وهو قول الله عز وجل فجعلنا عاليها سافلها وذلك بعد أن أمطر الله عليهم حجارة من سجيل وهلك امرأته بأن ارسل الله عليها صخرة فقتلتها وقيل قلبت المدينة على الحاضرين منهم فجعل عاليها سافلها وأمطرت الحجارة على الغائبين فاهلكوا بها وقال الكلبي أول من عمل قوم لوط ابليس الخبيث لأن بلادهم اخصبت فانتجها أهل البلدان فمثل لهم ابليس في صورة شاب ثم دعاهم إلى دبره ففكح في دبره ثم عتوا بذلك العمل فلما كثر ذلك فيهم عجت الأرض إلى ربها فسمعت السماء فعبت إلى ربها فسمع العرش فعب إلى ربه فأمر الله السماء أن تحصبهم وأمر الأرض أن تحسف بهم

قوله تعالى (٨٥) وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَ نَكْمٌ مِّن بَيْنِنَا مِن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨٦) وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مِن آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكُنتُمْ كُفْرًا وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (٨٧) وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلَتْ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (ثلاث آيات)

اللغة

الإيفاء اتمام الشيء إلى حد الحق فيه ومنه ايفاء العهد وهو اتمامه بالعمل به والكيل تقدير الشيء بالمكيل حتى يظهر مقداره منه والوزن تقديره بالميزان والمساحة تقديره بالذراع او ما زاد عليه او نقص والبخس النقص عن الحد الذي يوجبه الحق والافساد اخراج الشيء إلى حد لا ينتفع به بدلا من حال ينتفع بها وضده الإصلاح والصد الصرف عن الفعل بالإغواء فيه كما يصد الشيطان عن ذكر الله وعن الصلاة يقال صدته عن الأمر بصدته اي منعه العوج بكسر العين في الدين وكل ما لا يرى والعوج بفتح العين في العمود وكل ما يرى كالحائط وغيره والطائفة الجماعة من الناس وهو من الطوف مأخوذة من انها تجتمع على الطواف

الاعراب

مدین اسم للمدينة أو القبيلة لا ينصرف للتعريف والتأنيث وجائز أن يكون اعجميا عن الزجاج بكل صراط بمعنى على كل صراط ويجوز تماقب الحروف الثلاثة هنا الباء وعلى وفي قول لا تقعد بكل صراط وعلى كل صراط وفي كل صراط لانه اجتمع معاني الأحرف الثلاثة فيه فإن الباء للإصاق وهو قد لاصق المكان وعلى للاستعلاء وهو قد علا المكان وفي للمحل وقد حل المكان ومن امن في موضع نصب بأنه مفعول به أي وتصدون المؤمنين بالله وإنما قال فاصبروا فجعل الصبر جزاء وهو لازم على كل حال لأن المعنى فسيقع

جزء كل فريق بما يستحقه من ثواب او عقاب كأنه قال فأنتم مصبرون على حكم الله بذلك

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من القصص قصة شعيب فقال (وإلى مدين) أي وأرسلنا إلى مدين (اخاهم شعيبا) وقيل إن مدين ابن ابراهيم الخليل فنسبت القبيلة اليه قال عطا هو شعيب بن توبة بن مدين بن ابراهيم وقال قتادة هو شعيب بن نوب قال ابن اسحاق هو شعيب بن ميكيل بن يشجب بن مدين بن ابراهيم وأم ميكيل بنت ارط وكان يقال له خطيب الانبياء حسن مراجعته قومه وهم اصحاب الأيكة وقال قتادة ارسل شعيب مرتين إلى مدين مرة وإلى اصحاب الأيكة مرة (فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من آله غيره قد جاءكم بينة من ربكم) قد مر تفسيره (فأوفوا الكيل والميزان) أي اتقوا ما تكيلونه على الناس بالمكاييل وما تزنونه عليهم بالميزان ومعناه ادرا حقوق الناس على التام في المعاملات (ولا تبخسوا الناس اشياءهم) أي لا تنقصوهم حقوقهم وقال قتادة والسدي البخس الظلم ومنه المثل تحبسها حمقا وهي باخس (ولا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها) يعني لا تعملوا في الأرض بالمعاصي واستحلال المحارم بعد أن اصلاحها الله بالأمر والنهي وبعثة الانبياء وتعريف الخلق مصالحهم وقيل لا تفسدوا بأن لا تؤمنوا فيهلك الله الحرث والنسل (ذاكم) الذي امرتكم به (خير لكم) وأعدو عليكم (إن كنتم مؤمنين) أي مصدقين بالله ولو غشا علق خيرته بالإيمان وان كان هو خيرا على كل حال من حيث ان من لا يكون مؤمنا بالله وعارفا بنبيه لم يمكنه أن يعلم أن ذلك خير له فكأنه قال لهم كونوا مؤمنين لتعلموا أن ذلك خير لكم ويمكن أن يكون المراد لا ينفعكم ابقاء الكيل والوزن إلا بعد أن تكونوا مؤمنين وقال الفراء لم يكن لشعيب معجزة على نبوته لأن الله تعالى لم يذكر له دلالة في القرآن وهو غلط لأنه لا يجوز ان يخلي الله تعالى نبيا عن معجزة هذا وقد قال سبحانه قد جاءكم بينة من ربكم فأوفوا فجاء بانفا جوابا للجزء ويجوز أن يكون له معجزات وان لم تذكر في القرآن كما أن أكثر آيات نبينا صلى الله عليه وآله ومعجزاته غير مذكورة في القرآن ولم يوجب ذلك نفيها (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون) قيل في معناه أقوال ﴿ احدها ﴾ أنهم كانوا يقعدون على طريق من قصد شعيبا للإيمان به فيخرفونه بالقتل عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد ﴿ وثانيها ﴾ أنهم كانوا يقطعون الطريق فنهاهم عن ابي هريرة وعبد الرحمن بن زيد ويمكن أن يكونا أرادا به أنهم كانوا يقطعون الطريق على الناس عن قصد شعيب فيرجع الى معنى القول الأول ﴿ وثالثها ﴾ أن المراد لا تقعدوا بكل طريق من طرق الدين فتطلبون له العرج بإيراد الشبه وتقولون لشعيب انه كذاب فلا يفتننكم عن الدين وتترعدونه (وتصدون عن سبيل الله من آمن به) أي تمنعون عن دين الله من أراد أن يؤمن به من الناس (وتبغونها عوجا) الماء راجعة الى السبيل أي تبغونها السبيل عوجا عن الحق وهو أن تقولوا هذا كذب وهذا باطل وما أشبه ذلك عن قتادة وقيل معناه تلتبسون لها الزبغ عن مجاهد وقيل معناه لا تستقيمون على طريق الهدى عن الحسن وقيل تريدون الاعوجاج والعدول عن القصد عن الزجاج (واذكروا إذ كنتم قليلا فكثرتكم) أي كثر عددكم قال ابن عباس وذلك أن مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت حتى كثر اولادها قال الزجاج وجائز أن يكون كثركم جعلكم اغنيا بهد أن كنتم فقراء وجائز أن يكونوا غير ذوي مقدرة واقدار فكثرتهم وجائز أن يكون عددهم قليلا فكثرتهم (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) يعني فكروا في عواقب امر عاد وثمود ولوط وانزال العقاب بهم واستئصال شافتهم وما حل بهم من البوار (وان كان طائفة) أي جماعة (منكم آمنوا بالذي ارسلت به) أي صدقوني في رسالتي وقبلوا قولتي (وطائفة لم يؤمنوا) لم يصدقوني (فاصبروا حتى يحكم الله بيننا) خاطب الطائفتين ومعناه لا يغرنكم تفرق الناس عني فإون جميل العاقبة لي وسيجزى الله كل واحد من الفريقين بما يستحقه على عمله في الدنيا او الآخرة

دون الدنيا (وهو خير الحاكمين) لانه لا يجوز عليه الجور ولا المجاباة في الحكم وهذا وعيد لهم قال البلخي أمرهم في هذه الآية بالكف عما كانوا يفعلون من الصد عن الدين والإيعاد عليه والكف عنه خير ورشد ولم يأمرهم بالمقام على الكفر وفي ذلك دلالة على انه ليس كل افعال الكفار كفر ومعصية كما يذهب اليه بعض أهل النظر

قوله تعالى (٨٤) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوْلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ (٨٥) قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِن كُنَّا فِي مِلَّةِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (آيتان)

✽ اللغة ✽

العود الرجوع وهو مصير الشيء إلى حال كان عليها ومنه إعادة الله الخلق وتستعمل لفظة الاعادة في الفعل مرة ثانية حقيقة وفي فعل مثله مجازا وكلاهما يسمى اعادة يقول اعدت الكتابة والقراءة ومعناه فعلت مثله قال الزجاج يقال قد عاد علي من فلان مكروه وإن لم يكن سبقه مكروه قبل ذلك وتأويله انه قد لحقني منه مكروه قال الشاعر

لأن كانت الأيام احسن مرة
إلى فقد عادت لهن ذنوب

الافتراء مشتق من فري الاديم وهو مثل الاختلاف والافتعال والملة الديانة التي يجتمع على العمل بها فرقة عظيمة والأصل فيه تكرار الأمر من قواهم طريق مليل إذا تكرر سلوكه حتى توطأ ومنه الملل وهو تكرار الشيء على النفس حتى تضجر والملة الرماد الحار تدفن فيه الحبة حتى تنضج لتكرر المحمي عليها والفتح الحكم والفتاح والفتاح الحاكم لانه يفتح باب العلم الذي انطلق على غيره وفتحته في كذا اي قاضيته قال ابن عباس ما كنت ادري ما الفتح حتى سمعت بنت سيف بن ذي يزن وقد جرى بيني وبينها كلام فقالت انطلق افاتحك إلى القاضي أي احاكمك اليه

✽ المعنى ✽

ثم اخبر سبحانه عما دار بينه وبين قومه فقال (قال الملأ الذين استكبروا من قومه) اي رفعوا انفسهم فوق مقاديرها (لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا) أي نخرجنك وأتباعك من المؤمنين بك من بلدتنا التي هي وطنك ومستقرك (أو لنعودن في ملتنا) أو لترجعن إلى ملتنا التي كنا عليها لانه كان عندهم وفي ظنهم انه كان قبل ذلك على دينهم فلذلك اطلقوا لفظ العود وقد كان عليه السلام يخفي دينه فيهم ويحتمل انهم ارادوا به قومه فادخله معهم في الخطاب ويحتمل أن يكون المراد به او تدخلن في ديننا وطريقتنا لأن العود يذكر ويراد به الابتداء كما قاله الزجاج ويكون بمعنى الصيرورة ومثله قول الشاعر

تلك المكارم لا قعبان من لبن
شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

وحقيقة المعنى انا لا غنكنك من المقام في بلدنا وأنت على غير ملتنا فإما أن تخرج من بلدتنا او تدخل في ملتنا (قال أولو كنا كارهين) أي قال شعيب اهم اتعيدوننا في ملتكم وتردوننا اليها ولو كنا كارهين للدخول فيها والمعنى إنا مع كراهتنا لذلك لما عرفناه من بطلانه لا نرجع فأدخل همزة الاستفهام على ولو وقيل معنى انكم

لا تقدرين على ردنا الى دينكم على كره منا فيكون على هذا كارهين بمعنى مكرهين (قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها) أي ان عدنا في ملتكم بأن نحل ما تحاوره ونحرم ما تحرمونه وننسبه الى الله تعالى بعد اذ نجانا الله تعالى منها بأن أقام الدليل والحجة على بطلانها وأوضح الحق لنا فقد اختلفنا على الله كذبا فيما دعوناكم اليه (وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا) قيل في معنى هذه المشية مع حصول العلم بأنه سبحانه لا يشاء عبادة الاصنام أقوال ﴿ أحدها ﴾ أن المراد بالملة الشريعة وليس المراد بها ما يرجع إلى الاعتقاد في الله سبحانه وصفاته ما لا يجوز ان تختلف العبادة فيه وفي شريعتهم اشياء يجوز أن يتعبد الله تعالى بها فكانه قال ليس لنا أن نعود في ملتكم إلا أن يشاء الله ان يتعبدنا بها وينقلنا اليها وينسخ ما نحن فيه من الشريعة عن الجبائي والقاضي ﴿ وثانيها ﴾ انه سبحانه علق ما لا يكون بما علم انه لا يكون على وجه التبعية كما قال ولا يدخلون الجنة حتى يبلغ الجمل في سم الحياض وكقول الشاعر

إذا شاب الغراب أتيت اهلي وصار القار كاللبن الحليب

فيكون المعنى كما لا يشاء الله عبادة الاصنام والقبائح لأن ذلك لا يليق بحكمته فكذلك لا نعود في ملتكم عن جعفر بن حرب ﴿ وثالثها ﴾ أن المراد إلا أن يشاء الله ان يمكنكم من اكرامنا ونحلي بينكم وبينه فنعود إلى اظهارها مكرهين ويقوي هذا قوله أو لو كنا كارهين ﴿ ورابعها ﴾ ان تعود الهاء التي في قوله فيها إلى القرية لا إلى الملة لأن ذكر القرية قد تقدم كما ان ذكر الملة تقدم فيكون تحقيق الكلام إناسنخرج من قريبتكم ولا نعود فيها إلا ان يشاء الله بما ينجزه لنا من الوعد في الاظهار عليكم والظفر بكم فنعود فيها ﴿ وخامسها ﴾ ان يكون المعنى إلا ان يشاء الله ان يردكم الى الحق فنكون جميعا على ملة واحدة غير مختلفة لأنه لما قال حاكيا عنهم او لتعودن في ملتنا كان معناه او لنكونن على ملة واحدة غير مختلفة فحسن ان يقول مسن بعد الا ان يشاء الله ان يجمعكم معنا على ملة واحدة فإن قيل فكأن الله تعالى ما شاء ان يرجع الكفار الى الحق قلنا بلى قد شاء ذلك إلا انه إنما شاءه بأن يؤمنوا مختارين ليستحقوا الثواب ولم يشأ على كل حال اذ لو شاءه على كل حال لما جاز الا يقع منهم ذلك فكانه قال ان ملتنا لا تكون واحدة أبدا الا ان يشاء الله ان يلجئكم إلى الايمان والاجتماع معنا على ملتنا (وسم ربنا كل شيء علما) انتصب علما على التمييز وتقديره وسع علم ربنا كل شيء فنقل الفعل الى نفسه لما فيه من جزالة اللفظ وفخامة المعنى وقيل في وجه اتصاله بما قبله ان الملة انما يتعبد بها على حسب ما في المعلوم من المصلحة فالمعنى انه سبحانه أحاط علمه بكل شيء فهو اعلم بما هو اصلح لنا فيتعبدنا به وقيل ان المراد به انه عالم بما يكون منا من عود او ترك (على الله توكلنا) في الانتصار منكم وفي كل أمورنا (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق) هذا سؤال من شعيب ورغبة منه الى الله في أن يحكم بينه وبين قومه بالحق على سبيل الانقطاع اليه سبحانه وان كان من المعلوم ان الله سيفعله لا محالة وقيل ان معناه اكشف بيننا وبين قومنا وبين آينا على حق وهذا استعجال منه للنصر (وأنت خير الفاتحين) اي خير الحاكمين والفاصلين

قوله تعالى (٩٠) وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا خَاسِرُونَ

(٩١) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ (٩٢) الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ

يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ (٩٣) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ

رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ (أربع آيات)

— اللغة —

غني بالمكان يعني غنا وغنيانا أقام به كأنه استغنى بذلك المكان عن غيره والمغاني المنازل واصل الباب الغني قال حاتم طي

غنيانا زمانا بالتصملك والغني
فما زادنا بغيا على ذي قرابة
والاسى شدة الحزن يقول اسي بأسي اسا وقال (يقولون لا تهلك اسي وتحمل)

✽ الاعراب ✽

إنكم إذا خاسرون جواب القسم وقد سد مسد جواب الشرط من قوله اثن وإذا ها هنا ملغاة لانها وقعت حشو الكلام وما بعدها يعتمد على ما قبلها الذين كذبوا شعبيا الاول في موضع رفع بالابتداء وخبره كان لم يغنوا فيها وإنما أعيد مرة ثانية من غير كناية لتعليظ الامر في تكذيبهم شعبيامع البيان انهم الذين حصلوا على الحسران لا من نسبهه إلى ذلك من اهل الايمان وهم في قوله هم الخاسرون فصل وإنما دخل الفصل مع أن المضر لا يوصف لأنه يحتاج فيه إلى التوكيد لئتمكّن معناه في النفس وان الذي بعده من المعرفة لا يخرج ذلك من معنى الخبر وان كان الاصل في الخبر النكرة

المعنى

ثم حكى الله سبحانه ما قالت الجماعة الكافرة الجاحدة بآيات الله فقال (وقال الملائكة الذين كفروا من قومه) أي من قوم شعيب للباقيين منهم (اثن اتبعتم شعيبا) في دينه وتركتم دينكم انقيادا لأمره ونهيه لأن الاتباع هو طلب الثاني موافقة الاول فيادعا اليه (انكم إذا خاسرون) والخسران ذهاب رأس المال فكأنهم قالوا إن اتبعتموه كنتم بمنزلة من ذهب رأس ماله وقيل خاسرون مغبونون عن ابن عباس وقيل هالكون (فأخذتهم الرجفة) أي فأخذ قوم شعيب الزلزلة عن الكلبي وقيل ارسل الله عليهم رمدة وحرا شديدا فأخذ بأنفسهم فدخلوا اجواف البيوت فدخل عليهم البيوت فلم ينفعهم ظل ولا ماء وانضجهم الحر فبعث الله تعالى سحابة فيها ريح طيبة فوجدوا برد الريح وطيبها وظل السحابة فتنادوا عليكم بها فخرجوا إلى البرية فلما اجتمعوا تحت السحابة أهبها الله عليهم نارا ورجفت بهم الأرض فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلّي وصاروا رمادا وهو عذاب يوم الظلة عن ابن عباس وغيره من المفسرين وقيل بعث الله عليهم صيحة واحدة فارتوا عن ابي عبد الله (ع) وقيل إنه كان لشعيب قومان قوم اهاكوا بالرجفة وقوم هم اصحاب الظلة (فأصبحوا في دارهم) أي منازلهم (جامئين) أي ميتين ملقين على وجوههم (الذين كذبوا شعبيا كأن لم يغنوا فيها) أي كأنهم لم يقيموا بها قط لان المهلك يصير كأن لم يكن وقيل كأن لم يغنوا فيها كأن لم يعيشوا فيها مستغنين عن قتادة وقيل كأن لم يعرفوا فيها عن ابن عباس (الذين كذبوا شعبيا) عاد اللفظ تأكيدا وتعليظا (كانوا هم الخاسرين) مر معناه بين سبحانه انهم الخاسرون دون من آمن به (فتولى عنهم) شعيب أي اعرض عنهم اما رأى اقبال العذاب عليهم اعراض الايس منهم (وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي) فيما امرني فلم تؤمنوا (ونصحت لكم) فلم تقبلوا ومعناه ان ما نزل بكم من البلاء وإن كان عظيما فقد استوجبتم ذلك بجنايتكم على انفسكم (فكيف آسى) أي فكيف احزن (على قوم كافرين) حل العذاب بهم مع استحقاقهم له وقوله فكيف آسى وإن كان على لفظ الاستفهام فالمراد به النفي لأن جوابه في هذا الموضع لا يصح إلا بالنفي وإنما يدخله معنى الانكار ايضا لهذه العلة وهذا كما قال العجاج «اطربوا وانت قسري» وهذا تسلية من شعيب بما يذكر من حاله معهم في مناصحته لهم وتأديته رسالة ربه

اليهم وانه لا ينبغي أن يأسى عليهم مع ترددهم في كفرهم وشدة عتوهم قال البلخي وفي هذا دلالة على انه لا يجوز للمسلم أن يدعو للكافر بالخير وانه لا يجوز الحزن على هلاك الكافرين والظالمين
قوله تعالى (٩٤) وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرُّعُونَ (٩٥) ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَّوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (آيتان)

[اللغة] -

التبديل وضع احد الشئين مكان الآخر واصل العفو الترك من قوله فعن عفي له من اخيه شي فمعنى قوله عفوا تركوا حتى كثروا قال

ولكننا نعص السيف منها باسوق عافيات اللحم كوم
والبغته الفجأة وهي الأخذ على غرة من غير مقدمة تؤذن بالنازلة يقال بغته ببغته وبغته قال « وانكأ شي حين يفجأك البغت »

✽ الإعراب ✽

اصل يضرعون يتضرعون فادغمت التاء في الضاد ولا يدغم الضاد في التاء لأن في الضاد استطالة وإنبايدغم الناقص في الزائد ولا يدغم الزائد في الناقص لما في ذلك من الإخلال به وهو في موضع رفع بأنه خبر لعل وبغته مصدر وضع موضع الحال

✽ المعنى ✽

ثم ذكر سبحانه بعد ما اقتصر من قصص الانبياء وتكذيب اممهم اياهم وما نزل بهم من العذاب سنة في امثالهم تسلية لنبينا صلى الله عليه وآله فقال (وما أرسلنا في قرية) من القرى التي اهلكناها بالعذاب وقيل في سائر القرى عن الجبائي (من نبي) وهو من يؤدي عنا بلا واسطة من البشر فلم يؤمنوا به بعد قيام الحججة عليهم (إلا أخذنا اهلها) يعني اهل تلك القرية (بالباء الساء والضراء) لعلمهم يضرعون) اي ليشبهوا ويعلموا انه مقدمة العذاب ويتضرعوا يتوبوا عن شركهم ومخالفتهم ويعني بالباء الساء ما نالهم من الشدة في انفسهم وبالضراء ما نالهم في اموالهم وقيل ان البأساء الجوع والامراض والشدائد عن الحسن وقيل ان البأساء الجوع والضراء الفقر عن السدي (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) أي رفعنا السيئة ووضعنا الحسنة مكانها والسيئة الشدة والحسنة الرخاء عن ابن عباس والحسن وقناعة ومجاهد وسميت سيئة لانها تسوء صاحبها قال الجبائي جرى في هذا الموضع على سبيل التوسع والمجاز (حتى عفوا) أي كثروا عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقيل سمعوا عن الحسن وقيل اعرضوا عن الشكر عن ابي مسلم (وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء) أي قال بعضهم لبعض هكذا عادة الدهر فكرونا على ما انتم عليه كما كان آباؤكم كذلك فلم ينتقلوا عن حالهم ففتنقلوا (فأخذناهم بغتة) اي فجأة عبرة لمن بعدهم (وهم لا يشعرون) اي لم يعلموا ان العذاب نازل بهم إلا بعد حلوله وحقية المعنى في الآية انه سبحانه يدبر خلقه الذين يعصونه بأن يأخذهم ترة بالشدة وتارة بالرخاء فإذا افسدوا على الأمرين جميعا اخذهم فجأة ليكون ذلك اعظم في الحسرة وابلغ في العقوبة نعوذ بالله من سخطه
قوله تعالى (٩٦) وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٧) أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَاتَاتًا

وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٨) أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضَحَىٰ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٩) أَفَأَمِنُوا
مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (أربع آيات)

✽ القراءة ✽

أو أمن بفتح الواو عن ابى وابن فليح والباقون أو أمن بسكون الواو إلا ان ورشا قرأه على أصله في القاء
حركة الهززة على الساكن قبلها فقال أو أمن

— الحجة —

قال ابو علي او حرف استعمل على ضربين **احدهما** ان يكون بمعنى احد الشئين او الاشياء في الخبر
والاستفهام **والآخر** ان يكون للاضراب عما قبلها في الخبر والاستفهام كما ان أم المنقطعة في الاستفهام
والخبر كذلك فأما التي تكون لأحد الشئين او الاشياء فمثاله في الخبر زيد او عمرو ضربته وجاء زيد او عمرو
كما تقول احدهما جاء واحدهما ضربته وهي إذا كانت للايابة كذلك ايضا وهو قوله جالس الحسن او ابن
سيرين واما التي تحي الاضراب بعد الخبر والاستفهام فكقولك انا اخرج ثم تقول او اقيم اضربت عن الخروج
وابت الاقامة كأنك قلت لا بل اقيم كما انك في قولك انها لا يبل أم شاء مضرب عن الأول ولا يقع بعدا وهذه
الاجملة ومن ثم قال سيبويه في قوله ولا تطع منهم آثما او كفورا انك لو قلت او لا تطع كفورا انقلب المعنى وإنما
كان ينقلب المعنى لأنه إذا قال لا تطع منهم آثما او كفورا فكأنه قال لا تطع هذا الضرب ولا تطع هؤلاء فإلزامه
ان لا يطيع واحدا منها لأن كل واحد منهما في معنى الآخر في وجوب ترك الطاعة له كما جازله أن يجمع بين
مجالسة الحسن وابن سيرين لأن كل واحد منهما اهل للمجالسة ومجالسة كل واحد منها كمجالسة الآخر ولو
قال ولا تطع منهم آثما او لا تطع كفورا كان بقوله او لا تطع قد اضرب عن ترك طاعة الاول وكان يجوز ان يطيعه
وفي جواز ذلك انقلاب المعنى ووجه قراءة من قرأ أو أمن انه جعل او للاضراب لا على انه ابطل الاول ولكن
كقوله ألم تنزيل الكتاب ثم قال أم يقولون افتراه فجاء هذا ليصروا ضلالهم فكان المعنى أو آمنوا هذه الضروب
من معاقبتهم والأخذ لهم وإن شئت جعلته او التي في قولك ضربت زيدا او عمرا كأنك اردت أفأمنوا إحدى
هذه العقوبات ووجه قراءة من قرأ أو أمن انه ادخل همزة الاستفهام على حرف العطف كما دخل في نحو قوله
أثم إذا ما وقع وقوله او كما عاهدوا عهدا ومن حجة من قرأ ذلك انه اشبه بما قبله وما بعده ألا ترى ان قبله أفأمن
اهل القرى وبعده أفأمنوا مكر الله أولم يهد للذين يرثون الارض فكما ان هذه الاشياء عطف حرف دخل عليها
حرف الاستفهام كذلك يكون أو أمن

✽ اللغة ✽

البركات الخيرات النامية واصله الثبوت والامن والثقة والطمانينة نظائر في اللغة وضد الأمن الخوف وضد
الثقة الريبة وضد الطمانينة الاترعاج والامن الثقة بالسلامة من الخوف والبأس العذاب والبؤس الفقر والاصل
الشدة ورجل بئيس شديد في القتال والنوم نقيض اليقظة وهو سهو يغير القلب ويغشى العين ويضعف الحس
وينافي العلم يقال نام الرجل ينام نوما وهو حسن النيمة إذا كان حسن هيئة النوم ورجل نومة بسكون الواو إذا
كان خسيسا لا يؤبه به ورجل نومه بفتح الواو إذا كان كثير النوم والنيم الغزو لأن من شأنه ان ينام فيه او لأنه
يغشى كما يغشى النوم والضحي صدر النهار في وقت انبساط الشمس واصله الظهور من قولهم ضحا الشمس يضحو
ضحوا وضحوا وفعل ذلك الامر ضاحية إذا فعل ظاهرا والأضحية لأنها تذبح عند الضحي يوم العيد قال الخليل
المكر الاحتيال باظهار خلاف الاضمار وقيل ان اصل المكر الالتفاف ومنه ساق مكمورة اي ملتفة حسنة

قال ذو الرمة

عجزاء مكمورة خصاصة قلق عنها الوشاح وتم الجسم والقصب
والمكور شجر ملتف قال «يسن في علقى وفي مكور» فمعنى قواك مكر فلان يكر مكر التفت تديره
على مكروه اصاحه

✽ الاعراب ✽

لو معناه تعليق الثاني بالاول الذي يجب الثاني بوجوده وينتهي بانتفائه على طريقة كان وان فيها هذا المعنى
على طريقة يكون والفرق بينها ان تعلق الثاني بالاول الذي يمكن ان يكون ويمكن ان لا يكون كقواك ان
امن هذا الكافر استحق الثواب وهذا مقدور وليس كذلك او لانها قد تدخل على ما لا يمكن ان يكون
كقواك لو كان الجسم قديما لاستغنى عن صانع وإنما فتحت ان بعد او لانها وقعت في الموضع الذي يختص بالفعل
فالون لو ليس يدخل إلا على الفعل وان مع اسمها وخبرها في تأويل اسم مفرد فيكون تقديره او وقع ان اهل
القرى آمنوا فيكون ان مع ما بعدها في موضع رفع بالفعل المقدر بعد او وإنما دخلت همزة الاستفهام على حرف
العطف من قوله أفأمن او آمن مع ان الاستفهام للاستئناف والعطف بخلافه لأنها إنما يتناهيان في المفرد لأن
الثاني إذا عمل فيه الاول كان من الكلام الاول والاستئناف قد اخرج من ان يكون منه واما في عطف جملة
على جملة فيصح لأنه على استئناف جملة بعد جملة

- المعنى -

ثم بين سبحانه ان كل من اهلكه من الأمم المتقدم ذكرهم إنما أتوا في ذلك من قبل نفوسهم فقال (ولو
ان أهل القرى) التي اهلكناها بسبب جحودهم وعنادهم (آمنوا) وصدقوا رسلنا (واتقوا) الشرك والمعاصي
(افحصنا عليهم بركات) أي خيرات نامية (من السماء) بل يترال المطر (و) من (الارض) بل يخرج النبات والثمار كما
وعد نوح بذلك أمته فقال يرسل السماء عليكم مدرارا الآيات وقيل بركات السماء اجابة الدعاء وبركات الارض
تيسير الحوائج (ولكن كذبوا الرسل فأخذناهم بما كانوا يكسبون) من المعاصي والمخالفة وتكذيب الرسل فحبسنا
السماء عنهم واخذناهم بالضيق عقوبة لهم على فعلهم (أفأمن أهل القرى) المكذبون لك يا محمد (أن يأتيهم
بأسنا) أي عذابنا (بيانا) ليلا (وهم نائمون) في فرشهم ومنازلهم كما أتى المكذبين قبلهم (او أمن أهل
القرى أن يأتيهم بأسنا ضحي) أي عذابنا نهارا عند ارتفاع الشمس (وهم يلعبون) أي وهم في غير ما ينفعهم او
يعود عليهم بنفع فإن من اشتغل بديناه واعرض عن آخرته فهو كالألعاب والمعنى بأهل القرى كل أهل قرية يقيم
على معاصي الله في كل وقت وزمان وان نزلت بسبب أهل القرى الظالم اهلها المشركين في زمن النبي صلى الله
عليه وآله وإنما خص سبحانه هذين الوقتين لأنه اراد انه لا يجوز لهم ان يأمنوا ليلا ولا نهارا عن الحسن (أفأمنوا
مكر الله) أي أبعده هذا كله آمنوا عذاب الله أن يأتيهم مسن حيث لا يشعرون عن الجبائي قال دخلت الفاء
للتعقيب وسمي العذاب مكرًا لتزوله بهم من حيث لا يعلمون كما ان المكر يتزل بالمكور به من جهة الماكر
من حيث لا يعلمه وقيل ان مكر الله استدراجه إياهم بالصحة والسلامة وطول العمر وتظاهر النعمة (فلا يأمن
مكر الله إلا القوم الخاسرون) يسأل عن هذا فيقال ان الأنبياء والمعصومين آمنوا مكر الله وليسوا بخاسرين
وجوابه من وجوه **➤** احدها **➤** ان معناه لا يأمن مكر الله مسن المذنبين إلا القوم الخاسرون بدلالة قوله
سبحانه ان المتقين في مقام امين **➤** وثانيها **➤** ان معناه لا يأمن عذاب الله للعصاة إلا الخاسرون والمعصومون
لا يأمنون عذاب الله للعصاة ولهذا سلموا من موقعة الذنوب **➤** وثالثها **➤** لا يأمن عقاب الله جهلا بحكمته
إلا الخاسرون ومعنى الآية الإبانة عما يجب أن يكون عليه المكلف من الخوف لعقاب الله تعالى ليسارع الى طاعته

واجتناب معاصيه ولا يستشعر الا من من ذلك فيكون قد خسر في دنياه و آخرته بالتمالك في القبائح
 قوله تعالى (١٠٠) اَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْاَرْضَ مِنْ بَعْدِ اَهْلِهَا اَنْ لَوْ نَشَاءُ اَصْبَنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ
وَنَطْبَعُ اَعْيُنَهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (١٠١) تِلْكَ الْقُرَى نَقِصُ عَلَيْكَ مِنْ اَنْبِيَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ
رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ
 (١٠٢) وَمَا وَجَدْنَا لِاَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَاِنْ وَجَدْنَا اَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ (ثلاث آيات)

❖ القراءة ❖

قرأ يعقوب برواية زيد أولم نهد بالنون وكذلك في طه والسجدة وبه قرأ ابو عبد الرحمن السلمي وقتادة
 والباقون بالياء.

❖ الحجة ❖

من قرأ نهد بالنون فإونه للتعظيم وهذا يقوي ان المعنى في قوله أولم يهد بالياء. أولم يبين الله سبحانه لهم دون
 ان يكون المعنى أولم يهد لهم مشيئتنا او اصطلامنا لمن اهلكناه

❖ اللفظة ❖

القصص اتباع الحديث الحديث يقال فلان يقص الاثر اي يتبعه ومنه المقص لأنه يتبع في القطع اثر القطع
 والنبأ الخبر عن امر عظيم الشأن ولذلك اخذ منه اسم نبي والوجدان والإلقاء. والادراك والمصادفة نظائر

❖ الإعراب ❖

نطبع ليس بمحمول على أصبناهم لأنه او حمل عليه لكان ولطبعنا ولكنه على الاستئناف اي ونحن نطبع
 من عهد من هنا للتبعيض لأنه إذا لم يوجد بعش العهد لم يوجد الجميع والاولى ان تكون من مزيدة للتعميم
 واستفراق الجنس وقيل ان اصلها لا ابتداء. الغاية فدخلت على ابتداء الجنس إلى انتهائه وان وجدنا اكثرهم لفاستين
 ان هذه هي المخففة من الثقيلة وإذا خففت جاز الفاعلها من العمل وان يليها الفعل لانها حينئذ قد صارت خارجة
 من شبه الفعل

❖ المعنى ❖

ثم انكر سبحانه عليهم تركهم الاعتبار بمن تقدمهم من الامم فقال (أولم يهد) وهو استفهام يراد به
 التقرير اي اولم يبين الله وبالنون اولم نبين عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقيل معناه اولم يهد ما تلونا من انباء
 القرى وقيل تقديره اولم يهد لهم مشيئتنا لأن قوله ان او نشاء. اصبناهم في موضع رفع بانه فاعل يهدي (للذين
 يرثون الارض من بعد اهلها) معناه الذين خلفوا في الارض من بعد اهلها الذين اهلكهم الله بتكذيبهم للرسل
 (ان او نشاء. اصبناهم بذنوبهم) يعني اولم نبين انا لو شئنا اهلكناهم بعقاب ذنوبهم كما اهلكنا الامم الماضية
 قبلهم (ونطبع على قلوبهم) قد ذكرنا معنى الطبع والختم في اوائل سورة البقرة (فهم لا يسمعون) الوعظ ولا
 يقبلونه ثم اخبر سبحانه عن اهل القرى التي ذكرها وقص خبرها فقال (تلك القرى) والمخاطبة للنبي ^{صلى الله عليه وسلم}
 (نقص عليك من انبيائها) لتفكر فيها وتحبر قومك بها ليتذكروا ويعتبروا ويحذروا عن الاصرار على مثل حال
 او تلك المغترين بطول الامهال في النعم السابقة والممن المتظاهرة (ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات) اي الدلالات
 والحجج وإنما اضاف الرسل اليهم مع انهم رسل الله لأن المرسل مالك الرسالة وقد ملك العباد الانتفاع بها
 والاهتداء بما فيها من البيان (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل) معناه فما اهلكناهم إلا وقد كان في

معلومنا انهم لا يؤمنون ابداً عن مجاهد قال ويريد بقوله من قبل من قبل الهلاك وهو بمنزلة قوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل معناه ان عتوهم في كفرهم وقمردهم فيه يحماهم على ان لا يتركوه إلى الايمان فما كانوا ليؤمنوا بعد ان جاءتهم الرسل بالمعجزات بما كذبوا به من قبل رزيتهم تلك الينبات عن الحسن وقيل معناه ما كان هؤلاء الخلف ليؤمنوا بما كذب به اوائلهم من الامم وقال الاخفش بما كذبوا معناه بتكذيبهم فجعل ما مصدرية (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) قيل ان الله سبحانه شبه الكفر بالصدأ لانه يذهب عن القلوب بحلاوة الايمان ونور الاسلام كما يذهب الصدأ بنور السيف وصفاء المرآة ولما صاروا عند امر الله لهم بالايمان إلى الكفر جاز ان يضيف الله سبحانه الطبع إلى نفسه كما قال زادتهم رجسا إلى رجسهم وان كانت السورة لم تردهم ذلك عن جعفر بن حرب والبلخي ووجه التشبيه في الكاف ومعناه ان دلالة على انهم لا يؤمنون كالطبع على قلوب الكافرين الذين في مثل صفتهم وقيل معناه كما دل الله لكم بالاخبار على انهم لا يؤمنون فكذلك يدل للملائكة بالطبع على انهم لا يؤمنون (وما وجدنا الا كثرهم) أي ما وجدنا الا كثر المهلكين (من عهد) أي من وفاء بعهد كما يقال فلان لا عهد له أي لا وفاء له بالعهد وليس يحافظ للعهد ويجوز ان يكون المراد بهذا العهد ما اودع الله العقول من وجوب شكر المنعم وطاعة المالك المحسن واجتناب القبائح ويجوز ان يكون المراد به ما اخذ على المكلفين على السنة الانبياء ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وهو قول الحسن (وان وجدنا كثرهم لفاسقين) اللام وان للتأكيد والمعنى وان وجدنا كثرهم ناقضين للعهد مخلفين للوعد ويسأل فيقال كيف قال اكثرهم وكلهم فسقة وكيف يجوز ان يكون كافر غير فاسق والجواب انه قد يكون الكافر عدلاً في دينه غير مرتكب لما يحرم في طريقته فعلى هذا يكون المعنى وان اكثرهم مع كفرهم فاسق في دينه غير لازم لمذهبه ناقض للعهد وقيل الوفاء بالوعد

قوله تعالى (١٠٣) ثم بعثنا من بعدهم موسى باياتنا إلى فرعون وماله فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين (١٠٤) وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين (١٠٥) حقيق على ان لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني اسرائيل (١٠٦) قال ان كنت جئت بآية فات بها ان كنت من الصادقين (١٠٧) فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين (١٠٨) ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين (ست آيات)

✽ القراءة ✽

قرأ نافع وحده حقيق على بتشديد الباء والباقون بتخفيف الباء

✽ الحجة ✽

قال ابو علي حجة نافع في قوله حقيق على واتصاله بعل من وجهين ✽ احدهما ✽ ان حق الذي هو فعل يعدى بعل قال فحق علينا قول ربنا ✽ والاخر ✽ ان حقيق بمعنى واجب فكما ان واجب يتعدى بعل كذلك يتعدى حقيق به ومن قرأ حقيق على فجاز تعديته بعل من الوجهين اللذين ذكرنا وقد قالوا هو حقيق بكذا فيجوز على هذا ان يكون على بمعنى الباء قال ابو الحسن كما وقعت الباء في قوله بكل صراط توعدون موقع على كذلك وقعت على هنا موقع الباء

- اللغة -

البعث الإرسال وهو في الأصل النقل باعتماد يوجب الإسراع في المشي فالبعث بعد الموت نقل إلى حال الحياة والبعث للانبيا نقل بالإرسال عن حالة إلى حالة النبوة والعصا عود كالقضيب يابس وأصله الامتناع ييبسه يقال عصي بالسيف يعصى إذا امتنع قال جرير

تصف السيوف وغير كم يعصى بها يا ابن القيون وذلك فعل الصيقل
ويقال عصا بالسيف أي اخذه اخذ العصا ويقال لمن استقر بعد تنقل التي عصاه قال

فألقت عصاها واستقرت بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر
ولبت المعصية بمشتقة من العصا لأن العصا من نبات الواو والمعصية من نبات الياء قال

فجاءت بنسج العنكبوت كأنه على عصويها سابري مشبرق
وأصل التي من اللقواء الذي هو الاتصال فألقت عصاه أي ازالا اتصالها كما كان عليه والثعبان الحية الضخمة الطويلة قال الفراء الثعبان اعظم الحيات وهو الذكور وهو مشتق من ثعبت الماء ائعبه إذا فجرته والمثعب موضع انفجار الماء فسمي الثعبان لأنه يجري كعنق الماء عند الانفجار والنزع ازالة الشيء عن مكانه الملابس له المتمكن فيه كنزع الرداء عن الإنسان والنزع والقلع والجذب نظائر

* الإعراب *

موضع كيف في قوله كيف كان نصب لأنه خبر كان وتفديره انظر أي شيء كان عاقبة المفسدين وموسى على وزن مفعول والميم زائدة لكثرة زيادتها أولا كالمهزمة حتى صارت اغلب من زيادة الألف اخيرا. وافى على وزن افعال لهذه العلة وموسى لا ينصرف لأنه اسم اعجمي معرفة وموسى الحديد عربي ان سميت به رجلا لم تصرفه لأنه موثث ومعرفة على أكثر من ثلاثة احرف كما لو سميت به بعناق لم تصرفه وفرعون على وزن فعلن مثل بردون فالواو زائدة لأنها جاءت مع سلامة الأصول الثلاثة والتون زائدة للزومها وفرعون لا ينصرف لأنه اعجمي معرفة عرب في حال تعريفه لأنه نقل من الاسم العلم ولو عرب في حال تنكره لا ينصرف كما ينصرف يا قوت في اسم رجل، إلا الحق نصب بانه مفعول القول على غير الحكاية بل على معنى الترجمة عن المعنى دون حكاية اللفظ، قوله إن كنت جئت بآية قال ابو العباس المبرد ان هنا لم ينقل الماضي الى معنى الاستقبال من أجل قوة كان لأنها أم الأفعال ولا يجوز ذلك في غيرها وقال ابو بكر السراج المعنى ان تكن جئت بآية أي ان صح ذلك قال إذا امكن إجراء الحرف على أصله لم يجز اخراجه عنه وان ينقل الفعل نقلين إلى الشرط والاستقبال كما ان لم ينقل الفعل إلى النفي والماضي وضمير المخاطب في كنت يرجع إلى المكثي ولا يجوز ذلك في الذي لأن الذي غائب فحقه ان يعود إليه ضمير الغائب وقد أجازوه إذا تقدمت كناية المتكلم في نحو قول الشاعر

وأنا الذي قتلت بكرا بالقنا وتركت تغلب غير ذات سنام

ونحو ما روي عن امير المؤمنين عليه السلام من قوله

أنا الذي سميتني أمي حيدره أكيكم بالسيف كيل السندرة

وعلى هذا يجوز ان الذي ضربك عمرو والوجه ضربه عمرو وقوله فأت بها جاز وقوع الأمر في جواب الشرط

لأن فيه معنى ان كنت جئت بآية فأني الزمك ان تأتي بهذا فقد عاد الى انه وجب الثاني بوجوب الأول قوله فإذا هي ثعبان مبین اذا هذه ظرف مكان ويسمى ظرف المفاجأة وهي بخلاف اذا التي هي ظرف زمان وفيها معنى الشرط ويعمل فيها جوابها ومثال اذا التي هي ظرف المكان قولهم خرجت فإذا الناس وقوف فإذا في موضع نصب بكونها ظرفاً لوقوف وتقديره فبالحضرة الناس وقوف فيجوز ان ينصب وقوفاً على الحال لأن اذا ظرف مكان وظروف المكان تكون اخباراً عن الجثث وهذه المسئلة وقعت بين سيويه والكسائي لما اجتمعما عند يحيى بن خالد البرمكي فيما رواه علي بن سليمان الاخشاش قال حدثني احمد بن يحيى ثعلب ومحمد ابن يزيد المبرد قال لما ورد سيويه بغداد شق امره على الكسائي فأتى جعفر بن يحيى والفضل بن يحيى فقال انا وليكما وصاحبكما وهذا الرجل قد قدم ليذهب بعجلي فقالوا له فاحتل لنفسك فأنا سنجمع بينكما فجمعما بينهما عند ابهما وحضر سيويه وحده وحضر الكسائي ومعه الفراء وعلي الاحمر وغيرهما من اصحابه فسأله كيف تقول كنت أظن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هي او فإذا هو اياها قال اقول فإذا هو هي فأقبل عليه الجمع فقالوا له اخطأت ولحنت فقال يحيى هذا موضع مشكل انتما ماما مصرين كما من يحكم بينكما قال فقال الكسائي واصحابه الاعراب الذين على الباب فادخل ابو الجراح ومن وجد معه ممن كان الكسائي واصحابه يحملون عنهم فقالوا انا نقول فإذا هو اياها وانصرف المجلس على ان سيويه اخطأ وحكموا عليه بذلك فأعطاه البرامكة وأخذوا له من الرشيد وبعثوا به الى بلده فما لبث بعد هذا الامر الا يسيرا حتى مات ويقال انه مات كمداً قال علي بن سليمان واصحاب سيويه الى هذه الغاية لا اختلاف بينهم يقولون ان الجواب على ما قال سيويه فإذا هو هي وهذا موضع الرفع وهو كما قال علي بن سليمان وذلك ان النصب انما يكون على الحال نحو خرجت فإذا الناس وقوفاً جاز النصب هنا لأن وقوفاً نكرة والحال لا يكون الا نكرة فإذا اضمرت بطل امر الحال فان المضمر معرفة والمعرفة لا تكون حالا فوجب العدول عن النصب الى الرفع كما تقول فإذا الناس وقوف

✽ المعنى ✽

ثم عطف سبحانه بقصة موسى (ع) على ما تقدم من قصص الأنبياء (ع) فقال (ثم بعثنا من بعدهم) اي من بعد الرسل الذين ذكرناهم او من بعد الأمم الذين ذكرنا اهلاكم (موسى بأياتنا) اي بدلائلنا وحججنا (الى فرعون وملائه) اي اشراف قومه وذوي الامر منهم (فظلموا بها) اي ظلموا انفسهم بيجدها عن الحسن والجبائي وقيل فظلموا بوضعها غير مواضعها فجعلوا بدل الإيمان بها الكفر والجحود لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه الذي هو حقه ولم يقل فذهب موسى (ع) فأدى اليهم الرسالة فكذبوه لأن في قوله فظلموا بها دلالة عليه (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) يعني ما آل اليه امرهم في الهلاك وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين (هذه حكاية قول موسى لفرعون وندائه له اني رسول اليك من قبل رب العالمين مبعوث اليك والى قومك قال وهب وكان اسم فرعون الوليد بن مصعب وهو فرعون يوسف وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي دخلها موسى رسولا اربعائة عام (حقيق على ان لا أقول على الله الا الحق) قال الزجاج معناه حقيق على ترك القول على الله الا الحق وقال الامام العلامة الزمخشري تقول انا حقيق على قول الحق اي واجب علي قول الحق ان اكون انا قائله والقائم به ولا يرضى

الا مثلي ناطقا به ومنه قول العرب فلان يدعيه العلم بالطرف فوق ما يدعي هو العلم بها
وقال الفراء معناه حقيق بأن لا أقول على الله الا الحق فيكون على بمعنى الباء كما تقول رميت السهم على
القوس وبالقوس وجاءني فلان على حالة حسنة وبجالة حسنة وقيل معناه حريص على ان لا أقول على الله
الا الحق وما فرضه علي من الرسالة عن ابي عبيدة (قد جئتمكم ببينة) اي بحجة ومعجزة (من ربكم) اي
اعطانيها ربكم (فأرسل معي بني اسرائيل) اي فأطلق بني اسرائيل من عقاب التسخير وخلصهم يرجعوا الى
الارض المقدسة وذلك ان فرعون والقبط كانوا قد استعبدوا بني اسرائيل واعتقلوهم للاستخدام في الاعمال
الشاقة مثل بناء المنازل وحمل الماء ونقل التراب وما اشبه ذلك (قال) فرعون (ان كنت جئت بآية) اي
حجة ودلالة تشهد لك على ما تقوله (فأت بها ان كنت من الصادقين) في اذك رسول الله (فألقي عصاه)
الفاء فاء الجواب اي فكان جوابه لفرعون ان القى عصاه من يده (فاذا هي ثعبان مبين) اي حية عظيمة
بين ظاهر انه ثعبان بحيث لا يشتبهه على الناس ولم يكن مما يخيل انه حية وليس بحية وقيل ان العصا لما صارت
حية أخذت قبة فرعون بين فكيفها وكان ما بينها ثمانون ذراعا فتضرع فرعون الى موسى بعد ان وثب من
سريره وهرب منها وحدث وهرب الناس ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذها وأنا أوثمن بك
فأخذها موسى فعادت عصا عن ابن عباس والسدي وقيل كان طولها ثمانين ذراعا (ونزع يده فاذا هي
بيضاء للناظرين) هناك قيل ان فرعون قال له هل معك آية اخرى قال نعم فأدخل يده في جيبه وقيل تحت
ابطه ثم نزعها اي اخرجها منه وأظهرها فاذا هي بيضاء اي لونها ابيض نوري ولها شعاع يغلب نور الشمس
وكان موسى (ع) آدم فيما يروى ثم اعاد اليد الى كفه فعادت الى لونها الاول عن ابن عباس والسدي
ومجاهد. سؤال. قيل كيف قال سبحانه هنا فاذا هي ثعبان وقال في موضع آخر فلما رآها تهتز كأنها جان
والثعبان الحية العظيمة والجان الحية الصغيرة فاختلف الوصفان والقصة واحدة والجواب ان الآيتين ليستا اخباراً
عن هيئة واحدة بل الحالتان مختلفتان والحالة التي كانت العصا بصفة الجان كانت في ابتداء النبوة
والحالة التي كانت بصفة الثعبان كانت عند لقائه فرعون وعلى هذا فلا سؤال وقد اجيب ايضا عن ذلك بأنه
شبهها بالجان اسرعة حركتها ونشاطها وخفتها مع انها في جسم الثعبان وكبر خلقه وهذا ابر في باب الاعجاز

✽ حديث العصا ✽

قد ذكرنا نسب موسى (ع) في سورة البقرة وأما عصاه فقيل انه اعطاه اياه ملك حين توجه الى مدين وقيل ان
عصا آدم من آس الجنة حين اهبط وكانت تدور بين اولاده حتى انتهت التوبة الى شعيب فكانت ميراثه مع اربعين
عصاً كانت لا بائه فلما استأجر شعيب موسى امره بدخول بيت فيه العصي وقال له خذ عصاً من تلك العصي فوعدت تلك
العصي بيد موسى فاستردتها شعيب وقال خذ غيرها حتى فعل ذلك ثلاث مرات في كل مرة تقع يده عليها دون
غيرها فتر كها في يده في المرة الرابعة فلما خرج من عنده متوجها الى مصر ورأى ناراً وأتى الشجرة فناداه الله
تعالى ان يا موسى اني انا الله وأمره باللقاء فآلقها فصارت حية فولى هارباً فناداه الله سبحانه خذها ولا تخف
فأدخل يده بين حبيبيها فعادت عصا فلما اتى فرعون القاها بين يديه على ما تقدم بيانه وقيل كان الأنبياء (ع)
يأخذون العصا تجنبوا من الخيلاء وقال رسول الله (ص) تعصوا فلانها من سنن اخواني المرسلين وقال أمير المؤمنين
(ع) قال رسول الله (ص) من خرج في سفر معه عصا من لوز مر وتلا هذه الآية ولما توجه تلقاء مدين الى قوله
والله على ما نقول وكيل آمنه الله من كل سبع ضار ومن كل لص عاص ومن كل ذات حمة حتى يرجع الي

أهله ومنزله و كان معه سبعة وسبعون من المعقبات بسنغفرون له حتى يرجع ويضعها وقيل ان اول من أخذ العصا عند الخطبة في العرب قس بن ساعدة

قوله تعالى (١٠٩) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا السَّاحِرُ عَلِيمٌ (١١٠) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (١١١) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (١١٢) يَا تُوْكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (أربع آيات)

— القراءة —

قرأ أهل المدينة والكسائي وخلف أرجه بكسر الهاء بغير همز بين الجيم والهاء إلا أن نافعا والكسائي وخلفا يشعون كسرة الهاء ولا يشبع أبو جعفر وقالون عن نافع بل يكسران الهاء بغير همز بين الجيم والهاء وقرأ عاصم وحمة أرجه بغير همز وسكون الهاء وقرأ الباقون أرجه بالهمز وضم الهاء وفي الشعراء مثله وقرأ بكل سحار بألف بعد الحاء كوفي غير عاصم هاءنا وفي يونس وقرأ الباقون ساحر بالف قبل الحاء في السورتين ولم يختلفوا في الشعراء أن الألف بعد الحاء هناك

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي أرجه أفعله من الأرجاء وهو التأخير ولا يد من ضم الهاء مع الهمزة ولا يجوز غيره وأن لا يبلغ الواو أحسن لأن الهاء خفية فلو بلغ بها الواو لكان كأنه جمع بين ساكنين ومن قال أرجه فالحق الواو فلأن الهاء متحركة ولم يلتق ساكنان لأن الهاء يفصل بينهما ولو كان مع الهاء حرف لين لكان وصلها بالواو أقبح نحو عليه واجتماع حروف متقاربة مع أن الهاء ليس بمجاز قوي ومن قرأ أرجه فوصل الهاء بياء فلأن هذه الهاء يوصل في الإدراج بوأوباء نحو بهو وبهي وضر بهو ومن قرأ أرجه فلأن في أرجات لغتين أرجت وأرجيت فإذا قال أرجه كان من أرجيت قال الزجاج زعم الخذاق بالنحو أن هذه الهاء لا يجوز أسكانها أعني هاء الأضمار وزعم بعض النحويين أن أسكانها جائز وأن هاء التانيث يجوز أسكانها واستشهد بيوت مجهول وهو

لما رأى أن لادعه ولا شبع مال إلى ارطاة حقف فاضطجع

قال وهذا شعر لا يعرف قائله والشاعر قد يجوز أن يخطئ وحجة من قرأ ساحر قوله فالتقي السحرة ولعلنا تتبع السحرة والسحرة جمع ساحر وكذلك قوله سحروا أعين الناس وحجة من قرأ سحار أنه قد وصفه بعلم وذلك يدل على تناهيه فيه وحذقه به فحسن لذلك أن يذكروا بالاسم الدال على المبالغة في السحر

— اللغة —

السحر لطف الحيلة في اظهار اعجوبة توهم المعجزة وقال الأزهري السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره واصل السحر خفاء الأمر والسحر آخر الليل لخفاء الشخص بيقية ظلمته والسحر الرئة خلفاء أمرها ويقال سحر المطر الأرض إذا جادها فقطع نباتها عن أصوله فقلب الأرض ظهرا لبطن بسحرها سحرا والأرض مسحورة فشبه سحر الساحر بذلك لتخييله إلى من سحره أنه يرى الشيء بخلاف ما هو به

﴿ الإعراب ﴾

فإذا تأمرون موضع ما يحتمل أن يكون رفعا ويكون ذا معنى الذي فيكون بمعنى فإ الذي تأمرون ويحتمل أن يكون نصبا ويكون ما وذا اسما واحداً ويكون بمعنى فأي شيء تأمرون ويأتوك مجزوم لأنه جواب الأمر وعامل

الاعراب فيه محذوف وتقديره فإنك ان ترسل بأتوك والباء في قوله بكل ساحر يحتمل أن يكون بمعنى مع اي يأتون ومعهم كل ساحر فيكون في موضع الحال ويحتمل أن يكون للتعديفة تقول ذهبت به واذهبت به واتيت به واتيته

✽ المعنى ✽

ثم حكى سبحانه ما قاله اشراف قوم فرعون فقال (قال الملائمة من قوم فرعون) لمن دونهم في الرتبة من الحاضرين (ان هذا الساحر عليم) بالسحر (يريد أن يخرجكم من ارضكم) معناه يريد أن يستميل بقلوب بني اسرائيل إلى نفسه ويتقوى بهم فيغلبكم بهم ويخرجوكم من بلدتكم (فإذا تأمرون) قيل أن هذا قول الاشراف بعضهم لبعض على سبيل المشورة ويحتمل ان يكون قالوا ذلك لفرعون وإنما قالوا تأمرون بلفظ الجمع على خطاب الملوك ويحتمل ايضا ان يكون قول فرعون لقومه فيكون تقديره قال فرعون لهم فإذا تأمرون وهو قول الفراء والجبائي (قالوا ارجه وأخاه) اي قالوا لفرعون اخوه وأخاه هارون ولا تعجل بالحكم فهما بشي فتكون عجلتك حجة عليك عن الزجاج وقيل أخره اي احبسه والأول اصح لانه كان يعلم انه لا يقدر على حبسه مع ما رأى من تلك الآيات (وأرسل في المدائن) التي حولك (حاشرين) أي جامعين للسحرة يحشرون من يعلمونه منهم عن مجاهد والسدي وقيل هم اصحاب الشرط أرسلهم في حشر السحرة وكانوا اثنين وسبعين رجلا عن ابن عباس (بأتوك بكل ساحر عليم) أي يحشرون اليك السحرة ليحتموا وبعارضوا موسى فيغلبوه

قوله تعالى (١١٣) وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (١١٤) قَالَ نَعَمْ وَإِنكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (١١٥) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا أَن تُلْقَى وَإِنَّا أَن نَكُونُ نَحْنُ الْمُغْلَبِينَ (١١٦) قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (أربع آيات)

✽ القراءة ✽

قرأ اهل الحجاز وحفص إن لنا لأجرا بهمزة واحدة على الخبر وقرأ أثن بهمزتين مخففتين ابن عامر وأهل الكوفة غير حفص وقرأ ابو عمرو وآءن بهمزة ممدودة وقرأ يعقوب غير زيد بهمزة غير ممدودة

✽ الحجة ✽

قال ابو علي الاستفهام اشبه بهذا الموضع لأنهم يستفهمون عن الأجر وليسوا يقفون على ان لهم الأجر ويقوي ذلك اجماعهم في الشعراء وربما حذف همزة الاستفهام قال ابو الحسن في قوله وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني اسرائيل أنف من الناس من يذهب إلى انه على الاستفهام وقد جاء ذلك في الشعر قال

افرح أن أزرأ الكرام وان اورث ذودا شصائصا نبلا

وهذا اقبح من قوله

وأصحبت فيهم آمنأ لا كعشر اتوني فقالوا من ربيعة أم مضر

لأن ام بدل على الهمزة

✽ الإعراب ✽

نحن يحتمل ان يكون موضعه رفعاً ويكون تأكيداً للضمير المتصل في كنا ويحتمل أن يكون فصلاً بين الخبر والاسم ونعم حرف مع انه يجوز الوقف عليه لأنه في الوجوب نظير لا في النفي وإنما جاز الوقف على كل واحد منهما لأنه جواب لكلام يستغنى بدلالته عليه عما يتصل به والواو في قوله وإنكم واو العطف فكأنه قال لكم ذلك وإنكم لمن المقربين وهو في مخرج الكلام كأنه معطوف على الحرف وكسرت الألف من وإنكم

لأنه في موضع استثناء بالوعد ولم يكسر لدخول اللام في الخبر لأنه لو لم يكن اللام لكانت مكسورة وإنما دخلت أن في قوله إما أن تلقي ولم تدخل في إما يعذبهم وإما يتوب عليهم لأن فيه معنى الأمر كأنه قال اختر إما أن تلقي أياً إما القاك وإما القاءنا فموضع ان نصب ويجوز أيضاً أن يكون التقدير إما القاؤك مبدوء به وإما القاؤنا فموضع ان على هذا يكون نصبا

= المعنى =

(وجاء السحرة فرعون) في الكلام حذف كثير تقديره فأرسل فرعون في المدائن حاشرين يحشرون السحرة فحشروهم فجاء السحرة فرعون وكانوا خمسة عشر الفا عن ابن اسحاق وقيل ثمانين الفا عن ابن المنكدر وقيل سبعين الفا عن عكرمة وقيل بضعة وثلاثين الفا عن السدي وقيل كانوا اثنين وسبعين ساحرا اثنان من القبط وهما رئيسا القوم وسبعون من بني اسرائيل عن مقاتل وقيل كانوا سبعين عن الكبي (قالوا) لفرعون إنما لم يقل فقالوا حتى يتصل الثاني بالأول لأن المعنى لما جاءوا (قالوا) فلم يصلح دخول القاء على هذا الوجه (أئن لنا لأجرا) أي عوضا على عملنا وجزاء بالخير (إن كنا نحن الغالبيين) لموسى (قال نعم) أي قال فرعون مجيبا لهم عما سأله نعم لكم الأجر (وإنكم لمن المقربين) أي وإنكم مع حصول الأجر لكم لمن المقربين إلى المنازل الجليلة والمراتب الخطيرة التي لا يتخطى إليها العامة ولا يحظى بها إلا الخاصة وفي هذا دلالة على حاجة فرعون وذلك لو استدل قومه به واحسنوا نظريه لنفوسهم لأن من المعلوم انه لم يحتج إلى السحرة إلا لعجزه وضعفه (قالوا) يعني قالت السحرة لموسى (يا موسى إما ان تلقي) ما معك من العصا أولا (وأما ان نكون نحن الملقين) لما معنا من العصي والحبال أولا (قال) لهم موسى (القوا) انتم وهذا امر تهديد وتقريع كقوله سبحانه اعملوا ما شئتم وقيل معناه القوا على ما يصح ويجوز لا على ما يفسد ويستحيل وقيل معناه ان كنتم محقين فالقوا (فلما القوا سحروا أعين الناس) أي فلما القى السحرة ما عندهم من السحر احتالوا في تحريك العصي والحبال بما جعلوا فيها من الزئبق حتى تحركت بحرارة الشمس وغير ذلك من الحيل وانواع التمويه والتليس وخيل إلى الناس انها تتحرك على ما تتحرك الحية وإنما سحروا أعين الناس لأنهم أروهم شيئا لم يعرفوا حقيقته وخفي ذلك عليهم لبعده منهم فأينهم لم يخلوا الناس يدخلون فيما بينهم وفي هذا دلالة على ان السحر لا حقيقة له لأنها لو صارت حيات حقيقة لم يقل الله سبحانه سحروا أعين الناس بل كان يقول فلما القوا صارت حيات وقد قال سبحانه أيضا يخيل إليه من سحرهم انها تسعى (واسترهبوهم) أي استدعوا رهبتهم حتى رهبهم الناس عن الزجاج وقيل معناه اربهوهم وافزعوهم عن المبرد (وجاءوا بسحر عظيم) وصف سحرهم بالعظم لبعده مرام الحيلة فيه وشدة التمويه به فهو لذلك عظيم الشأن عند من يراه من الناس ولأنه على ما ذكرناه في عدة السحرة وكثرتهم كان مع كل واحد منهم عصا او حبل فلما القوا وخيل إلى الناس انها تسعى استعظموا ذلك وخافوه

قوله تعالى (١١٧) وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْبَىٰ فَيَكُونُ (١١٨) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٩) فَغَلَبُوا هَنَالِكَ وَأَنْفَلَبُوا صَٰغِرِينَ (١٢٠) وَأَلْقَىٰ السَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ (١٢١) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٢) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (ست آيات)

✽ القراءة ✽

قرأ حفص عن عاصم تلقف خفيفة وفي طه والشعراء مثله والباقون تلقف بشدائد القاف في جميعها

✽ الحجة ✽

تلقف وتلقم واحد وأصله تتلقف فحذفت التاء التي للمطاوعة في تفعل وثبت التاء التي للمضارعة وتلقف

ساكنة اللام مضارع لقف بلفظ لقف قال الشاعر

أنت عصا موسى التي لم تنزل تلقف ما يأكفه الساحر

✽ اللغة ✽

الإفك قلب الشيء عن وجهه في الأصل ومنه الإفك الكذب لأنه قلب المعنى عن جهة الصواب، أصل الوقوع السقوط كسقوط الخائط والطائر والواقعة النازلة من السماء قال علي بن عيسى الوقوع ظهور الشيء بوجوده نازلاً إلى مستقره والحق كون الشيء في موضعه الذي اقتضته الحكمة والباطل الكائن بحيث يؤدي إلى الهلاك وهو تقيض الحق فإن الحق كون الشيء بحيث يؤدي إلى النجاة والغلبة الظفر بالبنية من العدو في حال المنازعة والصاغر الذليل والصغر والصغار الذلة يقال صغر الشيء بصغر صغرا وصغرا وصغارا إذا ذل وأصله صغر القدر

✽ الإعراب ✽

أن الت يجوز أن يكون ان مع ما بعدها من الفعل بمنزلة المصدر فيكون تقديره وأوحينا إلى موسى بأن الت أي بالإلقاء ويجوز أن يكون بمعنى أي لأنه تفسير ما أوحى إليه ما يأكفون ما بمعنى الذي وتقديره تلقف ما يأكفون فيه أي تلقف المأفوك الذي حل فيه الإفك ومثله والله خلقكم وما تعملون يعني وما تعملون فيه وما كانوا يعملون يحتمل أن تكون ما بمعنى المصدر أي وبطل عملهم ويحتمل أن يكون ما بمعنى الذي أي وبطل الحبال والعصي التي عملوا بها السحر وما إذا كانت بمعنى المصدر لا تعمل في الفعل كما يعمل ان فيه إذا كانت بمعنى المصدر لأن ان ينقل الفعل تلقين إلى المصدر وإلى الاستقبال ولا ينقله ما إلى الاستقبال تقول تعجبي ما تصنع الآن وتعجبي ان تصنع الخير وهناك دخلت اللام فيه ليدل على بعد المكان المشار إليه كما دخلت في ذلك بعد المشار إليه فهنا لما بعد قليلا وهناك لما كان أشد بعدا وهو ظرف مبهم وفيه معنى الإشارة كما ان ذا مبهم وإنما دخلت كاف المخاطبة مع بعد الإشارة لتشعر بآكيد معنى الإشارة إلى المخاطب ليتنبه على بعد المشار إليه من المكان . والبعيد أحق بعلامة التنبيه من القريب

✽ المعنى ✽

ثم اخبر سبحانه عن نفسه فقال (وأوحينا إلى موسى) أي التينا إليه من وجه لم يشعر به إلا هو (ان الت عصاك) التي معك (فإذا هي تلقف ما يأكفون) معناه فألقاها فصارت نعبانا فإذا هي تتلغ ما يكذبون فيه انها حيات عن مجاهد (فوق) أي ظهر (الحق) وهو امر موسى وصحة نبوته ومعجزاته عن الحسن ومجاهد وقيل وقع الحق بأن صارت العصا حية في الحقيقة (وبطل ما كانوا يعملون) أي بطل تمويهاتهم عن الجبائي وإنما ظهر ذلك لهم لأنهم لما رأوا تلك الآيات الباهرة والمعجزات القاهرة في العصا علموا انه امر سماوي لا يقدر عليه غير الله تعالى فمن تلك الآيات قلب العصا حية ومنها أكفها حبالهم وعصيتهم مع كثرتها ومنها فناء حبالهم وعصيتهم في بطنها اما بالتفرق واما بالفناء عند من جوزه ومنها عودها عصا كما كانت من غير زيادة ولا نقصان وكل من هذه الأمور يعلم كل عاقل انه لا يدخل تحت مقدور البشر فاعترفوا بالتوحيد والنبوة وصار إسلامهم حجة على فرعون وقومه (فغلبوا هنالك) أي قهر فرعون وقومه عند ذلك المجمع وبهت فرعون وخلى سبيل موسى ومن تبعه (وانقلبوا صاغرين) أي انصرفوا أذلاء مقهورين (وألقي السحرة ساجدين) يعني ان السحرة لما شاهدوا تلك الآيات وعلموا انها من عند الله تعالى آمنوا بالله تعالى وبموسى وسجدوا لله أنهمم الله ذلك وقيل ان موسى وهارون سجدا لله تعالى شكرا له على ظهور الحق فاقنودوا بها فسجدوا معها وإنما قال النبي على ما لم يسم فاعله ليكون فيه معنى القائم مارأوا من عظيم آيات الله بأن دعاهم إلى السجود لله والخضوع له عزت قدرته وأنهم لم يتالكوا انفسهم عند ذلك بأن وقعوا ساجدين وهذا كما يقال اعجب فلان بنفسه وإن كان أتى من قبله وليس

يفعل ذلك به غيره (قالوا آمنا) أي صدقنا (رب العالمين) الذي خلق السماوات والارض وما بينهما (رب موسى وهارون) خصوصاً بالذكر بعد دخولها في جملة العالمين لأنها دعوا إلى الإيمان بالله تعالى ولشرف ذكرهما ولتفضيلهما على غيرهما على طريق المدح والتعظيم لها وقيل انهم فسروا سجودهم بأن قالوا آمنا برب العالمين لثلاث بتوهم متوهم انهم سجدوا لفرعون ثم قالوا رب موسى وهارون لأن فرعون كان يدعي انه رب العالمين فأزالوا به الإيهام لثلاث بتوهم الجهال انهم عنوا بقولهم رب العالمين فرعون وقال علي بن عيسى يجوز ان يقال ان الله سبحانه لم يزل ربا ولا مربوب كما جاز لم يزل أسمياً ولا مسموع لأنها صفة غير جارية على الفعل كما جرى صفة مالك على ملك يملك فالقدور هو المملوك ولا يطلق الرب إلا على الله تعالى لأنه يقتضي انه رب كل شيء يصح ملكه ويقال في غيره رب الدار ورب الفرس ومثله خالق لا يطلق إلا عليه سبحانه ويقال في غيره خالق الادم

قوله تعالى (١٢٣) قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمْؤُهُ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٤) لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٥) قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (١٢٦) وَمَا نُنْفِئُ مِنْهَا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (اربع آيات)

- القراءة -

قرأ حفص عن عاصم آمنتم بهمزة واحدة على الخبر حيث كان والباقيون بهمزتين على الاستفهام إلا ان أهل الكوفة إلا حفصا يحققون همزتين وغيرهم حققوا الاولى ولينوا الثانية ولم يفصل احد بين الهمزتين بالف

= الحجة =

وجه الخبر فيه انه يخبرهم بإيمانهم على وجه التقرير لم يؤمنوا بهم والآنكار عليهم ووجه الاستفهام انه على جهة التقرير والتوبيخ ايضا ومن حقق الهمزتين فإنه على ما يراه من تحقيقها والهمزة الثانية ممدودة لأن الألف المنقلبة عن الهمزة التي هي فاء من الامن يتصل بها ومن خفف الهمزة الثانية فتحقيقها أن يجعلها بين

* اللغة *

الصلب الشد على الخشبة وغيرها وأصله من صلابه الشيء والقراء كلهم على تشديد اللام من التصليب الازهري يقال تقمت على الرجل اقم وتقت والفصيح تقمت ابن الاعرابي النعمة العقوبة والآنكار قال علي بن عيسى النعمة ضد النعمة والفرق بين النعمة والإساءة ان النعمة قد تكون بحق جزاء على كفر النعمة والإساءة لا تكون إلا قبيحة والمسي مذموم لا محالة والإفراغ صب ما في الإناء أجمع حتى يغلو مشق من الفراغ والصبر حبس النفس عن اظهار الجزع والصبر على الحق عز كما ان الصبر على الباطل ذل

* المعنى *

ثم حكى سبحانه ما صدر عن فرعون عند إيمان السحرة فقال سبحانه (قال فرعون آمنتم به) أي اقررتم له بالصدق من (قبل ان آذن لكم) أي من قبل ان أمركم بالإيمان وآذن لكم في ذلك (إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لئخرجوا منها أهلها) أراد فرعون بهذا القول التلبيس على الناس وإيهامهم ان إيمان السحرة لم يكن عن علم ولكن لتواطؤ منهم ليذهبوا مالكم وملكمهم وقيل معناه ان هذا الصنيع صنعتهموه فيما ينسبكم وبين موسى في مصر قبل خروجكم إلى هذا الموضع لتستولوا على مصر فتخرجوا منها أهلها (فسوف تعلمون)

عاقبة اسركم وهذا وعيد لهم ثم بين الوعيد فقال (لا قطعن ايديكم وارجلكم من خلاف) اي من كل شق طرفا قال الحسن هو ان يقطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى وكذلك اليد اليسرى مع الرجل اليمنى (ثم لا صلبنكم اجمعين) اي لا ادع واحدا منكم الا صلبته وقيل ان اول من قطع الرجل وصلب فرعون صلبهم في جذوع النخل على شاطئ نهر مصر (قالوا) يعني السحرة جوابا لفرعون (انا الى ربنا منقلبون) اي راجعون الى ربنا بالتوحيد والاخلاص عن ابن عباس والاقبال الى الله تعالى هو الاقبال الى جزائه وغرضهم بهذا القول التسلي في الصبر على الشدة لما فيه من المثوبة مع مقابلة وعيده بوعيد اشد منه وهو عقاب الله (وما تنقم منا الا ان آمننا بايات ربنا لما جاءتنا) معناه وما تطعن علينا وما تكبره منا الا ايماننا بالله وتصديقنا باياته التي جاءتنا قال ابن عباس معناه ما لنا عندك من ذنب ولا ركبتنا منك مكروها تعذبنا عليه الا ايماننا بايات ربنا وهي ما اتى به موسى «ع» آمنوا بها انها من عند الله لا يقدر على مثلها الا هو (ربنا افرغ علينا صبرا) اي اصيب علينا الصبر عند القطع والصلب حتى لا نرجع كفارا والمراد الطف لنا حتى نتصبر على عذاب فرعون وتشجع عليه ولا تفرغ منه (وتوفنا مسلمين) اي وفقنا للثبات على الايمان والاسلام الى وقت الوفاة وقيل مسلمين مخلصين لله حتى لا يردنا البلاء عن ديننا قالوا فصلبهم فرعون من بومه فكانوا اول النهار كفارا سحرة و آخر النهار شهداء بيرة وقيل ايضا انه لم يصل اليهم وعصمهم الله منه

قوله تعالى (١٢٧) وَقَالَ الْمَلَأَمِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرْكُمُ وَيَذُرْكُمُ قَالَ سَنُقْتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (آية)

✽ القراءة ✽

روي عن علي بن ابي طالب عليه السلام وابن عباس وابن مسعود وأنس ابن مالك وعلقمة وغيرهم ويذكر وأهنتك وعن نعيم بن مسيرة والحسن بخلاف ويذكر بالرفع وعن الأشهب ويذكر بسكون الراء والقراءة المشهورة ويذكر وأهنتك وقرأ أهل الحجاز سنقتل ابناهم بالتخفيف والباقون سنقتل بالتشديد

✽ الحجة ✽

اما الالهة فإنه الربوبية والعبادة فمن قرأ وإلهتك فمعناه ويذكر وربوبيتك عن الزجاج وقيل وعبادتك عن ابن جني قال ومنه سميت الشمس الالهة والالهة لا أنهم كانوا يعبدونها ومن قرأ ويذكر بالرفع فإنه على الاستئناف أي وهو يذرك واما من اسكن فقال ويذكر فإنه كقراءة ابي عمرو ان الله يأمركم وقد مضى الكلام في ذلك ومن نصب ويذكر فإنه على جواب الاستفهام بالواو فيكون المعنى أي يكون منك أن تذر موسى وان يذرك ويجوز ان يكون عطفا على ليفسدوا ومن قرأ سنقتل بالتخفيف فإنه قد يقع ذلك على التكثير وغير التكثير والتثقيب بهذا المعنى أخص وبالموضع اليق

— المعنى —

ثم اخبر سبحانه عن قوم فرعون فقال سبحانه (وقال الملائكة من قوم فرعون) لما اسلم السحرة تحريضا له على موسى (انذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض) اي اتركهم احباء ليظهروا اخلافك وبدعوا الناس الى مخالفتك ليغلبوا عليك فيفسد به ملكك وأمرك وقيل ليفسدوا في الأرض بعبادة غيرك والدعاء الى خلاف دينك وقيل ليفسدوا فيها بالغبلة عليها وأخذ موسى قومه منها وروي عن ابن عباس أنه لما أمن السحرة اسلم من بني اسرائيل ستائة الف نفس واتبعوه (ويذكرك وأهنتك) قال الحسن كان فرعون يستعبد الناس ويعبد الاصنام بنفسه وكان الناس يعبدونها تقربا اليه وقال السدي كان يعبد ما يستحسن من البقر وروي انه كان يأمرهم ايضا بعبادة البقر

ولذلك اخرج السامري لهم عجلا جسدا له خوار وقال هذا إلهكم وآله موسى وقال الزجاج كانت له اصنام يعبدها قومه تقربا اليه ومن قرأ وأهتكت قال كان فرعون يستعبد الناس بنفسه ولا يعبد شيئا وروي عن مجاهد انه قال كان فرعون يعبد ولا يعبد (قال) فرعون (سقتل ابناهم) الذين يكون فيهم النجدة والقوة ويصلحون للقتال (ونستحيي نساءهم) أي بناتهم نستحيين إذا لا يكون فيهن نجدة وقوة للمهنة والخدمة استدلالا لمن وان كان فرعون قد انقطع طمعه عن قتل موسى وقومه فلم يقل سأقتل موسى وقومه لما رأى من علو أمره وعظم شأنه فانقل إلى عذاب المستضعفين منهم وهم ابنا بني اسرائيل وبناتهم ليوهم انه يتم له ذلك فيهم ايضا (وإنا فوقهم قاهرون) ظاهر المعنى

قوله تعالى (١٢٨) قال موسى لقومه استعينوا بالله وأصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين (١٢٩) قالوا أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون (آيتان)

✽ المعنى ✽

قال ابن عباس كان فرعون يقتل ابنا بني اسرائيل فلما كان من امر موسى ما كان أمر بإعادة القتل عليهم فشكا ذلك بنو اسرائيل إلى موسى فعند ذلك (قال موسى لقومه استعينوا بالله) في دفع بلاء فرعون عنكم (واصبروا) على دينكم وعلى اذى فرعون (إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده) أي ينقلها إلى من يشاء نقل الموارث فيورثكم بعد اهلاك فرعون كما أورثها فرعون وهذا وعد لهم بحسن العاقبة ليكون داعيا لهم إلى الصبر (والعاقبة للمتقين) معناه تمسكوا بالتقوى في الدنيا فإن حسن العاقبة في الدارين للمتقين والعاقبة ما بوذي اليه البادية إلا انه إذا قيل العاقبة له فهو في الخير وإذا قيل العاقبة عليه فهو في الشر كما يقال الدائرة له وعليه والديرة له وعليه (قالوا) أي قال بنو اسرائيل لموسى (أؤذينا من قبل أن تأتينا) أي عذبنا فرعون بقتل الابناء واستخدام النساء قبل أن تأتينا بالرسالة وقيل قبل أن جئتنا (ومن بعد ما جئتنا) أيضا ويتوعدنا بأخذ اموالنا ويكفنا الأعمال الشاقة فلم ننتفع بمجئتك وهذا يدل على انه قد جرى فيهم القتل والتعذيب مرتين قال الحسن كان فرعون يأخذ الجزية قبل مجي موسى وبعده من بني اسرائيل فلماذا قالوا أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا وهذا الذي قالوه إنما هو استبطاء منهم لما وعدهم موسى (ع) من النجاة من فرعون وقومه فجدد (ع) لهم الوعد عن الله تعالى ليتقوا به (قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم) قال الزجاج عسى طمع واشفاق إلا أن ما بطمع الله فيه فهو واجب وهو معنى قول المفسرين عسى من الله واجب ومعناه اوجب ربكم على نفسه أن يهلك عدوكم فرعون وقومه (ويستخلفكم في الأرض) أي يملككم ما كانوا يملكونه في الأرض من بعدهم (فينظر كيف تعملون) أي فيرى ذلك بوقوعه منكم لأن الله تعالى لا يجازي عباده على ما يعلمه منهم إنما يجازيهم على ما يقع منهم عن الزجاج وقيل يعلم ذلك ومعناه فيظهر معلومه أي ليبتليكم بالنعمة ليظهر شكركم كما ابتلاك بالمحنة ليظهر صبركم ومثله ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وموضع كيف نصب وتقديره اعملا حسنا تعملون أم قبيحا أي شاكرين كنتم لنعمة أم كافرين وقد حقق الله سبحانه هذا الوعد فأورث بني اسرائيل أرض مصر ونواحيها بعد أن اهلك عدوهم

قوله تعالى (١٣٠) ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقصنا من الثمرات لعلهم يذكرون (١٣١) فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن نصيبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه إلا إنما

طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ آيَاتِنَا

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة الحسن ألا إنما طيرهم عند الله بغير الف

﴿ الحجة ﴾

الطير جمع طائر في قول أبي الحسن وفي قول صاحب الكتاب الطائر اسم للجمع بمنزلة الجامل والباقر غير مكسر وروي عن قطرب أن الطير قد يكون واحداً كأن الطائر واحد ويجوز أن يكون الطائر جمعاً كالجمال أنشد ابن الأعرابي

كأنه تهتان يوم ماطر على رؤوس كروؤس الطائر

﴿ اللغة ﴾

العرب تقول أخذتهم السنة إذا كانت قحظة ويقال اسنت القوم إذا اجذبوا وإنما قيل للسنة المجذبة السنة ولم يقل للمخضبة لأنها نادرة في الانفراد بالجدب والنادر احق بالانفراد بالذكر لاقراده بالمعنى الذي ندر به قالوا وجدنا البلاد سنين أي جدوبا قال

وأموال اللثام بكل أرض تجحفها الجوائح والسنون

وقال آخر

كأن الناس إذ فقدوا علياً نعام جال في بلد سنينا

أي في بلد جدب والتطير الطيرة من الشيء وهو التشاؤم به واشتقاقه من الطير وطائر الإنسان عمله أخذ من ذلك لأن العرب كانت تزجر الطير فتشأم بالبارح وهو الذبيء يأتي من جهة الشمال وتبترك بالسائح وهو الذي يأتي من قبل اليمين قال الشاعر

زجرت لها طير الشمال فإن تكن هواك الذي يهوي يصبك اجتنابها

ثم كثر ذلك فسمي نصيب الإنسان طائره ويقال طار له من القسم كذا وكذا وانشد ابن الأعرابي

فإني لست منك ولست مني إذا ما طار من مالي الثمين

يريد الزوجة إذا أخذ ثمنها من ماله

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه ما فعله بال فرعون وأقسم عليه فقال (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) اللام للقسم وقديقرب الماضي من الحال لأنه إذا توقع كوف أمر فقيل قد كان دل على قربه من الحال وآل الرجل خاصته الذين يؤول أمره إليهم وأمرهم إليه ومعناه ولقد عاقبنا قوم فرعون بالجدوب والقحوط (ونقص من الثمرات) أي وأخذناهم مع القحط واجداد الأرض بنقصان من الثمرات (لعلمهم بذكرون) أي يخافون فيوحدون الله فلم يتذكروا وقيل لكي يتفكروا في ذلك ويرجعوا إلى الحق قال الزجاج إنما أخذوا بالضراء لأن أحوال الشدة ترق القلوب وترغب فيما عند الله لا ترى إلى قوله وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض وقيل معناه لكي تتذكروا ان فرعون لو كان إلهاً لما كان يستسلم لذلك الضر وفي هذه الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة في أنه سبحانه يريد الكفر فإنه بين أنه أراد منهم التذكر والرجوع إلى الله (فإذا جاءتهم الحسنة) يعني الخصب والنعمة والسعة في الرزق والسلامة والعافية (قالوا لنا هذه) أي إنا نستحق ذلك على العادة الجارية لنا من نعمنا وسعة

ارزاقنا في بلادنا ولم يعلموا انه من عند الله سبحانه فيشكروه عليه ويؤذوا شكر النعمة فيه (وإن تصبهم سيئة) اي جوع وبلاء وقحط المطر وضيق الرزق وهلاك الثمر والمواشي (بطير وابومسى ومن معه) اي بتطيروا فادغمت التاء في الطاء وتفسيره بتشاءموا بهم عن الحسن ومجاهد وابن زيد وقالوا ما رأينا شرأولا اصابنا بلاء حتى رأيناكم (ألا إنما طائرهم عند الله) معناه الا إنما الشؤم الذي يلحقهم هو الذي وعدوا به من العقاب عند الله يفعل بهم في الآخرة لا ما ينالهم في الدنيا عن الزجاج وقيل ان معناه إن الله تعالى هو الذي يأتي بطائر البركة وطائر الشؤم من الخير والشر والنفع والضر فلو عقلوا لطلبوا الخير والسلامة من الشر من قبله وقال الحسن معناه الا ان ما تشاءموا به محفوظ عليهم حتى يجازيهم الله يوم القيامة (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ولا يتفكرون ليعلموا

قوله تعالى (١٣٢) وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لَتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ
(١٣٣) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا
وَكَانُوا قَوْمًا مَجْرِمِينَ آياتان

✽ القراءة ✽

في الشواذ قراءة الحسن القمل بفتح القاف وسكون الميم وهو المعروف

✽ اللغة ✽

الطوفان السيل الذي يعم بتغريقه الأرض وهو مأخوذ من الطوف فيها وقيل هو مصدر كالرجحان والنقصان قال الأخفش واحده طوفانة قال ابو عبيدة الطوفان من السيل البعاق ومن الموت الذريع والقمل كبار القردان قال ابو عبيدة هو الحمقان واحده حمنة وحمثانة

✽ الاعراب ✽

مهما قال الخليل مه اصلها ما إلا انهم ادخلوا عليها ما كما يدخلونها على حروف الجزاء يقولون اما ومتى ما فغيروا الفها بأن ابدلوا هاء لثلاث يوم التكرير وصار ما فيها مبالغة في معنى العموم وقال غيره اصلها مه بمعنى اكفف دخلت على ما التي للجزاء والفرق بين مه وما ان مهما خالصة للجزاء وفي ما الاشتراك لأنه قد يكون استفهاما تارة وبمعنى الذي اخرى وبمعان اخروا تأتينا مجزوم وعلامة الجزم فيه حذف الياء وانما حذف الياء للجزم لأنهم من حروف المد واللين وهي مجانسة لحركات الاعراب ومن شأن الجازم ان يحذف حركة فاذا لم يصادف حركة عمل في قس الحرف لثلاثا يتعطل من العمل والضمير في به يعود الى مهما وتقديره اي شي* تأتينا به والضمير في بها يعود الى آية آيات مفصلات نصب على الحال

— المعنى —

(وقالوا) أي قال قوم فرعون لموسى (مهما تأتينا به من آية) أي اي شي* تأتينا به من المعجزات (لتسحرنا بها) أي لتموه علينا بها حتى تنقلنا عن دين فرعون (فما نحن لك بمؤمنين) أي مصدقين اشاروا بهذا القول الى اصرارهم على الكفر وانهم لا يصدقونه وإن أتى بجميع الآيات ثم زاد الله سبحانه في الآيات تأكيذا لأمر موسى (ع) كما قال (فأرسلنا عليهم الطوفان) اختلف فيه فقيل هو الماء الغالب الخارج عن العادة الهادم للبيعان والقالع للاشجار والزرع عن ابن عباس وقيل هو الموت الذريع الجارف عن مجاهد وعطا وقيل هو الطاعون بلغة اهل اليمن ارسل الله ذلك على ابيكار آل فرعون في ليلة فاقعصهن فلم يبق منهن انسان ولا دابة عن وهب بن منبه وقيل هو الجدري وهم اول من عذبوا به وبقي في الارض عن ابي قلابه وقيل هو امر من الله تعالى طاف بهم عن

ابن عباس رواه ابو ظبيان عنه ثم قرأ فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون (والجراد) هو المعروف والقمل
اختلف فيه فقيل هو الذبي وهو صغار الجراد الذي لا أجنحة له والجراد الطيارة التي لها أجنحة عن ابن عباس ومجاهد
والسدي وقتادة والكلبي والقمل نبات الجراد عن عكرمة وقيل القمل البراغيث وقيل دواب سود صغار عن سعيد
ابن جبير والحسن وعطاء الخراساني ولذلك قرأ الحسن والقمل وقيل هو السوس الذي يخرج من الخنطة عن سعيد
ابن جبير (والضفادع والدم آيات مفصلات) اي معجزات مبینات ظاهرات وأدلة واضحات عن مجاهد وقيل مفصلات
اي بعضها منفصل عن بعض (فاستكبروا) اي تكبروا عن قبول الحق والإيمان بالله (وكانوا قوماً مجرمين)
عاصين كافرين

﴿ القصة ﴾

قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن اسحاق بن يسار ورواه علي بن ابراهيم باسناده عن ابي جعفر
وابي عبد الله (ع) دخل حديث بعضهم في بعض قالوا لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوباً وأبي هو وقومه الا
الاقامة على الكفر قال همام لفرعون ان الناس قد آمنوا بموسى فانظر من دخل في دينه فاحبسه فحبس كل من
آمن به من بني اسرائيل فتابع الله عليهم بالآيات وأخذهم بالسنين ونقص من الثمرات ثم بعث عليهم الطوفان
فخرب دورهم ومسكنهم حتى خرجوا إلى البرية وضربوا الخيام وامتلات بيوت القبط ماء ولم يدخل بيوت بني
اسرائيل من الماء قطرة واقام الماء على وجه ارضهم لا يقدرون على ان يخرجوا فقالوا لموسى ادع لنا ربك ان يكشف
عنا المطر فنؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم الطوفان فلم يؤمنوا وقال همام لفرعون
لئن اخليت بني اسرائيل غلبك موسى وازال ملكك وانبت الله لهم في تلك السنة من الكلال والزرع والثمر ما عشت
به بلادهم واخصبت فقالوا اما كان هذا الماء الا نعمة علينا وخصبا فانزل الله عليهم في السنة الثانية عن علي بن
ابراهيم وفي الشهر الثاني عن غيره من المفسرين الجراد فجردت زروعهم واشجارهم حتى كانت تجرد شعورهم ولحامهم
وتأكل الأبواب والثياب والامنة وكانت لا تدخل بيوت بني اسرائيل ولا يصيبهم من ذلك شي فعبجوا وضجوا
وجزع فرعون من ذلك جزعاً شديداً وقال يا موسى ادع لنا ربك ان يكشف عنا الجراد حتى اخلي عن بني اسرائيل
فدعا موسى ربه فكشف عنه الجراد بعد ما اقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت وقيل ان موسى (ع) يوز الى
الغضاء فأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الجراد من حيث جاءت حتى كأن لم يكن قط ولم يدع همام فرعون
ان يخلي عن بني اسرائيل فانزل الله عليهم في السنة الثالثة في رواية علي بن ابراهيم وفي الشهر الثالث عن غيره من
المفسرين القمل وهو الجراد الصغار الذي لا أجنحة له وهو شر ما يكون واخشته فأتى على زروعهم كلها واجتثها
من اصلها فذهبت زروعهم ولحس الأرض كلها وقيل أمر موسى ان يمشي الى كتيب أعفر بقربة من
قرى مصر تدعى عين الشمس فاتاه فضر به بعصاه فاثال عليهم قملاً فكان يدخل بين ثوب أحدهم فيعضه وكان
يأكل احدثهم الطعام فيمتلي قملاً قال سعيد بن جبير القمل السوس الذي يخرج من الجيوب فكان الرجل يخرج
عشرة اجربة الى الرحا فلم يرد منها ثلاثة اقفة فلم يصابوا ببلاء كان اشد عليهم من القمل واخذت اشعارهم وابشارهم
واشفا عيونهم وحواجبهم ولزمت جلودهم كأنه الجدري عليهم ومنعتهم النوم والقرار فصرخوا وصاحوا فقال
فرعون لموسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا القمل لا كف عن بني اسرائيل فدعا موسى حتى ذهب القمل بعد
ما اقام عندهم سبعة أيام من السبت الى السبت فكشفوا فانزل الله عليهم في السنة الرابعة وقيل في الشهر الرابع
الضفادع فكانت تكون في طعامهم وشرابهم وامتلات منها بيوتهم وأبنيتهم فلا يكشف احد ثوباً ولا ائاف ولا
طعاماً ولا شراباً الا وجد فيه الضفادع وكانت تثب في قدورهم فتفسد عليهم ما فيها وكان الرجل يجلس الى ذقنه
في الضفادع وبهم ان يتكلم فيثب الضفدع في فيه ويفتح فاه لا كليله فيسبق الضفدع اكلته الى فيه فلحقوا منها اذى

شديدا فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا الى موسى وقالوا هذه المرة نتوب ولا نعود فادع الله ان يذهب عنا الضفادع فإنا نؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فأخذ عهودهم ومواثيقهم ثم دعا ربه فكشف عنهم الضفادع بعد ما أقام عليهم سبعا من السبت إلى السبت ثم تقضوا العهد وعادوا لكفرهم فلما كانت السنة الخامسة أرسل الله عليهم الدم فسال ماء النيل عليهم دما فكان القبطي يراه دما والامرائيلي يراه ماء فإذا شربه الامرائيلي كان ماء وإذا شربه القبطي كان دما وكان القبطي يقول للامرائيلي خذ الماء في فيك وصبه في في فكان إذا صب في فم القبطي تحول دما وان فرعون اعتراه العطش حتى انه ليضطر إلى مضغ الأشجار الرطبة فإذا مضغها يصير ماؤها في فيه دما فمكثوا في ذلك سبعة أيام لا يأكلون إلا الدم ولا يشربون إلا الدم قال زيد بن اسلم الدم الذي سلط عليهم كان الرعاف فأتوا موسى فقالوا ادع لنا ربك بكشف عنا هذا الدم فنؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فلما دفع الله عنهم الدم لم يؤمنوا ولم يخلوا عن بني اسرائيل

قوله تعالى (١٣٤) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٣٥) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْغُيُوبِ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (١٣٦) فَانقَمْنَا مِنْهُمُ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بَيْنَهُمُ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ثلاث آيات

✽ اللغة ✽

اصل الرجز الميل عن الحق ومنه والرجز فاهجر يعني عبادة الوثن والعذاب رجز لانه عقوبة على الميل عن الحق والرجز رعدة في رجل الناقة لداء يلحقها تعدل به عن حق سيرها والرجز ضرب من الشعر اخذ من رجز الناقة لانه متحرك وساكن ثم متحرك وساكن في كل اجزائه فهو كالرعدة في رجل الناقة ينحرك بها ثم يسكن ثم يستمر على ذلك والنكث نقض العهد الذي يلزم الوفاء به واليم البحر قال ذو الرمة

دوية ودجى لبل كأنهما
يم تراطن في حافاته الروم

والقفلة حال تعتري النفس تنافي الفطنة واليقظة

✽ الاعراب ✽

إذا ظرف المفاجأة على ما تقدم بيانه وليست مضافة إلى الجملة بل هي بمنزلة هناك وقد يكتمني بالاسم كما تقول خرجت فإذا زيد وفيه وقوع خلاف المتوقع منهم لأنه أتى منهم نقض العهد بدلا من الوفاء فكأنه فاجأ الرأي عجب من نكثهم وإذا هذه جواب لما ومثله قوله وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون ولا يجوز أن يجاب الشرط بل لأن إذا لا يكون إلا للوقت الماضي والجواب إنما يكون بعد الأول ولذلك يصلح فيه التمام ولا يصلح الواو وحرف الجزاء إنما يقلب الفعل إلى الاستقبال دون الوقت

✽ المعنى ✽

ثم اخبر سبحانه عنهم ايضا فقال (ولما وقع عليهم الرجز) أي العذاب عن الحسن وقتادة ومجاهد وهو ما نزل بهم من الطوفان وغيره وقيل هو الطاعون اصابهم فمات من القبط سبعون الف انسان وهو العذاب السادس عن سعيد ابن جبير ومثله ما روي عن ابي عبد الله (ع) انه اصابهم ثلج احمر ولم يروه قبل ذلك فماتوا فيه وجزعوا واصابهم ما لم يعهدوه قبله (قالوا) يعني فرعون وقومه (يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك) اي بما تقدم اليك أن تدعوه به فإنه يجيبك كما اجابك في آياتك وقيل بما عهد عندك انا لو آمننا لرفع عنا العذاب وقيل بما عهد عندك من

النبوة عن ابي مسلم فعلى هذا يكون الباء بالقسم والمعنى بحق ما آتاك الله من النبوة لما دعوت الله ليكشف هذا عنا (لئن كشفت عنا الرجز) أي العذاب (لنؤمنن لك) أي نصدقك في انك نبي ارسلك الله (ولترسلن معك نبي اسرائيل) أي نطلقهم من الاستخدام وتكليف الأعمال الشاقة (فلما كشفنا عنهم الرجز) أي فلما رفعنا عنهم العذاب (إلى اجل هم بالغوه) يعني الأجل الذي عرفهم الله فيه وقيل هو الأجل المقدر عن الحسن (إذا هم ينكثون) أي ينتقضون العهد (فانتقمنا منهم) أي فجزبناهم على سوء صنيعتهم بالعذاب ثم فسر ذلك العذاب فقال (فأغرقتاهم في اليم) أي البحر (بأنهم كذبوا بآياتنا) أي فعلنا ذلك بهم جزاء بتكذيبهم بآياتنا وحججنا وبراهيننا الدالة على صدق موسى وصحة نبوته وجودهم لها (وكانوا عنها غافلين) معناه انه انزل عليهم العذاب وكانوا غافلين عن نزول ذلك بهم وقيل معناه إنا عاقبناهم بتكذيبهم وتعرضهم لأسباب العقلة وعملهم عمل الغافل عنها فيكون وعيداً لهم على الاعراض عن الآيات

قوله تعالى (١٣٧) وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ آيَةٌ

✽ القراءة ✽

قرأ ابن عامر وابو بكر يعرشون بضم الراء والباقون بكسرها

✽ الحجة ✽

هما لغتان فصيحتان والكسر أفصح

✽ اللفظة ✽

قال ابو عبيدة يعرشون بينون يقال عرش مكة أي بناؤها

✽ الاعراب ✽

يجوز أن يكون مشارق الأرض ومعاربها وإنما اتصبت بأنه مفعول اورثنا ويجوز أن يكون ظرفاً على تقدير وأورثناهم الأرض في مشارقها ومعاربها وقيل إنما اتصبت مشارق الأرض ومعاربها على الظرف للاستضعاف والتقدير وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون في مشارق الأرض ومعاربها التي باركنا فيها وعلى هذا فالهاء في فيها يعود إلى التي والتي صفة للأرض المحذوفة وموضعها نصب بأورثنا

✽ المعنى ✽

ثم عطفت سبحانه على ما تقدم فقال (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) يعني بني اسرائيل فإن القبط كانوا يستضعفونهم فأورثهم الله بأن مكنهم وحكم لهم بالتصرف وأباح لهم ذلك بعد اهلاك فرعون وقومه القبط فكأنهم ورثوا منهم (مشارق الأرض ومعاربها) التي كانوا فيها يعني جهات الأرض الشرق والغرب منها يريد به ملك فرعون من ادناه إلى اقصاه وقيل هي ارض الشام ومصر عن الحسن وقيل هي ارض الشام شرقها وغربها عن قتادة وقيل هي ارض مصر عن الجبائي قال الزجاج كان من بني اسرائيل داود وسليمان ملكوا الأرض (التي باركنا فيها) باخراج الزروع والثمار وسائر صنوف النبات والاشجار الى غير ذلك من العيون والأنهار وضروب المنافع (وتمَّتْ كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل) معناه صح كلام ربك بانجاز الوعد باهلاك عدوهم واستخلافهم في الأرض وإنما كان الإنجاز تاماً للكلام بتمام النعمة به وقيل ان الكلمة الحسنى قوله سبحانه وتريد أن نمن على

الذين استضعفوا في الأرض إلى قوله يحذرون وقال الحسن وإن كانت كلمات الله سبحانه كلها حسنة لأنها وعد بما يحبون وقال الحسن أراد وعد الله لهم بالجنة (بما صبروا) على اذى فرعون وقومه وتكليفهم ايام ما لا يطيقونه من الاستعباد والاعمال الشاقة (ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه) أي اهلكنا ما كانوا يبنون من الابنية والقصور والديار (وما كانوا يعرشون) من الاشجار ومن الاعناب والثمار وقيل يعرشون يسقون من القصور والبيوت عن ابن عباس

قوله تعالى (١٣٨) وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا آلِهًا كَمَا لَهُم آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٩) إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤٠) قَالَ أَغْيِرَ اللَّهُ أَيْدِيَكُمْ إِلَهُاتِهِمْ وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (ثلاث آيات)

❖ القراءة ❖

يعكفون بكسر الكاف كوفي غير عاصم والباقون بضم الكاف وهما لغتان

❖ اللفظة ❖

المجاورة الاخراج عن الحد وجاز الوادي يجوز جوازاً اذا قطعه وخلفه وراه وجاوزه مجاوزة واجتازه اجتيازاً واصل البحر من السعة ومنه البحيرة لسعة شق اذنها وتبحر في العلم اذا اتسع فيه وقوي تصرفه وعكف على الشيء واظب عليه ولزمه ومنه الاعتكاف وهو لزوم المسجد للعبادة فيه والمتبر من التبار وهو الهلاك ومنه التبر للذهب وسمي بذلك لأميرين ❖ احدهما ❖ ان معدنه مهلكة ❖ والآخرة ما قاله الزجاج انه يقال لكل انا مكسر متبر وكسارته تبره

❖ الإعراب ❖

كما لهم آله ما هذه كافة للكاف لأن ما بعدها جملة وقال البصير وهو واحد زماننا في هذا الفن ما هاهنا مصدرية أي كما ثبت لهم آله وصلت بالظرف وما ارتفع به كما يوصل بالابتداء والخبر في قوله «كما سيف عمرو لم تخنه مضاربه» ويجوز أن يكون بمعنى الذي وفي لهم ضمير يعود اليه وآله بدل من ذلك الضمير او يرتفع بأضار هي أي هي آله فحذف هي وما عم فيه موصول وصلة في موضع رفع بقيامه مقام الفاعل لقوله متبر وكذلك ما كانوا يعملون فاعل الباطل، أغير الله أيدىكم آله أي يتعدى إلى مفعولين وطلب يتعدى إلى مفعول واحد لأن معنى قولك بغاه الخير اعطاه الخير وليس كذلك طلب لانه غير مضمرب بالمطلوب وعلى هذا فيكون آله مفعولاً به ثانياً ويكون غير منصوباً على الحال التي لو تأخرت كانت صفة للنكرة وتقديره ابغىكم آله غير الله وقد يجوز أن يكون بمعنى ابغى لكم ويكون غير الله منصوباً بأنه مفعول ابغى وتقديره اطلب غير الله لكم معبوداً فيكون آله منصوباً على الحال

❖ المعنى ❖

ثم اخبر الله سبحانه عن احوال بني إسرائيل فقال (وجاوزنا ببني إسرائيل) أي قطعنا بهم (البحر) يعني النيل نهر مصر بأن جعلنا لهم فيه طرقاً يابسة حتى عبروا ثم اغرقنا فرعون وقومه فيه (فأتوا)

أي فروا (على قوم يعكفون على اصنام لهم) أي يقبلون عليها ملازمين لها مقيمين عندها يعبدونها قال قتادة كان أولئك القوم من لحم و كانوا نزولا بالرقعة وقال ابن جريج كانت تمثيل بقر وذلك أول شأن العجل (قالوا يا موسى اجعل لنا إلهة كما لهم آلهة) أي انصب لنا شيئا نعبده كما لهم أوثان يعبدونها وهذا كفر ربما قاله الجهال من قومه دون المؤمنين الأخيار وإنما قالوا ذلك لأن الإنسان يحن إلى ما يراه لغيره فيحب ان يكون له مثل ما لغيره وفي هذا دلالة على عظيم جهلهم بعد ما رأوا الآيات المترادفة والمعجزات من حيث توهموا انه يجوز عبادة غير الله تعالى ولم يعرفوا ان المعبول لا يكون إله وان الاصنام لا تكون آلهة ويمكن أن يكونوا قد ظنوا انه يجوز أن يتقرب إلى الله تعالى بعبادة غيره وإن اعتقدوا انه لا يشبه الاشياء ولا تشبهه ولم يكونوا مشبهة كما حكى الله سبحانه عن المشركين انهم قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى (قال انكم قوم تجهلون) هذا حكاية عما اجابهم به موسى (ع) أي تجهلون ربكم وعظمتهم وصفاته ولو عرفتموه حق معرفته لما قلتم هذا القول عن الجبائي وقيل تجهلون نعمة ربكم فيما صنع بكم عن ابن عباس (إن هؤلاء) يعني القوم الذين عبدوا الاصنام (متبر) أي مدمر مهلك (ما هم فيه) من عبادة الاصنام (وباطل ما كانوا يعملون) أي باطل عملهم لا يجدي عليهم نفعا ولا يدفع عنهم ضرا فكأنه بمنزلة من لم يكن من هذا الوجه فالبطالان انتفاء المعنى بعدمه أو بانه لا يصح معتقده فالأول كبطالان البناء بالهدم والثاني كبطالان إله آخر مع الله لأنه لا يصح في عدمه ولا وجود (قال) يعني قال موسى لقومه بعد ازرائه على الاصنام وعلى من كان يعبدها (اغير الله ابغيمكم) أي التمس واطلب غير الله لكم فحذف حرف الجر فوصل الفعل بقوله واختار موسى قومه أي من قومه (إلهة) أي معبودات يعبدونها سوى الله (وهو فضلكم على العالمين) أي على عالمي زمانكم عن الحسن والجبائي وقيل معناه وهو سبحانه خصكم بفضائل لم يعطها احدا غيركم وهو أن ارسل اليكم رجلا منكم لتكونوا أقرب إلى القبول وخلصكم من اذى فرعون وقومه على اعجب وجه واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم

قوله تعالى (١٤١) واذا أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم (آية)

القراءة

قرأ ابن عامر انجاكم على لفظ الماضي والباقون انجيناكم وقرأ نافع وحده يقتلون بالتخفيف والباقون يقتلون بالتشديد

الحجة

قد مضى الكلام في امثال ذلك مرة بعد اخرى فلا وجه للإطالة بإعادته

المعنى

ثم خاطب الله سبحانه بني إسرائيل الذين كانوا في زمن النبي ﷺ فقال لهم على وجه الامتنان عليهم بما انعمه على اسلافهم (واذا انجيناكم) أي واذا كروا اذ خلصناكم (من آل فرعون يسومونكم) أي يولونكم اكرهاها ويحملونكم اذلالا (سوء العذاب يقتلون أبناءكم) أي يكثرون قتل ابنائكم (ويستحيون

نساءكم) اي يستبقونهم للخدمة والمهنة (وفي ذلكم) اي وفي ما فعل بكم من النجاة (بلاء) اي نعمة (من ربكم عظيم) قدرها وقيل معناه في تخليته اياكم وقوم فرعون ابتلاء عظيم وقد مضى تفسير هذه الآية في سورة البقرة

قوله تعالى (١٤٢) **وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَنِمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ** (آية) **اللغة** *

الفرق بين الميقات والوقت أن الميقات ما قدر ليعمل فيه عمل من الأعمال والوقت وقت الشيء قدره ولذلك قيل مواقيت الحج وهي المواضع التي قدرت للاحرام فيها
- المعنى -

ثم بين سبحانه تمام نعمته على بني إسرائيل فقال (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتمناها بعشر) ولم يقل اربعين ليلة كما قاله في سورة البقرة لفائدة زائدة ذكر فيها وجوه * احدها * ان العدة كانت ذا القعدة وعشر ذي الحجة ولو قال اربعين ليلة لم يعلم انه كان الابتداء اول الشهر ولا أن الأيام كانت متوالية ولا أن الشهر شهر بعينه قاله الفراء وهو معنى قول مجاهد وابن عباس وابن جريج ومسروق وأكثر المفسرين * وثانيها * انه سبحانه واعد موسى ثلاثين ليلة ليعوم فيها ويتقرب بالعبادة ثم اتمت بعشر الى وقت المناجاة وقيل هي العشر التي نزلت التوراة فيها ولذلك افردت بالذكر * وثالثها * أن موسى (ع) قال لقومه اني اتأخر عنكم ثلاثين يوماً ليتسهل عليهم ثم زاد عليهم عشراً وليس في ذلك خلف لأنه اذا تأخر عنهم اربعين ليلة فقد تأخر ثلاثين ليلة قبلها عن ابي جعفر الباقر (ع) وقرب منه ماروي عن الحسن أن الموعد كان اربعين ليلة في الأصل فاجل هناك وفصل ههنا على وجه التأكيد (فتم ميقات ربه اربعين ليلة) وإنما قال هذا مع أن ما تقدمه دل على هذه العدة للبيان والتفصيل الذي تسميه الكتاب الفذلكة ولولم يذكره لجاز أن يتوهم أنه أتم الثلاثين بعشر منها على معنى كملنا الثلاثين بعشر حتى كملت ثلاثين كما يقال كملت العشرة بدرهمين وقدم معنى المواعدة والوعد في سورة البقرة وقلنا أن اربعين هنا منصوب على الحال وتقديره معدودة اربعين ليلة (وقال موسى) وقت خروجه الى الميقات (لأخيه هارون اخلفني) اي كن خليفتي (في قومي واصلح) فيما بينهم واجر على طريقتك في الصلاح وقيل معناه اصلح فاسدهم في حال غيبتهم وقيل اصلحهم اي احلهم على الطاعة (ولا تتبع سبيل المفسدين) اي لا تسلك طريقة العاصين ولا تكن عوناً للظالمين وإنما اراد بذلك اصلاح قومه وان كان المخاطب به أخاه وإنما أمر موسى (ع) أخاه هارون بأن يخلفه وينوب عنه في قومه مع أن هارون كان نبياً مرسلًا لأن الرئاسة كانت لموسى (ع) عليه وعلى أمته ولم يكن يجوز أن يقول هارون لموسى مثل ذلك وفي هذا دلالة على أن منزلة الإمامة منفصلة من النبوة وغير داخله فيها وإنما اجتمع الامران لأنبياء مخصوصين لأن هارون لو كان له القيام بأمر الأمة من حيث كان نبياً لما احتاج فيه الى استخلاف موسى اياه واقامته مقامه

قوله تعالى (١٤٣) **وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن نَرَا نِي وَلَكِنِ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ**

دَكَوْخَرَ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (آية)

✽ القراءة ✽

جعلله دكا بالمد هاهنا وفي الكهف كوفي غير عاصم وواقفهم عاصم في الكهف والباقون دكا بالقصر
والتنوين في الموضعين

✽ الحجة ✽

قال الزجاج جعلله دكا بالتنوين معناه جعلله مدقوقا مع الارض والدكا والداكوات الروابي التي مع
الارض ناشزة عنها لا تبلغ ان تكون جبلا قال ابو الحسن لما قل جعلله فكأنه قال دكه واراد جعلله ذاك
وقال ابو عبيدة جعلله دكا اي مندكا وناقدة دكا ذاهبة السنام كأنه جعلله كالناقدة الدكا فبقي اكثره والدك
المستوي وانشد للاغلب « هل غير غار دك غاراً فانهدم » وقال علي بن عيسى دكا مستويا بالارض يقال
دكه يدكه دكا اي سحقه سحقا

✽ اللفظة ✽

التجلي الظهور ويكون تارة بالظهور وتارة بالدلالة قال الشاعر

تجلى لنا بالمشرفية والقنا وقد كان عن وقع الأسنه نائيا

اراد الشاعر أن تدبره دل عليه ويقال للسيد هو ابن جلاي لا يخفى أمره لشهرته وفي خطبة الحجاج
انا ابن جلا وطلاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني قال سيبويه جلا فعل ماض فكأنه قال انا ابن الذي جلا
اي اوضح وكشف

— المعنى —

ثم ذكر سبحانه حديث الميقات فقال (ولما جاء موسى لميقاتنا) معناه ولما انتهى موسى الى المكان الذي
وقتنا له وأمرناه بالمصير اليه لنكلمه وتنزل عليه التوراة ويمكن ان يكون المراد بالميقات الزمان الذي
وقته الله تعالى له ان يأتي ذلك المكان فيه فإن لفظ الميقات كما يقع على الزمان يقع على المكان كما وقعت
الإحرام فإنها للأمكنة التي لا يجوز مجاوزتها لأهل الآفاق الا وهم محرمون (وكلمه ربه) من غير سفير
أو وحي كما كان يكلم الأنبياء على السنة الملائكة ولم يذكر من اي موضع اسمعه كلامه وذكر في موضع
آخر انه اسمعه كلامه من الشجرة فجعل الشجرة محلا للكلام لأن الكلام عرض لا يقوم الا بجسم وقيل
إنه في هذا الموضع اسمعه كلامه من الغمام (قال ربي أرني أنظر اليك) اي أرني نفسك أنظر اليك اختلف
العلماء في وجه مسألته (ع) الروية مع علمه بأنه سبحانه لا يدرك بالحواس على أقوال ✽ أحدها ✽ ما قاله
الجمهور وهو الاقوى انه لم يسأل الروية لنفسه وانما سألها لقومه حين قالوا له ان نوئمن لك حتى نرى الله جهرة
ولذلك قال (ع) لما أخذتهم الرجفة اهلكتنا بما فعل السفهاء منا فاضاف ذلك الى السفهاء ويسأل على هذا فيقال
لوجاز ان يسأل الروية لقومه مع علمه باستحالة الروية عليه تعالى لجاز ان يسأل لقومه سائر ما يستحيل عليه
من كونه جسما وما اشبه ذلك متى شكوا فيه والجواب انما صح السؤال في الروية لأن الشك في جواز الروية
التي تقتضي كونه جسما يمكن معه معرفة السمع وانسه سبحانه حكيم صادق في أخباره فيصح ان يعرفوا
بالجواب الوارد من جهته تعالى استحالة ما شكوا في صحته وجوازه ومع الشك في كونه جسما لا يصح معرفة

السمع من حيث ان الجسم لا يجوز ان يكون عيناً ولا علماً بجميع المعلومات ولا بد في العلم بصحة السمع من ذلك فلا يقع بجوابه انتفاع ولا علم وقال بعض العلماء انه كان يجوز ان يسأل موسى لقومه ما يعلم استحالته ايضا وان كان دلالة السمع لا تثبت قبل معرفته متى كان في المعلوم ان في ذلك صلاحاً للمكلفين في دينهم غير انه شرط ان يبين النبي في مسأله ذلك علمه باستحالة ما سأل عنه وان غرضه في السؤال ورود الجواب ليكون لطفاً * وثانيها * انه (ع) لم يسأل الروية بالبصر ولكن سأل ان يعلمه نفسه ضرورة باظهار بعض اعلام الآخرة التي تضطره الى المعرفة فتزول عنه الدواعي والشكوك ويستغني عن الاستدلال فيخفف المحنة عليه بذلك كما سأل ابراهيم (ع) رب اني كيف تحيي الموتى طلباً لتخفيف المحنة وقد كان عرف ذلك بالاستدلال والسؤال وان وقع بلفظ الروية فإن الروية يفيد العلم كما يفيد العلم الادراك بالبصر فينبى الله سبحانه له ان ذلك لا يكون في الدنيا عن ابي القاسم البلخي * وثالثها * انه سأل الروية بالبصر على غير وجه التشبيه عن الحسن والربيع والسدي وذلك لان معرفة التوحيد تصح مع الجهل بمسألة الروية ومعرفة السمع تصح ايضا معه وهذا ضعيف لان الأمر وان كان على ما ذكره فإن الأنبياء لا يجوز ان يخفى عليهم مثل هذا مع جلالة رتبهم وعلو درجاتهم (قال لن تراني) هذا جواب من الله تعالى ومعناه لا تراني ابداً لأن لن ينفي على وجه التأيد كما قال ولن يتموه ابداً وقال لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له (ولكن انظر الى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني) علق رويته باستقرار الجبل الذي علمنا انه لم يستقر وهذه طريقة معروفة في استبعاد الشيء لأنهم يعلقونه مما يعلم انه لا يكون ومتى قيل انه لو كان الغرض بذلك التباعد لعلقه سبحانه بأمر يستحيل كما علق دخول الجنة بأمر مستحيل من ولوج الجمل في سم الخياط فجوابه انه سبحانه علق جواز الروية باستقرار الجبل في تلك الحال التي جعله فيها دكا وذلك مستحيل لما فيه من اجتماع الضدين (فلما تجلى ربه للجبل) اي ظهر أمر ربه لأهل الجبل فحذف والمعنى انه سبحانه اظهر من الآيات ما استدل به من كان عند الجبل على ان رويته غير جائزة وقيل معناه ظهر ربه بآياته التي احدثها في الجبل لأهل الجبل كما يقال الحمد لله الذي تجلى لنا بقدرته فكل آية يجدها الله سبحانه فكانه يتجلى للعباد بها فلما اظهر الآيات العجيبة في الجبل صار كأنه ظهر لأهله وقيل ان تجلى بمعنى جلى كقولهم حدث وتحدث وتقديره جلى ربه أمره للجبل اي ابرز في ملكوته للجبل ما تدكدك به ويؤيده ما جاء في الخبر ان الله تعالى ابرز من العرش مقدار الخنصر فتدكدك به الجبل وقال ابن عباس معناه ظهر نور ربه للجبل وقال الحسن لما ظهر وحى ربه للجبل (جعل دكا) اي مستويا بالارض وقيل ترابا عن ابن عباس وقيل ساخ في الارض حتى فني عن الحسن وقيل تقطع اربع قطع ذهب نحو المشرق وقطعة ذهب نحو المغرب وقطعة سقطت في البحر وقطعة صارت رملاً وقيل صار الجبل سنة اجبل وقعت ثلاثة بالمدينة وثلاثة بمكة فالتى بالمدينة أحد وورقان ورضوى والتي بمكة ثور وبيبر وحراء وروي ذلك عن النبي (ص) (وخر موسى صعقاً) اي سقط مغشياً عليه عن ابن عباس والحسن وابن زيد ولم يمت بدلالة قوله فلما أفاق ولا يقال أفاق لمت وإنما عاش او حيي وأما السبعون الذين كانوا معه فقد ماتوا كلهم لقوله ثم بمشاكم من بعد موتكم وروي عن ابن عباس انه قال اخذته الغشية عشية الخميس يوم عرفة وأفاق عشية يوم الجمعة وفيه نزلت عليه التوراة وقيل معناه خر ميتاً عن قتادة (فلما أفاق) من صعقته ورجع اليه عقله (قال سبحانه انك)

أية تنزيها لك عن ان يجوز عليك ما لا يليق بك وقيل تنزيها لك من أن تأخذني بما فعل السفهاء من سوء آل الروية (تبت اليك) من التقدم في المسألة قبل الاذن فيها وقيل انه قاله على وجه الانقطاع إلى الله سبحانه كما يذكر التسييح والتهليل ونحو ذلك من الانفاذ عند ظهور الامور الجلية (وأنا أول المؤمنين) بأنه لا يبرك احد من خلقك عن ابن عباس والحسن وروي مثله عن ابي عبد الله (ع) قال معناه أنا أول من آمن وصدق بأنك لا تُرعى وقيل معناه أنا أول المؤمنين من قومي باستعظام سؤال الروية عن الجبائي وقيل أول المؤمنين بك من بني إسرائيل عن مجاهد والسدي

قوله تعالى (١٤٤) قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخَذُّ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٤٥) وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكُمُ بِأَخْذِهَا بِحَسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ (آياتان)

✽ القراءة ✽

قرأ اهل الحجاز وروح برسالاتي على التوحيد والباقون برسالاتي على الجمع وقد مضى الكلام فيه

✽ اللفظة ✽

اللوحة صحيفة مهيأة للكتابة فيها وأصله من اللوح وهو اللع يقال لاح يلوح إذا لمع وتلألأ والتلويح التضمير ولوحة السفر غيره تغييرا تبين عليه اثره لأن حاله يلوح بما نزل به واللوحة الهواء لانه كالامع في هبويه فاللوحة تلوح المعاني بالكتابة فيه والموعظة التحذير بما يزجر عن القبيح ويبصر مواقع المخوف

✽ المعنى ✽

ثم اخبر سبحانه عن عظيم نعمته على موسى بالاصطفاء واجلال القدر وأمره إياه بالشكر بقوله (قال) أي قال الله سبحانه (يا موسى اني اصطفيتك) أي اخترتك واتخذتك صفوة وفضلتك على الناس (برسالاتي) من غير كلام (وبكلامي) من غير رسالة وخص الناس لأنه كلم الملائكة ولم يكلم احدا من الناس بلا واسطة سوى موسى (ع) وقيل انه سبحانه كلم موسى على الطور وكلم نبينا محمدا ^{صلى الله عليه وآله وسلم} عند سدره المنتهى (فخذ ما آتيتك) أي تناول ما اعطيتك من التوراة وتمسك بما امرتك (وكن من الشاكرين) أي من المعترفين بنعمتي القانمين بشكرها على حسب مرتبتها فكلمها كانت النعمة اعظم وأجل وجب أن تقابل من الشكر بما يكون اتم وأكمل والوجه في شريف موسى (ع) بالاختصاص بالكلام ان ذلك نعمة عظيمة ومنه جسيمة منه تعالى عليه لانه كالمه وعلمه الحكمة من غير واسطة بينه وبينه ومن اخذ العلم من العالم المعظم كان أجل رتبة من اخذه من هو دونه (وكتبنا له) يعني لموسى (ع) (في الألواح) يريد الألواح التوراة عن ابن عباس وقيل كانت من خشب نزلت من السماء عن الحسن وقيل كانت من زمرد وطولها عشرة اذرع عن ابن جريج وقيل كانت من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء عن الكلبي وقيل انها كانا لوحين قال الزجاج ويجوز في اللفظة ان يقال للوحين الواح ويجوز أن يكون ألواحا جمع أكثر من اثنين (من كل شيء) قال الزجاج اعلم الله سبحانه انه اعطاه من كل شيء يحتاج اليه من امر الدين مع ما أراه من الآيات (موعظة) هذا تفسير لقوله كل شيء وبيان لبعض ما دخل تحته (وتفصيلا لكل شيء) يحتاج اليه في الدين من الأوامر والنواهي

والحلال والحرام وذكر الجنة والنار وغير ذلك من العبر والأخبار وتفصيلا ايضا تفسير لقوله كل شيء (فخذها بقوة) أي يجهد واجتهاد وقيل بصحة عزيمة وقوة قلب (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) أي بما فيها من احسن المعاسن وهي الفرائض والنوافل فإنها أحسن من المباحات وقيل معناه يأخذ بالناسخ دون المنسوخ عن الجبائي وهذا ضعيف لأن المنسوخ قد خرج من أن يكون حسنا وقيل إن المراد بالأحسن الحسن وكلاهما حسن كقوله سبحانه وهو أهون عليه وكقوله ولذكر الله أكبر عن قطرب (سأريكم دار الفاسقين) يعني سأريكم جهنم عن الحسن ومجاهد والجبائي والمراد فليكن منكم على ذكر لتعذروا أن تكونوا منهم وهذا تهديد لمن خالف أمر الله وقيل يريد ديار فرعون وقومه بمصر عن عطية العوفي وقيل معناه سأدخلكم الشام فأريكم منازل القرون الماضية ممن خالفوا أمر الله لتعذبوا بها عن قتادة وفي تفسير علي بن ابراهيم ان معناه يجيئكم قوم فساق يكون الدولة لهم

قوله تعالى (١٤٦) سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سيلا لا يتخذوه سيلا ولا يتخذوه سيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين (١٤٧) والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون إلا ما كانوا يعملون (آيتان)

✽ القراءة ✽

قرأ أهل الكوفة غير عاصم الرشد بفتح الراء والشين والباقون الرشد بضم الراء وسكون الشين

✽ الحجة ✽

هما لغتان ويحكي أن أبا عمرو فرق بينهما فقال الرشد الرشد والصلاح والرشد في الدين مثل قوله بماء لم تمشدا وتحروا رشدا فهذا في الدين وقوله فإن أنتم منهم رشدا وهو في اصلاح المال والحفظ له وقد جاء الرشد في غير الدين قال

حنت إلى نعم الدهنا فقلت لها أمي بلا أعلى التوفيق والرشد

✽ اللفظة ✽

الرشد سلوك طريق الحق يقال رشد رشد رشادا ورشد يرشد رشدا ورشدا ورضده النبي غوى يغوي غيا وغواية والحبوط سقوط العمل حتى يصير بمنزلة ما لم يعمل واصله الفساد من الحبط وهو داء يأخذ البعير في بطنه من فساد الكلاء عليه ويقال حبطت الاوبل تحببط حبطا إذا اصابها ذلك وإذا عمل الإنسان عملا على خلاف الوجه الذي امر به يقال احبطه

✽ المعنى ✽

(سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض) ذكر في معناه وجوه ✽ احدها ✽ انه أراد سأصرف عن نيل الكرامة المتعلقة بآياتي والاعتزاز بها كما يناله المؤمنون في الدنيا والآخرة المستكبرين في الأرض بغير الحق كما فعل بقوم موسى وفرعون فإن موسى كان يقتل من القبط وكان أحد منهم لا يجسر أن يناله بمكروه خوفا من الثعبان وعبر بنبي إسرائيل البحر وغرق فيه فرعون وقومه عن ابي علي الجبائي والآيات على هذا

التأويل يحتمل أن تكون سائر الأدلة ويحتمل أن تكون معجزات الأنبياء وفي قوله ذلك بأنهم كذبوا
بآياتنا بيان أن صرفهم عن الآيات مستحق بتكذيبهم * وثانيها * أن معناه سأصرفهم عن زيادة المعجزات
التي اظهرها على الأنبياء (ع) بعد قيام الحججة بما تقدم من المعجزات التي ثبتت بها النبوة لأن هذا الضرب
من المعجزات إنما يظهر إذا كان في المعلوم انه يؤمن عنده من لا يؤمن بما تقدم من المعجزات فيكون الصرف
بأن لا يظهرها جملة أو بأن يصرفهم عن مشاهدتها ويظهرها بحيث يتفجع بها غيرهم وهذا الوجه اختاره القاضي
لأن ما بعده يليق به من قوله وإن يروا سبيل الرشداً إلى آخر الآية * وثالثها * أن معناه سأمنع الكذابين
والمتكبرين آياتي ومعجزاتي واصرفهم عنها واخص بها الانبياء فلا اظهرها إلا عليهم وإذا صرفهم عنها فقد
صرفها عنهم وكلا اللفظين يفيد معنى واحداً فليس لأحد أن يقول هلا قال سأصرف آياتي عن الذين يتكبرون
وهذا يطل قول من قال أن الله تعالى جعل النبل في أمر فرعون فكان يجري بأمره ويقف وما شاكل ذلك
* ورابعها * أن يكون الصرف معناه المنع من ابطال الآيات والحجج والقدح فيها بما يخرجها عن كونها ادلة
وحججاً ويكون تقدير الآية اني اصرف المبطلين والمكذبين عن القدح في دلالاتي بما أويدها واحكمها من
الحجج والبيئات ويجري ذلك مجرى قول احدنا ان فلانا منع اعداءه بافعاله الحميدة واخلاقه الكريمة من ذمه
وتهجينه واخرس الستهم عن الطعن فيه وإنما يريد المعنى الذي ذكرناه ويكون على هذا قوله ذلك بأنهم كذبوا
بآياتنا راجعاً الى ما قبله بلا فصل من قوله وإن يروا سبيل الرشداً لا يتخذوه سبيلاً ولا يرجع الى قوله سأصرف
- « وخامسها » - أن المراد سأصرف عن ابطال آياتي والمنع من تبليغها هؤلاء المتكبرين بالاهلاك والمنع
من غير اهلاك فلا يقدر على القدح فيها ولا على قهر مبلغها ولا على منع المؤمنين من اتباعها والإيمان بها
وهو نظير قوله والله يعصمك من الناس ويكون الآيات في هذا الوجه القرآن وما جرى مجراه من كتب
الله التي تحميتها الأنبياء عليهم السلام ويكون قوله ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا على هذا متعلقاً ايضاً بقوله وإن
يروا سبيل الرشداً الى ما بعده ومعنى قوله الذين يتكبرون في الأرض اي يرون لأنفسهم فضلاً على الناس
وحقاً ليس لغيرهم مثله فيحملهم ذلك على ترك اتباع الأنبياء انفة من الاتقياء لهم والقبول منهم وقوله
(بغير الحق) تأكيد وبيان أن التكبر لا يكون الا بغير الحق كقوله ويقتلون النبيين بغير الحق وقد مضى
ذكر امثاله (وان يروا كل آية) اي كل حجة ودلالة تدل على توحيد الله وصحة نبوة أنبيائه (لا يؤمنوا
بها) هذا اخبار من الله تعالى عن هؤلاء بعلمه فيهم انهم لا يؤمنون به وبكتبه ورسله وبيان انه إنما صرفهم
عن آياته لذلك (وان يروا سبيل الرشداً لا يتخذوه سبيلاً) يعني إن يروا طريق الهدى والحق لا يتخذوه
طريقاً لأنفسهم (وان يروا سبيل الغي) اي طريق الضلال (يتخذوه سبيلاً) أي طريقاً لأنفسهم ويميلون اليه وقيل
الرشداً للإيمان والغى الكفر وقيل الرشداً كل امر محمود والغى كل امر قبيح مذموم (ذلك) اشارة الى صرفهم عن
الآيات وقيل اشارة الى اتخاذهم طريق الغي وترك طريق الرشداً وتقديره امرهم بذلك (بأنهم كذبوا بآياتنا) اي بحججنا
ومعجزات رسلنا (وكانوا غافلين) أي لا يتفكرون فيها ولا يتعظون بها والمراد بالنعقلة هنا التشبيه لا الحقيقة مثل
قوله سبحانه صم بكم عمي وذلك انهم لما عرضوا عن الانتفاع بالآيات والتأمل فيها اشبهت حالهم حال من كان
غافلاً ساهياً عنها ثم بين سبحانه وعيد المكذبين فقال (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) يعني القهامة والبعث
والنشور (حبطت اعمالهم) التي عملوها ولا يستحقون بها مدحاً ولا ثواباً لأنها وقعت على خلاف الوجه

الأمور به فصارت بمنزلة ما لم يعمل (هل يجوزون إلا ما كانوا يعملون) صورته صورة الاستفهام والمراد به الإنكار والتوبيخ ومعناه ليس يجوزون إلا ما عملوه ان خيرا فخييرا وان شرا فشرا

= النظم =

قيل في وجه اتصال الآية بما قبلها وجوه - (أحدها) - انه تقدم ذكر المعجزات وما رام فرعون من ابطالها فبين سبحانه بقوله سأصرف عن آياتي انه يمنع عن ابطال المعجزات فيتصل بما تقدم من قصة موسى وفرعون - (وثانيها) - انه لما تقدم ذكر معجزات موسى نبه عقبيه على انه سبحانه لا يظهر المعجزات على يد من ليس بنبي وابان عن صدق موسى ومحمد عليهما السلام لمكان المعجزة - (وثالثها) - انه خطاب لموسى وزيادة في البيان عن اتمام ما وعده في اهلاك اعدائه وصرفهم عن الاعتراض على آياته ومعناه خذها آمننا من طعن الطاعنين فأني سأصرف - (ورابعها) - أن الآيتين اعتراض بين قصة موسى والخطاب لنبينا محمد ^{صلى الله عليه وسلم} والمراد انه يصرف المتكبرين عن آياته كما صرف فرعون عن موسى

قوله تعالى (١٤٨) وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمُ بَرَوًا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا أَخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (آية)

✽ القراءة ✽

قرأ حمزة والكسائي حليهم بكسر الحاء واللام وقرأ يعقوب حليهم بفتح الحاء وسكون اللام وقرأ الباقون حليهم بضم الحاء وكسر اللام

= الحجة =

من قرأ بضم الحاء فإنه جمع حلي ونحو ثدي وثدي وجمعه لانه اضافه إلى جمع ومن قرأ بكسر الحاء اتبع الكسرة الكسرة وكره الخروج من الضمة إلى الكسرة واجرى مجراه في قسي ونحوه ومن قرأ حليهم فلأنه اسم جنس يقع على القليل والكثير

- اللغة -

الاتخاذ اجتناب الشيء لأمر من الامور فهو لا. اتخذوا العجل للعبادة والحلي ما اتخذ للزينة من الذهب والفضة ويقال حلي الشيء في عيني بحلي حلي وحلا في فمي يحلو حلولة. وحليت الرجل تحلية إذا وصفته بتأثر منه وتحلى بكذا تزمت به وتحسن والجسد جسم الحيوان مثل البدن وهو روح وجسد فالروح ما لطف والجسد ما كثف والجسم يقع على جسد الحيوان وغيره من الجادات والخوار صوت الثور وهو صوت غليظ وبناء فعال يدل على الأفة نحو الصراخ والسكات والعطاس

✽ الاعراب ✽

موضع من حليهم نصب تقديره اتخذوا حليهم عجلا وجسدا بدل من عجل

المعنى

ثم عاد الكلام إلى قصة بني اسرائيل وما حدثوه عند خروج موسى (ع) إلى ميقات ربه فقال سبحانه (واتخذ قوم موسى) يعني السامري ومن جرى على طريقته وقيل يعني جميعهم لأن منهم من ساق العجل ومنهم من عبده ومنهم من لم ينكر واوفا انكر ذلك القليل منهم فخرج الكلام على الغالب (من بعده) أي من

بعد خروج موسى إلى الميقات عن الجبائي وغيره (من حليهم) التي استعاروها من قوم فرعون وكانت بنو إسرائيل بمنزلة اهل الجزية في القبط وكان لهم يوم عيد يترنون فيه ويستعيرون من القبط الحلبي فوافق ذلك عيدهم فاستعاروا حلبي القبط فلما أخرجهم الله من مصر وغرق فرعون بقيت تلك الحلبي في ايديهم فاتخذ السامري منها (عجلا) وهو ولد البقرة (جسدا) اي مجسدا لا روح فيه وقيل لها ودما عن وهب (له خوار) أي صوت وروي في الشواذ عن علي (ع) جوار بالجم والمهزة وهو الصوت ايضا وفي كيفية خوار العجل مع انه مصوغ من ذهب خلاف فليل اخذ السامري قبضة من تراب اثر فرس جبرائيل (ع) يوم قطع البحر فقذف ذلك التراب في فم العجل فتحول لها ودما وكان ذلك معتادا غير خارق للعادة وجاز أن يفعل الله تعالى ذلك بمجرى العادة عن الحسن وقيل انه احتال بادخال الريح كما يعمل هذه الآلات التي تصوت بالحلل عن الزجاج والجبائي والبليخي وإنما اضاف سبحانه الصوت اليه لانه كان محله عند دخول الريح جوفه وكان السامري عندهم مهيبا مطاعا فيما بينهم فأرجف ان موسى (ع) قد مات لما لم يرجع على رأس الثلاثين فدعاهم إلى عبادة العجل فأطاعوه ولم يطيعوا هارون وعبدوا العجل على ما مر ذكره في سورة البقرة ثم انكر سبحانه ذلك عليهم فقال (الم يروا) اي ألم يعلموا (انه لا يكلمهم) بما يجدي عليهم نفعا او يدفع عنهم ضررا (ولا يهديهم سبيلا) أي لا يهديهم إلى خير لياتوه ولا إلى شر ليحتملوه دل سبحانه بهذا على فساد ما ذهبوا اليه فان من لا يتكلم في خير وشر ولا يهدي إلى طريق فهو جماد لا ينفع ولا يضر فكيف يكون إلهها معبودا (اتخذوه) اي اتخذوه إلهها وعبده (وكانوا ظالمين) باتخاذهم له إلهها واضعين للعبادة في غير موضعها

قوله تعالى (١٤٩) وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ آية

القراءة

لئن لم يرحمنا بالتاء ربنا بالنصب وتغفر لنا بالتاء كوفي غير عاصم والباقون يرحمنا ويفغر لنا بالياء ربنا بالرفع

الحجة

من قرأ بالياء جعل الفعل للمعية وارتفع ربنا به ويفغر لنا فيه ضمير ربنا ومن قرأ بالتاء ففيه ضمير الخطاب وربنا نداء وحذف حرف التنبيه معه لأن عامة ما في التنزيل حذف حرف التنبيه معه نحو قوله ربنا اني اسكنت من ذريتي ربنا وآتنا ما وعدتنا

اللغة

معنى سقط في ايديهم وقع البلاء في ايديهم اي وجدوه وجدان من يده فيه يقال ذلك للمنادم عندما يجده مما كان خفي عليه ويقال سقط في يده واسقط في يده وبغير الف افسح وقيل معناه صار الذي كان يضربه ملقى في يده

المعنى

ثم اخبر سبحانه انه قد ضلوا أي علموا ضلالهم عن الصواب وطريق الحق بعبادة العجل حين رجع اليهم موسى وبين لهم ذلك (قالوا لئن لم يرحمنا ربنا) بقبول توبتنا (ويغفر لنا) ما قدمناه من عبادة العجل (لنكونن من الخاسرين) باستحقاق العقاب قال الحسن إن كلهم عبدوا العجل إلا هارون بدلالة قول موسى رب اغفر لي ولا أخي واو كان هناك مؤمن غيرهما لدعا له وقال غيره إنما عبده بعضهم

قوله تعالى (١٥٠) وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسْفًا قَالَ بِسْمَا خَلَقْتُمُونِي مِنْ
بَعْدِي أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمِّ إِبْنِ الْقَوْمِ
أَسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِي الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ
(١٥١) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ آيَاتُ

✽ القراءة ✽

قرأ ابن عامر وأهل الكوفة عن عاصم ابن أم بالكسر ههنا وفي طه وقرأ الباقون ابن ام نصبا في الموضعين
وروي في الشواذ عن مجاهد فلا تشمت بفتح التاء والميم الاعداء بالنصب وروي عن مجاهد ايضا فلا يشمت بالياء
— الحجة —

من قرأ ابن ام بالفتح فلكثرة استعمالهم هذا الاسم قالوا يا ابن ام ويا ابن عم جعلوها اسما واحدا نحو خمسة
عشر قال سيبويه قالوا يا ابن ام ويا ابن عم فجعلوا ذلك بمنزلة اسم لان هذا اكثر في كلامهم من يا ابن ابي ويا
غلام غلامي ومن العرب من يقول يا ابن ابي باوثبات الياء قال الشاعر

يا ابن ابي ويا شقيق نفسي انت خليتني لدهر شديد

ولأمر شديد قال ابو علي بنى الاسمان على الفتح والفتحة في ابن ليست النصب التي كانت تكون في الاسم المضاف
المنادى لكن بنى على الحركة التي كانت تكون للاعراب كما ان قولهم لارجل كذلك وكما ان مكانك اذا
اردت به الأمر لا تكون الفتحة فيه الفتحة التي كانت فيه وهو ظرف ولكنه على حد الفتحة في رويدك فان قال قائل فلم
لا تقول انها نصبت والمراد يا ابن ام فحذفت الألف كما حذفت يا. الاضافة في غلامي قيل له ليس هذا مثله الا
ترى ان من حذف الياء من يا غلام اتبها في يا غلام غلامي فلو كانت الالف مقدره في يا ابن ام لم يكن تحذف كما
لم تحذف في قوله « يا بنت عمالا تلومي واهجعي » فالالف لا يحذف حيث يحذف الياء. ألا ترى ان من قال ما كنا
نبلغ والليل اذا يسر فحذف الياء من الفواصل وما اشبه الفواصل من الكلام التام لم يكن عنده في نحو قوله
والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلّى الا الاثبات فان قلت فقد حذفت الالف في نحو قوله « رهط ابن مرحوم ورهط
ابن المعل » يريد المعلى وانشد ابو الحسن

فلست بمدرك ما فات مني بلهف ولا بليت ولا لواني

يريد بلهفي فحذف الالف فالقول فيه ان ذلك في الشعر ولا يكون في الاختيار وحال السعة ولا ينبغي
ان يحذف قوله يا ابن ام على هذا وقياس من اجاز ذلك ان تكون فتحة الابن نصبه والفتحة في ام ليست كالتي في عشر
من خمسة عشر ولكن مثل الفتحة التي في الميم من يا بنت عمالا قال الزجاج ومن قرأ ابن ام بالكسر فإنه أضافه الى
نفسه بعد ان جعله اسما واحداً

✽ اللغة ✽

الاسف الغضب الذي فيه تأسف على فوت ما سلف والأسف الحزن والتلهف ايضا ويقال خلفه يخلفه بما يجب
وبما يكره اذا عمل خلفه ذلك العمل والمجلة التقدم بالشيء قبل وقته والسرعة عمله في اول وقته ولذلك صارت
العجلة مذمومة ويقال عجلته اي سبقته واعجلته استحسنته والشامته سرور العدو بسوء العاقبة يقال شمت به شامته
واسمته اشاماته. عرضه لتلك الحال

* الاعراب *

غضبان منصوب على الحال وهو فعلان مؤنثه فعلى نحو غضبان وغضبي ولا ينصرف لأن فيه الالف والنون المضارعين لأنفي التانيث في حمراء

- المعنى -

ثم اخبر سبحانه عما فعله موسى (ع) حين رجع من مناجاة ربه ورأى عكوف قومه على عبادة العجل فقال (ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا) اي حزينا عن ابن عباس وقيل الأسف الشديد الغضب عن ابي الدرداء وقيل معنى الغضب والأسف واحد وانما كررها للتأكيد واختلاف اللفظين كما قال الشاعر « متى أدن منه ينأ عني ويبعد » وقيل معناه غضبان على قومه اذ عبدوا العجل اسفا حزينا متلهفا على ما فاته من مناجاة ربه (قال بشبا خلفتموني من بعدي) اي بشبا عملتم خلفي وبش الفعل فعلكم بعد ذهابي الى ميقات ربي (اعجلتم أمر ربكم) اي ميعاد ربكم فلم تصبروا له عن ابن عباس ونحو هذا قال الحسن وعد ربكم الذي وعدني من الاربعة ليلة عن ابي مسلم وذلك انهم قدروا انه قد مات لما لم يأت على رأس ثلاثين ليلة وقيل اعجلتم بعبادة العجل قبل ان يأتيكم أمر من ربكم عن الكلبي وقيل معناه استعجلتم وعد الله وثوابه على عبادته فلما لم تنالوه عدلتم الى عبادة غيره عن ابي علي الجبائي (والقى الالواح) معناه انه القاهما لما دخله من شدة الغضب والجزع على عبادة قومه العجل عن ابن عباس وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال يرجع الله اخي موسى (ع) ليس المخبر كالمعاني لقد اخبره الله بفتنة قومه وقد عرف ان ما اخبره ربه حق وانه على ذلك لئلا تمسك بما في يديه فرجع الى قومه ورأهم فغضب والقى الالواح وقد تقدم ذكر ما قيل في الالواح (وأخذ برأس أخيه) يعني هارون (يحره اليه) قيل في معناه وجوه **❦** احدها **❦** ان موسى (ع) لثا فعل ذلك مستعظما لفعالهم مفكرا فيما كان منهم كما يفعل الانسان بنفسه مثل ذلك عند الغضب وشدة الفكر فيقبض على لحيته ويعض على شفته فأجرى موسى (ع) أخاه هارون مجرى نفسه فضنع به ما يصنع الانسان بنفسه عند حالة الغضب والفكر عن ابي علي الجبائي وهذا من الامور التي تختلف احكامها بالمعادات فيكون ما هو اكرام في موضع استخفافا في غيره ويكون ما هو استخفاف في موضع اكراما في آخر **❦** وثانيها **❦** انه (ع) اراد ان يظهر ما اعتراه من الغضب على قومه لانه كباره منهم ما صاروا اليه من الكفر والارتداد فصدر ذلك منه لتألم بضلافهم واعلامهم عظم الخال عنده لئلا يترجروا عن مثله في مستقبل الاحوال ذكره الشيخ المفيد ابو عبد الله بن النعمان **❦** وثالثها **❦** انه انما جره الى نفسه ليناجيه ويستبرئ حال القوم منه ولهذا اظهر هارون برائة نفسه ولما اظهر هارون برائة دعاه ولفسه **❦** ورابعها **❦** انه لما رأى بهارون مثل ما به من الجزع والقلق أخذ برأسه متوجعا له مسكنا ففكرة هارون ان يظن الجهال ذلك استخفافا فظهر برائة له ودعا له موسى إزالة للثمة **❦** وخامسها **❦** انه انكر على هارون ما بينه في طه من قوله ما منعك اذ رأيتهم ضلوا الا تتبعن الاية عن ابي مسلم (قال) يعني قال هارون (ابن ام) قال الحسن والله لقد كان أخاه لا يبه وأمه الا انه انما نسه الى الأم لأن ذكر الأم باع في الاستعطاف (ان القوم استضعفوني) يعني ان القوم الذين تركتني بين اظهريهم اتخذوني ضيفا (وكادوا يقتلونني) اي هموا يقتلوني وقرب ان يقتلوني لشدة انكارهم عليهم (فلا تشمت بي الاعداء) اي لا تسرهم بأن تفعل ما يبههم ظاهره خلاف التعظيم (ولا تجعلني مع القوم الظالمين) اي لا تجعلني مع عبدة العجل ومن جعلتهم في اظهار الغضب والموجدة علي (قال) موسى حين تبين له ما نهيه هارون عليه من خوف التهمة ودخول الشبهة على القوم (ربي اغفر لي ولأخي) وهذا على وجه الانقطاع الى الله سبحانه والتقرب اليه لا انه كان وقع منه او من أخيه قبيح كبير او صغير يحتاج ان يستغفر منه فلان الدليل قد دل على ان الانبياء لا يجوز ان يقع منهم شيء من القبيح وقيل انه (ع) بين بهذا لبني اسرائيل انه لم يجر رأسه

اليه اعصيان وجد منه وانما فعله كما يفعل الانسان بنفسه عند شدة غضبه على فيره عن الجبائي (وادخلنا في رحمتك) اي نعمتك وجنتك (وانت ارحم الراحمين) ظاهر المعنى وانما يذكر في آخر الدعاء لبيان شدة الرجاء من جهته فلون الابتداء بالنعمة يجب الاتمام وسعة الرحمة تقضي الزيادة فيها فيقال ارحم الراحمين لاستدعاء الرحمة من جهته كما يقال اجود الاجودين لاستدعاء الجود من قبله

قوله تعالى (١٥٢) إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ (١٥٣) وَالَّذِينَ عَمَلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٥٤) وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضِبُ أَخَذَ الْأَلْوَابِحَ وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ثلاث آيات

- [اللغة] -

النول اللعوق وأصله مد اليد الى الشي الذي يبلغه ومنه قولهم نولك ان تفعل كذا اي ينبغي ان تفعله فإنه يلحقك خيره وسكت اي سكن والسكوت هو الامساك عن الكلام بهيئة منافية بسببه وهو تسكين آلة الكلام وانما قيل سكت الغضب توسعا ومجازا لأنه لما كان بغورته دالا على ما في نفس المعصوب عليه كان بمنزلة الناطق بذلك فاذا سكنت تلك الفورة كان بمنزلة الساكت عما كان متكلماً به فالسكوت في هذا الموضع احسن من السكون لتضمنه معنى سكوته عن المعاتبه مع سكون غضبه

✽ الاعراب ✽

قال لربهم يرهبون ولا يجوز يرهبون لربهم لأنه اذا تقدم المفعول ضمف عمل الفعل فيه فصار بمنزلة ما لا يتعدى في دخول اللام عليه وقيل انه اذا كان بمعنى من اجله جاز دخول اللام عليه تقدم او تأخر كما قال تعالى ردف لكم

✽ المعنى ✽

ثم اوعدهم سبحانه فقال (ان الذين اتخذوا العجل) فيه حذف اي اتخذوه لها او معبودا من دون الله (سينالهم غضب) اي سيلحقهم على عبادتهم إياه عقوبة (من ربهم) وانما ذكر الغضب مع الوعيد بالنار لأنه ابلغ في الزجر عن القبيح (وذلة في الحياة الدنيا) يعني صغر النفس والمهانة قال الزجاج والذلة ما امرأ به من قتل انفسهم وقيل ان الذلة اخذ الجزية واخذ الجزية لم يقع فيمن عبد العجل وانما اراد استسلامهم للقتل (وكذلك نجزي المفتريين) اي مثل هذا الوعيد والعذاب والغضب نجزي الكاذبين والمتخربين وانما سموا مفتريين لأنهم عبدوا عجلا وقالوا انه إله فكانوا كاذبين ثم عطف سبحانه على ذلك بقوله (والذين عملوا السيئات) اي الشرك والمعاصي (ثم تابوا من بعدها وآمنوا) اي واستأنفوا عمل الإيمان وقيل معناه تابوا وآمنوا بأن الله قابل للتوبة (ان ربك) يا محمد (من بعدها) اي من بعد التوبة وقيل من بعد السيئات (لغفور) لذنوبهم (رحيم) بهم (ولما سكت) اي سكن (عن موسى الغضب) وقيل في معناه زالت فورة غضبه ولم يزل الغضب لأن توبتهم لم تخلص وقيل معناه زال غضبه لأنهم تابوا (أخذ الألواح) التي كانت فيها التوراة (وفي نسختها) اي وفيما نسخ فيها وكتب عن الجبائي وابي مسلم وقيل وفي نسختها التي كتبت ونسخت منها (هدى) اي دلالة وبيان لما يحتاج اليه من امور الدين (ورحمة) اي نعمة ومنفعة (للذين هم لربهم يرهبون) اي يخشون ربهم فلا يعصونه ويعملون بما فيها وفي الآية دلالة على انه يجوز القاء التوراة للغضب الذي يظهر بالقائها ثم اخذها للحكمة التي فيها من غير ان يكون القاؤها رغبة عنها

قوله تعالى (١٥٥) وَأَخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ نُضِلُّ بِهَا مَن نَّشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ آيَةٌ

✽ اللغة ✽

الاختيار ارادة ما هو خير يقال خيره بين أمرين فاختر احدهما والاختيار والايثار بمعنى واحد والفتنة الكشف والاختبار وقال المسيب بن علس

اذ تستبيك بأصلي ناعم قامت لتفتنه بغير قناع
اي لتكشفه وتبرزه

✽ الإعراب ✽

واختار موسى تقديره اختار موسى من قومه فحذف من فوصل الفعل فنصبه وإنما حذف من لدلالة الفعل عليه مع إيجاز اللفظ قال الفرزدق

ومنا الذي اختير الرجال ساحة وجودا اذا هب الرياح الزعازع
وقال غيلان

وانت الذي اخترت المذاهب كلها بوهبين إذردت علي الاباعر
وقال آخر

فقلت له اخترها قلو صا سمينية ونابا علينا مثل نابك في الحيا

✽ المعنى ✽

ثم اخبر تعالى عن اختيار موسى من قومه عند خروجه الى ميقات ربه فقال (واختر موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا) واختلف في سبب اختياره اياهم ووقته فقيل انه اختارهم حين خرج الى الميقات ليكلمه الله سبحانه بحضرتهم ويعطيه التوراة فيكونوا شهداء له عند بني اسرائيل لما لم يشقوا بحججه أن الله سبحانه يكلمه فلما حضروا الميقات وسمعوا كلامه تعالى سألوا الروية فأصابتهم الصاعقة ثم احياهم الله تعالى فابتدأ سبحانه بحديث الميقات ثم اعترض حديث العجل فلما تم عاد الى بقية القصة وهذا الميقات هو الميعاد الاول الذي تقدم ذكره عن ابي علي الجبائي وابي مسلم وجماعة من المفسرين وهو الصحيح ورواه علي بن ابراهيم في تفسيره وقيل انه اختارهم بعد الميقات الاول للميقات الثاني بعد عبادة العجل ليعتذروا من ذلك فلما سمعوا كلام الله قالوا ارنا الله جهرة (فأخذتهم الرجفة) وهي الرعدة والحركة الشديدة حتى كادت ان تبين مفاصلهم وخاف موسى عليهم الموت فبسكى ودعا وخاف ان يتهمه بنو اسرائيل على السبعين اذا عاد اليهم ولم يصدقوه بأنهم ماتوا عن السدي والحسن وقال ابن عباس ان السبعين الذين قالوا ان نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة كانوا قبل السبعين الذين أخذتهم الرجفة وانما أمر الله تعالى موسى ان يختار من قومه سبعين رجلا فاخترهم وبرز بهم ليدعور بهم فكان فيا دعوا ان قالوا اللهم اعطنا ما لم تعط احدا قبلنا ولا تعطيه احدا بعدنا فكره الله ذلك من دعائهم فأخذتهم الرجفة ورووا عن علي بن ابي طالب (ع) انه قال انما أخذتهم الرجفة من اجل دعواهم على موسى قتل اخيه هارون وذلك ان موسى وهارون وشبر وشبير ابني هارون انطلقوا الى سفح جبل فنام هارون على سريره فتوفاه الله فلما مات دفنه موسى (ع) فلما رجع الى بني اسرائيل قالوا له اين هارون قال توفاه الله فقالوا لا بل انت قتلته

حسدتنا على خلقه ولبينه قال فاخترنا وامن شئنا فاخترنا منهم سبعين رجلا وذبح بهم فلما انتهوا الى القبر قال موسى يا هارون اقتلت ام مت فقال هارون ما قتلني احد ولكن توفاني الله فقالوا ان نعصي بعد اليوم فأخذتهم الرجفة وصعقوا وقيل انهم ماتوا ثم احياهم الله وجعلهم انبياء وقال وهب لم تكن تلك الرجفة موتا ولكن القوم لما رأوا تلك الهيئة اخذتهم الرعدة فقلقلوا ورجفوا حتى كادت تبين منه مفاصلهم وتنقض ظهورهم فلما رأى ذلك موسى زحمهم وخاف عليهم الموت واشتد عليه فقدهم وكانوا وزراءه على الخير سامعين له مطيعين فعند ذلك دعا وبكى وناشد ربه فكشف الله عنهم تلك الرجفة والرعدة فسكنوا واطمانوا وسمعوا كلام ربهم (قال) اي قال موسى (رب او شئت اهلكتهم من قبل وإياي) اي لو شئت اهلكت هؤلاء السبعين من قبل هذا الموقف واهلكتني معهم فالآن ماذا اقول لبني اسرائيل اذا رجعت اليهم (اتهلكنا بما فعل السفهاء منا) بمعناه النفي وان كان بصورة الانكار والمعنى انك لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا فهذا نسألك رفع المحنة بالاهلاك عنا وما فعله السفهاء هو عبادة العجل ظن موسى انهم اهلكوا لأجل عبادة بني اسرائيل العجل فهم السفهاء وقيل هو سؤال الرواية عن جماعة من المفسرين (ان هي الا فتنتك) معناه إن الرجفة الا اختبارك وابتلاؤك ومحتلك اي تشديك التعبد والتكليف علينا بالصبر على ما انزلته بنا عن سعيد بن جبير واي العالمة والربيع ومثله قوله اولاً يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين يعني بذلك الراض والأسقام التي شدد الله بها التعبد على عباده وانما سمي ذلك فتنة لأنه يشتد الصبر عليها ومثله المأحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون اي لا ينالهم شدائد الدنيا وقيل ان المراد ان هي الا عذابك عن ابن عباس وقد سمي الله العذاب فتنة في قوله يوم هم على النار يفتنون أي يعذبون فكانه قال ليس هذا الالهلاك الا عذابك لهم بما فعلوه من الكفر وعبادة العجل او سؤالهم الرواية (تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء) أي تصيب بهذه الرجفة من تشاء وتصرفها عن تشاء عن ابن عباس وتقديره تهلك بها من تشاء وتنجي من تشاء وقيل معناه تضل بترك الصبر على فتنتك وترك الرضا بها من تشاء عن نيل ثوابك ودخول جنتك وتهدي بالرضا بها والصبر عليها من تشاء (انت ولينا) معناه انت ناصرنا والاولى بنا تحوطنا وتحفظنا (فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين) اي خير الساترين على عباده والمتجاوزين لهم عن جرمهم

قوله تعالى (١٥٦) وَأَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (آية)

✽ القراءة ✽

في الشواذ قراءة الحسن وعمر والاسواري من اساء والقراءة المشهورة من اشاء والوجه فيه ظاهر

= المعنى =

هذا تمام ما قاله موسى في دعائه (واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة) سأل الله سبحانه أن يكتب لهم الحسنة في الدنيا وهي النعمة وإنما سميت النعمة حسنة وإن كانت الحسنة اسم الطاعة لله لا مرين ﴿احدهما﴾ أن النعمة تقبلها النفس كما أن الطاعة يتقبلها العقل والآخر انها ثمرة الطاعة لله وانما ذكر بلفظ الكتابة ولم يقل واجعل لنا أو اوجب لنا لأن الكتابة اثبت وادوم يقال كتب رزق فلان في الديوان فيدل ذلك على دوامه وثبوته على مرور الأزمان (وفي الآخرة) معناه واكتب لنا في الآخرة حسنة ايضا كما في قوله ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقيل الحسنة في الدنيا الثناء الجميل وفي الآخرة الرفعة وقيل هي في الدنيا التوفيق للأعمال

الصالحة وفي الآخرة المغفرة والجنة (أنا هدنا إليك) أي رجعتنا بتوبتنا إليك والهود الرجوع (قال) الله تعالى
 مجيباً لموسى (ع) (عذابي أصيب به من أشاء) ممن عصاني واستحققه بعصيانه وإنما علقه بالمشيئة لجواز الغفران
 في العقل (ورحمتي وسعت كل شيء) قال الحسن وقتادة إن رحمته في الدنيا وسعت البر والفاجر وهي يوم
 القيامة للمتقين خاصة وقال عطية العوفي وسعت كل شيء ولكن لا تجب إلا للذين يتقون وذلك إن الكافر يرزق
 ويدفع عنه بالمؤمن لسعة رحمة الله للمؤمن فيعيش فيها فإذا صار في الآخرة وجبت للمؤمنين خاصة كالمستضي
 بنار غيره إذا ذهب صاحب السراج بسراجه وقيل معناه أنها تسع كل شيء إن دخلها فلو دخل الجميع فيها
 لو سعتهم إلا أن فيهم من لا يدخل فيها اضلاله وفي الحديث إن النبي (ص) قام في الصلاة فقال أعرابي وهو في
 الصلاة اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً فلما سلم رسول الله (ص) قال للأعرابي لقد تحجرت واسعا
 يريد رحمة الله عز وجل أورده البخاري في الصحيح (فسأكتبها للذين يتقون) أي فسأوجب رحمتي للذين يتقون
 الشرك أي يجتنبونه وقيل يجتنبون الكبائر والمعاصي (ويوتون الزكاة) أي يخرجون زكاة أموالهم لأنه من أشق
 الفرائض وقيل معناه ويطيرون الله ورسوله عن ابن عباس والحسن وإنما ذهبوا إلى تزكية النفس وتطهيرها) والذين
 هم بآياتنا يؤمنون) أي بحججنا وبيناتنا يصدقون وروي عن ابن عباس وقتادة وابن جريج أنها لما نزلت ورحمتي
 وسعت كل شيء قال إبليس أنا من ذلك الشيء فنزعها الله من إبليس بقوله فسأكتبها للذين يتقون إلى آخر الآية
 فقالت اليهود والنصارى نحن نتقي ونؤتي الزكاة ونؤمن بآيات ربنا فنزعها منهم وجعلها هذه الأمة بقوله الذين
 يتبعون الرسول النبي الأمي الآية

قوله تعالى (١٥٧) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي
 التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَا مَرْهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ
 الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْإِغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ
 وَأَتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ آية

❖ القراءة ❖

قرأ ابن عامر وحده آصارهم على الجمع والباقون اصصرهم على التوحيد

❖ الحجة ❖

قال أبو علي الاصر مصدر يقع على الكثير مع افراد لفظه يدل على ذلك قوله اصصرهم فاضيف وهو مفرد
 إلى الكثرة ولا يجمع وقال ربنا ولا تحمل علينا إصرا وقال ينظرون من طرف خفي ولا يبرئ اليهم طرفهم فالوجه
 الافراد كما افرد في غير هذا الموضع وجمعه ابن عامر كأنه أراد ضروبا من المآثم مختلفة فجمع لاختلافها والمصادر
 تجمع إذا اختلف ضروبها وإذا كانوا قد جمعوها ما يكون ضربا واحدا كقوله

هل من حلوم لا قوام فينذرهم ماجرب الناس من عضي وتضريسي

فإن يجمع ما يختلف من المآثم اجدر ويقوي ذلك قوله وليحملن ائقاليهم وائقالا مع ائقاليهم والثقل مصدر
 كالشبع والصفر والكبير

-- اللغة --

قال الزجاج اختلف أهل اللغة في معنى قوله عزروه وفي قولهم عزرت فلانا اعززه واعززه عزرا فقيل معناه
 رددته وقيل معناه اعنته وقيل معناه لمته ويقال عزرت به بالتشديد نصرته ويقال منعت منه فمعنى عزروه منعه والعداء

من الكفرة وقيل نصره والمعنى قريب لأن منع الاعداء منه نصرته ومعنى عزرت فلانا اذا ضربته ضربا دون الحد انه يمنعه بضربه اياه من معاودته مثل عمله ويجوز أن يكون من عزرته أي رددته معناه فعلت به ما يرده عن المعصية

﴿ الاعراب ﴾

قال الزجاج قوله بأمرهم بالمعروف يجوز ان يكون على تقدير يجدونه مكتوبا عندهم انه بأمرهم بالمعروف ويجوز ان يكون بأمرهم بالمعروف مستأنفا قال ابو علي لا وجه لقوله يجدونه مكتوبا انه بأمرهم ان كان يعني ان ذلك مراد لأنه لا شيء يدل على حذفه ولا نالنا لم نعلمهم حذفوا هذا في شيء وتفسيره ان وجدت هنا هو المتعدي الى مفعولين ومكتوبا مفعول ثان والمعنى يجدون ذكره مكتوبا عندهم في التوراة او اسمه فالمفعول الأول قام مقام المضاف اليه وانما قلنا ذلك لأن المكتوب هو الاسم او الذكر والمفعول الثاني في هذا الباب يجب ان يكون الاول في المعنى قال فاما قوله بأمرهم بالمعروف فهو عندي تفسير لما كتب كما ان قوله لهم مقرة واجر عظيم تفسير لوعدهم وكما ان قوله خلقه من تراب تفسير للمثل فإن قلت لم لا تجعله حالا من المفعول الأول فلان ذلك ممنوع في المعنى ألا ترى ان المعنى إذا كان يجدون ذكره او اسمه مكتوبا لم يجوز ان يكون بأمرهم حالاً منه لأن الاسم والذكر لا يأمران انما يأمر المذكور والمسمى ولا يجوز ان يكون مما في مكتوب من الضمير لأن الضمير هو المفعول الأول في المعنى

﴿ المعنى ﴾

ثم وصف سبحانه الذين يتقون بصفة أخرى فقال (الذين يتبعون الرسول النبي) أي يؤمنون به ويعتقدون بنبوته يعني نبينا محمد (ص) الامي ذكر في معناه اقوال ﴿ احدها ﴾ انه الذي لا يكتب ولا يقرأ ﴿ وثانيها ﴾ انه منسوب الى الأمة والمعنى انه على جبهة الأمة قبل استفادة الكتابة وقيل ان المراد بالأمة العرب لأنها لم تكن تحسن الكتابة ﴿ وثالثها ﴾ انه منسوب الى الام والمعنى انه على ما ولدته أمه قبل تعلم الكتابة ﴿ ورابعها ﴾ انه منسوب الى أم القرى وهي مكة وهو المروي عن ابي جعفر الباقر (ع) (الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل) معناه يجدون نعته وصفته ونبوته مكتوبا في الكتابين لأنه مكتوب في التوراة في السفر الخامس اني سأقيم لهم نبيا من اخوتهم مثلك واجعل كلامي في فيه فيقول لهم كل ما اوصيه به وفيها ايضا مكتوب وأما ابن الأمة فقد باركت عليه جدا جدا وسيلد اثني عشر عظيما وأخوه لأمة عظيمة وفيها ايضا اتانا الله من سيناء واشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران وفي الانجيل بشارة بالفارقليط في مواضع منها تعطيكم الفارقليط آخر يكون معكم آخر الدهر كله وفيه ايضا قول المسيح للحواريين انا اذهب وسيأتيكم الفارقليط روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه انه نذيركم بجميع الحق ويخبركم بالأمر المزمعة ويمدحتي وبشهادتي وفيه ايضا انه اذا جاء فند اهل العالم (بأمرهم بالمعروف وبنهاهم عن المنكر) يجوز ان يكون هذا مكتوبا في التوراة والانجيل ويكون موصولا بما قبله ويانا لمن يكتب له رحمة الولاية والمحبة ويجوز ان يكون ابتداء من قول الله تعالى مدحا للنبي (ص) والمعروف الحق والمنكر الباطل لأن الحق معروف الصحة في العقول والباطل منكر الصحة في العقول وقيل المعروف مكارم الاخلاق وصلة الارحام والمنكر عبادة الاوثان وقطع الارحام عن ابن عباس وهذا القول داخل في القول الأول (ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) معناه يبيح لهم المستلذات الحسنة ويحرم عليهم القبائح وما تعافه الاقسط وقيل يحل لهم ما اكتسبوه من وجه طيب ويحرم عليهم ما اكتسبوه من وجه خبيث وقيل يحل لهم ما حرمه عليهم رها بينهم واحبارهم وما كان بحرمة اهل الجاهلية من البحائر والسوائب وغيرها ويحرم عليهم الميتة والدم ولحم الخنزير وما ذكر معها (ويضع عنهم اصرهم) أي ثقلهم شبه ما كان على بني اسرائيل من التكليف

الشديد بالثقل وذلك ان الله سبحانه جعل توبتهم ان يقتل بعضهم بعضا وجعل توبة هذه الأمة الندم بالقلب حرمة للنبي (ص) عن الحسن وقيل الاصر هو العهد الذي كان الله سبحانه أخذه على بني اسرائيل ان يعملوا بما في التوراة عن ابن عباس والضحاك والسدي ويجمع المعنيين قول الزجاج الاصر ما عقدته من عقد ثقيل (والاغلال التي كانت عليهم) معناه ويضع عنهم العهود التي كانت في ذمتهم وجعل تلك العهود بمنزلة الاغلال التي تكون في الاعناق للزومها كما يقال هذا طوق في عنقك وقيل يريد بالاغلال ما امتحنوا به من قتل قوسهم في التوبة وقرض ما بصيبه البول من اجسادهم وما اشبه ذلك من تحريم السبت وتحريم العروق والشحوم وقطع الاعضاء الخاطئة ووجوب القصاص دون الدية عن اكثر المفسرين (فالذين آمنوا به) اي بهذا النبي وصدقوه في نبوته (وعزروه) اي عظموه ووقروه ومنعوا عنه اعداءه (ونصروه) عليهم (واتبعوا النور) معناه القرآن الذي هو نور في القلوب كما ان الضياء نور في العيون ويهتدي به الخلق في أمور الدين كما يهتدون بالنور في أمور الدنيا (الذي أنزل معه) اي أنزل عليه وقد يقوم مع مقام على كما يقوم على مقام مع وقيل معناه أنزل في زمانه وعلى عهده ويروى ان النبي (ص) قال لاصحابه اي الخلق اعجب إيمانا قالوا الملائكة فقال الملائكة عند ربهم فما لهم لا يؤمنون قالوا فالنبيون قال النبيون يوحى اليهم فما لهم لا يؤمنون قالوا فنحن يا نبي الله قال انا فيكم فما لكم لا تؤمنون إنما هم قوم يكونون بعدكم يجدون كتابا في ورق فيؤمنون به فهو معنى قوله واتبعوا النور الذي أنزل معه (أو تلك هم المفلحون) اي الظافرون بالمراد الناجون من العقاب الفاترون بالثواب

قوله تعالى (١٥٨) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَكَلامَتِهِ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ آية

✽ الأعراب ✽

جميعا نصب على الحال من ضمير المخاطب الذي عمل حرف الإضافة فيه والعامل في الحال معنى الفعل في رسول الله الا انه لا يجوز ان يتقدم على حرف الإضافة لأنه قد صار بمنزلة العامل
- المعنى -

ثم أمر الله سبحانه نبينا ان يخاطب جميع الخلق من العرب والعجم فقال (قل يا أيها الناس اني رسول الله) ارسلني (اليكم جميعا) ادعوكم الى توحيدهِ وطاعته واتباعي فيما أوديه اليكم وانما ذكر جميعا للتأكيد وليعلم انه مبعوث الى الكافة (الذي له ملك السماوات والأرض) معناه الذي له التصرف في السموات والأرض من غير دافع ومنازع (لا إله الا هو) اي لا معبود الا هو (ولا شريك له في الإلهية) يحيي (ويميت) الأحياء لا يقدر احد على الأحياء والإماتة سواه لأنه لو قدر احد على الإماتة لقدر على الأحياء فإن من شأن القادر على الشيء ان يكون قادرا على ضده (فأمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله) يعني لم يأمركم بالإيمان حتى آمن هو اولا وعليه زيادة التكليف من أداء الرسالة وبيان الشرائع والقيام بالدعوة (و كلماته) اي يؤمن بكلماته من الكتب المتقدمة والوحي والقرآن (واتبعوه لعلمكم تهتدون) اي لكي تهتدوا الى الثواب والجنة

قوله تعالى (١٥٩) وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٦٠) وَقَطَعْنَا هَمَّ
أُنْتَنِي عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَّمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحِجْرَ

فَأَنْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْعَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلْوَى كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَاسْكِنُوا أَنْفُسَكُمْ يُظَلِّمُونَ (آيَات)

— اللغة —

قال الأزهري السبط الفرقة لايشئ ولا يجمع ولا يؤث وقد جمع فقيل اسباط واشتقاقها من سبط وهو شجر والواحدة سبطة ورجل سبط الشعر وامرأة سبطة وقد سبط شعره سبوطه وهو الذي لا جعودة فيه ورجل سبط الأصابع طولها وسبط الكف مسحها ومطر سبط وسبط متدارك وسباطه سعته والسبط في كلام العرب خاصة الاولاد قال الزجاج قال بعضهم السبط القرن الذي يجي بعد قرن والصحيح ان الاسباط في ولد اسحاق بمنزلة القبائل في ولد اسماعيل فولد كل ولد من اولاد يعقوب سبط وولد كل ولد من اولاد اسماعيل قبيلة وانما سموا هؤلاء بالقبائل وهو لاء بالقبائل وهو لاء بالاسباط ليفصل بين ولد اسماعيل وولد اسحاق (ع) ومعنى القبيلة الجماعة ويقال للشجرة لها قبائل وكذلك الاسباط من السبط كأنه جعل اسحاق بمنزلة شجرة وجعل اسماعيل بمنزلة شجرة وكذلك يفعل النسابون في النسب يجعلون الوالد بمنزلة شجرة واولاده بمنزلة اغصانها ويسقال طوي لفرع فلان وفلان من شجرة صالحة فهذا معنى الاسباط والسبط

✽ الاعراب ✽

اثنتي عشرة اسباطا يعني اثنتي عشرة فرقة فحذف المميز ولذلك أنت واسباطا بدل من اثنتي عشرة تقديره وفرقتاهم اسباطا وجعلناهم اسباطا ويجوز كسر الشين في عشرة وهو قراءة الاعمش وبجحي بن وثاب وأما نعت الاسباط

✽ المعنى ✽

ثم عاد الكلام الى قصة بني اسرائيل فقال سبحانه (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق) اي جماعة يدعون الى الحق ويرشدون اليه (وبه يعدلون) اي وبالحق يحكمون ويعدلون في حكمهم واختلف في هذه الأمة من هم على اقوال **احدها** انهم قوم من وراء الصين وبينهم وبين الصين وادجار من الرمل لم يغيروا ولم يبدلوا عن ابن عباس والسدي والربيع والضحاك وعطا وهو المروي عن ابي جعفر الباقر (ع) قالوا وليس لأحد منهم مال دون صاحبه يطرون بالليل ويفضحون بالنهار ويزرعون لا يصل اليهم منا احد ولا منهم الينا وهم على الحق قال ابن جريج بلغني ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثنتي عشرة سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعندروا وسألوا الله ان يفرق بينهم وبينهم ففتح الله لهم نفقا من الأرض فساروا فيه سنة ونصف سنة حتى خرجوا من وراء الصين فهم هناك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وقيل ان جبرائيل انطلق بالنبي (ص) ليلة المعراج اليهم فقرأ عليهم من القرآن عشر سور نزلت بمكة فآمنوا به وصدقوه وأمرهم ان يقيموا مكانهم ويتركوا السبت وأمرهم بالصلاة والزكاة ولم يكن نزلت فريضة غيرهما ففعلوا قال ابن عباس وذلك قوله وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الأرض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيقا يعني عيسى بن مريم يخرجون معه وروي اصحابنا انهم يخرجون مع قائم آل محمد وروي ان ذا القرنين رآهم وقال لو أمرت بالمقام لسرفني ان أقيم بين اظهركم **وثانيها** انهم قوم من بني اسرائيل تمسكوا بالحق وبشرية موسى (ع) في وقت ضلالة القوم وقتلهم انبياءهم وكان ذلك قبل نسخ شريعتهم بشريعة عيسى (ع) فيكون تقدير الآية ومن قوم موسى أمة كانوا يهدون بالحق عن ابي علي الجبائي وانكر القول الأول وقال لو كانوا باقين لكانوا كافرين فيجد نبوة محمد (ص) وليس هذا بشئ لأنه

لا يمتنع ان يكون قوم لم يبلغهم دعوة النبي (ص) فلا يحكم بكفرهم ويمكن ان يكون بلغهم خبر النبوة وآمنوا
 ونالها ﴿ وانهم الذين آمنوا بالنبي (ص) مثل عبد الله بن سلام وابن سوريا وغيرهما وفي حديث ابي
 حمزة الثمالي والحكم بن ظهير ان موسى (ع) لما أخذ الألواح قال رب اني لأجد في الألواح أمة هي خير أمة
 اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فاجعلهم امتي قال تلك أمة احمد قال رب اني لأجد في
 الألواح أمة هم الآخرون في الخلق السابقون في دخول الجنة فاجعلهم امتي قال تلك أمة احمد قال رب اني لأجد
 في الألواح أمة كتبهم في صدورهم بقراؤها فاجعلهم امتي قال تلك أمة احمد قال رب اني لأجد في الألواح أمة
 يؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر ويقاثلون الاعور الكذاب فاجعلهم امتي قال تلك أمة احمد قال رب
 اني اجد في الألواح أمة اذا هم احدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة وان عملها كتبت له عشرة امثالها وان
 هم بسيئة لم يعملها لم يكتب عليه وان عملها كتبت عليه سيئة واحدة فاجعلهم امتي قال تلك أمة احمد قال رب
 اني اجد في الألواح أمة هم الشافعون وهم المشفوع لهم فاجعلهم امتي قال تلك أمة احمد قال موسى رب اجعلني من أمة
 احمد (ص) قال ابو حمزة فأعطى موسى آيتين لم يعطوها يعني أمة احمد قال الله يا موسى اني اصطفيتك على الناس
 برسالاتي وبكلامي وقال ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضي موسى (ع) كل الرضا وفي
 حديث غير ابي حمزة قال ان النبي (ص) لما قرأ ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون هذه لكم وقد اعطى الله
 قوم موسى مثلها (وقطعناهم اثني عشرة اسباطا اما) اي وفرقنا بني اسرائيل اثني عشرة فرقة اسباطا يعني
 اولاد يعقوب (ع) فانهم كانوا اثني عشر وكان لكل واحد منهم اولاد ونسل فصار كل فرقة منهم سبطا وأمة
 وانما جعلهم سبحانه أمما ليميزوا في مشربهم ومطعمهم ويرجع كل أمة منهم الى رئيسهم فيخفف الأمر على موسى
 (ع) ولا يقع بينهم اختلاف وتباغض (واوحينا الى موسى اذا استسقى قومه) اي طلبوا منه السقيا (ان اضرب
 بعصاك الحجر فانجست) الانبجاس خروج الماء الجاري بقلعة والانفجار خروجه بكثرة وكان يندي الماء من
 الحجر بقلعة ثم يتسع حتى يصير الى الكثرة فلذلك ذكر ههنا الانبجاس وفي سورة البقرة الانفجار والآية الى
 آخرها مفسرة هناك فلا معنى لاوعادته

قوله تعالى (١٦١) واذا قيل لهم اسكنوا هذه القرية واكلوا منها حبت شئتم وقولوا
 حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم سنزيدهم المحسنين (١٦٢) فبدل الذين
 ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجلا من السماء بما كانوا يظلمون آياتنا

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل المدينة وابن عامر ويعقوب وسهل تغفر بالتاء وضمها وفتح الفاء والباقون نغفر بالنون وكسر الفاء
 وقرأ أهل المدينة ويعقوب وسهل خطيئاتكم على جمع السلامة ورفع التاء وقرأ ابن عامر خطيئاتكم بالتوحيد
 ورفع التاء وقرأ ابو عمرو وخطاياكم بغير همز وعلى جمع التكسير والباقون خطيئاتكم على جمع السلامة وكسر التاء

﴿ الحجة ﴾

من قرأ نغفر بالنون فهو على واذا قيل لهم ادخلوا نغفر لكم أي إن دخلتم غفرنا والتي في البقرة نغفر والنون
 هناك احسن لقوله واذا قلنا واما قراءة من قرأ تغفر بالتاء مضمومة فلا نه قد استند اليها خطيئاتكم وهو مؤنث
 فأنت وبني الفعل للمفعول وهو اشبه بقوله واذا قيل لهم وقد مضى تفسيره مثل هاتين الآيتين في سورة البقرة فلا وجه لاوعادته

قوله تعالى (١٦٣) وسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت

إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيَتَانِهِمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْتَوْنَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٤) وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ آيَاتِنَا

— القراءة —

قرأ حفص معذرة بالنصب والباقون بالرفع وروي في الشواذ عن شهر بن حوشب وابي نبيك بعدون وعن الحسن بسبتون بضم الياء

= الحجة =

من قرأ معذرة بالرفع فتقديره مو عظمتنا معذرة فيكون خبر مبتدأ محذوف ومن قرأ بالنصب فعلى معنى نعتذر معذرة وقال سيبويه لو قال رجل لرجل معذرة الى الله واليك من كذا وكذا لنصب الى معنى نعتذر ومن قرأ بعدون اراد يعتدون فاسكن التاء ليدغمها في الدال وتقل فتحها الى العين فصار بعدون ومن قرأ يسبتون فمعناه يدخلون في السبت كما يقال اشهرنا دخلنا في الشهر واجمعنا دخلنا في الجمعة ومن فتح الياء اراد يفعلون السبت ويقومون عمل يوم السبت فالسبت على هذا فعلهم يقول سبت يسبت سبتا اذا عظم يوم السبت

✽ اللفظة ✽

حيثان جمع حوت واكثر ما يسمى العرب السمك الحيتان والنينان وعدا فلان يعدو عدوانا واعداء وعدوا واعدوا وظلم واصله مجاوزة الحد والشرع امله الظهور ومنه الشريعة والشريعة وهو الظاهر المستقيم من المذاهب ومنه المشريعة والشريعة لكونهما في مكان ظاهر من النهر ومنه شرع السفينة لظهورها والمعذرة والعذر والعذري والمعذرة واحد مصدر عذرتة اعذره والمعذر الذي له عذر صحيح والمعذر بالشديد الذي لا عذر له وهو يربك انه معذور وهو المقصر والمعتذر يقال لمن له عذر ولمن لا عذر له وقولهم من يعذرفي معناه من يقوم بعذري

✽ الإعراب ✽

إذ بعدون موضع إذ نصب على معنى سلمهم عن عدوهم أي عن وقت ذلك إذ تأتيتهم في موضع نصب ايضا يبعدون المعنى سلمهم إذ عدوا في وقت الايتان . شرعا نصب على الحال من الحيتان وموضع الكاف من كذلك نبلوهم نصب بتبلوهم ويحتمل أن يكون على ويوم لا يسبتون لا تأتيتهم كذلك أي لا تأتيتهم شرعا فيكون الكاف في موضع نصب على الحال من تأتيتهم ويكون نبلوهم مستأنفا والقول الأول اجود ولم تعظون امله لما ولكن هذه الألف تحذف مع حرف الجر يقول مم وفيهم وعلام وعم

✽ المعنى ✽

ثم ابتداء سبحانه بخبر آخر من اخبار بني اسرائيل فقال مخاطبا لنبيه (وسألهم) أي استخبرهم يا محمد وهو سؤال توبيخ وتقريع لا سؤال استفهام (عن القرية التي كانت حاضرة البحر) أي مجاورة البحر وقريبة من البحر على شاطئ البحر وهي ابلة عن ابن عباس وقيل هي مدين عنه ايضا وقيل طبرية عن الزهري (إذ بعدون في السبت) أي يظلمون فيه بصيد السمك ويتجاوزون الحد في امر السبت (إذ تأتيتهم حيثانهم يوم سبتهم شرعا) أي ظاهرة على وجه الماء عن ابن عباس وقيل متتابعة عن الضحاك وقيل رافعة رؤوسها قال الحسن كانت تشرع الى ابوابهم مثل الكباش البيض لأنها كانت آمنة يومئذ (ويوم لا يسبتون لا تأتيتهم) أي ويوم لا يكون السبت كانت تفوص في الماء واختلف في انهم كيف اصطادوا فقيل انهم القوا الشبكة في الماء يوم السبت حتى كان يقع فيها السمك ثم كانوا لا يخرجون الشبكة من الماء الى يوم الاحد وهذا تسبب محظور وفي رواية عكرمة عن ابن

عباس اتخذوا الحياض فكانوا يسوقون الحيتان اليها ولا يمكنها الخروج منها فيأخذونها يوم الاحد وقيل انهم اصطادوها وتناولوها باليد في يوم السبت عن الحسن (كذلك نبلوهم) اي مثل ذلك الاختبار الشديد تختبرهم (بما كانوا يفسقون) اي فسقهم وعصيانهم وعلى المعنى الآخر لا تأتيهم الحيتان مثل ذلك الاتيان الذي كان منها يوم السبت ثم استأنف فقال نبلوهم (واذ قالت أمة) اي جماعة (منهم) اي من بني اسرائيل الذين لم بصطادوا وكانوا ثلاثة فرق فرقة قانصة وفرقة ساكنة واعطية فقال الساكنون للواعظين والناهين (لم تعظون قوما الله مهلكهم) اي يهلكهم الله ولم يقولوا ذلك كراهية لوعظهم ولكن لأياسهم عن أن يقبل أو لك القوم الوعظ فإن الامر بالمعروف إنما يجب عند عدم الاياس من القبول عن الجبائي ومعناه ما ينفع الوعظ من لا يقبل والله مهلكهم في الدنيا بمعصيتهم (او معذبهم عذابا شديدا) في الآخرة (قالوا) اي قال الواعظون في جوابهم (معذرة الى ربكم) معناه موعظتنا إياهم معذرة الى الله وتأدية لقرضه في النهي عن المنكر لئلا يقول لنا لم لم تعظوهم (ولعلمهم) بالوعظ (بتقون) ويرجعون

قوله تعالى (١٦٥) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٦) فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَآئِهِمْ غَنُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ آيَاتان

✽ القراءة ✽

قرأ اهل المدينة بعذاب بئس بكسر الباء غير مهموز على وزن فعل وقرأ ابن عامر بش مهموز على وزن فعل ايضا وقرأ ابو بكر غير حماد ببئس على وزن فيعل والباقون ببئس على وزن فاعل وروي في الشواذ عن ابن عباس ببئس على وزن فيعل وعن زيد بن ثابت بش على وزن فعل وعن يحيى والسلمي بخلاف ببئس وعن طلحة بن مصرف ببئس وروي ايضا عن نافع وروي عن مجاهد بائس على وزن فاعل وعن الحسن ببئس بكسر الباء وفتح السين

✽ الحجة ✽

قال ابو علي من قرأ ببئس فانه يحتمل امرين ان يكون فعلا من بؤس ببؤس اذا كان شديد اليأس فيكون مثل بعذاب شديد وان يكون مصدرا على فعيل نحو التذير والذكير وقولهم «غدير الحى من عدوان كانوا حبة الارض» فوصف بالمصدر والتقدير بعذاب ذي ببئس اي ذي بؤس ومن قرأ بعذاب ببئس فإنه جعل ببئس الذي هو فعل اسما فوصف به ومثل ذلك قوله إن الله ينهى عن قيل وقال ومثله مذ شب الى دب ومذ شب الى دب فلما استعملت هذه الألفاظ اسما وافعالا فكذلك ببئس جعله اسما بعد أن كان فعلا فصار وصفا ومن قرأ ببئس فإنه يكون وصفا مثل ضيغم وحيدر وقال ولا يجوز كسر العين منه لأن في فعل بناء اختص به ما كان عينه ياء او واو مثل طيب وسيد ولم يجي مثل ضيغم وقد جاء في المعتل فيعمل انشد سيبويه «ما بال عينك كالشعيب العين» فينبغي أن يحتمل ببئس ممن رواه على الوهم قال ابن جنى وإنما جاء في الهمز لمشابتها حرا في العلة واما ببئس على فعول فإنه جاء على ببئس الرجل بأسه اذا شجع فكأنه عذاب مقدم عليهم غير متأخر عنهم ويجوز أن يكون مقصورا من ببئس فيكون مثل اتق من اتقى وأما ببئس في وزن جيش فكأنه اراد ببئس فخفف الهمزة فصارت بين بين فلما قاربت الياء اسكنها طلبا للخفة فصارت في اللفظ ياء ونحو من ذلك قول ابن ميادة «وكان يومئذ لها حكمها» اراد يومئذ فخفف واما بائس فاسم الفاعل من ببئس وانكر ابو حاتم قراءة الحسن ببئس وقال لو كان كذا لما كان بد معها من ما ببئس ما كنتم ما

* اللغة *

قال ابو زيد يقال بوؤس الرجل يبؤس بأساً اذا كان شديد البأس وفي البؤس وهو الفقر بأس الرجل يبأس بوؤساً وبأساً وبأساء الاسم والعتو الخروج الى افحش الذنوب والعاقب المبالغ في المعاصي والليل العاقب الشديد الظلمة والخاص المطرود المبعد عن الخير من خسأت الكلب اذا أقصيته فحسأ أي بعد

* المعنى *

(فلما نسوا ما ذكروا به) أي فلما ترك أهل هذه القرية ما ذكروهم الواعظون به ولم ينتهوا عن ارتكاب المعصية بصيد السمك (انجينا الذين ينهون عن سوء) أي خلصنا الذين ينهون عن المعصية (واخذنا الذين ظلموا أنفسهم بعذاب بئيس) أي شديد (بما كانوا يفسقون) أي بفسقهم وذلك العذاب لحقهم قبل أن مسخوا قرودة عن الجبائي ولم يذكر حال الفرقة الثالثة هل كانت من الناجية أم من الهالكة وروي عن ابن عباس فيهم ثلاثة أقوال أحدها **✽** انه نجت الفرقتان وهلكت الثالثة وبه قال السدي **✽** والثاني **✽** انه هلكت الفرقتان ونجت الفرقة الناهية وبه قال ابن زيد وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) **✽** والثالث **✽** التوقف فيه روي عن عكرمة قال دخلت على ابن عباس وبين يديه المصحف وهو يبكي ويقرأ هذه الآية ثم قال قد علمت ان الله تعالى اهلك الذين اخذوا الحيتان وانجى الذين نهوهم ولا ادري ما صنع بالذين لم ينهوهم ولم يواقعوا المعصية وهذه حالنا واختاره الجبائي وقال الحسن انه نجا الفرقة الثالثة لأنه ليس شيء ابلغ في الامر بالمعروف والوعظ من ذكر الوعيد وهم قد ذكروا الوعيد فقالوا الله مهلككم اومعذبهم عذاباً شديداً وقال المؤمن اعظم والله من أكل الحيتان (فلما عتوا عما نهوا عنه) أي عن ترك ما نهوا عنه يعني لم يتركوا ما نهوا عنه وتمردوا في الفساد والجرأة على المعصية وابوا ان يرجعوا عنها (فلما هم كونوا قرودة) أي جعلناهم قرودة (خاسئين) مبعدين مطرودين وانما ذكر كن ليدل على انه سبحانه لا يمتنع عليه شيء واجاز الزجاج ان يكون قيل لهم ذلك بكلام سمعوه فيكون ذلك ابلغ في الآية النازلة بهم وحكي ذلك عن ابي الهذيل قال فتادة صاروا قرودة لها اذئاب تعاوى بعد ان كانوا رجالاً ونساء وقيل انهم بقوا ثلاثة ايام ينظر اليهم الناس ثم هلكوا ولم يتناسلوا عن ابن عباس قال ولم يمكث مسخ فوق ثلاثة ايام وقيل عاشوا سبعة ايام ثم ماتوا عن مقاتل وقيل انهم توالدوا عن الحسن وليس بالوجه لأن من المعلوم ان القرودة ليست من اولاد آدم كما ان الكلاب ليست منهم ووردت الرواية عن ابن مسعود قال قال رسول الله **ﷺ** ان الله تعالى لم يسخ شيئاً فجعل له نسلاً وعقباً

* القصة *

قيل كانت هذه القصة في زمن داود (ع) وعن ابن عباس قال امروا باليوم الذي أمرتم به يوم الجمعة فتركوه واختاروا يوم السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعاً أيضاً سماناً حتى لا يرى الماء من كثرتها فمكثوا كذلك ما شاء الله لا بصيدون ثم اتاهم الشيطان وقال إنما نهيتهم عن أخذها يوم السبت فاتخذوا الحياض والشبكات فكانوا يسوقون الحيتان اليها يوم الجمعة ثم يأخذونها يوم الاحد وعن ابن زيد قال اخذ رجل منهم حوتاً وربط في ذنبه خيطاً وشده الى الساحل ثم أخذه يوم الاحد وشواه فلأموه على ذلك فلما لم يأتهم العذاب اخذوا ذلك واكوه وباعوه وكانوا نحواً من اثني عشر الفا فصار الناس ثلاث فرق على ما تقدم ذكره فاعتزلتهم الفرقة الناهية ولم تسأكنهم فاصبحوا يوماً ولم يخرج من العاصية احد فنظروا فاذا هم قرودة ففتحوا الباب ودخلوا فكانت القرودة تعرفهم وهم لا يعرفونها فجعلت تبكي فاذا قالوا لهم ألم نهكم قالت برووسها أن نعم قال فتادة صارت الشبان قرودة والشيوخ خنازير

قوله تعالى (١٦٧) وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ
 إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٦٨) وَقَطَعْنَا فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِنْهُمْ الصَّالِحِينَ
 وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ آيَات

✽ الاعراب ✽

ومنهم دون ذلك دون في موضع الرفع بالابتداء ولكنه جاء منصوباً لتمكنه في الظرفية ومثله على قول
 ابي الحسن لقد تقطع بينكم هو في موضع الرفع فجاء منصوباً لهذا المعنى وكذلك في قوله يوم القيامة بفصل بينكم
 بين في موضع رفع لقيامه مقام الفاعل وإن شئت كان التقدير ومنهم جماعة دون ذلك فحذف الموصوف وقامت
 صفته مقامه

— المعنى —

ثم خاطب سبحانه النبي فقال (وإذ تأذن ربك) ومعناه واذا ذكر يا محمد إذ أذن واعلم ربك فإن تأذن واذن بمعنى
 وقيل معناه تألى ربك أي أقسم القسم الذي يسمع بالإذن وقيل معناه قال ربك عن ابن عباس (ليبعثن عليهم)
 أي على اليهود (إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) أي من يذيقهم ويوليههم شدة العذاب بالقتل واخذ الجزية
 منهم والمعنى به أمة محمد (ص) عند جميع المفسرين وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وهذا يدل على أن اليهود
 لا تكون لهم دولة إلى يوم القيامة ولا عز وأما معنى البعث هاهنا فهو الأمر والإطلاق والمعونة وقيل معناه التخليفة وإن
 وقع على وجه المعصية كقوله سبحانه إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم إذا (إن ربك لسريع العقاب)
 لمن يشوجه على الكفر والمعصية (وإنه لغفور رحيم) ظاهر المعنى وإنما قال سريع العقاب وإن كان العقاب
 مؤخرًا إلى يوم القيامة لأن كل آت فهو قريب وقيل معناه سريع العقاب لمن شاء أن يعاقبه في الدنيا (وقطعناهم
 في الأرض أُمَّمًا) معناه وفرقناهم في البلاد فرقا مختلفة وجماعات شتى يعني اليهود عن ابن عباس ومجاهد وإنما
 فرقهم بأن فرق دواعيهم حتى افترقوا في البلاد وتفرقهم ذل لهم بمنزلة أخذ الجزية لأنهم لا يتعاونون ولا يتناصرون
 وقيل إنه فرقهم لما علم سبحانه من الصلاح لهم في دينهم فصلح فريق وعصى فريق ثم أخبر سبحانه عنهم فقال (منهم
 الصالحون) أي من هؤلاء الصالحون يعني من بني إسرائيل وهم الذين يؤمنون بالله ورسوله ويطيعونه (ومنهم دون ذلك)
 أي دون الصالح في الدرجة والمنزلة وهم الذين امتثلوا بعض الأوامر دون بعض وعملوا بعض المعاصي وإنما وصفهم
 بما كانوا عليه قبل ارتدادهم وكفرهم وذلك قيل أن يبعث فيهم عيسى (ع) وقيل معناه منهم المؤمنون بمحمد وعيسى
 عليهما السلام ومنهم الكافرون عن عطا ومجاهد (وبلوناهم بالحسنات والسيئات) معناه اختبرناهم بالرخاء في
 العيش واخلف في الدنيا والدعة والسعة في الرزق بالشدائد في العيش والمصائب في الأتس والأموال فكانه قال
 بلوناهم بالنعم والنقم والرخاء والشدة فإن فعل النعم يقتضي الرغبة إلى الله تعالى في ارتباطها وفعل النقم يقتضي
 الرغبة إلى الله تعالى في كشفها (لعلهم يرجعون) أي لكي يرجعوا إلى الله تعالى وينيبوا إلى طاعته وامتثال أمره
 ومتى قيل كيف يصح الرجوع إلى أمر لم يكونوا عليه قط فالقول فيه أن الذهاب عن الشيء قد يقال له ارجع
 إليه أي صر إليه كما أن من رأى غيره سالكا في المهالك قد يقول له ارجع إلى الطريق المستقيم يريد به إخراجه
 عن المهالك وقيل إن معناه لعلهم يرجعون إلى ما عليه أصل الفطرة

قوله تعالى (١٦٩) فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى
 وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْنِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا

يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
(١٧٠) وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ آيَاتَانِ

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو بكر يسكنون بتسكين الميم والباقون بفتحها وتشديد السين وهما بمعنى واحد وفي الشواذ قراءة السلمي
وآدأرسوا ما فيه اراد تدارسوا فادغم

﴿ اللغة ﴾

قال الزجاج يقال للقرن الذي يجي في اثر قرن خلف والخلف ما اخلف عليك بدلا مما ذهب منك قال
الفراء يقال هو خلف صدق وخلف سوء قال لبيد

ذهب الذين يعاش في اكنافهم

قال علي بن عيسى وقد يوضع احدهما مكان الآخر قال حسان

لنا الأقدم الأولى إليك وخلفنا

لأولنا في طاعة الله تابع

والأغلب في الفتح أن يستعمل في المدح . والعرض ما يعرض ويقبل لبثه ومنه سمي العرض القائم بالجسم
عرضا لأنه يعرض في الوجود ولا يجب له من اللبث ما يجب للأجسام والدرس تكرر الشيء ويقال درس الكتاب
إذا كثر قراءته ودرس المنزل إذا تكرر عليه مرور الامطار والرياح حتى انمحي أثره وامسك ومسك وتمسك
واستمسك بالشيء بمعنى واحد أي اعتصم به

﴿ الإعراب ﴾

بأخذون عرض هذا الأذني في موضع النصب على الحال من الضمير في ورثوا وقوله ورثوا الكتاب صفة
خلف ودرسوا ما فيه عطف على ورثوا وقوله لم يؤخذ عليهم الى قوله الا الحق اعتراض بين ورثوا ودرسوا ولا
يجوز الوقف من اول الآية إلا على قوله ما فيه وخبر الذين يسكنون قوله انا لا نضيع أجر المصلحين منهم فحذف
منهم لدلالة الكلام عليه كما في قوله السمن منوان بدرم ويحتمل ان يكون التقدير لا نضيع أجرهم لأن
المصلحين هم الذين يسكنون بالكتاب في المعنى ويجوز أن يكون الخبر محذوقا وتقديره نعطيههم أجرهم لأننا
لا نضيع أجر المصلحين فاستغنى بذكر العلة عن ذكر المعلوم

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه الأخلاف بعد ذكر الأسلاف فقال (فخلف من بعدهم خلف) معناه فذهب أو آتلك وقام
مقامهم قوم آخرون ورثوا الكتاب يعني التوراة فإن الميراث ما صار للباقي من جهة البادي (بأخذون عرض هذا
الأذني) معناه ما اشرف لهم من الدنيا أخذوه عن ابن عباس يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر
وجميع متاع الدنيا عرض وقيل انهم كانوا يرتشون ويحكمون بجور وقيل انهم كانوا يرتشون ويحكمون بحق
وكل ذلك عرض خسيس و اراد بقوله هذا الأذني هذا العاجل وقيل اراد عرض هذا العالم الأذني وهو الدار القانية
(ويقولون سيفقر لنا) وهذا اخبار عن حرصهم على الدنيا واصرارهم على الذنوب اذا اشرف لهم شيء من الدنيا
أخذوه حاللا كان أو حراما و يثمنون على الله المغفرة (وإن يأثمهم عرض مثله بأخذوه) اي وان وجدوا من الغد
مثله أخذوه وهذا دليل على اصرارهم وانهم تمنوا المغفرة مع الإصرار وقيل معناه وإن جاءهم حرام من الرشوة وغيرها
بعد ذلك أخذوه واستحلوه ولم يرتدعوا عنه عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقيل معناه لا يشبعهم شيء

عن الحسن (لم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب إلا يقولوا على الله إلا الحق) معناه لم يؤخذ على هؤلاء المرتشين في الأحكام القائلين سينقر لنا إذا عوتبوا على ذلك الميثاق في التوراة أن لا يكذبوا على الله تعالى ولا يضيفوا إليه إلا ما أنزله على رسوله موسى (ع) في التوراة من الوعد والوعيد وغير ذلك وليس فيها ميعاد المغفرة مع الاصرار (ودرسوا ما فيه) أي قرأوا ما فيه فهم ذاكرون لذلك وقيل انه معطوف على قوله ورثوا الكتاب والمعنى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ودرسوا ما فيه فضيعوه وتركوا العمل به (والدار الآخرة خير للذين يتقون) معناه ما عده الله لأوليائه في الدار الآخرة من النعيم والثواب للعاملين بطاعته خير للذين يجتنبون معاصي الله (أفلا يعقلون) من قرأ بالياء فمعناه أفلا تعقل هذه الطائفة ومن قرأ بالياء فمعناه قل لهم أفلا تعقلون ان الأمر على ما أخبر الله به (والذين يمسكون بالكتاب) أي يتمسكون به والكتاب التوراة أي لا يحرفونه ولا يكتمونه عن مجاهد وابن زيد وقيل الكتاب القرآن والتمسك به أمة محمد (ص) عن عطا (واقاموا الصلاة) إنما خص الصلاة بالذكر لجلالة موقعها وشدة تأكدها (انا لا نضيع أجر المصلحين) أي لا نضيع جزاء عملهم وثيبهم على ما يستحقونه قوله تعالى (١٧١) وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا

مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ آية

اللغة

النتق قلع الشيء من الاصل وكل شيء قلعه ثم رميت به فقد نتقته ومنه قيل للمرأة الكثيرة الاولاد ناتق لأنها ترمي بالاولاد رمياً هذا قول أبي عبيدة وقيل أصل النتق الرفع ومنه امرأة ناتق لرفعها الاولاد ونتقت المرأة فهني ناتق ومنتاق اذا كثرت ولدها وهو قول ابن الاعرابي وقيل اصله الجذب يقال نتقت الغرب من البئر جذبته عن ابي مسلم والظلة كما اظلك ابي سترك من سقف او سحابة او جناح حائط

المعنى

عاد الكلام الى قوم موسى (ع) فقال سبحانه (واذ نتقنا الجبل فوقهم) معناه واذا ذكر يا محمد اذ قلنا الجبل من اصله فرقمناه فوق بني اسرائيل وكان عسكر موسى (ع) فرسخا في فرسخ فرقع الله الجبل فوق جميعهم (كأنه ظلة) اي غمامة وقيل سقيفة عن عطا (وظنوا انه واقع بهم) أي علموا وابتقوا عن الحسن وقيل معناه على ظاهره من الظن اي قوي في قوسهم ذلك عن الرماني والجبائي (خذوا) اي وقلنا لهم خذوا (ما آتيناكم بقوة) اي خذوا ما الزمانكم من احكام كتابنا وفرائضه فاقبلوه بجد واجتهاد منكم في كل اوان من غير تقصير ولا توان (واذكروا ما فيه) من العهود والمواثيق التي أخذناها عليكم بالعمل بما فيه (لعلكم تتقون) اي لكي تتقوا ربكم وتخافوا عقابه وقد مضى تفسير هذه الآية في سورة البقرة مشروحا

قوله تعالى (١٧٢) وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٣) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (١٧٤) وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ثلاث آيات

القراءة

قرأ ابن كثير واهل الكوفة ذريتهم على التوحيد والباقون ذرياتهم على الجمع وقرأ ابو عمرو أن يقولوا ويقولوا بالياء والباقون بالياء

✽ الحجة ✽

قال ابو علي الذرية قد يكون جمعا وقد يكون واحداً فمما جاء فيه جمعا قوله كذا ذرية من بعدهم وذرية من حملنا مع نوح فمن افرد جعله جمعا فاستغنى عن جمعه لوقوعه على الجمع ومما جاء فيه واحداً قوله رب هب لي من لدنك ذرية طيبة ثم قال إن الله يبشرك بيحيى وهذا مثل قوله رب هب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب وأما قراءة ابي عمرو ان يقولوا بالياء فلأن الذي تقدم من الكلام على الغيبة ومن قرأ بالياء فلا نه جرى في الكلام خطاب ايضاً فقال الست بربكم وكلا الوجهين حسن لأن الغيب هم المخاطبون في المعنى

✽ الاعراب ✽

من ظهورهم بدل من قوله من بني آدم والمعنى أخذ ربك من ظهور بني آدم ذريتهم وقد ذكرنا الذرية وما قيل في تقدير وزنها واشتقاقها فيما تقدم وقوله ان تقولوا تقديره كراهة ان تقولوا او لثلاثا تقولوا وقد مضى الكلام في امثاله

✽ المعنى ✽

ثم ذكر سبحانه ما أخذ على الخلق من المواثيق بعقولهم عقيب ما ذكره من المواثيق التي في الكتب جمعا بين دلائل السمع والعقل وابلاغاً في إقامة الحجة فقال (وإذ أخذ ربك) أي واذا ذكر لهم يا محمد إذا خرج ربك (من بني آدم من ظهورهم) أي من ظهور بني آدم (ذريتهم) واشهدهم على اقسيم الست بربكم قالوا بلى (اختلف العلماء من العام والخاص في معنى هذه الآية وفي هذا الاخراج والاشهاد على وجوه احدها ان الله تعالى اخرج ذرية آدم من صلبه كهيئة الذر فعرضهم على آدم وقال اني آخذ على ذريتك ميثاقهم ان يعبدوني ولا يشركوا بي شيئاً وعلي ارزاقهم ثم قال لهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا انك ربنا فقال للملائكة اشهدوا فقالوا شهدنا وقيل ان الله تعالى جعلهم فعلاء بسمعون خطابه ويفهمونه ثم ردهم الى صلب آدم والناس محبسون باجمعهم حتى يخرج كل من اخرجه الله في ذلك الوقت وكل من ثبت على الإسلام فهو على الفطرة الأولى ومن كفر وجحد فقد تغير عن الفطرة الأولى عن جماعة من المفسرين ورووا في ذلك آثاراً بعضها مرفوعة وبعضها موقوفة يجعلونها تأويلاً للآية ورد المحققون هذا التأويل وقالوا انه مما يشهد ظاهر القرآن بخلافه لأنه تعالى قال وإذ أخذ ربك من بني آدم ولم يقل من آدم وقال من ظهورهم ولم يقل من ظهوره وقال ذريتهم ولم يقل ذريته ثم أخبر تعالى بأنه فعل ذلك لثلاثا يقولوا انهم كانوا عن ذلك غافلين او يعتذروا بشرك آبائهم وانهم نشأوا على دينهم وهذا يقتضي ان يكون لهم آباء مشركون فلا يتناول الظاهر ولد آدم لصلبه وايضاً فإن هذه الذرية المستخرجة من صلب آدم لا يخلو إما ان جعلهم الله فعلاء او لم يجعلهم كذلك فإن لم يجعلهم فعلاء فلا يصح ان يعرفوا التوحيد وان يفهموا خطاب الله تعالى وان جعلهم فعلاء وأخذ عليهم الميثاق فيجب ان يتذكروا ذلك ولا ينسوه لأن أخذ الميثاق لا يكون حجة على المأخوذ عليه الا ان يكون ذا كراهة فيجب ان نذكر نحن الميثاق ولأنه لا يجوز ان ينسى الجمع الكثير والجم الغفير من العقلاء شيئاً كانوا عرفوه وميزوه حتى لا يذكروه واحداً منهم وان طال العهد الأتري ان اهل الجنة يعرفون كثيراً من احوال الدنيا حتى يقول اهل الجنة لاهل النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ولو جاز ان ينسوا ذلك مع هذه الكثرة لجاز ان يكون الله تعالى قد كلف الخلق فيما مضى ثم اعادهم إما ليثيبهم وإما ليعاقبهم ونسوا ذلك وذلك يؤدي الى التجاهل وإلى صحة مذهب التناسخية وحكي عن علي بن عيسى عن ابي بكر بن الاشعبد انه جوز ان يكون خبر الذر صحيحاً غير انه قال ليس تأويل الآية على ذلك ويكون فائدته انه انما فعل ذلك ليحجروا على الاعراق الكريمة في شكر النعمة والاقرار لله تعالى بالرؤية كما روي انهم ولدوا على الفطرة وحكي ابو الهذيل في كتاب الحجة ان الحسن البصري واصحابه كانوا يذهبون الى ان نعيم الاطفال في الجنة ثواب عن الإيمان

في الذر ﴿ وثانيها ﴾ ان المراد بالآية ان الله سبحانه اخرج بني آدم من اصلاص آبائهم الى ارحام أمهاتهم ثم رقاهم درجة بعد درجة وعلقة ثم مضغة ثم انشأ كلا منهم بشرا سويا ثم حيا مكلفا واهم آثار صنعه ومكنهم من معرفة دلائله حتى كأنه اشهدهم وقال لهم الست يربكم فقالوا بلى هذا يكون معنى اشهدهم على اقسيم دليهم بخلقه على توحيدهم وانما اشهدهم على اقسيمهم بذلك لما جعل في عقولهم من الأدلة الدالة على وحدانيته وركب فيهم من عجائب خلقه وغرائب صنعه وفي غيرهم فكأنه سبحانه بمنزلة المشهد لهم على اقسيمهم فكانوا في مشاهدة ذلك وظهوره فيهم على الوجه الذي اراده الله وتعذر امتناعهم منه بمنزلة المعترف المقر وان لم يكن هناك اشهاد صورة وحقيقة ونظير ذلك قوله تعالى فقال لها وللأرض ائتيا طوعا او كرها قالنا ائتينا طائعين وان لم يكن منه سبحانه قول ولا منها جواب ومثله قوله تعالى شاهدين على انفسهم بالكفر ومعلوم ان الكفار لم يعترفوا بالكفر بالسنتهم لكنه لما ظهر منهم ظهوراً لا يتمكنون من دفعه فكأنهم اعترفوا به ومثله في الشعر

وقالت له العينان سمعا وطاعة وحدرتا كالدر لما يتقب

وكما يقول القائل جوارحي تشهد بنعمتك وكما روي عن بعض الخطباء من قوله سل الأرض من شق انهارك وغرس اشجارك وابنع ثمارك فان لم تجبك حوارا اجابتك اعتباراً ومثله كثير في كلام العرب واشعارهم ونظمهم وشعرهم وهو قول الرماني والبي مسلم وابن الاخشيد ﴿ وثالثها ﴾ انه تعالى انما عنى بذلك جماعة من ذرية آدم خلقهم واكمل عقولهم وقررهم على السن رسله (ع) بمفرته وبما يجب من طاعته فأقروا بذلك وأشهدهم على انفسهم به لثلاثا يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين او يقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل فقلدناهم في ذلك فنبه سبحانه على انه لا يعاقب من له عذر رحمة منه نطقه وكرما وهذا يكون في قوم خاص من بني آدم ولا يدخل جميعهم فيه لأن المؤمن لا يدخل فيه لأنه بين ان هؤلاء المأخوذ ميثاقهم كان لهم سلف في الشرك ولأن ولد آدم لصلبه لم يؤخذوا من ظهور بني آدم فقد خرجوا من ذلك وهذا اختيار الجبائي والقاضي وقوله (شهدنا) حكاية عن قول الملائكة انهم يقولون ذلك اي شهدنا لثلاثا تقولوا ذكره الازهري عن بعضهم وقال ان قوله قالوا بلى تمام الكلام وهذا خلاف الظاهر وماعليه المفسرون لأن الكل قالوا شهدنا عن قول من قال بلى وان اختلفوا في كيفية الشهادة على ان الملائكة لم يجزها ذكر في الآية فيبعد ان يكون اخباراً عنهم (ان يقولوا يوم القيامة) معناه لثلاثا يقولوا اذا صاروا الى العذاب يوم القيامة (انا كنا عن هذا غافلين) لم تنبه عليه ولم تقم لنا حجة به ولم تكمل عقولنا فنفكر فيه (او يقولوا) اي او يقول قوم منهم (انا اشرك آباؤنا من قبل) حين بلغوا وعقلوا (و كنا ذرية من بعدهم) اي اطفالا لا نعقل ولا نصلح للفكرة والنظر والتدبر وعلى التأويل الأخير فعناه اني انما قررتكم بهذا التواظبوا على طاعتي وتشكر وانعمتي ولا تقولوا يوم القيامة انا كنا غافلين عما أخذ الله من الميثاق على لسان الانبياء وتقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل فنشوتنا على شرهم احتجاجا بالتقليد وتعويلا عليه اي فقد قطعت حجتكم هذه بما قررتكم به من معرفتي واشهدتكم على انفسكم باقراركم بمفرتكم ابائي (أفتهلكنا بما فعل المبطون) ومعناه ولأن لا تقولوا أفتهلكنا بما فعل آباؤنا من الشرك وتقديره انا لا نهلككم بما فعلوه وانما نهلككم بفعلكم انتم (وكذلك نفصل الآيات) معناه انا كما ينالكم هذه الآيات كذلك نفصلها للعباد ونبينها لهم وتفصيل الآيات تمييزها لئتمكن من الاستدلال بكل واحدة منها (ولعلمهم يرجعون) اي ليرجعوا الى الحق من الباطل

قوله تعالى (١٧٥) **وَآتَلُّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ**

فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٦) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ
فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا
بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٧) سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَبُوا يَا بَاتِنَا
وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ (١٧٨) مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْخَاسِرُونَ (أربع آيات)

✽ اللغة ✽

النبا الخبر عن الأمر العظيم ومنه اشتقاق النبوة نبأه الله أي جملة نبيا واخلد الى كذا واخلد اليه سكن
اليه واخلد أكثر واصله اللزوم على الدوام ورجل مخلد اذا ابطأ عنه الشيب واخلد الى الارض لصق بها
قال مالك بن نويرة

بانبياء حق من قبائل مالك وعمر وبن يربوع اقاموا فأخلدوا
اللاهث أن يدلغ الكلب لسانه من العطش واللاهث حر العطش وفي حديث سعيد بن جبير في المرأة اللاهثي
إنما تظفر في رمضان وقيل هو النفس الشديد من شدة الإعياء
= الإعراب =

نصب مثلا لأنه تفسير الضمير في ساء التي هي بمعنى بشس فيكون فعلا ماضيا غير منصرف وتقديره
ساء المثل مثلا وفي الكلام حذف آخر وتقديره ساء المثل مثلا مثل القوم ثم حذف المثل الاول لدلالة المنصوب
عليه وحذف الثاني لقيام المضاف اليه مقامه ولأن المعنى مفهوم

﴿ المعنى ﴾

ثم أمر سبحانه نبيه (ص) أن يقرأ عليهم قصة أخرى من أخبار بني اسرائيل فقال (واتل) أي واقرا
(عليهم) يا محمد نبأ الذي آتيناها أي خبر الذي اعطيناه (آياتنا) أي حججنا وبياناتنا (فانسلخ منها) أي فخرج
من العلم بها بالجهل كالشيء الذي ينسلخ من جلده (فأتبعه الشيطان) أي تبعه وتبع واتبع واتبع بمعنى وقيل معناه
لحقه الشيطان وادر كه حتى اضله (فكان من الغاوين) أي من الهالكين وقيل من الخائنين عن الجبائي
واختلف في المعنى به فقيل هو بلعام بن باعور عن ابن عباس وابن مسعود وكان رجلا على دين موسى (ع)
وكان في المدينة التي قصدها موسى وكانوا كفارا وكان عنده اسم الله الأعظم وكان اذا دعا الله تعالى اجابه
وقيل هو بلعم بن باعورا من بني هاب بن لوط عن ابي حمزة الثمالي ومسروق قال أبو حمزة وبلغنا ايضا
والله اعلم انه امية بن ابي الصلت الثقفي الشاعر وروي ذلك عن عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب
وزيد بن اسلم وابي روق وكانت قصته انه قرأ الكتب وعلم ان الله سبحانه مرسل رسولا في ذلك الوقت
ورجا أن يكون هو ذلك الرسول فلما ارسل محمد (ص) حسده ومر على قتلى بدر فسأل عنهم فقيل قتاهم
محمد فقال لو كان نبيا ما قتل اقباءه واستنشد رسول الله اخته شعره بعد موته فأنشدته

لك الحمد والنعمة والفضل ربنا ولا شيء اعلى منك جدا وامجد

ملك على عرش السماء مهيمن
لعرته تمنو الوجوه وتسجد
وهي قصيدة طويلة حتى اتت على آخرها ثم انشدته قصيدته التي فيها
وقف الناس للحساب جميعا
فشقي معذب وسعيد
والتي فيها

عند ذي العرش تعرضون عليه
يعلم الجهر والسراب الخفيا
يوم يأتي الرحمن وهو رحيم
إنه كان وعده مأثيا
رب إن تعف فالمعافاة ظني
أو تعاقب فلم تعاقب برياً

فقال رسول الله (ص) آمن شعره وكفر قلبه وانزل الله فيه قوله واتل عليهم نبأ الذي آتيناه الآية وقيل
أنه أبو عامر بن النعمان بن صيفي الراهب الذي سماه النبي الفاسق وكان قد تروهب في الجاهلية ولبس المسوح
فقدم المدينة فقال للنبي (ص) ما هذا الذي جئت به قال جئت بالحنيفية دين إبراهيم قال فانا عليها فقال (ص)
لست عليها ولكنك ادخلت فيها ما ليس منها فقال أبو عامر أمات الله الكاذب منا طريداً وحيداً فخرج الى
أهل الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا السلاح ثم اتى قيصر واتى بجند ليخرج النبي (ص) من المدينة
فمات بالشام طريداً وحيداً عن سعيد بن المسيب وقيل المعني به منافقو اهل الكتاب الذين كانوا يعرفون
النبي ^{صلى الله عليه وسلم} كما يعرفون ابناؤهم ويكون معنى فانسلخ منها اعرض عن آيات الله وتركها فاتبعه الشيطان أي خذله
الله وخلى بينه وبين الشيطان عن الحسن وابن كيسان وقيل انه مثل ضربه الله لمن عرض عليه الهدى فأبى أن يقبله
عن قتادة وقال أبو جعفر (ع) الأصل في ذلك بلم ثم ضربه الله مثلاً لكل موثر هواه على هدى الله من
أهل القبلة وقيل ايضاً في الآيات التي اوتيتها اقوال أخر منها أن المراد بها المعجزات الدالة على صدق الأنبياء
فلم يقبلها وعري عنها يعني فرعون عن ابي مسلم فكانه قال اتل عليهم نبأ فرعون اذ آتيناه الحجج الدالة على
صدق موسى فلم يقبلها ومنها ان الآيات الإيمان والهدى والدين عن الحسن ومنها انها النبوة عن مجاهد
وهذا لا يجوز لأن الأنبياء منزهون عن ذلك فإنهم حجج الله على خلقه (ولو شئنا لرفعناه بها) أي بتلك الآيات
والهاء في رفعناه يعود الى الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها معناه ولو شئنا لرفعناه منزلة بإيمانه ومعرفة قبل أن
يكفر ولكن بقيناه ليزداد الإيمان فكفر عن الجبائي وقيل معناه ولو شئنا لخلقنا بينه وبين ما اختاره من
المعصية وهذا اخبار عن كمال قدرته عن البلخي والزجاج (ولكنه اخذ الى الارض) أي ركن الى الدنيا
ومال اليها عن سعيد بن جبير والسدي ومعناه ولكنه مال الى الدنيا بإيثار الراحة والدعة في لذة (واتبع هواه)
أي وانقاد لهواه في الركون الى الدنيا واختيارها على الآخرة ثم ضرب له مثلاً فقال (فمثلته كمثل الكلب أن تحمل
عليه يلهث أو تتركه يلهث) معناه فصفته كصفة الكلب ان طردته وشدت عليه يخرج لسانه من فمه وان
تركته ولم تطرده يخرج لسانه من فمه ايضاً وتحمل عليه من الجملة لان الحمل والمعنى ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه
فهو ضال في كل حال كما ان كل شيء يلهث فإنما يلهث في حال الاعياء والكلال الا الكلب فإنه يلهث
في كل حال ومثله قوله سبحانه سوا، عليكم ادعوتهم أم أنتم صامتون وقيل إنما شبهه بالكلب في الخسة
وقصور الهمة وسقوط المنزلة ثم وصف الكلب بالهث على عادة العرب في تشبيههم الشيء بالشيء ثم يأخذون
في وصف المشبه به وان لم يكن ذلك الوصف في المشبه وذلك يكثر في كلامهم عن ابي مسلم وقيل شبهه

بالكلب اذا اخرج لسانه لا يذانه الناس بلسانه حملت عليه او تركته يقال لمن آذى الناس بلسانه فلان اخرج لسانه من الفم مثل الكلب ولهته في هذا الموضع صياحه ونباحه وقيل ان هذا مثل الذي يقرأ القرآن فلا يعمل به عن مجاهد (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) معناه ذلك صفة الذين يكذبون بآيات الله قال ابن عباس يريد اهل مكة كانوا يمتنون هاديا يهديهم ويدعوهم الى طاعة الله فلما جاءهم من لا يشكون في صدقه كذبوه فلم يهتدوا لما تركوا ولم يهتدوا لما دعوا بالرسول والكتساب (فاقصص القصص) اي فاقصص عليهم اخبار الماضين (لعلمهم يتفكرون) فيعتبرون ولا يفعلون مثل فعلهم حتى لا يحل بهم ما حل بهم ثم وصف الله تعالى بهذا المثل الذي ضربه وذكره بأنه (ساء مثلا) اي بشئ مثلا (مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) ومعناه بثت الصفة المضروب فيها المثل أو قبح حال المضروب فيه لأن المثل حسن وحكمة وصواب وانما القبيح صفتهم (وانفسهم كانوا يظلمون) اي وانما نقصوا بذلك انفسهم ولم ينقصوا شيئا لأن عقاب ما يفعلونه من المعاصي يحل بهم والله سبحانه لا يضره كفرهم ومعصيتهم كما لا ينفعه ايمانهم وطاعتهم (من يهدي الله فهو المهتد) كتبت ههنا بالياء ليس في القرآن غيره بالياء وأثبت الياء ههنا في اللفظ جميع القراء ومعناه من يهده الله الى نيل الثواب كما يهدي المؤمن الى ذلك والى دخول الجنة فهو المهتدي للايمان والخير عن الجبالي (ومن يضلل) أي ومن يضلل الله عن طريق الجنة وعن نيل الثواب عقوبة على كفره وفسقه (فأولئك هم الخاسرون) خسروا الجنة ونعيمها وخسروا انفسهم والانتفاع بها وقيل المهتدي هو الذي هداه الله فقبل الهداية واجاب اليها والذي أضله الله هو الذي اختار الضلالة فخلي الله بينه وبين ما اختاره ولم يمنعه منه بالجبر عن البلخي

قوله تعالى (١٧٩) وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٨٠) وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨١) وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (ثلاث آيات)

✽ القراءة ✽

قرأ حمزة بلحدون بفتح الياء والحاء حيث كان وواقه الكسائي وخلف في النحل والباقون بلحدون بضم الياء وكسر الحاء

✽ الحجة ✽

قال ابو الحسن لحدوا لحدفتان والحد في الكلام اكثر قال الشاعر « ليس الامام بالشحيح المالحد » وفي القرآن ومن يرد فيه بالحاد

✽ اللغة ✽

الذرة والاشياء والاحداث والخلق نظائر قال علي بن عيسى الاسم كلمة تدل على المعنى دلالة الاشارة والفعل كلمة تدل على المعنى دلالة الافادة والصفة كلمة مأخوذة للمذكور من اصل من الاصول لتجري عليه تابعة له والاحاد العدول عن الاستقامة والانحراف عنها ومنه اللحد الذي يحفر في جانب القبر خلاف الضريح الذي يحفر في وسطه وروى ابو عبيدة عن الاحمر لحدت جزت وملت والحدت ماريت وجادلت

ابو عبيدة حدثت للميت والحدث بمعنى واحد

✽ الاعراب ✽

اللام في قوله لجهنم لام العاقبة كما في قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وَإِنَّمَا التَّقْوَةُ لِيَكُونَ لَهُمْ قُرَّةَ عَيْنٍ كَمَا قَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةَ عَيْنٍ لِي وَكَوْنُ مِثْلِهِ قَوْلُ الشَّاعِرِ

وام سماك فلا تجزعي
وقول الآخر

وللموت تغذو والوالدات سخالها

كألخراب الدهر تبني المساكن

وقول الآخر

اموالنا لذوي الميراث نجمعها

ودورنا لخراب الدهر نبنيها

وقول الآخر

يا ام وجرة بعض الوجدوا عترتي

فكل والدة للموت ما تلد

قال علي بن عيسى هي لام الاضافة تذكر مرة على معنى العلة ومرة على معنى شبه العلة

✽ المعنى ✽

لما بين سبحانه أمر الكفار وضرب لهم الأمثال عقبه ببيان حالهم في المصير والمآل فقال (ولقد ذرأنا) أي خلقنا (لجهنم كثيرا من الجن والانس) يعني خلقناهم على ان عاقبتهم المصير الى جهنم بكفرهم وانكارهم وسوء اختيارهم ويدل على هذا المعنى قوله سبحانه وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فاخبر انه خلقهم للعبادة فلا يجوز أن يكون خلقهم للنار وقوله وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولقد صرفناه بينهم ليدكروا في نظائر ذلك لا تحصى والمراد بالآية كل من علم الله تعالى انه لا يؤمن ويصير الى النار (لهم قلوب لا يفقهون بها) الحق لا أنهم لا يتدبرون ادلة الله تعالى وبيناته (ولهم اعين لا يبصرون بها) الرشده (ولهم آذان لا يسمعون بها) الوعظ لا أنهم يعرضون عن جميع ذلك اعراض من ليست له آلة الادراك وقد مر تفسيره في سورة البقرة عند قوله صم بكم عمي الآية (اولئك كالانعام) أي هولاء الذين لا يتدبرون آيات الله ولا يستدلون بها على وحدانيته وصدق انبيائه اشباه الانعام والبهائم التي لا تفقه ولا تعلم (بل هم أضل) من البهائم فإنها اذا زجرت انزجرت واذا ارشدت الى طريق اهتدت وهولاء لكفرهم وعتوهم لا يهتدون الى شيء من الخيرات مع ما ركب الله فيهم من العقول الدالة على الرشاد الصارفة عن الفساد ولم يذكر بل ههنا للرجوع عن الاول ولكن للإضراب عنه مع بقاءه وقيل إنما قال بل هم أضل من الانعام لأن الانعام لم تعط آلة المعرفة والتمييز فلا تلحقها المذمة وهولاء اعطوا آلة المعرفة والتمييز فضعوها ولم ينتفعوا بها ولأن الانعام وان لم تكن مطبوعة لم تكن عاصية وهولاء عصاة فهم اسوء حالا منها (اولئك هم الغافلون) عن آياتي وحججتي وعن الاستدلال والاعتبار بتدبرها والتفكر فيها دون البهائم التي هي مسخرة مصرفة وقيل الغافلون عما يحل بهم في الآخرة من العذاب (ولله الاسماء الحسنی) اخبر سبحانه ان له الاسماء الحسنی لحسن معانيها مثل الجواد والرحيم والرازق والكریم ويقال إن جميع اسمائه داخله فيها وانها كلها حسنة متضمنة لمعان حسنة فمنها ما يرجع الى صفات ذاته كالعالم والقادر والحی والآله والتقدير والسميع والبصير ومنها

ما هي صفات فعله كالخالق والرازق والمبدع والمحيي والمميت ومنها ما يفيد التنزيه ونفي صفات النقص عنه كالغني والواحد والقدوس ونحو ذلك وقيل المراد بالحسنى ما مالت اليه النفوس من ذكر العفو والرحمة دون السخط والنقمة (فادعوه بها) أي بهذه الاسماء الحسنى ودعاؤهم بها أن يقال يا الله يا رحمن يا رحيم يا خالق السموات والارض وكل اسم لله سبحانه فهو صفة مفيدة لأن اللقب لا يجوز عليه فإنه بمنزلة الإشارة الى الحاضر وقد ورد في الحديث ان لله تسعة وتسعين اسماً مائة الا واحدة من احصاها دخل الجنة انه وترى يجب الوتر اوردته مسلم في الصحيح (وذروا الذين يلحدون في اسمائه) أي دعوا الذين يعدلون باسماء الله تعالى عما هي عليه فيسمون بها اصنامهم ويغيرونها بالزيادة والنقصان فاشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز ومنات من المنان عن ابن عباس ومجاهد وقيل ان معنى يلحدون في اسمائه يصفونه بما لا يليق به ويسمونه بما لا يجوز تسميته به وهذا الوجه اعم فائدة ويدخل فيه قول الجبائي اراد تسميتهم المسيح بأنه ابن الله وفي هذا دلالة على انه لا يجوز أن يسمى الله تعالى إلا بما سمي به نفسه (سيجزون ما كانوا يعملون) في الآخرة وقيل في الدنيا والآخرة (ومن خلقنا امة يهدون بالحق) اخبر سبحانه أن من جملة من خلقه جماعة وعصبة يدعون الناس الى توحيد الله تعالى والى دينه وهو الحق يرشدونهم اليه (وبه يعدلون) أي وبالحق يحكمون وروى ابن جريج عن النبي ﷺ انه قال هي لا امتي بالحق يأخذون وبالحق يعطون وقد اعطي القوم بين ايديكم مثلها (ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون) وقال الربيع بن انس قرأ النبي ﷺ هذه الآية فقال إن من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم وروى العياشي باسناده عن امير المؤمنين علي (ع) انه قال والذي نفسي بيده لتفترقن هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا فرقة واحدة ومن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون فهذه التي تنجو وروى عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) انهما قالان نحن هم

✽ النظم ✽

قبل في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها وجهان ✽ احدهما ✽ أنه لما بين في الآية المتقدمة حال قوم من الكفار يفعلون عن الحق بين في هذه الآية أن من جملة ما خلق من يهدي الى دينه بالحق ويحكم بالعدل والآخرة يتصل بقوله ذرنا فكانه قال خلقنا قوما صفتهم كذا وكذا وقوما صفتهم كذا قوله تعالى (١٨٢) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون (١٨٣) وَأَمْ لِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مُبِينٌ (١٨٤) أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا يَصَاحِبُهُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (١٨٥) أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكَوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونُوا قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (١٨٦) مَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يعمهون (خمس آيات)

✽ القراءة ✽

قرأ أهل العراق ويذرهم بالياء والجزم كوفي غير عاصم والباقون ونذرهم بالنون والرفع

✽ الحجة ✽

من قرأ بالنون فالتقدير وانا نذرهم ومن قرأ بالياء رده الى اسم الله تعالى أي وهو يذرهم ويكون

مقطوعاً عن الأول على الوجهين ولم يكن جواباً ومن جزمه فإنه عطفه على موضع الفاء وما بعده من قوله فلا هادي له ومثله في الحمل على الموضع قوله فأصدق واكن لأنه لو لم يلحق الفاء لقل لولا آخرتي اصدق لأن معنى لولا آخرتي آخرني اصدق ومثله قول الشاعر

أني سلكت فإني لك ناصح
وعلى انتقاصك في الحياة وازدد

وقول ابي داود

فأبلوني بليدتك لعلني
أصلحك واستدرج نوباً

حمل استدرج على موضع الفاء المحذوفة من قوله فاعلى اصلحك وموضعه جزم

✽ اللغة ✽

الاستدرج اصله من الدرجة وهو أن يؤخذ قليلاً قليلاً ولا يباغت كما يرتقي الراقي الدرجة فيتدرج شيئاً بعد شيء حتى يصل الى العلو وقيل اصله من الدرج الذي يطوى فكانه يطوي منزلة بعد منزلة كما يطوي الدرج ويقال درج القوم اذا مات بعضهم في اثر بعض والاملاء التأخير والامهال من المي يقال مضى عليه ملي من الدهر وملاوة من الدهر بضم الميم وفتحها وكسرها أي قطعة منه وأصل الاملاء الاستمرار على العمل من غير لبث من املت الكتاب ومنه الملاءة للفلاة ذات الحر والسراب لاستطالة المكث فيه والمتين القوي والشديد واصله من المتن وهو اللحم الغليظ الذي عن جانب الصلب وهما متنان والكيد والمكر واحد والجنة الجنون واصله الستر والملوكوت هو الملك الأعظم للمالك الذي ليس بمملوك

— المعنى —

لما ذكر سبحانه المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم الهادين بالحق ذكر بعده المكذبين بآياته فقال (والذين كذبوا بآياتنا) التي هي القرآن والمعجزات الدالة على صدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكفروا بها (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) الى الهلكة حتى يقعوا فيه بغتة كما قال سبحانه بل تأتيهم بغتة فتبهمهم فلا يستطيعون ردها وقال فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون وقيل يجوز ان يريد عذاب الآخرة اي نقرهم اليه درجة درجة الى ان يقعوا فيه وقيل هو من المدرجة وهي الطريق ودرج اذا مشى سرعاً اي سنأخذهم من حيث لا يعلمون اي طريق سلكوا فإن الطريق كلها علي ومرجع الجميع الي ولا يغلبني غالب ولا يسبغني سابق ولا يفوتني هارب وقيل انه من الدرج اي سنطويهم في الهلاك ونرفعهم عن وجه الأرض يقال طويت فلاناً وطويت أمر فلان اذا تركته وهجرته وقيل معناه كلما جدوا خطيئة جدنا لهم نعمة عن الضحك ولا يصح قول من قال ان معناه نستدرجهم الى الكفر والضلال لأن الآية وردت في الكفار وتضمنت انه يستدرجهم في المستقبل فإن السين تخصص المستقبل ولأنه جعل الاستدرج جزاءً على كفرهم وعقوبة فلا بد من ان يريد معنى آخر غير الكفر وقوله (وأمل لهم) معناه وامهلهم ولا اعجلهم بالعقوبة فإنهم لا يفوتوني ولا يفوتني عذابهم (إن كيدي متين) اي عذابي قوي منيع لا يمنع مانع ولا يدفعه دافع وسماه كيذا لتزوله بهم من حيث لا يشعرون وقيل اراد ان جزاء كيدهم متين والقول هو الأول (او لم يتفكروا ما يصاحبهم من جنة) معناه او لم يتفكروا هولاء الكفار المكذبون بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وبنوته في اقواله وافعاله ففعلوا انه صلى الله عليه وآله وسلم ليس بمجنون اذ ليس في اقواله وافعاله ما يدل على الجنون وتم الكلام عند قوله او لم يتفكروا ثم ابتدأ فقال

ما يصاحبهم من جنه اي ليس به جنون وذلك ان رسول الله ﷺ صعد الصفا وكان يدعو قريشا فخذوا
 فخذوا الى توحيد الله ويخوفهم عذاب الله فقال المشركون ان صاحبهم قد جن بات ليلا يصوت الى الصباح
 فأنزل الله هذه الآية عن الحسن وقتادة (ان هو الاذير مبين) اي ماهو الا معلم موضع المخافة ليتقى ولموضع
 الأمان ليحسبى ومعنى مبين بين امره وقبيل مبين لهم عن الله امره فيهم ثم قال (اولم ينظروا) معناه اولم
 يتفكروا (في ملكوت السماوات والأرض) وعجيب صنعها فينظروا فيها نظر المستدل المعتبر فيعتبروا بان لها
 خالقا مالكا ويستدلوا بذلك عليه (وما خلق الله من شيء) اي وينظروا فيما خلق الله من اصناف خلقه
 فيعملوا بذلك انه سبحانه خالق جميع الاجسام فان في كل شيء خلق الله عز وجل دلالة واضحة على اثباته
 وتوحيده (وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم) اي اولم يتفكروا وينظروا في ان عسى ان يكون قد قرب
 اجلهم وهو اجل موتهم فيدعوهم ذلك الى ان يحتاطوا لدينهم ولا أنفسهم مما يصيرون اليه بعد الموت من
 أمور الآخرة ويزهدوا في الدنيا وفيما يطلبونه من فخرها وشرفها وعزها ومعناه لعل اجلهم قريب وهم لا يعلمون
 (فبأي حديث بعده) اي بعد القرآن (يؤمنون) مع وضوح الدلالة على انه كلام الله المعجز اذ لم يقدر
 احد منهم ان يأتي بسورة مثله وساه حديثا لأنه محدث غير قديم (من يضل الله فلا هادي له) قد ذكرنا
 معناه (ونذرهم في طغيانهم يعمهون) معناه وتتركهم في ضلالتهم يتحيرون والعمه في القلب كالعمى في العين
 قوله تعالى (١٨٢) يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها
 إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل
 إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون آية

✽ اللغة ✽

ايان معناه متى وهو سؤال عن الزمان على وجه الظرف للفعل قال الشاعر

ايان تقضى حاجتي ايانا اما ترى لنججها ايانا

والساعة ههنا الساعة التي يموت فيها الخلق والارساء الاثبات ومرسها مثبتها ورسا الشيء يرسو فهو راس
 اذا ثبت وارساه غيره والحفي المستقصى في السؤال واحفى فلان بفلان في المسئلة اذا أكثر عليه وألح قال الاعشى

فان تسألني عني فيا رب سائل حفي عن الاعشى به حيث اصعدا

ومنه احفى شاربه اذا استقصى اخذه وحفيت الدابة تحفى حفى مقصور اذا كثر عليها ألم المشي والحفاء ممدود
 المشي بغير نعل

✽ الإعراب ✽

الكاف في يسألونك المفعول الأول وعن الساعة في موضع المفعول الثاني وايان مرساها يتعلق بمذلول
 السؤال والتقدير قائلين ايان مرساها . مرساها في موضع رفع بالابتداء وايان خبره وبغته مصدر في موضع
 الحال من الضمير في تأتيكم

✽ النزول ✽

قيل جاء قوم من اليهود فقالوا يا محمد اخبرنا عن الساعة متى هي ان كنت نبيا فنزلت الآية عن ابن

عباس وقيل قالت قريش يا محمد متى الساعة فنزلت الآية عن قتادة والحسن

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم الوعيد بالساعة سألوها عن وقتها فقال تعالى (يسألونك) يا محمد (عن الساعة) وهي الساعة التي يموت فيها الخلق عن الزجاج وقيل هي القيامة وهو وقت قيام الناس في الحشر عن أكثر المفسرين وقيل هو وقت فناء الخلق عن الجبائي (ايان مرساها) أي متى وقوعها وكونها عن الزجاج وقيل مرساها منتهاها عن ابن عباس وقيل قيامها عن قتادة والسدي (قل) يا محمد (إنما علمها عند ربي) أي إنما علم وقت قيامها وبقيتها عند الله تعالى لم يطلع عليه احد من خلقه وإنما لم يخبر سبحانه بوقتها ليكون العباد على حذر منه فيكون ذلك ادعى لهم الى الطاعة وازجر عن المعصية (لا يجليها لوقتها إلا هو) أي لا يظهرها ولا يكشف عن علمها ولا يبين وقتها إلا هو فلا يعلم احد سواه متى يكون قبل وقتها وقيل معناه لا يأتي بها إلا هو عن مجاهد (ثقلت في السماوات والأرض) ذكر فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ ثقل علمها على أهل السماوات والأرض لأن من خفي عليه علم شيء كان ثقيلا عليه عن السدي وغيره قال ابو علي الفارسي أصل هذا قولهم احطت به علما أي ذل لي فصرت لعلمي به غالبا عليه فخف علي ولم يتقل كما يتقل ما لا تعلمه عليك ﴿ وثانيها ﴾ ان معناه عظمت على أهل السماوات والأرض صفتها لما يكون فيها من انثار النجوم وتكوير الشمس وتسيير الجبال وغير ذلك عن الحسن وابن جريج ﴿ وثالثها ﴾ ثقل وقوعها على أهل السماوات والأرض لعظمتها وشدتها ولما فيها من المحاسبة والمجازاة عن الجبائي وابي مسلم وجاعة ﴿ ورابعها ﴾ أن المراد نفس السماوات والأرض أي لا تطيق السماوات والأرض حملها لعظمتها وشدتها عن قتادة والمعنى انها لو كانت اجزاء لثقل عليها تلك الأحوال من انفطار السماوات وانكدار النجوم وتسيير الجبال وغيرها (لا تأتاكم الا بغتة) أي فجأة لتكون اعظم واهول (يسألونك كأنك حفي عنها) معناه يسألونك عنها كأنك حفي بها أي عالم بها قد اكثرت المسألة عنها عن مجاهد والضحاك واصله من احفيت في السؤال عن الشيء حتى علمته أي استقصيت فيه وروي عن ابن عباس انه قرأ كأنك حفي بها فعلى هذا يكون الجار والمجرور الذي هو عنها محذوفا للدلالة الحال عليها كما يكون في التقدير الأول يكون الجار والمجرور الذي هو بها محذوفا للدلالة عليها ايضا الا ترى انه اذا كان حفيا بها فلا بد أن يسأل عنها كما انه اذا سأل عنها فليس ذلك إلا الحفاوة بها وقيل فيه معنى آخر وهو أن يكون تقديره يسألونك عنها كأنك حفي بهم أي بار بهم فرح بسؤالهم والحفاوة في المسألة هي البشاشة بالسؤال عنه وقيل معناه كأنك معني بالسؤال عنها فسألت عنها حتى علمتها وعلى هذا فإن السؤال يوصل بعن فلأوضع قوله حفي موضع السؤال وصله بعن وتقديره كأنك حفي بالمسألة عنها أو تسأل عنها فتعلمها (قل) يا محمد (إنما علمها عند الله) لا يعلمها إلا هو وإنما اعاد سبحانه هذا القول لأنه وصله بقوله (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وقيل اراد بالأول علم وقت قيامها وبالتالي علم كيفيتها وهيأتها وتفصيل ما فيها عن الجبائي قل وهذا يدل على بطلان قول الرافضة أن الأئمة منصوص عليهم باعيانهم إمام بعد إمام الى يوم القيامة لأنه لو كان كذلك لوجب أن يعلم آخر الأئمة أن القيامة تقوم بعده وذلك خلاف قوله قل إنما علمها عند الله وهذا ضعيف لأنه غير ممتنع أن يعلم آخر الأئمة انه لا إمام بعده وإن لم يعلم وقت قيام الساعة لأنه لا يعلم وقت وفاته بعينه هذا إذا قيل إن

الساعة وقت فناء الخلق او موتهم واذا قيل ان الساعة عبارة عن وقت الحشر فقد زالت الشبهة لانه اذا علم انه يعني الخلق بعده لا يجب ان يعلم متى يحشر الخلق على انه قد وردت الرواية ان التكليف يزول عند موت آخر الأئمة لظهور اشراط الساعة وامارات قيامها نحو طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وغير ذلك ومع هذا فيجوز ان لا يعلم وقت قيام الساعة

قوله تعالى (١٨٨) قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ آية

✽ النزول ✽

قيل ان أهل مكة قالوا يا محمد ألا يخبرك ربك بالسمر الرخيص قبل ان يغلو فتشتره فتربع فيه وبالارض التي تريد ان تجذب فترحل منها الى ارض قد اخصبت فانزل الله هذه الآية

﴿ المعنى ﴾

(قل) يا محمد (لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله) ان يملك اياه فاملكه بتعليكه اياي (ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير) وهاهنا محذوف آخر وهو قوله ولا اعلم الغيب الا ما شاء الله ان يعلمنيه ولو كنت اعلم الغيب لادخرت من السنة المخصبة للسنة المجذبة ولا شترت وقت الرخص لايام الغلاء وقيل معناه لاستكثرت من الاعمال الصالحة قبل اقتراب الاجل ولم اشتغل بغيرها ولا اخترت الافضل فالأفضل عن مجاهد وابن جريج وقيل معناه لو كنت اعلم ما اسأل عنه من الغيب لاستكثرت من الخير أي لا اجبت في كل ما اسأل عنه من الغيب في امر الساعة وغيره عن الزجاج (وما مسني السوء) أي وما اصابني الضر والفقر وقيل معناه وما بي جنون كما تزعمون فيكون ابتداء وقيل معناه وما مسني التكذيب منكم لاني اذا كنت عالما بكل شي اجبت عن كل ما اسأل عنه فتصدقوني ولا تكذبوني وقيل معناه وما مسني سوء من جهة الاعداء لاني كنت اعلم ذلك فاتحرز منه (ان انا الا نذير) مخوف بالعذاب (وبشير) مبشر بالثواب (لقوم يؤمنون) خصهم بالذكر لانهم المستفعمون بذلك كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وان كان ينذر غيرهم ايضا وفي قوله الا ما شاء الله دلالة على فساد مذهب المجبرة لان الافعال كلها لو كانت مخلوقة لله لما صح الاستثناء منها لان احد لا يملك عندهم شيئا وفي قوله لو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير دلالة على ان القدرة قبل الفعل لانها لو كانت مع الفعل لما امكنه الاستكثار من الخير اذا علم الغيب

✽ النظم ✽

وجه اتصال الآية بما قبلها انه لما تقدم اجابة القوم بأنه لا يعلم الغيب عقبه بأن علم الغيب يختص به المالك للنفع والضر وهو الله سبحانه عن ابي مسلم وقيل ان الآية في معنى جواب سوءهم ايضا فكأنه قال اذا انا لا املك ان اسوق الى نفسي نفعا ولا ان ادفع عنها ضرا فكيف اعلم الغيب

قوله تعالى (١٨٩) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلًا خَفِيًّا فَهَمَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبُّهُمَا لِيُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْ سَمَوَاتِهِ لِيَكُونُنَا

مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٩٠) فَلَمَّا أَتَاهُمَا صَالِحًا جَمَلًا لَهُ شُرَكَاءُ فِيمَا أَنَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ
 (١٩١) أَيْشُرُ كُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩٢) وَلَا يَسْتَضِيْعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ
 يَنْصُرُونَ (١٩٣) وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُواكُمْ سِوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ
 أَنْتُمْ صَامِتُونَ خمس آيات

❖ القراءة ❖

قرأ أهل المدينة وأبو بكر شركا بكسر الشين والتنوين على المصدر لا على الجمع وهو قراءة الأعراف وعكرمة
 والباقون شركاء بضم الشين والمد على الجمع وروي في الشواذ قراءة يحيى بن يعمر فمرت به خفيفة وقرأ
 نافع لا يتبعوكم وفي الشعراء يتبعهم بالتخفيف والباقون يتبعوكم بالتشديد

❖ الحجة ❖

من قرأ شركا فإنه حذف المضاف وتقديره جماله ذا شرك او ذوي شرك فالقراءتان على هذا بولان إلى
 معنى واحداً فإن معنى جماله شركاء جماله ذوي شرك والضمير في له يعود إلى اسم الله ومن قرأ فمرت
 به خفيفة فإنه ينبغي أن يكون أصله التشديد كقراءة الجماعة إلا أنه حذفه تخفيفاً لثقل التضخيم قالوا مست
 يده أي مستستها وقال أبو زيد

خلا ان العتاق من المطايا احسن به فهن اليه شوس

أي احسن به وقيل أنه من المربة أي شكت احملت أم لا وعن الحسن شكت اغلام أم جارية وروي
 أن عبد الله بن عمر قرأ فارت به وهو من قولهم ماريمور إذا ذهب وجاء وقرأ ابن عباس فاستمرت به
 ومعناه مرت به مكلفة نفسها ذلك لأن استعمل يأتي في أكثر الأمر بمعنى الطلب ومن قرأ لا يتبعوكم فإنه
 في المعنى مثل القراءة الأخرى قال أبو زيد رأيت القوم فاتبعتهم اتباعاً أي ذهبت معهم واتبعتهم اتباعاً
 إذا سبقوك فأسرعت نحوهم وتبعتمهم مثل اتبعتمهم في المعنى اتبعهم تبعاً

❖ المعنى ❖

لما تقدم ذكر الله تعالى ذكر عقيقه ما يدل على وحدانيته فقال (هو الذي خلقكم) والخطاب لبني آدم
 (من نفس واحدة) يعني آدم (ع) (وجعل) أي وخلق منها (زوجها) يعني حواء (ليسكن) آدم (إليها) ويأنس بها (فلما
 تعشياً) أي فلما أصابها كما يصيب الرجل زوجته يعني وطأها وجامعها (حملت حملاً خفيفاً) وهو الماء الذي
 حصل في رحمها وكان خفيفاً (فمرت به) أي استمرت بالحمل على الخفة تقوم وتعدو تجيء وتذهب كما كانت
 من قبل لم يمنعها ذلك الحمل عن شيء من التصرف (فلما أثقلت) أي صارت ذات ثقل كما يقال أثمرت الشجرة
 صارت ذات ثمر وقيل معناه دخلت في الثقل كما يقال أصاف دخل في الصيف واشتت دخل في الشتاء
 والمعنى لما كبر الحمل في بطنها وتحرك وصارت ثقيلة به (دعوا الله ربها) يعني آدم وحواء سألا الله تعالى
 عند كبر الولد في بطنها (لئن أتبتنا صالحاً) أي اعطيننا ولدنا صالحاً عن أبي مسلم وقيل نسلاً صالحاً أي معافى
 سليماً صحيح الخلق عن الجبائي وقيل بشراً سوياً عن ابن عباس وقيل غلاماً ذكرراً عن الحسن (لنكونن من
 الشاكرين) لنعمتكم علينا قال الجبائي وإنما قالوا ذلك لأنها أرادت أن يكون لهما أولاد يونسونها في الموضوع

الذي كانا فيه لأنهما كانا فردين مستوحشين وكان اذا غاب احدهما عن الآخر بقي الآخر مستوحشا بلاموئس ويحتمل ايضا ان يكون اراد بقوله صالحا مطيعا فاعلا للخير مصاحبا غير مفسد (فلما آتاها) الله (صالحا) كما التمساه (جملا له شركاء فيما آتاها) اختلف في من يرجع الضمير الذي في جملا اليه على وجوه * احدها * انه يرجع الى النسل الصالح اي المعاني في الخلق والبدن لا في الدين وإنما ثنى لأن حواء كانت تلد في كل بطن ذكرا وانثى يعني ان هذا النسل الذين هم ذكروا وانثى جملا له شركاء فيما اعطاهما من النعمة فأضافتلك النعم الى الذين اتخذوهم آلهة مع الله تعالى من الاصنام والأوثان عن الجبائي (- وثانها) - انه يرجع الى النفس وزوجها من ولد آدم لا الى آدم وحواء عن الحسن وقتادة وهو قول الاصم قال ويكون المعنى في قوله خلقكم من نفس واحدة خلق كل واحد منكم من نفس واحدة ولكل نفس زوج هو منها اي من جنسها كما قال سبحانه ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها فلما تنشى كل نفس زوجها حملت حملا خفيفا وهو ماء الفحل فلما اثقت بصير ذلك الماء لحما ودما وعظما دعا الرجل والمرأة ربها لئن آتيتنا صالحا اي ذكرا سويا لنكونن من الشاكرين وكانت عادتهم ان يثدوا البنات فلما آتاها يعني الأب والأم صالحا جملا له شركاء فيما آتاها لأنهم كانوا يسمون عبد العزى وعبد اللات وعبد منات ثم رجعت الكناية الى جميعهم في قوله (فتعالى الله عما يشركون) فالكنائية في جميع ذلك غير متعلقة بآدم وحواء ولو كانت متعلقة بها لقال عما يشركان وقال ابو مسلم تقدير الآية هو الذي خلقكم والخطاب لجميع الخلق من نفس واحدة يعني آدم وجعل من ذلك النفس زوجها وهي حواء ثم انقضى حديث آدم وحواء وخص بالذكر المشركين من اولاد آدم الذين سألوا ما سألوا وجماعوا له شركاء فيما آتاهم قال ويجوز ان يذكر العموم ثم يخص البعض بالذكر ومثله كثير في الكلام قال تعالى هو الذي يسبركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجربن بهم بريح طيبة فخاطب الجماعة بالتسيير ثم خص راكب البحر بالذكر وكذلك هذه الآية اخبرت عن جملة البشر بأنهم مخلوقون من آدم وحواء ثم عاد الذكر الى الذي سأل الله تعالى ما سأل فلما اعطاه اياه ادعى له شركاء في عطيته قال وجائز ان يكون عنى بقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة المشركين خصوصا اذا كان كل واحد من بني آدم مخلوقا من نفس واحدة وزوجها وذكروا قريبا من قول الاصم قال وقد يجي مثله في التنزيل وغيره قال سبحانه والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم والمعنى فاجلدوا كل واحد منهم * وثالثها * ان الضمير يرجع الى آدم وحواء عليهما السلام ويكون التقدير في قوله جملا له شركاء جعل اولادها له شركاء فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فصار جملا وهذا مثل قوله سبحانه اتخذتم العجل واذا قتلتم نفسا والتقدير واذا قتل اسلافكم نفسا واتخذ اسلافكم العجل فحذف المضاف وعلى هذا الوجه تكون الكناية من أول الكلام الى آخره راجعة الى آدم وحواء ويقويه قوله سبحانه فتعالى الله عما يشركون * ورابعها * ما روت العامة انه يرجع الى آدم وحواء وانها جملا لله شريكا في التسمية وذلك انها أقاما زمانا لا يولد لها فمر بها ابليس ولم يعرفه فشكوا اليه فقال لها ان اصلحت حالكما حتى يولد لكما ولد أتسميانه باسمي قال نعم وما اسمك قال الحارث فولد لها فسمياه عبد الحارث ذكره ابن فضال وقيل ان حواء حملت أول ما حملت فأتاها ابليس في غير صورته فقال لها يا حواء ما هو منك ان تكون في بطنك بهيمة فقالت لا دم لقد أتاني آت فأخبرني ان الذي في بطني بهيمة واوئي لا أجده ثقلا فلم

يزال في هم من ذلك ثم أتاه فقال ان سألت الله ان يجعله خلقا سويا مثلك ويسهل عليك خروجه أتسميه عبد الحرث ولم يزل بها حتى غرها فسمته عبد الحرث برضاء آدم وكان اسم ابليس عند الملائكة الحارث وهذا الوجه بعيد تأباه العقول وتنكره فإن البراهين الساطعة التي لا يصح فيها الاحتمال ولا ينطرق اليها المجاز والاتساع قد دلت على عصمة الأنبياء عليهم السلام فلا يجوز عليهم الشرك والمعاصي وطاعة الشيطان فلو لم نعلم تأويل الآية لعلمنا على الجملة ان لها وجها يطابق دلالة العقل فكيف وقد ذكرنا الوجه الصحيحة الواضحة في ذلك على ان الرواية الواردة في ذلك قد طمن العلماء في سندها بما هو مذکور في مواضعه ولا نحتاج الى اثباته فإن الآية تقتضي انهم اشركوا الاصنام التي تخلق ولا تخلق لقوله ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون وفي خبرهم انها اشركا ابليس العين فيما ولد لها بأن سموه عبد الحرث وليس في ظاهر الآية لابليس ذكر وحكى البلخي عن جماعة من العلماء انهم قالوا لو صح الخبر لم يكن في ذلك الا اشراكا في التسمية وليس ذلك بكفر ولا معصية واختاره الطبري وروى العياشي في تفسيره عنهم (ع) انه كان شركها شرك طاعة ولم يكن شرك عبادة وقوله (ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون) توبخ وتعنيف للمشركين بأنهم يعبدون مع الله تعالى جمادا لا يخلق شيئا من الاجسام ولا ما يستحق به العبادة وهم مع ذلك مخلوقون محدثون ولهم خالق خلقهم وان خرج الكلام مخرج الاستفهام ولغظة ما اتنا تستعمل فيما لا يعقل فدل ذلك على ان المراد بقوله جعلاله شركا انهم اشركوا الاصنام مع الله تعالى لا ما ذكره من اشراك ابليس وانما قال وهم يخلقون على لفظ العقلاء كما يكتفي عن العقلاء كقوله والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين (ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون) اي ويشركون به ويعبدون من لا يستطيع نصر عبديه ولا نصر نفسه بأن يدفع عن نفسه من اراد به الضر ومن هذه صورته فهو في غاية العجز فكيف يكون إلهها معبودا (وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم) قيل معناه وان دعوتهم الاصنام التي عبدوها الى الهدى فلا تقبل الهدى عن ابي علي الجبائي بين بذلك ضعف امرها بأنها لا تهدي غيرها ولا تهدي بانفسها وان دعيت الى الهدى وقيل معناه ان دعوتهم المشركين الذين اصروا على الكفر الى دين الحق لم يؤمنوا وهو نظير قوله سواء عليهم أنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون عن الحسن (سواء عليكم ادعوتهم ام انتم صامتون) اي سواء عليكم دعوتهم والسكوت عنهم وانما قال ام انتم صامتون ولم يقل ام صمتتم فيكون في مقابلة ادعوتهم ليفيد الماضي والحال فإن المقابلة كانت تدل على الماضي فحسب وصورة اللفظ تدل على معنى الحال ومثله قول الشاعر

سواء عليك الفقر ام بت ليلة بأهل القباب من نير بن عامر

قوله تعالى (١٩٤) إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٩٥) اللَّهُمَّ أَرْجُلُ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر وحده يبطشون ههنا وفي القصص والدخان بضم الطاء والباقون بكسرها وقرأ هشام ويعقوب كيدوني بياء في الوقف والوصل ووافقها ابو جعفر وابو عمرو واسماعيل في الوصل والباقون بغير ياء في الخالين وقرأ تنظروني بالياء في الخالين يعقوب

﴿ الحجية ﴾

بطش يبطش ويبطش والكسر افصح وقال ابو علي الفواصل من الكلام التام تجري القوافي لاجتماعها في ان الفاصلة آخر الآية كما ان القافية آخر البيت وقد الزموا في القوافي حذف هذه اليات قال الاعشى
فهل يمنعي ارتياد البلاد من حذر الموت ان يأتين
والياء التي هي لام كذلك نحو قوله
يلمس الأحلاس في منزله بيديه كاليهودي المصل
ومن اثبت فلان الأصل الإثبات

﴿ المعنى ﴾

ثم اتم سبحانه الحجية على المشركين بقوله (ان الذين تدعون من دون الله) يعني الاصنام يريد تدعونهم آلهة (عباد امثالكم) اي مخلوقة امثالكم عن الحسن وقيل ملأوا كون امثالكم عن الكلبي وقيل امثالكم في التسخير اي انهم مسخرون مذللون لأمر الله عن الاخفش ولما كانت الاصنام غير متمتع مما يريد الله بها كانت في معنى العباد فلان التعبد التذليل وطريق معبد موطوء مسلك ومنه قوله وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بني اسرائيل اي ذلتهم واستخدمتهم ضروبا من الخدمة (فادعهم) هذا الدعاء ليس الدعاء الأول والمراد به فادعهم في مهماتكم وكشف الاسواء عنكم (فليستجيبوا لكم) هذه لام الامر على معنى التعميز والتعجيز كما قال عاتوا يرهانكم (ان كنتم صادقين) قال ابن عباس معناه فاعبدوهم هل يثيبونكم او يجازونكم ان كنتم صادقين ان لكم عندها منفعة وثوابا او شفاعاة ونصرة ثم فضل سبحانه بني آدم عليهم فقال (الهم ارجل يشون بها) اي اهل الاصل ارجل يشون بها في مصالحكم (ام لهم أيد يبطشون بها) اي يأخذون بها في الدفع عنكم ومعنى البطش التناول والأخذ بشدة (ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها) اي ليس لهم هذه الخواس ولكم هذه الخواس فأنتم افضل منهم فلما دعوتهم وعبدتهم من له الحياة ومنافعها لازمكم الذم واللوم بذلك لأنها مخلوقة مربية فكيف تعبدون من أنتم افضل منه ثم زاد سبحانه في تهجينهم فقال (قل) يا محمد ادعوا شركاكم اي هذه الاوثان التي تزعمون انها آلهة وتشركونها في اموالكم وتجعلون لها حظا من المراسي وغيرها وتوجهون عبادتكم اليها اشرا كما بالله لها (ثم كيدوني) بأجمعكم (ولا تنظروني) اي لا تؤخروني ومعناه ان معبودي ينصرتي ويدفع كيد الكائدين عني ومعبودكم لا يقدر على نصركم فلون قدرتم على ضرفاجتمعوا انتم مع اصنامكم وتظاهروا على كيدي ولا تهلوني في الكيد والاضرار فلون معبودي يدفع كيدكم عني

قوله تعالى (١٩٦) **إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (١٩٧) وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (١٩٨) وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ** ثلاث آيات

- المعنى -

ثم بين سبحانه بعد ان ناصر نبيه ^{صلى الله عليه وآله وسلم} وحافظه فأمره ان يقول للمشركين (ان وليي) اي ناصري وحافظي ودافع شرهم عني (الله الذي نزل الكتاب) اي القرآن يوئيدني بنصره كما اتزله علي (وهو يتولى الصالحين) اي ينصر المطيعين له المجتنبين معاصيه تارة بالدفع عنهم وأخرى بالحجة (والذين تدعون من دونه آلهة لا يستطيعون نصركم) اي لا يقدرون على ان ينصروكم ولا ان يدفعوا عنكم (ولا انفسهم ينصرون) كرر هذا لأن ما تقدم فإنه على وجه التقرير والتوبيخ وما ذكره هنا فإنه على وجه الفرق بين صفة من يجوز له العبادة وصفة من لا يجوز له العبادة فكانه قال ان من اعبده ينصرتي ومن تعبدونه لا يقدر على نصركم ولا على نصر نفسه (وان تدعوهم) يعني ان دعوتهم هؤلاء الذين تعبدونهم من الاصنام (الى الهدى) اي إلى الرشد والمنافع عن الجبائي والفراء وقيل معناه وان دعوتهم المشركين الى الدين عن الحسن (لا يسمعوا) اي لا يسمعوا دعاءكم (وتراهم) فاتحة اعينهم نحوكم على ما صورتهم عليه من الصور وقال الجبائي جعل الله انفتاح عيونهم في مقابلتهم نظرا منهم اليهم مجازا لأن النظر تقلب الحدقة الصحيحة نحو المرء طلبا لرويته وذلك لا يتأتى في الجماد ويقال تناظر الخاططان اذا تقابلا وقيل معناه لا يقبلوا ومنه سمع الله لمن حمده (وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون) الحجة يعني مشركي العرب عن الحسن ومجاهد والسدي

قوله تعالى (١٩٩) خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین (٢٠٠) وإما ينزغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (آيات)

* اللغة *

قد مر ما قيل في العفو عند قوله قل العفو في سورة البقرة والعرف ضد النكر ومثله المعروف والعارفة وهو كل خصلة حميدة تعرف صوابها العقول وتطمئن اليها النفوس قال الشاعر «لا يذهب العرف بين الله والناس» والتزغ الإزعاج بالأغراء وأكثر ما يكون ذلك عند الغضب وأصله الإزعاج بالحرارة تزغه يترغسه تزغاً وقيل التزغ الفساد ومنه تزغ الشيطان بيني وبين اخوتي اي افسد قال الزجاج التزغ ادنى حركة تكون ومن الشيطان ادنى وسوسة

* المعنى *

لما أمر الله سبحانه نبيه (ص) بالدعاء اليه وتبليغ رسالته علمه بحاسن الافعال ومكارم الأخلاق والحاصل فقال (خذ العفو) اي خذ يا محمد ما عفان اموال الناس اي ما فضل من النفقة وكان رسول الله (ص) يأخذ الفضل من اموالهم ليس فيها شيء موقت ثم نزلت آية الزكاة فصار منسوخا بها فإذن هذه السورة مكية عن ابن عباس والسدي والضحاك وقيل معناه خذ العفو من اخلاق الناس واقبل الميسور منها عن مجاهد والحسن ومعناه انه أمره بالتساهل وترك الاستقصاء في القضاء والاعتضاء وهذا يكون في الحقوق الواجبة لله وللناس وفي غيرها وهو في معنى الخبر المرفوع أحب الله عبدا سمعوا بأمره ومشترى قاضيا ومقتضيا وقيل هو العفو في قبول العذر من المعتذر وترك المواخذة بالإساءة وروي انه لما نزلت هذه الآية سأل رسول الله ^{صلى الله عليه وآله وسلم} جبرائيل عن ذلك فقال لا ادري حتى اسأل العالم ثم أتاه فقال يا محمد ان الله يأمرك ان تعفو عن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك (وامر بالعرف) يعني بالمعروف وهو كل ما حسن في العقل فعله او في الشرع ولم يكن منكرا ولا قبيحا عند العقلاء وقيل بكل خصلة حميدة (واعرض عن الجاهلین) معناه واعرض عنهم عند قيام الحجة عليهم والاياس من قبولهم ولا تقابلهم بالسفاهة صيانة لقدرك فإذن مجاورة السفيه تضع عن القدر ولا يقال هذه الآية منسوخة بآية القتال لأنها عامة خص عنها الكافر الذي يجب قتله بدليل قال ابن زيد لما نزلت هذه الآية قال النبي ^{صلى الله عليه وآله وسلم} كيف يا رب والغضب فنزل

قوله (واما ينزغتك من الشيطان نزع) ومعناه يا محمد ان نالك من الشيطان وسوسة ونخسة في القلب بما يسول للانسان معناه ان عرض لك من الشيطان عارض عن ابن عباس وقيل معناه وان منعك الشيطان عن شي مما امرتك من هذه الاشياء (فاستعذ بالله) اي سل الله عز اسمه ان يعيدك منه (انه سميع) للمسموعات (عليم) بالخصيات وقيل سميع لدعائك عليهم بما عرض لك وقيل ان النزغ اول الوسوسة والمس لا يكون الا بعد التمكن وذلك فصل الله سبحانه بين النبي صلى الله عليه وسلم وغيره فقال للنبي صلى الله عليه وسلم والله اعلم واما ينزغتك وقال للناس اذا مسهم طائف من الشيطان

قوله تعالى (٢٠١) **اِنَّ الَّذِيْنَ اتَّقَوْا اِذَا مَسَّهُمْ طَآئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوْا فَاِذَا هُمْ مُبْصِرُوْنَ** (٢٠٢) **وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوْنَهُمْ فِي الْعِيقِ ثُمَّ لَا يَقْصِرُوْنَ** (٢٠٣) **وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بَآيَةٌ قَالُوا لَوْلَا أُنزِلَتْ عَلَيْهَا قُلُوبٌ إِنَّمَا اتَّبَعُ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَآئِرٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُوْنَ** ثلاث آيات

✽ القراءة ✽

قرأ اهل البصرة وابن كثير والكسائي طيف بغير الف وهو قراءة النخعي والاسود بن زيد وقرأ الباقون طائف بالالف وقرأ اهل المدينة يمدونهم بضم الياء وكسر الميم والباقون بفتح الياء. وضم الميم وفي الشواذ عن الجعدي يمدونهم وعن عيسى بن عمر يقصرون بفتح الياء. وضم الصاد

— الحجة —

الطيف مصدر طاف الخيال يطيف طيفا اذا ألم به في المنام فمعناه اذا مسهم خطرة من الشيطان ويكون الطائف بمعناه فطيف كاخطرة وطائف كاخاطر والطيف اكثر قال

ألا يا القومي لطيف الخيال ل أرق من نازح ذي دلال
وقال الاعشى

ويصبح عن غيب السرى وكأنا ألم بها من طائف الجن اولق

وقال ابو علي عامة ما جاء في التنزيل فيما يحمد ويستحب امددت على افعلت كقوله إننا نغدهم به من مال وبينين وامددناهم بفأكهة واقدوني بمال وما كان بخلافه على مددت قال ونمدهم في طغيانهم فهذا يدل على ان الوجه فتح الياء كما ذهب اليه الاكثر والوجه في قراءة من قرأ يمدونهم انه مثل فبشرهم بعذاب أليم فسندسره للعسرى والله اعلم ويادونهم يفاعلونهم منه اي يعاونونهم وقصر يقصر لغة في اقصر يقصر ويقال اقصر عنه اذا تركه عن قدرة وقصر عنه اذا ضعف عنه

✽ اللفظة ✽

المسوس الذي به مس جن والمسوس من المياه ما نالته الأيدي والاجتباء افتعال من الجباية ونظيره الاصطفاة وهو استخلاص الشئ للنفس قال علي بن عيسى اصله الاستخراج ومنسه الجباية الخراج وقيل اصله الجمع من جبيت الماء في الحوض والحوض جابية لجمعها الماء قال الفراء اجتبيت الكلام واختلقته وارتجلمته اذا افتعلته من قبل نفسك قال ابو عبيدة واخترعته مثل ذلك قال ابو زيد هذه الحروف تقولها العرب للكلام يبتدوه الرجل لم يكن أعده قبل ذلك في نفسه والبصائر البراهين والحجج جمع بصيرة والبصائر ايضا طرائق الدم قال الاشعر الجعفي

راحوا بصائرهم على اكتافهم وبصيرتي يعدوها عتدي وأي

او بالبصرة الترس وجمعها بصائر قال الزجاج وجميع هذا معناه ظهور الشيء وتبينه

✽ الاعراب ✽

اذا الاولى ظرف زمان ويكون لها جواب بمنزلة الجزاء واذا الثانية ظرف مكان بمعنى المفاجأة
كقولك خرجت فإذا زيد

✽ المعنى ✽

ثم ذكر سبحانه طريقة المتقين اذا عرضت لهم وساوس الشياطين فقال (ان الذين اتقوا) الله
باجتناب معاصيه (اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا) قيل معناه اذا وسوس اليهم الشيطان واغراهم
بمعصيته تذكروا ما عليهم من العقاب بذلك فيجتنبونه ويتركونه وهو معنى قول ابن عباس
والسدي وقال الحسن يعني اذا طاف عليهم الشيطان بوساوسه وقال سعيد بن جبير هو الرجل الذي يفض الغضبة
فيتذكر فيكظم غيظه وبه قال مجاهد وروي عنه ايضا انه قال هو الرجل بهم بالذنب فيذكر الله فيتركه وقيل
طائف غضب وطيف جنون وقيل معانها واحد (فلو اذاهم مبصرون) للارشاد (واخوانهم يمدونهم في الغي) معناه
واخوان المشركين من شياطين الجن والانس يمدونهم في الضلال والمعاصي اي يزيدونهم فيه ويزينون لهم ما هم
فيه (ثم لا يقصرون) ثم لا يكفون يعني الشيطان عن استغوائهم ولا يرحمهم عن مجاهد وقتادة وقيل معناه
واخوان الشياطين من الكفار يمدهم الشياطين في الغي ثم لا يقصرون مع ذلك كما يقصر الذين اتقوا عن ابن
عباس والسدي والحائمي وقيل معناه ثم لا يقصر الشياطين عن اعوانهم ولا يقصرونهم عن ارتكاب الفواحش
(وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبتهم) معناه انك يا محمد اذا جئتهم بآية كذبوا بها واذا ابطأت عنهم يقرحونها
ويقولون هل جئنا به من قبل نفسك فليس كل ما تقره وحي من السماء عن قتادة ومجاهد والزجاج وقيل معناه
اذا لم تأتهم بآية مقترحة قالوا هلا اخترتها من قبل نفسك فتسأل ربك ان يأتيك بها عن ابن عباس والحائمي واي
مسلم (قل) يا محمد اهل (انما اتبع ما يوحى الي من ربي) اي لست آتي بالايات من عندي ولنا يفعلها الله تعالى
ويظهرها على حسب ما يعلم من المصلحة في ذلك لا بحسب اقتراح الخلق وانما أتبع الرحي ولا اتعداه وليس لي
ان اسأله انزال الآيات إلا بعد اذنه في السؤال (هذا بصائر من ربكم) هذا القرآن دلائل ظاهرة ووجه
واضحة وبراهين ساطعة من ربكم يبصر الانسان بها امور دينه (يهدي ورحمة) اي ودلالة تهدي الى الرشاد
ونعمة في الدين والدنيا (لقوم يؤمنون) خص المؤمنين بالذكر لانهم المنتفعون بها دون غيرهم من الكفار وفي هذه
الآية دلالة على ان افعال النبي ﷺ واقواله تابعة للوحي وانه لا يجوز ان يعمل بالرأي والقياس

= النظم =

قيل ان هذه الآية اتصت بقوله يسألونك عن الساعة وتقديره ويسألونك عن الآيات فلماذا لم تأتهم بها قالوا
لولا اجتبتها عن ابي مسلم وقيل اتصت بما قبلها من قوله واخوانهم يمدونهم ومعناه يقولون في الضلالة وإذا لم
تأتهم بآية يسألون عنها فقالوا كذا

قوله تعالى (٢٠٤) وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٥) وَأَذْكُرُ
رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ
الْغَافِلِينَ (٢٠٦) إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسَبِّحُونَهُ وَلَهُ
يَسْجُدُونَ ثلاث آيات

❖ اللغة ❖

الإنصات السكوت مع استماع قال ابن الاعرابي نصت وانصت وانتصت استمع الحديث وسكت وانصته وانصت له وانصت الرجل سكت وانصته غيره عن الازهري والأصل جمع اصل واصل جمع اصيل فالأصل جمع الجمع وتصغيره اصيلال على ابدال النون ومعناه العشيات وهو ما بين العصر الى غروب الشمس

❖ الاعراب ❖

تضرعا وخيفة مصدران وضعا موضع الحال اي متضرعين وخائفين ودون الجهر عطف عليه فيجب ان يكون في موضع الحال أي وغير رافعين اصواتكم حتى يبلغ حد الجهر

— المعنى —

ثم أمر سبحانه بالاستماع للقرآن عند قراءته فقال (و إذا قرى القرآن فاستمعوا له وانصتوا) اختلف في الوقت المأمور بالإنصات للقرآن والاستماع له فقيل إنه في الصلاة خاصة خلف الإمام الذي يؤتم به اذا سمعت قراءته عن ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب ومجاهد والزهري وروي ذلك عن ابي جعفر (ع) قالوا وكان المسلمون يتكلمون في صلاتهم ويسلم بعضهم على بعض و اذا دخل داخل فقال لهم كم صليتم اجابوه فنهوا عن ذلك ولهم والاستماع وقيل انه في الخطبة أمروا بالإنصات والاستماع الى الإمام يوم الجمعة عن عطاء وعمرو بن دينار وزيد بن اسلم وقيل انه في الخطبة والصلاة جميعا عن الحسن وجماعة قال الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه واقوى الاقوال الأول لأنه لا حال يجب فيها الإنصات لقراءة القرآن إلا حالة قراءة الإمام في الصلاة فإن على المأموم الإنصات والاستماع فأما خارج الصلاة فلا خلاف ان الإنصات والاستماع غير واجب وروي عن ابي عبد الله (ع) انه قال يجب الإنصات للقرآن في الصلاة وغيرها قال وذلك على وجه الاستجاب وفي كتاب العياشي باسناده عن ابي كهسب عن ابي عبد الله (ع) قال قرأ ابن الكوا خلف أمير المؤمنين (ع) لئن اشرت لي بجنابن عمك ولتكونن من الخاسرين فأنصت له أمير المؤمنين (ع) وعن عبد الله بن يعقوب عن ابي عبد الله (ع) قال قلت له الرجل يقرأ القرآن أيجب على من سمعه الإنصات له والاستماع قال نعم إذا قرى عندك القرآن وجب عليك الإنصات والاستماع قال الزجاج ويجوز ان يكون فاستمعوا له وانصتوا اي اعملوا بما فيه ولا تجاوزوا لأن معنى قول القائل سمع الله دعائك أجاب الله دعائك لأن الله سميع عليهم وقال الجبائي انها نزلت في ابتداء التبليغ ليعلموا او يتفهموا وقال احمد بن حنبل اجمعت الأمة على انها نزلت في الصلاة (لعلمكم ترجمون) اي لترحموا بذلك وباعتباركم به واتعاظكم بمواعظه (واذ كرر بك في نفسك) خطاب للنبي عليه وآله السلام وللرؤاد به عام وقيل هو خطاب لمستمع القرآن والمعنى واذ كرر بك في نفسك بالكلام من التسميح والتهيل والتحميد وروي زرارة عن احدهما (ع) قال معناه اذا كنت خلف الإمام تأتم به فانصت وسمع في نفسك يعني في الامام فيه بالقراءة وقيل معناه واذ كرر بك بالتفكير في نفسك وقيل اراد اذ كره في نفسك بصفاته العليا واسماؤه الحسنى (تضرعا وخيفة) يعني بتضرع وخوف يعني في الدعاء فان الدعاء بالتضرع والخوف من الله تعالى اقرب إلى الاجابة وانما خص الذكر بالنفس لأنه ابعد من الزيادة عن الجبائي (ودون الجهر من القول) معناه ارفعوا اصواتكم قليلا ولا تجهروا بهاجهارا بليغا حتى يكون عدلا بين ذلك كما قال ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وقيل انه امر للإمام ان يرفع صوته في الصلاة بالقراءة بمقدار ما يسمع من خلفه عن ابن عباس (بالفدو والأصل) اي بالعدوات والعشيات عن قتادة والمراد به دوام الذكر واتصاله وقيل انما خص هذين الوقتين لأنها حال فراغ القلب عن طلب المعاش فيكون الذكر فيها الصق بالقلب (ولا تكن من الغافلين) عا امرتك به من الدعاء والذكر وقيل ان الآية متوجهة الى من أمر بالاستماع للقرآن والإنصات وكانوا اذا سمعوا القرآن رفعوا اصواتهم بالدعاء عند ذكر الجنة او النار عن ابن زيد ومجاهد وابن جريج قال

الجبائي وفي الآية دليل على ان الذين يرفعون اصواتهم عند الدعاء ويجهرون به مخطون وعلى خلاف الصواب ثم ذكر سبحانه ما يبعث الى الذكر ويدعو اليه فقال (ان الذين عند ربك) وهم الملائكة عن الحسن وغيره (لا يستكبرون عن عبادته) معناه انهم مع جلالة قدرهم وعلو امرهم يعبدون الله ويذكرونه وفائدته انكم ان استكبرتم عن عبادته فمن هو اعظم حالا منكم لا يستكبر عنها وانما قال عند ربك تشير بالملائكة بإضافتهم الى نفسه ولم يرد به قرب المكان تعالى الله عن ذلك وتقدس وقيل معناه انهم في المكان الذي شرفه الله تعالى ولا يملك عليهم الحكم الا الله تعالى بخلاف البشر كما يقال عند الأمير كذا وكذا من الجند والمراد انهم في حكمه وتحت امره وعند فلان كذا من المال ولا يراد به ان ذلك بحضوره وقال الزجاج من قرب من رحمة الله وفضله فهو عند الله اي هو قريب من فضله واحسانه (ويسبحونه) اي ينزهونه عما لا يليق به (ولسه يسجدون) اي يخضعون وقيل يصلون وقيل يسجدون في الصلاة عن الحسن ولا خلاف ان ههنا سجدة وهي اول سجدة القرآن واختلف في سجدة التلاوة هل هي واجبة فعند ابي حنيفة واجبة وعند الشافعي سنة مؤكدة واليه ذهب اصحابنا

سورة الانفال

الانفال هي مدينة عن ابن عباس وقتادة غير سبع آيات نزلت بمكة واذا يكربك الذين كفروا الى آخرهم وقيل نزلت بأسرها في غزاة بدر عن الحسن وعكرمة

✽ عدد آياتها ✽

هي سبعون وسبع آيات شامي وست حجازي بصري وخمس كوفي ✽ اختلافها ✽ ثلاث آيات ثم يغلبون بصري شامي مفعولا الاول غير الكوفي بنصره وبالموثنين غير البصري

✽ فضلها ✽

ابي بن كعب عن النبي ﷺ انه قال من قرأ سورة الانفال وبرائة فانا شفيع له وشاهد يوم القيامة انه بري من النفاق واعطي من الاجر بعدد كل منافق ومنافقة في دار الدنيا عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وكان العرش وحملته يصلون عليه ايام حياته في الدنيا وروى العياشي باسناده عن ابي بصير عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ الانفال وبرائة في كل شهر لم يدخله نفاق ابدا وكان من شيعة أمير المؤمنين (ع) حقا ويا كل يوم القيامة من مراند الجنة معهم حتى يفرغ الناس من الحساب وعن محمد بن مسلم عن ابي جعفر (ع) قال في سورة الانفال جدد الأثر

✽ تفسيرها ✽

لما قص الله سبحانه في سورة الاعراف قصص الانبياء وختمها بذكر نبينا صلى الله عليه وآله افتتح سورة الانفال بذكره ثم ذكر ما جرى بينه وبين قومه فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى (١) يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ

بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ آية

✽ القراءة ✽

قرأ ابن مسعود وسعد بن ابي وقاص وعلي بن الحسين وابو جعفر بن محمد بن علي الباقر وزيد بن علي وجعفر

ابن محمد الصادق عليهم السلام وطلحة بن مصرف يسألونك الأنفال

= الحجة =

قال ابن جنبي هذه القراءة بالنصب مؤدية عن السبب للقراءة الأخرى التي هي عن الأنفال وذلك أنهم إنما سألوها عنها تعرضاً لطلبها واستعلاماً لحالها هل يسوغ طلبها وهذه القراءة بالنصب اصرح بالتماس الأنفال وبيان عن الغرض في السؤال عنها فإن قلت هل يحسن حملها على حذف حرف الجر كأنه قال يسألونك عن الأنفال فلما حذف عن نصب المفعول كقوله «أمرتك الحير فافعل ما أمرت به» قيل هذا شاذ إنما يحمله الشعر فاما القرآن فيختار له أفصح اللغات وإن كان قد جاء واختار موسى قومه واقعدوا لهم كل مرصد فإن الاظهر ما قدمناه

✽ اللغة ✽

الأنفال جمع نفل والنفل الزيادة على الشيء يقال نفلت كذا إذا زدته قال لبيد

إن تقوى ربنا خير نفل
وبلذن الله ريشي وعجل

وقيل النفل العطية وNFLتك اعطيتك والنافلة عطية التطوع من حيث لا يجب ومنه نوافل الصلاة والنوافل الرجل الكثير العطية

✽ المعنى ✽

(يسألونك) أي يسألك يا محمد جماعة من اصحابك (عن الأنفال) اختلف المفسرون في الأنفال ههنا فقيل هي الغنائم التي غنمها النبي ﷺ يوم بدر وهو المروي عن عكرمة عن ابن عباس ومجاهد وقادة والضحاك وابن زيد وقيل هي انفال السرايا عن الحسن بن صالح بن حي وقيل هي ما شذ عن المشركين الى المسلمين من عبد او جارية من غير قتال او ما اشبه ذلك عن عطاء وقيل هو للنبي ﷺ خاصة يعمل به ما شاء وقيل هو ما سقط من المتاع بعد قسمته الغنائم من الفرس والزرع والرمح عن ابن عباس في رواية أخرى وروي عنه ايضا انه سلب الرجل وفرسه بنفل النبي ﷺ من شاء. وقيل هي الخمس الذي جعله الله لأهل الخمس عن مجاهد في رواية أخرى وصحة الرواية عن ابي جعفر والي عبد الله عليهما السلام انهما قالوا ان الأنفال كل ما اخذ من دار الحرب بغير قتال وكل ارض انجلى اهلها عنها بغير قتال ويسميا الفقهاء فياً ومبراث من لا وارث له وقطائع الملوكة اذا كانت في ايديهم من غير غضب والآجام وبطون الاودية والأرضون الموات وغير ذلك مما هو مذكور في مواضعه وقالوا هي لله وللرسول وبعده لمن قام مقامه فيصرفه حيث شاء من مصالح نفسه ليس لأحد فيه شيء وقالوا أن غنائم بدر كانت للنبي خاصة فسألوه أن يعطيهم وقد صح أن قراءة أهل البيت عليهم السلام يسألونك الأنفال فقال الله تعالى (قل) يا محمد (الأنفال لله والرسول) وكذلك ابن مسعود وغيره إنما قرأوا كذلك على هذا التأويل فعلى هذا فقد اختلفوا في كيفية سؤالهم النبي ﷺ فقال هولاء ان اصحابه سألوه أن يقسم غنيمته بدر بينهم فأعلمهم الله سبحانه ان ذلك لله ولرسوله دونهم وليس لهم في ذلك شيء وروي ذلك ايضا عن ابن عباس وابن جريج والضحاك وعكرمة والحسن واختاره الطبري وقالوا ان عن صلة ومعناه يسألونك الأنفال أن تعطيتهم ويؤيد هذا القول قوله (فاتقوا الله) الى آخر الآية ثم اختلف هولاء فقال بعضهم هي منسوخة بآية الغنيمه وهي قوله واعلموا انما غنمتم من شيء وقال بعضهم ليست بمنسوخة وهو الصحيح لأن النسخ يحتاج الى دليل ولا تنافي بين هذه الآية وآية الخمس وقال آخرون انهم سألوا النبي ﷺ عن حكم الأنفال وعلمها فقالوا لمن الأنفال وتقديره يسألونك عن الأنفال لمن هي ولهذا جاء الجواب بقوله قل الأنفال لله والرسول وقال آخرون انهم سألوه عن حال الغنائم وقسمتها وانها حلال ام حرام كما كانت حراما على من قبلهم فبين لهم انها حلال واختلفوا ايضا في سبب سؤالهم فقال ابن عباس ان النبي ﷺ قال يوم بدر من جاء بكفذا فله كذا

ومن جاء بأسير فله كذا فتسارع الشبان وبقي الشيخ تحت الرايات فلما انقضى الحرب طلب الشبان ما كان قد نفلهم النبي ﷺ به فقال الشيخ كئارده ألكم ولو وقعت عليكم الهزيمة لرجعتم إلينا وجري بين أبي اليسر وبين عمرو الانتصاري أخي بني سلمة وبين سعيد بن معاذ كلام فنزع الله تعالى الغنائم منهم وجعلها لرسوله يفعل بها ما يشاء فقسها بينهم بالسوية وقال عبادة بن الصامت اختلفنا في النفل وسامت فيه اخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله إلى رسوله فقسه بيننا على السواء وكان ذلك في تقوى الله وطاعته وصلاح ذات البين وقال سعد بن أبي وقاص قتل أخي عمير يوم بدر فقتلت سعيد بن العاص بن أمية واخذت سيفه وكان يسمى ذا الكتفية فحشت به إلى النبي ﷺ واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك اذهب فاطرحه في القبر فطرحته ورجعت وبني مالايعة الا الله من قتل أخي واخذ سلمي وقلت عسى أن يعطيني هذا لمن لم يبيل بلاني فما جاوزت الا قليلا حتى جاءني الرسول وقد انزل الله يسا لوزك الآية فحفت أن يكون قد نزل في شيء فلما انتهيت إلى رسول الله ﷺ قال يا سعد انك سألتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه فهو لك وقال علي بن طلحة عن ابن عباس كانت الغنائم لرسول الله ﷺ خاصة ليس لأحد فيها شيء وما اصاب سرايا المسلمين من شيء اتوه به فمن حبس منه ابرة او سلكا فهو غلول فسا لوار رسول الله أن يعطيهم منها فنزلت الآية وقال ابن جريج اختلفت من شهد بدرًا من المهاجرين والانصار في الغنيمة فكانوا ثلاثا فنزلت الآية وملكها الله رسوله يقسمها كما اراه الله وقال مجاهد هي الخمس وذلك أن المهاجرين قالوا لم يرفع منا هذا الخمس ولم يخرج منا فقال الله تعالى قل الأنفال لله والرسول يقسمها كما شاء او يفلان منها ما شاء او يرضخان منها ما شاء فاتقوا الله باتقاه معاصيه واتباع ما يأمركم به وما يأمركم به رسوله واحذروا مخالفة امره (اي اصلحوا ذات بينكم) اي اصلحوا ما بينكم من الخصومة والمنازعة وقوله ذات بينكم كناية عن المنازعة والخصومة والذات هي الحلقة والبنية يقال فلان في ذاته صالح في خلقته وبنيته يعني اصلحوا نفس كل شيء بينكم واصلحوا حال كل نفس بينكم وقيل معناه واصلحوا حقيقة واصلحوا ذات البين اي اصلحوا حال التي بها يجتمع المسلمون عن الزجاج وهذا نهي من الله تعالى عن الاختلاف فيما اختلفوا فيه من أمر الغنيمة يوم بدر عن ابن عباس ومجاهد والسدي (اطيعوا الله ورسوله) اي اقبلوا ما أمرتم به في الغنائم وغيرها عن الزجاج ومعناه واطيعوها فيما أمرتكم به وبنهاياتكم عنه (ان كنتم مؤمنين) مصدقين للرسول فيما يأتيكم به من قبل الله كما تدعون وفي تفسير الكلبي أن الخمس لم يكن مشروعا يومئذ وإنما شرع يوم أحد وفيه انه لما نزلت هذه الآية عرف المسلمون انه لا حق لهم في الغنيمة وانها لرسول الله فقالوا يا رسول الله سمعنا وطاعة فاصنع ما شئت فنزل قوله واعلموا أنما غنمتم من شيء فإِنَّهُ لَكُمْ خُمْسُهُ أَي ما غنمتم بعد بدر وروي أن رسول الله قسم غنائم بدر عن بوا. اي على سواء ولم يخمس

قوله تعالى (٢) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا قِيلَتْ عَلَيْهِمْ

آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ

(٤) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ثلاث آيات

اللغة

الوجل والخوف والفرع واحد يقال وجل بوجل ويوجل وباجل بالألف ويوجل اربع لغات حكاه اسيبويه

واجودها بوجل قال الشاعر

لعمرك ما ادري واني لأوجل على أبنا تغدو المنية اول

والتوكل هو الثقة بالله في كل ما يحتاج اليه يقال وكنت الأمر الى فلان اذا جعلت اليه القيام به والوكيل القائم بالأمر لغيره

✽ الاعراب ✽

حقا منصوب بمادلت عليه الجملة التي هي قوله أو أنك هم المؤمنون والمعنى احق ذلك حقاً

✽ المعنى ✽

لما قال سبحانه ان كنتم مؤمنين بين صفة المؤمنين بقوله (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) اي خافت تعظيماً له وذلك اذا ذكر عندهم عقوبته وعدله ووعيده على المعاصي بالعقاب واقتداره عليه فأما اذا ذكرت نعمة الله على عباده واحسانه اليهم وفضله ورحمته عليهم وثوابه على الطاعات اطمانت قلوبهم وسكنت نفوسهم الى عفو الله تعالى كما قال سبحانه ألا بذكر الله تطمئن القلوب فلاتناهي بين الآيتين اذ وردتا في حالتين ووجه آخر وهو ان المؤمن ينبغي ان يكون من صفته انه اذا نظر في نعم الله عليه ومنته لديه وعظيم مغفرته ورحمته اطمان قلبه وحسن بالله ظنه واذا ذكر عظيم معاصيه بترك أو امره وارتكاب نواهيه وجل قلبه واضطربت نفسه والوجل الخوف مع شدة الحزن وانما يستعمل على الغالب في القلب (واذاتيت عليهم آياته زادتهم إيماناً) معناه واذا قرئ عليهم القرآن زادتهم آياته تبصرة ويقينا على يقين عن الضحاك وقيل زادتهم تصديقاً مع تصديقهم بما انزل الله اليهم قبل ذلك عن ابن عباس والمعنى انهم يصدقون بالأولى والثانية والثالثة وكل ما يأتي من عند الله فيزداد تصديقهم (وعلى ربهم يتوكلون) اي يفوضون أمورهم الى الله فيما يخافونه من سوء في الدنيا وقيل فيما يرجونه من قبول اعمالهم في الآخرة (الذين يقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون) قد مر تفسيره في سورة البقرة وانما خص الصلاة والزكاة بالذكر لعظم شأنها وتأكد أمرها وليكون داعياً الى المواظبة على فعلها (أو أنك هم المؤمنون حقاً) اي هؤلاء المستجمعون لهذه الخصال والحائزون لهذه الصفات هم الذين استحقوا هذا الاسم على الحقيقة (لهم درجات عند ربهم) يعني درجات الجنة يرتقونها باعمالهم عن عطا وقيل لهم اعمال رفيعة وفضائل استحقوها في ايام حياتهم عن مجاهد (ومغفرة) لذنوبهم (ورزق كريم) اي خطير كبير في الجنة وقيل كريم دائم كثير لا يشوبه ضرر ولا يعثر به كدر ولا يخاف عليه فناء ولا نقصان ولا حساب من قولهم فلان كريم اذا كانت اخلاقه محمودة واستدل من قال ان الإيمان يزيد وينقص وان افعال الجوارح من الايمان بهذه الآيات فقال ان الله تعالى نفى ان يكون المؤمن غير متصف بهذه الصفات بلفظة انما فكأنه قال لا يكون احد مؤمناً الا ان يكون بهذه الصفات والجواب عنه ان هذه الصفات خيار المؤمنين وأفاضلهم فكأنه قال انما خيار المؤمنين من له هذه الاوصاف وليس يمتنع ان يتفاضل المؤمنون في الطاعات وان لم يتفاضلوا في الايمان يدل على ذلك أن الإجماع حاصل على ان وجل القلب ليس بواجب وانما هو من المندوبات وان الصلاة قد تدخل فيها الفرائض والنوافل والائتلاف كذلك فعلنا ان الإشارة بالآية الى خيار المؤمنين واما ثلهم فلا تدل اذا على ان من كان دونهم في المنزلة خارج عن الايمان وقد قال ابن عباس انه سبحانه اراد بذلك ان المناق لا يدخل قلبه خشية الله عند ذكره وان هذه الاوصاف المذكورة متفية عنه

قوله تعالى (٥) كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون
 (٦) يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون (٧) وإذ يعدكم
 الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتوذنون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن
 يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين (٨) ليحق الحق ويبطل الباطل ولو
 كره المجرمون اربع آيات

✽ اللغة ✽

المجادلة المنازعة الذي يغفل بها عن مذهب الى مذهب سميت بذلك لشدة وأصل الجدال شدة الفتل
 ومنه الأجدل الصقر لشدة وزمام جدبيل شديد الغفل وقيل اصله من الجدالة وهي الارض يقال طعنه فجدله
 اي اوقمه على الارض فكان المتجادلين يريد كل واحد منهما ان يرمي بخصمه الى الارض والسوق الحث
 على المسير والشوكة الحد يقال ما اشد شوكة بني فلان وفلان شاك في الصلاح وشائك وشاك من الشكة
 وشاك مخفف مثل قولهم كبش صاف كثير الصوف مثل صائف قال الشاعر

فتوهمني انني انا ذاكم شاك سلاحي في الحوادث معلم

واصله من الشوك ودابر الأمر آخره ودابر الرجل عقبه والحق وقوع الشيء في موضعه الذي هو له
 فإذا اعتقد شيء بضرورة او حجة فهو حق لأنه وقع موقعه الذي هو له وعكسه الباطل

✽ الإعراب ✽

الكاف في قوله كما أخرجك ربك يتعلق بما دل عليه قوله قل الانفال لله والرسول لأن في هذا معنى
 نزاعها من ايديهم بالحق كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وقيل تقديره قل الانفال ثابت لله والرسول ثبوتاً
 مثل ما أخرجك ربك اي هذا كائن لا محالة كما ان ذلك كان لا محالة وقيل انه يتعلق بيجادلونك وتقديره
 يجادلونك بالحق كما كرهوا اخراجك من بيتك بالحق وقيل انه يعمل فيه معنى الحق بتقدير هذا الذك الحق كما
 اخرجك ربك من بيتك بالحق وقوله انها لكم في موضع نصب على البدل من إحدى الطائفتين وتقديره يعدكم
 ان احد من الطائفتين لكم ونظيره قوله هل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم

✽ المعنى ✽

(كما أخرجك ربك من بيتك) يامحمد على التقدير الاول قل الانفال لله ينزعها عنكم مع كراهتكم ومشقة
 ذلك عليكم لأنه اصلح لكم كما أخرجك ربك من بيتك مع كراهة فريق من المؤمنين ذلك لأن الخروج
 كان اصلح لكم من كونكم في بيتكم والمراد بالبيت هنا المدينة يعني خروج النبي ﷺ منها الى بدر
 ويكون معنى اخرجك ربك دعائك الى الخروج وامرك به وحملك عليه كما يقال أضربت زهداً عمراً فضربه
 وأما على التقدير الثاني وهو ان يكون انصاه بما بعده فيكون معناه يجادلونك في الحق كارهين له كما جادلوك
 يا محمد حين أخرجك ربك كارهين للخروج كرهوه كراهية طباع فقال بعضهم كيف نخرج ونحن قليل
 والعدو كثير وقال بعضهم كيف نخرج على عمياء لا ندرى الى العير نخرج ام الى القتال فشبه جداهم بخروجهم
 لأن القوم جادلوه بعد خروجهم كما جادلوه عند الخروج فقالوا هلا اخبرتنا بالقتال فكنا نستعد لذلك فهذا

هو جداهم على تأويل مجاهد واما على التقدير الثالث فمعناه ان هذا خير لكم كما ان اخرجك من بيتك على كراهية جماعة منكم خير لكم وقريب منه ما جاء في حديث ابي حمزة الثمالي فإله ناصرك كما اخرجك من بيتك وقوله (بالحق) أي بالوحي وذلك ان جبرائيل (ع) أتاه وأمره بالخروج وقيل معناه اخرجك ومعك الحق وقيل معناه اخرجك بالحق الذي وجب عليك وهو الجهاد (وان فريقا من المؤمنين) اي طائفة منهم (لكارهون) لذلك للمشقة التي لحقتهم (يجادلونك في الحق بعد ما تبين) معناه يجادلونك فيما دعوتهم اليه بعد ما عرفوا صحته وصدقك بما ظهر عليك من المعجزات ومجادلتهم قولهم هلا اخبرتنا بذلك وهم يعلمون انك لا تأمرهم عن الله الا بما هو حق وصواب وكانوا يجادلون فيه لشدة عليهم يطلبون بذلك رخصة لهم في التخلف عنه او في تأخير الخروج الى وقت آخر وقيل معناه يجادلونك في القتال يوم بدر بعد ما تبين صوابه وانه مأمور به عن ابن عباس وقيل بعد ما تبين انك يا محمد لا تصنع الا ما امرك الله به (كما ناساقون الى الموت وهم ينظرون) معناه كأن هؤلاء الذين يجادلونك في لقاء العدو لشدة القتال عليهم حيث لم يكونوا مستعدين له ولكراهم له من حيث الطبع كانوا بمنزلة من يساق الى الموت وهم يرونه عيانا وينظرون اليه والى اسبابه (واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم) يعني واذ كروا واشكروا الله اذ يعدكم الله ان احدى الطائفتين لكم اما العير واما النفير (وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم) اي تودون ان يكون لكم العير وصاحبها ابو سفيان بن حرب لثلاث تلحقكم مشقة دون النفير وهو الجيش من قريش قال الحسن كان المسلمون يريدون العير ورسول الله يريد ذات الشوكة كنى بالشوكة عن الحرب لما في الحرب من الشدة عن قطرب وقيل ذات الشوكة ذات السلاح (ويريد الله ان يحق الحق بكلماته) معناه والله اعلم بالمصالح منكم فأراد ان يظهر الحق بلطفه ويعز الاسلام ويظفركم على وجوه قريش ويهلكهم على أيديكم بكلماته السابقة وعداته في قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقوله ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وقيل بكلماته اي بأمره لكم بالقتال (ويقطع دابر الكافرين) اي يستأصلهم فلا يبقى منهم احدا يعني كفار العرب (ليحق الحق) اي انما يفعل ذلك ليظهر الاسلام (ويبطل الباطل) أي الكفر باهلاك اهله (ولو كره المجرمون) اي الكافرون وذكروا البلخي عن الحسن ان قوله واذ يعدكم الله الآية نزلت قبل قوله كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وهي في القراءة بعدها

* قصة غزاة بدر *

قال اصحاب السير وذكروا حمزة وعلي بن ابراهيم في تفسيرها دخل حديث بعضهم في بعض اقبل ابو سفيان بعير قريش من الشام وفيها موالهم وهي الطيعة وفيها اربعون راكبا من قريش فندب النبي ﷺ اصحابه للخروج اليها ليأخذوها وقال لعل الله ان ينفلكموها فان تدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم ولم يظنوا ان رسول الله ﷺ يلقي كيدا ولا حربا فخرجوا لا يريدون الا ابا سفيان والركب لا يرونها الا غنيمة لهم فلما سمع ابو سفيان بمسير النبي ﷺ استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه الى مكة وأمره ان يأتي قريشا فيستنفرهم ويخبرهم ان محمدا ﷺ قد تعرض لعيرهم في اصحابه فخرج ضمضم سريرا الى مكة وكانت عاتكة بنت عبد المطلب رأت فيما يرى النائم قبل مقدم ضمضم بن عمرو بثلاث ليال ان رجلا اقبل على بعير له ينادي يا آل غالب اغدوا الى مصارعكم ثم وافى بجمله على ابي قبيس

فأخذ حجرا فدهدهه من الجبل فما ترك دار من دور قريش الا اصابته منه فلذة فانتبهت فرزعة من ذلك واخبرت
العباس بذلك فأخبر العباس عتبة بن ربيعة فقال عتبة هذه مصيبة تحدث في قريش وفشت الرويا فيهم وبلغ
ذلك ابا جهل فقال هذه نبيه ثانية في بني عبد المطلب واللات والعزى لنتظرن ثلاثة أيام فان كان ما رأيت
حقا والا لنكتبن كتابا بيننا انه ما من أهل بيت من العرب اكذب رجالا ونساء من بني هاشم فلما كان
اليوم الثالث اتاهم ضمضم بناديهم باعلى الصوت يا آل غالب يا آل غالب اللطيمة اللطيمة العير العير ادر كوا وما
أراكم تدركون ان محمدا والصباة من أهل يثرب قد خرجوا يتعرضون لعيركم فذهبوا للخروج وما
بقي احد من عطاء قريش الا اخرج مالا لتجهيز الجيش وقالوا من لم يخرج نهدم داره وخرج معهم العباس
ابن عبد المطلب ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب وعقيل بن ابي طالب واخرجوا معهم القيان يضربون
الدفوف وخرج رسول الله ﷺ في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا فلما كان يقرب بدر اخذ عينا للقوم فأخبره
بهم وفي حديث ابي حمزة بعث رسول الله ﷺ ايضا عيناه على العير اسمه عدي فلما قدم على رسول الله
ﷺ فأخبره ابن فارق العير نزل جبرائيل على رسول الله ﷺ فأخبره بتغير المشركين من مكة
فاستشار اصحابه في طلب العير وحرب التغير فقام ابو بكر فقال يا رسول الله انها قريش وخيلاؤها
ما آمنت منذ كفرت ولا ذات منذ عزت ولم تخرج على هيئة الحرب وفي حديث ابي حمزة قال ابو بكر
انا عالم بهذا الطريق فارق عدي العير بكذا وكذا وساروا وسرنا فنحن والقوم على ماء بدر يوم كذا وكذا
كأنافرسا رهان فقال ﷺ اجلس فجلس ثم قام عمر بن الخطاب فقال مثل ذلك فقال ﷺ اجلس
فجلس ثم قام المقداد فقال يا رسول الله انها قريش وخيلاؤها وقد آمننا بك وصدقنا وشهدنا ان ما جئت به
حق والله لو أمرتنا أن نخوض جمر الفضا وشوك الهراس لخصناه معك والله لانقول لك كما قالت بنو اسرائيل
لموسى (ع) اذهب انت وربك فقلنا انا ههنا قاعدون ولكننا نقول امض لا مريبك فاننا معك مقاتلون فجزاه
رسول الله ﷺ خيرا على قوله ذلك ثم قال اشيروا علي بها الناس وانما يريد الانصار لان اكثر الناس منهم ولا نهم
حين يابعوه بالعقبه قالوا انا برءاء من ذمتك حتى تصل الى دارنا ثم انت في ذمتنا نمنعك مما نمنع ابناءنا ونساءنا
فكان ﷺ يتخوف ان لا يكون الانصار تروى عليها نصرته الا على من دهمه بالمدينة من عدو ان
ليس عليهم أن ينصروه خارج المدينة فقام سعد بن معاذ فقال بأبي انت وامى يا رسول الله كأنك اردتنا فقال
نعم قال بأبي انت وامى يا رسول الله انا قد آمننا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به حق من
عند الله فمرنا بما شئت وخذ من اموالنا ما شئت واترك منها ما شئت والله لو امرتنا أن نخوض هذا البحر
لخصناه معك ولعل الله عز وجل ان يريلك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح بذلك رسول الله
ﷺ وقال سيروا على بركة الله فان الله عز وجل قد وعدني احدى الطائفتين ولن يخلف الله وعده
والله لكاني انظر الى مصرع ابي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وفلان وفلان وأمر رسول
الله ﷺ بالرحيل وخرج الى بدر وهو بشر وفي حديث ابي حمزة الثمالي بدر رجل من جهينة والماء ماؤه
فانما سمي الماء باسمه واقبلت قريش وبعثوا عبيدها ليستقوا من الماء فاخذهم اصحاب رسول الله ﷺ
وقالوا لهم من انتم قالوا نحن عبيد قريش قالوا فآين العير قالوا لا علم لنا بالعير فاقبلوا يضربونهم وكان رسول
الله ﷺ يصلي فانفتل من صلواته وقال ان صدقوكم ضربتموهم وان كذبوكم تركتموهم فاتوه بهم

فقال لهم من انتم قالوا يا محمد نحن عميد قريش قال كم القوم قالوا لا علم لنا بعددهم قال كم ينحرون في كل يوم من جزور قالوا تسعة الى عشرة فقال رسول الله ﷺ القوم تسعمائة الى الف رجل وأمر ﷺ بهم فحسبوا وبلغ ذلك قريشا ففرزوا وندموا على مسيرهم ولقي عتبة بن ربيعة ابا البختری بن هشام فقال اما ترى هذا البغي والله ما ابصر موضع قدمي خرجنا لنمنع غيرنا وقد افلنت فجئنا بنيا وعدوانا والله ما افلح قوم بغوا قط ولوددت ان ما في العير من اموال بني عبد مناف ذهبت ولم نسر هذا المسير فقال له ابو البختری انك سيد من سادات قريش فسر في الناس وتحمل العير التي اصابها محمد ﷺ واصحابه بنخله ودم ابن الحضرمي فإنه حليفك فقال له علي ذلك وما على احد منا خلاف الا ابن الحنظلية يعني ابا جهل فصر اليه واعلمه اني حملت العير ودم ابن الحضرمي وهو حليفي وعلي عقله قال فقصدت خباءه وابلغته ذلك فقال ان عتبة يتعصب لمحمد فإنه من بني عبد مناف وابنه معه يريد أن يتخذل بين الناس لا واللات والعزى حتى نقحم عليهم يشرب أو نأخذهم اسارى فندخلهم مكة وتسامع العرب بذلك وكان ابو حذيفة بن عتبة مع رسول الله ﷺ وكان ابوسفيان لما جاز بالعير بعث الى قريش قد نبى الله عبركم فارجموا ودعوا محمداً والعرب وادفعوه بالراح ما اندفع وان لم ترجعوا فردوا القيان فلحقهم الرسول في الجحفة فاراد عتبة أن يرجع فأبى ابو جهل وبنو مخزوم وردوا القيان من الجحفة قال وفرزع اصحاب رسول الله ﷺ لما بلغهم كثرة قريش واستغاثوا وتضرعوا فانزل الله سبحانه إذ تستغيثون ربكم وما بعده

قوله تعالى (٩) إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بأنف من الملائكة مردفين (١٠) وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم (١١) إذ يغشاكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام (١٢) إذ يوحي ربك الى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألني في قلوب الذين كفروا الرغب فأضربوا فوق الأعناق وأضربوا منهم كل بنان (١٣) ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب (١٤) ذلكم فذوقوه وإن للكافرين عذاب النار (ست آيات) وبعد الأقدام آية وكل بنان آية بلا خلاف

✽ القراءة ✽

قرأ أهل المدينة ويعقوب مردفين بفتح الدال والباقون مردفين بكسر الدال وقرأ أهل المدينة يغشاكم بضم الياء وسكون الغين النعاس بالنصب وقرأ ابن كثير وابو عمرو يغشاكم بالالف وفتح الياء النعاس بالرفع والباقون يغشاكم بضم الياء وفتح الغين والتشديد النعاس بالنصب وفي الشواذ قراءة الشعبي ما ليطهركم به ما بمعنى الذي

✽ الحجة ✽

قال ابو علي مردفين يحتمل وجهين ✽ احدهما أن يكون مردفين مثلهم كما قالوا اردفت زيدا خلفي

فيكون في الآية المفعول الثاني محذوفا * والآخر * أن يكونوا جاؤا خلفهم تقول العرب بنو فلان يردفوننا أي يجيئون بعدنا وقال ابو عبيدة مردفين جاؤا بعد وردفني واردفني واحد قال الشاعر

إذا الجوزاء اردفت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنوننا

وهذا الوجه كأنه ابين لقوله إذ تستغيثون ربكم الى قوله مردفين اي جاثين بعد استغاثتكم ربكم وامداده اياكم بهم فردفين على هذا صفة لآل وقال الزجاج معناه يأثون فرقة بعد فرقة ومردفين على اردفوا الناس اي انزلوا بعدهم فيجوز على هذا أن يكون حالا من الضمير المنصوب في مدمم مردفين بآل من الملائكة وقرأ في الشواذ مردفين ومردفين والأصل فيهما مرتدين فادغم التاء في الدال فلما التقى ساكنان حرك الراء لالتقاء الساكنين فضمت تارة اتباعا لضمه الميم وكسرت تارة لأن الساكن يحرك بالكسر ومن قرأ يغشيكم ويغشيكم فلأنه اشبه بما بعده من قوله وينزل عليكم فكما انه مسند الى اسم الله فكذلك يغشى ويغشى ومن قرأ يغشاكم فإنه اسند الفعل الى النعاس كما في قوله أمة نعاسا يغشى واغشى وغشى معناهما واحد وقد جاء بهما التنزيل قال سبحانه فاعشيناهم وقال فغشاها ما غشى ومن قرأ ما ليظهركم به فإن ما ههنا موصولة وصلتها حرف الجر بما بعده فكأنه قال ما لظهور كقولك كسوت الثوب الذي لدفع البرد وهذه اللام في قراءة الجماعة ما ليظهركم به هي لام المفعول له وهي كقوله انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ويتعلق بنفس الفعل واللام التي في قراءة من قرأ ما ليظهركم به اي الذي للطهارة به فمتعلقة بمحذوف وفيها ضمير لتعلقها بالمحذوف

* اللغة *

الرعب الخوف يقال رعبته اربعه رعبا ورعبا والرعب انزعاج النفس بتوقع المكروه واصله التقطيع من قولهم رعبت السنام ترعبيا اذا قطعته مستطيلا فالرعب تقطع حال السرور بضده من انزعاج النفس بتوقع المكروه ورعب السيل فهو رعب اذا امتلأ منه الوادي لأنه انقطع اليه من كل جهة والبنان الاطراف من اليدين والرجلين والواحد بنانة ويقال للاصبع بن بنانة واصله اللزوم واصله من ابنت السحابة ابنا اذا لزمت قال الشاعر

الا ليتني قطعت منه بنانه ولاقيته في البيت يقظان خادرا

الشقاق العصبان واصله الانفصال يقال شقه فانشق وشاقه شقاقا اذا صار في شق عدوه عليه ومنه اشتقاق الكلام لأنه انفصال الكلمة عما تحتمل في الأصل

* الإعراب *

العامل في إذ من قوله إذ تستغيثون قوله ويبطل الباطل وقيل محذوف وتقديره واذكروا إذ ذفعلى الوجه الأول يكون متصلا بما قبله وعلى الوجه الثاني يكون مستانفا والهاء في جملة عائدة الى الامداد لأنه معتمد الكلام وقيل عائدة الى الخبر بالمدد لأن تقديم ذلك إليهم بشارة على الحقيقة وقيل عائدة الى الارداق وامنة انتصب بأنه مفعول له والعامل فيه يغشى إذ يوحى في موضع نصب على معنى وما جعله الله لإبشرى في ذلك الوقت ويجوز ان يكون ذلك على تقدير واذكروا إذ يغشيكم النعاس واذ يوحى ذلكم فذوقوه تقديره لا أمر ذلكم فيكون خبر مبتدأ محذوف فيكون كما قال الشاعر

وقائلة خولان فانكح فتاتهم واكرومة الحيين خلوا كما هي
اي هذه خولان ويجوز ان يكون ذلك منصوب الموضع فيكون مثل قولهم زيدا فاضربه منصوبا بفعل
مضمر يفسره الظاهر وكم في ذلك لا موضع له من الاعراب لانه حرف الخطاب وان الكافرين يحتمل ان
يكون موضعه نصبا وجرأ ورفعا فالرفع بالعطف على ذلكم فكانه قال الامر ذلكم وان للكافرين عذاب
النار مع ذا والنصب بالعطف على قوله اني معكم ومعناه إذ هو حي ربك ان للكافرين والجر على ان يكون
معطوفا على قوله بانهم شاقوا الله والرفع البق بالظاهر ويشاقق باظهار التضعيف مع الجزم لغة أهل الحجاز
وغيرهم يدغم

* النزول *

قال ابن عباس لما كان يوم بدر واصطف القوم للقتال قال ابو جهل اللهم اولانا بالنصر فانصره واستغاث
المسلمون فنزلت الملائكة ونزل قوله إذ تستغيثون ربكم إلى آخره وقيل ان النبي ﷺ لما نظر إلى كثرة
عدد المشركين وقلة عدد المسلمين استقبل القبلة وقال اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة
لا تعبد في الأرض فزال يهتف ربه ماداً يديه حتى سقط رداؤه من منكبته فانزل الله تعالى إذ تستغيثون
ربكم الآية عن عمر بن الخطاب والسدي وابي صالح وهو المروي عن ابي جعفر (ع) قال ولما أمسى رسول
الله ﷺ وجنه الليل القى الله على اصحابه النعاس وكانوا قد نزلوا في موضع كثير الرمل لا يثبت فيه
قدم فانزل الله عليهم المطر رذاذ حتى لبد الأرض وثبت اقدامهم وكان المطر على قريش مثل العزالي والقى
الله في قلوبهم الرعب كما قال الله تعالى سألتني في قلوب الذين كفروا الرعب

* المعنى *

ثم ذكر سبحانه ما آتى المسلمين من النصر فقال (إذ تستغيثون ربكم) اي تستجيبون بربكم يوم بدر
من اعدائكم ونسألونه النصر عليهم لقتلكم وكثرتهم فلم يكن لكم مفرع إلا التضرع اليه والدعاء له في
كشف الضر عنكم والاستغاثة طلب المعونة والغوث وقيل معناه تستنصرونه والفرق بين المستنصر والمستجيب
ان المستنصر طالب الظفر والمستجيب طالب الاخلاص فاستجاب لكم والاستجابة هي العطفة على موافقة المسألة
فمعناه فأعانتكم وأجاب دعاءكم (اني بمدكم) أي مرسل اليكم مدداً لكم (بألف من الملائكة مردفين) اي
متبعين ألفاً آخر من الملائكة لأن مع كل واحد منهم ردفا له عن الجبائي وقيل معناه مترادفين متتابعين
وكانوا ألفاً بعضهم في اثر بعض عن ابن عباس وقتادة والسدي وقيل معناه بألف من الملائكة جاءوا على
اثر المسلمين عن ابي حاتم (وما جعله الله إلا بشري ولتطمئن به قلوبكم) معناه وما جعله الله إلا مدداً
بالملائكة إلا بشري لكم بالنصر ولتسكن به قلوبكم وتزول الوسوسة عنها وإلا فملك واحد كاف للتدمير
عليهم كما فعل جبريل (ع) بقوم لوط فأهلكهم بريشة واحدة واختلف في ان الملائكة هل قاتلت يوم بدر أم
لا فقيل ما قاتلت ولكن شجعت وكثرت سواد المسلمين وبشرت بالنصر عن الجبائي وقيل انها قاتلت قال
بجاهد إنهم بألف مقاتل من الملائكة فأما ما قاله سبحانه في آل عمران بثلاثة آلاف وبخمسة آلاف فإنه
للإشارة وقد ذكرنا هناك ما قيل فيه وروي عن ابن مسعود انه سأله ابو جهل من اين كان يأتينا الضرب
ولا نرى الشخص قال من قبل الملائكة فقال هم غلبونا لأنتم وعن ابن عباس أن الملائكة قاتلت يوم بدر وقتلت

(وما النصر إلا من عند الله) معناه انه لم يكن النصر من قبل الملائكة وإنما كان من قبل الله لأنهم عباده ينصر بهم من يشاء كما ينصر بغيرهم ويحتمل ان يكون المعنى ما النصر بكثرة العدد ولكن النصر من عند الله ينصر من يشاء قل العدد أم كثر (ان الله عزيز) لا يمنع عن مراده (حكيم) في أفعاله يجربها على ما تقتضيه الحكمة (إذ نفسيكم النعاس) قد ذكرنا تفسيره عند قوله ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمته نعاما والنعاس أول النوم قبل ان يتقل (أمانة) أي أمانا (منه) أي من العدو وقيل من الله فإن الإنسان لا يأخذ النوم في حال الخوف فآمنهم الله تعالى بزوال الرعب عن قلوبهم كما يقال الخوف مسهروا الأمان مني والامنة الدعة التي تنافي المخافة وايضا فإنه قوام بالاستراحة على القتال من العدو (وينزل عليكم من السماء ماء) أي مطرا (ليظهركم به) وذلك لأن المسلمين قد سبقهم الكفار إلى الماء فنزلوا على كتيب رمل واصبحوا محدثين ومجبيين وأصابهم الظمأ ووسوس اليهم الشيطان فقال ان عدوكم قد سبقكم إلى الماء وانتم تصلون مع الجنابة والحديث وتسوخ أقدامكم في الرمل فمطرحهم الله حتى اغتسلوا به من الجنابة وتطهروا به من الحدث وتلبدت به أرضهم واوحات ارض عدوهم (ويذهب عنكم رجز الشيطان) أي وسوسته بما مضى ذكره عن ابن عباس وقيل معناه ويذهب عنكم وسوسته بقوله ليس لكم بهؤلاء طاقة عن ابن زيد وقيل معناه ويذهب عنكم الجنابة التي اصابكم بالاحتلام (وليربط على قلوبكم) أي وليشد على قلوبكم ومعناه يشجع قلوبكم ويزيدكم قوة قلب وسكون نفس وثقة بالنصر (ويثبت به الأقدام) أي أقدامكم في الحرب بتلبد الرمل عن ابن عباس ومجاهد وجماعة وقيل بالصبر وقوة القلب عن ابي عبيدة والهاء في به ترجع الى الماء المنزل وقيل الى ما تقدم من الربط على القلوب (إذ يوحى ربك إلى الملائكة اني معكم) يعني الملائكة الذين أمد بهم المسلمين أي اني معكم بالمعونة والنصرة كما يقال فلان مع فلان على فلان والايحاء القاء المعنى على النفس من وجه يخفى وقد يكون ينصب دليل يخفى إلا على من القى اليه من الملائكة (فثبتوا الذين آمنوا) يعني بشروهم بالنصر وكان الملك يسير أمام الصف في صورة الرجل ويقول أشروا فإن الله ناصركم عن مقاتل وقيل معناه قاتلوا معهم المشركين عن الحسن وقيل ثبتوهم بأشياء تلقونها في قلوبهم بقورون بها عن الزجاج (سألتني في قلوب الذين كفروا الرعب) أي الخوف من أوابائي (فاضربوا فوق الأعناق) يعني الروثوس لأنها فوق الأعناق قال عطاء يريد كل هامة وججمة وجائز أن يكون هذا أمرا للمؤمنين وجائز ان يكون أمرا للملائكة وهو الظاهر قال ابن الأنباري ان الملائكة حين أمرت بالقتال لم تعلم اين تقصد بالضرب من الناس فعلمهم الله تعالى (واضربوا منهم كل بنان) يعني الأطراف من اليدين والرجلين عن ابن عباس وابن جريج والسدي وقيل يعني أطراف الأصابع اكتفى الله به عن جملة اليد والرجل عن ابن الأنباري (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله) معناه ذلك العذاب لهم والأمر بضرب الأعناق والأطراف وتمكين المسلمين منهم بسبب انهم خالفوا الله ورسوله قال ابن عباس معناه حاربوا الله ورسوله ثم اوعد المخالف فقال (ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب) في الدنيا بالاهلاك وفي الآخرة بالتخليد في النار (ذلكم فذوقوه) أي هذا الذي اعدت لكم من الاسر والقتل في الدنيا فذوقوه عاجلا (وان للكافرين) آجلا في المعاد (عذاب النار) قال الحسن ذلكم حكم الله فذوقوه في الدنيا وان لكم ولسائر الكافرين في الآخرة عذاب النار ومعناه كونوا للعذاب كالذائق للطعام وهو طالب إدراك الطعم بتناول السير بالفم لأن معظم العذاب بعده تمام

* القصة *

ولما أصبح رسول الله ﷺ يوم بدر عبأ أصحابه فكان في عسكره فرسان فرس للزبير بن العوام وفرس
 للمقداد بن الاسود وكان في عسكره سبعون رجلاً كانوا يتعاقبون عليها وكان رسول الله ﷺ وعلي بن
 ابي طالب (ع) ومرثد بن ابي مرثد الغنوي يتعاقبون على جمل لمرثد بن ابي مرثد وكان في عسكر قريش
 اربعمائة فرس وقيل مائتا فرس فلما نظرت قريش الى قلة اصحاب رسول الله ﷺ قال ابو جهل ما هم الا
 اكلة رأس لو بعثنا اليهم عبيدنا لا خذوهم أخذاً باليد فقال عتبة بن ربيعة اترى لهم كميناً او مدداً فبعثوا
 عمير بن وهب الجمحي وكان فارساً شجاعاً فجعل بفرسه حتى طاف على عسكر رسول الله ﷺ ثم رجع فقال
 ليس لهم كمين ولا مدد ولكن نواضح يثرب قد حملت الموت الناقع اما ترونهم خرساً لا يتكلمون ويتلهظون
 تلمظ الافاعي ما لهم ملجأ الا سيوفهم وما اراهم يولون حتى يقتلوا ولا يقتلون حتى يقتلوا بعددهم فارتأوا
 رأيكم فقال له ابو جهل كذبت وجبت فانزل الله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها فبعث اليهم رسول الله ﷺ
 فقال يا معشر قريش اني اكره ان ابدأ بكم فخلوني والعرب وارجعوا فقال عتبة ما رد هذا قوم قط فالفحوا ثم
 ركب جماله احر فنظر اليه رسول الله ﷺ وهو يجول بين المسكرين وينهى عن القتال فقال
 يا معشر قريش اطيعوني اليوم واعصوني الدهر ان محمداً له الـ وذمة وهو ابن عمكم فخلوه والعرب فان بك
 صادقاً فانتهم اعلى عينا به وان بك كاذباً كفنكم ذوئبان العرب امره فقاظ ابا جهل قوله وقال له جنت
 وانتفخ سحرك فقال يا مصفراسه مثلي يجين وستعلم قريش ايننا الـ واجبن واينا المفسد لقومه ولبس درعه
 وتقدم هو واخوه شيبه وابنه الوليد وقال يا محمد اخرج الينا الكفاءنا من قريش فبرز اليهم ثلاثة نفر من الانصار
 وانتسبوا لهم فقالوا ارجعوا انما نريد الـ الكفاءنا من قريش فنظر رسول الله ﷺ الى عبيدة بن الحرث بن
 عبد المطلب وكان له يومئذ سبعون سنة فقال قم يا عبيدة ونظر الى حمزة فقال قم يا عم ثم نظر الى علي بن
 ابي طالب (ع) فقال قم يا علي وكان اصغر القوم فاطلبوا بحجتكم الذي جعله الله لكم فقد جاءت قريش بخيلائها
 وفخرها تريد ان تطفئ نور الله ويأبى الله الا ان يشم نوره ثم قال يا عبيدة عليك بعشبة بن ربيعة وقل لحمزة
 عليك بشيبه وقال لعلي (ع) عليك بالوليد فمروا حتى انتهوا الى القوم فقالوا الكفاءنا كرام فحمل عبيدة على عتبة
 فضربه على رأسه ضربة فقلت هامته وضرب عتبة عبيدة على ساقه فاطنهما فسقطا جميعاً وحمل شيبه على حمزة
 فتضاربا بالسيفين حتى اثلما وحمل أمير المؤمنين علي (ع) على الوليد فضربه على حبل عاتقه فأخرج السيف
 من ابطه قال علي لقد أخذ الوليد يمينه بيساره فضرب بها هامتي فظننت ان السماء وقعت على الارض ثم اعتنق
 حمزة وشيبه فقال المسلمون يا علي اما ترى ان الكلب قد نهز عمك فحمل عليه علي (ع) ثم قال يا عم طأطأ
 رأسك وكان حمزة اطول من شيبه فأدخل حمزة رأسه في صدره فضربه علي فطرح نصفه ثم جاء الى عتبة
 وبه رمق فاجز عليه وفي رواية أخرى انه برز حمزة لعتبة وبرز عبيدة لشيبه وبرز علي (ع) للوليد فقتل
 حمزة عتبة وقتل عبيدة شيبه وقتل علي (ع) الوليد فضرب شيبه رجل عبيدة فقطعها فاستنقذه حمزة وعلي
 وحمل عبيدة حمزة وعلي حتى أتيا به رسول الله ﷺ فاستمهر فقال يا رسول الله الست شهيدا قال بلى
 انت اول شهيد من اهل بيتي وقال ابو جهل لقريش لا تعجلوا ولا تبطروا كما بطن ابناء ربيعة عليكم بأهل يثرب

فاجزروهم جزرا وعليكم بقريش فخذوهم أخذاً حتى ندخلهم مكة فنعرفهم ضلالتهم التي هم عليها وجاء
ابليس في صورة سراقه بن مالك بن جشم فقال لهم انا جار لكم ادفعوا الي رايتكم فدفعوا اليه راية الميسرة
وكانت الراية مع بني عبد الدار فنظر اليه رسول الله ﷺ فقال لاصحابه غضوا ابصاركم وعضوا على النواجذ
ورفع يده فقال يا رب ان تهلك هذه العصاة لا تعبد ثم اصابه العشي فسري عنه وهو يسلك العرق عن وجهه
فقال هذا جبرائيل قد أتاكم بألف من الملائكة مردفين وروى ابو امامة بن سهل بن حنيف عن ابيه قال
لقد رأينا يوم بدر ان احدنا يشير بسيفه الى المشرك فيقع رأسه من جسده قبل ان يصل اليه السيف قال ابن
عباس حدثني رجل من بني غفار قال اقبلت انا وابن عمي حتى اصعدنا في جبل يشرف بنا على بدر ونحن
مشركان نتنظر الوقعة على من تكون الدبرة فيينا نحن هناك اذ دنت مناصحنا فسمعنا فيها جمجمة الخيل فسمعت
قائلا يقول اقدم حيزوم ثم قال فأما ابن عمي فالتكشفت قناع قلبه فمات مكانه وأما انا فكذبت اهلك ثم
تأسكت وروى عكرمة عن ابن عباس ان النبي ﷺ قال يوم بدر هذا جبرائيل أخذ برأس فرسه
عليه اداة الحرب أورده البخاري في الصحيح قال عكرمة قال ابو رافع مولى رسول الله ﷺ كنت
غلاما للعباس بن عبد المطلب وكان الإسلام قد دخلنا اهل البيت واسلمت ام الفضل واسلمت
وكان العباس يهاب قومه ويكره ان يخالفهم وكان يكتنم إسلامه وكان ذا مال كثير متفرق في قومه
وكان ابو لهب عدو الله قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة وكذلك
صنعوا لم يتخلف رجل الا بعث مكانه رجلا فلما جاء الخبر عن مصاب اصحاب بدر من قريش كبت الله
واخزاه ووجدنا في انفسنا قوة وعزا قال وكنت رجلا ضعيفا وكنت اعمل القداح انحتمها في حجرة زمزم
فوالله اني لجالس فيها انحتم القداح وعندني ام الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا من الخبر اذا قبل الفاسق ابو لهب
يجر رجله حتى جلس على طنب الحجر فكان ظهره الى ظهري فيينا هو جالس اذ قال الناس هذا ابو سفيان
ابن حرب بن عبد المطلب وقد قدم فقال ابو لهب هلم الي يا ابن اخي فعندك الخبر فجلس اليه والناس قهام
عليه فقال يا ابن اخي اخبرني كيف كان امر الناس قال لاشي والله ان كان الا ان لقيناهم فمحنناهم كئنا
يقولوننا ويا سروننا كهف شاءوا وايم الله مع ذلك مالت الناس لقينا رجلا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض
ما تليق شيئا ولا يقوم لها شي قال ابو رافع فرفعت طرف الحجر بيدي ثم قلت تلك الملائكة قال فرجع ابو لهب
يده وضرب وجهي ضربة شديدة فتاورته واحتماني ف ضرب بي الارض ثم برك علي يضربني وكنت رجلا
ضعيفا فقامت ام الفضل الى عمود من عمد الحجر فأخذته فضرته ضربة فلقت رأسه شجرة منكورة وقالت
تستضعفه ان غاب عنه سيده فقام موليا ذليلا فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتله ولقد
تركه ابناه ليلتين او ثلاثا ما يدفناه حتى أنتن في بيته وكانت قريش تنقي العدسة كما يتقي الناس الطاعون
حتى قال لهما رجل من قريش ويحكم الا تستحيان ان اباكما قد أنتن في بيته لا تعيانه فقالا انا نخشى هذه
القرحة قال فانطلقا فانا معكما فما غسلوه الا قد بالماء عليه من بعيد ما يمسونه ثم احتملوه فدفعوه بأعلى مكة
الى جدار وقذفوا عليه بالحجارة حتى واروه وروى مقسم عن ابن عباس قال كان الذي اسر العباس ابا اليسر
كعب بن عمرو اخا بني سلمة وكان ابو اليسر رجلا مجموعا وكان العباس رجلا جسيما فقال رسول الله ﷺ
لا في اليسر كيف اسرت العباس يا ابا اليسر فقال يا رسول الله لقد اعانني عليه رجل ما رأته قبل ذلك

ولا بدمه هيأته كذا وكذا فقال ^{وَالَّذِينَ} لقد اعانك عليه ملك كريم
 قوله تعالى (١٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا
 تُؤَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (١٦) وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا أَوْ مُنْحِيضًا إِلَى
 فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٧) فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ
 اللَّهُ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ
 سَمِيعٌ عَلِيمٌ (ثلاث آيات)

✽ اللفظة ✽

اللقاء الاجتماع على وجه المقاربة لأن الاجتماع قد يكون على غير وجه المقاربة فلا يكون لقاء كاجتماع
 الأعراس في المحل الواحد والزحف الدنو قليلا قليلا والتزاحف التذاني يقال زحف يزحف زحفا وازحفت
 للقوم اذا دنوت لقتالهم وثبت لهم قال الليث الزحف جماعة يزحفون الى عدوهم بكرة وجمعه زحوف والتولية
 جعل الشيء يلي غيره يقال ولاء دبره اذا جعله يليه فهو يتعدى الى مفعولين ومنه ولاء البلد من ولاية الامارة
 وتولى هو اذا قبل الولاية واولاه نعمة لأنه جعلها تليه والتحرف الزوال عن جهة الاستواء الى جهة الحرف
 ومنه الاحتراف وهو ان يقصد جهة الحرف لطلب الرزق والمحارف المحدود عن جهة الرزق الى جهة الحرف
 ومنه حروف الهجاء لأنها اطراف الكلمة كحرف الجبل ونحوه والتحيز طلب حيز يتمكن فيه والحيز المكان
 الذي فيه الجوهر والفتنة القطعة من الناس وهي جماعة منقطعة عن غيرها وذكر الفتنة في هذا الموضع حسن
 جدا وهو من فأوت رأسه بالسيف اذا قطعه

✽ الإعراب ✽

زحفا نصب على المصدر وهو في موضع الحال لأن معناه منزاحفين مجتمعين ومنحرفا متحيزا منصوبان
 على الحال ايضا ويجوز ان يكون النصب فيهما على الاستثناء أي إلا أن يكون رجلا متحيزا او ان يكون منفردا
 فينحاز ليكون مع المقاتلة ويومئذ يجوز اعرابه وبنائه فالإعراب لأنه متمكن اضيف على تقدير الإضافة الحقيقية
 كقولك هذا يوم ذاك واما البناء فلأنه اضيف الى مبني اضافة غير حقيقية فأشبهه الأسماء المركبة

✽ المعنى ✽

لما امد الله سبحانه المسلمين بالملائكة ووعدهم النصر والظفر بالكفار نهام عقبيه عن الفرار فقال
 سبحانه (يا أيها الذين آمنوا) قيل انه خطاب لأهل بدر وقيل هو عام (اذا لقيتم الذين كفروا زحفا) أي
 متدائنين لقتالكم قال الزجاج معناه اذا واقفتموهم للقتال (فلا تولوهم الأدبار) يعني فلا تجعلوا ظهوركم
 مما يليهم أي فلا تنهزموا (ومن يؤلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ) أي ومن يجعل ظهره اليهم يوم القتال ووجهه الى جهة
 الانهزام واداد بقوله يومئذ ذلك الوقت ولم يرد به بياض النهار خاصة دون الليل (الا متحرفا لقتال) أي
 إلا تاركا موقفا الى موقف آخر اصلح للقتال من الاول عن الحسن وقيل معناه الا منعطفة مستطردا كأنه
 يطلب عورة يمكنه اصابتها فيتحرف عن وجهه ويرى انه يفر ثم يكر والحرب كرفر (او متحيزا الى فتنة)
 أي منحازا منضما الى جماعة من المسلمين يريدون العود الى القتال ليستعين بهم (فقد بآء بغضب من الله)

اي احتمل غضب الله واستحقته وقيل رجع بغضب من الله (وماواه جهنم) اي مرجعه الى جهنم (وبش
المصير) واكثر المفسرين على ان هذا الوعيد خاص بيوم بدر خاصة ولم يكن لهم يومئذ ان ينحازوا لانه لم
يكن يومئذ في الارض فئة للمسلمين فاما بعد ذلك فان المسلمين بعضهم فئة لبعض وهو قول ابي سعيد
الخدري وابن عباس في رواية الكلبي والحسن وقتادة والضحاك ووردت الرواية عن ابن عمر قال بعثنا رسول
الله ﷺ في سرية فلقوا العدو فجاس الناس جيضة واتينا المدينة فتخبأنا بها وقتلنا برسول الله
نحن الفرارون فقال بل انتم المكارون وانا فئتكم وقيل انه عام في جميع الاوقات وان من فر من الزحف اذا
لم يزيدوا على ضعفي المسلمين لحقه الوعيد عن ابن عباس في رواية اخرى وهو قول الجبائي وابي مسلم
ثم نفى سبحانه ان يكون المسلمون قتلوا المشركين يوم بدر فقال (فلم يقتلوهم ولكن الله قتلهم) وانما نفى
الفعل عن هو فعله على الحقيقة ونسبه الى نفسه وليس بفعل له من حيث كانت افعاله تعالى كالسبب لهذا
الفعل والمؤدي اليه من اقداره اياهم ومعونته لهم وتشجيع قلوبهم والقاء الرعب في قلوب اعدائهم والمشركين
حتى قتلوا (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) خطاب للنبي ذكر جماعة من المفسرين كابن عباس وغيره
ان جبرائيل (ع) قال للنبي ﷺ يوم بدر خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال رسول الله ﷺ لما
التقى الجمعان لعلي اعطني قبضة من حصا الوادي فناوله كفا من حصا عليه تراب فرمى به في وجوه القوم
وقال شامت الوجوه فلم يبق مشرك الا دخل في عينه وفمه ومنخرجه منها شي ثم ردفهم المؤمنون يقتلونهم
وبأسروهم وكانت تلك الرمية سبب هزيمة القوم وقال قتادة وانس ذكر لنا ان رسول الله ﷺ أخذ
يوم بدر ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وحصاة في ميسرة القوم وحصاة بين اظهريهم وقال شامت
الوجوه فانهمزوا فعلى هذا انما اضاف الرمي الى نفسه لانه لا يقدر احد غيره على مثله فانه من عجائب المعجزات
(وليبي المؤمنين منه بلاء حسنا) وليتم عليهم به نعمة حسنة اي فعل ذلك انعاما على المؤمنين والضمير في منه
راجع الى النصر اي من ذلك النصر ويجوز ان يكون راجعا الى الله تعالى (ان الله سميع) لدعائكم (عليه)
بافعالكم وضائركم وانما يقال للنعمة بلاء كما يقال للمضرة بلاء لان اصل البلاء ما يظهر به الامر من الشكر
والصبر فينتلي سبحانه عباده اي يختبرهم بالنعم ليظهر شكرهم عليها وبالمحن والشدائد ليظهر عندها الصبر
الموجب للاجر والبلاء الحسن هاهنا هو النصر والنعمة والاجر والثوبة

﴿النظم﴾

وقيل في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها وجهان ﴿احدهما﴾ انه سبحانه لما أمرهم بالقتال في
الآية المتقدمة ذكر عقيبها ان ما كان من الفتح يوم بدر وقهر المشركين انما كان بنصرته ومعونته تذكير بالنعمة
عن ابي مسلم ﴿والآخر﴾ انهم لما أمروا بالقتال ثم كان بعضهم يقول انا قتلنا فلانا وانا فعلت كذا

نزات الآية على وجه التشبيه لهم لتلايمجوا باعمالهم

قوله تعالى (١٨) ذَلِكَمُ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ (١٩) إِنَّ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ

الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ نُغْنِي عَنْكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ

وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عُنُقَهُمْ وَأَنْتُمْ

تَسْمَعُونَ (٢١) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ اربع آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الحجاز وابو عمرو ويعقوب برواية روح موهن بالتشديد غير ممنون كيد بالجرح على الاضافة وقرأ الباقر موهن بالتنوين والتخفيف كيد بالنصب وقرأ حفص عن عاصم موهن بالتخفيف كيد بالنصب وقرأ أهل المدينة وابن عامر وحفص وان الله مع المؤمنين بفتح الألف والباقر بكسر الألف

﴿ الحجة ﴾

من قرأ موهن فإلونه من اوهنته اي جعلته واهنا ومن شدد فإنه من وهنته كما يقال فرح وفرحته وكلاهما حسن ومن قرأ وان الله بكسر الهمزة فإنه قطعه مما قبله ويقويه انهم زعموا ان في حرف عبدالله والله مع المؤمنين ومن فتح الهمزة فوجهه أن يكون على تقدير ولأن الله مع المؤمنين اي لذلك لن تغني عنكم فتتكم

﴿ اللفظة ﴾

الاستفتاح طلب الفتح وهو النصر الذي تفتح به بلاد العدو والفتح ايضا الحكم ويقال للقاضي الفتح واصل الباب من الفتح الذي هو ضد الاغلاق والانتها. ترك الفعل لأجل النهي عنه يقال نهيتك فانتهى وامرته فانتهم

﴿ الاعراب ﴾

ذلكم موضعه رفع وكذلك ان الله في موضع رفع والتقدير الامر ذلكم والامر ان الله موهن وكذلك الوجه فيا تقدم من قوله ذلكم فذوقوه وان الكافرين عذاب النار ومن قال أن ذلكم مبتدأ واذوقوه خبره فقد أخطأ لأن ما بعد الفاء لا يكون خبر المبتدأ ولا يجوز زيد فمنطلق ولا يزيد فاضربه الا ان تضمر هذا تريد هذا زيد فاضربه

— المعنى —

(ذلكم) اشارة الى بلاء المؤمنين خاطبهم سبحانه بعد ان اخبر عنهم ومعناه الأمر ذلكم الانعام او ذلكم الذي ذكرت (وان الله موهن كيد الكافرين) باقائه العرب في قلوبهم وتقريب كلمتهم قال ابن عباس يقول اني قد اوهنت كيد عدوكم حتى قتلت جبابرتهم واسرت اشرفهم (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) قيل انه خطاب للمشركين فان ابا جهل قال يوم بدر حين التقى الفتيان اللهم اقطعنا للرحم واتانا بما لا نعرف فانصر عليه عن الحسن ومجاهد والزهري والضحاك والسدي وفي حديث ابي حمزة قال ابو جهل اللهم ربنا ديننا القديم ودين محمد الحديث فأني الدينين كان احب اليك وارضى عندك فانصر اهله اليوم وعلى هذا فيكون معناه ان تستنصروا لأهدى الفتيين فقد جاءكم النصر اي نصر محمد واصحابه وقيل انه خطاب للمؤمنين عن عطاء وابي علي الجبائي ومعناه ان تستنصروا على اعدائكم فقد جاءكم النصر بالنبي ﷺ قال الزجاج ويجوز ان يكون معناه ان تستحكموا وتستقضوا فقد جاءكم القضاء والحكم من الله (وان تنتهوا اي تمتنعوا من الكفر وقاتل الرسول والمؤمنين) فهو خير لكم وان تعودوا نعد) معناه وان تعودوا ايها المشركون الى قتال المسلمين نعد بأن نصرهم عليكم ونأمرهم بقتالكم (وان تغني عنكم فتتكم شيئا) اي وان تدفع عنكم جماعتكم شيئا (وان كثرت وان الله مع المؤمنين) بالنصر والحفظ يمكنهم منكم وينصرهم عليكم عن جماعة من المفسرين وقيل معناه وان تنتهوا ايها المسلمون عما كان منكم في الغنائم وفي الاسارى من مخالفة الرسول فهو خير لكم وان تعودوا الى ذلك الصنيع نعد الى الانكار عليكم وترك نصرتكم وان يغني عنكم حينئذ جمعكم شيئا اذ منعناكم النصر عن عطاء والجبائي ثم امر سبحانه بالطاعة التي هي سبب النصرة فقال (يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله) خص المؤمنين بطاعة الله ورسوله وان كانت واجبة على غيرهم ايضا لأنه لم يعتد بغيرهم لإعراضهم عما وجب عليهم ويجوز ان يكون انما خصهم اجمالا لا قدرهم ويدخل غيرهم فيه على طريق التبع (ولا تولوا عنه) اي ولا تعرضوا عن رسول الله ﷺ (وانتم تسمعون) دعاه لكم وامره ونهيه اياكم عن ابن عباس وقيل

معناه وانتم تسمعون الحجية الموجبة لطاعة الله وطاعة الرسول عن الحسن (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون) في الكلام حذف ومعناه ولا تكونوا كما هم في قولهم هذا المنكر فحذف المنهي عنه لدلالة الحال عليه وفي ذلك غاية البلاغة ومعنى قولهم سمعنا وهم لا يسمعون انهم سمعوه سماع عالم قابل له وليسوا كذلك والسماع بمعنى القبول كما في قوله سمع الله لمن حمده وهو لاء الكفار هم المنافقون عن ابن اسحاق ومقاتل وابن جريج والجائني وقيل هم أهل الكتاب من اليهود وقريظة والنظير عن ابن عباس والحسن وقيل انهم مشركو العرب لانهم قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا عن ابن زيد

قوله تعالى (٢٢) **إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يُعْقِلُونَ (٢٣) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (آيات)**

✽ اللغة ✽

الشر اظهر السوء الذي يبلغ من صاحبه وهو نقيض الخير وقيل الشر الضرر القبيح والخير النفع الحسن وقيل الشر الضرر الشديد والخير النفع الكثير وهذا ليس بالوجه لانه قد يكون ضررا ما لا يكون شرا بأن يعقب خيرا واصل الشر الإظهار من قوله

إذا قيل أي الناس شر قبيلة

والدواب جمع دابة وهي ما دب على وجه الارض الا انه تختص في العرف بالخيول

- المعنى -

ثم ذم سبحانه الكفار فقال (ان شر الدواب) اي شر من دب على وجه الارض من الحيوان (عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) يعني هؤلاء المشركين الذين لم ينتفعوا بما يسمعون من الحق ولا يتكلمون به ولا يعقدونه ولا يقرون به فكانهم صم بكم لا يتفكرون ايضا فيما يسمعون فكانهم لم ينتفعوا بقولهم ايضا وصاروا كالذباب وقال الباقر (ع) نزلت الآية في بني عبد الدار لم يكن اسلم منهم غير مصعب بن عمير وحليفهم يقال له سويط وقيل نزلت الآية في النضر بن الحارث بن كلدة من بني عبد الدار بن قصي (ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم) معناه ولو علم الله فيهم قبولا للهدي واقبالا على طلب الحق لاسمعهم ما يذهبون عن استماعه عن الحسن وقيل معناه لاسمعهم الجواب عن كل ما سألوا عنه عن الزجاج وقيل معناه لاسمعهم قول قصي بن كلاب فلانهم قالوا احي لنا قصي بن كلاب ليشهد بنبوتك عن الجائني (ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون) أي لا عرضوا وفي هذا دلالة على ان الله تعالى لا يمنع احدا من المكلفين اللطف وانما لا يلاطف لمن يعلم انه لا ينتفع به

قوله تعالى (٢٤) **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ نُحْشِرُونَ (٢٥) وَأَتَقُوا فِتْنَةَ لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ آيات**

✽ القراءة ✽

قرأ أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) وزيد بن ثابت وابو جعفر الباقر (ع) والربيع بن انس وابو العالية لتصيين والقراءة المشهورة لا تصيين

— الحجة —

قال ابن جني معنى هاتين القراءتين ضدان كما ترى لأن احدهما لتصيين الذين ظلموا خاصة والأخرى لاتصيينهم ويمكن ان يكون حذف الالف من لاتصيين تخفيفاً واكتفى بالفتحة منها كما قالوا ام والله ليكونن كذا فحذفوا الف اما وذهب ابو عثمان في قوله يا ابت بفتح التاء انه اراد يا ابتا فحذف الالف تخفيفاً فإن قلت فهل يجوز ان تحمله على انه اراد لتصيين ثم اشبع الفتحة فأنشأ عنها الفا كقول عنقرة «ينباع من ذفري غضوب جصرة» اراد ينبع ومثله قول ابن هرمة

فأنت من الغوائل حين ترمى ومن ذم الرجال بمنزح

اي بمنزح قيل قوله تعالى فيما يليه واعلموا ان الله شديد العقاب اشبه بما ذكرناه وأما الوجه في قوله لاتصيين فقد قال الزجاج زعم بعض النحويين ان هذا الكلام جزاء خبر وفيه طرف من النهي فإذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك او لا تطرحك فهذا جواب الأمر بلفظ النهي والمعنى ان تنزل عنه لا تطرحك فإذا أتيت بالنون الخفيفة او الثقيلة كان او كسد للكلام ومثله قوله تعالى يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان والمعنى ان تدخلوا لا يحطمنكم ويجوز ان يكون نهياً بعد أمر فيكون المعنى اتقوا فتنة ثم نهى بعده فقال لا تصيين الفتنة الذين ظلموا اي لاتعرضن الذين ظلموا لما ينزل بهم معه العذاب ويكون معنى يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم انها امرت بالدخول ثم نهتهم ان يحطمنهم سليمان فقات لا يحطمنكم سليمان وجنوده فلفظ النهي لسليمان ومعناه للنمل كما يقول لا أرينك هاهنا قال ابو علي انه حكى القول الاول على جهة احتمال الآية كاحتمالها للقول الثاني فاما القول الثاني فقول اي الحسن ولا يصح عندنا الا قول اي الحسن لأن قوله لاتصيين لا يحل اما ان يكون جواب شرط ولا يجوز ذلك لأن دخول النون فيه يكون ضرورة الشعر كما انشده سيبويه «ومها تشأ منه فزارة تمعا» واما ان يكون نهياً بعد امر فاستغنى عن استعمال حرف العطف معه لاتصال الجملة الثانية بالاولى كما مضى ذكر امثاله من قوله ثلاثه رابعهم كلبهم وأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وهذا هو الصحيح دون الأول قال ومحال ان يكون جواب الأمر بلفظ النهي كما يستحيل أن يكون جواب الشرط بلفظ النهي لأن جواب الأمر في الحقيقة جواب الشرط ولا يجوز ايضا ان يكون اللفظ لفظ النهي والمعنى معنى الجزاء لأن الجزاء خبر فحكمه ان يكون على الفاظ الاخبار وفاظ الاخبار لا تجي على لفظ الأمر الا فيما علمته من قولهم اكرم به وما يدل على انه ليس بجزء دخول النون فيه والنون لا تدخل في الجزاء لما ذكرناه خبر ولا يجوز دخول النون في الخبر الا في ضرورة الشعر نحو

ربما اوفيت في علمي ترفعن ثوبي شالات

✽ المعنى ✽

ثم امر سبحانه بطاعة الرسول ﷺ فقال (يا ايها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول) اي اجيبوا الله والرسول فيما يأمرانكم به فواجبة الله والرسول طاعتها فيما يدعوان اليه (اذا دعاكم) لما يجيبكم قيل فيه اقوال **احدها** ان معناه اذا دعاكم الى الجهاد واللام في معنى الى قال القتيبي هو الشهادة فالن الشهداء احياء عند الله تعالى وقال الجبائي اي دعاكم الى احياء امركم واعزاز دينكم بجهاد عدوكم مع نصر الله اياكم وهو معنى قول الفراء **وثانيها** ان معناه اذا دعاكم الى الايمان فإنه حياة القلب والكفر موته عن السدي وقيل الى الحق عن مجاهد **وثالثها** ان معناه اذا دعاكم الى القرآن والعلم في الدين لأن الجهل موت والعلم حياة والقرآن سبب الحياة بالعلم وفيه النجاة والعصمة عن قتادة **ورابعها** ان معناه اذا دعاكم الى الجنة لما فيها من الحياة الدائمة ونعيم الأبد عن ابي مسلم (واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه) أي يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بالموت

فلا يمكنه استدراك ما فات فبادروا الى الطاعات قبل الحيلولة ودعوا التسوية عن الجبائي قال وفيه حث على الطاعة قبل حلول المانع وقيل معناه انه سبحانه أقرب اليه من قلبه وهو نظير قوله ونحن أقرب اليه من جبل الوريد فإن الحائل بين الشي وغيره أقرب الى ذلك الشي من ذلك الغير عن الحسن وقتادة قالا وفيه تحذير شديد وقيل معناه انه سبحانه يملك قلب القلوب من حال الى حال كما جاء في الدعاء يا مقلب القلوب والابصار فكأنهم خافوا من القتال فأعلمهم سبحانه انه يبذل خوفهم أمناباً أن يحول بينهم وبين ما يتفكرون فيه من اسباب الخوف وروى يونس بن عمار عن ابي عبد الله (ع) قال انه يحول بين المرء وقلبه معناه لا يستطيع القلب ان الحق باطل ابداً ولا يستطيع القلب ان الباطل حق ابداً وروى هشام بن سالم عنه عنه قال معناه يحول بينه وبين ان يعلم ان الباطل حق او ردهما العياشي في تفسيره وقال محمد بن اسحاق معناه لا يستطيع القلب ان يكتم الله شيئاً وهذا في معنى قول الحسن (وانه اليه تحشرون) معناه واعلموا انكم تحشرون أي تجمعون للجزاء على اعمالكم يوم القيامة ان خيراً فخير وان شراً فشر (واقوا فتنة لا تصين الذين ظلموا منكم خاصة) حذرهم الله تعالى من هذه الفتنة وامرهم ان يتقوها فكأنه قال اتقوا فتنة لا تقربوها فتصينكم لأن قوله لا تصين نهي مسوق على الأمر ولفظ النهي واقع على الفتنة وهو في المعنى للمأمورين بالاتقاء كقوله ولا تموتن الا وانتم مسلمون أي احذروا ان يدرككم الموت قبل ان تسلموا واختلف في معنى الفتنة هاهنا فقيل هي العذاب امر الله المؤمنين ان لا يقرؤا المنكرين اظهروهم فيعصمهم الله بالعذاب والخطاب لاصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة عن ابن عباس والجبائي وقيل هي البلية التي يظهر باطن امر الانسان فيها عن الحسن قال ونزلت في علي وعمار وطلحة والزبير وقد قال الزبير لقد قرأنا هذه الآية زماناً وما ارانا من اهلها فإذا نحن المعينون بها فخالفنا حتى أصابتنا خاصة وقيل نزلت في أهل بدر خاصة فاصابتهم يوم الجمل فاقتتلوا عن السدي وقيل هي الضلالة وافتراق الكلمة ومخالفة بعضهم بعضاً عن ابن زيد وقيل هي الهرج الذي يركب الناس فيه بالظلم ويدخل ضرره على كل احد ثم اختلف في اصابة هذه الفتنة على قولين احدهما انها جارية على العموم فتصيب الظالم وغير الظالم اما الظالمون فمعدوبون واما المؤمنون فمستحزون محصون عن ابن عباس وروى انه سئل عنها فقال ابهوا ما ابههم الله والثاني انها تخص الظالم لأن الغرض منع الناس عن الظلم وتقديره واتقوا عذابا يصيب الظلمة خاصة ويقويه قراءة من قرأ تصين الذين ظلموا منكم خاصة باللام فإنه تفسيره على هذا المعنى وقيل لا في قوله لا تصين زائدة ويجوز ان يقال ان الأنف لا لا لشباع الفتحة على ما تقدم ذكره قال ابو مسلم تقديره احذروا ان يخض الظالم منكم بعذاب اي لا تظلموا فإياتيكم عذاب لا ينجو منه الا من زال عنه اسم الظالم (واعلموا ان الله شديد العقاب) لمن لم يتق المعاصي وروى الثعلبي باسناده عن حذيفة انه قال اتاكم فتن كقطع الليل المظلم يهلك فيها كل شجاع بطل وكل راكب موضع وكل خطيب مصقع وفي حديث ابي ايوب الانصاري ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعمار يا عمار انه سيكون بعدي هنات حتى يختلف السيف فيما بينهم وحتى يقتل بعضهم بعضاً وحتى يبرأ بعضهم من بعض فإذا رأيت ذلك فعليك بهذا الاصع عن يميني علي بن ابي طالب (ع) فإن سلك الناس كلهم واديا وسلك علي واديا فاسلك وادي علي وخل عن الناس يا عمار ان علياً لا يردك عن هدى ولا يداك على ردى يا عمار طاعة علي طاعتي وطاعتي طاعة الله رواه السيد ابو طالب الهروي باسناده عن علقمة والاسود قالا اتينا أبا ايوب الانصاري الخبر بطوله وفي كتاب شواهد التنزيل للحاكم ابي القاسم الحسكاني وحدثنا عنه ابو الحمد مهدي بن تزار الحسني حدثني محمد بن القاسم بن احمد قال حدثنا ابو سعيد محمد بن الفضيل بن محمد قال حدثنا محمد بن صالح العزمي قال حدثنا عبد الرحمن بن ابي حاتم قال حدثنا ابو سعيد الأشج عن ابي خلف الاسمر عن ابراهيم بن طهمان عن سعيد بن ابي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية واتقوا فتنة قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من ظلم علياً بعد وفاتي فكأنما جرد

بنفوتي ونبو الانبياء قبلي

قوله تعالى (٢٦) وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ آية

اللغة

الذكر ضد السهر وهو احضار المعنى للنفس والاستضعاف طاب ضعف الشيء بتوهم حاله والتخطف الأخذ بسرعة انتزاع يقال تخطف وخطف واختطف

المعنى

ثم ذكر سبحانه حالهم الساقطة في القلة والضعف وانعامه عليهم بالنصر والتأييد والتكثير فقال (واذكروا) معشر المهاجرين (إذ أنتم قليل) في العدد وكانوا كذلك قبل الهجرة في ابتداء الإسلام (مستضعفون) يطلب ضعفكم بتوهم امرم (في الأرض) اي في مكة عن ابن عباس والحسن (تخافون ان يتخطفكم الناس) اي يستلبكم المشركون من العرب ان خرجتم منها وقيل انه يعني بالناس كفار قريش عن قتادة وعكرمة وقيل فارس والروم عن وهب (فاوأمكم) اي جعل لكم مأوى ترجعون اليه يعني المدينة دار الهجرة (وايدكم بنصره) اي قوامكم (ورزقكم من الطيبات) يعني الغنائم أهلها لكم ولم يحلها لأحد قبلكم وقيل هي عامة في جميع ما اعطاهم من الاطعمة اللذيذة (اعلكم تشكرون) اي لكي تشكروا والمعنى قابلا حالكم التي انتم عليها الان بتلك الحال المتقدمة ليقين لكم موضع النعمة فتشكروا عليها

قوله تعالى (٢٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨) وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ آيات

اللغة

الحيانة منع الحق الذي قد ضمن التأدية فيه وهي ضد الأمانة واصلا ان تنقص من أنتمك أمانته قال زهير وبارزة الفقارة لم يخنها
اي لم ينقص من فرائدها
قطاف في الركاب ولا خلا.

الاعراب

وتخونوا مجزوم على النهي وتقديره ولا تخونوا عن الاخفش وهو في معنى قول ابن عباس وقيل انه نصب على الظرف مثل قول الشاعر

لاتنه عن خلق وتأتي مثله
عار عليك اذا فعلت عظيم
وهو في معنى قول السدي

النزول

قال عطا سمعت جابر بن عبد الله يقول ان ابا سفيان خرج من مكة فاتى جبرائيل (ع) النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان ابا سفيان في مكان كذا وكذا فاخرجوا اليه واكتبوا قال فكتب اليه رجل من المنافقين ان محمدا يريدكم فخذوا حذرکم فأتزل الله هذه الآية وقال السدي كانوا يسمعون الشيء من النبي صلى الله عليه وسلم فيفشونه حتى يبلغ المشركين وقال الكلبي والزهرى تزلت في ابي ابابة بن عبد المنذر الانصاري وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود قريظة لحدى وعشرين ليلة فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على ما صلح عليه اخوانهم من بني النضير

على أن يسيروا إلى اخوانهم إلى اذرعاء واربعا من ارض الشام فأبى أن يعطيهم ذلك رسول الله ﷺ إلا ان يتزولوا على حكم سعد بن معاذ فقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لأن عياله وماله وولده كانت عندهم فبعثه رسول الله ﷺ فاتاهم فقالوا ما ترى يا ابا لبابة أنزل على حكم سعد بن معاذ فأشار ابو لبابة بيده إلى حلقه انه الذبيح فلا تفعلوا فاتاه جبرائيل (ع) فأخبره بذلك قال ابو لبابة فوالله ما زالت قدماي من مكانها حتى عرفت اني قد خنت الله ورسوله فتزات الآية فيه فلما تزلت شد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت اريتوب الله علي فمكث سبعة ايام لا يذوق فيها طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له يا ابا لبابة قد تيب عليك فقال لا والله لأحل نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده ثم قال ابو لبابة ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال النبي ﷺ يجزئك الثلث ان تصدق به وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليها السلام

- المعنى -

ثم امرهم الله سبحانه بترك الخيانة فقال (يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول) اي لا تخونوا الله بترك فرائضه والرسول بترك سنته وشرائعه عن ابن عباس وقيل ان من ترك شيئا من الدين وضعه فقد خان الله ورسوله عن الحسن (وتخونوا أماناتكم) يعني الاعمال التي أتمن الله عليها العباد يعني الفرائض التي يقول لا تنقصوها عن ابن عباس وقيل انهم اذا خانوا الله والرسول فقد خانوا أماناتهم عن السدي (وانتم تعلمون) ما في الخيانة من الذم والعقاب وقيل وانتم تعلمون انها أمانة من غير شبهة (واعلموا) اي وتحققوا وابقوا (انما أموالكم واولادكم فتنة) اي بلية عليكم ابتلاك الله تعالى بها فإن ابا لبابة حمله على ما فعله ماله الذي كان في ايديهم واولاده الذين كانوا بين ظهرانيهم (وان الله عنده اجر عظيم) لمن اطاعه وخرج إلى الجهاد ولم يخن الله ورسوله وذلك خير من الأموال والاولاد بين سبحانه بهذه الآية انه يختبر خلقه بالأموال والاولاد ليتبين الراضي بقسمه ممن لا يرضى به وان كان سبحانه اعلم بهم من انفسهم ولكن ليظهر الافعال التي بها يستحق الثواب والعقاب وإلى هذا أشار أمير المؤمنين علي (ع) في قوله لا يقولن أحدكم اللهم اني اعوذ بك من الفتنة لأنه ليس أحد الا هو مشتمل على فتنة ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلات الفتنة فإن الله تعالى يقول واعلموا انما أموالكم واولادكم فتنة وقد روي هذا المعنى عن ابن مسعود ايضا

قوله تعالى (٢٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ آية

✽ المعنى ✽

(يا ايها الذين آمنوا) اي يا ايها المؤمنون (ان تتقوا الله) أي ان تتقوا عقاب الله باتقائه معاصيه واداء فرائضه (يجعل لكم فرقانا) اي هداية ونورا في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل عن ابن جريج وابن زيد وقيل معناه يجعل لكم مخرجا في الدنيا والآخرة عن مجاهد وقيل يجعل لكم نجاة عن السدي وقيل يجعل لكم فتحا ونصرا كما قال يوم الفرقان يوم التقى الجمعان عن الفراء وقيل يجعل لكم عزا في الدنيا وثوابا في الآخرة وعقوبة وخذلانا لاعدائكم وذلا وعقابا كل ذلك يفرق بينكم وبينهم في الدنيا والآخرة عن الجبائي (ويكفر عنكم سيئاتكم) التي عملتموها ويغفر لكم ذنوبكم والله ذو الفضل العظيم (على خلقه بما انعم عليهم من انواع النعم فلماذا ابتدأهم بالفضل العظيم من غير استحقاق) كرماء منه وجودا فإنه لا يمنهم ما استحقوه بطاعتهم له وقيل معناه اذا ابتدأ بنعيم الدنيا من غير استحقاق فعليه اتمام ذلك بنعيم الآخرة باستحقاق وغير استحقاق

* النظم *

قيل اتصلت الآية بأول السورة من الأمر بالجهاد وتقديره ان تتقوا الله ولم تخالفوه فيما امركم به من الجهاد يجعل لكم فرقانا وقيل انه لما امر بالطاعة وترك الخيانة بين بعده ما اعده لمن امتثل امره في الدنيا والآخرة قوله تعالى (٣٠) واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين آية

* اللغة *

المكر الميل الى جهة الشر في خفية قال الازهري المكر من الناس خب وخداع ومن الله جزاء وأصل المكر الاتفاف من قولهم جارية مكورة قال ذو الرمة

عجزاء مكورة خمصانة قلق عنها الأشاخ وتم الجسم والقصب

اي ملتفة والفرق بين المكر والغدر ان الغدر نقض العهد الذي يجب الوفاء به والمكر قد يكون ابتداء من غير عقد والاثبات الحبس يقال رماه فاثبتته اي حبسه مكانه واثبتته في الحرب اذا جرحه جراحة مشقة

= النزول =

قال المفسرون انها نزلت في قصة دار الندوة وذلك ان نفرا من قريش اجتمعوا فيها وهي دار قصي بن كلاب وتامروا في امر النبي ﷺ فقال عروة بن هشام نتربص به ريب المنون وقال ابو البخترى اخرجوه عنكم تستريحوا من اذاه وقال ابو جهل ما هذا برأي ولكن اقتلوه بان يجتمع عليه من كل بطن رجل فيضربوه باسيافهم ضربة رجل واحد فيرضى حينئذ بنو هاشم بالدية فصوب ابلدس هذا الرأي وكان قد جاءهم في صورة شيخ كبير من اهل نجد وخطأ الاولين فاتفقوا على هذا الرأي واعدوا الرجال والسلاح وجاء جبرائيل (ع) فأخبر رسول الله ﷺ فخرج الى الغار وأمر عليا (ع) فبات على فراشه فلما أصبحوا فقتلوا عن الفراش وجدوا عليا وقد رد الله مكرهم فقالوا اين محمد فقال لا ادري فاقنصوا أثره وارسلوا في طلبه فلما بلغوا الجبل ومروا بالغار رأوا على بابهم نسيج العنكبوت فقالوا او كان هاهنا لم يكن نسيج العنكبوت على بابهم فكش فيه ثلاثا ثم قدم المدينة

* المعنى *

(واذ يمكر بك الذين كفروا) اي واذ كره اذ يحتمل الكفار في ابطال امرك ويدبرون في هلاكك وهم مشركو العرب منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة والنضر بن الحارث وابو جهل بن هشام وابو البخترى بن هشام وزمعة بن الاسود وحكيم بن حزام وأميمة بن خلف وغيرهم (ليثبتوك) اي ليقيدوك ويثبتوك في الوثاق عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقنادة وقيل ليثبتوك في الحبس ويسجنوك في بيت عن عطا والسدي وقيل معناه ليخنوك بالجراحة والضرب عن ابان بن تغلب والجبائي وابو حاتم وانشد

فقلت ويحك ماذا في صحيفتكم قالوا الخليفة امسى مشبها وجما

(او يقتلوك او يخرجوك) من مكة الى طرف من اطراف الارض وقيل او يخرجوك على بعير ويطردونه حتى يذهب في وجهه (ويمكرون ويمكر الله) اي ويدبرون في امرك ويدبر الله في امرهم عن ابي مسلم وقيل ويمكرون في امرك من حيث لا تشمر فأحل الله بهم ما اراد من عذابه من حيث لا يشعرون عن الجبائي وقيل يمكرون والله تعالى يجازيهم على مكرهم كما قال سبحانه وجزاء سيئة سيئة مثلها (والله خير الماكرين)

لأنه لا يترك إلا ما هو حق وصواب وهو انزال المكروه بمن يستحقه والعباد قد يمتكرون مكرًا هو ظلم وباطل ومكرهم الذي هو عدل لا يبلغ في المنفعة للمؤمنين مبلغ مكر الله فلذلك قال خير الماكرين وقيل معناه خير المجازين على المكر

﴿ النظم ﴾

الآية اتصلت بقوله واذكروا اذ انتم قليل فتقديره واذكروا تلك الحال واذكروا ما مكر الكفار بمكة عن ابي مسلم وغيره وقيل انها يتصل بما قبلها من قوله ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا يعني يجعل لكم نجاه كما جعل للنبي ﷺ واصحابه النجاه من مكر مشركي قريش فاذكروا ذلك قوله تعالى (٣١) واذ تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الاأساطير الأولين (٣٢) واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطرنا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم (٣٣) وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون (٣٤) وما لهم الا ليعذبهم الله وهم يصدّون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون اربع آيات

﴿ الاعراب ﴾

هو الحق هو فصل لا محل له من الاعراب ويسميه الكوفيون عمادا والحق منصوب بأنه خبر كان ويجوز فيه الرفع ولكن لم يقرأ به واللام في قوله ليعذبهم لام الجحد وأصلها لام الاضافة وانما دخلت في النفي ولم تدخل في الايجاب لتعلق الخبر بحرف النفي كما دخلت الباء في خبر ما ولم تدخل في الايجاب وموضع ان من قوله ان لا يعذبهم الله نصب لأن تقديره وما لهم في ان لا يعذبهم الله اي شيء لهم في ذلك لكن لما حذف الجار عمل معنى الفعل الذي هو الاستقرار ونحوه وانما جاز الحذف مع ان ولم يجزم مع المصدر لطول الكلام بالصلة اللازمة من الفعل والفاعل وليس كذلك المصدر

« المعنى »

ثم اخبر سبحانه عن عناد هؤلاء الكفار ومباہنتهم للحق فقال (واذ تتلى عليهم آياتنا) من القرآن (قالوا قد سمعنا) اي ادر كنا بأذاننا فإن السماع ادراك الصوت بحاسة الأذن (لو نشاء لقلنا مثل هذا) انما قالوا ذلك مع ظهور عجزهم عن الايمان بسورة مثله بعد التحدي عدواة وعمادا وقد تحمل الانسان شدة العدواة على ان يقول ما لا يعلم وقيل انما قالوا ذلك لأنه لم ينقطع طمعهم من القدرة عليه في المستقبل اذ القرآن كان مر كيا من كلمات جارية على الستمه فطمعوا ان يأتى لهم في ذلك المستقبل بخلاف صيرورة العصا حبة في انه قد انقطع طمعهم عن الايمان بمثله اذ جنس ذلك لم يكن في مقدورهم (ان هذا الأساطير الأولين) معناه ما هذه الاحاديث الأولين تلوها علينا وكان قائل هذا النضر بن الحارث بن كعدة وأسر يوم بدر قتله رسول الله ﷺ وعقبة بن ابي معيط قال يا علي بن النضر ابغيه فأخذ علي بشعره وكان رجلا جميلا له شعر فجاء به الى النبي ﷺ فقال يا محمد اسألك بالرحم بيني وبينك الا اجرتني كرجل من قريش ان قتلتهم قتلتي وان فاديتهم فاديتني فقال ﷺ لارحمه بيني وبينك قطع الله الرحم بالإسلام قدمه

يا علي فاضرب عنقه فاضرب عنقه ثم قال يا علي علي بعقبة فأحضر فقال يا محمد ألم تقل لا تصبر قریش ای لا یقتلون صبیرا فقال صلى الله عليه وسلم وأنت من قریش إنما أنت عالج من أهل صفورية والله لا أنت في الميلاد أكبر من أبيك الذي تدعى له قال فمن للصبية قال صلى الله عليه وسلم النار ثم قال حن قدح ليس منها قال سعيد بن جبیر قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلاثة نفر من قریش صبیراً المطعم بن عدي والنضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط (واذ قالوا) ای واذا ذكر يا محمد اذ قالوا ای قال هؤلاء الكفار (اللهم ان كان هذا) الذي جاء به محمد (هو الحق من عندك) دون ما نحن عليه (فامطر علينا حجارة من السماء) كما امطرته علي قوم لوط (اولئتنا بعذاب اليم) ای شديد مؤلم والقائل لذلك النضر بن الحارث ایضا عن سعيد بن جبیر ومجاهد وروى في الصحيحين ان هذا من قول ابي جهل ويسأل هاهنا فيقال لم طلبوا العذاب من الله بالحق وإنما يطلب بالحق الخیر والثواب والاجر والجواب انهم كانوا يعتقدون ان ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ليس بحق من الله وإذا لم يكن حقاً لم يصبهم شيء ويقال لم قال امطر من السماء والامطار لا يكون إلا من السماء وفي هذا جوابان صلى الله عليه وسلم احدهما صلى الله عليه وسلم انه يجوز ان يكون امطار الحجارة من مكان عال غير السماء صلى الله عليه وسلم والثاني صلى الله عليه وسلم انه على طريق البيان ثم قال سبحانه (وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم) ذكر سبحانه سبب امهالهم ومعناه وما كان الله يعذب اهل مكة بعذاب الاستئصال وانت مقيم بين أظهرهم لفضلك وحرمتك يا محمد فان الله تعالى بعثك رحمة للعالمين فلا يعذبهم إلا بعد ان يفعلوا ما يستحقون به سلب النعمة باخراجك عنهم قال ابن عباس إن الله سبحانه لم يعذب قومه حتى اخرجوه منها (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) معناه وما كان الله يعذبهم وفيهم بقية من المؤمنين بعد خروجك من مكة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج من مكة بقيت فيها بقية من المؤمنين لم يهاجروا بعذر وكانوا على عزم الهجرة فرفع الله العذاب عن مشركي مكة لحرممة استغفارهم فلما خرجوا أذن الله في فتح مكة عن ابن عباس وعطية والضحاك واختاره الجبائي وقيل معناه وما يعذبهم الله بعذاب الاستئصال في الدنيا وهم يقولون غفرانك ربنا وانما يعذبهم على شركهم في الآخرة عن ابن عباس في رواية اخرى وهزید بن رومان وابي موسى ومحمد بن مبشر وفي تفسير علي بن ابراهيم لما قال النبي صلى الله عليه وسلم لقریش اني اقتل جميع ملوك الدنيا واجري الملك اليكم فأجيبوني الى ما ادعوكم اليه تملكون بها العرب وتدين لكم العجم فقال ابو جهل اللهم ان كان هذا هو الحق الآية حسداً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال غفرانك اللهم ربنا فانزل الله وما كان الله ليعذبهم الآية ولما هوما بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرجوه من مكة انزل الله سبحانه وما لهم إلا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام الآية فعذبهم الله بالسيف يوم بدر وقتلوا وقيل معناه انهم لو استغفروا لم يعذبوا وفي ذلك استدعاء الى الاستغفار عن ابن عباس في رواية اخرى والسدي و قتادة وابن زيد قال مجاهد وفي اصلاهم من يستغفر وقال عكرمة وهم يسلمون فأراد بالاستغفار الاسلام وقد روي عن أمير المؤمنين علي (ع) انه قال كان في الأرض أمانان من عذاب الله وقد رفع احدهما فدونكم الآخرة فتمسكوا به وقرأ هذه الآية وروي ذلك عن قتادة ايضاً (وما لهم الا يعذبهم الله) معناه ولم لا يعذبهم الله وای أمر يوجب ترك تعذيبهم (وهم يصدون عن المسجد الحرام) ای يمنعون عن المسجد الحرام اوليائه فحذف لأن ما بعده يدل عليه (وما كانوا اوليائه) ای وما كان المشركون اولياء المسجد الحرام وان سعوا في عمارته (ان اوليائه الا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون) معناه وما اولياء المسجد الحرام الا المتقون عن الحسن

وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وقيل معناه وما كانوا أولياء الله إن أولياء الله إلا المتقون الذين يتركون معاصي الله ويحبتونها والأول أحسن ويسأل فيقال كيف يجمع بين الآيتين وفي الأولى نفي تعذيبهم وفي الثانية إثبات ذلك وجوابه على ثلاثة أوجه * أحدها * أن المراد بالأول عذاب الاصطلام والاستئصال كما فعل بالأمة الماضية وبالتالي عذاب القتل بالسيف والأسر وغير ذلك بعد خروج المؤمنين من بينهم * والآخر * أنه أراد وما لهم أن لا يعذبهم الله في الآخرة ويريد بالأول عذاب الدنيا عن الجبائي * والثالث * أن الأول استدعاء للاستغفار يريد أنه لا يعذبهم بعذاب دنيا ولا آخرة إذا استغفروا وتابوا فإذا لم يفعلوا عذبوا ثم بين أن استحقاقهم العذاب بصددهم الناس عن المسجد الحرام قوله تعالى (٣٥) وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَنَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ آية

* القراءة *

يروى في الشواذ عن عاصم وما كان صلاتهم بالنصب إلا مكاء وتصدي بالرفع وروى أيضا عن ابان بن تغلب

* الحجة *

قال ابن جني لسنا ندفع أن جعل اسم كان نكرة وخبرها معرفة قببح وإنما جاءت منه إبيات شاذة لكن من وراء ذلك ما ذكره وهو أن نكرة الجنس تفيد مفاد معرفته الأترك تقول خرجت فإذا اسد بالباب فتجد معناه فإذا الاسد بالباب ولا فرق بينهما وذلك أنك في الموضعين لا تريد اسدا واحدا معينا وإنما تريد واحدا من هذا الجنس وإذا كان كذلك جاز هنا الرفع في مكاء وتصدي جوازا قريبا كأنه قال وما كان صلاتهم إلا هذا الجنس من الفعل ولا يكون مثل قولك كان قائم أخاك لأنه ليس في قائم معنى الجنسية وأيضا فإنه يجوز مع النفي ما لا يجوز مع الإيجاب الأترك تقول ما كان انسان خيرا منك ولا تجيز كان انسان خيرا منك

* اللفظة *

المكاء الصفير والمكاء طائر يكون بالحجاز له صفير بالشد يد يقال مكأ مكأ مكاء إذا صفر بفيه قال عنترة وحليل غانية تركت مجدلا تمكو فريصته كشدق الأعمى والتصدي التصفيق وهو ضرب اليد على اليد ومنه الصدى صوت الجبل ونحوه

* المعنى *

ثم وصف سبحانه صلاتهم فقال (وما كان صلاتهم عند البيت) يعني هو لا المشركين الصادقين عن المسجد الحرام (الإمكاء وتصدي) قال ابن عباس كانت قریش يطوفون بالبيت عراة يصفرون ويصفقون وصلاتهم معناه دعاؤهم أي يقيمون المكاء والتصدي مكان الدعاء والتسبيح وقيل أراد ليس لهم صلاة ولا عبادة وإنما يحصل منهم ما هو ضرب من اللهو واللعب فالمسلمون الذين يطيعون الله ويمبدونه عند هذا البيت أحق بمنع المشركين منه وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى في المسجد الحرام قام رجلان من بني عبد الدار عن يمينه فيصفران ورجلان عن يساره يصفقان بأيديهما فيخلطان عليه صلاته فقتلهم الله جميعا بيدروا ولم

يقول ولبقية بني عبد الدار (فذوقوا العذاب) يعني عذاب السيف يوم بدر عن الحسن والضحاك وقيل عذاب الآخرة وعلى هذا يكون في الكلام حذف أي يقال لهم إذا عذبوا ذوقوا العذاب (بما كنتم تكفرون) بتوحيد الله قوله تعالى (٣٦) **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ** (٣٧) **لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ثلاث آيات بصري آيات عند غيرهم عند البصري يغلبون آية

✽ اللغة ✽

الحسرة الغم بما انكشف من فوت استدراك الخطيئة واصله الكشف من قولهم حسر عن ذراعه يحسر حسراً والتمييز اخراج الشيء عما خالفه مما ليس منه والحاقة بما هو منه يقال مبرزه ويميزه فامتاز وانما الازهري الركم جمعك شيئاً فوق شيء حتى تجعله ركاماً ركاماً وهو التراكم بمضه فوق بعض

✽ النزول ✽

قيل نزلت في ابي سفيان بن حرب استأجر يوم أحد الفين من الاحابيش يقاتل بهم النبي ﷺ سوى من استجاشهم من العرب وفيهم يقول كعب بن مالك

فجئنا الى موج من البحر وسطهم
ثلاثة الاف ونحن بقية
احابيش منهم حاسر ومقنع
ثلاث مئين ان كثرنا فاربع

عن سعيد بن جبير ومجاهد وقيل نزلت في المطميين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلاً ابو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وابو البختري بن هشام والنضر بن الحارث وحكيم بن حزام وابي بن خلف وزمعة بن الاسود والحبرث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب وكاهم من قريش وكان كل يوم يطعم واحد منهم عشر جزر وكانت النوبة يوم الهزيمة للعباس عن الكلابي والضحاك ومقاتل وقيل لما اصيبت قريش يوم بدر ورجع فلهم الى مكة مشى صفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل في رجال من قريش اصيب آباؤهم واخوانهم ببدر فكلموا اباسفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة فقالوا يا معشر قريش إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال الذي افلت على حربنا لعلنا أن ندرك منه ثأراً بن اصيب منا ففعلوا فانزل الله فيهم هذه الآية رواه محمد بن اسحاق عن رجاله

— المعنى —

ثم ذكر سبحانه انفاق المشركين اموالهم في معصية الله تعالى فقال (ان الذين كفروا ينفقون اموالهم) في قتال الرسول والمؤمنين (ليصدوا عن سبيل الله) اي ليمنعوا بذلك الناس عن دين الله الذي اتى به محمد ﷺ وانما قال ليصدوا وان كانوا لم يقصدوا ذلك من حيث لم يعلموا ان ذلك دين الله لان فعلهم ذلك كان صدا عن دين الله وان لم يقصدوا ذلك (فسينفقونها) معناه فسيفقونها لانهم لا يتفقون عليهم حسرة) معناه ثم ينكشف لهم ويظهر من ذلك الانفاق ما يكون حسرة عليهم من حيث انهم لا يتفقون بذلك الانفاق لا في الدنيا ولا في الآخرة بل يكون وبالاً عليهم (ثم يغلبون) في الحرب اي يغلبهم

المؤمنون وفي هذا دلالة على صحة نبوة النبي ﷺ لأنه أخبر بالشيء قبل كونه فوجد على ما أخبر به (والذين كفروا إلى جهنم يحشرون) أي يجمعون إلى النار بعد تحسّرهم في الدنيا ووقوع الظفر بهم وقتلهم وإنما أعاد قوله والذين كفروا لأن جماعة ممن انفقوا أسلموا بعد فخص منهم من مات على كفره بوعيد الآخرة (ليميز الله الخبيث من الطيب) معناه ليميز الله نفقة الكافرين من نفقة المؤمنين (ويجعل الخبيث بعضه على بعض) أي ويجعل نفقة المشركين بعضها فوق بعض (فيركبه) أي فيجعله (جميعاً) في الآخرة (فيجعلها في جهنم) فيعاقبهم به كما قال يوم يحمى عليها في نار جهنم الآية وقيل معناه ليميز الله الكافر من المؤمن في الدنيا بالغبلة والنصر والأسماء الحسنة والأحكام المخصوصة وفي الآخرة بالثواب والجنة عن أبي مسلم وقيل بأن يجعل الكافر في جهنم والمؤمن في الجنة ويجعل الخبيث بعضه على بعض في جهنم بضيقها عليهم فيركبه جميعاً أي يجمع الخبيث حتى يصير كالسحاب المراكوم بأن يكون بعضهم فوق بعض في النار مجتمعين فيها فيجعلها في جهنم أي يدخله جهنم (أو أنك هم الخاسرون) قد خسروا أنفسهم لأنهم اشتروا بانفاق الأموال في المعصية عذاب الله في الآخرة

قوله تعالى (٣٨) قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ (٣٩) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤٠) وَإِنْ تَوَلَّوْا فاعلموا أن الله مولى لكم نعم المولى ونعم النصير ثلاث آيات = اللغة =

الانتهاؤ الاقلاع عن الشيء لأجل النهي يقال نهى عن كذا فأنهى والسنة والطريقة والسيرة نظائر قال

فلا تجزعن من سنة أنت سررتها فأول راضي سنة من يسيرها

والسلوف التقدم والتولي عن الدين الذهاب عنه إلى خلافه والتولي فيه هو الذهاب إلى جهة الحق ومتابعته

✽ الاعراب ✽

وان تولوا شرط وقوله فاعلموا ان الله مولاكم أمر في موضع الجواب وإنما جاز ذلك لأن فيه معنى

الخبر فكانه قال فواجب عليكم العلم بأن الله مولاكم

✽ المعنى ✽

ثم أمر سبحانه نبيه ﷺ بدعائهم إلى التوبة والإيمان فقال (قل) يا محمد (للذين كفروا ان ينتهوا)

أي يتوبوا عما هم عليه من الشرك ويمتنعوا منه (يغفر لهم ما قد سلف) أي ما قد مضى من ذنوبهم وقيل

معناه ان ينتهوا عن المحاربة إلى المهادنة يغفر لهم ما قد سلف من المعاقبة (وان يعودوا فقد مضت سنة الأولين)

معناه وان يعودوا إلى القتال واصروا على الكفر فقد مضت سنة الله في آباءكم وعادته في نصر المؤمنين

وكبت أعداء الدين والأسر والاسترقاق وإنما ذكر ذلك تحذيراً لهم واطراف السنة اليهم لأنها كانت

تجري عليهم وقال سنة من قدارسلنا فأضاف السنة إلى الرسل لأنها كانت تجري على أيديهم ثم قال ولا تجد

استننا تحويلاً فأضاف إلى نفسه لأنه هو المجري لها (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) هذا خطاب للنبي ﷺ

والمؤمنين بأن يقاتلوا الكفار حتى لا تكون فتنة أي شرك عن ابن عباس والحسن ومعناه حتى لا يكون

كافر بغير عهد لأن الكافر اذا كان بغير عهد كان عزيزا في قومه يدعو الناس الى دينه فتكون الفتنة في الدين وقيل حتى لا يفتن مؤمن عن دينه (ويكون الدين كله لله) اي ويجتمع اهل الحق واهل الباطل على الدين الحق فيما يعتقدونه ويعملون به اي ويكون الدين حينئذ كله لله باجماع الناس عليه وروى زرارة وغيره عن ابي عبد الله (ع) انه قال لم يجبي تأويل هذه الآية ولو قام قائما بعد سيرى من يدركه ما يكون من تأويل هذه الآية وليلقن دين محمد ﷺ ما بلغ الليل حتى لا يكون مشرك على ظهر الارض كما قال الله تعالى يعبدونني لا يشركون بي شيئا (فان اتهموا) عن الكفر (فان الله بما يعملون بصير) معناه فان رجعوا عن الكفر واتهموا عنه فان الله يجازيهم باعمالهم مجازاة البصير بها باطنها وظاهرها لا يخفى عليه منها شيء (وان تولوا) عن دين الله وطاعته (فاعلموا) اي المؤمنون (ان الله مولاكم) اي ناصركم وسيدكم وحافظكم (نعم المولى) اي نعم السيد والحافظ (ونعم النصير) هو ينصر المؤمنين ويمينهم على طاعته ولا يتخذل من هو ناصره قوله تعالى (٤١) وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقْيُ الْأَجْمَعِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ آيَةٌ

اللغة

الغنيمة ما اخذ من اموال اهل الحرب من الكفار بقنال وهي هبة من الله تعالى للمسلمين والفي ما اخذ بغير قتال وهو قول عطاء ومذهب الشافعي وسفيان وهو المروي عن أئمتنا (ع) وقال قوم الغنيمة والفي واحد وادعوا ان هذه الآية ناسخة للتي في الحشر من قوله ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل الآية واليتيم الذي مات ابوه وهو صغير قبل البلوغ وكل حيوان يتيم من قبل امه الا الانسان فإنه من قبل ابيه والمسكين الذي تحمل له الصدقة وهو المحتاج الذي من شأنه أن تسكنه الحاجة عما ينهض به الفنى وابن السبيل المسافر المنقطع به في سفره وإنما قيل ابن السبيل لأن السبيل اخرجته الى هذا المستقر كما اخرجته ابوه الى مستقره

الإعراب

فان لله خمسة قيل في فتح ان قولان * احدهما * ان تقديره فعل ان لله خمسة ثم حذف حرف الجر * والآخر * انه عطف على ان الاولى وحذف خبر الاولى لدلالة الكلام عليه وتقديره اعلموا انما غنمتم من شيء يجب قسمته فاعلموا ان لله خمسة

المعنى

ثم بين سبحانه حكم الغنيمة فقال سبحانه مخاطبا للمسلمين (واعلموا انما غنمتم من شيء) اي بما قل او كثر (فان لله خمسة وللرسول ولذي القربى) اختلف العلماء في كيفية قسمة الخمس ومن يستحقه على اقوال * أحدها * ما ذهب اليه اصحابنا وهو ان الخمس يقسم على ستة اسهم فسهم لله وستهم للرسول وهذان السهمان مع سهم ذي القربى للإمام القائم مقام الرسول ﷺ وسهم لبتامى آل محمد وسهم لمساكينهم وسهم لأبناء سبيلهم لا يشركم في ذلك غيرهم لأن الله سبحانه حرم عليهم الصدقات لكونها اوساخ الناس

وعوضهم من ذلك الخمس وروى ذلك الطبري عن علي بن الحسين زين العابدين (ع) ومحمد بن علي الباقر عليهما السلام وروي ايضا عن ابي العالية والربيع انه يقسم على ستة اسهم الا انها قالا سهم الله للكعبة والباقي لمن ذكره الله وهذا القسم مما يقتضيه ظاهر الكتاب وقويه والثاني ان الخمس يقسم على خمسة اسهم وان سهم الله والرسول واحد ويصرف هذا السهم الى الكراع والسلاح وهو المروي عن ابن عباس وابراهيم وقتادة وعطو الثالث ان يقسم على اربعة اسهم سهم ذي القربى لقراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والا سهم الثلاثة لمن ذكروا بعد ذلك من سائر المسلمين وهو مذهب الشافعي والرابع انه يقسم على ثلاثة اسهم لأن سهم الرسول قد سقط بوفاته عندهم لأن الأنبياء لا يورثون فيما يزعمون وسهم ذي القربى قد سقط لأن ابا بكر وعمر لم يعطيا سهم ذي القربى ولم ينكر ذلك احد من الصحابة عليها وهو مذهب ابي حنيفة واهل العراق ومنهم من قال لو اعطى فقراء ذوي القربى سهما والآخرون ثلاثة اسهم جاز ولو جعل ذوو القربى اسوة الفقراء ولا يفرد لهم سهم جاز واختلف في ذوي القربى فقيل هم بنو هاشم خاصة من ولد عبد المطلب لأن هاشم لم يعقب الا منه عن ابن عباس ومجاهد واليه ذهب اصحابنا وقيل هم بنو هاشم بن عبد مناف وبنو المطلب بن عبد مناف وهو مذهب الشافعي وروي ذلك عن جبير بن مطعم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال اصحابنا ان الخمس واجب في كل فائدة تحصل للانسان من المكاسب وارباح التجارات وفي الكنوز والمعادن والفروص وغير ذلك مما هو مذکور في الكتب ويمكن ان يستدل على ذلك بهذه الآية فان في عرف اللغة يطلق على جميع ذلك اسم الغنم والغنيمة ونعود الى تأويل الآية قوله (فان لله خمسة) قالوا افتتح الكلام بالله على جهة التيمن والتبرك لأن الاشياء كلها له عز وجل والمراد به مصروف الى الجهات المقربة الى الله تعالى وللرسول قالوا كان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم سهم من خمسة اسهم يصرفه في موثته وما فضل من ذلك يصرفه الى الكراع والسلاح والمصالح ولذي القربى قال بعضهم سقط هذان السهمان بموت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على ما ذكرناه قال الشافعي يصرف سهم الرسول الى الخليل والكراع في سبيل الله وسهم ذي القربى لبني هاشم وبني المطلب يستحقونه بالاسم والنسب فيشترك فيه الغني والفقير وروي عن الحسن وقتادة ان سهم الله وسهم الرسول وسهم ذي القربى للإمام القائم من بعده ينفقه على نفسه وعياله ومصالح المسلمين وهو مثل مذهبنا (واليتامى والمساكين وابن السبيل) قالوا ان هذه الاسهم الثلاثة لجميع الناس وانه يقسم على كل فريق منهم بقدر حاجتهم وقد بينا ان عندنا يختص باليتامى من بني هاشم ومساكينهم وابناء سبيلهم (ان كنتم آمنتم بالله) قال الزجاج يجوز ان يكون ان كنتم آمنتم معلقة بقوله فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير ان كنتم آمنتم بالله (وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان) اي فاقنوا ان الله ناصركم ان كنتم قد شاهدتم من نصره ما قد شاهدتم ويجوز ان يكون ان كنتم آمنتم بالله معناه اعلموا ان ما غنمتم من شيء فان لله خمسة وللرسول يأمر ان فيه بما يريد ان كنتم آمنتم بالله فاقبلوا ما أمرتم به من الغنيمة واعملوا به وما انزلنا على عبدنا اي وآمنتم بما انزلنا على محمد من القرآن وقيل من النصر وقيل من الملائكة اي علمتم ان ظفركم على عدوكم كان بنا يوم الفرقان يعني يوم بدر لأن الله تعالى فرق فيه بين المسلمين والمشركين باعزاز هو لا وقع أو تلك يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا وجمع الكافرين وهم بين تسعمائة الى الف من صناديد قريش وروسانهم فهزموهم وقتلوا منهم زيادة على السبعين وأمروا منهم مثل ذلك وكان يوم بدر

يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان من سنة اثنتين من الهجرة على رأس ثمانية عشر شهراً وقيل كان التاسع عشر من شهر رمضان وقد روي ذلك عن أبي عبد الله (ع) (والله على كل شيء قدير) قد مر تفسيره في سورة البقرة وفي تفسير الثعلبي قال المنهال بن عمر وسأت علي بن الحسين (ع) وعبد الله بن محمد ابن علي عن الخمس فقالوا هل لنا فقلت لملي ان الله يقول واليتامى والمساكين وابن السبيل فقال يتامانا ومساكيننا وروى العياشي بإسناده عن أبي عبد الله (ع) قال كتب نجدة الحروري الى ابن عباس يسأله عن موضع الخمس فكتب اليه ابن عباس أما الخمس فإننا نزعناه لنا ويزعم قومنا انه ليس لنا فصبرنا وعن أبي عبد الله (ع) قال ان الله تعالى لما حرم علينا الصدقة أنزل لنا الخمس فالصدقة علينا حرام والخمس لنا حلال والكرامة لنا حلال

قوله تعالى (٤٢) إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافِمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٣) إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتَهُمْ كَثِيرًا قَلْبًا لَمُتْنَا وَكَلِمَاتُ اللَّهِ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤٤) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّيَمُّنِ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ثلاث آيات كوفي أربع آيات عند غيرهم

القراءة

قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالعدوة بكسر العين والباقون بضمها وقرأ نافع وأبو بكر عن عاصم والبرقي عن ابن كثير حيي بإظهار اليائين والباقون حي بالادغام

الحجة

الكسر والضم في العدوة ائتان قال الراعي في الكسر

وعينان حمّ ما قيها
وقال أوس بن حجر في الضم

وفارس لا يحل الحي عدوته
ومن ادغم حي فللزوم الحركة في الثاني فجرى مجرى ردوا اذا خبروا عن جماعة قالوا حيوا فحفظوا
وقد جاء مدغماً نحو حيوا قال

عيوا بأمرهم كما
عيت ببيضتها الحمامة
ومن اختار الاظهار فلا متناع الادغام في مضارعه وهو يجي فاجري الماضي على شاكاة المستقبل

اللغة

العدوة شفير الوادي والوادي عدوتان وهما جانباه والجمع عدى وعدي والدنيا ثابث الادنى من دنوت والقصوى ثابث الاقصى وما كان من النعوت على فطلى من بنات الواو فان العرب تحوله الى الباء

نحو الدنيا والعليا استقلوا الواو مع ضم الأول الا ان أهل الحجاز قالوا القصوى فآظرو الواو وهو نادر وغيرهم يقولون القصيا والاقصى الأبعد والقصا البعد وقصوت منه اقصو اي تباعدت والركب جمع راكب مثل شارب وشرب وصاحب وصحب والعلو قرار تحته قرار والسفل قرار فوفه قرار والنوم ضرب من السهو يزول معه معظم الحس والمنام موضع النوم كالمضطجع موضع الاضطجاع والقلة نقصان عن عدة كما ان الكثرة زيادة على عدة والفشل ضعف من فزع والفعل منه فشل يفشل والتنازع الاختلاف الذي يحاول كل واحد نزع صاحبه مما هو عليه والسلامة النجاة من الآفة واسلم الإنسان دخل في السلامة وأسلمه اسلما دفعه عن السلامة وسلمه اذا نجاه واستلم الحجر اذا طلب لمسه على السلامة والصدر الموضع الأجل يكون فيه القلب وصدر المجلس أجله لأنه موضع الرئيس والالتقاء اجتماع الاتصال لأن الاجتماع قد يكون في معنى من غير اتصال كاجتماع القوم في الدار وان لم يكن هناك اتصال ويقال للمسكرين اذا تصافوا التقيا لوقوع العين على العين

✽ الإعراب ✽

انما نصب اسفل لأن تقديره بمكان اسفل او في مكان اسفل فهو في موضع جر فهو غير منصرف ويجوز أن يكون منصوبا على الظرف على تقدير والركب مكانا اسفل منكم قال الزجاج ويجوز أن ترفع اسفل على انك تريد والركب اسفل منكم أي أشد تسفلا

✽ المعنى ✽

ثم بين سبحانه نصرته للمسلمين بيدر فقال سبحانه (إذ أنتم) ايها المسلمون (بالعدوة الدنيا) قال ابن عباس يريد والله تقدير على نصركم وانتم أذلة إذ انتم نزول بشفير الوادي الاقرب إلى المدينة (وهم) يعني المشركين اصحاب النفير (بالعدوة القصوى) أي نزول بالشفير الاقصى من المدينة (والركب) يعني اباسفيان واصحابه وهم العير (اسفل منكم) أي في موضع اسفل منكم إلى ساحل البحر قال الكلبي كانوا على شط البحر ثلاثا اميال فذكر الله سبحانه مقارنة الفتيين من غير ميعاد وما كان المسلمون فيه من قلة الماء والرمل الذي تسوخ فيه الارجل مع قلة العدد والعدة وما كان المشركون فيه من كثرة العدد والعدة ونزولهم على الماء والعير اسفل منهم وفيها اموالهم ثم مع هذا كله نصر المسلمين عليهم ليعلم ان النصر من عنده سبحانه (ولو تواعدتم لاختلتم في الميعاد) معناه لو تواعدتم ايها المسلمون للاجتماع في الموضع الذي اجتمعتم فيه ثم بلغكم كثرة عددهم مع قلة عددكم لتأخرتم فنقضتم الميعاد عن ابن اسحق وقيل معناه لاختلتم بما تعرض من العوائق والقواطع فذكر الميعاد لتأكيد امره في الاتفاق ولولا لطف الله مع ذلك لوقع على الاختلاف كما قال الشاعر

جرت أرياح على محل ديارهم فكأنهم كانوا على ميعاد

(ولكن يقضي الله أمراً كان مفعولاً) معناه ولكن قدر الله تعالى التقاءكم وجمع بينكم وبينهم على غير ميعاد منكم يقضي الله أمراً كان كائناً لا محالة وهو اعزاز الدين وأهله وإذلال الشرك وأهله ومعنى يقضي ليظهر قضاءه إذ الله تعالى قد قضى ما هو كائن ومعنى قوله مفعولاً أي واجبا كونه لا محالة يقال للأمر الكائن لا محالة هذا امر مفروغ منه وقيل معناه ليتم امرا كان في علمه مفعولاً لا محالة من إظهار الإسلام واعلاء كنيته على عبدة الأصنام (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) اي فعل ذلك ليموت من مات منهم بعد قيام الحجية عليه بما رأى من المعجزات الباهرة للنبي ﷺ في حروبه وغيرها ويعيش من عاش منهم بعد قيام الحجية

عليه وقيل ان البينة هي ما وعد الله من النصر للمؤمنين على الكافرين صار ذلك حجة على الناس في صدق النبي ^{صلى الله عليه وسلم} فيما اتاهم به من عند الله وقيل معناه ليهلك من ضل بعد قيام الحجة عليه فتكون حياة الكافر وبقاؤه هلاكا له ويحيى من ما هتدى بعد قيام الحجة عليه فيكون بقاء من بقي على الإيمان حياة وقوله عن بينة يعني بمديان (وان الله لسميع) لأقوالهم (عليهم) بما في ضمائرهم فهو يجازيهم بحسب ما يكون منهم (إذ يريكم الله) العامل في إذ ما تقدم وتقديره أتاكم النصر إذ كنتم بشفير الوادي إذ يريكم الله وقيل العامل فيه محذوف وتقديره واذكر يا محمد إذ يريكم الله أي يريك الله يا محمد هؤلاء المشركين الذين قاتلوكم يوم بدر (في منامك قليلا ولو أراكم كثيرا لفشتم ولتنازعتهم في الأمر) معناه يريكم الله في نومك قليلا لتخبر المؤمنين بذلك فيجترى المؤمنون على قتالهم وهذا قول أكثر المفسرين وهذا جائز لأن الرؤيا في النوم هي تصور يتوهم معه الرؤية في اليقظة ولا يكون إدراكا ولا علما بل كثير مما يراه الانسان في نومه يكون تعبيره بالعكس مما رآه كما يكون تعبير البكاء ضحكا قال الرماني ويجوز أن يري الله الشيء في المنام على خلاف ما هو به لأن الرؤيا في المنام تخيل للمعنى من غير قطع وان جامعه قطع من الانسان على المعنى وإنما ذلك على مثل ما يخيل السراب ماء من غير قطع على انه ماء ولا يجوز أن يلهمه اعتقادا للشيء على خلاف ما هو به لأن ذلك يكون جهلا لا يجوز ان يفعله الله سبحانه والرؤيا على اربعة اقسام رؤيا من الله عز وجل ولها تأويل ورؤيا من وساوس الشيطان ورؤيا من غلبة الاخلاط ورؤيا من الافكار وكلها اضغاث احلام إلا الرؤيا من قبل الله تعالى التي هي الهام في المنام ورؤيا النبي ^{صلى الله عليه وسلم} هذه كانت بشارة له وللمؤمنين بالغلبة وقال الحسن معنى قوله في منامك في موضع نومك أي في عينك التي تنام بها وليس من الرؤيا في النوم وهو قول البلخي وهذا بعيد لأنه خلاف الظاهر (ولو أراكم كثيرا) على ما كانوا عليه لجبنتم عن قتالهم وضعفتم ولتنازعتهم في امر القتال فكان يقول بعضهم تقاتلهم وبعض آخر يخالفونهم ويقول بعضهم لبعض تقدمت في القتال وتأخر هو بنفسه (ولكن الله سلم) أي سلم المؤمنين عن الفشل والتنازع واختلاف الكلمة واضطراب الامر بلطفه لهم وإحسانه اليهم حتى بلغوا ما أرادوه من عدوهم (انه عليهم بذات الصدور) أي بما في قلوبكم يعلم انكم لو علمتم كثرة عدوكم لرغبتم عن القتال (وإذ يريكم الله) إذ التقيتهم في أعينكم قليلا (الكاف والميم كناية عن المؤمنين والهاء والميم كناية عن المشركين اضافة الرؤيا في النوم إلى النبي ^{صلى الله عليه وسلم} لأن رؤيا الأنبياء لا تكون إلا حقا واطراف رؤية العين اليهم قلل الله المشركين في أعين المؤمنين ليشتد بذلك طمعهم فيهم وجراتهم عليهم وقلل المؤمنين في أعين المشركين لئلا يتأهبوا لقتالهم ولا يكثر ثوابهم فيظفر بهم المؤمنون وذلك قوله تعالى وبقالكم في أعينهم وقد وردت الرواية عن ابن مسعود قال قلت لرجل يجني أترامه سبعين رجلا فقال هم قريب من مائة وقد روي ان ابا جهل كان يقول خذوهم بالأيدي أخذوا ولا تقاتلوهم ومتى قيل كيف قللهم الله في أعينهم مع رؤيتهم لم قالوا فالقول انه يجوز ان يكون ذلك لبعض الاسباب المانعة من الرؤية اما بغير او ما شاكلة فتخيلوهم بأعينهم قليلا من غير رؤية عن الصحة لجمعهم وذلك لطف من الطاف الله تعالى (ليقضي الله امرا كان مفعولا) إنما كرره سبحانه مع ذكره في الآية الأولى لتكرار الفائدة لأن المعنى في الآية الأولى جمعكم من غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا من الالتقاء على تلك الصفة والمعنى هنا انه قلل كل فريق في عين صاحبه ليقضي امرا كان مفعولا من اعزاز الدين بجهادكم وقيل اراد بالأول الوعد بالنصرة يوم بدر وبالثاني الاستمرار على النصر وقيل إنما كرر للتأكيد وإنما قال كان مفعولا والمعنى يكون مفعولا في المستقبل لتحقيق كونه لا محالة حتى صار بمنزلة ما قد كان لعلمه سبحانه انه كائن لا محالة (وإلى الله ترجع الأمور) مر معناه

قوله تعالى (٤٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ

تُفْلِحُونَ (٤٦) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ
مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٧) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ثلاث آيات

❖ اللغة ❖

الريح الدولة قال عبيد بن الابرص

كما حينك يوم النصف عن شطب والفضل للقوم من ريح ومن عدد

اي من عزة ودولة والبطر الخروج عن موجب النعمة من شكرها واصل البطر الشق ومنه البيطار لانه يشق
اللحم بالمبضع والرياء اظهار الجليل ليرى مع ابطان القبيح

= الاعراب =

فتفشلوا منصوب باضمار ان على معنى جواب النهي ولذلك عطف عليه وتذهب ويصدون في محل نصب بالعطف
على قوله بطرا ورياء الناس ومما مصدران وضما موضع الحال والمعنى يبطرون ويراقون ويصدون ولا يجوز ان
يكون عطفاً على خروجوا إذ لا يعطف مستقبل على ماض

❖ المعنى ❖

ثم أمر سبحانه بالقتال والثبات في الحرب فقال (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة) أي جماعة كافرة (فانبتوا)
لقتالهم ولا تنهزموا وإنما اطلق الفئة لان من المعلوم ان المؤمن لا يقاتل الفئة الكافرة او الباغية فحذف للايجاز
(واذكروا الله كثيرا) مستعينين به على قتالهم ومتوقعين النصر من قبله عليهم وقيل معناه واذكروا ما وعدكم
الله تعالى من النصر على الأعداء في الدنيا والثواب في الآخرة ليدعوكم ذلك إلى الثبات في القتال (لعلكم
تفلحون) اي لكي تفلحوا وتنجحوا بالنصر والظفر بهم والثواب عند الله يوم القيامة (وأطيعوا الله ورسوله) فيما
يأمرانكم به (ولا تنازعوا فتفشلوا) أي لا تنازعوا في لقاء العدو ولا تختلفوا فيما بينكم فنجبتوا عن عدوكم
وتضعفوا عن قتالهم (وتذهب ريحكم) معناه تذهب صولتكم وقوتكم وقال مجاهد نصرتكم وقال الأخفش
دولتكم والريح ها هنا كناية عن نفاذ الأمر وجريانه على المراد تقول العرب هبت ريح فلان إذا جرى أمره
على ما يريد وركدت ريحه إذا ادير أمره وقيل إن المعنى ربح النصر التي يبعثها الله مع من بنصره على من يخذله
عن قتادة وابن زهد ومنه قوله ^{صلى الله عليه وسلم} نصرته بالصيا وأهلكت عاد بالدبور (واصبروا) على قتال الأعداء
(إن الله مع الصابرين) بالنصر والمعونة (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا) أي بطرين يعني قريشاً
خرجوا من مكة ليحرموا غيرهم فخرجوا معهم بالقيان والمعازف بشربون الخمر ويعزف عليهم القيان (ورثاء الناس)
قيل انهم كانوا يدينون بعبادة الاصنام فلما اظهروا التقرب بذلك إلى الناس كانوا مراثين وقيل انهم وردوا بدرأ
ليروا الناس انهم لا يبالون بالمسلمين وفي قلوبهم من الرعب ما فيه فسمى الله سبحانه ذلك رثاء (ويصدون عن
سبيل الله) أي ويمنعون غيرهم عن دين الله (والله بما يعملون محيط) أي عالم بأعمالهم فيجازيهم عليها ولا يخفى
عليه منها شيء

❖ القصة ❖

قال ابن عباس لما رأى ابو سفيان انه احرز غيره أرسل إلى قريش أن ارجعوا فقال ابو جهل والله لا نرجع
حتى نرد بدرأ وكان بدر موسم من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق كل عام فنقيم بها ثلاثا ونحتر الجزر

ونظم الطعام ونسقي الخمر وتعرف علينا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابونا أبدا فوافوها فسقوا كؤوس المنايا وناحت عليهم النوائح

قوله تعالى (٤٨) وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَ آتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ آية

المعنى *

(وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم) دخلت الواو عطفًا على حال المشركين في خروجهم بطرا ورفاء الناس يعني وفي وقت تزبين الشيطان أعمالهم وقيل انه يعني واذا كروا إذ زين الشيطان للمشركين أعمالهم أي حسنها في نفوسهم وذلك أن إبليس حسن لقريش مسيرهم إلى بدر لقتال النبي ﷺ (وقال لا غالب لكم اليوم من الناس) أي لا يغلبكم احد من الناس لكثرة عددكم وقوتكم (واني) أي مع ذلك (جار لكم) أي ناصر لكم ودافع عنكم السوء وقيل معناه واني عاقد لكم عقد الأمان من عدوكم من قوله ولا يجير ولا يجار عليه (فلما تراءت الفتنان) أي التقت الفرقتان (نكص على عقبيه) أي رجع القهقري منهزمًا وراءه (وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون) أي رجعت عما كنت ضمننت لكم من الأمان والسلامة لأنني ارى من الملائكة الذين جاءوا لنصر المسلمين ما لا ترون وكان إبليس يعرف الملائكة وهم كانوا يعرفونه (اني أخاف الله) أي أخاف عذاب الله على ايدي من أراهم (والله شديد العقاب) لا يطاق عقابه وقيل معناه اني أخاف أن يكون قد حل الوقت الذي انظرت اليه فإن الملائكة لا ينزلون إلا لقيام الساعة او للعقاب وقال قتادة كذب عدو الله ما به من مخافة ولكنه علم انه لا قوة له ولا منعة وذلك عادة عدو الله لمن اطاعه حتى إذا انتهى الحق والباطل اسلمهم وتبرأ منهم وعلى هذا فيكون قوله ارى ما لا ترون معناه اعلم ما لا تعلمون وأخاف الله أن يهلكني فيمن يهلك واختلف في ظهور الشيطان يوم بدر كيف كان فقيل إن قريشًا لما أجمعت المسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر ابن عبد مناف بن كنانة من الحرب وكاد ذلك ان يثنيهم فجاء إبليس في جند من الشيطان فتبدى لهم في صورة سراقة بن مالك بن جشم الكناني ثم المدلجي وكان من اشراف كنانة فقال لهم لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم أي مجير لكم من كنانة كما قال الشاعر

يا ظالمي أني تروم ظلامي والله من كل الحوادث جاري

فلما رأى إبليس الملائكة نزلوا من السماء وعلم انه لا طاقة له بهم نكص على عقبيه عن ابن عباس والسدي والكلبي وغيرهم وقيل انه لما التقوا كان إبليس في صف المشركين أخذًا بيد الحارث بن هشام فنكص على عقبيه فقال له الحارث ياسراقة ابن اتخذ لنا على هذه الحالة فقال له اني ارى ما لا ترون فقال والله ما ترى إلا جعاسيس يثرب فدفع في صدر الحرث وانطلق وانهم الناس فلما قدموا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم فقالوا إنك أتيتنا يوم كذا فحلف لهم فلما اسلموا علموا ان ذلك كان الشيطان عن الكلبي وروي ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وقيل ان إبليس لا يجوز أن يقدر على خلع صورته وليس صورة سراقة ولكن الله تعالى جعل إبليس في صورة سراقة علما للنبي ﷺ وإنما فعل ذلك لأنه علم انه لو لم يدع المشركين انسان الى قتال المسلمين فإنهم لا يخرجون عن ديارهم حتى يقاتلهم المسلمون لخوفهم من بني كنانة فصوره بصورة سراقة حتى تم المراد في إعزاز الدين عن الجبائي وجماعة وقيل ان إبليس لم يتصور في صورة الانسان وإنما قال ذلك لهم على وجه الوسوسة عن الحسن واختاره البخاري والاول هو

المشهور في التفسير ورأيت في كلام الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (رض) انه يجوز ان يقدر الله تعالى الجن ومن جرى مجراهم على أن يجتمعوا ويعتمدوا ببعض جواهرهم على بعض حتى يتمكن الناس من رؤيتهم ويتشبهوا بغيرهم من انواع الحيوان لأن اجسامهم من الرقة على ما يمكن ذلك فيها وقد وجدنا الانسان يجمع الهوا ويفرقه ويغير صور الاجسام الرخوة ضروبا من التغيير واعيانها لم تزد ولم تنقص وقد استفاض الخبر بأن ابليس تراءى لأهل دار الندوة في صورة شيخ من اهل نجد وحضر يوم بدر في صورة سراقا وان جبرئيل (ع) ظهر لأصحاب رسول الله ﷺ في صورة دحية الكبي قال وغير محال ايضا ان يغير الله تعالى صورهم ويكشفها في بعض الأحوال فيراهم الناس لضرب من الامتحان

قوله تعالى (٤٩) وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّهُ هَؤُلَاءِ دِينَهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٥٠) وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَكَّفُ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَصْرِيحُونَ بِأَجْسَمِهِمْ وَأَذْبَارُهُمْ وَذُفُوفُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥١) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ ثلاث آيات

✽ القراءة ✽

قرأ ابن عامر وحده إذ تتوفى بتاءين والباقون يتوفى بالياء والتاء

✽ الحجة ✽

ومن قرأ بالتاء فلا سند الفعل إلى الملائكة ومن قرأ بالياء فلأن التائيت غير حقيقي

✽ الاعراب ✽

العامل في إذ يجوز ان يكون الابتداء والتقدير ذلك إذ يقول ويجوز ان يكون التقدير اذ كر إذ يقول وجواب لو محذوف وتقديره لرأيت منظرا عظيما او امرا عجبيا وحذف الجواب هنا اوجز وابلغ فإن ذكره يخص وجهها واحدا ومع الحذف الاحتمال لوجوه كثيرة وموضع بما قدمت ايديكم يحتمل وجهين من الاعراب ✽ احدهما ✽ الرفع بكونه خبر ذلك ✽ والثاني ✽ النصب بأن يكون متصلا بمحذوف وتقديره ذلك جزاؤكم بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد يحتمل ان يكون محله نصبا بتقدير وبأن الله اوجرا على الخلاف فيه ويحتمل ان يكون محله رفعا بتقدير وذلك ان الله كما تقول ذلك هذا

✽ المعنى ✽

(إذ يقول المنافقون) هذا يتعلق بما قبله معناه واذا زين لهم الشيطان أعمالهم إذ يقول المنافقون فلذلك حذف الواو وهم الذين يبطنون الكفر ويظهرون الايمان (والذين في قلوبهم مرض) وهم الشاككون في الاسلام مع اظهارهم كلمة الايمان وقيل انهم فتية من قريش اسلموا بمكة واحتبسهم آباؤهم فخرجوا مع قريش يوم بدر وهم قيس بن الوليد بن المغيرة وعلي بن امية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج والحارث بن زمة وابو قيس بن الفاكهة بن المغيرة لما رأوا قلة المسلمين قالوا (غر هؤلاء دينهم) أي غر المسلمين دينهم حتى خرجوا مع قلتهم لأجل دينهم إلى قتال المشركين مع كثرتهم ولم يحسنوا النظر لأنفسهم حين اغتروا بقول رسولهم فيبين الله تعالى انهم هم المغرورون بقوله (ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم) معناه ومن يسلم لأمر الله ويثق به ويرض بفعله وإن قل عددهم فإن الله تعالى ينصرهم على اعدائهم وهو عزيز لا يغلب فكذلك لا يغلب من توكل عليه وهو حكيم بضع الامور مواضعها على ما تقتضيه الحكمة (ولو ترى) يا محمد (إذ يتوفى

الذين كفروا الملائكة) أي يقبضون ارواحهم عند الموت (يضربون وجوههم وأدبارهم) يريد استاهم ولكن الله سبحانه كفى عنها عن سعيد بن جبير ومجاهد وقيل وجوههم ما قبل منهم وأدبارهم ما دبر منهم والمراد يضربون اجسادهم من قدامهم ومن خلفهم والمراد به قتلى بدر عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وأكثر المفسرين وقيل معناه سيضربهم الملائكة عند الموت قال الرماني وهذا غلط لانه خلاف الظاهر وروى الحسن قال ابن رجلا قال بارسول الله إني رأيت بظهر أبي جهل مثل الشراك فقال ^{صلى الله عليه وسلم} ذلك ضرب الملائكة وروى مجاهد أن رجلا قال للنبي ^{صلى الله عليه وسلم} إني حملت على رجل من المشركين فذهبت لأضربه فندر فقال سبقك إليه الملائكة (وذوقوا عذاب الحريق) أي ويقول الملائكة للكفار استخفافا بهم ذوقوا عذاب الحريق بعد هذا في الآخرة وقيل انه كان مع الملائكة يوم بدر مقامع من حديد كما ضربوا المشركين بها التيهت النار في جراحاتهم فذلك قوله وذوقوا عذاب الحريق (ذلك) أي ذلك العقاب لكم (بما قدمت أي بما قدمتم) وقيل وإنما اضاف إلى اليد على التغليب لأن أكثر الأفعال تكون باليد والمراد بذلك يجنابتم الكفر والمعاصي (وان الله ليس بظلام للعبيد) أي لا يظلم عباده في عقوبتهم من حيث انه إنما عاقبهم بجناباتهم على قدر استحقاقهم وفي هذا دلالة واضحة على بطلان مذهب المجبرة في انه يخلق الكفر ثم يعذب عليه وانه يجوز أن يعذب من غير ذنب وان يأخذ بذنب غيره لأن هذا غاية الظلم وقد بالغ عز اسمه في نفي الظلم عن نفسه بقوله ليس بظلام للعبيد

قوله تعالى (٥٢) كذاب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوي شديد العقاب (٥٣) ذلك بأن الله لم يك مغرباً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيرها ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم (٥٤) كذاب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين ثلاث آيات

✽ اللغة ✽

الدأب العادة والطريقة يقال ما زال ذلك دأبه ودينه وديده قال الزجاج الدأب ادامة الفعل دأب بدأب في كذا إذا دام عليه وهو دأب بفعل كذا أي يجري فيه على عادة قال خداس بن زهير

وما زال ذلك الدأب حتى تحاذلت
هو وزن وارفضت سليم وعامر
والتغيير تصيير الشيء على خلاف ما كان بما لو شوهد لشوهد على خلاف ما كان

الإعراب

كذاب الكاف في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ كما يقول زيد خلفك فموضع خلفك رفع بأنه خبر المبتدأ واقظه نصب بالاستقرار وتقديره دأبهم كذاب آل فرعون لم يك أصله يكون فحذفت الواو للجزم ثم حذفت النون استخفافاً لكثرة الاستعمال مع انه لا يقع بالحذف اخلال بالمعنى لأن كان ويكون أم الافعال ألا ترى أن كل فعل فيه معناه لا نك إذا قلت ضرب فمعناه كان ضرب وبضرب معناه يكون يضرب فلما قويت بأنها أم الافعال وكثر استعمالها احتمل الحذف ولم يحتمل نظائرها ذلك مثل لم بصن

— المعنى —

ثم بين سبحانه أن حال هؤلاء الكفار كحال الذين من قبلهم فقال (كذاب آل فرعون) أي عادة هؤلاء المشركين في الكفر بمحمد ^{صلى الله عليه وسلم} كعادة آل فرعون (والذين من قبلهم) في الكفر بالرسول وما انزل اليهم وقيل معناه عقوبة الله تعالى لهؤلاء الكفار كعقوبته لآل فرعون وآل فرعون اتباعه والفرق بين آل

فرعون واصحاب فرعون أن الأصحاب مأخوذ من الصعبة وكثر في الموافقة في المذهب كما يقال اصحاب الشافعي
وإبي حنيفة يراد به الموافقة في المذهب ولا يقال آل الشافعي إلا لمن يرجعون إليه بالنسب إلا وكذا الاقرب (كفروا
بآيات الله) كما كفر هؤلاء (فأخذهم الله) أي فعاقبهم الله (بذنوبهم إن الله قوي) أي قادر لا يقدر احد على
منعه عن احلال العقاب بما يريد (شديد العقاب) لمن استحقه ولا يوصف الله سبحانه بأنه شديد لأن الشديد
هو المتداخل على صعوبة تفككه وانما وصف العقاب بالشدة دون نفسه وشبهه حال المشركين في تكذيبهم بآيات
الله بحال آل فرعون لأن تعجيل العقاب لهؤلاء بالإهلاك كتعجيله لأولئك بعذاب الاستئصال (ذلك) أي
ذلك الأخذ والعقاب لهم (بأن الله لم يك مغبرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) معناه بأن الله لم يكن
يزيل نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا هم عن احوالهم المرضية الى احوال لا يجوز لهم ان يغيروا إليها وهو ان
يستبدلوا المعصية بالطاعة وكفران النعمة بشكرها وقد يسلب الله تعالى النعمة على وجه المصلحة لا على وجه
العقاب امتحانا لمصلحة يعلمها في ذلك ولكن لا يسلبها بفعل النعمة على وجه العقاب. الا عن استحق العقاب
قال السدي النعمة التي انعمها الله عليهم محمد ﷺ انعم الله به على قريش فكفروا به وكذبوه فنقله الى الانصار
(وأن الله سميع) لأقوالهم (عليم) بضائرهم وبكل شيء (كذاب آل فرعون والذين من قبلهم) أي كما دعتهم
وطربقتهم في التكذيب بآيات الله عادة هؤلاء (كذبوا بآيات ربهم) أي بحججه وبياناته (فأهلكناهم بذنوبهم)
أي استأصلناهم (واغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين) أي كل هؤلاء المهلكين كانوا ظالمين لأنهم فلم
نعاقب فريقا منهم الا عن استحقاق وانما كرر قوله كذاب آل فرعون لأنه اراد بالأول بيان حالهم في استحقاق
عذاب الآخرة وفي الثاني بيان استحقاقهم لعذاب الدنيا وقيل انزل في الأول تشبيه حالهم بحال أولئك في
التكذيب وفي الثاني تشبيه حالهم بحالهم في الاستئصال وقيل ان الأول في اخذهم بالعذاب والثاني في كيفية
العذاب وقيل إن آل فرعون كانوا على احوال مختلفة في المعصية فيبين مشاركة هؤلاء ايهاهم في تلك الأحوال
قوله تعالى (٥٥) **إِنْ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٦) الَّذِينَ عَاهَدتْ**
مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْفُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ آيَاتان

✽ الإعراب ✽

فهم لا يؤمنون الفاء لعطف جملة على جملة وهو في الصلة كأنه قال كفروا مصممين على الكفر فهم لا يؤمنون
وإنما حسن عطف جملة اسمية على جملة فعلية لما فيها من التآدية إلى معنى الحال وذلك ان صابتهم في الكفر واصرارهم
عليه أدى إلى الحال في انهم لا يؤمنون وقوله ثم ينقضون عطف المستقبل على الماضي لأن الغرض ان من شأنهم
نقض العهد مرة بعد مرة في مستقبل اوقانهم بعد العهد اليهم

🌀 المعنى 🌀

ثم ذم سبحانه الكفار فقال (إن شر الدواب عند الله) أي شر من يدب على وجه الارض في معلوم الله
او في حكم الله (الذين كفروا) واستمروا على كفرهم (فهم لا يؤمنون) هذا اخيار عن قوم من المشركين
انهم لا يؤمنون ابدا فخرج المخبر على وفق الخبر فماتوا مشركين ثم وصفهم الله فقال (الذين عاهدت منهم) أي
من جماتهم والضمير العائد إلى الذين محذوف أي الذين عاهدت منهم أي من المشركين وقيل ان من مزبدة
وإنما دخلت لأن معنى عاهدت أخذت العهد منهم وكما قال ردف لكم لأن معنى ردف قرب فعومل بما يعامل به وقيل
معناه عاهدت معهم قال مجاهد أراد به يهود بني قريظة فإنهم كانوا قد عاهدوا النبي ﷺ على أن لا يضروا به
ولا يمالئوا عليه عدوا ثم مالا وأعليه الأحزاب يوم الخندق وأعانوهم عليه بالسلاح وعاهدوا مرة بعد أخرى فنقضوا

فانتقم الله منهم (ثم ينقضون عهدهم في كل مرة) اي كلما عاهدتهم نقضوا العهد ولم يفوا به (وهم لا يتقون) نقض العهد وقيل لا يتقون عذاب الله تعالى

قوله تعالى (٥٧) فَأَمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَنَزَّاهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ

(٥٨) وَإِنَّمَا تَخَافَنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ آيَاتَانِ

✽ اللغة ✽

التقف الظفر والادراك بسرعة والتشريد التفريق على اضطراب والخيانة نقض العهد فيما أوتمن عليه والنبد القاء الخبر إلى من لا يعلمه والسواء العدل قال الراجز

فاضرب وجوه الغرر الأعداء حتى يجيبوك إلى السواء

أي إلى العدل ومنه قيل للوسط سواء لاعتداله إلى الجهات قال حسان

يا وريح أنصار النبي ورهطه بعد المغيب في سوا الملحد

أي في وسطه وقيل عنى بقوله على سواء على استواء في العلم به

✽ الإعراب ✽

أما تثقفن واما تخافن دخلت نون التأكيدهما دخلتا ما ولو لم يدخل ما لما حسن دخول النون لأن دخول ما كدخول القسم في انه علامة تؤذن انه من مواضع تأكيد المطلوب من التصديق لأن النون يدخل لتأكيد المطلوب فيما يدل على الطلب وهي في ستة مواضع النهي والأمر والاستفهام والعرض والقسم والجزاء مع ما

✽ المعنى ✽

ثم حكم سبحانه في هؤلاء الناقضين للعهود فقال لنبيه ﷺ (فلو ما تثقفنهم في الحرب) معناه فإما تصادفهم في الحرب أي إن ظفرت بهم وادركتهم (فشردهم من خلفهم) أي فنكل بهم تنكيلا وأثر فيهم تأثيرا يشرد بهم من بعدهم ويظردهم ويمتعمهم من نقض العهد بأن ينظروا فيهم فيعتبروا بهم فلا ينقضوا العهد ويتفرقوا في البلاد مخافة أن تعاملهم بمثل ما عاملتهم به وإن يحل بهم ما حل بهم وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة وسعيد ابن جبير والسدي وقال الزجاج معناه أفعال بهم فعلا من القتل تفرق بهم من خلفهم وقيل إن معنى شردهم سمع بهم بلغة قريش قال الشاعر

أطوف في النواطح كل يوم مخافة أن يشرد بي حكيم

(لعلهم يذكرون) أي لكي يذكروا ويتعظوا وينزجروا عن مثل ذلك (واما تخافن من قوم خيانة) معناه وإن خفت يا محمد من قوم بينك وبينهم عهد خيانة فيه لأن الخيانة إنما تكون بعد تقدم العهد ولم يظهر منهم نقض العهد بعد (فانبذ إليهم على سواء) أي فالتق إليهم ما بينك وبينهم من العهد وأعلمهم بأنك قد نقضت ما شرطت لهم لتكون أنت وهم في العلم بالنقض على استواء ولا تبدأم بالقتال من قبل إن تعلمهم بنقض العهد حتى لا ينسبكوا إلى الغدر بهم فهذا معنى قوله على سواء وقيل معنى قوله على سواء على عدل أي إن كان بينك وبينهم عهد بغير مال فأعلمهم بأنك قد نقضت عهدهم وإن كان العهد على مال أفرد المال عليهم ثم انقض العهد (إن الله لا يحب الخائنين) أي ينقضهم معناه فلا تخنمهم بأن تبدأم بالقتال من غير اعلامهم بنقض العهد قال الواقدي هذه الآية نزلت في بني قينقاع وبهذه الآية سار النبي ﷺ إليهم

قوله تعالى (٥٩) وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ (٦٠) وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا
 اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمْ
 اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ (٦١) وَإِنْ جَنَحُوا
 لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثلاث آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر وابو جعفر وحمزة وحفص ولا يحسن بالياء والباقون بالتاء وقرأ ابن عامر انهم لا يعجزون بالفتح
 والباقون انهم بالكسر وقرأ رويس عن يعقوب ترهبون بالتشديد والباقون ترهبون بالتخفيف وقرأ ابو بكر للسلم
 بكسر السين والباقون بفتح السين

﴿ الحجة ﴾

من قرأ لا تحسبن بالتاء فالذين كفروا المفعول الأول وسبقوا جملة في موضع نصب بكونها المفعول الثاني
 ومن قرأ يحسن بالياء فلا يخلو من أن يكون جعل الذين كفروا الفاعل وهذا لا يجوز لأن يحسن لا بد له من
 مفعولين ولكنه محمول على احد ثلاثة اشياء اما أن يكون فاعله النبي ﷺ وتقديره ولا يحسن النبي ﷺ
 الذين كفروا سبقوا واما ان يكون تقديره على حذف إن كأنه قال لا يحسن الذين كفروا ان سبقوا
 فحذفت ان كما حذفتها في تأويل سيبويه في قوله أفغير الله تأمروني اعيد كأنه قال أفغير عبادته تأمروني قال
 الزجاج ويقوي هذا الوجه انها في حرف ابن مسعود انهم سبقوا وإذا كانت كذلك فهو بمنزلة قولك حسبت أن
 اقوم وحسبت اقوم على حذف ان وإذا وجهته على هذا فقد سد ان سبقوا مسد المفعولين كان قوله ألم أحسب الناس أن يتركوا أن
 يقولوا آمنا كذلك واما ان يكون اضمر المفعول الأول وتقديره ولا يحسن الذين كفروا انفسهم سبقوا وإياهم
 سبقوا ومن قرأ انهم لا يعجزون وبكسر الألف يكون على الاستئناف كما ان قوله ساء ما يكون منقطع من
 الجملة التي قبلها التي هي أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ومن قرأ انهم لا يعجزون جعله متعلقا بالجملة
 الأولى وتقديره لا تحسبنهم سبقوا لأنهم لا يفولون ومن قرأ ترهبون فلأن رهب يرهب رهبة بعدى تارة بالهمز
 وتارة بالتشديد فيقال رهبته وارهبته واما السلم والسلم فلفتان ومعناهما الصلح

﴿ اللفظة ﴾

السبق تقدم الشيء على طالب الحقوق به والاعجاز إيجاد ما يعجز عنه والعجز معنى عند ابي علي الجبائي والبي
 القسم البلخي وليس بمعنى عند ابي هاشم واصحابه بل هو عدم القدرة وذهب اليه المرتضى والاعداد اتخاذ الشيء
 لغيره مما يحتاج اليه في امره والاستطاعة معنى ينطاع بها الجوارح للفعل مع انتفاع المنع والرباط شد ايسر من العقد
 يقال ربطه يربطه رباطا ورباطة ورباطة ورباطا والارهاب ازعاج النفس بالخوف والجنوح الميل ومنه جناح الطائر
 لأنه يميل به في احد شقيه ولا جناح عليه اي لا ميل إلى ما ثم

﴿ الإعراب ﴾

لا يعجزون فتح النون هو القراءة ويجوز كسرها على معنى لا يعجزونني ويحذف النون الأولى لاجتماع
 التوئين كما قال الشاعر

تراه كالشمام يعل مسكا يسوه الغاليات إذا فلين

يريد فليني وآخرين من دونهم منصوب على تقدير وترهبون آخرين ويجوز أن يكون على تقدير وأعدوا لهم

ولا خربن فيكون مجروراً عطفاً على الماء والميم

— المعنى —

لما تقدم الأمر بقتال الكفار عقبه سبحانه بوعد النصر والأمر بالأعداد لقتالهم فقال (ولا تحسبن الذين كفروا) معناه ولا تحسبن يا محمد أعداءك الكافرين قد سبقوا أمر الله وأعجزوه وانهم قد فاتوك فإن الله سبحانه يظهرهم كما وعدك ويظهرك عليهم والسبق والقوت بمعنى واحد وقيل معناه لا تحسبن من افلت من هذه الحرب انه قد سبق إلى الحياة عن الزجاج والخطاب للرسول ﷺ والمراد به غيره وقيل انه إنما قاله تطيباً لقلبه في المارين كما طيب قلبه في المقتولين والمأسورين وعلى القراءة بالياء فالمعنى لا يحسبن الكافرون انفسهم سابقين او لا يحسبن الكافرون انهم سابقون (انهم لا يعجزون) أي لا يعجزون الله ولا يفوتونه حتى لا يبعثهم الله يوم القيامة عن الحسن وقيل معناه لا يعجزونك عن الجبائي (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) هذا امر منه سبحانه بأن يعدوا السلاح قبل لقاء العدو ومعناه وأعدوا للمشركين ما قدرتم عليه مما ينقوي به على القتال من الرجال والآلات الحرب وروى عقبه بن عامر عن النبي ﷺ ان القوة الرمي وعلى هذا فيكون معناه انه من القوة وقيل ان القوة اتفاق الكلمة والثقة بالله تعالى والرغبة في ثوابه وقيل القوة الحصون عن عكرمة (ومن رباط الخيل) أي ومن ربطها واقتنائها للغزو وهي من أقوى عدد الجهاد وروى عن النبي ﷺ انه قال ارتبطوا الخيل فإن ظهورها لكم عز واجوافها كنز وقيل ان القوة ذكور الخيل والرباط الإناث منها عن الحسن وعكرمة (ترهبون به) أي تخوفون بما تعدونه لهم (عدو الله وعدوكم) يعني مشركي مكة وكفار العرب (وآخرين من دونهم) أي وترهبون كفارا آخرين دون هؤلاء واختلّفوا في الآخرين فقيل انهم بنو قريظة عن مجاهد وقيل هم اهل فارس عن السدي وقيل هم المنافقون لا يعلم المسلمون انهم اعداؤهم وهم اعداؤهم عن الحسن وابن زيد (لا تعلمونهم) معناه لا تعرفونهم لأنهم يصلون وبصومون ويقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله ويختلطون بالمؤمنين (الله يعلمهم) أي يعرفهم لأنه المطلع على الأسرار وقيل هم الجن وهو اختيار الطبري قال لأن الأعداء دخل فيه جميع المتظاهرين بالعداوة فلم يبق إلا من لا يشاهد (وما تنفقوا من شيء في سبيل الله) أي في الجهاد وفي طاعة الله (يوف اليكم) أي يوفز عليكم ثوابه في الآخرة (وأنتم لا تظلمون) أي لا تنقصون شيئاً منه (وإن جنحوا للسلم) أي مالوا إلى الصلح وترك الحرب (فاجنح لها) أي مل اليها واقبلها منهم وإنما أنت لأن السلم بمعنى المسالمة (وتوكل على الله) أي فوض امرك إلى الله (إنه هو السميع العليم) لا تخفي عليه خافية وقيل ان هذه الآية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الآية عن الحسن وقتادة وقيل انها ليست بمنسوخة لأنها في المواعدة لأهل الكتاب والأخرى لعباد الأوثان وهذا هو الصحيح لأن قوله اقتلوا المشركين والآية الأخرى نزلتا في سنة تسع في سورة براءة وصالح رسول الله ﷺ وقد نجران بعدها

قوله تعالى (٦٢) وَإِنْ يَرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ
وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٣) وَاللَّفَّ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَأَلَكِنَّ
اللَّهُ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ آية بصري وابتان في الباقي

✽ اللغة ✽

الخدع والخدمة اظهار المحبوب في الامر مع ابطان المكروه والتأييد التمسكين من الفعل على اتم ما يصح فيه والأيد القوة والتأليف الجمع على تشاكل واختلاف في التأليف فائتبه بعضهم معنى ونفاه بعضهم والصحيح انه معني يحل محلين ولا يحصل من فعلنا إلا متولداً

— المعنى —

ثم خاطب الله سبحانه نبيه ﷺ فقال (وإن يريدوا أن يخدعوك) معناه وإن يريدون السذين يطلبون منك الصلح ان يخدعوك في الصلح بأن يقصدوا بالتاس الصلح دفع اصحابك والكف عن القتال حتى يقووا فيبدأوكم بالقتال من غير استعداد منكم (فإن حسبك الله) أي فإن الذي يتولى كفايتك الله (هو الذي ابديك بنصره وبالمؤمنين) أي هو الذي قواك بالنصر من عنده وابدك بالمؤمنين الذين ينصرونك على اعدائك (وألف بين قلوبهم) وأراد بالمؤمنين الأنصار وهم الأوس والخزرج عن ابي جعفر (ع) والسدي وأكثر المفسرين وأراد بتأليف القلوب بما كان بين الأوس والخزرج من المعادة والقتال فإنه لم يكن حبان من العرب بينهما من العداوة مثل ما كان بين هذين الحيين فألف الله بين قلوبهم حتى صاروا متوادين متحابين ببركة نبينا ﷺ وقيل أراد كل متحابين في الله عن مجاهد (لو انفتحت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم) أي لم يمكنك جمع قلوبهم على الإلفة وإزالة ضغائن الجاهلية (ولكن الله ألفت بينهم) بأن لطف لم بحسن تدبيره وبالإسلام الذي هداهم إليه (إنه عزيز حكيم) لا يمتنع عليه شيء يريد فعله ولا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة قال الزجاج وهذا من الآيات العظام وذلك أن النبي ﷺ بعث إلى قوم اقتتهم شديدة بحيث لو لطم رجل من قبيلة لطمه قاتل عنه قبيلته فألف الايمان بين قلوبهم حتى قاتل الرجل اباه واخاه وابنه فأعلم الله سبحانه أن هذا ما تولاه منهم إلا هو قوله تعالى (٦٤) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٦٥) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (٦٦) أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفِينَ يَا ذَنْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ثلاث آيات

✽ القراءة ✽

إن يكن منكم مائة بالياء فيهما كوفي والأول بالناء بصري ضعفاً بفتح الضاد كوفي الا الكسائي والباقون بضم الضاد ولكنهم سكنوا العين الا ابا جعفر فإنه قرأ ضعفاء على وزن فعلاء

✽ الحجة ✽

من قرأ بالياء فإنه اراد به المذكور بذلك على ذلك قوله تعالى يغلبوا وقرأ ابو عمرو وان تكن منكم مائة صابرة بالتاء كما انث صفة المائة وهي قوله صابرة كذلك انث الفعل ومن قرأ الجميع بالتاء يحمله على اللفظ فاللفظ مؤنث والضعف والضعف لغتان كالفقر والفقر

✽ اللفظة ✽

الاتباع موافقة الداعي فيما بدعو اليه من اجل دعائه والتحريض والحض والحث بمعنى وهو الترغيب في الفعل بما يبعث على المبادرة اليه وضده التقدير والصبر حبس النفس عما تنازع اليه من ضد ما ينبغي أن يكون عليه وضده الجزع قال

فإن تصبرا فالصبر خير مغبة وان تجزعا فالأمر ما تريان

والتخفيف رفع المشقة بالخفة والخفة تقيض الثقل والخفة السهولة بمعنى والضعف نقصان القوة وهو من الضعف لأنه ذهب ضعف القوة

✽ الاعراب ✽

موضع من اتبعك رفع على معنى حسبك الله وتباعك من المؤمنين ويحتمل أن يكون نصبا بمعنى ويكفي من اتبعك على التأويل لأن الكاف في حسبك في موضع جر بالإضافة لكنه مفعول به في المعنى فعطف على المعنى ومثله قوله تعالى انا منجوك وأهلك وقال الشاعر

إذا كانت الهجاء وانشقت العصا فحسبك والضحاك سيف مهند

الآن مبني مع الألف واللام لأنه خرج عن التمكن بشبه الحرف قال الزجاج عشرون لا يجوز الا بكسر العين وزعم اهل اللغة انه كسر اوله كما كسر أول اثنين لأن عشريين من عشرة مثل اثنين من واحد وبديل عليه فتحهم ثلاثين كفتح ثلاثة وكسرم تسعين ككسر تسعة

✽ المعنى ✽

ثم امر سبحانه بقتال الكفار وحث عليه بقوله (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) أي كافيك الله ويكفيك متبعوك من المؤمنين وقال الحسن معناه الله حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين أي يكفيك ويكفيهم قال الكبي نزلت هذه الآية بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال (يا أيها النبي حرص المؤمنين) أي ابعد المؤمنين (على القتال) ورغبهم فيه بسائر اسباب التحريض والترغيب من ذكر الثواب الموعود على القتال وبيان ما وعد الله لهم من النصر والظفر واغتنام الأموال (ان يكن منكم عشرون صابرون) على القتال (بغلبوا مأتين) من العدو (وإن يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا) واللفظ لفظ الخبر والمراد به الأمر وبديل على ذلك قوله فيما بعد الآن خفف الله عنكم لأن التخفيف لا يكون الا بعد التكليف (بأنهم قوم لا يفقهون) معناه ذلك النصر من الله تعالى لكم على الكفار والغذلان للكفار بأنكم تفقهون امر الله تعالى وتصدقونه فيما وعدكم من الثواب فيدعوكم ذلك الى الصبر على القتال والجدي فيه والكفار لا يفقهون امر الله تعالى ولا يصدقونه فيما وعدكم من الثواب ولما علم الله تعالى ان ذلك يشق عليهم تغيرت المصلحة في ذلك فقال (آلآن خفف الله عنكم) الحكم في الجهاد من وجوب قتال العشرة على الواحد وثبات الواحد للعشرة (وعلم أن فيكم ضعفا) أراد به ضعف البصيرة والعزيمة ولم يرد ضعف البدن فإن الذين اسلموا في الابتداء لم يكونوا كلهم اقوياء البدن بل كان فيهم القوي والضعيف ولكن كانوا اقوياء البصيرة واليقين ولما كثر المسلمين واختلط بهم من كان اضعف بقلبا وبصيرة نزل الآن خفف الله عنكم (فإن يكن منكم مائة صابرة) على القتال (بغلبوا مأتين) من العدو (وان يكن منكم الف) صابرة (بغلبوا الفين) منهم (يا أيها الله) أي بعلم الله وقيل بأمره فأمر الله تعالى الواحد بأن يشبث لاثنين وتضمن النصر له عليها وإنما لم يفصل ولم يأمر من كان قويا بالبصيرة بأن يشبث لعشرة ومن كان ضعيف البصيرة بأن يشبث لاثنين لأنهم كانوا يشهدون القتال مختلطين فكان لا يمكن التمييز بينهم ولو نص على من كان ضعيف البصيرة كان فيه ايجاشهم وانكسار قلوبهم وزيادة ضعفهم (والله مع الصابرين) أي معونة الله مع الصابرين ومعناه والله معين الصابرين وقيل ان هذه الآية نزلت بعد الآية الأولى بمدة وان قرن بينهما في المصحف وهي ناسخة للأولى والمعتبر في الناسخ والمنسوخ بالنزول دون التلاوة وقال الحسن ان التغليظ كان على أهل بدر ثم جاءت الرخصة

قوله تعالى (٦٧) مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَشْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٨) لَوْلَا كِتَابٌ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ

فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٩) فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ثلاث آيات

✽ القراءة ✽

قرأ أبو جعفر ان تكون له بالثناء أسارى وقرأ أهل الكوفة ان تكون له بالثناء أسرى والباقيون ان يكون له بالياء أسرى

— الحجة —

من قرأ بالثناء فلأن الجمع مؤنث ومن قرأ بالياء فلأنهم مذكرون في المعنى وقد وقع الفصل بين الفعل والفاعل قال أبو علي والأسرى اقيس من الأسارى لأن اسير افعيل بمعنى مفعول وذلك يجمع على فعلى نحو جرحى وجرحى وقتيل وقتلى واستمر هذا الجمع في الباب وكثر حتى شبه به غيره مما ليس منه ولكن لموافقته مثل مرضى وهلكى وموتى وذلك ان هذه أمور ابتلوا بها وادخلوا فيها وهم لها كارهون فصار لذلك مشبهاً بفعيل في قول الخليل وإنما قالوا أسارى على التشبيه بكسالى كما قالوا كسلى على التشبيه بأسرى وقال الأزهري الأسارى جمع الأسرى فهو جمع الجمع

✽ اللفظة ✽

الأسرى الشد على المحارب بما يصير به في قبضة الآخذ له وفلان أسور أي مشدود وكانوا يشدون الأسير بالقيد والإشخان في الأرض تغليظ الحال بكثرة القتل والنخن والغلط والكثافة نظائر وقد انخنه المرض إذا اشتدت قوته عليه وانخنه الجراح والعرض متاع الدنيا ساء عرضاً لقلته لبئس والفرق بين الحلال والمباح ان الحلال من حل العقد في التحريم والمباح من التوسعة في الفعل وإن اجتمعا في الحل والطيب المستلذ وشبه الحلال به فسمي طيباً واللذة نيل المشتهى

✽ الإعراب ✽

الفاء في فكلوا دخلت للجزاء المعنى لقد أحلت لكم الغذاء فكلوا وحلالاً طيباً منصوب على الحال

✽ المعنى ✽

(ما كان لنبى) أي ليس له ولا في عهد الله اليه (ان يكون له أسرى) من المشركين ليفديهم أو يمن عليهم (حتى يشخن في الأرض) أي حتى يبالغ في قتل المشركين وقهرهم ليرتدع بهم من وراءهم وقال أبو مسلم الإشخان الغلبة على البلدان والتذليل لأهلها يعني حتى يتمكن في الأرض (تربدون عرض الدنيا) هذا خطاب لمن دون النبي ﷺ من المؤمنين الذين رغبوا في اخذ الفداء من الأسرى في أول وقته ورغبوا في الحرب للغنيمة قال الحسن وابن عباس يريد يوم بدر ويقول اخذتم الفداء من الأسرى في أول وقعة كانت لكم من قبل ان تشخنوا في الأرض وعرض الدنيا مال الدنيا لانه بمعرض الزوال (والله يريد الآخرة) أي تربدون عاجل الحظ من عرض الدنيا والله يريد لكم ثواب الآخرة (والله عزيز) لا يغلب انصاره فاعملوا ما يريد منكم لينصركم (حكيم) يجري افعاله على ما توجيه الحكمة فصل سبحانه بين ارادة نفسه و ارادة عباده ولو كان ما ارادوه على ما قاله المجبرة لم يصح هذا التفصيل (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم) قيل في معناه أقوال ✽ أحدها ✽ لولا ما مضى من حكم الله ان لا يعذب قوما حتى يبين لهم ما يتقون وانه لم يبين لهم ان لا تأخذوا الفداء لعذبكم بأخذ الفداء عن ابن جريج ✽ وثانيها ✽ لولا ان الله حكم لكم بإباحة الغنائم والفداء في ام الكتاب وهو الوح المحفوظ لمسكم فيما استحللتم قبل الإباحة عذاب عظيم فإن

الغنائم لم تحل لأحد قبلكم عن ابن عباس * وثالثها * لولا كتاب من الله سبق وهو القرآن فأمنتم به واستوجبتم بالإيمان به العفران لمسكم العذاب عن الجبائي قال والمراد به الصغائر * ورابعها * ان الكتاب الذي سبق قوله وما كان الله يعذبهم وانت فيهم والمعنى لولا ما كتب الله في القرآن او في اللوح المحفوظ انه لا يعذبكم والنبي بين اظهر كم لعذبكم (فكأوا ما غنمتم حلالا طيبا) هذه اباحة منه سبحانه للمؤمنين أن يأكلوا ما غنموه من اموال المشركين (وانتقوا الله) باتقاء معاصيه (إن الله غفور رحيم)

* القصة *

كان القتلى من المشركين يوم بدر سبعين قتل منهم علي بن ابي طالب عليه السلام سبعة وعشرين وكان الاسرى ايضا سبعين ولم يؤسر احد من اصحاب النبي ﷺ فجمعوا الاسارى وقرنوهم في الجبال وساقوهم على اقدامهم وقتل من اصحاب رسول الله تسعة رجال منهم سعد بن خيشمة وكان من النقباء من الأوس وعن محمد بن اسحاق قال استشهد من المسلمين يوم بدر احد عشر رجلا اربعة من قريش وسبعة من الانصار وقيل ثمانية وقتل من المشركين بضعة واربعون رجلا وعن ابن عباس قال لما امسى رسول الله ﷺ يوم بدر والناس مجوسون بالوثاق بات ساهرا اول الليلة فقال له اصحابه ما لك لا تنام فقال ﷺ سمعت أنين عمي العباس في وثاقه فأطلقوه فسكت فنام رسول الله ﷺ وروى عبيدة السلماني عن رسول الله ﷺ انه قال لأصحابه يوم بدر في الاسارى ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم وكانت الاسارى سبعين فقالوا بل نأخذ الفداء فاستمتع به وتفقوى به على عدونا وليستشهد منا بعدتهم قال عبيدة طلبوا الخيرتين كاتبيها فقتل منهم يوم احد سبعون وفي كتاب علي بن ابراهيم لما قتل رسول الله ﷺ النضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط خافت الانصار ان يقتل الاسارى فقالوا يا رسول الله قتلنا سبعين وهم قومك واسرتك أتجد اصلمهم فخذ يا رسول الله منهم الفداء وقد كانوا اخذوا ما وجدوه من الغنائم في عسكر قريش فلما طلبوا اليه وسأله نزلت الآية ما كان لنبي أن يسرى الآيات فاطلق لهم ذلك وكان اكثر الفداء اربعة آلاف درهم وأقله الف درهم فبعثت قريش بالفداء اولا فاولا فبعثت زينب بنت رسول الله ﷺ من فداء زوجها ابي العاص بن الربيع وبعثت قلائد لها كانت خديجة جهزتها بها وكان ابو العاص ابن اخت خديجة فلما رأى رسول الله ﷺ تلك القلائد قال رحم الله خديجة هذه قلائد هي جهزتها بها فأطلقه رسول الله ﷺ بشرط ان يبعث اليه زينب ولا يمنعها من الحقوق به فعاذه على ذلك ووفى له وروى أن النبي ﷺ كره اخذ الفداء حتى رأى سعد بن معاذ كراهية ذلك في وجهه فقال يا رسول الله هذا اول حرب لقينا فيه المشركين والاولئحان في القتل احب الي من استبقاه الرجال وقال عمر بن الخطاب يا رسول الله كذبوك وأخرجوك فقدمهم واضرب اعناقهم ومكنا عليا من عقيل فيضرب عنقه ومكني من فلان اضرب عنقه فان هؤلاء أئمة الكفر وقال ابو بكر اهلك وقومك استأن بهم واستبقهم وخذ منهم فدية فيكون لنا قوة على الكفار قال ابن زيد فقال رسول الله ﷺ لو نزل عذاب من السماء ما نجا منكم غير عمر وسعد بن معاذ وقال ابو جعفر الباقر (ع) كان الفداء يوم بدر كل رجل من المشركين بأربعين اوقية والأوقية اربعون مثقالا إلا العباس فان فداءه كان مائة اوقية وكان اخذ منه حين اسر عشرون اوقية ذهابا فقال النبي ﷺ ذلك غنيمة ففاد نفسك وابني اخيك نوافلا وعقيل فقال ليس

معي شيء فقال ابن الذهب الذي سلمته الى ام الفضل وقلت ان حدث بي حدث فهو لك وللفضل وعبد الله وقتم فقال من اخبرك بهذا قال الله تعالى فقال اشهد انك رسول الله والله ما اطلع على هذا احدا الا الله تعالى قوله تعالى (٧٠) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنَّ بَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُوَفِّيكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧١) وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ آياتان ﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر وابو عمرو من الاسارى والباقون من الاسرى وقد ذكرنا الفرق بين الاسرى والاسارى فيما قبل

﴿ المعنى ﴾

ثم خاطب الله سبحانه نبيه فقال (يا ايها النبي قل لمن في ايديكم) من الاسارى إنما ذكر الايدي لأن من كان في وثاقهم فهو بمنزلة من يكون في ايديهم لاستيلائهم عليه (من الاسرى) يعني اسراء بدر الذين اخذ منهم الفداء (ان يعلم الله في قلوبكم خيرا) اي اسلاما واخلاصا او رغبة في الايمان وصحة نية (يوفيتكم خيرا) اي يعطكم خيرا (ما اخذ منكم) من الفداء اما في الدنيا والآخرة واما في الآخرة (ويغفر لكم) ذنوبكم (والله غفور رحيم) روي عن العباس بن عبد المطلب انه قال نزلت هذه الآية في وفي اصحابي كان معي عشرون اوقية ذهبا فاخذت مني فأعطاني الله مائة عشرين عبدا كل منهم يضرب بمال كثير وادناهم يضرب بعشرين الف درهم مكان العشرين اوقية واعطاني زمزم وما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي قال قتادة ذكر لنا ان نبي الله ﷺ لما قدم عليه مال البحرين ثمانون الفا وقد ترضأ لصلاة الظهر فاصلى يومئذ حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه ويحشي فأخذ فكان العباس يقول هذا خير مما اخذ منا وأرجو المغفرة (وإن يريدوا خيانتك) معناه وان يرد الذين اطلقتهم من الاسارى خيانتك بأن يعدوا حربا لك او ينصروا عدوا عليك (فقد خانوا الله من قبل) بأن خرجوا الى بدر وقاتلوا مع المشركين وقيل بأن اشر كوا بالله واضفوا اليه ما لا يليق به (فأمكن منهم) اي فأمكنك منهم يوم بدر بأن غلبوا واسروا وسيمكنك منهم ثانيا ان خانوك (والله عليم حكيم) معناه عليم بما يقولونه وبما في نفوسهم وبجميع الأشياء حكيم فيما يفعله

قوله تعالى (٧٢) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَانْتَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يهاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة ولايتهم بكسر الواو وهو قراءة الاعمش ويحيى بن وثاب والباقون ولايتهم بفتح الواو

✽ الحجة ✽

قال الزجاج من قرأ بالفتح فلأن الولاية من النصر والنسب بفتح الواو والولاية التي بمنزلة الامارة مكسورة ليفصل بين المعنيين وقد يجوز كسر الواو ولأن في تولي بعض القوم بعضاً جنساً من الصناعة والعمل وكل ما كان من جنس الصناعة فكسور نحو الخياطة والصياغة وقال ابو عبيدة وابو الحسن من ولايتهم مصدر المولى وأما في السلطان فالولاية بكسر الواو وهي في الأخرى لغة

✽ اللغة ✽

الهجرة والمهاجرة فراق الوطن الى غيره من البلاد وأصله من الهجر ضد الوصل والجهاد تحمل المشاق في قتال اعداء الدين من جهده الأمر جهداً والايواء ضم الانسان غيره اليه بأنزاله عنده وتقريبه له يقال آواه يؤويه ايواء واو م يأوي اوياء وبت معناه رجعت الى المأوى والولاية عقد النصر للموافقة في الديانة

✽ النزول ✽

قيل نزلت الآية في الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة فجعل الله الميراث للمهاجرين والانصار دون ذوي الارحام وكان الذي آمن ولم يهاجر لم يرث من اجل انه لم يهاجر ولم ينصر وكانوا يعملون بذلك حتى انزل الله تعالى وأول الارحام بعضهم اولى ببعض فسخت هذه الآية وصار الميراث لذوي الارحام المؤمنين ولا يتوارث أهل ملتين عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد والسدي

✽ المعنى ✽

ثم ختم الله سبحانه السورة بإيجاب موالاة المؤمنين وقطع موالاة الكافرين فقال (ان الذين آمنوا بالله ورسوله) وبما يجب الايمان به (وهاجروا) من مكة الى المدينة (وجاهدوا) وقتلوا العدو (بأموالهم وانفسهم في سبيل الله) اي في طاعة الله واعزاز دينه (والذين آووا) الرسول والمهاجرين بالمدينة اي جعلوا لهم مأوى واسكنوهم منازلهم يعني الانصار (ونصروا) اي ونصروهم بعد الايواء على اعدائهم وبذلوا المهج في نصرتهم (أو ألك بعضهم اولياء بعض) اي هؤلاء بعضهم اولى ببعض في النصر وان لم يكن بينهم قرابة من اقربائهم من الكفار وقيل في التوارث عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسدي وقيل في التناصر والتعاون والموالاة في الدين عن الاصم وقيل في نفوذ امان بعضهم على بعض فإن واحداً من المسلمين لو أمن إنساناً نفذ امانه على سائر المسلمين (والذين آمنوا ولم يهاجروا) الى المدينة (مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا) اي ما لكم من ميراثهم من شيء حتى يهاجروا فحينئذ يحصل بينكم التوارث فإن الميراث كان منقطعاً في ذلك الوقت بين المهاجرين وغير المهاجرين وروي عن ابي جعفر (ع) انهم كانوا يتوارثون بالمواخاة الأولى وقيل معناه ما لكم من مواليتهم ونصرتهم من شيء اي ليس عليكم نصرتهم (وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر) معناه وان طلبوا يعني المؤمنين الذين لم يهاجروا منكم النصر لهم على الكفار واعانتهم في الدين فعليكم النصر والمعونة لهم وليس عليكم نصرتهم في غير الدين (الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) معناه الا أن يطلبوا منكم النصر لهم على قوم من المشركين بينكم وبينهم امان وعهد يجب الوفاء به ولا تنصروهم عليهم لما فيه من نقض العهد (واي با تعملون بصير) اي بأعمالهم عليهم لا يخفى عليه شيء منها قوله تعالى (٧٣) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ

وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (٧٤) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٥) وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ثلاث آيات

✽ اللغة ✽

الفتنة أصلها الامتحان ثم تستعمل في اشياء منها الكفر والشرك وذلك نحو قوله تعالى والفتنة اكبر من القتل وقتلهم حتى لا تكون فتنة ومنها العذاب نحو قوله تعالى جعل فتنة الناس كعذاب الله وقوله ذوقوا فتنتكم يعني عذابكم بالتحريق بالنار ومنها المعذرة في نحو قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم اية معذرتهم ومنها القتل في نحو قوله ان خفتهم ان يقتلكم اي يقتلكم وقوله على خوف من فرعون وملئه ان يقتنهم ومنها المخرج والابتلاء على اثر البلاء في نحو قوله وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم وهذا التفصيل مأخوذ من قول الصادق (ع) والكريم فاعل الكرم والكرم الجود العظيم والشرف قال تلك المكارم لا قعبان من لبن شيئا جاء فعادا بعد ابوالا والرزق الكريم العظيم الواسع

✽ الاعراب ✽

قوله فعليكم النصر يجوز في العربية فعليكم النصر على قولك عليك زيذا ولم يقرأ بها

✽ المعنى ✽

ثم ذكر سبحانه وتعالى حكم الكافرين فقال (والذين كفروا بعضهم اولياء بعض) اي بعضهم انصار بعض عن ابن اسحاق وقتادة وقيل معناه بعضهم اولى ببعض في الميراث عن ابن عباس واي مالك (الاتفعلوه) وتقديره الا تفعلوا ما امرتم به في الآية الاولى والثانية ومخرجه مخرج الخبر والمراد به الأمر وتقديره الا تفعلوا ما امرتم به من التناصر والتعاون والتبر من الكفار (تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) على المؤمنين الذين لم يهاجروا ويريد بالفتنة هنا المحنة بالميل إلى الضلال وبالفساد الكبير ضعف الايمان وقيل ان الفتنة هي الكفر لأن المسلمين إذا والوهم تجروا على المسلمين ودعوهم إلى الكفر وهذا يوجب التبر منهم والفساد الكبير سفك الدماء عن الحسن وقيل معناه وان لم تعلقوا التوارث بالهجرة ولم تقطعوه بعدمها ادى إلى فتنة في الأرض باختلاف الكلمة وفساد عظيم بتقوية الخارج عن الجماعة عن ابن عباس وابن زيد ثم عاد سبحانه إلى ذكر المهاجرين والانصار ومدحهم والشاء عليهم فقال (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله) اي صدقوا الله ورسوله وهاجروا من ديارهم واطانهم يعني من مكة إلى المدينة وجاهدوا مع ذلك في اعلاء دين الله (والذين آووا ونصروا) اي ضموا اليهم ونصروا النبي ﷺ (او انك هم المؤمنون حقا) اي او انك الذين حققوا ايمانهم بالهجرة والنصرة بخلاف من اقام بدار الشرك وقيل معناه ان الله حقق ايمانهم بالبشارة التي بشرهم بها ولم يكن لمن لم يهاجر ولم ينصر مثل هذا واختلفوا في ان الهجرة هل تصح في هذا الزمان ام لا فقيل لا تصح لأن النبي ﷺ قال لا هجرة بعد الفتح ولأن الهجرة الانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام وليس يقع مثل هذا في هذا الزمان لاتساع بلاد الإسلام إلا ان يكون نادرا لا يمتد به وقيل إن هجرة الأعراب إلى الامصار باقية إلى يوم القيامة

عن الحسن والأقوى ان يكون حكم الهجرة باقيا لأن من اسلم في دار الحرب ثم هاجر إلى دار الإسلام كان مهاجرا وكان الحسن يمنع ان يتزوج المهاجر إلى اعرابية وروي عن عمر بن الخطاب انه قال لا تنكحوا اهل مكة فإنهم اعراب وإنما سمي الجهاد سبيل الله لأنه الطريق إلى ثواب الله في دار كرامته (لهم مغفرة ورزق كريم) لا يشوبه ما ينفسه وقيل الرزق الكريم هاهنا طعام الجنة لانه لا يستحيل في اجوافهم نجوا بسل بصير كالمسك ريحا (والذين آمنوا من بعد) اي من بعد فتح مكة عن الحسن وقيل معناه آمنوا من بعد إيمانكم (وهاجروا) بعد هجرتكم (وجاهدوا معكم) ايها المؤمنون (فاولئك منكم) أي مؤمنون مثلكم ومن جملتكم وحكمهم حكمكم في وجوب موالاتهم وموارثتهم ونصرتهم وان تأخر إيمانهم وهجرتهم (وأولوا الارحام بعضهم اولى ببعض) معناه وذوو الارحام والقرابة بعضهم احق بعيراث بعضهم من غيرهم عن ابن عباس والحسن وجماعة المفسرين وقالوا صار ذلك نسخا لما قبله من التوارث بالمعاودة والهجرة وغير ذلك من الاسباب فقد كانوا يتوارثون بالمواخاة فإن النبي ﷺ كان أخى بين المهاجرين والانصار (في كتاب الله) اي في حكم الله عن الزجاج وقيل في اللاح المحفوظ كما في قوله ما اصاب من مصيبة في الأرض ولا في انفسكم إلا في كتاب من قبل ان نبرأها وقيل في القرآن وفي قوله وأولو الارحام بعضهم اولى ببعض دلالة على ان من كان اقرب إلى الميت في النسب كان اولى بالميراث سواء كان ذا سهم او غير ذي سهم او عصبه او غير ذي عصبه ومن وافقنا في تورث ذوي الارحام يستثنى اصحاب الفرائض والعصبه من الاية وذلك خلاف الظاهر (إن الله بكل شيء عليم) ظاهر المعنى واكثر هذه السورة في قصة بدر

تم المجلد الرابع من التفسير وهو الموسوم بكتاب مجمع البيان لعلوم القرآن



فهرس المجلد الثاني من مجمع البيان في تفسير القرآن

وهو حاو للجزء الثالث والرابع حسب تجزوة المصنف
وفيه تفسير سور النساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال

صفحة	صفحة	صفحة
٥٤	من النساء	﴿ سورة النساء ﴾
من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه	٢٧ حرمت عليكم امهاتكم	١ يا أيها الناس اتقوا ربكم
٥٥	٣٠ والمحصنات من النساء	٣ وآتوا اليتامى أموالهم وإن خفتهم ألا تقسطوا في اليتامى
٥٦	٣٣ ومن لم يستطع منكم طولا	٤ وآتوا النساء صدقاتهن ولا تنزلوا عليهن من أموالكم
٥٨	٣٥ يريد الله ليبين لكم • والله	٧ ولا تنزلوا عليهن من أموالكم
انظر كيف يفترون على الله الكذب	يريد أن يتوب عليكم	٨ وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح
٥٩	٣٦ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا	١٠ للرجال نصيب مما ترك الوالدان
الكتاب أو تلك الذين لعنهم الله	أموالكم بينكم بالباطل	١١ وإذا حضر القسمة أولو القربى
٦٠	ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما	وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا
أم يحسدون الناس على ما آتاهم فمنهم من آمن به	٣٧ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه	١٢ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما
٦١	٣٩ ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم	١٣ يوصيكم الله في أولادكم
ان الذين كفروا بآياتنا والذين آمَنوا وعملوا الصالحات	على بعض	١٤ ولكم نصف مما ترك أزواجكم
٦٣	٤١ ولكل جعلنا موالي مما ترك	١٥ تلك حدود الله ومن يعص الله ورسوله
ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها	الوالدان	١٦ واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم والذات يأتينها منكم
٦٤	٤٢ الرجال قوامون على النساء	١٧ إن التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة • وليست التوبة
يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله	٤٤ وإن خفتن شقاق بينهما	للذين يعملون السيئات
٦٥	٤٥ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا	٢٣ يا أيها الذين آمنوا لا يجمل لكم أن ترثوا النساء كرها
ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمَنوا • وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله	٤٦ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل	٢٤ وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج • وكيف تأخذونه
٦٦	٤٧ والذين ينفقون أموالهم رثاء	٢٥ ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم
أو تلك الذين يعلم الله ما في قلوبهم	الناس • وماذا عليهم لو آمنوا بالله	
٦٧	٤٨ إن الله لا يظلم مثقال ذرة	
وما أرسلنا من رسول الا ليطاع	٤٩ فكيف إذا جئنا من كل امة بشهاد • يومئذ يورد الذين كفروا	
٦٨	٥٠ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا	
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك	الصلاة وانتم سكارى	
٦٩	٥٣ ألم تر إلى الذين اتوا نصيبا	
ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم • وإذا لا تيبا لهم ولهديتناهم	من الكتاب • والله اعلم باعدائكم	
٧١		

صفحة	صفحة	صفحة
		ذلك الفضل من الله
واسعا حكيا	درجات منه ومفكرة	٧٢ يا ايها الذين امنواخذوا حذرکم
١٢١ والله ما في السماوات وما في الارض إلى قوله وكفى بالله	٩٧ ان الذين يتوفاهم الملائكة الا المستضعفين ما فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم	٧٣ وإن منكم لمن ليبطئن ولئن اصابكم فضل من الله فليقاتل في سبيل الله
١٢٢ إن يشأ يذهبكم ايها الناس إلى قوله فإون الله كان بنا تعملون خيرا	٩٩ ومن يهاجر في سبيل الله	٧٥ وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله
١٢٤ يا ايها الذين آمنوا بالله ورسوله	١٠٠ وإذا ضربتم في الارض	٧٦ الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله
١٢٥ إن الذين آمنوا ثم كفروا إلى قوله فإون العزة لله جميعا	١٠١ وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة	٧٦ ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا ايديكم
١٢٦ وقد نزل عليكم في الكتاب الذين يترصدون بكم	١٠٣ فلوذا قضيت الصلاة فاذكروا الله ولا تهنوا في ابتغاء القوم	٧٧ أينما تكونوا يدرككم الموت ما اصابك من حسنة فمن الله
١٢٨ إن المنافقين يخادعون الله إلى قوله فلن تجد له سبيلا	١٠٥ انا انزلنا اليك الكتاب بالحق واستغفر الله	٨٠ افلا يتدبرون القرآن
١٢٩ يا ايها الذين آمنوا إلى قوله اجرا عظيا	١٠٦ ولا تجادل عن الذين يخفون انفسهم ما يستخفون من الناس ها انتم هؤلاء جادلتم ومن يعمل سورا او يظلم نفسه إلى قوله بهتانا وإثما مبينا	٨١ وإذا جاءهم امر من الأمن او الخوف اذاعوا به
١٣٠ ما يفعل الله بعذابكم لا يحب الله الجهر بالسوء إلى قوله فإون الله كان عفوا قديرا	١٠٨ ولولا فضل الله عليكم ورحمته الى قوله فسوف نؤتيه اجرا عظيا	٨٣ فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك
١٣٢ إن الذين يكفرون بالله ورسوله إلى قوله وآتينا موسى سلطانا مبينا	١١٠ ومن يشاقق الرسول ان الله لا يقفر ان يشرك به ان يدعون من دونه إلا انانا إلى قوله ولا يجردون عنها محيضا	٨٣ من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها
١٣٣ ورفعنا فوقهم الطور مبياقهم فجا نقضهم مبياقهم الى قوله وكان الله عزيزا حكيا	١١٣ والذين آمنوا وعملوا الصالحات ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب إلى قوله ولا يظلمون نقيرا	٨٤ وإذا حيتم بتحية فحيوا بأحسن منها
١٣٧ وان من أهل الكتاب إلا ليومئذ فبظلم من الذين هادوا الى قوله وأعدنا للكافرين منهم عذابا اليا	١١٤ والذين آمنوا وعملوا الصالحات ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب إلى قوله ولا يظلمون نقيرا	٨٥ الله لا إله إلا هو ليجمعنكم
١٣٩ لكن الراسخون في العلم منهم إنا أوحينا اليك	١١٥ ومن احسن دينا إلى قوله وكان الله بكل شي محيطا ويستفتونك في النساء وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا	٨٦ فما لكم في المنافقين فئتين ودوالو تكفرون كما كفروا الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق
١٤١ ورسلا قد قصصناهم عليك الى قوله وكان الله عليا حكيا	١١٧ ويستفتونك في النساء وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا	٨٧ استجدون اخريين يريدون ان يامنوك
١٤٢ لكن الله يشهد بما انزل اليك	١٢٠ والنساء إلى قوله وكان الله	٨٩ وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا إلا خطأ ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم
		٩٤ يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتيبنوا
		٩٦ لا يستوي القاعدون من المؤمنين

صفحة	صفحة	صفحة
٢٠٠	١٧٤	١٤٣
وقفينا على آثارهم إلى قوله فأولئك هم الفاسقون	يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا إلى قوله إلى صراط مستقيم	يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق
٢٠١	١٧٥	١٤٤
وانزلنا اليك الكتاب بالحق وان احكمم بينهم إلى قوله لقوم يوقنون	لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم إلى قوله واليه المصير	يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم
٢٠٥	١٧٦	١٤٦
يا أيها الذين آمنوا إلى قوله فأصبحوا خاسرين	يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا	ان يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله إلى قوله ويا ولانصير
٢٠٧	١٧٧	١٤٧
يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه	واذ قال موسى لقومه إلى قوله فتنقلبوا خاسرين	يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم إلى قوله ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً
٢٠٩	١٧٩	١٤٨
إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا إلى قوله هم الغالبون	قالوا يا موسى ان فيها قرمها جبارين إلى قوله إنا ها هنا قاعدون	يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة
٢١٢	١٨١	
يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا وإذا ناديتهم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعباً إلى قوله وان اكثركم فاسقون	قال رب اني لا املك إلا نفسي واخي إلى قوله على القوم الفاسقين	﴿ سورة المائدة ﴾
٢١٤	١٨٢	١٥٠
قل هل انبئكم بشر من ذلك وإذا جاءوكم قالوا آمنا ولى قوله لبئس ما كانوا يصنعون	واقتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق لئن بسطت إلي يدك لتقتلني إلى قوله فأصبح من الخاسرين	فضلها
٢١٨	١٨٣	١٥٠
وقالت اليهود يد الله مغلولة وار أن اهل الكتاب آمنوا واتقوا إلى قوله وكثير منهم ساء ما يعملون	فبعث الله غراباً يبحث في الارض من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل	يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود
٢٢١	١٨٥	١٥٢
يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك قل يا أهل الكتاب لستم على شيء ان الذين آمنوا والذين هادوا لقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل إلى قوله والله بصير بما تعملون	إنا جزاء الذين يجاريون الله ورسوله إلى قوله غفور رحيم	يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله
٢٢٢	١٨٧	١٥٦
يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك قل يا أهل الكتاب لستم على شيء ان الذين آمنوا والذين هادوا لقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل إلى قوله والله بصير بما تعملون	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله إلى قوله عذاب مقيم	حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير
٢٢٤	١٨٩	١٦٠
لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح (إلى قوله) والله غفور رحيم	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله إلى قوله والسارق والسارقة إلى قوله على كل شيء قدير	يسألونك ماذا احل لهم
٢٢٧	١٩٠	١٦٢
ما المسيح بن مريم إلا رسول (إلى قوله) وضلوا عن سواء السبيل	يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر	اليوم احل لكم الطيبات
٢٢٩	١٩٢	١٦٣
لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم إلا رسول (إلى قوله) وضلوا عن سواء السبيل	سماعون للكذب إلى قوله وما اولئك بالمؤمنين	يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة
٢٣٠	١٩٧	١٦٧
لعن الذين كفروا من بني اسرائيل وكتبنا عليهم فيها	إنا ننزلنا التوراة فيها هدى ونور	واذكروا نعمة الله عليكم
	١٩٨	١٦٨
		يا أيها الذين آمنوا إلى قوله او لئنك اصحاب الجحيم
		١٦٩
		يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم
		١٧٠
		ولقد اخذنا من بني اسرائيل
		١٧١
		فبما نقضهم ميثاقهم
		١٧٣
		ومن الذين قالوا إنا نصارى اخذنا ميثاقهم

صفحة	صفحة	صفحة
الذين آتيناكم الكتاب يعرفونه	٢٦٣ وإذ اوحيت إلى الحواريين	إلى قوله وفي العذاب هم خالدون
٢٨٢ ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا ويوم نحشهم جميعا	٢٦٣ إذ قال الحواريون قالوا زيدا أن فأكل منها	٢٣٢ ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي
٢٨٣ ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا انظر كيف كذبوا على أنفسهم	٢٦٥ قال عيسى بن مريم قال الله إني متلها عليكم	٢٣٥ فأتاهم الله بما قالوا إلى قوله واتقوا الله الذي أنتم به
٢٨٥ ومنهم من يستمع اليك وهم يبهون عنه وينثون	٢٦٧ وإذ قال الله يا عيسى بن مريم إلى قوله فإنك انت العزيز الحكيم	٢٣٦ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم
٢٨٨ ولو ترى إذ وقفوا على النار بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل	٢٦٩ قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم	٢٣٨ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر
٢٩٠ وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا ولو ترى إذ وقفوا على ربهم	٢٦٩ لله ملك السموات والأرض	والميسر إلى قوله فهل أنتم منتهون وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول
٢٩١ قد خسروا الذين كذبوا بقاء الله وما الحياة الدنيا إلا لهو ولعب	الجزء الرابع	
٢٩٣ قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا	﴿ سورة الأنعام ﴾	
٢٩٥ وإن كان كبر عليك إعرابهم إلى قوله ولكن أكثرهم لا يعلمون	٢٧١ عدد آيها وفضلها	٢٤٠ ليس على الذين آمنوا
٢٩٧ وما من دابة في الأرض والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله بل آياه تدعون	٢٧٢ الحمد لله الذي خلق السموات والأرض هو الذي خلقكم من طين وهو الله في السموات وفي الأرض	٢٤٢ يا أيها الذين آمنوا ليلونكم الله بشيء من الصيد إلى قوله والله عزيز ذو انتقام
٣٠٠ ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلكم إلى قوله والحمد لله رب العالمين قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم إلى قوله يسهم العذاب بما كانوا يفسقون	٢٧٥ ولولا أننا عليك كتابا في قرطاس وقالوا لولا أنزل عليه ملك إلى قوله ما كانوا يستهزئون قل سيروا في الأرض إلى قوله وهو السميع العليم	٢٤٤ يا أيها الذين آمنوا ليلونكم الله بشيء من الصيد إلى قوله والله عزيز ذو انتقام
٣٠٤ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا تطرد الذين يدعون ربهم إلى قوله أليس الله بأعلم بالشاكرين	٢٧٦ قل أغير الله اتخذ وليا قل إني أخاف إن عصيت ربي من يصرف عنه يومئذ وإن يمسك الله بضر وهو القاهر فوق عباده	٢٤٥ احل لكم صيد البحر وطعامه جعل الله الكعبة البيت الحرام إماما للناس
	٢٧٧ قل أغير الله اتخذ وليا قل إني أخاف إن عصيت ربي من يصرف عنه يومئذ وإن يمسك الله بضر وهو القاهر فوق عباده	٢٤٦ جعل الله الكعبة البيت الحرام إماما للناس
	٢٨٠ قل أي شيء أكبر شهادة	٢٤٨ اعلموا أن الله شديد العقاب إلى قوله اهلكم تفلحون
		٢٤٩ يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم قد سألهم قوم من قبلكم إلى قوله وأكثرهم لا يعقلون
		٢٥١ قد سألهم قوم من قبلكم إلى قوله وأكثرهم لا يعقلون
		٢٥٣ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله إلى قوله فينبئكم بما كنتم تعملون
		٢٥٤ يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم
		٢٥٧ فإن عثر على أنها استحقا ذلك ادنى أن يأتوا بالشهادة على وجوها
		٢٦٠ يوم يجمع الله الرسل
		٢٦١ إذ قال الله يا عيسى بن مريم

صفحة	صفحة	صفحة
٣٥٥	٣٣٠	٣٠٧
وان تطع اكثر من في الارض يضلوك الى قوله وهو اعلم بالمهتدين	الى قوله وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك هدى الله الى قوله ان هو الا ذكر للعالمين	وإذ جاءك الذين يؤمنون بآياتنا وكذلك نفضل الآيات
٣٥٦	٣٣٢	٣٠٩
فكلوا ما ذكر اسم الله عليه الى قوله سيجزون بما كانوا يقترفون	وما قدروا الله حق قدره وهذا كتاب انزلناه	قل إني نهيت أن اعبد الذين تدعون من دون الله
٣٥٨	٣٣٤	٣٠٩
ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه	ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا	قل إني على بينة من ربي قل لو أن عندي ما تستعجلون به
٣٥٨	٣٣٥	٣١٠
أو من كان ميتا فأحييناه وكذلك جعلنا اكل قريه أكابر مجرميها	ولقد جثثونا فرادى ان الله فائق الحب والنوى	وعنده مفاتيح الغيب وهو الذي يتوفاكم بالليل
٣٦٠	٣٣٧	٣١٢
وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام	فائق الاصباح وجعل الليل سكنا	وهو القاهر فوق عباده ثم ردوا إلى الله
٣٦٢	٣٣٩	٣١٣
وهذا صراط ربك مستقيما لهم دار السلام عند ربهم ويوم نحشرهم جميعا الى قوله بما كانوا يكسبون	وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها الى قوله قد فصلنا الآيات لقوم يعقنون	قل من ينجيكم منها قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا
٣٦٤	٣٤٠	٣١٥
يامعشر الجن والإنس الى قوله وما ربك بغافل عما يعملون وربك الغني ذو الرحمة الى قوله انه لا يفلح الظالمون	وهو الذي انزل من السماء ماء وجعلوا له شركاء الجن بديع السماوات والأرض	وكذب به قومك وهو الحق لكل نبا مستقر
٣٦٦	٣٤٢	٣١٦
وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء	ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا تدرى كه الا بصار وهو يدرك الابصار	وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء
٣٦٨	٣٤٣	٣١٧
وجعلوا لله ما ذرأ من الحوث والأنعام نصيبا وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاءهم	قد جاءكم بصائر من ربكم وكذلك نصرف الآيات اتبع ما أوحى اليك من ربك ولو شاء الله ما أشركوا	وذر الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا
٣٧٢	٣٤٤	٣١٨
قد خسر الذين قتلوا اولادهم وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات ومن الأنعام حمولة وفرشا	ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله	قل اندعوا من دون الله قل اندعوا من دون الله
٣٧٣	٣٤٦	٣١٩
الى قوله إن الله لا يهدي القوم الظالمين	وأقسموا بالله جهد أيمانهم ونقلب أفئدتهم وأبصارهم ولو أنزلنا اليهم الملائكة وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا	وأن اقيموا الصلاة وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق
٣٧٤	٣٤٦	٣٢١
الى قوله إن الله لا يهدي القوم الظالمين	ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله	وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر إلى قوله وليكون من الموقنين
٣٧٥	٣٤٨	٣٢٢
الى قوله إن الله لا يهدي القوم الظالمين	وأقسموا بالله جهد أيمانهم ونقلب أفئدتهم وأبصارهم ولو أنزلنا اليهم الملائكة وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا	فما جن عليه الليل رأى كوكبا إلى قوله وما أنا من المشركين
٣٧٧	٣٥٠	٣٢٦
الى قوله إن الله لا يهدي القوم الظالمين	وأقسموا بالله جهد أيمانهم ونقلب أفئدتهم وأبصارهم ولو أنزلنا اليهم الملائكة وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا	وحاجه قومه إلى قوله إن كنتم تعلمون
٣٧٧	٣٥١	٣٢٧
الى قوله إن الله لا يهدي القوم الظالمين	وأقسموا بالله جهد أيمانهم ونقلب أفئدتهم وأبصارهم ولو أنزلنا اليهم الملائكة وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا	الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم
٣٧٧	٣٥٣	٣٢٨
الى قوله إن الله لا يهدي القوم الظالمين	وأقسموا بالله جهد أيمانهم ونقلب أفئدتهم وأبصارهم ولو أنزلنا اليهم الملائكة وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا	وذلك حببتنا آتيناها إبراهيم

صفحة	صفحة	صفحة
٣٧٨	٤٠٢	٤٢٢
وعلى الذين هادوا حرمنا . الى قوله ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين	فاهبط منها قال انظرنى إلى يوم يبعثون إلى قوله ولا تجحد أكثرهم	وبينها حجاب وعلى الاعراف رجال . الى قوله لا تجعلنا مع القوم الظالمين
٣٨٠	٤٠٤	٤٢٤
سيقول الذين اشركوا . الى قوله وهم يربهم يعدلون	شاكرين قال اخرج منها مذو ما مدحورا	ونادى اصحاب الاعراف رجالا . أهولا . الذين اقستم
٣٨١	٤٠٦	٤٢٥
قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم	إلى قوله وقاسمها إني لكما لمن الناصحين	ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة . الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا
٣٨٣	٤٠٨	٤٢٦
ولا تقر بوا مال اليتيم . الى قوله ولعلمكم تقون	فدلاها بغرور . إلى قوله ومنها تخرجون	ولقد جنناهم بكتاب فصلناه هل ينظرون إلا تأويله
٣٨٥	٤١٠	٤٢٧
ثم آتينا موسى الكتاب . الى قوله لعلمكم ترجمون	يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا . إلى قوله أتقولون على الله ما لا تعلمون	إن ربكم الله الذي خلق السموات والارض
٣٨٦	٤١١	٤٢٨
أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا . الى قوله بما كانوا يصدفون	قل أمر ربي بالقسط . إلى قوله ويحسبون انهم مهتدون	ادعوا ربكم تضرعا وخفية . ولا تفسدوا في الارض بعد إصلاحها
٣٨٧	٤١٢	٤٣٠
هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة	يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد . قل من حرم زينة الله	وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته . والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه
٣٨٨	٤١٤	٤٣١
إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا	قل إنما حرم ربي الفواحش . ولكل أمة أجل	لقد أرسلنا نوحا الى قومه . الى قوله إنهم كانوا قوما عيين
٣٨٩	٤١٥	٤٣٤
من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ٣٩٠	يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم . والذين كذبوا بآياتنا	قصة نوح والى عاد أخاهم هودا
قل إنني هدي ربي الى صراط مستقيم . الى قوله وانا اول المسلمين	فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا	الى قوله وما كانوا بآياتنا مؤمنين قصة هود
٣٩٢	٤١٦	٤٣٨
قل أغير الله أبني ربا . إلى قوله وإنه لغفور رحيم	قال ادخلوا في أمم قد دخلت من قبلكم . إلى قوله فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون	الى قوله إنهم كانوا قوما عيين قصة نوح والى عاد أخاهم هودا
سورة الأعراف		
٣٩٣	٤١٧	٤٣٩
اختلافها ، فضلها ، تفسيرها ٣٩٤	إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها . الى قوله وكذلك نجزي الظالمين	قوله ولكن لا تجبون الناصحين قصة صالح ولو طأ إذ قال لقومه . الى قوله فانظر كيف كان عاقبة المجرمين
٣٩٦	٤١٩	٤٤٥
وكم من قرية أهلكنها ٣٩٧	والذين آمنوا وعملوا الصالحات ونزعنا ما في صدورهم من غل	قصة لوط مع قومه والى مدين أخاهم شعيبا . الى قوله وهو خير الحاكمين
٣٩٩	٤٢١	٤٤٨
فلنأسن الذين أرسل اليهم . إلى قوله بما كانوا ياتنا بظلمون ولقد مكناكم في الأرض إلى قوله لم يكن من الساجدين	ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار . الذين يصدون عن سبيل الله	قال الملأ الذين استكبروا من قومه . قد افترينا على الله كذبا
٤٠١		
قال ما منعك ألا تسجد . قال		

صفحة	صفحة	صفحة
٤٩٦	يستضعفون	٤٤٩ وقال الملأ الذين كفروا من قومه . الى قوله فكيف آسى على قوم كافرين
٤٩٨	٤٧١ وجاوزنا ببني اسرائيل البحر الى قواه وهو فضلكم على العالمين	٤٥١ وما ارسلنا في قرية من نبي ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة
٥٠١	٤٧٢ واذ نجيناكم من آل فرعون وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ولما جاء موسى لميقاتنا	٤٥١ ولوان اهل القرى آمنوا واتقوا الى قوله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون
٥٠٣	٤٧٦ قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وكتبنا له في الألواح من كل شيء ساء صرف عن آياتي السذين يتكبرون في الأرض والذين كذبوا بآياتنا واتخذ قوم موسى من بعده ولما سقط في ايديهم	٤٥٤ أولم يبد للذين يوثون الأرض وان وجدنا اكثرهم فاسقين ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا . الى قوله ونزع يده فلماذا هي بيضاء للناظرين
٥٠٥	٤٧٧	٤٥٥
٥٠٧	٤٧٩ واتخذ قوم موسى من بعده ولما سقط في ايديهم	٤٥٨ حديث العصا
٥١٠	٤٨١ ولما رجع موسى إلى قومه قال ربي اغفر لي ولأخي إن الذين اتخذوا العجل الى قوله للذين هم لربهم يهبون واختار موسى قومه سبعين رجلا واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة الذين يتبعون الرسول النبي قل يا أيها الناس اني رسول الله ومن قوم موسى امة وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا وإذا قيل لهم اسكنوا هذه القرية فبدل الذين ظلموا منهم وسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر فلما نسوا ما ذكروا به فلما عتروا عن ما نهوا عنه واذ تأذن ربك ليعث عليهم وقطعناهم في الأرض اما فخلق من بعدهم خلف والذين يسكنون بالكتاب	٤٥٩ قال الملأ من قوم فرعون . الى قوله يأتوك بكل ساحر عليم وجاء السحرة فرعون . الى قوله وجاءوا بسحر عظيم وأوحينا إلى موسى أن اتق عصاك إلى قوله رب موسى وهارون قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم إلى قوله وتوفنا مسلمين قال الملأ من قوم فرعون قال موسى لقومه قالوا واذينا من قبل أن تأتينا ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين فلماذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وقالوا مها تأتينا به من آية لتسحرنا بها فأرسلنا عليهم الطوفان ولما وقع عليهم الرجز إلى قوله وكانوا عنها غافلين وأورثنا القوم السذين كانوا
٥١١	٤٨٣	٤٦٠
٥١٢	٤٨٤	٤٦١
٥١٣	٤٨٥	٤٦٣
٥١٤	٤٨٦	٤٦٤
	٤٨٨	٤٦٥
	٤٨٨	٤٦٥
	٤٩٠	٤٦٧
	٤٩٠	٤٦٧
	٤٩٢	٤٦٧
	٤٩٤	٤٦٩
	٤٩٤	٤٧٠

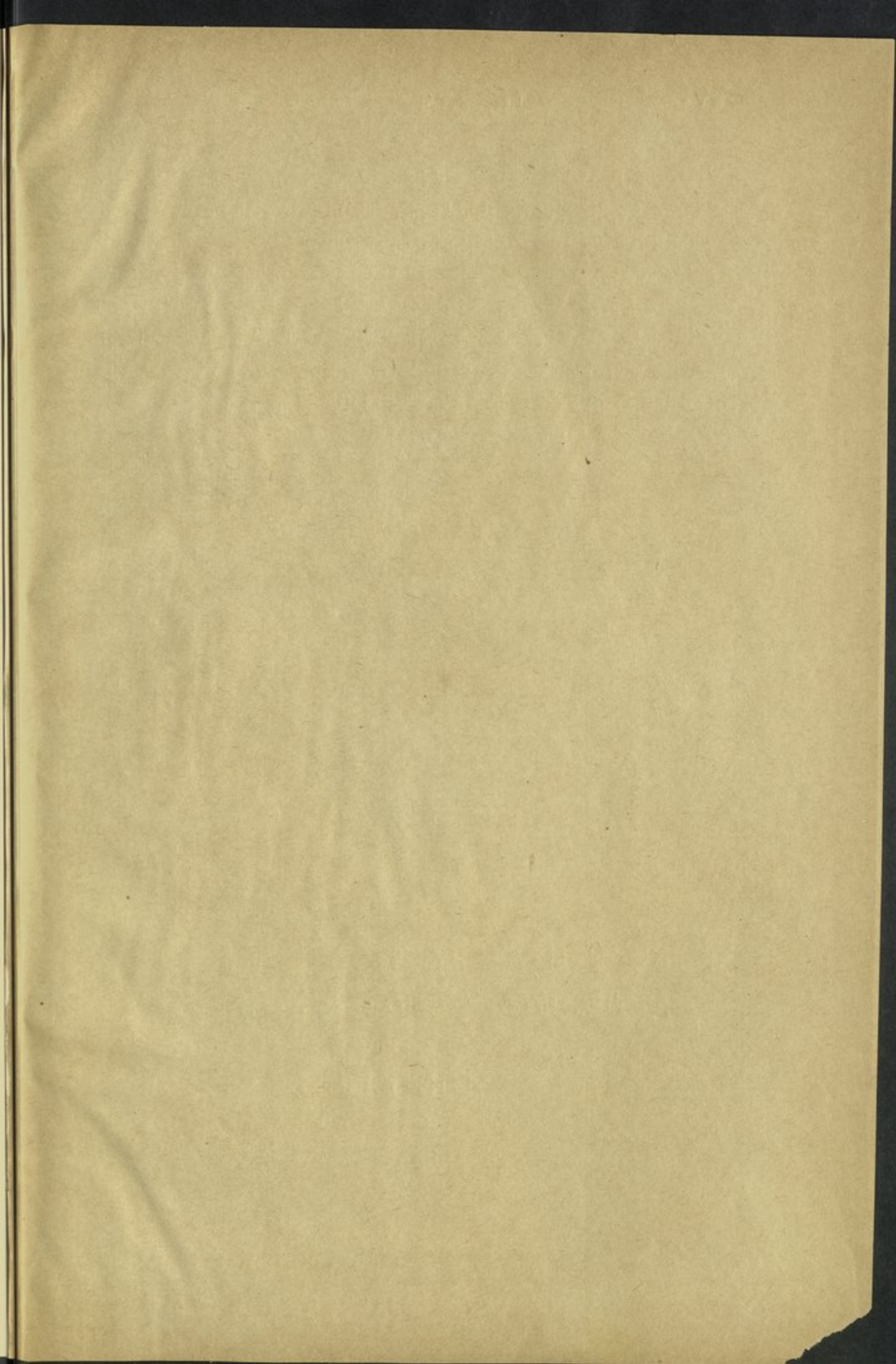
﴿ سورة الانفال ﴾

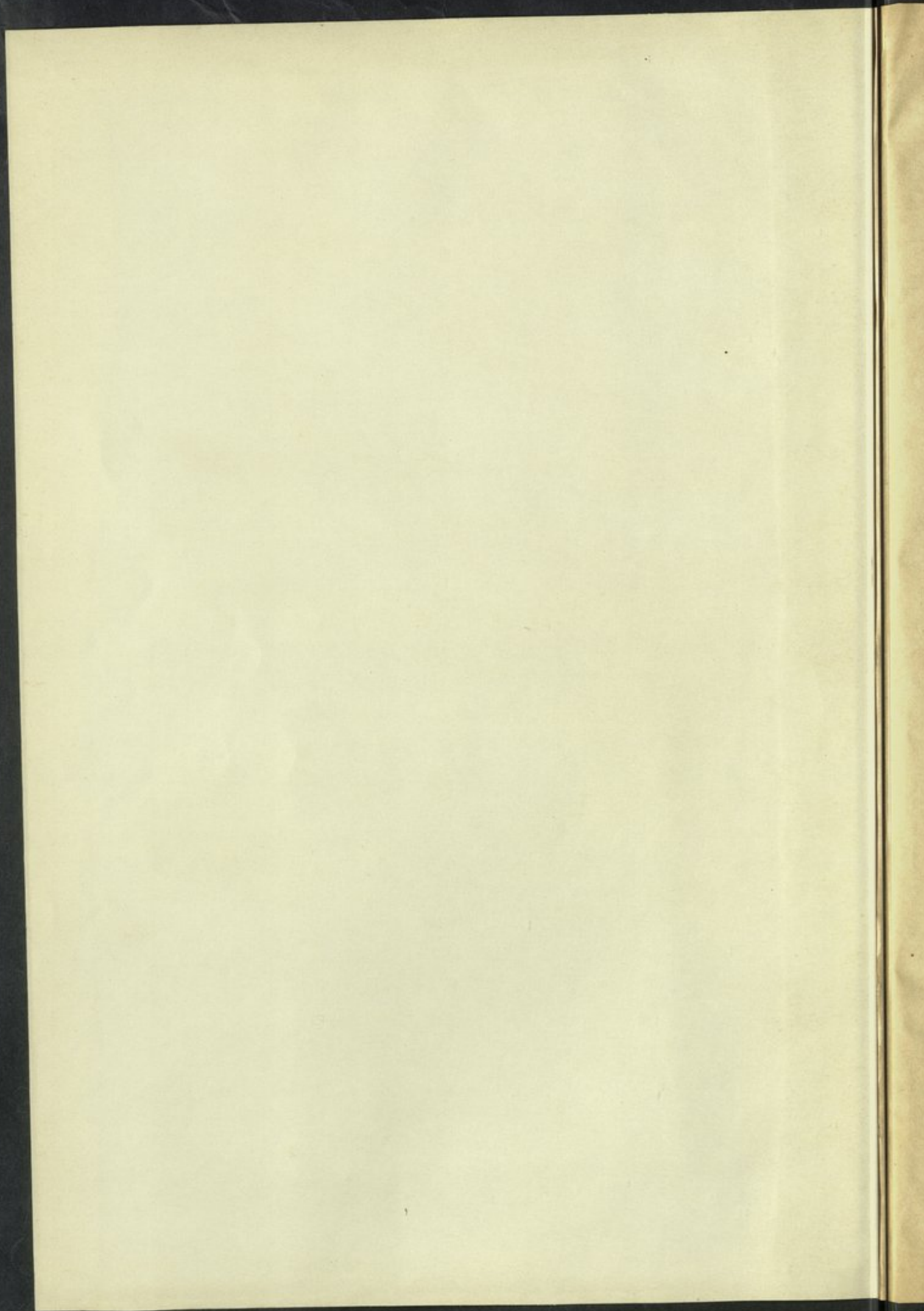
٥١٦ عدد آياتها وفضلها وتفسيرها
 ٥١٦ يسألونك عن الانفال
 ٥١٨ انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله ومغفرة ورزق كريم

صفحة	صفحة	صفحة
٥٢٠	كما اخرجك ربك من بيتك بالحق إلى قوله ولو كره الجرمون	٥٣٨
٥٢٢	قصة غزاة بدر	٥٤٠
٥٢٣	إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم إلى قوله وإن للكافرين عذاب النار	٥٤١
٥٢٩	يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا إلى قوله إن الله سميع عليم	٥٤٢
٥٣٠	ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين إلى قوله وهم لا يسمعون	٥٤٣
٥٣٢	إن شر الدواب عند الله ولو علم الله فيهم خيراً لآسأهم	٥٤٥
٥٣٢	يا أيها الذين آمنوا استجبوا وابقوا فتنة لا تصيبين	٥٤٧
٥٣٥	واذكروا إذ أنتم قليل يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول إلى قوله وإن الله عنده اجر عظيم	٥٥٠
٥٣٦	يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا	٥٥١
٥٥١	كذاب آل فرعون والذين من قبلهم إلى قوله وكل كانوا ظالمين	٥٥٢
٥٥٢	إن شر الدواب عند الله الذين كفروا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم	٥٥٣
٥٥٣	فأما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم وإما تخافن من قوم خيانة ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا إلى قوله إنه هو السميع العليم	٥٥٤
٥٥٤	وإن يريدوا أن يخدعوك وأن يبين قلوبهم	٥٥٥
٥٥٦	يا أيها النبي حسبك الله إلى قوله والله مع الصابرين	٥٥٨
٥٥٨	ما كان لني أن يكون له اسرى إلى قوله إن الله غفور رحيم	٥٦٠
٥٦٠	يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الاسرى وإن يروا خيانتك فقد خانوا الله من قبل	٥٦١
٥٦١	والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلى قوله إن الله بكل شيء عليم	
	الله يجعل لكم فرقانا	
	وإذا تتلى عليهم آياتنا إلى قوله ولكن أكثرهم لا يعلمون	
	وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية	
	إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله إلى قوله أولئك هم الخاسرون	
	قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف إلى قوله نعم المولى ونعم النصير	
	واعلموا إنما غنمتم من شيء فأن لله خمسة	
	إذ أنتم بالعدوة الدنيا إلى قوله وإلى الله ترجع الامور	
	يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا إلى قوله والله بما يعملون محيط	
	وإذ يقول المنافقون للذين في قلوبهم مرض إلى قوله وإن الله ليس بظلام للعبيد	

تصحیح خطا في ج ٣ ص ٦٤ - ٦٥ : الآية ٥٧ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ثم ذكرت الآية التي بعدها برقم ٦٠ بدلاً من ٥٨ وسرى الخطأ لآخر السورة فليصحح

وله الحمد في البدء والختام





الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن
مجمع البيان في تفسير القرآن...
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01010401

297.207:T111mA

الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن

297.207

T111mA

3-4

AUB Libraries